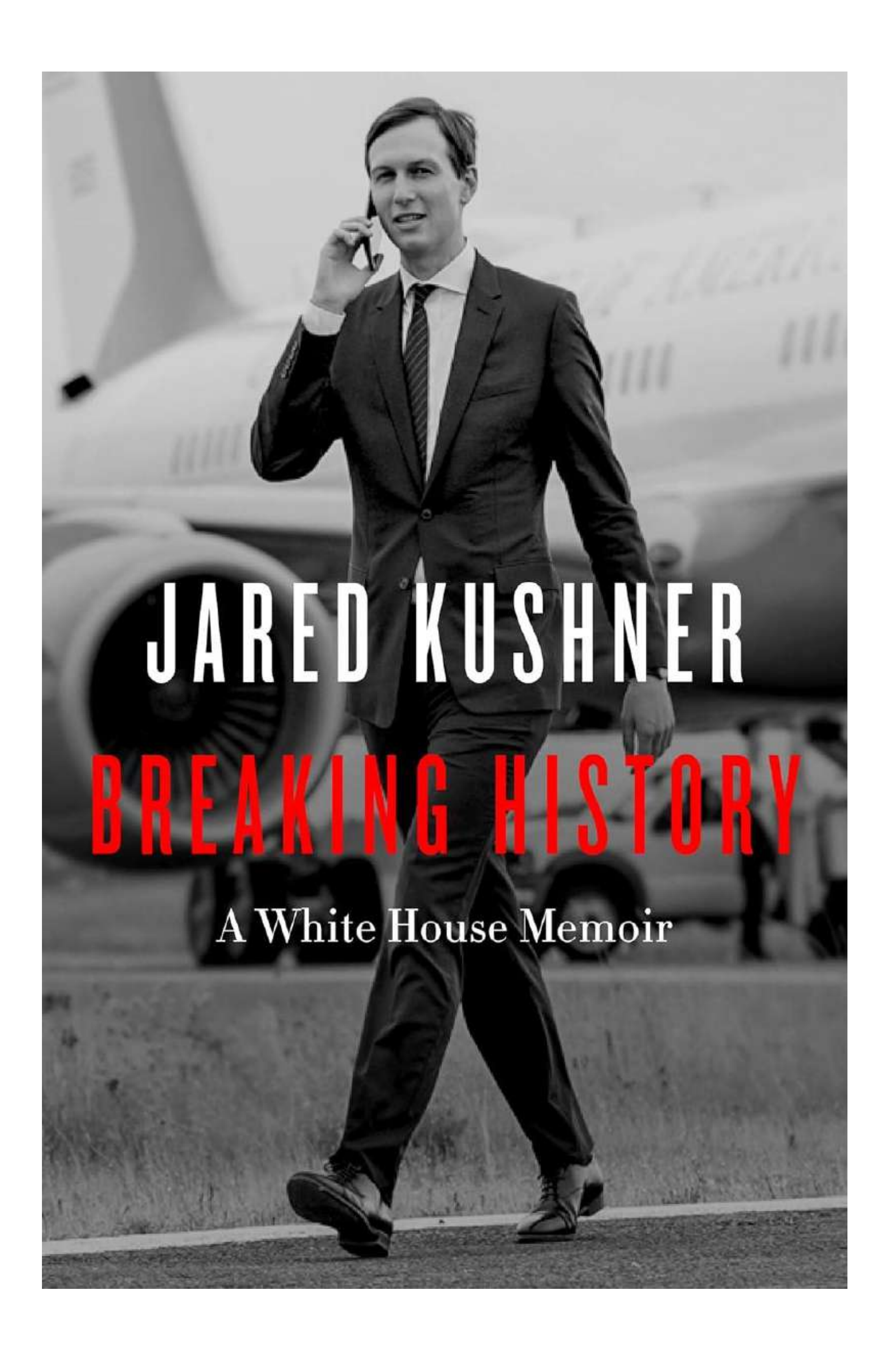

JARED KUSHNER
BREAKING HISTORY
A White House Memoir

JAREDKUSHNER

Breaking History

A White House Memoir



مقدمة

لم أخطط أبدًا لكتابة كتاب، ولكنني أيضًا لم أخطط أبدًا للعمل في البيت الأبيض.

مع اقتراب فترة وجودي في الحكومة من نهايتها، شجعني العديد من الأصدقاء على تسجيل ذكرياتي وهي لا تزال حية. وبعد سنوات من العمل المتواصل، توقفت لفترة كافية لأرى بانوراما لكل ما شهدته داخل واحدة من أكثر الرئاسات أهمية. وبينما كنت أعتقد أن هذا الفصل من حياتي قد انتهى، أدركت أن خدمتي لن تكتمل إلا بعد أن التقطت هذه الصورة.

إن القصة التالية ليست سيرة ذاتية نمطية للبيت الأبيض، لأن تجربتي لم تكن تجربة نمطية في واشنطن. فقد كان دوري غير التقليدي كمستشار أول لرئيس فريد من نوعه سبباً في رحلة كان من الصعب على كاتب أن يكتب سيناريوها لها لو لم تكن حقيقية.

عندما أعلن دونالد جيه ترامب ترشحه، لم يكن لدي أي نيةلقد كنت أشعر بالفخر الشديد بالمشاركة في حملته الانتخابية. ولكن بعد فترة وجيزة، التقيت برجال ونساء في جميع أنحاء البلاد شعروا وكأن ترامب يمنحهم صوتًا أخيرًا، وألهموني للعب دور أكبر مما كنت أتوقعه على الإطلاق. بعد انتخابات عام 2016، تركت أنا وإيفانكا حياتنا في نيويورك وانتقلنا إلى واشنطن مع أطفالنا الثلاثة الصغار. كنا نعلم أننا سنواجه تحديات، لكن لم يكن لدينا أي فكرة عن شدة العاصفة التي تنتظرنا. ربما كان من الأفضل ألا نواجهها.

لم يكن هناك شيء يمكن أن يعدنا لشراسة واشنطن ــ الهجمات، والتحقيقات، والتقارير الإعلامية الكاذبة والفاضحة، وربما الأسوأ من كل هذا، الطعن في الظهر داخل الجناح الغربي نفسه. وفي عدة مناسبات تساءلت عما إذا كنت أنا وإيفانكا قد اتخذنا القرار الخاطئ بشأن العمل في الحكومة. ومع ذلك، فقد حصلنا على هذا القرار غير المتوقع.

لقد كانت فرصة الخدمة، وكان الأمر متروكًا لنا لجعلها ذات قيمة. كان كل يوم بمثابة سباق ضد وقتنا المحدود في المنصب. في بيئة من الضغوط القصوى، تعلمت تجاهل الضوضاء والمشتتات والضغط بدلاً من ذلك لتحقيق نتائج من شأنها تحسين الحياة. على مدار أربع سنوات، ساعدت في إعادة التفاوض على أكبر صفقة تجارية في التاريخ، وتمرير إصلاح العدالة الجنائية الحزبي، وإطلاق عملية Warp Speed لتقديم لقاح آمن وفعال لكوفيد-19 في وقت قياسي. متواضعًا بسبب تعقيد المهمة، قمت بتنسيق بعض أهم الاختراقات في الدبلوماسية في السنوات الخمسين الماضية. فيما أصبح يُعرف باسم اتفاقيات إبراهيم، وقعت خمس دول ذات أغلبية مسلمة - الإمارات العربية المتحدة والبحرين وكوسوفو والمغرب والسودان - اتفاقيات سلام مع إسرائيل. وحلت المملكة العربية السعودية وأعضاء آخرون في مجلس التعاون الخليجي خلافًا دبلوماسيًا واقتصاديًا مريرًا مع قطر، مما مهد الطريق لاتفاقيات سلام إضافية في المستقبل.

كانت اتفاقيات إبراهيم نقطة تحول حقيقية في التاريخ. وإذا تم تعزيزها، فإنها تمتلك القدرة على تحقيق نهاية كاملة للصراع العربي الإسرائيلي الذي كان قائما منذ تأسيس دولة إسرائيل، قبل خمسة وسبعين عاما. وبالفعل، يستطيع مئات الآلاف من العرب أداء فريضة الحج إلى الأماكن المقدسة في القدس. ويعمل المبتكرون والعلماء وقادة الأعمال الإسرائيليون والعرب على إقامة شراكات لخلق فرص العمل، وبناء البنية الأساسية، وتحسين حياة الناس في جميع أنحاء الشرق الأوسط وحول العالم.

مع تقدمنا في استراتيجيتنا في الشرق الأوسط، لم نستطع أن نعلن ذلك علناًلقد كان من الصعب أن نناقش نهجنا أو الإشارات الإيجابية التي رأيناها من الزعماء العرب. لقد تقدمت مفاوضاتنا على حافة السكين. وكان من الممكن أن يدفع تسرب واحد في غير أوانه التقليديين في المنطقة إلى معارضة الزعماء العرب الذين كانوا يقطعون علاقاتهم بالماضي بشجاعة من أجل تحقيق السلام مع إسرائيل. لقد رفض الخبراء في البداية أهدافنا باعتبارها مستحيلة، وكان المنتقدون يتلذذون بكل تعثر أتعثر فيه. ومع ذلك فقد اتبعت ما اعتقدت أنه المسار الأكثر منطقية للمضي قدماً. ومنذ تركت الحكومة، سألني الناس كثيراً كيف توصلنا إلى هذه الاختراقات. وقد بذلت قصارى جهدي في هذا الكتاب لتوثيق الأحداث المفاجئة التي جعلتها ممكنة.

طوال فترة رئاسة ترامب، اعتمدت وسائل الإعلام على تسريبات من مسؤولين حكوميين.

لقد كان من بين هؤلاء المسؤولين الذين كانت لديهم أجندات شخصية في كثير من الأحيان. وحتى عندما شاهدت السياسة عالية المخاطر من الداخل، لم أكن أدرك مدى ما يحدث والذي تفشل الصحافة في التقاطه. إن الفجوة بين تصوير وسائل الإعلام للأحداث والواقعإن هذا الكتاب أوسع كثيراً مما كنت أتخيل. وفي نهاية المطاف، توصلت إلى إدراك أن العاملين في البيت الأبيض يمكنهم أن يقضوا وقتهم في محاولة تشكيل تصور عام، أو يمكنهم أن يقضوا هذا الوقت في إنجاز الأمور. وكل إدارة تكافح هذا التحدي. وهو يمثل الساعة التي تدق في خلفية كل قصة في هذا الكتاب.

لقد حاول العديد من المؤلفين -بما في ذلك كبار المسؤولين السابقين في الإدارة- شرح ترامب من خلال عدسة تقليدية. فشلت معظم هذه الروايات في نقل كيفية تفكير ترامب، ولماذا يتصرف بالطريقة التي يتصرف بها، وما حدث بالفعل في المكتب البيضاوي. كانت الحقيقة غالبًا مختبئة أمام أعين الجميع. ومن خلال أسلوبه غير التقليدي، حقق ترامب نتائج لم تكن متخيلة من قبل: خمس صفقات تجارية كبرى، وتخفيضات ضريبية للأسر العاملة، وإلغاء القيود التنظيمية على نطاق واسع، وأدنى معدل بطالة في خمسين عامًا، وإصلاح العدالة الجنائية، ولقاح كوفيد-19 في أقل من عام، ومواجهة الصين، وهزيمة داعش، وعدم اندلاع حروب جديدة، وصفقات السلام في الشرق الأوسط. في هذا الكتاب، لا أحاول التحدث نيابة عن ترامب، لكنني أشارك الكثير من التفاعلات الشخصية غير المعلنة سابقًا والتي نأمل أن تمنح القراء فهمًا أعمق لشخصية ترامب وأسلوب إدارته.

خلال السنوات الأربع التي قضيتها في البيت الأبيض، تعلمت دروسًا لا حصر لهالقد غيرت هذه الأحداث وجهة نظري حول كيفية عمل الحكومة والعالم. وهناك ثلاثة أحداث بارزة.

الواقع أن الأمر الأول هو أنه من السهل تقديم الوعود، ولكن من الصعب تحقيق النتائج. فقد تولى ترامب منصبه دون جيش من البيروقراطيين ذوي الخبرة والمطلعين على بواطن الأمور في واشنطن. وقد ثبت أن العثور على أشخاص يؤمنون بأجندته ويعرفون كيفية تشغيل أدوات السلطة يشكل تحديا مستمرا. ففي كل منعطف، حاول الناس داخل الحكومة منع الرئيس من الوفاء بوعوده بنقل السفارة الأميركية إلى القدس، والانسحاب من الاتفاق النووي مع إيران، وبناء الجدار على الحدود الجنوبية للبلاد، وإعادة التفاوض على اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية، من بين العديد من الإجراءات الجريئة. وقد التقيت بمئات الأشخاص الأذكياء والمختصين والوطنيين الذين عملوا بلا كلل وراء الكواليس لإنجاز الأمور. ومع ذلك، فإن الأمر يتطلب حاجزا بيروقراطيا واحدا، أو تعقيدا في الكونجرس، أو فردا قويا لوقف التقدم. إن واشنطن مبرمجة لمقاومة التغيير، على الرغم من أن التغيير هو ما يقول الناخبون إنهم يريدونه أكثر من أي شيء آخر.

أتذكر اجتماعا جسد المقاومة التي واجهها ترامب في واشنطن من قبل الجمهوريين والديمقراطيين على حد سواء. جاءني أحد قدامى المحاربين في إدارة جورج دبليو بوش لمناقشة سياسة التجارة بين الولايات المتحدة والصين. وبينما وافق تماما على أهدافنا بشأن الصين، فقد اعتقد أن استخدام التعريفات الجمركية كان خطأ فادحا. وعندما سألته عما قد يوصي به بدلا من ذلك، اقترح المزيد من جولات المحادثات. قلت أول شيء خطر ببالي: "لذا فأنت تريد منا أن ننجز شيئا لم يكن بوسعك تحقيقه من خلال القيام به بنفس الطريقة التي فعلته بها؟" بالنسبة للمؤسسة في واشنطن، كانت الإجابة على هذا السؤال نعم مدوية. إن العديد من المطلعين على محيط واشنطن خبراء في الإشارة إلى المشاكل، لكنهم أفضل حتى في إغلاق الحلول. وعندما يواجهون المخاطر المحتملة للتغيير، فإنهم يلعبون بأمان خوفا من أن أي تعطيل للنظام الحالي قد يعرض حياتهم السياسية للخطر. وهذا يفسر لماذا اصطدم حتى بعض أعضاء مجلس وزراء ترامب معه ومع أولئك منا الذين اعتقدوا أن الوقت قد حان لتحمل مخاطر محسوبة وتوفير المزيد من الفرص للشعب الأمريكي. لقد تعلمت من تجربتي الشخصية أن أتعامل مع المشاكل التي تواجهنا. فبدلاً من إهدار طاقتي في تشخيص المشكلة، ركزت على تحديد الحل الأمثل بوضوح، ثم عملت على تحقيق أفضل نتيجة ممكنة. وثانياً، تعلمت أن خلافاتنا السياسية ليست دائماً مستعصية على الحل كما نتصور. ففي العادة، تدور لعبة واشنطن حول محاولة الحزب الذي خرج من السلطة منع الحزب الذي في السلطة من تحقيق أولوياته. ورغم أنني وجدت هذا الأمر محبطاً في البداية، فقد تعلمت أن أواصل المضي قدماً وأن أركز على اللعبة الطويلة الأجل. والواقع أن أغلب الإنجازات العظيمة التي حققتها الإدارة كانت تتلخص في تضافر جهود الخصوم السابقين لتحسين حياة الناس العاديين. وبدلاً من البدء من جانبين مختلفين من الطاولة في أي قضية بعينها ــ من إصلاح العدالة الجنائية إلى صفقات السلام في الشرق الأوسط ــ حاولت أن أجمع الجميع على نفس الجانب من الطاولة للاتفاق على أهداف مشتركة والبحث عن حلول مربحة للجميع. ولم أكن ناجحاً دوماً، ولكن من مسؤولية أولئك الذين في السلطة أن يحاولوا. فلا يمكننا حل المشاكل بالتحدث إلى أولئك الذين يتفقون معنا فقط. بالنسبة لأي شخص يتطلع إلى تعزيز التعاون الحزبي، آمل أن يوفر هذا الكتاب رؤية ثاقبة حول كيفية تحقيق ذلك - ولماذا يفشل في كثير من الأحيان.

وأخيرا، لدينا جميعا القدرة على إحداث الفارق في حياة الآخرين، سواء في أسرنا أو مجتمعاتنا أو ولاياتنا أو على المستوى الوطني. وفي كل حالة، فإن السبيل إلى إيجاد الحلول هو من خلال الانخراط مع بعضنا البعض ــ وليس من خلال انتقاد بعضنا البعض أو إظهار الفضيلة. وإذا حاولنا أن نجعل الآخرين يشعرون بالرضا عن أنفسنا، فإننا سوف نضطر إلى التخلي عن هذه الوسيلة.

إن فهم وجهات نظر الآخرين والعمل على إيجاد أرضية مشتركة من شأنه أن يسمح لنا بتجاوز الجمود الذي أصاب الماضي وشق طريق جديد إلى الأمام. فلا توجد مشكلة كبيرة لا يمكن حلها.

وكما كتب جورج أورويل ذات مرة: "من الصعب أن تكون متأكداً من أي شيء إلا ما رأيته بعينيك". وفي هذه الصفحات، أروي قصتي الشخصية. ولا أتناول بالتفصيل كل تصرفات الرئيس أو الإدارة، التي يوجد منها ما يكفي لملء مجلدات. ورغم أن هذا الكتاب يدور في المقام الأول حول فترة عملي كمستشار أول، فإنني أبدأ ببضع لحظات حاسمة من حياتي شكلتني وأعدتني لهذه الفرصة غير المتوقعة لخدمة بلدي. والواقع أن العديد من الاقتباسات في الكتاب مستمدة من سجلات منشورة، مثل المحاضر، ولكن بعضها الآخر يأتي من محادثات خاصة. وفي هذه الحالات، اعتمدت على ذاكرتي ومقابلات مطولة مع الزملاء والنظراء.

في واشنطن، كانت كتب التاريخ في كثير من الأحيان أفضل أدلة البقاء بالنسبة لي. فقد ساعدتني على إدراك أن أسلافي واجهوا مشاكل مماثلة. وتعلمت كيف أضع موقفي في سياقه الصحيح، وأغير نهجي، وأتعامل مع التحديات المعقدة. وآمل أن تلهم هذه القصة الزعماء والحالمين والمغامرين ـ من كل الخلفيات والتوجهات السياسية والصناعات ـ لتجاوز ما هو مريح وملاحقة المستحيل.

رحلتي هي جزء غير معروف إلى حد كبير من التاريخ. والآن أنا مستعد لمشاركتها على أمل أن تعزز رحلتنا المشتركة.

{1}

محكوم عليه

"سوف يتم القبض علي"

بينما كان والدي يخبرني بالأخبار المذهلة عبر الهاتف، كنت أسير مسافة الشارع من شقتي في مانهاتن السفلى إلى محطة مترو الأنفاق في أستور بليس. كان ذلك في صباح يوم رطب من شهر يوليو/تموز عام 2004.

لقد أنهيت للتو سنتي الأولى في كلية الحقوق بجامعة نيويورك،وكنت في طريقي إلى تدريبي في مكتب روبرت مورجنثاو، المدعي العام الأسطوري في نيويورك. كنت أعمل لأيام طويلة، وأراجع بعناية نصوص التنصت وأساعد في تأمين أوامر اعتقال لرجال الشرطة الشجعان الذين تسللوا متخفين للتسلل إلى عصابة مخدرات.

عبر نهر هدسون في نيوجيرسي، كان والدي يعاني منكانت تجربته مختلفة مع محامٍ أمريكي. فقد وقع في فخ التحقيق الذي قاده المدعي الفيدرالي الوقح والطموح والصارم كريس كريستي.

كان محور تحقيق كريستي هو الخلاف العائلي الخاص الذي انتشر على الملأ عندما دخل والدي في صراع مع شقيقه موراي وصهره بيلي، اللذين كانا يحاولان تفكيك سيطرته على الشركة التي قضى حياته في بنائها. وقد نسقا مع محاسب في شركة والدي للوصول إلى وثائق خفية.وبعد ذلك، سلموهم إلى الحكومة ووسائل الإعلام، بزعم سوء الإدارة والتهرب الضريبي بشكل غير قانوني.

لقد كانت خيانة مذهلة. ففي بناء شركته إلى مؤسسة بمليار دولار، نجح والدي في جعل أشقائه أثرياء بشكل مذهل.لقد فرضت عليه الدعوى القضائية والتحقيقات عبئًا ثقيلًا، وأعاد النظر في الأمر.

تصرف بغضب. كانت خيانة بيلي سرًا مكشوفًا في المكتب،ولكي يُظهِر لأخته إستر نوع الرجل الذي تزوجته، استأجر والدي عاهرة أغوتها بيلي. ثم سجل علاقتهما وأرسل الشريط إلى إستر، التي سلمته إلى الفيدراليين. ودون علم والدي، تعاونت إستر كشاهدة في تحقيقاتهم. وألقي القبض على والدي ووجهت إليه تهمة التلاعب بالشهود وانتهاك قانون مان، وهو قانون عمره قرن من الزمان يحظر نقل عاهرة عبر حدود الولاية. لقد ذهب بعيدًا في السعي للانتقام، والآن يدفع ثمنًا باهظًا.

بعد أن أنهيت المكالمة مع والدي، هرعت إلى أسفل الدرج إلى محطة المترو وانتظرت بضع دقائق على الرصيف قبل أن أركب القطار رقم 6 وأستقله إلى محطتي في شارع كانال. عندما خرجت من المترو، مشيت في طريقي الطبيعي إلى مبنى مكتب المدعي العام وحاولت تحويل انتباهي إلى الملفات الموجودة على مكتبي. لكن عقلي كان يسابق الزمن. كيف يمكن أن يحدث هذا حقًا لوالدي؟ لقد عمل طوال حياته لبناء شركة عظيمة وتوفير وظائف ذات رواتب جيدة لموظفيه. لقد تبرع بسخاء من وقته وماله لخدمة المجتمع. كما كنت قلقًا بشأن والدتي وما قد يعنيه ذلك لها.

لقد حدقت في شاشة الكمبيوتر لمدة عشرين دقيقة، ولكن للمرة الأولى في حياتي، لم أستطع أن أرغم نفسي على الاستمرار في العمل. أردت أن أكون بجانب والدي، كما كان بجانبي دائمًا. غادرت المكتب، وسافرت بالسيارة إلى نيوجيرسي، واصطحبته بعد مثوله أمام المحكمة. وخلال رحلة العودة إلى المنزل التي استغرقت تسعين دقيقة، نظر من النافذة ولم ينطق بكلمة واحدة. كانت أطول رحلة في حياتي. في ذلك المساء، كان يسير جيئة وذهابًا في الفناء، ويضبط خطواته ليتناسب مع جهاز تعقب الكاحل. لم أكن أعرف ماذا أقول أو أفعل، لذلك مشيت معه في صمت، محاولًا دعمه ببساطة من خلال التواجد بجانبه. بعد ما بدا وكأنه أبدية، توقف والدي والتفت إلي وقال: "في الحياة، نصبح أحيانًا أقوياء لدرجة أننا نبدأ في الاعتقاد بأننا تجار مصيرنا. نحن لسنا التجار. الله هو التاجر. في بعض الأحيان يتعين علينا العودة إلى الأرض للحصول على منظور لما هو مهم حقًا".

بعد يومين، عدت إلى شقتي في شارع ميرسر في حي نو هو في مانهاتن. وفي اللحظة التي فتحت فيها الباب، أصابني ثقل الواقع. كنت قوية من أجل والدي وأسرتي، ولكنني الآن أجلس وحدي على الأرض، وظهري إلى الحائط.

لأول مرة منذ أن كنت طفلة، وضعت وجهي بين يدي وبكيت.

لقد حاولت أن أفهم مشاعري. لقد كنت غاضباً من أعمامي وعماتي. وكنت غاضباً من والدي. وكنت غاضباً من محاميي والدي، الذين علموا بخطة الانتقام التي وضعها وأكدوا له أن الأمر لا ينطوي على أي مخالفة قانونية. وكنت غاضباً من كريس كريستي، الذي كان يعلم أن والدي كان من أكبر الداعمين لمنافسيه الديمقراطيين في نيوجيرسي.

عندما استيقظت في الصباح التالي، شعرت وكأن هناك كتلة خرسانية في معدتي. وبينما كنت مستلقية على السرير وأحدق في سقف شقتي، أدركت أن غضبي لن يؤدي إلى أي شيء مثمر. كنت عند مفترق طرق حرج وكان عليّ أن أتخذ خيارًا. كان بإمكاني اختيار الغضب بشأن أشياء لا أستطيع التحكم فيها، أو اختيار المساعدة. عرفت الإجابة على الفور. كان عليّ مساعدة والدي، الذي مر بالكثير والذي كان على وشك أن يعاني أكثر. كان عليّ مساعدة والدتي، التي كانت أطيب شخص عرفته ولم تستحق أن يُنتزع منها زوجها الذي عاشت معه ثلاثين عامًا. كان عليّ مساعدة شقيقتي دارا ونيكي، وأخي جوش، الذي كان على وشك بدء عامه الأول في الكلية.

وعلى الرغم من تصميمي، كان ذلك اليوم الأول من عودتي إلى مكتب المدعي العام مؤلماً للغاية. وفي تلك الليلة، استقلت المترو عائداً إلى منزلي، ولكن عندما وصلت إلى محطتي، تجمدت ساقاي. ولم أتمكن من حشد القوة للنهوض. فتجاوزت محطتي وركبت القطار رقم 6 حتى نهاية الخط في برونكس ثم عدت إلى وسط المدينة. وعلى مدى الساعات القليلة التالية، كنت أراقب سكان نيويورك وهم يصعدون إلى القطار وينزلون منه ـ العمال المتجهون إلى نوبة الليل، والمشردون الذين يبحثون عن وجبتهم التالية، والمراهقون الذين يتسببون في الأذى، وكبار السن الذين يحاولون الخروج من عربة القطار قبل أن تغلق الأبواب في وجوههم. ودرست وجوههم ورأيت، ربما للمرة الأولى، مدى الثقل الذي يثقل كاهل كل من حولي. ربما فقدت هذه المرأة وظيفتها للتو، أو لم يعد ذلك الرجل قادراً على إطعام أسرته. وربما تلقى الشخص الجالس أمامي للتو تشخيصاً بالسرطان.

لقد جعلني أدرك حقيقة بسيطة: كل شخص يواجه صعوبات، ولكن الأمر متروك لكل منا لاختيار ما إذا كان سيركز على نفسه أم على مساعدة من نحبهم. لقد قررت ألا أنظر إلى الوراء، بل أن أتطلع إلى الأمام.

{2}

وجود غير محتمل

إن وجود عائلتي أمر غير محتمل. أنا هنا اليوم فقطلأن أجدادي نجوا من الهولوكوست وجاءوا لاحقًا إلى أمريكا. لقد علموني أحد أهم الأشياء التي تعلمتها على الإطلاق: الحياة هدية يمكن أخذها منا في لحظة.

كانت جدتي راي كوشنر في السادسة عشرة من عمرها عندما غزا الألمان بولندا في عام 1939. وكانت أسرتها المكونة من ستة أفراد تعيش في نوفوغرودوك، وهي بلدة هادئة تقع في شرق بولندا، وهي الآن جزء من بيلاروسيا. وفي عام 1941 استولى الألمان على السيطرة على المنطقة ونقلوا حوالي ثلاثين ألف يهودي إلى حي يهودي. وعلى مدى العامين التاليين، أباد النازيون بشكل منهجي سكان الحي اليهودي، بما في ذلك والدة راي وأختها. وفي جولة واحدة من عمليات القتل، أحضر الألمان اليهود المتعلمين المتبقين ــ حوالي 150 طبيباً ومحامياً وأستاذاً ومعلماً ــ إلى ساحة البلدة. وبينما كانت فرقة موسيقية تعزف وكانت جدتي وسكان الحي اليهودي الآخرون يراقبون، أطلق الألمان النار على رؤوسهم، واحداً تلو الآخر. ثم أجبر النازيون خمسين فتاة يهودية صغيرة، بما في ذلك جدتي، على تنظيف الدماء وتكديس الجثث على عربات لنقلها إلى مقبرة جماعية. وفي الوقت نفسه، كان الألمان يرقصون في الساحة. استمرت الموسيقى في العزف بينما كانت الفتيات يغسلن الدماء من على الحجارة.

بحلول عام 1943، لم يتبق سوى بضع مئات من أصل ثلاثين ألف يهودي. وعلى الرغم من المخاطرة بالموت، قامت جدتي وبقية اليهود بحفر خندق سري يبلغ ارتفاعه ستة أمتار.نفق طوله مائة قدم وانتظر بصبر حتى حلول الليل

في ذلك الوقت، كانت العاصفة تغطي هروبهم. زحف حوالي 250 شخصًا عبر النفق الضيق. ذهب الشباب أولاً، لأنهم كانوا قادرين على التحرك بسرعة أكبر عبر النفق وكان لديهم أفضل فرصة للهروب، لكن راي اختارت الانتظار في الخلف مع والدها. وفي منعطف من القدر، من المحتمل أن هذا القرار أنقذ حياتها. خرج شقيقها من النفق مع بقية الشباب فقط ليُقتل برصاص النازيين. من بين 250 شخصًا دخلوا النفق، هرب 170 فقط إلى الغابة القريبة. كانت راي ووالدها وأختها الصغرى من بين الناجين. فروا إلى أعماق الغابة ووجدوا ملجأ لدى الثوار - وهي مجموعة من المقاتلين من أجل الحرية الذين أنشأوا معسكرات مخفية في أعماق الغابة ونفذوا أعمال مقاومة جريئة ضد النازيين. بين الثوار، أعادت راي الاتصال بشاب من بلدة مجاورة، جوزيف بيركويتز، أصغر ثمانية أطفال ولدوا لعائلة خياط فقيرة.

عندما انتهت الحرب، فر راي وجوزيف إلى المجر، حيث تزوجا بسرعة. في اليوم التالي لزواجهما، سافرا عبرفي عام 1965، سافرت إلى النمسا عبر جبال الألب وتسللت عبر الحدود إلى معسكر للنازحين في إيطاليا. تقدموا بطلب للقدوم إلى أمريكا، مستخدمين لقب جدتي، كوشنر، لأن جدي كان قد تراكمت لديه سوابق في تهريب السجائر إلى المعسكر لإعالة أسرته. وكما تذكرت جدتي بعد سنوات، "كنا نذهب إلى أي مكان حيث يمكننا العيش بحرية، لكن لا أحد كان يريدنا".

لقد انتظروا ثلاث سنوات ونصف في مخيم اللاجئين هذا قبل أن يصلوا إلى أميركا. ومثلهم كمثل كثيرين غيرهم خلال تلك الفترة، أدركوا أنهم وصلوا أخيراً عندما رأوا تمثال الحرية في ميناء نيويورك. وبعد يومين من وصولهم، حضر جدي مبكراً إلى موقع بناء في بروكلين، راغباً في العمل الجاد، مع قيد واحد: كان يخاف المرتفعات. أخبره المشرف أنه ينبغي له أن يفكر في الذهاب إلى نيوجيرسي، حيث لم تكن المباني شاهقة مثلهم، فبدأ في التنقل لمدة ساعتين من شقتهما الصغيرة في بروكلين إلى مواقع العمل في نيوجيرسي. كان يعمل سبعة أيام في الأسبوع، وينام في مواقع العمل لزيادة العمل إلى أقصى حد وتوفير أجرة الحافلة اليومية. ولم يكن يعود إلى المنزل إلا في الأعياد اليهودية الكبرى. وقد اكتسب لقب "جو الفأس" لاستخدامه الطرف الباهت من الفأس ـ والذي يتطلب ضربات أقل، وإن كانت أثقل كثيراً ـ لدق المسامير.

كان جدي رجلاً بسيطًا وهادئًا ولم يتلق تعليمًا رسميًا. لكنه كان يتحدث ست لغات، وعاش الحلم الأمريكي، فبدأ مشروعًا تجاريًا في الولايات المتحدة.

شركة بناء ناجحة قامت ببناء آلاف المنازل. كان يدخن السجائر طوال حياته، وتوفي في عام 1985 بسبب سكتة دماغية عن عمر يناهز 63 عامًا. كنت في الرابعة من عمري فقط، لذا فإن الكثير مما أعرفه عنه يأتي من ذكريات والدي وجدتي. كانت فخورة بقصة نجاتهما.

كانت "بابي راي"، كما كنا نطلق عليها، مهاجرة أوروبية نموذجية، مفعمة بالحياة، حادة الذكاء، وتفيض بالحب. وعندماعندما كنت طفلة صغيرة، كنت أذهب إلى منزلها مساء السبت وأجلس في حضنها بينما تلعب لعبة الرومى مع أصدقائها، وتراهن بخمسة سنتات. وعدتنا بأنها أقلعت عن التدخين، لكن الحمام كان دائمًا ما ينبعث منه رائحة الدخان بعد استخدامها. وعندما واجهناها بشأن الرائحة، ردت: "يجب على كلبك حقًا أن يتوقف عن التدخين". كانت تحب أحفادها، وتعطينا عملات معدنية لنلعب بها في صالة الألعاب أو قطعة حلوى بينما كان والداي ينظران في الاتجاه الآخر.

التقى والدي بأمي، سيريل، عندما كانا في الثامنة عشرة من عمرهما. في أول يوم سبت لهما معًا، لم تكن أمي قد بلغت السن القانونية لشراء النبيذ.تزوجنا عندما بلغا العشرين من العمر. لقد نشأنا في ليفينجستون، نيو جيرسي، وهي ضاحية من ضواحي الطبقة المتوسطة على بعد خمسة وأربعين دقيقة غرب مانهاتن. أمي شخصية غير أنانية ومهتمة بشكل لا يصدق، علمتنا أن نعامل الآخرين باحترام وأن نتحمل المسؤولية عن أفعالنا. لم تختلق لي أي أعذار. عندما كنت أقع في مشكلة، كانت دائمًا تقف إلى جانب معلمي وتخبرني أنه من مسؤوليتي أن أعرف كيف أتعايش وأجعل الأمور تسير على ما يرام.

مثل جدي من قبله، كان والدي يعمل طوال الوقت. وبعد أن مارس المحاماة لفترة وجيزة، أسس شركة مع جدي.قام والدي بشراء وتمويل وإدارة العقارات، وأدار جدي تشييد المباني الجديدة. لم يكن لوالدي أي خبرة في البناء، وعندما توفي جدي بشكل غير متوقع، كان عليه أن يجد طريقة لإنهاء مشروع كان قيد التنفيذ. أرسل صديق جدي المقرب إيدي موسبرغ، وهو أيضًا أحد الناجين من الهولوكوست، عمالًا من وظائفه الخاصة لمساعدة والدي في إكمال المشروع. حتى يومنا هذا، لا يزال والدي يروي هذا العمل اللطيف، وقد ألهمه ذلك لمساعدة العديد من الأشخاص.

لقد نمت شركة والدي بسرعة، وبدأ يتفوق على الشركات نفسها التي وظفت جدي قبل عقد من الزمان عندما كان يعمل في شركة هاتشيت جو.

كان والدي يأخذني إلى المكتب أيام الأحد حتى نتمكن من قضاء بعض الوقت معًا. وفي الأيام التي كنا نتجول فيها في العقارات، كنا نتوقف لتناول وجبة خفيفة في أحد أكشاك المزارع المحلية ونشتري الخبز الطازج والزبدة وذرة جيرسي الشهيرة. وعلى جانب الطريق السريع، كنا ننزع القشور ونأكل الذرة نيئة من الكوز. كان والدي يعاملني دائمًا كشخص بالغ، يسألني عن رأيي في صفقة محتملة أو ما لاحظته في مواقع العمل - أيها أفضل، وما الذي يمكن للمدير أن يفعله بشكل أفضل، أو لماذا يتطلب موقع ما إيجارًا أعلى من الآخر. عملت كل صيف بمجرد أن بلغت الثالثة عشرة من عمري. كانت وظيفتي الأولى في موقع بناء، تبدأ في الساعة السادسة صباحًا. عملت تحت أشعة الشمس الحارقة جنبًا إلى جنب مع النجارين والسباكين والكهربائيين، الذين علموني كيفية استخدام المطرقة والنشر والأسلاك والتنظيف. عندما كنت أعود إلى المنزل كل ليلة، كنت متسخًا للغاية لدرجة أن والدتي كانت تغسلني بالخرطوم قبل أن تسمح لي بالدخول إلى المنزل. في كل صيف اكتسبت المزيد من المعرفة والمسؤولية، وفي نهاية المطاف ساعدت والدي في إدارة العقارات المؤجرة وإنشاء نماذج مالية للمشاريع.

خلال سنتي الأخيرة في المدرسة الثانوية، كنت أستيقظ في الساعة 4:30 صباحًا كل يوم للتدرب مع والدي على ماراثون مدينة نيويورك. لن أنسى أبدًا"ما قاله لي أثناء صعودنا التل الكبير في الطرف الشمالي من سنترال بارك: "الجري يشبه الحياة. عندما يكون هناك تل كبير في النهاية، لا تنظر إلى الأعلى، أبق رأسك منخفضًا وراقب قدميك. لا تفكر في قمة التل، فكر فقط في خطوتك التالية. قبل أن تدرك ذلك، ستحقق هدفك وستكون في قمة التل."

في عام 1999، شعرت بسعادة غامرة عندما علمت أنني قد تم قبولي في جامعة هارفارد. ومثلي كمثل أغلب الطلاب في الحرم الجامعي، كنت في البداية أشعر بالتوتر والقلق بشأن أدائي في مواجهة أفضل الطلاب في العالم، ولكنني سرعان ما أدركت أنه في حين يتمتع العديد من الأطفال بمستويات ذكاء عالية، فإن بعضهم لا يعملون بجد أو يتمتعون بالفطرة السليمة. وقد التقيت بأفضل أصدقائي أثناء وجودي في غرفة الغسيل، حيث كنت أغير ملابسي كثيراً.

كان نيتين سيجال من الهند، وقال مازحا إنني سأعمل معه ذات يوم لأنني لم أدرس مادة الاقتصاد الأسطورية التي يدرسها أستاذ الاقتصاد مارتي فيلدشتاين في سنتي الأولى. وسرعان ما نشأت بيننا علاقة طيبة، وتقاسمنا الغرفة معا لمدة تقرب من عشر سنوات، إلى أن تزوجت من إيفانكا. واليوم يظل نيتين واحدا من أقرب أصدقائي. فهو يدير صندوقا تحوطيا ناجحا، وهو واحد من أكثر العاملين الذين

أعرفهم اجتهادا.

في سنتي الثانية، حاول أحد معارفي أن يبيعني شقة فيكامبريدج. أخبرتها أنني أحب العيش في الحرم الجامعي، لكنني طرحت بعض الأسئلة وعلمت أن الشقق في كامبريدج تكلف 30% أكثر من الشقق الموجودة على الجانب الآخر من الشارع في سومرفيل. رأيت

كانت شقق سومرفيل قريبة من الحرم الجامعي، وبمجرد تجديدها، يمكن إدراجها بالقرب من أسعار كامبريدج. اتصلت بوالدي وتحدثت معه عن شراء عدد من الشقق القديمة في سومرفيل. وافق على توفير نصف رأس المال إذا تمكنت من جمع الباقي. بدأت في التسلل خارج الحرم الجامعي بعد انتهاء الفصل الدراسي لإظهار مواقع الاستثمار المحتملة للمصرفيين. بعد بضعة أشهر، نشرت حصتي من التمويل. في سن التاسعة عشرة، اشتريت أول مبنى لي. منذ تلك النقطة فصاعدًا، كنت أذهب إلى الفصل الدراسي، ثم إلى مواقع العمل، حيث كنت أتحقق من التقدم، وأصدر أوامر العمل للمقاولين، وأبرم الصفقات مع المستأجرين.

لقد ارتكبت الكثير من الأخطاء. ففي إحدى عمليات الشراء ــ مبنى سكني تاريخي في 82 شارع مونرو ــ صدقت البائع على ظاهره عندما ذكر عدد الوحدات في المبنى. ولكن بعد أن اشتريته، اكتشفت أن العديد من وحدات الشقق تم بناؤها بشكل غير قانوني. وقد أدى انخفاض عدد الوحدات القابلة للتأجير إلى خفض الإيرادات المتوقعة بشكل كبير وإلغاء قدر كبير من العائد الذي أخبرت المستثمرين بأننا سنحققه. وبعد النظر في العديد من السيناريوهات، استنتجت أنه لإنقاذ المشروع، كان علي تحويل المبنى إلى وحدات سكنية، وهو مشروع بناء أكثر تعقيدا وشمولا مما كنت أتوقعه. استغرق الأمر وقتا أطول، ولكننا حققنا في النهاية ربحا جيدا. علمتني التجربة أهمية إجراء العناية الواجبة في كل تفاصيل الصفقة التجارية، حتى تلك التي عادة ما نعتبرها أمرا مفروغا منه. ولأنني نشأت بالقرب من عمل والدي، فقد كنت منغمسا في مجال العقارات، لكنني تعلمت أنه لا شيء يمكن أن يحل محل تجربة تحمل المسؤولية عن مشروع كامل، حيث كان علي أن أجيب المستثمرين، وأدير المقاولين، وأحافظ على سعادة المستأجرين. لقد تخرجت من جامعة هارفارد مع مرتبة الشرف، بينما كنت أكسب ملايين الدولارات من استثماراتي العقارية.

خلال سنوات دراستي الجامعية، كنت أتدرب في نيويورك كل صيف. وفي الليلة التي سبقت إحدى المقابلات، سألني والدي عن الوقت الذي أخطط فيه لمغادرة منزلنا في الصباح لحضور موعد في الساعة التاسعة. كنت أخطط للمغادرة في الساعة الثامنة. سألني: "ماذا لو كان هناك ازدحام مروري؟". كنت قد أخذت ذلك في الاعتبار. "ولكن ماذا لو وقع حادث في النفق؟" بدا ذلك مستبعدًا، لكنني كنت سأغادر مبكرًا فقط في حالة الطوارئ. قال والدي: "العذر الوحيد للتأخير هو أنك لم تغادر مبكرًا بما

فيه الكفاية". غادرت في الساعة السادسة، ودخلت المدينة بسرعة، وانتظرت في ستاربكس لمدة ساعتين. حصلت على التدريب.

كانت تجربتي الأكثر قيمة هي العمل في شركة SL Green Realty Corporation، حيث التقيت بمارك هوليداي، الذي كان يدير الشركة وكان يُنظر إليه على نطاق واسع باعتباره نجمًا صاعدًا في مجال العقارات. في إحدى الأمسيات، طلب مني إجراء تحليل معقد لمفاوضاته في اليوم التالي. بقيت مستيقظًا طوال الليل لإنجازه. عندما راجعه في صباح اليوم التالي، اعتقد أنني قمت بعمل جيد، لكنه أضاف أنه إذا كنت أريد أن أكون عظيماً، فأنا بحاجة إلى استيعاب المفاهيم حول ثمانية مبادئ للعقارات. عرض تمديد فترة تدريبي لعدة أسابيع وقضاء ساعة يوم الجمعة لشرح كل مبدأ. كان هذا التعليم أفضل من أي تعليم تلقيته في المدرسة.

بعد التدريب في جولدمان ساكس ومورجان ستانلي، أدركت أنلم أكن أرغب في العمل في مجال الخدمات المصرفية الاستثمارية. لذا تقدمت بطلب وتم قبولي في برنامج الدكتوراه في القانون وماجستير إدارة الأعمال في جامعة نيويورك. وخلال عامي الأول، ألهمني التركيز على السياسة العامة في برنامج القانون وأردت أن أبدأ مسيرتي المهنية في الخدمة العامة كمدع عام. ولكن بعد اعتقال والدي، وبينما كنت أشاهد المدعي العام يلحق الدمار والصعوبات بعائلتنا، بدأت أغير رأيي. لم أكن أعتقد أنني أستطيع أن أفعل ذلك للآخرين.

وفي النهاية قرر والدي عدم خوض قضيته أمام المحكمة. فقد أدرك أنه سمح لعواطفه بالتغلب عليه وشعر بأنه أخطأ أمام الله وأنه مستعد لتحمل المسؤولية عن أفعاله. وكان يعلم أن خوض هذه التهم سيشكل محنة مؤلمة لعائلتنا تستمر لمدة خمس سنوات، كما أنه سيقلل من الروح المعنوية في شركته. وقد أقر بالذنب وكان على استعداد لقبول العواقب التي قرر القاضي أنها ستقضي عامين في السجن الفيدرالي.

* * *

في إبريل/نيسان 2005، أثناء السنة الثانية من دراستي العليا، سافرت مع والدي إلى السجن الفيدرالي في مونتغمري، ألاباما. عانقت أنا وأمي والدي للمرة الأخيرة قبل أن يدخل السجن. علمت فيما بعد أن والدي كان في السجن.عندما دخل، ابتسم أحد حراس السجن وهمس في أذنه، "مرحبًا بك. إنهم يحبون ممارسة الجنس مع المليارديرات هنا".

كان السجن يفرض رقابة مشددة على مكالماته، وكان علينا أن نقسم الوقت بين أمي والأطفال الأربعة. كنت أحصل على ثلاث دقائق أسبوعيًا، تسعين ثانية في كل مرة. كان التوقيت غير متوقع، وإذا فاتتني المكالمة، كان الأمر ينتهي. كنت أحتفظ بهاتفي معي طوال الوقت، حتى عندما أستحم.

لقد عرضت ترك الدراسة العليا للمساعدة في إدارة الشركة بشكل كامللقد كان الأمر صعبًا بعض الشيء، ولكن والدي توسل إليّ ألا أضحي بهذه التضحية. لقد توصلنا إلى حل وسط يقضي بأن أظل مسجلاً، ولكن أقضي معظم وقتي في المساعدة في إدارة الشركة. لقد كنا محظوظين لأن صديق والدي المقرب ومرشده آلان هامر، المحامي والمدير التنفيذي المتمرس في مجال العقارات، عرض بسخاء إدارة الشركة في غيابه.

في كل عطلة نهاية أسبوع كنت أسافر بالطائرة مع والدتي إلى ألاباما لزيارة والدي لمدة ست ساعات. وفي المرة الأولى التي رأيته فيها مصطفاً مع جميع السجناء الآخرين بزي السجن الأخضر، كان من الصعب ألا أبكي. كنا دائماً أول من يصل وآخر من يغادر، وكنا نقضي ساعات لا حصر لها جالسين في غرفة الانتظار مع الأسر الأخرى، نأكل الفشار وفطائر البوب تارتس من ماكينة البيع. ولسنوات بعد ذلك، لم أستطع تحمل رائحة أي منهما. وكثيراً ما كنا ننغمس في محادثاتنا لدرجة أننا كنا ننسى أننا داخل سجن ـ حتى سمعت صفارة الإنذار تنادي والدي للوقوف في صف أمام الحائط لإحصاء جميع السجناء بانتظام.

السجن هو وسيلة عظيمة للمساواة، وقد أحبه زملاء والدي في السجن لأنه متواضع. كان يقضي وقته في القراءة وممارسة الرياضةكان يعمل في الكافيتريا. وفي الليل كان يجلس في المكتبة ويوزع النصائح. وفي أحد أيام الزيارة، فوجئنا برؤية اثنتين من الأمهات تعانقانه. وأوضح لنا أنه كان يعلم أبنائهما كيفية إجراء المقابلات الشخصية للحصول على وظيفة.

في رحلة أخرى، كنا نجلس على مقاعد في الخارج، نستمتع بحرارة الشمس، عندما صاح أحد السجناء عبر الفناء، "مرحبًا، إنه تشارلز العظيم!" التفت إلي والدي وقال مازحًا، "ربما لا أريد أن أغادر هذا المكان ـ لم يناديني أحد في شركتي بهذا الاسم من قبل".

خلال هذه الفترة الصعبة، سعى كريس كريستي إلى معاقبة والديكان من المفترض أن أتعامل مع هذا الأمر بطريقة مؤلمة للغاية: بوضع مسؤولين تنفيذيين آخرين في شركة كوشنر في السجن، وإفلاس شركة العائلة، وإغلاقها إلى الأبد. كنت ألعب دور الطبيب النفسي في المكتب مع الموظفين على كل مستوى من مستويات الشركة، الذين كانوا يأتون إليّ قلقين من انهيار الشركة، وفقدانهم لوظائفهم. كان كل يوم أشبه بركلة في البطن. وفي أدنى النقاط، كنت أقول لنفسي إن والدي على الأقل لم يرحل إلى الأبد. كان عليّ أن أتعلم كيف أستوعب الأخبار السيئة، وأتظاهر بالقوة، وأستمر في المضي قدمًا. لم أكن لأدرك هذا في ذلك الوقت، لكن الدفع بشكل غير متوقع إلى دور قيادة شركتنا كان بمثابة صدمة بالنسبة لي.

لقد أعدني ذلك لدور غير متوقع بنفس القدر، ولكن أكثر أهمية، في الحكومة الفيدرالية.

بعد مرور أحد عشر شهرًا ونصف الشهر على دخول والدي السجن، تم إطلاق سراحه ووضعه تحت الإقامة الجبرية. كان ذلك اليوم هو أسعد يوم بالنسبة لعائلتنا بالكامل. لكن هذا لم يحدث تقريبًا. حاولت كريستي إلغاء رصيد الوقت المكتسب لوالديولقد باءت مساعي كريستي القاسية والعقابية بالفشل بفضل عبقرية المحامي ميغيل استرادا من واشنطن.

كانت الفترة التي قضاها والدي في السجن هي التجربة الأكثر تواضعاً وصعوبة وتكويناً في حياتي. فقد كان لها دور في تفكيك فوضى تفكيري. وتعلمت أن أفصل بين الأشياء العابرة ـ المال والسلطة والهيبة ـ والأشياء الدائمة: الطريقة التي نتفاعل بها مع المواقف الصعبة، والإيمان الذي نتمسك به، والأشخاص الذين نحبهم. ولقد رأيت الآن بنفسي حقيقة مقولة أجدادي: إن الحياة يمكن أن تتغير حقاً في لحظة.

{3}

صنعها في مانـهاتن

بعد وقت قصير من إطلاق سراح والدي من السجن، أتممنا أكبر صفقة عقارية في تاريخ شركتنا، بما كان في ذلك الوقت أعلى سعر تم دفعه على الإطلاق مقابل أصل عقاري واحد في الولايات المتحدة. مقابل 1.8 مليار دولار، اشترينا منزلًا يعود تاريخه إلى منتصف القرن العشرين.

الواقع أن ناطحة السحاب التي تقع في 666 شارع فيفث أفينيو كانت تستحق أن نتوقف عندها للحظة: فقد تم إتمام عملية الشراء في أوائل عام 2007، قبل انهيار السوق مباشرة في بداية الركود العظيم. وبعد عشرين شهراً أعلنت شركة الاستثمار الكبرى ليمان براذرز إفلاسها، وتضاعفت معدلات الشواغر المكتبية في وسط مانهاتن ثلاث مرات بين عشية وضحاها.

كنا نعتقد أن المبنى رقم 666 في الجادة الخامسة قد تصل قيمته إلى 2.5 مليار دولار، وهو تقييم مدفوع إلى حد كبير بالمساحة التجارية البكر للمبنى والمكانة المتميزة التي يتمتع بها.نيويورك ـ في الفترة التي سبقت الأزمة، كانت الإيجارات في المبنى تبلغ نحو 120 دولاراً للقدم المربع ـ وهو المعدل الذي سرعان ما انخفض بشكل حاد. وأتذكر ستيف روث، مؤسس شركة فورنادو ريالتي تراست وأحد أذكى أباطرة العقارات في نيويورك، وهو يعلق على الأزمة قائلاً: "أحصل الآن على ستين دولاراً للإيجار في أفضل المباني التي أمتلكها. هل تعلمون لماذا لا أحصل على خمسين دولاراً؟ لأن المستأجرين لا يطلبون ذلك". كنا نعتمد على الإيرادات من المستأجرين لخدمة أقساط ديوننا، ووجدنا أننا لم نصل إلى المبلغ الذي كنا في احتياج إليه. وبدأ عمالقة التمويل والعقارات يحومون حول استثمارنا مثل النسور. وأخبرني كثيرون أنه لا توجد وسيلة للتعافي. ولكنني نظرت إلى الأمر بشكل مختلف. لم يكن هناك أي سبيل لأسمح لهذا الاستثمار بالفشل.

لم يكن لدي سوى نفوذ ضئيل للغاية، لذا كنت على استعداد للتحدث إلى أي شخص. لإنقاذبعد الشراء، قمت بإعادة هيكلة الدين لمنع الحجز وجمعت أكثر من 500 مليون دولار من خلال بيع حصة 49 بالمائة في مساحة البيع بالتجزئة

لقد قمت باستئجار المبنى من عائلة تشيرا ومجموعة كارلايل. لقد قمت بإحضار شركة استثمار عقاري لتكون مالكة مشتركة للمبنى، وقمت بتحديث المساحات التجارية والتجزئة لجذب المزيد من المستأجرين المربحين. لقد قمت تدريجياً بإقناع شركة بروكس براذرز ببيع عقد الإيجار الخاص بها، والذي قمنا بتأجيره لشركة يونيكلو مقابل مبلغ قياسي بلغ 300 مليون دولار. لعدة سنوات، حاولت دون جدوى إقناع مفوض الرابطة الوطنية لكرة السلة ديفيد ستيرن بالتخلي عن عقد الإيجار الثمين الذي كان يمتلكه لمتجر الرابطة الوطنية لكرة السلة، والذي كان يقع في مساحة التجزئة في الطابق الأرضي. ثم التقيت بالمدير التنفيذي الصاعد في الرابطة الوطنية لكرة السلة آدم سيلفر، وطلبت مساعدته في التفاوض على صفقة. كان ستيرن يتصل بي ويسخر مني: "اترك آدم وشأنه! لن نترك المتجر أبدًا!" أوضح لي سيلفر أن محاولات ستيرن الخاسرة لحمل الرابطة الوطنية لكرة السلة على فتح متجر تجزئة كانت في البداية تستخدم من قبل خصومه في اجتماعات الملاك لإحراجه. وبعد أن تعمق ستيرن في العمليات ونجح في تحقيق أرباح للمتجر، افتتح بفخر كل اجتماع للملاك، حيث أعلن الدوري عن صفقات بمليارات الدولارات، بآخر المستجدات حول الأرباح التي حققها متجره المحبوب في الجادة الخامسة. وانتهى بي المطاف إلى أن أصبح سيلفر وأنا صديقين مقربين. حاولت لمدة ثلاث سنوات إقناعهم ببيع عقد الإيجار ـ وقد نجح سيلفر في التوصل إلى صفقة صعبة. وفي النهاية، توصل ستيرن إلى صفقة جيدة للتخلي عنه. ثم بعنا المساحة لاحقًا إلى شركة إنديتكس، الشركة الأم لشركة زارا، مقابل 324 مليون دولار ـ وهو سعر قياسي للقدم المربع.

كان التعامل مع تداعيات 666 هو التحدي الأكبر وأكبر تجربة تعلم في حياتي المهنية. كان الانجراف إلى مهام معقدة وعالية المخاطرلقد أعطتني المفاوضات في سن مبكرة تدريباً فريداً من نوعه. لقد كوّنت علاقات مع العديد من عمالقة الصناعة، والتي أثبتت أنها لا تقدر بثمن للمضي قدماً. لم أفز بكل المفاوضات، لكنني اكتسبت مصداقية من خلال الصدق بشأن موقفنا الصعب، وتقديم حلول بناءة، والسعي إلى تحقيق نتائج ناجحة لجميع الأطراف. كان هدفي هو زيادة حجم الفطيرة بدلاً من إزالة شرائح منها. أخبرني اثنان من دائني، الذين طورت معهم علاقات شخصية وثيقة، بصراحة خلال اجتماعات الغداء أن الصداقة منفصلة عن العمل وأنهم سيفعلون كل ما في وسعهم للتأكد من أنني أخسر المبنى. لحسن الحظ، كان الآخرون أكثر كرمًا وبذلوا قصارى جهدهم للمساعدة في إيجاد نتيجة مربحة للجانبين. في مرحلة ما، سافرت إلى كاليفورنيا للقاء توم باراك، عملاق العقارات الذي كانت شركته واحدة من دائنينا. كنت أتوقع أن يكون عدائيًا ويتنافس على الفوز، ولكن بعد اجتماعنا، أصبح حليفًا.

"قال إن الناس في موقفك يتطلعون إلى الاستفادة من المقرضين، وأنا أقدر براجماتيتك وسأعمل معك على إيجاد حل لهذا الأمر".

بعد إنقاذ استثمارنا في 666، لم أعد أخشى الفشل في العمل.لقد تعلمت كيفية التركيز على القرارات المهمة وتجاهل المشتتات التافهة. وأصبحت أفضل في التخفيف من الآثار السلبية المحتملة، وتحمل المخاطر المحسوبة، وتحديد اتجاهات السوق، والتطوير في الأحياء الواعدة.

كانت أولى صفقاتي الناجحة في مدينة نيويورك شراء مبنى في شارع لافاييت رقم 200 من جون زاكارو. لم يتصور أحد أنه سيبيع المبنى على الإطلاق. التقيت به وعرضت عليه أن أدفع له المال على الفور وأن أوقع على أي عقد يعرضه علي. ورغم أن المبنى كان في حالة مزرية، إلا أنني كنت أعلم أنه إذا نجحت في تحقيق خطتي التجارية فسوف أحقق ربحاً كبيراً. في ذلك الوقت، كنت أساعد أخي في بدء وبناء شركته الاستثمارية "ثرايف كابيتال"، ورأيت أن الشركات الناشئة مثل شركته تريد مساحات مكتبية أكثر حداثة لم تكن موجودة بعد في نيويورك. اعتقدت أن هذا المبنى يمكن أن يخدم مكانة جديدة. وبعد إقناع زاكارو ببيع المبنى لي مقابل 50 مليون دولار، ذهبت للبحث عن شريك. وجدت آفي شيمش، وهو مهاجر إسرائيلي بدأ كبستاني وأسس شركة عقارية بمليارات الدولارات. وبينما وقفنا أنا وآفي على سطح المبنى رقم 200 من شارع لافاييت، سألني: "ما مساحة الطوابق؟" فأجبته: "سبعة عشر ألف قدم مربعة قابلة للتأجير". لقد سألني عما إذا كان هذا هو حجم الطابق المناسب للمستأجر الذي أريده. "هذا ما لدينا". لقد أعجبه صدقي وحماسي تجاه المشروع. "جاريد، أنا أقوم بهذا الاستثمار، ولكن ليس بسبب المبنى. أنا أراهن عليك". بعد عشرين شهرًا من تنفيذ خطتي، بعنا المبنى مقابل ما يقرب من 150 مليون دولار.

بعد هذا النجاح، انطلقت في حملة شراء كبرى، فاشتريت أكثر من اثني عشر ألف شقة في مختلف أنحاء البلاد، وأتممت معاملات بقيمة 14 مليار دولار في غضون عشر سنوات تقريباً. وكانت إحدى أفضل الصفقات التي عقدتها شراء مقر شهود يهوه في بروكلين. وعندما سمعت أنهم يبيعون، اتصلت بممثلهم، دان رايس، وطلبت منه أن يسمح لي بالمشاركة في المزاد. وكانت العقارات الواقعة على النهر بجوار جسر بروكلين مذهلة. وكانت أفضل المباني التي زرتها على الإطلاق من حيث الإدارة - وكانت نظيفة إلى الحد الذي يجعلك تأكل من على الأرضيات. وذهبت إلى مكتب الممثل في ذلك اليوم وسألته عن المبلغ الذي يريده. فقال لي إن المبلغ يتراوح بين 325 مليون دولار و350 مليون دولار. فقلت له إنني سأشتري 350 مليون دولار.

لقد عرض عليّ أن أدفع 375 مليون دولار إذا وعد بعدم إقامة مزاد. لقد اتصل بمجلس إدارته وحصل على الموافقة وصافحني. في اليوم التالي، عرض عليه أحد المنافسين مبلغًا أعلى، لكنه قال: "لا، نحن شهود يهوه؛ نحن نحترم كلمتنا". لقد باع لي العقار، وبعد التجديدات وإعادة التسمية، أصبحت قيمته الآن تقترب من مليار دولار.

مع كل عملية شراء جديدة، لم أركز على الدولار الأخير بل على الصفقة التالية. لقد رأيت الإمكانات الكامنة في المباني التي تجاهلها معظم الناس وتعلمت كيفية تحويل هذه الرؤية إلى حقيقة من خلال بناء الإجماع، وتحفيز مئات الأشخاص، واتخاذ القرارات السريعة، وحل المشاكل فور ظهورها. وبعد فترة وجيزة، بدأ العديد من اللاعبين الكبار في متابعتي إلى الأحياء المتغيرة التي كنت أستثمر فيها.

لقد وجد الناس أنه يمكنهم جني الأموال من خلال العمل معي، مما أدى إلى العديد من الفرص الرائعة. لم أنس أبدًا ما نصح به جريج كونيو، المستشار الذي أصبح صديقًا ومرشدًا، أثناء التفاوضكان يتحدث مع المقاولين من الباطن في مشروع شارع لافاييت رقم 200: بلهجته الإيطالية الغليظة، حثهم على تناول الطعام، وأضاف: "إذا أبرمت صفقة جيدة للغاية، فسوف يختصرون الزوايا ولن يؤدوا عملهم".

وبالإضافة إلى بناء سمعة طيبة من خلال صفقات العقارات، التقيت أيضاً بكبار رجال الأعمال في نيويورك من خلال استثمار آخر قمت به في عام 2006. ففي شهر يوليو/تموز من ذلك العام، زرت آرثر كارتر، مالك وناشر صحيفة نيويورك أوبزرفر، وهي صحيفة أسبوعية يقرأها نخبة سكان نيويورك. وأخبرته أنني أريد شراء الصحيفة. فقال إن روبرت دي نيرو وجين روزنثال قطعا شوطاً بعيداً في المفاوضات، ولكنهما أثارا قضايا جديدة في اللحظة الأخيرة. فعرضت عليه شيكاً بقيمة خمسة ملايين دولار. فقال لي إنني إذا أنهيت الصفقة بحلول يوم الاثنين، فسوف أشتريها. وعملت طيلة عطلة نهاية الأسبوع على بذل العناية الواجبة لإتمام الصفقة. وفي صحيفة أوبزرفر، رأيت فرصة لجلب صحيفة متطورة إلى العصر الرقمي، مع إقامة علاقات تجارية مفيدة في هذه العملية. وسرعان ما تعلمت أن التغيير، وخاصة في مجال الصحافة، أشبه بالجنة: فالجميع يريد الذهاب إلى هناك، ولكن لا أحد يريد أن يموت.

كان دونالد جيه ترامب أحد عمالقة العقارات الذين لاحظوا الصحيفة. ولن أنسى أبدًا تلقي رسالة بالبريد منه: فقد انزعج من وضعه على قائمة الأقوياء السنوية لصحيفة الأوبزرفر، وطلب إزالتها. "ومن المثير للاهتمام أن اسم ترامب مستخدم بشكل بارز في عنوانك ومذكور في المقتطف جنبًا إلى جنب مع الشخص المصنف رقم 1.

أعتقد أنك تحاول جعل الناس يقرؤون المقال". وانتهى بـ "ملاحظة: من فضلك توقف عن إرسال جريدتك إلي، حتى لا أضطر إلى قراءة هراء مثل هذا بعد الآن!" أنا متأكد من أنني لم أكن أول من تلقى رسالة من ترامب بخصوص مقال صحفي، وبالتأكيد لن أكون الأخير.

* * *

في وقت شرائي لمنزلي رقم 666 في الجادة الخامسة، اقترح دونالد ترامب على ابنته إيفانكا أن تتحدث إلى الرجل الذي كان يشتري المباني بنشاط لترى ما إذا كنت مهتمًا بشراء أي من عقاراته. في ربيع عام 2007، تناولنا الغداء. تحدثنا عن العمل، لكن المحادثة سرعان ما تحولت إلى سباقات ناسكار، ومطاعم نيوجيرسي، وغيرها من الاهتمامات غير المتوقعة التي كانت مشتركة بيننا. أدى ذلك إلى غداء ثانٍ في مطعمي الهندي المفضل، Tamarind Flatiron & Tea Room في شارع Second -Twenty، حيث تحدثنا لمدة ثلاث ساعات. كان علينا أن نستمر في الاتصال بمساعدينا لإعادة جدولة اجتماعاتنا الأخرى لهذا اليوم.

لم تكن إيفانكا كما توقعت. فبالإضافة إلى جمالها الأخاذ، وهو ما كنت أعرفه قبل أن نلتقي، كانت دافئة ومرحة ورائعة. ولديها قلب كبير وشغف هائل لاستكشاف أشياء جديدة. وسرعان ما بدأت في اصطحاب إيفانكا إلى أجزاء من المدينة لم ترها من قبل، واستخدمت مواعيدنا للتحقق من الأحياء التي كنت أبحث عن شراء عقار فيها. مشينا في الشوارع، وراقبنا الناس، وناقشنا الأحياء التي ستتطور على مدى السنوات القليلة القادمة. وفي صباح أيام الأحد، كنا نأخذ لوحة الطاولة الخاصة بنا إلى مطعم جديد ونجلس هناك لساعات بينما نلعب الألعاب، ونقرأ الصحف، ونحتسي القهوة.

لقد أحببت الطريقة التي تعاملت بها دائمًا مع الجميع بسحر واحترام، سواء كانوا من رجال الأعمال أو النوادل أو سائقي سيارات الأجرة. لقد جعلت كل شيء ممتعًا. كما بدا أن لدينا الكثير من القواسم المشتركة. لقد عملنا معًالقد عملنا مع آبائنا في مجال الأعمال العائلية، ولكننا بدأنا أيضًا شركاتنا الخاصة. كنا مدفوعين وطموحين، ولدينا شهية صحية للمغامرة.

عندما أدركت أنني وقعت في حب إيفانكا، بدأت أشعر بالقلق إزاء اختلاف دياناتنا. وبقدر ما كان الأمر صعبًا ومؤلمًا، انفصلت عنها. أخبرتني إيفانكا أن هذا كان أسوأ قرار اتخذته في حياتي. وكانت محقة. وبعد عدة أشهر، قررت صديقتنا المشتركة ويندي مردوخ الانفصال.

لقد دعوتني لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معها وزوجها روبرت مردوخ - مالك شركة نيوز كورب، الشركة الأم لفوكس نيوز وصحيفة وول ستريت جورنال آنذاك - على متن قاربهم روزهيرتي. لقد التقيت بوندي وروبرت لأول مرة من خلال عملي مع الأوبزرفر، وأصبحا صديقين حميمين. ولدهشتي، كانت إيفانكا هناك. لقد كانت مصدومة بنفس القدر، ولكن لم يمض وقت طويل قبل أن نعود معًا.

في نهاية الأسبوع نفسه، قدم روبرت العرض النهائي لعائلة بانكروفت لشراء شركة داو جونز المرغوبة. وقد أطلعني على رسالة أرسلها للتو إلى أعضاء مجلس الإدارة يبلغهم فيها أنه إذا لم يقبلوا عرضه بحلول يوم الاثنين، فسوف يسحب العرض، وسوف تنخفض قيمة السهم. وقد أذهلني أسلوبه التفاوضي. لقد أدهشني روبرت باعتباره مثقفاً، بالإضافة إلى كونه رجل أعمال لامعاً. وعندما كنا نقضي بعض الوقت معاً، كان يبدأ أيامه بقراءة كل سطر من صحف شركته، فضلاً عن صحف الشركات المنافسة. وكان يلتهم الكتب ويعطيني كتبه المفضلة. وفي ذلك الأحد، كنا نتناول الغداء في منزل بونو في بلدة إيز على الريفييرا الفرنسية، عندما خرج روبرت للرد على مكالمة هاتفية. وعاد وهمس في أذني: "لقد رمشوا، ووافقوا على شروطنا، ولدينا صحيفة وول ستريت جورنال". بعد الغداء، عزف بيلي جويل، الذي كان معنا أيضًا على متن القارب، على البيانو بينما غنى بونو مع المغني وكاتب الأغاني الأيرلندي بوب جيلدوف. مازحني روبرت بأننا كنا بوضوح الأقل موهبة هناك.

مع مرور الأشهر، أخبرتني إيفانكا أنها منفتحة على استكشاف إمكانية التحول إلى اليهودية. بدأنا في الاجتماع مع حاخام ودراسة وممارسة السبت معًا. رأيت أن إيفانكا كانت تستمتع بهذه الطقوس. بعد بضعة أمسيات جمعة تناولنا فيها وجبات جاهزة من 2nd Ave Deli - مطعمي المفضل في نيويورك - قررت إيفانكا أنها تريد أن تتعلم كيفية الطهي لجعل ليالي الجمعة معًا أكثر خصوصية. لقد أحببت ذلك وسرعان ما أصبحت طاهية ممتازة. مع تحول علاقتنا إلى جدية أكثر، اقترحت إيفانكا أن أحاول التعرف على والدها، لذلك اتصلت بترامب وسألته عما إذا كان بإمكاني رؤيته. اقترح الغداء في اليوم التالي في الشواية في برج ترامب - وهو عرض غير معتاد، لأنه نادرًا ما يلتقي بالناس لتناول الغداء. عندما جلسنا، شعرت بصوتي يرتجف عندما تمكنت من القول إن إيفانكا وأنا أصبحنا أكثر جدية وأنها في طور التحول. قال: "حسنًا، دعني أسألك سؤالاً". "لماذا يجب أن تكون؟

"التحول؟ لماذا لا يمكنك التحول؟"

أجبت بأن السؤال عادل، لكن إيفانكا اتخذت القرار.بمفردها، وكنا مرتاحين في ذلك.

"هذا رائع"، قال. "يعتقد معظم الناس أنني يهودي على أي حال."من أصدقائي يهود. لقد حصلت على كل هذه الجوائز من المعابد اليهودية. إنهم يحبونني في إسرائيل". ثم أضاف، "أتمنى فقط أن تكون جادًا لأن إيفانكا في مكان رائع في حياتها الآن. كما تعلم، توم برادي صديق جيد لي وكان يحاول إخراج إيفانكا ... "

قبل أن يتقدم أكثر، قلت له مازحا: "لو كنت إيفانكا، كنت سأختار توم برادي". نظر إليّ بجدية تامة وقال: "نعم، أعلم".

وبعد بضعة أشهر، قمت برحلة سرية إلى برج ترامب لطلب يد إيفانكا للزواج، وذكرت أنني كنت أخطط لخطوبة مفاجئة. وفي وقت لاحق، علمت أنه بعد مغادرتي مباشرة، التقط ترامب جهاز الاتصال الداخلي وأبلغ إيفانكا أنه يجب أن تتوقع عرضًا وشيكًا. في تلك الليلة، أخذتها لمشاهدة مسرحية Wicked على برودواي. كنت قد طلبت من أخي جوش أن ينثر بتلات الورد في شقتي ويضيء الشموع قبل عودتنا إلى المنزل مباشرة. لكن العرض بدأ متأخرًا واستمر طويلاً، وهو أمر نادر الحدوث. كان خاتم الخطوبة في جيبي طوال الوقت، وكنت قلقًا من ذوبان شمع الشمعة في كل مكان. في الردهة خارج باب شقتي، أخرجت الخاتم بتوتر وطلبت من إيفانكا الزواج. لحسن الحظ، قالت نعم.

لقد تزوجنا في نادي ترامب الوطني للغولف في بيدمينستر، نيو جيرسي - وهو ملاذ مهيب وهادئ مع أشجار مورقة وتلال متدحرجة على بعد ساعة من مانهاتن ويظل أحد الأماكن المفضلة لدينا.كان يسافر كل أسبوع قبل الزفاف للتحقق من بناء الخيام. كان يحترم تقاليدنا اليهودية، وقبل أن يرافق إيفانكا في الممر، طلب منا أن نرتدي قبعة يهودية. كنا سعداء بمشاركة هذا اليوم مع العديد من الأصدقاء، لكنني لم أنس نصيحة أحد الأشخاص: لا تترك يد زوجتك أبدًا في يوم زفافك.

كنت قد خططت لرحلة سفاري أفريقية لقضاء شهر العسل، ولكن عندما وصلنا إلى أمستردام، تسبب سوء الأحوال الجوية في تأخير رحلتنا المتصلة حتى اليوم التالي. لم تسمح لنا شركة الطيران باصطحاب أمتعتنا، لذا توقفنا عند متجر هدايا في المطار، واشترينا أرخص المعاطف والأوشحة والقبعات التي تمكنا من العثور عليها.وذهبنا لاستكشاف المدينة معًا. لقد سارعت إلى حجز غرفة في فندق ديلان، ووصلنا أخيرًا إلى هناك بعد الركض حول المدينة.

في الثلج لعدة ساعات. كنا مبللين من الرأس إلى القدمين،لم يكن لدينا ملابس احتياطية. كانت بعض العرائس لينهارن عندما انحرفت أحلامهن عن مسار شهر العسل، لكن إيفانكا ابتسمت وارتجلت. ارتدينا أردية الحمام والنعال الخاصة بالفندق ونزلنا لتناول العشاء في مطعم الفندق الحائز على نجمة ميشلان. كان الأمر ممتعًا للغاية والبداية المثالية لزواجنا - الأولى من العديد من المغامرات غير المتوقعة.

خلال السنوات الأولى من زواجنا، كنت أنا وإيفانكا مشغولين بتنمية شركاتنا وبناء علاقات مع أعضاء مجتمع نيويورك، ولكن في أغلب الأحيان كنا نفضل تناول العشاء بمفردنا. كنا نتناوب على التخطيط لأمسيات رومانسية لاستكشاف المدينة. كنا نذهب لتسلق الصخور في بروكلين بولدرز، أو نلعب البهلوانية في ميناء ساوث ستريت، أو نتلقى دروس الطبخ في مطعم محلي، أو نلعب الشافلبورد في بار جديد في حي عصري. وسرعان ما ولدت طفلتنا الأولى أرابيلا، وأضافت المزيد من البهجة إلى حياتنا. كنت أجلس في غرفتها لساعات وأراقبها وهي نائمة بينما أعمل على الكمبيوتر المحمول الخاص بي. ثم تبعها جوزيف بعد عامين. حاولنا تربيتهما تربية طبيعية قدر الإمكان، وتعليمهما القيم الحميدة، وقضاء وقت ممتع معهما، ومراقبة التقاليد اليهودية معًا. كانت الحياة مليئة. لم يكن لدينا أي فكرة أن عالمنا على وشك أن ينقلب رأسًا على عقب.

{4}

"كل شيء سيكون مختلفا"

بعد أن أعلن هذا الأسبوع، كل شيء سيكون مختلفًا.

لقد اجتمعنا أنا وإيفانكا مع عائلتها لتناول الغداء في

النادي في نادي ترامب الوطني للغولف في بيدمينستر

احتفل بعيد ميلاد ترامب التاسع والستين. عادة، يكون ترامبكان ترامب يركز على اللحظة الحالية، وخاصة عندما كان محاطًا بعائلته. لكن في هذا اليوم، كان ذهنه منصبًا على المستقبل. قاطع ترامب المزاح المعتاد والمزاح لينطق بتوقعاته حول ما سيحدث بعد إعلانه عن نيته الترشح للرئاسة. لم يكن لدينا أي فكرة عن أين سيذهب هذا أو كيف سيغير حياتنا. كنا نعلم فقط أنه مع ترامب، هناك دائمًا شيء يحدث، ولا يكون الأمر مملًا أبدًا.

لقد طلب ترامب من إيفانكا أن تقدمه لإعلان حملته الانتخابية في ذلك اليوم الثلاثاء الموافق 16 يونيو 2015. فأخبرته أنها ستفعل ذلك، ولكن فقط إذا كان جادًا هذه المرة. لقد استكشف ترامب ترشحه للرئاسة في السنوات الماضية ولكنه قرر في النهاية عدم الترشح. كان الاستعداد لتقديم والدها تحديًا جديدًا لإيفانكا: فهي ليست سياسية ولم تُلق خطابًا تلفزيونيًا وطنيًا من قبل. وبينما كنا نعمل على ملاحظاتها، حاولت طمأنتها. قلت لها: "لا تقلقي، إنها مجرد مقدمة. لن يلاحظها أحد ما لم تفسدي شيئًا". لكن هذا لم يساعد.

في ذلك الوقت، كنت أؤدي واجبي كعضو في هيئة محلفين. طلبت من المشرف أن يعطوني إجازة بعد ظهر الثلاثاء لحضور مناسبة عائلية. جاءني سائق في سيارة رياضية متعددة الأغراضوهرعت نحو برج ترامب. وفي المقعد الخلفي، غيرت ملابسي إلى بدلة. وعندما وصلت وانتظرت المصعد إلى مكتب ترامب، حيث اجتمعت ميلانيا وإريك ودون الابن، سمعت صوتًا حزينًا.

صدى أغنية "Memory" من المسرحية الموسيقية Cats لعام 1981 - اللحن الذي اختاره ترامب ليكون موسيقى خروج إيفانكا. بينما ألقت إيفانكاوبعد أن ألقت كلمتها التمهيدية، استقل باقي الحضور المصعد إلى القاعة الرئيسية. وقبل أن ينزل ترامب على السلم المتحرك الذهبي الشهير، التفت إلى دونالد جونيور وإريك وأنا. وقال: "حسنًا، يا أطفال، الآن سنكتشف من هم أصدقاؤنا الحقيقيون".

صعد ترامب إلى المنصة المؤقتة المحاطة بثمانية أعلام أمريكية.أصدر مدير الحملة، كوري ليفاندوفسكي، نص خطابه المعد للصحافة، لكن ترامب لم يستخدم كلمة واحدة من النص. بدلاً من ذلك، ألقى خطابًا مرتجلًا لمدة خمسة وأربعين دقيقة كان بمثابة صاعقة فوق المشهد السياسي الجمهوري. تحدث بصفته شخصًا خارجيًا يواجه مؤسسة سياسية فاسدة وغير مسؤولة تاجرت بوظائف التصنيع الأمريكية، وفشلت في تأمين حدودنا، وقلبت نظام الرعاية الصحية لدينا، وأغرقت البلاد في حربين لا نهاية لهما تكلفتا تريليونات الدولارات.

لقد اعتقدت أن خطاب ترامب كان كلاسيكيا: خاما، وأصيلا، وفعالا. بعبارة أخرى، لا يشبه خطاب أي سياسي. وبصفتي مبتدئا في السياسة، لم أكن أدرك أن سطر واحد من الخطاب سوف يصبح نقطة اشتعال: "عندما ترسل المكسيك قواتها إلى الولايات المتحدة، فإن هذا سوف يجعلنا نواجه حربا أهلية".الناس لا يرسلون أفضل ما لديهم، بل يرسلون أشخاصًا لا يعرفونهم.

"لدينا الكثير من المشاكل، وهم يجلبون هذه المشاكل معنا. إنهم يجلبون المخدرات. إنهم يجلبون الجريمة. إنهم مغتصبون. وبعضهم، على ما أعتقد، أشخاص طيبون". استغلت الصحافة على الفور تعليق "المغتصبين". علمت لاحقًا أن ترامب استوحى لاستخدام الخط المثير للجدل من ضابط الجمارك وحماية الحدود الذي جاء إلى مكتبه لتسجيله في Global Entry. أثناء الفحص، سأل ترامب الضابط كيف تبدو الأمور على الحدود. أخبر الضابط ترامب أن الأمور كانت فوضوية، وأنهم يرسلون حافلات محملة بالأشخاص إلى المكسيك كل يوم، لكنهم استمروا في العودة بشكل أسرع مما يمكننا إعادتهم. سأله ترامب عن نوع الأشخاص الذين هم - هل هم عائلات أم أطفال صغار؟ قال الضابط: "لا". "الأشخاص الذين نعيدهم في الحافلات لديهم سجلات إجرامية في الغالب، بما في ذلك بعض المغتصبين والقتلة".

لدى ترامب عادة البحث عن المعلومات والآراء من الأشخاص الذين غالبًا ما يتم تجاهل آرائهم. بصفته عامل بناء، كان يزور مواقع البناء ويطلب من العمال في الخطوط الأمامية تقديم آرائهم بشأن أسئلة التصميم الجادة. عندما كانت إيفانكا تقود تجديد مكتب البريد القديم في واشنطن العاصمة، أعطاه أحد المقاولين العامين

كان ترامب قد عرض على أحد العمال الذين يرتدون الخوذات الصلبة مخططًا معقدًا لنظام التدفئة وتكييف الهواء. التفت ترامب إلى أحد العمال الذين يرتدون الخوذات الصلبة وسأله عن رأيه في المخطط.

"إنه أمر غبي"، رد العامل. "أنت تضع جميع مجاري الهواء في هذه المواقع المحددة للحفاظ على استقرار درجات الحرارة خلال يوم حار أو بارد يحدث مرة واحدة في مائة عام. فقط قم بنفخ الهواء من المنتصف، وستوفر تكلفة تركيب جميع مجاري الهواء. قد تكون درجة حرارة الضيوف الذين يسيرون لمدة ثلاثين ثانية من المصعد إلى غرفهم أعلى بدرجتين إذا كانت هناك ظروف جوية قاسية، لكنك ستوفر الملايين". دعا ترامب إلى إعادة رسم الخطط على الفور.

لقد وقع التعامل مع الأزمات التي تواجه منظمة ترامب على عاتق إيفانكا وإخوتها. فقد صاغت مقال رأي لوالدها لتوضيح موقفه من الهجرة - أنه كان يؤيد الهجرة القانونية وضد الاتجار بالبشر وتهريب المخدرات والحدود غير الخاضعة للحكم. ولمساعدتها في صياغة المقال، استعانت إيفانكا بهوب هيكس، وهي خبيرة اتصالات انضمت إلى منظمة ترامب في عام 2014 وكسبت بسرعة ثقة إيفانكا وترامب. في وقت مبكر من يناير 2015، أخبر ترامب هوب: "أفكر في الترشح للرئاسة، وستكونين سكرتيرتي الصحفية". وبصفتها متحدثة بارعة ظلت على أهبة الاستعداد تحت الضغط، ساعدت هوب في صياغة رسالة الحملة، وأجابت على مئات الاستفسارات الصحفية كل أسبوع، وصممت أحداثًا إبداعية أظهرت أفضل ما في ترامب.

ولكن عندما عرضت إيفانكا وهوب مقال الرأي على ترامب، رفض التراجع. وأصر على أنه "لم أقل أي شيء خاطئ، ووسائل الإعلام تعلم أنني لم أقل أي شيء خاطئ. أنا لا أخطط لاتباع قواعدهم، وهم يريدون فقط مني الاعتذار عن دخول هذا السباق. لا توجد طريقة لأفعل ذلك". وعلى الرغم من حقيقة أنه كان قد ترشح في الانتخابات التمهيدية، إلا أنه لم يتراجع عن موقفه.

عاش حياة فاخرة في شقة فاخرة مطلية بالذهب ومكونة من ثلاثة طوابق في الجادة الخامسة،لقد أدرك ترامب بشكل حدسي ما تجاهله الساسة الآخرون منذ فترة طويلة: فقد كان المواطنون في جميع أنحاء البلاد يشعرون بتأثيرات سياسات التجارة والهجرة العالمية التي عرضت وظائفهم وسلامتهم وأسلوب حياتهم للخطر. وكانوا غاضبين.

لقد علمتني هذه الأزمة الإعلامية الأولى من بين العديد من الأزمات ما أسميته فيما بعد "الثلاثية""أولاً، الجدل يرفع من شأن الرسالة. ثانياً، عندما تكون على حق، عليك أن تقاتل. وثالثاً، لا تعتذر أبداً. يتابع معظم الساسة استطلاعات الرأي، لكن ترامب غيّر استطلاعات الرأي. قبل أن يدخل الساحة السياسية، لم تكن الهجرة قضية ساخنة. وفجأة، بدأ الناس يتحدثون عن أزمة الهجرة الحقيقية على حدودنا الجنوبية - وهي المشكلة التي حاول المرشحون الآخرون تجنبها بشدة. كان النقاش يدور بشروط ترامب.

بعد وقت قصير من إطلاق حملة الرئيس، غرد روبرت مردوخ قائلا: "متى سيتوقف دونالد ترامب عن إحراج أصدقائه، ناهيك عن البلد بأكمله؟" وبعد أسبوع، في 21 يوليو/تموز، نشرت صحيفة نيويورك تايمز قصة تصف آراء روبرت المهينة عن ترامب وفرصه كمرشح.

اتصل بي ترامب. من الواضح أنه قد سئم. "هذا الرجل ليس جيدًا.سأقوم بالتغريد عنه."

"من فضلك، أنت في الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري"، قلت له على أمل ألا ينشر تغريدة سلبية تستهدف أقوى رجل في وسائل الإعلام المحافظة. "لا داعي لأن تكون على الجانب الخطأ من روبرت. امنحني بضع ساعات لإصلاح الأمر".

اتصلت بروبرت وأخبرته أنني أريد رؤيته.

"لقد قلت له، ونحن جالسان في مكتبه: ""روبرت، أعتقد أنه قادر على الفوز. إنكما متفقان على العديد من القضايا. فأنت تريد حكومة أصغر حجماً. وتريد ضرائب أقل. وتريد حدوداً أقوى""."

استمع روبرت باستغراب، وكأنه لم يستطع أن يتخيل أن ترامب كان جادًا حقًا بشأن الترشح. في اليوم التالي، اتصل بي وقال: "لقدلقد نظرت إلى هذا وربما كنت مخطئا في الحكم عليه. إنه يتمتع بالفعل بمتابعين حقيقيين. ويبدو أنه يتمتع بشعبية كبيرة، كما لو أنه قادر حقا على أن يكون صانعا للملوك في الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري بالطريقة التي يلعب بها. ماذا يريد دونالد؟

"أجبته: "إنه يريد أن يصبح رئيسًا".

"لا، ماذا يريد حقًا؟" سأل مرة أخرى.

"أنظر، إنه لا يحتاج إلى طائرة أفضل"، قلت. "إنه يمتلك طائرة جميلة. إنه لا يحتاج إلى منزل أفضل. إنه لا يحتاج إلى أي شيء. لقد سئم من مشاهدة الساسة وهم يفسدون البلاد، ويعتقد أنه يمكنه القيام بعمل أفضل".

"مثير للاهتمام"، قال روبرت.

لقد كان لدينا هدنة في الوقت الراهن.

في غضون أربعة أسابيع من دخوله السباق، ارتفع ترامب إلى المركز الأول في استطلاعات الرأي. في تلك المناظرة الأولى، أثارت مذيعة قناة فوكس نيوز ميجين كيلي تعليقات استفزازية أدلى بها ترامب عندما كان في مجال الترفيه. ومنذ تلك النقطة فصاعدًا، انخرط في معركة وحشية مع فوكس نيوز. تلقى مكالمة من الرئيس التنفيذي للشبكة، روجر آيلز. قال آيلز: "دونالد، في عملك، أصولك هي المباني". "في عملي، مذيعي هم كل ما أملك. إذا هاجمت مذيعي، فسأضطر إلى ملاحقتك بكل قوة الشبكة. نحن بحاجة إلى إيجاد طريقة لتهدئة هذا الأمر ". لم يردع التهديد ترامب.

كلما كان ترامب أقل احتراما لوسائل الإعلام والمؤسسة السياسية، كلما اعتقد أصدقائي في نيويورك أنه في طريقه إلى الخروج، لكن شعبيته استمرت في الصعود في استطلاعات الرأي. لقد سررت برؤية الزخم المتزايد لترامب، لكن لم يكن لدي أي خطط للمشاركة بشكل مباشر في حملته. كانت شركتنا في فترة جيدة، وكنت أركز على تنمية محفظتنا.

* * *

في صباح أحد أيام نوفمبر/تشرين الثاني 2015، اتصل بي ترامب وسألني عما إذا كنت أرغب في حضور تجمع انتخابي في ذلك المساء في سبرينغفيلد بولاية إلينوي. وكأي صهر ذكي، قلت له نعم. كنت أعلم أن هذه فرصة لرؤية كيف يلعب المطور الملياردير من مدينة نيويورك في قلب أميركا.

لقد استقبلنا حشد من المشجعين الذين كانوا ينتظرون في المطار ويصطفون على طول الطريق إلى مكان الحدث. كان مركز مؤتمرات برايري كابيتال مكتظًا. شعرنا بنبض الطاقة من خلف الكواليس. رحب مدير الحدث بترامب عند المدخل. قال: "تهانينا يا سيدي. لقد حطمت للتو الرقم القياسي للحضور في هذه الساحة، والذي كان يحمله سابقًا إلتون جون".1 مازح ترامب بسرعة، "انظر، جاريد، ليس لدي حتى بيانو.

تخيل لو أنني أعزف على الجيتار.

وعندما ذهبنا إلى منطقة الاستقبال للقاء المسؤولين والمتطوعين المحليين، فوجئت باستعداد ترامب لمصافحة كل يد والتقاط صورة مع كل من طلب ذلك، على الرغم من أنه كان يعاني من رهاب الجراثيم. وكان هذا بالنسبة لي علامة كبيرة على تفانيه التام للفوز بالسباق. وعندما صعد إلى المنصة، انفجر أكثر من عشرة آلاف شخص بالهتاف والتصفيق. وسرت حول الساحة وشاهدت بدهشة كيف تفاعل والد زوجتي مع الحشد المتحمس. لقد ارتجل لمدة ساعة، وكان ينظر أحيانًا إلى الملاحظات القليلة التي كتبها على متن الطائرة. وعلى النقيض من التقارير الإعلامية التي وصفت تجمعاته بأنها أرض خصبة للمجانين والنازيين الجدد، رأيت أشخاصًا عاديين: أمهات وآباء مجتهدين وكذلك طلاب وأجداد. اعتقد أشخاص من مختلف الأعمار والأعراق والخلفيات أن شخصًا ما يتحدث نيابة عنهم أخيرًا. وتردد صدى رسالته حول الهجرة غير الشرعية، والصفقات التجارية غير العادلة، والحروب الأجنبية التي لا تنتهي. وعندما وعد ترامب بإنهاء المعايير المشتركة، جن جنون الحشد.

لم أصدق ذلك. قبل أسابيع، حضرت حفل عشاء أقامتهفي ذلك الوقت، كان من المقرر أن ألتقي برئيس مؤسسة روبن هود الخيرية، وهي واحدة من أكبر المجموعات الخيرية في نيويورك. وكان رئيس المجموعة، وهو ملياردير مالي، قد ألقى خطابا أشاد فيه بالمعايير الأساسية المشتركة باعتبارها منقذ التعليم الأميركي وحث المشاركين على الاتصال بجهات اتصالهم في واشنطن لدعمها. وعندما سمعت رد فعل الحشد في تلك الليلة في سبرينغفيلد، ذكّرني ذلك بكتاب أعطاني إياه روبرت مردوخ قبل أشهر: كتاب تشارلز موراي "الانفصال"، الذي يزعم أن أميركا انقسمت على مدى السنوات الخمسين الماضية إلى طبقتين عليا ودنيا تعيشان منفصلتين عن بعضهما البعض، جغرافيا وثقافيا.2 يذهبون إلى مدارس مختلفة، ويستهلكون أطعمة مختلفة، ويبحثون عن أشكال مختلفة من الترفيه. إنهم يتشاركون القليل جدا، ولديهم اتصال ضئيل للغاية، لدرجة أنهم لم يعودوا يفهمون بعضهم البعض. والآن، بينما كنت أقف بين أنصار حمي، بدأت أفهم لماذا وجدت رسالة ترامب صدى لدى العديد من الأميركيين. لقد كانت النخبة من الطبقة العليا في واشنطن بعيدة كل البعد عن المواطنين من الطبقة الدنيا والمتوسطة الذين يفترض أنهم يمثلونهم، الأمر الذي جعل ناخبيهم يشعرون بأنهم منسيون ومحرومة من حقوقهم. ورغم أن هذه القرارات لم تلحق الضرر بأناس مثلي في نيويورك، فإنها كانت تحرم العديد من الأسر والمجتمعات في مختلف أنحاء أميركا الوسطى من فرص العمل. ولقد كان هذا التجمع بمثابة جرس إنذار بالنسبة لي.

في رحلة العودة إلى الوطن، بينما كنا نتناول وجبة ماكدونالدز الكبيرة من الساندويتشات، وسندويشات فيليه السمك، والبطاطس المقلية، أخبرت ترامب كم استمتعت بمشاهدته وهو يتواصل مع الحشد. لقد تأثرت بالوطنية التي عبر عنها العديد من أنصاره. ذكرت أنه يمكنه أن يفعل المزيد من خلال صفحته على الفيسبوك لإشراك العديد من المؤيدين النشطين مثل أولئك الموجودين في ساحة سبرينغفيلد. كان ترامب من أوائل من تبنوا تويتر وكان قد أحدث ثورة في السياسة بالفعل من خلال عباراته الفيروسية. اقترح علي أن أتحدث إلى دان سكافينو، الذي كان يدير المحتوى على تويتر وحساباته الأخرى على وسائل التواصل الاجتماعي. بدأ سكافينو العمل مع ترامب كمساعد غولف عندما كان في السادسة عشرة من عمره، وعلى مدار عقد من الزمان، صعد في الرتب وأثبت أنه مسؤول تنفيذي لا غنى عنه في المنظمة.

وبينما كنا نجلس في مكتب حملة سكافينو في برج ترامب، وهي غرفة صغيرة من الخرسانة بلا نوافذ بها طاولة بلاستيكية وكراسي قابلة للطي، اختبرنا خيارات الإعلان على فيسبوك. وسرعان ما طلبنا من كوري ليفاندوفسكي أن يقدم لنا ميزانية حتى نتمكن من تجربة تكتيكات لتعزيز المحتوى على المنصة. وبصفته مدير فريق الحملة النشط، كان ليفاندوفسكي يتمتع بالعديد من الصفات الجيدة. فقد عمل على مدار الساعة، وكان مخلصًا لترامب بشدة، وكان لديه حس جيد حول كيفية التواصل مع قاعدة الحزب الجمهوري الأولية. لكنه لم يستطع أن يرى الأهمية الاستراتيجية للدخول إلى فيسبوك. لقد أعطانا 500 دولار شهريًا، وهو ما بدا وكأنه دفعة فدية لإبعادنا عن ظهره أكثر من كونه استثمارًا محسوبًا، لكنه كان كافيًا لبدء تجربة تكتيكات مختلفة في أيوا ونيوهامبشاير.

سرعان ما تعلمت أنا وسكافينو أنه إذا وجهنا رسالة إلى الفئة السكانية المناسبة، فإنها ستنتشر كالنار في الهشيم، وتنتشر عبر منصات التواصل الاجتماعي وتتلقى عشرات الآلاف من الإعجابات والمشاركات بتكلفة زهيدة. ومع كشف أقوى المعجبين بترامب عن دعمهم له عبر الإنترنت، بدأ أصدقاؤهم أيضًا في الاعتراف علنًا بدعمهم له.

ولأن الكثير من هذا كان يحدث بشكل طبيعي، فقد واجهنا أنا وسكافينو صعوبة في إنفاق ميزانيتنا الضئيلة. وعندما ذهبنا لشراء إعلان، كانت رسالة ترامب قد وصلت بالفعل إلى الفئات السكانية التي خططنا لاستهدافها وأشبعتها بالكامل. وبحلول عام 2017، غيرت فيسبوك خوارزمياتها، مما جعل من الصعب الحصول على نفس القدر من التعرض العضوي المجاني كما فعلنا أثناء الحملة.

في الصيف الماضي، كنت أتجول في المكتب الرئيسي لشركة ترامبفي برج ترامب، مررت بمكتب أماندا ميلر، رئيسة التسويق والاتصالات في منظمة ترامب. لاحظت قبعة بيسبول حمراء عريضة الحواف قديمة الطراز مكتوب عليها أربع كلمات بخط أبيض غامق: اجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى. قلت ضاحكًا: "لا بد أنك تمزح معي". قالت أماندا إن ترامب اتصل بها إلى مكتبه وصمم القبعة بنفسه وطلب منها طلب ألف قبعة. طلبت مائة قبعة، معتقدة أنه لن يعرف الفرق أبدًا. بعد فترة وجيزة، ارتدى ترامب القبعة في زيارته للحدود الجنوبية، وأصبحت أكثر الأشياء رواجًا على الإنترنت. حتى أنها ظهرت على الصفحة الأولى من قسم الأزياء في صحيفة نيويورك تايمز في مقال بقلم آشلي باركر بعنوان "قبعة حملة ترامب تصبح إكسسوارًا صيفيًا ساخرًا". كان الطلب لا يصدق لدرجة أنني عملت مع أماندا لإنشاء متجر على الإنترنت، حيث بدأنا في بيع ما يقرب من 100000 قطعة.

لقد أنفقنا 8000 دولار في القبعات يومياً. وبحلول شهر ديسمبر/كانون الأول، عندما حضرت تجمعاً جماهيرياً في ولاية أيوا، كانت القبعات الحمراء تغطي الحشد. وعندما نظرت عن كثب، رأيت أن هناك اثنتي عشرة قبعة مقلدة مقابل كل قبعة رسمية. وبوسعنا أن نبيع المزيد من قبعاتنا الأصلية إذا قمنا بتوسيع نطاق التسويق. وقد قدمتني أماندا إلى براد بارسكال، بائع موقع الحملة على الإنترنت، وعملنا على وضع خطة لبدء إنفاق 10000 دولار يومياً على إعلانات فيسبوك لبيع القبعات، متجاوزين بذلك قيود الميزانية التي فرضها ليفاندوفسكي، وخمننا بشكل صحيح أنه بحلول الوقت الذي لاحظ فيه النفقات الكبيرة، كنا سنحصل على نتائج إيجابية لمشاركتها. وسرعان ما تمكنا من زيادة مبيعات القبعات عبر الإنترنت عشرة أضعاف من 10000 دولار إلى 10000 دولار.

8000 إلى 80000 دولار يوميًا، وهو ما مول معظم الحملة.

التكاليف العامة.

وبناء على اقتراح من رئيس مجلس النواب السابق نيوت جينجريتش، بدأت في تصوير مقاطع فيديو يومية على فيسبوك لترامب وهو يسخر من الموضوعات الشائعة. وانتشرت مقاطع الفيديو على نطاق واسع، وحظيت بتغطية إخبارية تقليدية ووصلت إلى أكثر من أربعة وسبعين مليون مشاهد قبل انتخابات أيوا التمهيدية. وقد حصلت على ميزانية قدرها 400 ألف دولار لهذا المشروع، لكنني أنفقت 160 ألف دولار فقط لأن المؤيدين شاركوا مقاطع الفيديو بسرعة أكبر مما يمكننا إنفاقه.

وكما أن افتقار الحملة إلى البنية والخبرة أدى إلى خلق مساحةولكن من ناحية أخرى، فإن هذا قد يؤدي إلى أخطاء فادحة. ففي الثالث عشر من يناير/كانون الثاني، قبل أسبوعين من الانتخابات

التمهيدية في ولاية أيوا، ذكرت صحيفة نيويورك تايمز أن الحملة الانتخابية لم يكن لديها أي تقدم يذكر في الولاية الأولى: "قد يفوز السيد ترامب بالانتخابات التمهيدية، التي لم يتبق له الآن سوى أقل من ثلاثة أسابيع".

ولكن إذا فعل ذلك، فربما يكون ذلك على الرغم من فريقه التنظيمي، الذي لا يزال يبدو هاويا ومتعثرا بعد أشهر من الجهود المتفرقة التي قادها طاقم مدفوع الأجر يتألف من أكثر من اثني عشر شخصا. وبحلول ذلك الوقت، كان ترامبولقد كنت أتحدث بشكل متكرر، فسألني عن رأيي في التقارير الإخبارية. فقال: "هذه المقالات تجعلني أبدو غير كفء. أنا أترشح كرجل أعمال ـ إذا لم أتمكن من إدارة حملة، فكيف يمكنني إدارة البلاد؟". وقد طمأنني ليفاندوفسكي بأننا نتمتع بعملية رائعة. ولكن كانت هناك علامات على أن المشاكل كانت تلوح في الأفق. فقام بارسكال وأنا ببناء أداة متنقلة لمساعدة العديد من المرشحين المحتملين لأول مرة في العثور على أقرب موقع لهم. وطلبنا من ليفاندوفسكي قائمة الناخبين في ولاية أيوا، والتي أخبرني سابقًا أنها تضمنت ثمانين ألف رسالة بريد إلكتروني. وعندما حصل بارسكال على القائمة، اتصل بي منزعجًا: كان ملف البيانات يحتوي على ما يقرب من عشرين ألف اسم، وكانت جودة الملف رديئة.

قبل أسبوع من الانتخابات التمهيدية، أعلن ترامب أنه ينوي تجنب المناظرة التمهيدية لفوكس نيوز في دي موين لأن ميجين كيلي كان من المقرر أن تكون مديرة المناظرة. ورد آيلز بتصريح ساخر: "علمنا من قناة خلفية سرية أن آية الله وبوتن يعتزمان معاملة دونالد ترامب بشكل غير عادل عندما يلتقيان به إذا أصبح رئيسًا". ولكن عندما ضاعف ترامب من موقفه، واصفًا ميجين كيلي بأنها "مراسلة من الدرجة الثالثة ليست جيدة بصراحة في عملها"، شعر آيلز بالتوتر إزاء التصنيفات السيئة التي قد تنتج عن مقاطعة ترامب، واتصل بترامب للتفاوض. كان الأمر أشبه بصديقين قديمين يبحثان عن مخرج من موقف لا يريد أي منهما تصعيده أكثر. كان ترامب يخطط لاستضافة تجمع لجمع الأموال للمحاربين القدامى بدلاً من مناظرة فوكس نيوز. وافق آيلز على التبرع بمبلغ 5 ملايين دولار لمنظمة المحاربين القدامى من اختيار ترامب مقابل مشاركته في المناظرة.

لقد عرض آيلز هذه الاتفاقية على روبرت مردوخ، الذي قال له: "لا سبيل لذلك!" طلب مني ترامب التحدث مع روبرت وحمله على الموافقة على الصفقة. اتصلت بروبرت واقترحت عليه أن يكون الأمر مربحًا للجميع: سيحصل المحاربون القدامى على 5 ملايين دولار، وستحصل فوكس نيوز على زيادة كبيرة في التصنيفات، ويمكن لترامب أن يعلن النصر. صاح روبرت: "هل أنت مجنون؟". "بمجرد أن أبدأ في دفع أجر شخص واحد، يجب أن أدفع للجميع لحضور المناظرات. لا. الجواب هو لا"، ثم أنهى المكالمة فجأة. في تلك الليلة عندما هبطنا في آيوا، تخطى ترامب المناظرة، وجمع ملايين الدولارات للمحاربين القدامى وسرق الأضواء من مناظرة فوكس نيوز.

صباح يوم الانتخابات التمهيدية، واستطلاعات الرأي في صحيفة دي موين ريجستر، والذهبفي وقت سابق، ذكرت إحدى الصحف المحلية أن ترامب كان متقدمًا بفارق خمس نقاط على السيناتور تيد كروز من تكساس. كان ترامب قد طلب من إيفانكا، التي كانت حاملًا في ابننا ثيودور في شهرها السادس، أن تتحدث في أحد أكبر مواقع المؤتمرات الحزبية في الولاية، إلى جانب كروز والسيناتور راند بول من كنتاكي، بينما تحدث في موقع آخر للمؤتمرات الحزبية. عندما وصلنا إلى مركز مؤتمرات دبل تري في سيدار رابيدز، حيث اجتمع أكثر من 2500 ناخب من عشرات الدوائر الانتخابية، كانت جميع الحملات الأخرى بها أكشاك كبيرة يديرها مجموعات من المتطوعين. لقد عرضوا ملصقات أنيقة ووزعوا الكثير من الهدايا. لم نتمكن أنا وإيفانكا من العثور على موظف واحد في حملة ترامب في الموقع. اتصلت بلواندوفسكي، الذي وعد بأن فريقًا في طريقه، لكنني سمعت في صوته المحبط أنه غير متأكد من كيفية تحقيق ذلك. لقد طلبت من مساعدة الحملة التي كانت ترافقنا، وهي امرأة من أريزونا تدعى ستيفاني جريشام، أن تمسك بالجانب الآخر من طاولة اللعب الفارغة. فحملناها إلى المدخل وأقمنا عرضاً مؤقتاً. وبينما كانت إيفانكا تصافح المؤيدين وتلتقط الصور معهم، كنت أنا وجريشام نبحث بشكل محموم عن تعليمات خاصة بالموقع، وهي المعلومات التي طلبها معظم الناس عندما جاءوا إلى طاولتنا. ولم يكن هذا الافتقار إلى الاحتراف في الاختبار الأكثر أهمية حتى الآن علامة مطمئنة على إدارة ليفاندوفسكي.

وعندما صعدنا على متن طائرة صغيرة إلى دي موين للقاء بقية أفراد الأسرة، أظهرت النتائج الأولية أن ترامب يتخلف بفارق عدة نقاط عن كروز. وظللنا صامتين طوال الرحلة التي استغرقت أربعين دقيقة، بينما كان السباق يتلاشى. ورغم تقدمه بمتوسط سبع نقاط في عشرة استطلاعات رأي في الأيام التي سبقت الانتخابات التمهيدية، فقد خسر ترامب ولاية أيوا بأكثر من ثلاث نقاط.

أدرك ليفاندوفسكي أنه كان على أرض مهتزة، وبدلًا من جلبـولكن في ظل الموهبة التي احتاجها لمساعدة حملتنا على النجاح، بدا وكأنه أصبح أقل ثقة وأقل إقليمية. وحاولت مساعدته من خلال تجنيد بيل ستيبين، وهو من العاملين ذوي الخبرة في الحملات الانتخابية، والذي أوصى به أحد أصدقائي الجمهوريين القلائل، كين كيرسون، محرر صحيفة الأوبزرفر. وكان ستيبين أول شخص سياسي أقابله يتمتع بعقلانية. وقد شرح لي نهجه المباشر في إدارة الحملة الانتخابية: أولاً، حدد عدد الأشخاص الذين تعتقد أنهم سيصوتون، ثم اعمل بشكل عكسي للعثور على كتل من الناخبين يصل مجموعها إلى 51% من هذا العدد. ثم افعل كل ما يلزم لحملهم على الذهاب إلى صناديق الاقتراع. وبما أن هذا هو ما كنت أتوقعه، فقد كان من الواضح أن ستيبين كان رجلاً محترماً.

كان ليفاندوفسكي يسافر باستمرار مع ترامب، وكانت الحملة في حاجة ماسة إلى شخص مثل ستيبين لتنظيم المقر الرئيسي والعمليات الميدانية. لقد عرضت على ترامب وليفاندوفسكي توظيفه. بعد أن وافق ترامب في البداية على تعيينه، ادعى ليفاندوفسكي أن ستيبين سيكون بارزًا للغاية وسيسبب مشاكل.

كان ترامب يدرك أن نيو هامبشاير قد تكون حاسمة بالنسبة له، لذا أمضى الأسبوع في التجول في الولاية. وفي عشية الانتخابات، تلقيت مكالمة من آيلز، الذي أخبرني أن استطلاعات الرأي التي أجرتها قناة فوكس نيوز أظهرت أن ترامب سيفوز بالولاية بفارق يزيد على عشر نقاط. كنا نقيم مع ترامب وبقية موظفي الحملة في فندق قديم به أحواض استحمام ساخنة في منتصف غرف النوم. صعدت أنا وإيفانكا إلى غرفة ترامب، التي كنا نعلم أنها تقع فوق غرفتنا مباشرة لأن صوت جهاز التلفزيون الصاخب كان قد أيقظنا في الرابعة من صباح ذلك اليوم. نقلت الأخبار من آيلز. كان ترامب مسرورًا. لقد صدقت نيو هامبشاير على قناعته بأنه قادر على الفوز.

وبعد أقل من أسبوعين، فاز ترامب مرة أخرى في ساوث كارولينا. لكن السباق لم ينته بعد. فقد بدأ اتحاد من الساسة الجمهوريين المؤسسين والمانحين والمؤثرين في وسائل الإعلام في شن حملة شاملة لمنع المرشح من خارج الحزب من الفوز بترشيح الحزب الجمهوري.

{5}

انزعاج غير متوقع

في مارس/آذار، انحصرت الانتخابات التمهيدية فعليا في معركة بين رجلين فقط، بين ترامب وكروز. وكان ترامب يقود كل دورة إخبارية تقريبا ويصقل رسالته الشعبوية، لكننا كنا نعلم أنه إذا كان سيصبح المرشح الأوفر حظا، فإنه يحتاج إلى أن يكون أكثر جرأة.

أظهر للجمهوريين المتشككين أنه كان سيقدم خططًا ملموسة وحلول سياسية جادة.

لقد تواصلت مع هوارد كور، المدير التنفيذي للجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية (AIPAC)، وهي مجموعة مناصرة راسخة، وعرضت أن يشارك ترامب في جلسة أسئلة وأجوبة في مؤتمرهم القادم في واشنطن العاصمة. قبل أربعة أيام من الحدث، اتصل ترامب وقال إنه يريد إلقاء خطاب سياسي كبير بدلاً من ذلك. لتأليف الخطاب، الذي سيكون أول خطاب سياسي مكتوب للحملة، عملت مع كين كورسون. لم يكن المسودة الأولى تشبه المرشح على الإطلاق، ولكن بعد قراءتها، أعطانا ترامب تعديلات مكثفة جعلتها خاصة به.

في اليوم السابق للحدث، اتصل بي ليفاندوفسكي من مار- أ- لاغو،كان ليفاندوفسكي قد اتصل بي في وقت سابق، وقال ليفاندوفسكي: "عليك الاتصال به في أقرب وقت ممكن. إنه يريد إلغاء الخطاب". كان ترامب قد رأى تقارير إخبارية تشير إلى أن المحتجين قادمون الآن إلى لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية. اتصلت به على الفور. قلت له: "لن يكون هؤلاء المحتجون مثل أولئك الذين تظاهروا في مسيراتكم الأخيرة. بل سيبدو الأمر وكأن سبعين شخصًا يستيقظون لشراء هوت دوج أو استخدام الحمام في ملعب يضم عشرين ألفًا. إن إلغاء الخطاب في اللحظة الأخيرة سيبدو ضعيفًا وسيعزل الناخبين المؤيدين لإسرائيل". كان ترامب أيضًا مترددًا في استخدام جهاز التلقين. لقد سخر من السياسيين الذين استخدموه. اقترحت: "يمكنك استخدامه كملاحظات. لقد قمنا بتثبيت جهاز التلقين في قاعة الرقص مع تحميل الخطاب. حاول أن تستمع إلى خطابي.

"لقد كان الأمر ممتعًا للغاية. لقد ...

في اليوم التالي، عندما اعتلى ترامب المنصة، كنت أتجول ذهابا وإيابا خلف المسرح. ولدهشتي، التزم ترامب في الغالب بالنص، باستثناء واحد. فقد قرأ السطر، "مع الرئيس أوباما في عامه الأخير"، ثم أضاف عبارة واحدة: "ياي". فانفجر الحشد المبتهج بالتصفيق. كان إحباطهم تجاه الرئيس أوباما يتزايد منذ وقع على الاتفاق النووي مع إيران قبل عام. وعندما غادر ترامب المسرح، أعطاني مجاملة نادرة: "عمل جيد".

حتى منتقديه أشادوا بالخطاب. فقد أشاد تشارلز كراوثامر بالخطاب ووصفه بأنه خطاب رئاسي. أما المكالمة السلبية الوحيدة التي تلقيتها فكانت من كوهر،كان كوهر ينوي إصدار بيان. لقد صدمت. حذرته قائلاً: "إنك ترتكب خطأً فادحًا. لقد جعل ترامب لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية أكثر سخونة من أي وقت مضى، والآن لديه فرصة واحدة من اثنتين للفوز بالترشيح. لماذا تنفر شخصًا لديه كل هذه الإمكانات ليكون رئيسًا للولايات المتحدة؟". خرج البيان في اليوم التالي. لم ينس ترامب ذلك. خلال السنوات الأربع التي قضاها في الرئاسة، لم يعد أبدًا لإلقاء كلمة في مؤتمر لجنة الشؤون العامة الأمريكية الإسرائيلية، على الرغم من كونه بطلاً للحاضرين.

وبعد شهر واحد، ألقى ترامب مرة أخرى في فندق ماي فلاور في واشنطن العاصمة خطابًا موضوعيًا مكتوبًا بعنوان "أمريكا".كان الحدث الذي أقيم على متن سفينة ماي فلاور مهما لسبب مختلف أيضا. فخلال حفل استقبال صغير، تم تقديم جيف سيشنز، السيناتور الأمريكي من ولاية ألاباما، وأنا، إلى ما يقرب من أربعين ضيفا، بما في ذلك سيرجي كيسلياك، سفير روسيا لدى الولايات المتحدة. لقد تصافحنا وتبادلنا المجاملات وواصلنا المسير. في ذلك الوقت، لم أفكر في الأمر على الإطلاق؛ فهذه الأنواع من المناسبات تعج دائما بكبار الشخصيات الأجنبية. لم أكن أعلم أن لقاءنا الحميد سيصبح محوريا لتحقيق هائل ومعقد وفي نهاية المطاف لا طائل منه.

في السابع والعشرين من مارس/آذار، رحبت أنا وإيفانكا بطفلنا الثالث. ولأنه كان طفلاً سياسياً، فقد حملت به وولد أثناء ترشحه للرئاسة، فقد أطلقنا عليه اسمكان ترامب قد أطلق على نفسه اسم "الرئيس الشجاعة والتحولية" بعد الرئيس السادس والعشرين للولايات المتحدة، ثيودور روزفلت، الذي كان مثل ترامب، نشيطًا وغير محترم. بعد أسبوع من ولادة إيفانكا، اتصل والدها وسألها عما إذا كانت ستأتي إلى تجمع جماهيري في لونغ آيلاند في ذلك المساء لتقديمه. كان قادمًا من خسارة في الانتخابات التمهيدية في ويسكونسن، وكانت إيفانكا ترفع معنوياته دائمًا. وافقت، وظهورها في التجمع - جنبًا إلى جنب مع الزخم الذي اكتسبته الحملة - أعاد تنشيط ترامب. منذ تلك النقطة فصاعدًا، فاز بكل الانتخابات التمهيدية المتبقية.

في الثالث من مايو/أيار، كنت أنا وإيفانكا مع والدها في برج ترامب عندما ظهرت نتائج الانتخابات التمهيدية في إنديانا. ونشرت قناة فوكس نيوز عنوانا رئيسيا عاجلا: كروز ينسحب من السباق. وعلى الرغم من كل الصعاب، حقق ترامب انتصارا لم يسبق لمرشح جمهوري أن حققه من قبل دون خلفية سياسية أو عسكرية. لقد وضع كل شيء على المحك، وقاتل من أجل ما يؤمن به، وهزم ستة عشر مرشحا للفوز بترشيح الحزب الجمهوري. وفي نشوة، التفت ترامب إلى إيفانكا وأنا: "هل تصدق أننا نجحنا في تحقيق هذا الأمر؟".

كلما أمضيت وقتًا أطول مع ترامب في مسار الحملة الانتخابية، بدأت أفهم لماذا شعر الملايين من الناس بأن الحلم الأمريكي أصبح أصعب فأصعب تحقيقًا. لقد وافقت حمي على أن الوضع الراهن لم يعد يعمل. يجب تعطيل واشنطن وطبقتها الحاكمة. لم أكن أرغب في النظر إلى الوراء بعد عشرين عامًا والندم على عدم بذل كل جهد في جهد متمرد لتغيير أمريكا للأفضل. لذا مع دخول الحملة مرحلة الانتخابات العامة، أصبحت أكثر انخراطًا مما كنت أتوقع، بما في ذلك القرارات المتعلقة بالموظفين والتمويل، واستراتيجية الإعلان الرقمي لدينا، وجدول سفر الرئيس. لقد تعلمت أنه عندما يقلق ترامب بشأن التفاصيل، فإنه يشعر بالإحباط وتشتت الانتباه. عندما يدير فريقه العمليات بشكل جيد، فإنه يركز أكثر على الاستراتيجية والرسالة. ترامب السعيد هو ترامب الفائز.

بدأت العمل مع براد بارسكال لتعزيز عملياتنا الرقمية.لقد كنت على اتصال بمؤسس شركة تكنولوجيا قامت بشراء كميات قياسية من الإعلانات الرقمية، ووافق على السفر إلى سان أنطونيو للقاء بارسكال وفريقه. لقد وصل قبل بضع دقائق وطلب بارسكال، الذي كان في غرفة المؤتمرات يناقش الأمر.

اجتماع الفريق. لم يكن مؤسس شركة التكنولوجيا من النوع الذي يضيع الوقت، بل سار "دخل بارسكال قاعة المؤتمرات مباشرة. "من هم أفضل ثلاثة مصممين للإعلانات لديك؟" سأل بارسكال. دون انتظار إجابة، بدأ يصرخ بالأوامر للجميع في الغرفة وكأنه رقيب تدريب. أرسل شخصًا لشراء مراتب هوائية حتى يتمكن الموظفون من البدء في العمل في نوبات، أربع وعشرين ساعة في اليوم. قال: "لديك مائة وخمسون يومًا فقط حتى نهاية الحملة، وأنت متأخر كثيرًا عن المنافسة، وسوف تحتاج إلى كل ثانية بين الآن وحتى ذلك الحين لتعويض الأرض".

لقد قمنا بإنشاء عملية تشبه عملية التداول، حيث تنافست فرق الإعلان ضد بعضها البعض لدفع المشاركة وجمع التبرعات للحملة. لإدارة العملية، استعنا بغاري كوبي، الخبير الرقمي الأكثر إثارة للإعجاب في اللجنة الوطنية الجمهورية وأحد الأشخاص القلائل في المؤسسة الجمهورية الذين أرادوا فوز ترامب. في كل يوم، حصل الفريق الذي حقق أفضل عائد على الاستثمار على أموال إضافية لشراء حصة أكبر من الإعلانات في اليوم التالي. اختبرت الفرق كل شيء، وصولاً إلى ما إذا كان زر "تبرع هنا" يجب أن يكون باللون الأخضر أو الأحمر، أو ما إذا كان الإعلان يحقق أداءً أفضل مع نسر أو علم أمريكي أو صورة ترامب. أنتجت هذه البيئة شديدة التنافسية نتائج مذهلة. تحت قيادة بارسكال وكوبي، اختبرت فرق الإعلان أكثر من مائة ألف مجموعة إعلانية كل يوم، وجمعت بيانات الرأي العام في الوقت الفعلي التي تسبق استطلاعات الرأي بعدة أيام وأبلغت الحملة عن الرسائل التي لاقت صدى أكبر لدى الناخبين. سرعان ما رأينا أن الإعلانات حققت أداءً أفضل عندما ركزت على سياسات ترامب المؤيدة لأمريكا، مثل بناء الجدار، بدلاً من مهاجمة المرشحين الآخرين. وفي المجمل، أنتجت حملتنا نحو ستة ملايين نسخة إعلانية، وهو رقم يفوق بكثير ما أنتجته حملة كلينتون والذي بلغ ستة وستين ألف نسخة.

في الأشهر الأربعة الأخيرة من الحملة، جمعت عملياتنا الرقمية أكثر من 250 مليون دولار في شكل تبرعات صغيرة - وهو رقم غير مسبوق - وأقنعت ملايين الناخبين بدعم ترامب في هذه العملية. كتب أندرو بوسورث، المدير التنفيذي لشركة فيسبوك الذي أشرف على إعلانات الشركة خلال انتخابات عام 2016، مذكرة في وقت لاحق زعم فيها أن ترامب انتُخب ليس بسبب روسيا أو "المعلومات المضللة" ولكن "لأنه أدار أفضل حملة إعلانية رقمية رأيتها على الإطلاق من أي معلن. نقطة".

* * *

في نفس الوقت تقريبًا الذي أطلقنا فيه عملياتنا الرقمية، قرر ترامب توسيع قيادة حملته. أراد ترقية بول مانافورت - وهو مستشار حملة مخضرم انضم إلى حملتنا في مارس - إلى منصب المدير المشارك للحملة. طلب مني ترامب أن أخبره بالخبر. عندما التقيت بلواندوفسكي، أوضحت أن الأمر ليس شخصيًا. كانت الحملة تنمو؛ وكانت المخاطر تتزايد.

"اعتبر هذا بمثابة علامة على نجاحك"، طمأنته. "لقد فاز ترامب في الانتخابات التمهيدية، وأنت تقوم بعمل رائع".

بدأ ليفاندوفسكي في التذمر وغادر المكان، لكنه استجمع قواه للقاء مانافورت وقيادة الحملة. وفي وقت مبكر من ذلك المساء، اتصل بي وهو يبكي. وقال: "لم أعد أستطيع أن أفعل هذا بعد الآن. لقد ضحيت بحياتي كلها من أجل هذا".

سألت ليفاندوفسكي عما قد يجعله سعيدًا، واقترحلقد كان من المفترض أن يكون مانافورت رئيسًا للحملة بدلاً من أن يكون مديرًا مشاركًا لها. لقد أغلقت الهاتف، معتقدًا أننا توصلنا إلى حل مقبول، لكن لو أندوفسكي اتصل بي مرتين أخريين في ذلك المساء، وبدا غير متماسك وهددني بالاستقالة. لقد شعرت بالغضب، وأطلعت ترامب على الموقف. كنت خائفًا من أن يكون ليفاندوفسكي قد انهار تحت الضغط.

"سأتعامل مع الأمر غدًا"، أخبرني ترامب.

في صباح اليوم التالي، اتصل ترامب بليفاندوفسكي وقال له: "انظر، أنت"إنني مدير حملة جيد جدًا، ولكن هناك أيضًا ستة عشر مدير حملة جيدون حقًا يجلسون في منازلهم الآن لأنهم لم يكونوا عملاءً لهم. جاريد ليس طبيبك النفسي. أنا لست طبيبك النفسي. إما أن تستعيد قواك أو تعود إلى المنزل".

{6}

"أنا صوتك"

لم يستغرق الصدام بين ليفاندوفسكي ومانافورت وقتًا طويلاًلقد كانا يرغبان في قيادة عملية البحث عن مرشح لمنصب نائب الرئيس. سألت ترامب كيف يريد المضي قدما، فأجاب: "سأقوم بنفسي بعملية البحث".

واقترح مانافورت أن يكون المرشح لمنصب نائب الرئيس قادرًا علىكان من الصعب على ترامب أن يحقق أهدافه على ثلاث جبهات: طرح واضح أثار حماس المؤيدين، وأداء ناجح في المناظرة، والقدرة على عدم سرقة الأضواء. بعد أن استعرض نصف دزينة من الأسماء، ضيق ترامب نطاق البحث عن نائب الرئيس إلى ثلاثة: مايك بنس، ونيوت جينجريتش، وكريس كريستي. أيد كريستي ترامب في فبراير، ليصبح أحد الشخصيات الرئيسية الأولى في المؤسسة الجمهورية التي تفعل ذلك. لقد فهم ترامب جيدًا التوتر بينه وبين عائلتي. عندما عرض كريستي تأييده، في الواقع، اتصل ترامب بوالدي وسأله عما إذا كان مرتاحًا لقبوله التأييد. أصبح ترامب ووالدي صديقين مقربين بعد زواجي من إيفانكا، وقد قدر والدي هذه البادرة الصادقة. أخبر ترامب أنه سعيد بحياته الحالية وشجعه على فعل كل ما هو أفضل للحملة. فجأة، أصبح العدو القديم لعائلتي حليفًا سياسيًا.

بعد أن قرأنا ملفات فحص المرشحين الثلاثة، مازحت بأن ملف كريستي يشبه رواية جون جريشام المثيرة، وملف جينجريتش يشبه رواية رومانسية لدانييل ستيل، وملف بنس يشبه الكتاب المقدس.
اعتقدت أن بنس هو الخيار الأمثل. فهو حاكم من الغرب الأوسط يتمتع بخبرة في واشنطن كعضو في الكونجرس، وكان يحظى باحترام الإنجيليين، وطبيعته الثابتة كانت توازن حماس ترامب. اقترحت أن يدعو ترامب حاكم إنديانا إلى بيدمينستر للعب جولة غولف حتى يتمكنا من التعرف على بعضهما البعض. لم يكن لدي أي فكرة عن مدى الألم الذي قد تسببه هذه المقابلة غير الرسمية بالنسبة لبنس، الذي لم يكن لاعب غولف متحمسًا وكان من الصعب عليه أن يتعرف على بعضهما البعض.

ربما كان يفضل استجوابه من قبل وكالة المخابرات المركزية. لقد أعطاه ترامب ثلاث ضربات لكل حفرة، واستغرقت الجولة أربع ساعات - أكثر من ضعف الوقت الذي يستغرقه ترامب عادة للعب ثمانية عشر حفرة. في نهاية جولتهما، سخر ترامب بطيبة خاطر من مايك لإحرازه حفرة صفرية في حفرة ثلاثية، بينما سجل بارًا فعليًا في الحفرة.

بعد أن أدار أعمالًا عائلية لعقود من الزمن، اعتاد ترامب على استشارة أبنائه البالغين بشأن القرارات الكبرى، لذلك أراد منهم أن يلتقوا به.كان ترامب يقوم بحملة انتخابية في ولاية إنديانا وكان يخطط لإحضار بنس معه إلى نيويورك. لكن طائرته، ترمب فورس وان، انفجرت في أحد إطاراتها وظلت على الأرض طوال الليل. اتصل إريك وقال إننا بحاجة للوصول إلى إنديانا على الفور. في صباح اليوم التالي، فوجئت وسائل الإعلام عندما دخل ترامب وعائلته من الباب الأمامي لقصر الحاكم. أخذتنا عائلة بنس في جولة حول منزلهم. خلال الجولة القصيرة، أشارت كارين بنس إلى أن الأثاث كان مصنوعًا بالكامل من قبل نزلاء السجن من خلال برنامج تدعمه، وأعطت بنس ترامب كتابًا بعنوان "الرجل المنسي"، تاريخ الكساد الأعظم.5 في الداخل، نقشت بنس ملاحظة: "إلى دونالد ترامب، بإعجاب كبير بالطريقة التي أعطيت بها صوتًا للرجال والنساء المنسيين في أمريكا". نظرًا لأن الزيارة كانت في اللحظة الأخيرة، فقد عرضت كارين الزهور التي قطفتها من حديقتها في ذلك الصباح وقدمت وجبة الإفطار في صواني الألمنيوم الجاهزة من مطعم محلي. افتتح بنس كلمته بصلاة بسيطة، طالباً من الرب أن يراقب عائلتنا بينما نقاتل من أجل البلاد.

في يوم الجمعة 15 يوليو/تموز، أعلن ترامب عن اختيار بنس نائبا له. وعلى مدى السنوات الخمس التالية، ظللت أنتظر أن يتخلى بنس عن شخصيته ــ أن يفعل ما يفعله أغلب الساسة خلف الكواليس وينتقد الآخرين، ويتذمر من المواقف، ويرفض طلبات السفر إلى الفعاليات ــ لكنه لم يفعل ذلك قط.

كانت قيادة مانافورت وليواندوفسكي للحملة قصيرة الأجل. من حيث الأسلوب والقوة، كانا متناقضين تمامًا. بينما كان ليواندوفسكي سريعًا وغريزيًا وفطريًا، كان مانافورت متحفظًا ومنهجيًا وتحليليًا. لم يساعد ذلك في تخريب كل منهما للآخر بشراسة، حيث ادعى كل منهما أن الآخر كان يسرب إلى الصحافة. بحلول منتصف يونيو، كان ليواندوفسكي خارجًا. عندما تولى مانافورت القيادة، طلب مني ترامب التعامل مع الشؤون المالية للحملة. لقد جلبت جيف ديويت، أمين صندوق ولاية أريزونا، وشون دولمان، وستيفن منوشين، رئيس جمع التبرعات الوطنية للحملة، لإدارة الحملة.

لقد تعلمنا من مشاهدة خصومنا الرئيسيين مثل سكوت ووكر وجيب بوش أن النفقات يمكن أن تتضخم بسرعة خارج نطاق السيطرة مع نمو الحملة. أردنا تجنب أخطائهم.

* * *

في الفترة التي سبقت الانتخابات الجمهوريةفي يوليو/تموز، اقترح مانافورت أن يكون خطاب قبول ترامب حافلاً بشعارات وموضوعات تم اختبارها من قبل استطلاعات الرأي. وعلمنا لاحقاً أن مانافورت أنفق نحو 300 ألف دولار على الاستعانة بمستطلع رأي يدعى توني فابريزيو لصياغة الرسالة. ولصياغة الخطاب، استعان مانافورت بستيفن ميلر، وهو أحد كبار مساعدي جيف سيشنز، الذي عينته كاتباً رئيسياً للخطابات ومنسقاً للسياسات في الحملة قبل أشهر.

عندما راجع ترامب المسودة، كرهها. لمدة ثلاث ساعات، أملى خطابًا جديدًا على ستيفن ميلر. أراد ترامب التركيز على الهجمات المروعة الأخيرة على الشرطة. في 7 يوليو، أطلق مسلح مختل عقليًا النار على خمسة من ضباط شرطة دالاس وقتلهم. بعد أيام، في باتون روج، لويزيانا، هاجم قاتل آخر ستة ضباط شرطة، مما أسفر عن مقتل ثلاثة منهم وإصابة الآخرين بجروح خطيرة. غضب ترامب من الشر والظلم. شعر أن الرئيس أوباما أشعل الكراهية تجاه إنفاذ القانون، مما عرض ضباط الشرطة في كل مكان للخطر. عندما انتهوا من المسودة، قال ترامب، "أحب الخطاب على هذا النحو - لا تغير أي شيء".

كان ذلك يوم الأحد الموافق 17 يوليو/تموز، أي قبل أربعة أيام فقط من الخطاب الأكثر أهمية الذي سيلقيه ترامب حتى الآن. اتصل بي ستيفن وهو في حالة من الذعر الشديد: "لم تكن القراءة كافية لتوضيح ما كان يحدث"."لقد كان الأمر جيدًا. لقد ألقى علي خطابًا جديدًا تمامًا من شأنه أن يجعل تعليقاته المثيرة للجدل في الماضي تبدو فاترة بالمقارنة."

كنت قد خططت للمغادرة إلى كليفلاند في اليوم التالي مع إيفانكا. فقد طلب منها ترامب أن تقدمه، وأردت أن أدعمها وهي تستعد لتلك اللحظة الكبرى. وبعد أن تلقت في البداية مسودة متكلفة من مانافورت لتقديمها، ألغت المسودة وكتبت ملاحظاتها الخاصة. لكن ستيفن ميلر طلب مني البقاء في نيويورك ومساعدته في الانتهاء من الخطاب مع ترامب. ولأنني أعرف المخاطر، سألت إيفانكا عما إذا كانت موافقة على ذلك. وكالعادة، كانت مستعدة لتلك اللحظة وشعرت أنه من الأهمية بمكان أن أبقى في مكاني.

لقد قمت أنا وستيفن بطباعة الخطاب الذي أملاه ترامب ووضعنا الصفحات الاثنتين والعشرين على طاولة كبيرة في غرفة الاجتماعات.

برج ترامب. يتمتع ترامب بذاكرة شبه فوتوغرافية، لذا كنا نعلم أنه سيلاحظ أي فاصلة غير مناسبة. وإذا حاولنا جاهدين تغيير كلماته، فسوف يضاعف جهوده. لذا قمنا بإعادة تنظيم الفقرات لتحقيق التدفق المنطقي وتعديل السطور التي اعتقدنا أنها ستسبب الكثير من ردود الفعل العنيفة. في اليوم التالي، سلمنا المسودة الجديدة إلى ترامب بتوتر. وبينما كان يقرأها، كان يتوقف كثيرًا ويسأل: "لماذا غيرت هذا السطر؟" أو "لماذا نقلت هذا؟"

بحلول الوقت الذي انتهينا فيه من ساعتين ونصف من التحرير، كان ترامب مستاءً وراضيًا في الوقت نفسه. "الآن، من فضلك لا تلمسها هذه المرة حقًا".

في الحادي والعشرين من يوليو/تموز، ألقى ترامب خطابه في مؤتمر أمام قاعة "كويكين لونز أرينا" المكتظة بالجمهور في كليفلاند، وحضره خمسة وثلاثون مليون مشاهد في مختلف أنحاء البلاد. وكان نجاحه ساحقاً. وفي صباح اليوم التالي، حملت الصفحة الأولى من صحيفة نيويورك تايمز عنوان "ترامب، كمرشح، يتعهد: أنا صوتك". كما سحقت إيفانكا خطابها. فقد ألقت رسالتها بسهولة ورشاقة، مسلطة الضوء على العديد من القضايا نفسها التي دافعت عنها في شركتها، بما في ذلك دعم الأمهات في القوى العاملة وجعل رعاية الأطفال ميسورة التكلفة ويمكن الوصول إليها. لم تكن هذه قضايا جمهورية تقليديا، لكنها كانت تعلم أن والدها سيؤيدها.

لقد نفذ مانافورت مؤتمرًا ناجحًا للغاية وكان أصيلاًكان مانافورت يتواصل مع ترامب ويضمن حصوله على المندوبين للترشيح. ولكن بعد بضعة أسابيع، بدأت التقارير تتسرب حول تعاملات مانافورت التجارية مع الحزب السياسي المدعوم من الكرملين في أوكرانيا. في ذلك الوقت، كان مانافورت يكافح من أجل تطوير الكيمياء مع حمي. كان يتحدث ببطء وكتم كلماته. كان ترامب يتجاهله، ولم يعدل مانافورت أبدًا من نهجه. ولم يساعد ذلك أن ليفاندوفسكي انتقد مانافورت بانتظام على شبكة سي إن إن واتصل بترامب للإشارة إلى جميع الطرق التي فشل بها مانافورت في الحملة. خلف الكواليس، كان مانافورت يقوم بعمل ممتاز في بناء البنية التحتية للحملة، لكنه كان يتحمل الكثير من الماء علنًا لدرجة أن منصبه أصبح غير قابل للدفاع عنه.

في الفترة التي سبقت قرار ترامب بإقالة مانافورت، كنت أعمل عشرين ساعة في اليوم لأسابيع متواصلة، مقسمة الوقت بين الإشراف على أعمالي والمساعدة في بناء وإدارة أجزاء مختلفة من الحملة. تولت إيفانكا حصة غير متناسبة من واجبات الأبوة بينما ساعدت أيضًا في قيادة أعمال والدها وإدارة أعمالها الخاصة.

الشركة. في أغسطس، قمنا برحلة نهاية الأسبوع لإعادة شحن طاقتنا قبل الدخولفي نهاية الحملة الانتخابية، تلقيت مكالمة من ترامب بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من مغادرتنا. قال لي: "لقد حان الوقت لرحيل بول. أنا معجب به، لكنه لا يملك الطاقة التي نحتاجها". وذكر ستيف بانون وطلب مني أن أضمه إلى فريقنا.

كان بانون الرئيس التنفيذي لشبكة بريتبارت الإخبارية، وهو موقع إخباري له علاقات قوية بقاعدة ترامب المحافظة المناهضة للمؤسسة. وكان ضابطا بحريا سابقا، وخريج كلية هارفارد للأعمال، ومصرفيا في جولدمان ساكس، وقد أوصت به بشدة المتبرعة الجمهورية ريبيكا ميرسر. وفي الثالثة والستين من عمره، كان بانون شخصية سياسية غير تقليدية. كان فظا وغير مهذب، وله ظل دائم، ولم يقود حملة قط. وعندما اتصلت ببانون لإقناعه بالانضمام إلى الفريق، رد بصراحة: "لا أريد الانضمام إلى سفينة تغرق. لديكم مرشح غير منضبط. ليس لديكم أي عملية".

لقد رددت: "هذه فرصة أفضل بكثير مما تعتقد."إن الحزب الجمهوري يتمتع بخبرة كبيرة في مجال الاتصالات، ونحن نعمل على دمجها مع عملياتنا الميدانية. لقد قمت للتو بتعيين جيسون ميلر، وهو متخصص في الاتصالات يتمتع بخبرة واسعة في الحملات الانتخابية، لإدارة رسائلنا وبناء فريقنا الصحفي، ولدينا عملية بيانات رقمية متطورة قمت ببنائها مثل شركة ناشئة - لكنك لم تسمع عنها لأن الأشخاص الذين يديرونها ليسوا سياسيين".

لقد أبلغت ترامب بأنني عقدت صفقة مع بانون بأن يصبح هو الرئيس التنفيذي للحملة، وأوصيته بترقية كيليان كونواي إلى منصب مدير الحملة. لقد وظفت كونواي قبل شهر تقريبًا كمستشارة استطلاعات رأي للمساعدة في رسالتنا. وبينما كان ترامب مترددًا في البداية في توظيفها نظرًا لكل الأشياء السلبية التي قالتها عنه عندما عملت مع تيد كروز، فقد أصبح يقدر مهارتها في الدفاع عن حملته على شاشة التلفزيون. لقد حققت التاريخ كأول مديرة حملة رئاسية جمهورية. ووقع ترامب على الخطة، لكن مانافورت كان لا يزال من الناحية الفنية رئيس الحملة.

في وقت مبكر من صباح التاسع عشر من أغسطس/آب، اتصل بي ترامب وأراد قطع مشاركة مانافورت في الحملة. وكانت قصة أخرى قد كشفت عن التعاملات المشبوهة المزعومة مع أوكرانيا. التقيت بمانافورت لتناول الإفطار في الساعة الثامنة من صباح ذلك اليوم في مطعم سيبرياني على الجادة الخامسة، وهو مطعم إيطالي مكسو بالألواح الخشبية يقع عبر الشارع من سنترال بارك.

"أكره القيام بهذا لأنني أصبحت مغرمًا جدًا بالعمل معًا"وقلت لمانافورت: "إنني أقدر المساهمات المذهلة التي قدمتها، ولكن حان الوقت لإجراء تغيير".

لقد صدم. "حسنًا، لقد فهمت الأمر، دعني أحصل على أسبوع لأكتشف هذا الأمر."

"أتمنى لو كان بوسعي أن أعطيك أسبوعًا"، قلت، "لكن هذا الأمر يجب أن يتم اليوم. لدي مسودة بيان أشكرك فيها على خدمتك. سيصل ترامب إلى لويزيانا في الساعة العاشرة والنصف صباحًا، ويريد أن يطلع على الأخبار مسبقًا".

كان مانافورت غاضبًا، لكنه تعامل مع الأمر كرجل نبيل. عدنا إلىلقد كان ذلك في مقر الحملة، حيث وقع على البيان، وأصدرناه قبل هبوط ترامب مباشرة. لقد حزم مانافورت أمتعته وغادر. ومع مرور واحد وثمانين يومًا فقط على يوم الانتخابات، بدأ السباق نحو خط النهاية.

{7}

"سوف نفوز"

وعد ترامب بجعل المكسيك تدفع ثمن بناء جدار جديد على الحدود مع الولايات المتحدة.لقد أصبحت الحدود الجنوبية للولايات قضية حيوية في الحملة، ومثيرة للجدل بنفس القدر في الولايات المتحدة والمكسيك.
في ربيع عام 2016، تواصلت معي صديقة لنقل رسالة: لويس فيديجاراي كاسو، وزير مالية الرئيس إنريكي بينيا نييتو، يريد التواصل مع حملة ترامب. تصورت أن هذا كان مزحة، لكنها أصرت على أن "هذه محاولة جادة ومهمة للغاية، وهو شخص جاد للغاية". لم يكن لدي أي فكرة عن مدى أهمية لويس بالنسبة لي في السنوات القادمة.

في مقهى فندق قاتم في إحدى ضواحي واشنطن العاصمة بولاية ماريلاند، التقيت أنا ودونالد جونيور بلويس لتناول القهوة. وخلال المناقشة، وجدنا المزيد من القواسم المشتركة أكثر مما كان يتصوره المرء. كان لويس، الذي حصل على درجة الدكتوراه في الاقتصاد من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، ذكيا وبارعا في السياسة. لقد تجاوز التلاعب الإعلامي بتصريحات ترامب ورأى فرصة. نادرا ما كان المرشحون الرئاسيون الأميركيون ينتبهون إلى المكسيك. لقد شعر أن الولايات المتحدة والمكسيك يمكنهما تحسين علاقتهما من خلال تحديث اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية، أو اتفاقية التجارة بين الولايات المتحدة والمكسيك وكندا التي أدانها ترامب بشكل روتيني. كما كان يعتقد أن إصلاح الهجرة، ووقف تدفق الأسلحة والأموال غير القانونية، من شأنه أن يعود بالنفع المتبادل. والأمر الأكثر إثارة للدهشة هو أن لويس كان متأكدا من أن ترامب سيفوز في الانتخابات، وكان يريد إقامة علاقة على الفور.

بعد بضع محاولات فاشلة، تمكنت من ترتيب وجبة إفطار بينترامب ولويس في بيدمينستر. خلال الإفطار، طرح ترامب فكرة السفر إلى مكسيكو سيتي للقاء الرئيس بينيا نييتو.

"إذا دعوناك،" أوضح لويس، "فإننا سوف ندعو هيلاري أيضًا."

ضحك ترامب وقال: "لا بأس، لن تأتي أبدًا". لقد كان على حق.

كنت أعلم أن الرحلة إلى المكسيك ستكون مخاطرة كبيرة، ولكنني كنت أعلم أيضًا أن ترامب كان في أفضل حالاته عندما فعل ما لم يكن متوقعًا. في ذلك الوقت، كان ترامب متراجعًا بثلاث عشرة نقطة، وكانت استطلاعات الرأي الخاصة به تتأرجح بسبب الاضطرابات الأخيرة في الحملة والهزات. كنا بحاجة إلى اللعب بشكل كبير للبقاء في اللعبة. كانت الرحلة إلى المكسيك ستفاجئ الجميع. ستُظهِر أن ترامب يمكنه التصرف كرئيس على المسرح العالمي، وهو ما من شأنه أن يعاكس الرواية الإعلامية. كما ستُظهِر أنه ليس ضد الشعب المكسيكي؛ بل كان ضد التدفق غير المقيد للهجرة غير الشرعية. سألت بانون عن رأيه، ووافق على أن الرحلة تستحق المخاطرة، لذلك بدأنا في التخطيط للخدمات اللوجستية.

كان لابد من كتابة كل تفاصيل الزيارة بدقة وبشكل لا تشوبه شائبةكان من المفترض أن ننفذ هذه الخطة. كان علينا أن نبقي خططنا سرية. فإذا تسربت كلمة مسبقًا، فقد يضغط ذلك على الرئيس بينيا نييتو لسحب الدعوة. وكانت هناك أيضًا عواقب أمنية هائلة؛ إذ يُقال إن تعليقات ترامب بشأن الهجرة غير الشرعية أثارت غضب زعيم المخدرات سيئ السمعة إل تشابو، الذي ورد أنه وضع مكافأة قدرها 100 مليون دولار لمن يأتي بترامب. وفي يوم الجمعة الذي سبق موعد مغادرتنا، ألغى ترامب الرحلة. ويبدو أن رئيس جمع التبرعات لحملته الانتخابية ستيفن منوشين أخبره أن خطأً صغيرًا قد يحول الرحلة بأكملها إلى كارثة مهينة. في ذلك الوقت، كانت هناك علامات على أن ترامب كان يحقق عودة في استطلاعات الرأي، ولم يكن يريد أن يجرب حظه.

"إنها مخاطرة كبيرة"، هكذا قال. "ماذا لو سافرنا إلى المكسيك، ووقف بجانبي على المنصة وألقى عليّ محاضرة قائلاً: "أنا لن أدفع ثمن جدارك الغبي". سيكون ذلك بمثابة كارثة، وسوف تنهار الحملة الانتخابية.لقد

حاولت أن أشرح له أنني أثق في لويس وأنني أعتقد أنني أستطيع التخفيف من حدة هذه المخاطر، ولكنني لا أستطيع القضاء عليها بالكامل. ولكن في أعماقي، كنت أشعر براحة طفيفة؛ فقد كنت أعلم أنه إذا حدث أي خطأ، فإنني أتحمل المسؤولية الكاملة.

اتصلت ببانون وسألته عما يعتقد أنه ينبغي لنا أن نفعله. فأجاب: "هذه الرحلة جيدة للغاية ولا ينبغي أن نتركها تمر". التقينا أنا وترامب في بيدمينستر وناقشنا مخاوفه قبل أن يقرر المضي قدمًا.

في الليلة التي سبقت المغادرة، وصلتنا أخبار مفادها أننا متجهون إلى المكسيك.لقد صدم الناس.

عندما صعدنا على متن الطائرة غير المميزة المتجهة إلى مدينة مكسيكو، تأكدت من أن أحد موظفي الحملة حمل شحنة مهمة كنت قد طلبت إرسالها كهدية إلى الرئيس المكسيكي: قبعات حمراء مطرزة بخمس كلمات،"لنجعل المكسيك عظيمة مرة أخرى أيضًا."

وصلنا إلى مدينة مكسيكو في الحادي والثلاثين من أغسطس/آب. والتقى ترامب وبينيا نييتو على انفراد قبل أن يخرجا لعقد مؤتمر صحفي مع الصحفيين المكسيكيين فضلاً عن عدد قليل من الصحفيين الأميركيين الذين قفزوا على متن طائرة في أقرب وقت ممكن.كما علموا بالرحلة. وألقى كل من السياسيين بيانات، متمسكين بموقفهم بشأن القضايا الرئيسية، ولكن أظهروا أن الولايات المتحدة والمكسيك لديهما العديد من المصالح المتداخلة.

وقال الرئيس المكسيكي "برغم أننا قد لا نتفق على كل شيء، إلا أنني أثق في أننا معًا سنكون قادرين على إيجاد رخاء وأمن أفضل".

وقال ترامب "إن المكسيك القوية والمزدهرة والحيوية هي في مصلحة الولايات المتحدة وستحافظ على أمريكا متحدة لفترة طويلة من الزمن".

لقد كان من المستحيل أن تسير الأمور على نحو أفضل من هذا، كما تصورت. ثم عندما كان ترامب على وشك الانتهاء من كلمته، صاح جوناثان كارل من قناة إيه بي سي بسؤال، متسائلاً عما إذا كانا قد ناقشا خطة ترامب لإجبار المكسيك على دفع تكاليف الجدار الحدودي. لقد اتفقنا مع المكسيكيين على أن ترامب وبينيا نييتو لن يجيبا على أسئلة الصحفيين. ولكن عندما صاح كارل بسؤال المليون دولار، أجاب ترامب: "لقد ناقشنا الجدار؛ ولم نناقش سداد تكاليف الجدار". نظرت إلى لويس، الذي سارع إلى طلب شخص ما لقطع نظام الخطاب العام. وبينما بدأ الصحفيون في الصراخ بالأسئلة، بدأت الموسيقى المكسيكية تنطلق من مكبرات الصوت، وغادر الساسة المسرح. ولكن الضرر كان قد وقع. بالنسبة للجمهور المكسيكي، كان من غير المتصور أن يناقش رئيسهم الجدار دون إثارة المعارضة لاقتراح ترامب بسداد التكاليف. لقد كانت إهانة لا يمكنهم تحملها، وجعلت بينيا نييتو يبدو ضعيفًا ومتواطئًا محتملًا.

لقد أثار المؤتمر الصحفي كابوسًا سياسيًا للقيادة المكسيكية ـ وخاصة لويس، الذي تحمل اللوم عن دوره في التخطيط للرحلة. واستقال في الأسبوع التالي. شعرت بالفزع. اتصلت بلويس وأخبرته أن الأمر يستحق العناء.أخبرته أنني آسفة لاستقالته. نقلت الخبر إلى ترامب، فغرّد: "لقد فقدت المكسيك وزير مالية لامعًا، و

رجل رائع وأعرف أنه يحظى باحترام كبير من قبل الرئيس بينيا نييتو.لقد كان لويس ليسمح للمكسيك والولايات المتحدة بإبرام صفقات رائعة معاً ـ حيث كان من الممكن أن تستفيد المكسيك والولايات المتحدة على حد سواء. لقد كان لويس محترماً للغاية في الطريقة التي أدار بها الزيارة، وقد وثقنا به ضمناً في كل خطوة على الطريق. وعندما تحمل المسؤولية، كان يفعل ذلك برشاقة ودون مرارة، معتقداً أنه فعل الشيء الصحيح لبلاده.

بالنسبة لترامب، كانت الرحلة نجاحا هائلا. فقد أظهرت للناخبين أنه قادر على الدخول إلى عرين الأسد والقتال من أجل المصالح الأميركية. وبعد ذلك، استقرت الحملة في مسار إيجابي. ولتعظيم الجدول الزمني للمرحلة الأخيرة من الحملة، استشرت نيوت جينجريتش، العقل المدبر السياسي ورئيس مجلس النواب السابق. كان يعرف كيف ينسق السفر السياسي لتسليط الضوء على الرسائل التي من شأنها أن تصل إلى الناخبين في المناطق المتأرجحة. ثم جاء ديفيد بوسي نائبا لمدير الحملة. وكان عونا هائلا في قيادة وتنفيذ العمليات، وكذلك بيل ستيبين، الذي تمكنت أخيرا من إشراكه في الحملة. وقام إريك ترامب بعمل مذهل في تنظيم الحملة على الأرض، وسافر دون جونيور وإيفانكا ولارا في جميع أنحاء البلاد، واستقطبوا حشودا كبيرة وزادوا من حضور حملتنا في جميع الولايات المتأرجحة.

وعندما دخلنا الشهرين الأخيرين، علمت أن فرق الإعلانات لدينا لم تكن تحصل على ردود فعل داخلية في الوقت المناسب على نصوص الفيديو الخاصة بها. وعندما شرح لي المستشار السياسي للحملة لاري ويتزنر المشكلة، أخبرته بتخطي عملية الموافقة وإنفاق الأموال فقط على صنع الإعلانات؛ وسأعرضها على ترامب وأحصل على موافقته. اتصلت بروجر آيلز، الذي استقال مؤخرًا من فوكس نيوز، وسألته عما إذا كان سيشرف على ويتزنر ويحرر نصوص إعلاناتنا. وافق، وعمل ويتزنر معه عن كثب لصنع بعض إعلاناتنا الأكثر فعالية في المرحلة النهائية. كان ترامب في الغالب ملتزمًا برسالته، واستمرت الحشود في التضخم في التجمعات في الولايات المتأرجحة، وكنا نجمع عشرات الملايين من الدولارات من المتبرعين الأفراد الصغار عبر الإنترنت ـ وهي إشارة قوية إلى أن رسالتنا كانت تصل. حتى أن بعض استطلاعات الرأي الداخلية لدينا أظهرت تقدم ترامب. لقد نجونا من العديد من الخلافات التي كانت لتغرق أي سياسي تقليدي. ومع ذلك، فإن الجدل الأكبر لم يأت بعد.

في يوم الجمعة السابع من أكتوبر/تشرين الأول، بينما كان ترامب يستعد للمناظرة الثانية مع هيلاري، تلقت هوب هيكس استفسارًا من صحيفة واشنطن بوست. فقد عثروا على مقطع فيديو لترامب وهو يجري محادثة بذيئة مع بيلي هيكس.

بوش أثناء فترة عمله في برنامج Access Hollywood. بقيت حتى وقت متأخر في برج ترامبفي ذلك المساء، ذهبت لمساعدة ترامب في إعداد اعتذار، سجله ونشره كرسالة فيديو في تلك الليلة. كانت تلك هي المرة الأولى منذ زواجي من إيفانكا التي أتوقف فيها عن مراعاة السبت. لقد ندمت على كلمات والد زوجي، ولكن كما تعلمت من عائلتي، فإن التسامح يعني عدم تعريف الناس بناءً على تجاوزاتهم الماضية فقط.

في اليوم التالي، جاء رئيس اللجنة الوطنية الجمهورية رينس بريبوس من واشنطن العاصمة. وقال لترامب: "لديك خياران: الانسحاب الآن أو الخسارة في أسوأ انهيار أرضي في تاريخ الانتخابات الرئاسية". نظر بقيتنا إلى بعضنا البعض في حيرة. أي شخص يعرف ترامب كان يعلم أن فرصة انسحابه معدومة. وفي الوقت نفسه، لاحظنا أن مئات الأشخاص تجمعوا أمام برج ترامب لإظهار دعمهم. أصر ترامب على الخروج لشكرهم. سارع جهاز الخدمة السرية إلى العمل، وبعد عشر دقائق، نزل ترامب وتحدث ارتجاليا. كانت صورة ترامب محاطًا بالمعجبين المتحمسين في الجادة الخامسة هي الصورة التي كنا بحاجة إليها لإيقاف الدعوات له بالانسحاب والذهاب إلى المناظرة في اليوم التالي. واصل ترامب تقديم أداء مذهل تحت نيران الانتقادات. لقد عدنا إلى اللعبة.

كان يوم الانتخابات يقترب، وكانت الحملة الانتخابية تدخل مرحلتها الأخيرة. سألت مدرائنا السياسيين في الولايات المتأرجحة عن مقدار الأموال التي يحتاجون إليها للفوز. وكان إجمالي المبلغ الذي ذكروه يتجاوز 25 مليون دولار.عندما عرضت الأرقام على بيل ستيبين، ألقى نظرة سريعة عليها وقال: "فقط 1.25 مليون دولار من هذا المبلغ سيحدث فرقًا. إن مديري الولاية يزيدون من حجم ميزانياتهم المطلوبة، لذا إذا خسروا، فيمكنهم إخبار عملائهم المستقبليين أنهم كانوا ليفوزوا لو حصلوا على أموال كافية". لقد وافقت على توصية بيل، مع العلم أنه إذا تجاوزنا الإنفاق وخسرنا الانتخابات، فإن كيليان كونواي وستيف بانون سيرحلان منذ فترة طويلة، وسيتعين علي أن أكون الشخص الذي يطلب من ترامب كتابة شيك آخر. لم أكن لأضع نفسي، أو يضعه، في هذا الموقف ما لم أكن مقتنعًا بأن كل دولار إضافي سيقربنا من النصر.

كان ترامب أشبه بالمصارع في الحلبة، حيث كان يلقي خطابًا تلو الآخر في الأيام الأخيرة. ومع علمه بأن تغريداته غير المنضبطة السابقة وتصريحاته غير المهذبة كانت كافية لإثارة غضبه.لقد أضرت تعليقاته غير المباشرة بفرصه مع بعض الناخبين - ورغبته الشديدة في الفوز - فقد ركز على إبقاء رسالته قوية.

في تجمع حاشد في بينساكولا بولاية فلوريدا، بحضور آلاف المؤيدين، قال ترامب مازحا: "يتعين علينا أن نكون لطيفين ورائعين... لا مسارات جانبية، دونالد، لطيفين وسهلين، لطيفين وسهلين".

خلال الليلة الأخيرة من حملته الانتخابية، أمام ساحة مليئة بالجمهور في نيوهامبشاير، شكر ترامب عائلته. وقال: "لقد قرأت عن كل هؤلاء البدلاء الذين يدافعون عن هيلاري كلينتون، لكن عائلتي كانت معي."لقد كان لدي أفضل البدائل على الإطلاق."

* * *

في صباح الثامن من نوفمبر/تشرين الثاني ـ يوم الانتخابات ـ كنت أعمل في مكتبي في 666 فيفث أفينيو. كنت قد قطعت للتو أنحاء البلاد وشاهدت ترامب وهو يؤدي في عشرة تجمعات انتخابية في آخر 48 ساعة. تلقيت رسالة من سافانا جوثري، مقدمة برنامج توداي شو على قناة إن بي سي. لم أقابلها ـ ونادرا ما تحدثت إلى المراسلين ـ ولكنني كنت أشعر بالفضول لمعرفة ما يدور في أذهان وسائل الإعلام بشأن الانتخابات، لذا رددت على المكالمة. وبعد أن سمعت أن زملاءها يعتقدون أن ترامب سوف يخسر بأغلبية ساحقة، توقعت بتفاؤل حذر أنه سوف يفوز. لقد درست بياناتنا. في عام 2012، فشل المرشح الرئاسي الجمهوري ميت رومني في حشد عدد كاف من الناخبين في المقاطعات الريفية الأصغر حجما في مختلف أنحاء أميركا. وكان أداء ترامب يتفوق بشكل ملحوظ على رومني في هذه المناطق، وكان يحفز الناس الذين لا يصوتون عادة. كما كنت أعلم أن الانتخابات قد تتحول بسهولة إلى الاتجاه الآخر إذا تفوقت هيلاري عليه ولو قليلا في الضواحي الرئيسية. بعد أشهر من العمل المتواصل، كان من المزعج انتظار النتائج دون أن يكون هناك ما نفعله بعد ذلك.

في الساعة الخامسة، قبل وقت قصير من إغلاق صناديق الاقتراع الأولى، بدأت حملة النائبلقد اتصل بي مدير الحملة الانتخابية ديف بوسي ليخبرني بنتائج استطلاعات الرأي عند الخروج من البيت الأبيض. لقد حذرني من أن الأمر يبدو وكأنه كابوس. لقد وعدت ترامب بأنني سأطلعه على آخر المستجدات، لذلك اتصلت به بعصبية إلى شقته. قلت له قبل أن أشرح له الأرقام: "إن استطلاعات الرأي عند الخروج من البيت الأبيض ليست رائعة. إنها تظهر لنا أننا متأخرون، لكن ستيبين يعتقد أن منهجيتهم معيبة، وأن ناخبينا أمريكيون عاملون، لذا فمن المرجح أن يتوجهوا إلى صناديق الاقتراع في وقت متأخر. دعونا نرى ما سيحدث". لن أنسى رده أبدًا: "لقد بذلنا قصارى جهدنا. لقد عملت بجد، ولم يكن هناك شيء آخر يمكننا القيام به. أنا فخور بما فعلته. أنا فخور بالفريق. أنا فخور بك. سواء فزنا أو خسرنا، فلنستمتع الليلة كعائلة". لقد أذهلتني. لم يكن بإمكانه أن يكون أكثر هدوءًا أو راحة.

مع تقدم الليل، بدأت الأمور تبدو أكثر إيجابية: بعد فترة وجيزةفي الساعة العاشرة والنصف من مساء ذلك اليوم، أعلنت وكالة أسوشيتد برس فوز ترامب بولاية أوهايو. جاء بارسكال إلي وهمس في أذني، "يقول فريق علم البيانات لدينا إن النماذج المتفائلة تسير كما توقعنا بناءً على بيانات الإقبال الفعلية. إنه خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في منطقة حزام الصدأ. سنفوز". اتصلوا بولاية فلوريدا بعد حوالي خمسة عشر دقيقة، عندما انخفض هامش التصويت الهائل في منطقة بانهاندل. كانت النتائج الأولية من ولاية بنسلفانيا متوافقة مع سيناريو نمذجة البيانات المتفائل لدينا. بدأت المكالمات الهاتفية والرسائل النصية من المهنئين تتدفق. سألت ستيفن ميلر عما إذا كان لدينا خطاب نصر. كانت الإجابة نعم، لكنها كانت مسودة أولية للغاية استغرقت وقتًا أطول في التباهي بدلاً من توحيد البلاد. في الساعة 11:00 مساءً، راجع ترامب الخطاب. بعد مشاهدة مقطع تلفزيوني لأنصار هيلاري اليائسين في مركز جافيتس، أدرك أنه لم يكن النبرة الصحيحة. أراد أن يكون مهذبًا.

وبينما كنا ننتظر ظهور النتائج، اجتمعنا أنا وإيفانكا وستيفن في غرفة الطعام في شقة ترامب لإعادة كتابة الخطاب بينما كان ترامب يملي ما يريد قوله. وبينما كنا نكتب، نظرنا إلى فندق بينينسولا إلى الجنوب، حيث خصصت حملة كلينتون بار السطح لحفلة نصر للسخرية من مجموعتنا في برج ترامب. وكانت الصحافة تحجم عن الإعلان عن نتيجة السباق، لذا توجهنا إلى فندق هيلتون في وسط المدينة في حوالي الساعة الثانية صباحا.

لم يكن ترامب راغباً في إنفاق ملايين الدولارات على حفل ليلة الانتخابات كما فعل المرشح الرئاسي لعام 2012 ميت رومني. في الواقع، أخبرني أنه لا يريد إنفاق دولار واحد على حفل. واقترح أنه إذا فاز، فسوف يرسل تغريدة فقط، وسوف يعلق أنصاره.

في ذلك اليوم، كان ترامب يتجمع مع هيلاري كلينتون بشكل عفوي. قال مازحا: "إذا خسرنا، سأذهب مباشرة إلى طائرتي الجميلة من طراز 757 وأتوجه إلى اسكتلندا للعب الجولف لبضعة أشهر". وعندما أصررت على أننا بحاجة إلى مكان ما، أخبرني أن أحصل على أرخص قاعة رقص يمكنني العثور عليها، وهذا ما فعلناه. في الساعة الثانية والنصف صباحًا، بينما كنا نناقش ما يجب القيام به بعد ذلك، تلقت كيليان كونواي مكالمة وأحضرت الهاتف لترامب. تحدثت هيلاري معه لمدة أقل من دقيقة. قدمت تهنئتها على الحملة الصعبة واعترفت بالهزيمة. صعد الرئيس المنتخب دونالد ترامب على خشبة المسرح أمام جمهور مبتهج وألقى خطاب النصر لمدة خمسة عشر دقيقة.

لقد أصبح ترامب أول شخص من خارج الدائرة الانتخابية يُنتخب رئيساً للولايات المتحدة. لقد غيّر فوزه مجرى التاريخ.

قبل أن تنتهي الليلة، اتصلت بلويس فيديجاراي، الذي بدا مندهشا لسماعي في مثل هذه الليلة التاريخية. قلت له: "أنت على حق. أريد أن أشكرك. الآن لدينا فرصة لإصلاح العلاقة بين الولايات المتحدة والمكسيك".

من الناحية الفكرية، كنت أعتقد دائمًا أن ترامب قادر على الفوز. ولكن من الناحية العاطفية، كنت أعتقد أن ترامب قادر على الفوز.لم أسمح لنفسي قط بالتفكير فيما قد يحدث إذا فعل ذلك. ومع تدفق الرسائل على صندوق الوارد الخاص بي من أصدقاء جدد وقدامى في جميع أنحاء العالم، بدأت أدرك أن إيفانكا وأنا لدينا قرار مهم في الحياة يجب اتخاذه. كان الجزء الصعب على وشك أن يبدأ.

{8}

"لن أعتاد على هذا أبدًا"

بصفتي أحد سكان نيويورك، كنت معتادًا على الجلوس في حركة المرور، وليس التسبب فيها. ومع ذلك، بعد ثلاثين ساعة من فوز ترامب، وجدت نفسي في موكب سيارات تابع للخدمة السرية يتجول في شوارع مانهاتن باتجاه مطار لاغوارديا، محاطًا بسيارة أجرة.

فريق الهجوم المضاد ببنادق نصف آلية ونظارات الرؤية الليلية.ومن خلال النوافذ الواقية من الرصاص لسيارة شيفروليه سوبربان المدرعة، كنت أشاهد الكتل السكنية تمر من أمامي بينما كانت كتيبة من ضباط شرطة نيويورك تمنع حركة المرور والمشاة. وحتى شارع فرانكلين روزفلت كان مغلقاً أمام حركة المرور في مانهاتن. وللمرة الأولى، بدأت أدرك مدى التغيير الذي سوف يحدث في حياتي.

سألت ترامب إذا كان يعتقد أنه سوف يعتاد على ذلك يومًا ما.

"لقد نشأت كطفل في كوينز"، قال. "لن أعتاد على هذا أبدًا."سيظل هذا رائعًا بالنسبة لي دائمًا."

وبينما كنا نسير على مدرج مطار لاغوارديا، أطلقت شاحنات الإطفاء التابعة لهيئة الموانئ مدافع المياه على ارتفاع خمسين قدمًا في السماء، لتشكل قوسًا فوق طائرة ترامب من طراز 757، التي كان قد ركنها هناك لعقود من الزمان. لقد أحب ضباط هيئة الموانئ ترامب. وكان دائمًا يحييهم ويشكرهم عندما يصل إلى المطار. وكانت تحيتهم في ذلك اليوم هي العلامة النهائية على الاحترام.

كنا في طريقنا لمقابلة الرئيس أوباما، الذي دعا ترامبكان من المقرر أن تتوجه ميلانيا وترامب إلى البيت الأبيض في زيارة تستغرق يومين. وبينما كنا نسير على طول الطريق الدائري الطويل الذي يشكل حلقة حول الحديقة الجنوبية للبيت الأبيض، حيث تهبط مروحية الرئيس من طراز مارين وان، استقبلنا اثنان من مشاة البحرية يرتديان ملابس رسمية، واقفين في وضع انتباه. واستقبلنا الرئيس أوباما في الخارج وأدخلنا بكل لطف إلى غرفة الاستقبال الدبلوماسية، الغرفة البيضاوية الأنيقة التي تُستخدم غالبًا لتحية الزعماء الأجانب أثناء الزيارات الرسمية. وكان دان سكافينو يصور دخول ترامب وميلانيا، لكن لم يكن هناك أي شيء.

كان أحد مسؤولي بروتوكول البيت الأبيض قد طلب منه إغلاق الكاميرا بينما كانت السيدة الأولى ميشيل أوباما تحيي ميلانيا. وبينما صعد الاثنان إلى الطابق العلوي إلى المقر التنفيذي لتناول الشاي، قاد الرئيس أوباما ترمب وبقية أفرادنا عبر الرواق الشهير الذي يربط المقر بالجناح الغربي. كنت قد شاهدت الممر على شاشة التلفزيون، لكن هذه كانت المرة الأولى التي أسير فيها على طول الممر التاريخي الذي يمر بحديقة الورود، وحاولت استيعاب كل شيء خلال المشي الذي استغرق خمسة وأربعين ثانية.

وباعتباري شخصاً كان يهتم دائماً بالعقارات، فقد صدمتني المساحة المحدودة للجناح الغربي. فقد كانت المكاتب تصطف على محيط الغرف الضيقة الخالية من النوافذ حيث كان المساعدون الإداريون مكدسين فوق بعضهم البعض. وكانت مكاتب كبار الموظفين متناثرة في جميع أنحاء المبنى المكون من ثلاثة طوابق. وكان هذا هو العكس تماماً من مساحات العمل المفتوحة التي وجدتها مواتية للتعاون في شركاتي. لقد كان جميلاً، لكنه لم يكن مصمماً لإدارة العالم الحر في العصر الحديث. ولكن بمجرد أن خطونا إلى المكتب البيضاوي، فهمت لماذا كان المكان مفتوناً بالناس. لقد كان خلاباً. السقف الذي يبلغ ارتفاعه ثمانية عشر قدماً مزين بخاتم رئاسي كبير الحجم من الجبس؛ والمناظر الخلابة لحديقة الورود والحديقة الجنوبية مع نصب واشنطن التذكاري الذي يلوح في الأفق؛ والسجادة البيضاوية المخصصة التي تغطي محيط مائة قدم من الأرضية المصنوعة من خشب البلوط والجوز؛ والمنحوتات المزخرفة للأخشاب التي تم إنقاذها من السفينة البريطانية إتش إم إس ريزولوت لصنع المكتب الأيقوني. إن المكتب البيضاوي هو أعظم ميزة في العالم لامتلاك ملعب داخلي. وفي وقت لاحق، كنت أشاهد رؤساء الدول، وكبار رجال الأعمال، والمشرعين الأقوياء وهم يذهلون بعظمة الغرفة إلى الحد الذي جعلهم يتعثرون في الكلمات، في محاولة لإلقاء ملاحظاتهم المعدة بعناية خلال الدقائق القليلة الثمينة التي يقضونها مع رئيس الولايات المتحدة.

التقى أوباما وترامب على انفراد لمدة ساعة ونصف تقريبًا. وبعد ذلك، وصف ترامب أوباما بأنه سياسي صريح وودود ودافئ. وتذكر أن أوباما بدأ اجتماعهما بإطراء غير مباشر: "كنت أتابع خطاباتك على مدار السنوات الماضية".

لقد مضت سنوات عديدة، ولابد أن أقول إنك سياسي مذهل. وما زلت غير قادر على تحديد موقفك من العديد من القضايا. هل أنت مع الأسلحة النارية، أم ضدها؟"هل أنت مؤيد للأسلحة النارية؟ هل أنت مؤيد للحياة؟ هل أنت مؤيد للاختيار؟ لديك هذه القدرة المذهلة على أن تكون على كل جانب من قضية ما".

حذر أوباما ترامب من عدم القيام بذلك.

تعيين الجنرال مايكل فلين مستشارا للأمن القومي وقال انه
اعتقد أن كوريا الشمالية تشكل التهديد الأكبر لأميركا.

بعد اجتماعهما، أشار أوباما إلى أحد مساعديه بإحضار الصحافة. وتمت دعوة هوب هيكس ودان سكافينو وأنا للوقوف في مؤخرة الغرفة. وتحطم هدوء المكتب البيضاوي عندما اندفع المراسلون إلى الداخل وبدأوا في الصراخ بسؤال تلو الآخر بينما كانت الكاميرات تلتقط صوراً عشرين مرة في الثانية. لم يكن الأمر مختلفاً عن أي شيء شهدته من قبل، حتى على شاشة التلفزيون.لقد انتهت الحملة الانتخابية بسرعة كما بدأت، وقدم أوباما لترامب نصيحة: إذا لم تجب على أسئلتهم، فسوف يتوقفون عن السؤال. لقد كان اقتراحًا جيدًا، لكنني لا أستطيع أن أتخيل أن والد زوجتي يتبنى هذا الاقتراح على الإطلاق.

في طريقنا إلى موكب السيارات، وبينما كنا نمر عبر الرواق مرة أخرى، استدار أوباما نحوي وسألني: "هل قررت أنت وإيفانكا ما إذا كنتما ستزوران واشنطن؟". فأجبته بأننا لم نقرر بعد. فقال لي: "يجب عليك بالتأكيد أن تفعل ذلك. فبوسعك أن تفعل الكثير من الخير هنا".

في رحلة العودة إلى مدينة نيويورك، ذكرت ميلانيا أن البيت الأبيضكانت أماكن المعيشة في المنزل قديمة الطراز، وكان من المفترض أن تحتاج إلى بعض الإصلاحات قبل الانتقال إليها. التفت إليها ترامب وقال: "عزيزتي، لا تفعلي الكثير. إنه البيت الأبيض ـ إنه مثالي. وإذا كان جيدًا بما يكفي للرئيس الصادق أبراهام لينكولن، فهو جيد بما يكفي بالنسبة لنا".

كان ترامب متأملاً بشكل خاص. فقد شعر بخطورة المسؤولية الملقاة على عاتقه. وكان راغباً حقاً في مساعدة البلاد على التوحد. فطلب من إيفانكا الاتصال بتشيلسي كلينتون، التي كنا نعرفها اجتماعياً، لإبلاغها بأن ترامب لا ينوي النظر إلى الوراء ويأمل في إقامة علاقة ودية مع هيلاري لتوحيد البلاد. بل إنه طلب من إيفانكا دعوة هيلاري وبيل لتناول العشاء في الأسابيع المقبلة. وقد اتصلت إيفانكا بتشيلسي، ولكن بعد أيام ساندت هيلاري تحدي جيل شتاين للانتخابات، وأنهى ترامب جهوده للتواصل معها.

في حين كان ترامب عازماً على بناء الجسور، كانت حملة كلينتون مشغولة بوضع الخطط لشل رئاسة ترامب قبل أن تبدأ. وكما ذكر جوناثان ألين وأيمي بارنز في مجلة Shattered، بعد أقل من أربع وعشرين ساعة من خسارتهم، في مقر كلينتون، توصل اثنان من أقطاب الحملة جون بوديستا وروبي موك إلى فكرة إلقاء اللوم على التدخل الروسي في خسارة هيلاري.7 عندما بدأت التقارير الإخبارية تتسرب، اعتقدت أن هذه الادعاءات سخيفة ولن تكون ذات قيمة.

لا تؤخذ على محمل الجد أبدًا. لم يكن لدي أي فكرة أن القصة الملفقة سوف تلوح في الأفق إدارة ترامب لسنوات.

في الأيام التي أعقبت فوز ترامب غير المتوقع مباشرة، بدا متفائلاً بشأن إعادة ضبط علاقته بوسائل الإعلام. فقد طلب من هوب دعوة هيئة تحرير مجلة كوندي ناست ـ ناشر مجلة نيويوركر، وفانيتي فير، وجي كيو، وفوغ ـ إلى مكتبه لعقد اجتماع، وعمل جاهداً على إبهارهم. وفعل الشيء نفسه مع صحيفة نيويورك تايمز.

وبعد ذلك، نشرت صحيفة نيويورك تايمز واحدة من أكثر القصص ظلماً في تاريخها. فقد جاء رؤساء وكالات الاستخبارات في عهد أوباما ـ مدير وكالة الاستخبارات المركزية جون برينان، ومدير الاستخبارات الوطنية جيمس كلابر، ومدير مكتب التحقيقات الفيدرالي جيم كومي ـ إلى برج ترامب لإلقاء الضوء على الرئيس. - انتخب أول إحاطة استخباراتية له. ومع انتهاء الاجتماع، سحب كومي ترامب جانبًا وأخبره عن وجود كان من المفترض أن يكون هذا هو الحال مع ملف كريستوفر ستيل سيئ السمعة، وهو ملف فاحش وكاذب بشكل واضح علمنا لاحقًا أنه تم تمويله من قبل اللجنة الوطنية الديمقراطية. لقد اطلع عليه العديد من الصحفيين، لكنهم لم يتمكنوا من تأكيد الشائعات التي لا أساس لها من الصحة. كان مكتب التحقيقات الفيدرالي يعرف أنه لم يتم التحقق منه، لكن كومي قرر إطلاع ترامب على الملف. كان الإحاطة نفسها جديرة بالاهتمام، لذلك يمكن لصحيفة نيويورك تايمز الآن تبرير الإبلاغ عنها.

لقد أصبح بقية الإعلام مهووسًا بالملف، وقامت حملة كلينتون بتضخيمه، وقال رؤساء البرامج التلفزيونية إنه كان مجرد قمة جبل الجليد،لقد ترسخت قصة حول التواطؤ بين حملة ترامب وروسيا. وعندما شاهدت هذا الأمر، رفضت هذه الادعاءات لأنني كنت أعلم أنها لا أساس لها من الصحة. لقد اعتقدت أن وسائل الإعلام الموثوقة سوف تدرك ذلك.

* * *

إن إنشاء إدارة جديدة يشكل مهمة ضخمة. ففي مايو/أيار 2016، عيَّن ترامب كريس كريستي لرئاسة عملية انتقال السلطة. وكنت حاضراً في الاجتماع.

"ماذا ينبغي لنا أن نفعل بشأن كريس؟" بدأ ترامب، وهو ينظر في اتجاه الحاكم. أوضح كريستي أنه يريد حقًا قيادة عملية الانتقال ويمكنه القيام بعمل جيد معها. سأل ترامب، في إشارة إلى العلاقة المعقدة بين والدي وكريستي، "حسنًا، ماذا عن قضية تشارلي؟"

"لقد تحدثت مع والدي هذا الصباح بناءً على طلبك"، قلت. "وهو لا يحمل ضغينة ويعتقد أنه يجب عليك أن تفعل ما تراه الأفضل لك وللبلاد".

"فنحن بخير إذن؟" سأل ترامب.

"لقد كان والدي طيبًا"، أجبته. "بيني وبين كريس، إذا كنا سنعمل معًا، يجب أن أعبر عن شعوري بأن الطريقة التي تعاملت بها مع قضية والدي كانت مفرطة في الحماس، وقد تسببت في أذى خطير لي ولأسرتي".

أوضح كريستي أنه كان يقوم بعمله للتو، وأنهكان والدي لديه

ارتكب جريمة، وأنها لم تكن شخصية.

"حسنًا، بكل احترام، لدي وجهة نظر مختلفة في هذا الشأن"، قلت. "إذا لم يكن الأمر شخصيًا بالنسبة لك، فلماذا إذن اعترضت على تاريخ إطلاق سراح والدي بعد أن قضى عقوبته؟ آمل أن تتمكن من فهم مدى قسوة وجود أحد أفراد الأسرة في السجن. العزاء الوحيد هو وجود تاريخ ينتهي فيه كابوسك. عندما يعود المدعي العام ويعترض على تاريخ الإفراج، ويتم تأجيله إلى أجل غير مسمى، فهذا أمر مدمر للعائلة. لذا لا تخبرني أنه لم يكن شخصيًا، لأنه إذا لم يكن شخصيًا، لكنت سمحت له بالعودة إلى المنزل في الوقت المحدد".

"كما تعلم، الجريمة التي ارتكبها والدك كانت فظيعة"، قالت كريستي

بدأت أقول.

ثم قاطعه ترامب قائلا: "كريس، لقد كان نزاعا عائليا".

"انظر، في نهاية المطاف، لا يهم"، قلت. "دونالد يريد"لقد وعدتك أن تقومي بمهمة ما. لقد وضعت ذلك في الماضي، وسأبذل قصارى جهدي لدعمك في هذا الجهد. أنا هنا للمساعدة. يتعلق الأمر بفرصة لمساعدة البلاد. يتعلق الأمر بالخدمة. ويمكننا أن نأخذ الموقف الشخصي الذي حدث ونضعه جانبًا، لأنه ليس له صلة الآن بما نقوم به". وافقت كريستي: "حسنًا، دعنا نفعل ذلك".

وبعد ستة أشهر، وقبل أيام قليلة من الانتخابات، اتصل ستيف بانون"لقد أصابني الذعر. قال بانون: ""يحاول كريستي الصعود إلى الطائرة. علينا أن نمنعه من ذلك. إنه يريد إقناع دونالد بالسماح له بتولي منصب رئيس الأركان. لا يمكننا أن نسمح بحدوث ذلك - إن جهود الانتقال عبارة عن حطام قطار. إنه يحاول وضع أقرب أصدقائه السياسيين - بما في ذلك أنواع مناهضة لمؤسسة ترامب - في أهم التعيينات، بغض النظر عن مؤهلاتهم"". راجع كل من بانون وستيفن منوشين مواد انتقال كريستي ويعتقدان أنها فشلت في تلبية متطلباتهم.

لقد كان من الصعب على ترامب أن يتولى هذه المهمة، ولكن كان عليه أن يلتزم بالفحص الدقيق والبحث والمعايير المهنية اللازمة لتعيين الموظفين الرئيسيين. لقد أخبروني أنا وترامب أن كريستي لم يكن مستعدًا لهذه المهمة. وأضاف بانون: "بالإضافة إلى ذلك، فإن كريس مشع سياسيًا. فهو يتمتع بنسبة موافقة تبلغ 18٪ وهو متورط في فضيحة بريدج جيت. لا ينبغي لترامب أن يحمل أمتعته".

ولم يكن ترامب راغباً في أن تلطخ الفوضى القانونية في نيوجيرسي إدارته الجديدة. وقال لنا: "أريد إدارة مايك بنس لطيفة ونظيفة ـ وليس إدارة فاسدة في نيوجيرسي".

إنصافاً لكريستي، فقد أوضح ترامب خلال أشهر الصيف أنه لا يريد التركيز على الانتقال قبل الانتخابات. وفي مرحلة ما، عندما أخبرت ترامب أنني حضرت اجتماعاً انتقالياً لمدة ثلاث ساعات، وأكدت له أن كريستي وأنا نعمل معاً بشكل جيد، أعطى والد زوجتي تعليمات واضحة: "لا تضيع دقيقة أخرى في الانتقال. لقد أمضى رومني كل هذا الوقت في الانتقال، مع ملفاته النسائية، وخسر الانتخابات. اقض كل وقتك في الحملة، وإذا فزنا، فسوف نكتشف الأمر". لذا فقد كان كريستي يعمل لشهور دون الكثير من الدعم من قيادة الحملة.

ولكي أضع عملية الانتقال على المسار الصحيح، فقد اتصلت بهدوء بكريس ليدل، وهو المدير المالي السابق لكل من مايكروسوفت وجنرال موتورز، والذي كان المدير التنفيذي لمشروع استعداد رومني. وقد تطوع ليدل للمساعدة على الفور. ووصل بعد أقل من أربع وعشرين ساعة، في اليوم السابق لعيد الشكر، وعمل طوال فترة العطلة. وأصبح ليدل صديقاً موثوقاً به ورفيقاً، وكان واحداً من القلائل الذين خدموا في البيت الأبيض طيلة السنوات الأربع التي قضاها رومني في الرئاسة.

وبينما كنا نتسابق لإنشاء الإدارة، كان رجال الأعمال والسياسيونفي عام 2008، كان ترامب ينوي تعيين رومني في منصب وزير الخارجية، وكان من بين المرشحين البارزين الذين جاءوا إلى برج ترامب وبيدمينستر لإجراء مقابلات لشغل مناصب وزارية. اتصل بي رومني وعرض نفسه لمنصب وزير الخارجية، متعهداً بالولاء لترامب. وبينما كان ترامب يغازل الفكرة، قرر عدم المخاطرة بتعيين رومني، الذي انتقده طوال الحملة. كان الباب الدوار لبرج ترامب يعج بالمرشحين البارزين الذين يدخلون ويخرجون باستمرار. عندما أجرى ترامب مقابلة مع جيمس ماتيس لمنصب وزير الدفاع، سأل الجنرال البحري الحائز على أربع نجوم عن أفكاره بشأن التعذيب.

وقال ماتيس بكل اقتناع: "أنا لا أؤمن بذلك"."ماذا تقصد؟" سأل ترامب.

"أستطيع أن أجعل هؤلاء الرجال يتحدثون مع فنجان من القهوة وسيجارة بشكل أفضل"أكثر مما أستطيع فعله باستخدام أسلوب التعذيب بالماء."

لقد أعجبنا جميعًا. نظرًا للتهديدات الخطيرة من إيران وتنظيم الدولة الإسلامية،كان ترامب يريد جنرالاً يعرف الوضع على الأرض، ويمتلك الخبرة الكافية، ويستطيع بناء الروح المعنوية بسرعة مع القوات. وبدا ماتيس مناسباً بشكل طبيعي. فقد كان يتمتع بمسيرة عسكرية عريقة وسمعة طيبة بين أفراد الخدمة في الخطوط الأمامية. وفي حين كان لقبه في الجيش "الفوضى"، اعتقد ترامب أن "الكلب المسعور" أفضل وبدأ في استخدامه. وقبل انتهاء المقابلة، عرض ترامب على ماتيس الوظيفة.

خلال الحملة، طلب مني ترامب أن أكون نقطة الاتصال لممثلي الدول الأجنبية الذين كانوا يتواصلون معي من حين لآخر.لقد وافقت على ذلك، على افتراض أن هذه ستكون مسؤولية ثانوية بين قائمة مهامي المتنامية، لكن الأمر أصبح أكثر كثافة خلال الفترة الانتقالية حيث بدأنا نتلقى مئات طلبات الاجتماع من كبار الشخصيات. لم تكن الحكومات الأجنبية تخطط لرئاسة ترامب وكانت تسارع إلى إقامة اتصالات مع مجموعة من الغرباء في واشنطن.

قبل أشهر، التقيت بهنري كيسنجر، وزير الخارجية السابق ومستشار الأمن القومي التاريخي في عهد الرئيسين ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد. وكانت النصيحة التي قدمها لي في ذلك الوقت أكثر صدقًا الآن: "يتحدث ترامب عن الكثير من القضايا الحرجة التي تم تجاهلها، وهو ما يجعل القادة الأجانب متوترين. لا تطمئنهم. في الوقت الحالي، يقومون جميعًا بإعادة التقييم. إنهم يقومون بجرد علاقتهم بأمريكا وتحديد ما لديهم مما لا يريدون خسارته وما هم على استعداد للتخلي عنه للاحتفاظ به. وهذا يضع الولايات المتحدة في وضع تفاوضي أفضل إذا فزت". كما حذرني من "أن أكون حذرًا بشأن الأشخاص الذين أتفاعل معهم في كل بلد. فالعلاقة معك هي عملة قيمة في عاصمة. اختر بعناية من تريد منحه هذه القوة".

في إحدى مكالمات التهنئة العديدة التي أجراها ترامب مع الزعماء الأجانب، قال:تحدثت مع رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي. أخبر آبي ترامب أنه يود مقابلته. وتشرف ترامب بدعوته لزيارة برج ترامب. بعد فترة وجيزة، تلقيت مكالمة من رئيس أركان أوباما، دينيس ماكدونو، الذي أوضح لي أن الرئيس المنتخب عادة ما يرفض الاجتماعات مع الزعماء الأجانب احتراما للقائد الأعلى الحالي. قال لي: "رئيس واحد في كل مرة". نقلت له الرسالة.

"رسالة إلى ترامب. قال: "انسوا البروتوكولات. إنها ليست مشكلة كبيرة. إنها مجرد لقاء. إذا أراد زعيم اليابان السفر إلى نصف الكرة الأرضية لرؤيتي، فسأكون سعيدًا بلقائه".

كما أجرى ترامب مكالمة هاتفية مع تساي إنغوين، رئيسة تايوان. وانتهت المكالمة بقاعدة دبلوماسية، وفسرها الصينيون على أنها تحد لسياسة الصين الواحدة التي ادعت أن تايوان مقاطعة صينية وليست دولة مستقلة. وغضب الصينيون، فأرسلوا أحد أعلى دبلوماسييهم رتبة للقاء فريقنا: يانغ جيتشي، مدير لجنة الشؤون الخارجية المركزية. ولتجنب الحشود ووابل الكاميرات خارج برج ترامب، نصح فريق انتقال الأمن القومي بأن يأتي الصينيون إلى مكتبي في 666 فيفث أفينيو. وقبل وصول الصينيين، أصر بيتر نافارو، الأستاذ السابق غريب الأطوار الذي وظفته كمستشار تجاري للحملة بعد قراءة كتابه "الموت على يد الصين"، على أن أمتنع عن تحيتهم في سيارتهم، وهو ما عرضت القيام به كنوع من المجاملة. وكان نافارو مصرا على أن مثل هذه البادرة سوف يفسرها الصينيون على أنها ضعف. وعندما وصلوا، قرأ يانغ من نص مكتوب، بينما نظر إلي مسؤول صيني ثان باهتمام لقياس رد فعلي. وجلس مسؤول صيني ثالث في مكان قريب، يدون الملاحظات. وعندما وصل يانغ إلى نقطة الحديث بشأن تايوان، نظر إلى أعلى بصرامة ورسم خطاً صارماً: "إن سلامة أراضي الصين غير قابلة للتفاوض". وبعد الاجتماع، طالب نافارو بأن يقوم جهاز الخدمة السرية بتفتيش المكتب بحثاً عن أجهزة تنصت.

لقد طلب مني الرئيس التنفيذي لشركة هيس جون هيس ومؤسس مجموعة بلاكستون ستيف شوارزمان مقابلة العديد من كبار المسؤولين السعوديين، الذين كانوا حريصين على تعزيز علاقتهم مع الولايات المتحدة بعد الكارثة في الشرق الأوسط مع الإدارة السابقة. عندما التقيت أنا وفلين وبانون في نيويورك مع وفد سعودي صغير، بقيادة الدكتور فهد بن عبد الله تونسي، أوضحوا أنهم كانوا في ديناميكية محفوفة بالمخاطر مع أوباما بشأن مواقفه بشأن عدد من التحديات في المنطقة - بما في ذلك سوريا، وتنظيم الدولة الإسلامية، وإيران، واليمن - وكانوا حريصين على بدء علاقة جديدة وأكثر إنتاجية مع إدارتنا. كان بانون وأنا صارمين. لقد أخبرنا السعوديين أنهم بحاجة إلى وقف تمويل الإرهاب، وتحسين سجلهم في مجال حقوق المرأة، ودفع تكاليف جيشهم، والبدء في اتخاذ خطوات نحو العمل مع إسرائيل. لم نكن مهتمين ببناء العلاقة إذا لم يكونوا ملتزمين بإحداث تغيير حقيقي في المنطقة.

لقد حققنا تقدماً في تحقيق هذه الأهداف. وقد أكد لنا فهد أن التغيير جارٍ وأنهلقد كان من المتوقع أن نفاجأ بالإصلاحات التي خططوا لإجرائها. فقد أصبح للمملكة زعيم شاب جديد، محمد بن سلمان، الذي أراد تحويل المملكة العربية السعودية. وكان من المتوقع أن يعودوا بخطة لإظهار كيف يمكننا تحقيق التقدم معًا.

لقد تعلمت الدبلوماسية على الفور عندما كنت أتفاعل مع عشرات المسؤولين الأجانب، من وزير الخارجية البريطاني المعين حديثا بوريس جونسون إلى وزير الخارجية النرويجي بورج بريندي إلى السفير الروسي. لم يكن هناك كتاب قواعد للنجاح أو ضابط بروتوكول يوجه تفاعلاتنا. عندما طورت علاقات جديدة في مجال الأعمال، كنت أقضي وقتًا في الاستماع والتعلم قبل إظهار أوراقي، واتبعت نهجًا مشابهًا هنا. بعد أن اختار ترامب المدير التنفيذي لشركة إكسون للنفط ريكس تيلرسون وزيرًا للخارجية، سلمت معظم الملفات وحولت انتباهي إلى قضايا محلية ملحة أخرى، وهو ما كان بمثابة راحة.

* * *

في فترة ما بعد الظهيرة الباردة والهادئة في شهر ديسمبر، كنت أسير مع إيفانكالقد كان من الرائع أن نرى أطفالنا في بيدمينستر، وأن نأخذ الوقت الكافي للتفكير فيما سنفعله بعد ذلك. قبل ليلة الانتخابات، لم نسمح لأنفسنا بالتركيز على ما قد يعنيه الفوز بالنسبة لنا. ولكن عندما فكرنا في الأمر، أدركنا أننا لا نستطيع أن نتخيل النظر إلى الوراء ذات يوم، مدركين أننا ابتعدنا عن فرصة للمساعدة في حل بعض أعظم التحديات التي تواجه أمتنا والعالم. من خلال الحملة، رأينا بأنفسنا كيف تردد صدى رسالة الرئيس المنتخب لدى ملايين الرجال والنساء المنسيين.

لقد قادتنا قصصهم -وهما من سكان مانهاتن منذ فترة طويلة مع تعرض محدود للسياسة- إلى الإيمان بالمبادئ الأساسية التي كان ترامب يناضل من أجلها.

كان مئات من اللاعبين الجمهوريين الأقوياء، الذين لم يفعلوا شيئًا لمساعدته في حملته الانتخابية، وفي كثير من الحالات عارضوه بنشاط وقوّضوه، يتنافسون على المناصب العليا. كنا نعتقد أنه يحتاج إلى أشخاص مثلنا ــ أفراد الأسرة الذين يفهمونه ويلتزمون بمساعدته على النجاح، دون أي أجندة خفية.

كنا نعلم أن هذه الفرصة للخدمة سوف تأتي بتكلفة باهظة. فهي تعني التخلي عن أعمالنا المزدهرة، وترك حياتنا في نيويورك، والقدوم إلى واشنطن وسط مزاعم المحسوبية.

وبينما كنا نفكر في الأمر، تلقيت مكالمة من ريسا هيلر، التي كانت مسؤولة العلاقات العامة لشركاتنا. قالت: "لقد طلبت مني صحيفة نيويورك تايمز للتو أن أتحدث عن هذا الأمر".للتعليق. لقد قيل لهم أنك ستنتقل إلى واشنطن العاصمة وتقود جهود السلام في الشرق الأوسط.

"هذا هراء"، أجبت. "لم نتخذ قرارًا بعد. من سيتولى هذا المنصب؟""مصدرهم؟"

"مصدرهم هو والد زوجك"، قالت ريسا.

كان إعلان ترامب عن تعييني في صحيفة نيويورك تايمز بمثابة طريقته في عرض الوظيفة عليّ. قررت أنا وإيفانكا أن نستغل هذه الفرصة التي تأتي مرة واحدة في العمر لخدمة البلد الذي نحبه. عندما أخبرنا ترامب أننا قادمون إلى واشنطن، كان سعيدًا، لكنه حذرنا من أنه يتعين علينا أن نكون حذرين للغاية: "أنت أصغر سناً، ونحيفة للغاية، وغنية للغاية، وجميلة للغاية. سوف يطاردونك".

وبينما كنت أستعد لمغادرة شركات كوشنر، كنت سعيداً لأنني نجحت في تجنيد أختي الصغرى نيكي للانضمام إلى شركة العائلة في العام السابق. في ذلك الوقت، لم أتخيل قط أنني سأغادر للالتحاق بالخدمة الحكومية، ولكن نيكي، التي قضت عشر سنوات كمديرة تنفيذية في رالف لورين، ستكون قادرة الآن على تحمل بعض مسؤولياتي ومساعدة والدي وشريكي القديم لوران مورالي في قيادة الشركة.

كنت أعلم أن أعمال عائلتنا سوف تخضع للتدقيق حتماً بسبب خدمتي الحكومية، ولكن لحسن الحظ كنا ندير أعمالاً احترافية وصادقة للغاية وكنت واثقاً من أن الشركةسوف تبحر من خلال التدقيق.

بسبب وضع والدي، تعلمنا أن المال ليسكان الأمر الأكثر أهمية بالنسبة لي هو أن عائلتي كانت مستعدة لإعطاء الأولوية لخدمتي الحكومية على حساب أرباح الشركة. ولهذا السبب، ولحبهم الدائم ودعمهم، سأظل ممتنًا لهم إلى الأبد.

بعد أيام قليلة من اتخاذ إيفانكا وأنا القرار بالانتقال إلى واشنطن، اصطحبت ابنتي أرابيلا، التي كانت في الخامسة من عمرها آنذاك، لتناول العشاء. وبمجرد وصول البيتزا، رن هاتفي.

كان السفير الإسرائيلي رون ديرمر، الذراع اليمنى لرئيس الوزراء نتنياهو. ولد ونشأ في ميامي بيتش بولاية فلوريدا، ودرس في كل من وارتون وأكسفورد قبل أن يتخلى عن دراستي في جامعة أكسفورد.

الجنسية الأمريكية والغوص في السياسة الإسرائيلية. تم تعيينهبصفتي سفيرًا لإسرائيل لدى الولايات المتحدة في عام 2013، وحافظنا على اتصال منتظم طوال الحملة.

لقد كنت أتبع قاعدة تقضي بعدم السماح للعمل بمقاطعة وقتنا مع والدنا، ولكنني رددت على المكالمة. أخبرني ديرمر أنه على بعد عشرين مبنى جنوباً، في مقر الأمم المتحدة، كانت عدة دول، بقيادة مصر، تستعد لتقديم قرار لإدانة المطالبات القضائية الإسرائيلية في الضفة الغربية باعتبارها "لا شرعية قانونية" و"انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي". كان ديرمر يسمع أن إدارة أوباما تنوي الامتناع عن التصويت.

إن امتناع الولايات المتحدة عن التصويت سوف يشكل تخلياً غير مسبوق عن إسرائيل. كما أنه سوف يهدد جهودنا المستقبلية الرامية إلى تحقيق السلام من خلال ترجيح كفة المفاوضات لصالح الفلسطينيين وثنيهم عن التفاوض بشكل مباشر مع الإسرائيليين.

وبينما كنا نطلب الآيس كريم، رنّ هاتفي مرة أخرى.

كان مايك بنس. نظرت بعجز إلى أرابيلا عندما بدأ الفجر ينير المكان.لقد سمعت شائعات عن أن العمل في الحكومة سيكون أكثر حساسية للوقت وأكثر أهمية من وظيفتي السابقة. وكان بنس قد سمع شائعات مماثلة حول القرار.

بعد إغلاق الهاتف، اتصلت بدينيس ماكدونوغ، الذي أعطاني رقم هاتفه.عندما زرنا البيت الأبيض اتصل بي وطلب مني أن أتواصل معه إذا احتجت إلى أي شيء. قال إنه لا علم له بالقرار، لكنه سيطلعني على المستجدات. وكان هذا آخر اتصال سمعته منه.

ولأنني لم أكن متأكداً مما قد تفعله إدارة أوباما، فقد اعتقدت أنه من المهم أن يوضح ترامب معارضته للقرار. ورغم أنه من النادر أن يعلق رئيس منتخب على سياسة رئيس منتهية ولايته، فقد وافق ترامب على أن الأمر يستحق كسر البروتوكول في قضية مهمة كهذه.

بالتعاون مع ديفيد فريدمان وجيسون جرينبلات، قامت حملتنا لقد قمنا بصياغة بيان، قام ترامب بتعديله ونشره على تويتر وفيسبوك: "لن يأتي السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين إلا من خلال المفاوضات المباشرة بين الطرفين وليس من خلال فرض شروط من قبل الأمم المتحدة. وهذا يضع إسرائيل في موقف تفاوضي ضعيف للغاية وهو غير عادل للغاية لجميع الإسرائيليين".

وفي اليوم التالي، اتصل بنا الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي ليخبرنا أن فريقه لم يكن يعمل تحت إشرافه، وأن مصر سوف تلغي القرار.

لفترة من الوقت، بدا الأمر كما لو أننا نجحنا وبدأنا بالفعل في إحداث تأثير.

وبعد يومين، أعادت ماليزيا ونيوزيلندا والسنغال وفنزويلا تقديم القرار. وظللت أنا وفلين وبانون مستيقظين حتى وقت متأخر من الليل نتصل بعشرات السفراء، ونحثهم على معارضة القرار أو الامتناع عن التصويت عليه. كنا مبتدئين، ولم نكن نعرف اللاعبين الرئيسيين في البلدان الأعضاء في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، لكننا لم نكن لنسمح للقرار بالمرور دون بذل كل ما في وسعنا لمنعه. وفي العديد من هذه المكالمات، كنا نقدم أنفسنا للمرة الأولى. وفي مرحلة ما، سألت ديرمر عما إذا كان لديه أي اتصالات مؤثرة في روسيا يمكن لفلين الاتصال بها - بخلاف السفير الروسي. بعد اجتماعنا الأول مع السفير الروسي خلال الفترة الانتقالية، قررنا أنا وفلين أنه ليس لديه أي نفوذ في موسكو.

ذكّرني ديرمر لاحقًا بهذه المحادثة كدليل على أننا لم نتواطأ مع روسيا.

في 23 ديسمبر/كانون الأول، أقر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة القرار رقم 2334 بأغلبية 14 صوتًا مقابل 14 صوتًا.

0. في خطوة اشتبه الكثيرون في أنها كانت عقابًا لنتنياهو على إدانته للاتفاق النووي مع إيران في خطاب ألقاه أمام الكونجرس عام 2015، قررت إدارة أوباما فرض عقوبات على نتنياهو.

امتنعت أغلب الدول عن التصويت. ورغم جهودنا، لم نتمكن من تغيير صوت واحد. وبعدثمانية وأربعون ساعة من العمل على الهاتف، كنت منهكًا ومنهكًا

وبالنتيجة اتصلت ببانون لأعرب له عن مواساتي في إخفاقنا الأول في الأمم المتحدة. ودون أن يفوته أي شيء، قال بانون: "مرحبًا بك في اتحاد كرة القدم الأميركي، يا شريكي".

{9}

التعلم أثناء العمل

وقفت أنا وفانكا على المنصة الافتتاحية في رذاذ المطر البارد بينما أدى دونالد جيه ترامب اليمين الدستورية وأصبح الرئيس الخامس والأربعين للولايات المتحدة. وبينما كنا ننظر إلى بحر من الناس
أنا
الذين جاءوا ليشهدوا تلك اللحظة التاريخية، كان الرؤساء الجدد الذين أدوا اليمين الدستورية يلوحون برأسهم.

ألقى الرئيس ترامب رسالة صدحت في مختلف أنحاء أميركا والعالم: "سيظل يوم العشرين من يناير/كانون الثاني 2017 في الأذهان باعتباره اليوم الذي أصبح فيه الشعب حاكماً لهذه الأمة مرة أخرى. ولن يُنسى الرجال والنساء المنسيون في بلادنا بعد الآن".

لقد دعانا ترامب لقضاء الليل في غرفة نوم لينكولن، وهي غرفة فخمة تقع في الطابق الثاني من البيت الأبيض حيث استضاف الرئيس أبراهام لينكولن اجتماعات حكومته الأسطورية. قبل أن نغادر إلى الحفلة، أشعلنا شمعدانات السبت وصلينا. أخبرنا أحد أفراد طاقم البيت الأبيض أن هذه كانت المرة الأولى التي يتم فيها إضاءة شموع السبت في المقر الخاص. في إحدى الحفلات، طلب ترامب -الذي لا يُعرف عنه أنه راقص- من نائب الرئيس والسيدة الثانية، وكذلك إيفانكا وأنا وإخوتها، أن نتبعه وميلانيا بعد قليل، حتى لا يضطروا إلى الرقص بمفردهم لمدة ثلاث دقائق كاملة.

في اليوم التالي، تجولت أنا وإيفانكا في الجناح الغربي مع ترامب بينما كان يتنقل من غرفة إلى أخرى، ويختار الأعمال الفنية التي سيعلقها في المكتب البيضاوي وفي مكتبه الخاص. وتبعه فريق من العاملين في البيت الأبيض، ونقلوا الأثاث واللوحات إلى الأماكن التي وجهها. بالنسبة للمكتب البيضاوي، طلب صورة لأندرو جاكسون، أول رئيس أمريكي من خارج البيت الأبيض. وفي النهاية، شكر ترامب الفريق ومشرفه، وهو رجل نبيل يُدعى ديفيد جاغداهن، وسأل عما إذا كان بإمكانه منح الرجال إكرامية بضع مئات من الدولارات لأنهم قاموا بعمل مذهل. ضحك ديفيد وأخبره أنهم موظفون فيدراليون وكانوا على استعداد لقبول إكرامية.

أعظم متعة بالنسبة لهم هي العمل مع رئيس الولايات المتحدة. عندما خرجنا، سألني ديفيد، "هل هو دائمًا على هذا النحو؟ إنه يعاملنا"الجميع متساوون. لقد أمضيت معه وقتًا أطول في الأربع والعشرين ساعة الأولى من ولايته مما أمضيته مع الرئيس أوباما طوال ثماني سنوات."

كان مكتبي يقع في الطابق الأول من الجناح الغربي، بجوار مكتب بانون، وعلى بعد مكتبين من مكتب رئيس الأركان رينس بريبوس. وعلى النقيض من مكتبي في نيويورك، وهو عبارة عن ناطحة سحاب من الفولاذ والزجاج مع أثاث عصري، كان هذا المكتب مزدحماً وضيقاً ومظلماً، يضيئه ضوء يتساقط من خلال نافذة واحدة في الطابق الأرضي تطل على بضعة شجيرات. وفي أول يوم لي في البيت الأبيض، اكتشفت مكتباً قديماً، وعدداً قليلاً من الأرفف المدمجة، وأريكة مهترئة مغطاة بالنايلون. وكان العنصر الحديث الوحيد هو الهاتفان ــ هاتف أسود للاستخدام العام وآخر أصفر للاتصالات الآمنة فقط. ولم أكن قد قمت بعد بتغيير أي شيء، بخلاف وضع صورة لأجدادي على مكتبي، وتعليق مزوزة من حاخامي على عتبة الباب، ووضع آلة حاسبة من طراز HP12C أعطاني إياها مارك هوليداي في درجي. وعلى الرغم من حجم المكتب المتواضع، إلا أنه كان يتمتع بميزة واحدة مرغوبة للغاية: فهو الأقرب إلى المكتب البيضاوي. قيل لي أن من بين شاغليها السابقين جورج ستيفانوبولوس وجون بوديستا.

عندما غادرت أنا وإيفانكا البيت الأبيض لنأخذ الأطفال إلى منزلنا الجديد لأول مرة، قدم لي رجلان نفسيهما وأخبراني أنهما سيكونان عملاء الخدمة السرية الخاصين بي. حتى تلك اللحظة، لم أكن أعلم أنني سأحصل على وحدة من الخدمة السرية، لكن هذا كان مجرد أحد التغييرات العديدة في حياتنا. أعطتني وحدتي الاسم الرمزي "ميكانيكي" من الخدمة السرية، لأنهم لاحظوا أنني أصلح المشاكل بهدوء ومنهجية خلف الكواليس أثناء الحملة الرئاسية. سرعان ما أصبحنا ننظر إلى وحدة الخدمة السرية الخاصة بنا على أنها امتداد للعائلة. كان الأطفال يركضون كثيرًا خارج الباب الأمامي، حيث يقف العملاء بأمانة حراسة، ويلقون كرة القدم أو يلونون الرصيف بالطباشير أثناء حديثهم مع العملاء. بعد سنوات، في يناير 2021، ذكرت الصحافة خطأً أننا لن نسمح للخدمة السرية باستخدام حمام في منزلنا. كان هذا واحدًا من العديد من التقارير الكاذبة. عندما عرضت إعداد طريقة للعملاء للوصول إلى منزلنا واستخدام الحمام، رفض قائد وحدتنا. كانوا يبحثون عن مساحة أكبر يمكن أن تكون بمثابة مركز قيادة. قمنا بإنشاء مخزن داخل منزلنا للوكلاء، وعلى مدار السنوات الأربع التالية، احتفظنا به مملوءًا بالوجبات الخفيفة والقهوة والمشروبات الأخرى. كلما

طلبنا توصيل وجبات الطعام، وطلبنا وجبات إضافية لهم، وفي أيام الأحدأحب الأطفال خبز الكوكيز ومشاركتها مع الوكلاء.

خلال الأيام القليلة الأولى من العمل، شعرت كل ساعة وكأنها سباق. سارع فريق السياسات إلى صياغة عشرات الأوامر التنفيذية حتى يتمكن الرئيس من الوفاء بوعود حملته. وتنقل فريق الصحافة عبر هجوم من الاستفسارات حول كل شيء من حجم حشد التنصيب إلى حروب العصابات داخل الجناح الغربي. حاولت التنقل في عالم الحكومة غير المألوف، والذي بدا مليئًا بعمليات وعقبات لا نهاية لها مصممة لمنع أي شيء من الإنجاز. كان على رأس قائمة أولوياتي إيجاد حل عملي لاتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية، أو نافتا، التي تفاوض عليها جورج بوش الأب ووقع عليها بيل كلينتون في تسعينيات القرن العشرين. في العقود التي تلت ذلك، أرسلت نافتا عشرات الآلاف من وظائف التصنيع الأمريكية إلى المكسيك، مما أدى إلى إغلاق مصانع ومصانع الصلب في مدن وبلدات الغرب الأوسط، حيث صنع أجيال من العمال حياتهم المهنية مدى الحياة في وظائف ذات رواتب جيدة، وكسبوا معيشة مستقرة لأسرهم.

لقد كان وعد ترامب بتمزيق اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية بمثابة دافع لحملته الانتخابية، وكسر عقيدة التجارة الحرة الجمهورية، مما يعكس اعتقاده الراسخ بأن الاتفاقية تضر بالعمال الأميركيين. فعندما أغلقت مصانعهم، وجد بعضهم عملاً جديداً، لكن كثيرين لم يجدوا عملاً، وبات تعاطي المخدرات والجريمة الآن من بين أخطر المشاكل التي تعاني منها مجتمعات الطبقة العاملة المزدهرة ذات يوم. ورغم أن ترامب وافق على السماح لي بمحاولة إعادة التفاوض على الاتفاقية، إلا أنني كنت أعلم أن صبره كان بين النفاد والعدم. وفي أي لحظة، قد يتصرف على أساس رغبته في إنهاء الاتفاقية البالغة قيمتها 1.3 تريليون دولار بالكامل، وهو ما من شأنه أن يخلق حالة من عدم اليقين الهائلة للشركات الأميركية التي تتاجر مع كندا والمكسيك ـ أكبر سوقين للتصدير لدينا، وتغطي نحو 40% من صادرات أميركا السنوية. ومن شأن هذا الغموض أن يمنحنا يداً أضعف لنلعب بها في مفاوضاتنا التجارية الوشيكة مع الصين.

ولإتمام تفاصيل الصفقة الجديدة، دعوت وزير الخارجية المكسيكي الجديد لويس فيديجاراي كاسو إلى واشنطن. وفي أعقاب مكالمتنا ليلة الانتخابات، طلب الرئيس بينيا نييتو من لويس العودة إلى الحكومة بصفته الدبلوماسي الأعلى للمكسيك والمحاور الرئيسي مع واشنطن. وكان متردداً في البداية، بعد أن استقر للتو في نمط حياة أكثر هدوءاً مع أسرته، لكنه قبل لأنه كان يخشى أن يضطر إلى التنازل عن بعض التزاماته.

لقد أدرك أن ثقتنا الراسخة أهلته بشكل فريد لمساعدة المكسيك في التنقل عبر الطريق المعقد الذي ينتظرها.

في صباح السادس والعشرين من يناير/كانون الثاني، حضر لويس إلى مكتبي. وبينما كنا نخطط للاستراتيجية، سمع بانون أن دبلوماسيا كبيرا كان معي، فانضم إلينا أيضا. وناقشنا نحن الثلاثة محادثات التجارة التي خططنا للإعلان عنها في الأسابيع القليلة المقبلة في مناسبة في البيت الأبيض مع الرئيس بينيا نييتو ورئيس الوزراء الكندي جاستن ترودو. ولإتمام خططنا، اتصلنا برئيسة أركان ترودو، كاتي تيلفورد، وهي موظفة موهوبة التقيت بها أثناء الفترة الانتقالية.

"هل الاجتماعات لا تزال قائمة؟" سأل تيلفورد."ماذا تقصد؟" قلت.

"ألم تشاهد تغريداته هذا الصباح؟"

لقد فاتتنا تغريدات الرئيس لأنني ولويس وضعنا هواتفنا المحمولة في صندوق آمن وعازل للصوت، وهو ما كان من بروتوكولات البيت الأبيض عند مناقشة مسائل الأمن القومي الحساسة. كانت هواتفنا عرضة بشكل مدهش للتسلل الأجنبي: كان بإمكان المتسللين تشغيل ميكروفوناتنا وكاميراتنا لتسجيل المحادثات - حتى عندما كانت الهواتف مغلقة. أمسكت بهاتفي لإخراج التغريدات: "تعاني الولايات المتحدة من عجز تجاري قدره 60 مليار دولار مع المكسيك. لقد كانت صفقة من جانب واحد منذ بداية اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية مع أرقام هائلة من التخفيضات الضريبية".

... من الوظائف والشركات المفقودة. إذا كانت المكسيك غير راغبة في دفع ثمن الأضرار التي لحقت بها،

"إذا كان هناك حاجة إلى الجدار، فسيكون من الأفضل إلغاء الاجتماع القادم."

لقد أغلقت الهاتف، وتركت لويس وبانون في مكتبي، وتوجهت إلى المقر التنفيذي. وبينما كنت أركض على نفس الرواق الذي عبرناه مع الرئيس أوباما في نوفمبر/تشرين الثاني، فكرت في كل مساعدي البيت الأبيض الذين سبقوني والذين لابد وأنهم ركضوا على هذا الممر عندما اختفت الكاميرات، كما أفعل الآن. حتى تلك اللحظة، كنت أعتبر الرواق ممرًا مهيبًا وكريمًا. ولكن

وبدأت أتساءل عما إذا كان هذا المكان بمثابة ممر ذعر بالنسبة للأشخاص الذين يعملون داخل البيت الأبيض.

ولأن ميلانيا لم تكن قد انتقلت بعد إلى واشنطن، فقد دخلت مباشرة إلى غرفة نوم ترامب، حيث كان يقرأ وثائق تتضمن الأخبار.في اليوم السابق، كان قد وقع على أمر تنفيذي لوزير الأمن الداخلي بتوجيه كل الموارد المتاحة نحو بناء الجدار الحدودي.

في الساعات التي أعقبت التوقيع، صرحت مصادر مجهولة داخل الحكومة المكسيكية لصحيفة نيويورك تايمز أن الرئيس بينيا نييتو يفكر في إلغاء زيارته المرتقبة إلى البيت الأبيض. وبعد أن رأى ترامب هذه التقارير، قرر أن يتخذ موقفا هجوميا.

لقد واجهته بشأن التغريدة: "لويس موجود في مكتبي الآن. لقد أكد لي أنهم على استعداد لإجراء بعض التغييرات الكبرى، ولدينا"إننا نخطط للإعلان عن إعادة التفاوض على اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية خلال زيارة بينيا نييتو. وهذا من شأنه أن يعرقل الأمر برمته".

لقد سألني ترامب متشككا عما إذا كنت أعتقد أننا نستطيع فعلا التوصل إلى اتفاق مع المكسيك، وحثثته على السماح لي على الأقل بالمحاولة. وعندما أدرك أنه ربما أطلق تغريدته قبل أوانها، رد مازحا: "لا أستطيع أن أجعل هذا الأمر سهلا للغاية بالنسبة لك".

لقد وضعت ترامب في موقف صعب. فبالرغم من الأولويات العديدة التي كان يتلاعب بها، لم أقم بعد بتحديثه بشأن المؤشرات الإيجابية التي تلقيناها من المكسيكيين والكنديين. ولم يكن بوسعي أن أتوقع منه أن يعرف ما لم أخبره به. كنت معتادًا على إدارة أعمالي الخاصة، لكنني لم أعد الرئيس. كنت موظفًا، وكان من الضروري تغيير نهجي. ومنذ ذلك الحين، قدمت تحديثات أكثر تواترًا. ولكن في هذه الحالة، ربما لم يحدث ذلك فرقًا. كان ترامب، المفاوض الطبيعي، يؤسس لموقفه الافتتاحي مع المكسيك وجميع الدول الأجنبية. إن إظهار الضعف والقدرة على التنبؤ الآن من شأنه أن يضعه في وضع استراتيجي غير مؤات. عندما خرجت من غرفة نوم الرئيس، تساءلت لماذا أتولى هذه المشكلة المستحيلة. الحفاظ على اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية حتى نتمكن من التفاوض على صفقة أفضل ضد غرائز رئيس كان يميل إلى تمزيقها والتعامل مع التداعيات.

وفي هذه الأثناء، في مكتبي، جلس لويس بشكل محرج مع بانون، الذيونصحه باحتضان الصراع والوقوف في وجه ترامب.

"قال لي: "سوف يجعلك هذا بطلاً. وسوف ترتفع أرقام استطلاعات الرأي الخاصة بك على الفور". ظل لويس صامتًا. وعندما أخبرني لاحقًا عن المحادثة، بدا الأمر غريبًا بالنسبة لي. كان بانون قد وافق سابقًا على أن إعادة التفاوض على الصفقة من شأنها أن تعيد الوظائف وتفيد العمال الأمريكيين. لم أستطع أن أفهم لماذا يحاول الآن تفجير الأمر.

* * *

في الثاني من مارس، سافر ترامب إلى نيوبورت نيوز، فيرجينيا، لتكليفكانت حاملة الطائرات الأميركية يو إس إس جيرالد ر. فورد، وهي حاملة طائرات جديدة مذهلة تعمل بالطاقة النووية، متأخرة عن موعدها بنحو عامين، وتجاوزت ميزانيتها بنحو 2.8 مليار دولار. كان ترامب في مزاج رائع. كان يستمتع بوضوح بجولته في السفينة الضخمة. كان الأمر مألوفًا بالنسبة له، مثل زيارة أحد مواقع بناء فندقه. وبينما كان يتفقد نظام المنجنيق الإلكتروني الجديد في السفينة، أخبر الطاقم أنه يعتقد أنه مكلف للغاية ومعقد. كان النظام القديم الذي يعمل بالبخار يعمل بشكل جيد تمامًا لعقود من الزمن. وتكرر مشهد مماثل عندما تفقد المصاعد المغناطيسية الجديدة، والتي لاحظ أنها ستتعطل إذا تعرضت للبلل.

وبينما كان ترمب في طريقه إلى واشنطن، أعلن المدعي العام جيف سيشنز أنه تنحى عن أي تحقيق في الاتهامات الموجهة إلى الحملة بالتواطؤ مع روسيا. وقد صدم هذا التنحي الرئيس، الذي قال للصحافة أثناء جولته على متن السفينة إنه "يثق تماما" في سيشنز. ومثلي كمثل سيشنز، صافح السفير الروسي سيرجي كيسلياك خلال حفل كوكتيل في فندق ماي فلاور في عام 2016.

كان هذا التفاعل غير ضار على الإطلاق، وهو ما كرره سيشينز عشرات المرات مع مختلف السفراء طوال الحملة الانتخابية والانتقال. وعندما انتشرت الأخبار بأنه فشل في الكشف عن هذا التبادل في أوراق الموافقة الخاصة به وخلال جلسة تأكيده في مجلس الشيوخ، دعا الديمقراطيون على الفور إلى استقالته، وروجت الصحافة للقصة بأبعاد سخيفة:

"لماذا يخفي جيف سيشنز محادثاته مع سيرجي كيسلياك؟" تساءل ال جديد

يوركر."الجلسات مناقشة "لقد أظهرت عمليات اعتراض

الاستخبارات الأميركية أن حملة ترامب الانتخابية كانت مرتبطة بالسفير الروسي"، هذا ما جاء في صحيفة واشنطن بوست. لقد أثبت تنحي سيشينز للديمقراطيين أن هجماتهم التي لا أساس لها من الصحة سوف تسفر عن مكافآت سياسية.وفي نهاية المطاف، أدى القرار إلى تعيين مستشار خاص يتمتع بسلطة وموارد غير محدودة تقريبًا للتحقيق في الادعاءات الزائفة بالتواطؤ الروسي.

في اليوم التالي، استدعى ترامب رينس بريبوس وستيف بانون ودون ماكجان، مستشاره في البيت الأبيض، إلى المكتب البيضاوي ووبخهم. وقال ترامب: "هل عاد سيشينز إلى رشده؟ إذا كان لا يريد الإشراف على وزارة العدل، فعليه أن يستقيل".

صرح بذلك. لم يستطع أن يفهم سبب تنحي سيشينز، أو كيفكان فريق البيت الأبيض قد سمح للنائب العام بفعل ذلك. كانت رواية التواطؤ مجرد سياسة محضة تفاقمت بسبب الهستيريا الإعلامية، واستسلم سيشينز لها. لم يتواطأ هو ولا حملة ترامب مع روسيا. في نصف الوقت، لم نتمكن حتى من التواطؤ مع ترامب؛ وغالبًا ما كان فريقه يتناقض معه في الصحافة. لم يكن من الممكن أن تكون الفجوة بين الحقائق التي أعرف أنها صحيحة والتقارير الإعلامية أوسع من ذلك.

بينما واصل ترامب انتقاد فريقه القيادي، قالت مارين ون:"هبطت الطائرة على بعد بضع عشرات من الأمتار، في وسط الحديقة الجنوبية. كانت جاهزة لنقل ترامب إلى فلوريدا لحضور حدث في مدرسة مستأجرة، والتي رتبتها إيفانكا، قبل التوجه إلى مار إيه لاغو لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. مثل معظم أعضاء كبار الموظفين، شعر بانون وبريبوس أنهما بحاجة إلى التواجد في الغرفة مع الرئيس في جميع الأوقات، وتأكدوا من إدراجهما في قائمة الرحلة إلى فلوريدا بعد ظهر ذلك اليوم. لكن ترامب كان لديه خطط مختلفة. "لماذا تأتي إلى فلوريدا لهذا اليوم؟ لا أحتاجك هناك.

"ابق هنا. لم يكن هناك سبب لتنحي سيشينز، وهذا من شأنه أن يطلق العنان لكارثة". بصفته طالبًا بارعًا في التاريخ السياسي الأمريكي، كان ترامب قد شاهد المستشارين الخاصين السابقين وهم يفككون الإدارات السابقة. وبحكم طبيعة تعيينهم، بدا أن المستشارين الخاصين يعتقدون أن تحقيقاتهم بحاجة إلى العثور على دليل دامغ لتبرير وجودهم، بغض النظر عن مزايا القضية.

في ذلك المساء، اتصل بي بريبوس وأخبرني أن ماجي هابرمان تكتب قصة عن كيف أن بريبوس وبانون كانا في ورطة مع الرئيس، الذي طردهما من الرحلة إلى مار إيه لاغو. لقد سرب شخص ما قصة إلى هابرمان، مراسلة البيت الأبيض لصحيفة نيويورك تايمز التي غطت ترامب لأكثر من عشرين عامًا. أرادت بريبوس أن تخفف من القصة وسألتني إذا كنت سأخبرها أنها غير صحيحة. حتى تلك اللحظة، لم أتصل بهابرمان أبدًا. أعطتني بريبوس رقمها، وحاولت تجنب القصة، وأخبرتها أنها ليست مشكلة كبيرة. طلب الرئيس من بريبوس وبانون البقاء والعمل على قضايا حساسة للوقت في البيت الأبيض.

بعد دقائق من حديثي مع هابرمان، اتصل بي بانون وقال: "كيف تجرؤ على تسريب معلومات عني؟ إذا سربت معلومات عني، فسأقوم أنا بتسريب معلومات عنك بثمانية وعشرين طريقة مختلفة اعتبارًا من يوم الأحد".

لقد دفعت بقوة. "ستيف، هل تمزح معي؟ لم يكن هذا تسريبًا. لقد تحدثت إلى ماجي لأن رينس طلب مني الاتصال للدفاع عنكم وتبديد القصة. لقد كنت معكم في الخنادق. متىهل سبق لك أن رأيتني أتحدث إلى صحفي؟ أنا لا أتحدث إلى الصحافة. لم أقم قط بتسريب معلومات عن أي شخص. لا أعرف كيف أقوم بالتسريب. لا تتهمني بأي شيء.

وبعد بضعة أيام، اعتذر بانون. فقبلت اعتذاره وطلبت منه ألا يفعل ذلك مرة أخرى. وقلت له: "هذه ليست اللعبة التي أمارسها. فأنا شخص أتعامل مع الخنادق. وإذا كانت لدي مشكلة مع الناس، فإنني أخبرهم بذلك، ولكنني لا أعبر عن مظالمي من خلال الصحافة. فهذا لا يساعد الفريق، ولا يساعد الرئيس".

لقد أصبح سلوك بانون أكثر تقلبا، وهو ما أكد التحذيرات التي نقلها لي بعض أصدقائي من نيويورك: لقد كان وجوده مزعزعا للاستقرار في منظماته السابقة، حيث بدا دائما وكأنه يغادرها بانفجار. كان هناك ارتفاع واضح في القصص السلبية عن إيفانكا وأنا، والتي صورت بانون كمنقذ ضد حملتنا الليبرالية المزعومة. بعد وقت قصير من ظهور إحدى هذه القصص، اتصل أحد المراسلين بهوب هيكس، قائلا: "أنا لست صديقتك، لكنني أكون صديقتك". وكشفت المراسلة أن التسريبات كانت تأتي بتوجيه من بانون.

في السابع والعشرين من مارس/آذار، نشرت صحيفة نيويورك تايمز تقريرا عن اجتماع روتيني وغير ملحوظ عقدته أثناء فترة انتقال السلطة مع مسؤول تنفيذي مصرفي روسي يدعى سيرجي جوركوف. وأشاد الديمقراطيون بهذا الاجتماع باعتباره دليلا على تواطئي مع الروس وسعيي إلى الحصول على خدمات تجارية من جوركوف. ولكن في واقع الأمر، التقيت بجوركوف بناء على طلب محدد من السفير الروسي، الذي أشار ضمنا إلى أن جوركوف كان خطا مباشرا للقيادة الروسية. ولم نناقش الأعمال التجارية ــ بل كان مجرد اجتماع تمهيدي لمدة ثلاثين دقيقة. وتلقيت تحديثا عن أولويات السياسة الخارجية الروسية، وتواصلت مع ترمب بشأن رغبة روسيا في تكوين علاقات جديدة على أساس أهداف مشتركة، مثل كبح جماح إيران ومكافحة التطرف الإسلامي. وكهدية، أحضر جوركوف كيسا من التراب من نوفوغرودوك، المدينة في بيلاروسيا حيث هرب أجدادي. وسلمته إلى مكتب انتقال السلطة باعتباره هدية أجنبية. ولم أتابع أو أتحدث مع جوركوف مرة أخرى. بعد ضغوط من وسائل الإعلام، أعلن السيناتور الجمهوري ريتشارد بور، رئيس لجنة الاستخبارات القوية في مجلس الشيوخ، أنه يخطط لاستجوابي.

حول الاجتماع وأي تدخل قد يكون للحملة مع روسيا.

لقد كانت نفس المهارات التي جعلت بانون قيما كمقاتل خلال الحملة هي التي جعلته ساما في البيت الأبيض. على الرغم من أنه لم يكن مع الحملة إلا لمدة ثمانية وثمانين يوما، فقد وضع نفسه كحارس لشعلة ترامب. كتب كل وعود حملة الرئيس على السبورة البيضاء - والتي قدمها ترامب في معظمها قبل أشهر من انضمام بانون إلى الحملة - وتأكد من عرض القائمة على موكب لا نهاية له من المراسلين الذين قدموا من خلال مكتبه. أنا أيضا كنت أؤمن بمعظم سياسات ترامب، لكنني أدركت أن تحقيقها يتطلب في كثير من الأحيان الوقت والجهد والخبرة الفنية. لقد أوضحت لبانون أننا كنا نلعب الآن بالذخيرة الحية، وكان علينا أن نعرض الخيارات ومساعدة الرئيس في تنفيذها بطريقة مدروسة واستراتيجية. كما اعتقدت أنه كموظفين، يجب أن نحافظ على رؤوسنا منخفضة، وننجز الأمور، ونتحمل اللوم عن الأخطاء، ونتأكد من حصول الرئيس على الفضل في أي نجاح.

كان نهج بانون واضحا تماما عندما وقع ترامب على أمر تنفيذي في اليوم السابع من توليه منصبه، مما أدى إلى فوضى في العلاقات العامة. فقد حظر الأمر السفر من البلدان التي فشلت في تلبية المعايير السليمة لمنع الإرهابيين من السفر إلى الولايات المتحدة. كانت البلدان السبعة التي تغطيها السياسة ذات أغلبية مسلمة، ولكن لم يتغير شيء مع وجود عشرات البلدان الإسلامية الأخرى في جميع أنحاء العالم التي لديها معايير فحص وضوابط أفضل. في وقت

في ذلك الوقت، عندما ظل تنظيم داعش قويا، وكان خبراء الأمن القومي قلقين بشأن الهجمات الإرهابية المحلية، كانت هذه السياسة منطقية. ومع ذلك، قام بانون بتمريرها عبر عملية الموافقة، وأخفاها عني وعن معظم كبار الموظفين حتى وقع الرئيس بالفعل على الوثيقة. تسبب الافتقار إلى التخطيط في حدوث ارتباك حول كيفية ومتى ينبغي للوكالات الفيدرالية تنفيذ حظر السفر. وأطلق العنان للفوضى في مطاراتنا وخلق فراغًا في المعلومات حول سبب اتخاذ ترامب لهذا الإجراء. صاغ الديمقراطيون الإجراء باعتباره "حظرًا للمسلمين"، وهو ليس كذلك. لكن الحقائق ضاعت في الفوضى التي تدفقت من طرح بانون الفاشل.

لقد حاول بانون تعزيز موقفه باستخدامي كطرف معاكس: ذلك الليبرالي النيويوركي الذي كان يعمل على تقويض أجندة ترامب وكان يعاني من صراعات تجارية. كما كان يثبت صحة تحذيره.

كانت إيفانكا قد تلقت في وقت مبكر من مساعد كبير سابق لنانسي بيلوسي: "في واشنطن، إذا لم تحدد نفسك، فسوف يفعل عدوك ذلك بكل سروركان ينبغي لي أن أرد منذ البداية. وبدلاً من ذلك، استلهمت صفحة من كتاب هوارد روبنشتاين للعلاقات العامة: الامتناع عن التعامل مع الصحافة لتجنب جذب المزيد من الاهتمام غير المرغوب فيه. وهذا سمح لبانون وآخرين بتعريفي. ولكن لا يوجد ما يضمن أن الاستراتيجية المعاكسة كانت لتنجح. لم نكن نعرف اللاعبين في الصحافة أو كيف نتحدث إليهم، وكان بانون حائزاً على الحزام الأسود في فنون التلاعب بوسائل الإعلام المظلمة.

لم أكن الشخص الوحيد الذي انقلب عليه بانون. فخلال فترة الانتقال، أعرب بانون عن إحباطه من إقحام كيليان كونواي نفسها في المناقشات وتسربها إلى الصحافة لتضخيم دورها باستمرار. وراهن بانون على أنه قادر على هندسة خروجها في الأشهر الثلاثة الأولى. وكان مقتنعا بأنها لن تجتاز اختبار المخدرات في البيت الأبيض، ولم يخف خيبة أمله عندما نجحت في ذلك.

وسرعان ما أصبح من الواضح أن البيت الأبيض كان مختلفاً تمام الاختلاف عن تجربتي في القطاع الخاص. فقد أدت البيروقراطية والأنا وهوس الناس بالتمسك بالسلطة إلى خنق التعاون والتقدم نحو تحقيق أهداف السياسة. وفي إحدى المرات، استدعاني جاري كوهن، الرئيس السابق لشركة جولدمان ساكس المعين لقيادة المجلس الاقتصادي الوطني، جانباً.

وقال "بانون ينشر أخبارا كاذبة عني بلا توقف. لن أقبل بهذا. أعرف كيف أقاتل بطريقة قذرة".

في الواقع، كان ينبغي لي أن أطلب منه أن يناقش الأمر مع بانون مباشرة، ولكنني بدلاً من ذلك استدعيت بانون إلى غرفة مجلس الوزراء. وقلت له: "ستيف، عليك أن تتوقف عن تسريب المعلومات عن جاري. نحن نحاول بناء فريق هنا".

"رد بانون قائلاً: ""كوهن هو الذي يسرب المعلومات عني، جاريد، الآن،انت"الشخص الذي يقوض أجندة الرئيس"، تابع، وكانت عيناه مكثفتين وصوته يتصاعد إلى صراخ. "وإذا عارضتني، فسأقسمك إلى نصفين. لا تعبث معي". لقد أعلن بانون الحرب، ولم أكن مستعدًا على الإطلاق.

منذ البداية، كان الجناح الغربي منقسما بين معسكرين متنافسين. كان هناك أتباع ترامب الأصليون مثل هوب هيكس ودان سكافينو، الذين كانوا يفتقرون إلى الخبرة الحكومية ولكن لم تكن لديهم دوافع سياسية وكانوا يركزون بالكامل على رؤية ترامب ينجح. وكان هناك أيديولوجيو ترامب مثل بيتر نافارو وستيفن ميلر، الذين آمنوا بشدة بسياساته المؤيدة لأميركا. وكان هناك مؤيدو ترامب الأصليون مثل جون ماكين، الذين كانوا يؤمنون بشدة بسياساته المؤيدة لأميركا.

كان هناك العديد من المديرين التنفيذيين ذوي الخبرة مثل جاري كوهن ودينا باول، الذين اعتقدوا أن البيت الأبيض يجب أن يُدار بطريقة أكثر احترافية.أفراد من مؤسسة الحزب الجمهوري، الذين كانوا متشككين في ترامب ولكنهم موالون لرئيس أركان الحزب رينس بريبوس.
لقد كان الوضع مستحيلا بالنسبة لأي رئيس أركان.

ولقد تفاقمت المشكلة بسبب عدم وجود علاقة قائمة بين بريبوس وترامب، وترك الأمر لرئيس مجلس النواب بول رايان في تحديد الأجندة التشريعية للبيت الأبيض. وقد جعل رايان إصلاح الرعاية الصحية الأولوية الأولى. ومنذ إقرار قانون أوباما كير في عام 2010، صوت الجمهوريون لصالح إلغاء القانون أكثر من ستين مرة. وسرعان ما علمنا أنهم لم يكن لديهم خطة بديلة حقيقية لأنهم افترضوا أن ترامب سيخسر الانتخابات. فسارعوا إلى صياغة خطة بديلة، وكانت النتيجة كارثية.

في أحد أيام ما بعد الظهيرة، وبينما كان ترامب يستعد لمغادرة المكتب البيضاويفي إحدى المناسبات، اتصل رايان بالرئيس. فسأله ترامب: "أين خطتك للرعاية الصحية؟ سنتعرض للقتل لعدم إصدارها".
فأجابه: "إنها جاهزة، وأنا أحاول إصدارها، لكن فريقك يعرقلها".

رد ريان.

تفاجأ ترامب ونظر حوله في الغرفة وقال: "من في فريقي يفعل ذلك؟"

رفعت يدي، فطلب ترامب أن يعرف سبب رفعي لها.

لقد كنت صريحًا: "هناك سببان. الأول، أنه لا يحقق ما كنت تروج له في حملتك الانتخابية -إن ما يدعو إلى التفاؤل هو أن بولس لم يقم بإصلاح النظام الصحي، بل على العكس من ذلك، لم يقم بإصلاح النظام الصحي، بل قام بإصلاح النظام الصحي، ووفر التأمين الصحي لعدد أكبر من الناس، وخفض الأسعار، ومنع الناس من الموت في الشوارع.

"بل إنه لديه الأصوات اللازمة لتمرير مشروع القانون الخاص به."

وعلى الرغم من هذه الحقائق المثيرة للقلق، أصدر رايان الخطة، قانون الرعاية الصحية الأمريكي لعام 2017، والذي تقول بعض الدراسات إنه كان من شأنه أن يزيدانخفض عدد الأشخاص غير المؤمن عليهم بمقدار ثلاثة وعشرين مليونًا. ولحسن الحظ، مات مشروع القانون من تلقاء نفسه.

{10}

العالم يراقب

صعد أفراد الخدمة الأمريكية إلى مروحية بلاك هوك بعد هبوطها في بغداد. وضع أفراد الخدمة الأمريكية أحزمة من الرصاص حول أعناقهم ووجهوا مدافعهم الرشاشة. قال رئيس هيئة الأركان
أنا
المشتركة الجنرال جوزيف دانفورد: "إنه يوم لطيف. دعونا نطير
"مع فتح الأبواب."

وبينما كانت المروحية تقلع وتتجه إلى قاعدة عسكرية أمريكية، اندفع هواء الصحراء الحار عبر المقصورة وتعطل المحركان التوأمان.لقد سمعت أصواتنا. نظرت إلى الأسفل فشاهدت مشهداً غير متوقع يتكشف. فبين المباني المتفحمة، والأسفلت المقلوب، وندوب الحرب الأخرى، رأينا علامات جديدة على النشاط. فقد بدأت واجهات المتاجر المؤقتة، وأسواق المزارعين، والمهرجانات في الظهور في المدينة التي مزقتها الحرب. وبينما كنا نحلق، أشار رئيس الأركان، الجنرال دانفورد، إلى سطح أحد قصور صدام حسين السابقة، حيث انفجرت قنبلة وخلفت فجوة كبيرة. وعلى يسارنا، لمحت طائرة من طراز Osprey 22-V. كان جندي يقف على المنصة الخلفية مربوطاً بكابل، ومدفعه الرشاش جاهزاً. نظرت إلى الأعلى إلى دوارات بلاك هوك، التي بدت وكأنها تجمدت في الهواء بطريقة ما. قبل ثلاثة أشهر، كنت أبرم صفقات عقارية في نيويورك، كما تصورت. والآن أحلق فوق قصر صدام حسين الذي قصفته القنابل في العراق ومعي رئيس هيئة الأركان المشتركة. ماذا بحق الجحيم أفعل هنا؟

كان ذلك يوم الاثنين، الثالث من إبريل/نيسان 2017. لم أكن أخطط بالتأكيد للسفر إلى العراق في الأشهر القليلة الأولى من الإدارة، ولكن قبل بضعة أسابيع، في عشاء حميم مع الرئيس والعديد من كبار قادته العسكريين، أخذني الجنرال دانفورد جانباً ودعاني للانضمام إليه في الرحلة. كنت أستمع باهتمام شديد إلى المناقشة الحماسية حول كيفية التعامل مع الحروب الجارية في الشرق الأوسط، واقترح أن الزيارة ستمنحني إحساساً حقيقياً ببنية قوتنا وقدراتنا في التعامل مع الأزمات.

لقد كان لديّ الكثير من الخبرة في المنطقة، كما كان لديّ سرد مباشر للأحداث التي شهدتها المنطقة، وكان بوسعي أن أرويها للرئيس. لقد علمني والدي أن المسؤولين التنفيذيين لا يستطيعون اتخاذ القرارات التجارية من برج زجاجي؛ بل إنهم يحتاجون إلى التواجد على الأرض، والتعامل مع الأوساخ تحت أظافرهم، والتفاعل مع الرجال والنساء في الخطوط الأمامية والتعلم منهم. وقد قبلت الدعوة.

قبل يومين من مغادرتنا، دخل طبيب البيت الأبيض إلى مكتبيلقد سألني عن فصيلة دمي. لقد شعرت بالدهشة، ولكنه ذكرني بأنني ذاهب إلى منطقة حرب - وهذا من الواضح أنه نوع مختلف من الوظائف. وفي الرحلة الطويلة إلى العراق، دعاني دانفورد للجلوس بجانبه في حجرته التنفيذية على متن الطائرة العسكرية، وهي من طراز بوينج 757. وفي مقصورته، التي كانت مجهزة بطاولة كبيرة مثبتة بمسامير، وأريكة، وكرسيين للكابتن، قضينا الساعات الأربع التالية في مناقشة مجموعة من المواضيع المتعلقة بالشرق الأوسط. سألته عما قد يفعله بشكل مختلف في العراق إذا كان بوسعه أن يبدأ من الصفر. كيف ينبغي لنا أن نغير أهدافنا واستراتيجيتنا لجعلها أكثر تطلعاً إلى المستقبل؟ من هم الشركاء الإقليميون الأكثر قيمة؟ أين ينبغي لنا أن نستثمر مواردنا حتى يكون لها أقصى قدر من التأثير؟ لماذا لم نكسب المزيد من الأرض على مدى السنوات الست عشرة الماضية؟ لقد أعجبت بمخزون المعرفة الذي يمتلكه دانفورد. عندما حان وقت النوم لبضع ساعات، خلع الجنرال سترته، وقلبها لاستخدامها كبطانية، وأرجع مقعده إلى الخلف، وارتدى قناع نوم مموه، وفي غضون دقائق كان فاقدًا للوعي. كان الأمر أشبه بالجلوس بجوار جي آي جو.

بينما كنا في بغداد، انطلقت صفارة إنذار عالية الجودة، وتم نقلنا إلى منطقة آمنة. وأوضح دانفورد، الذي لم يبد أي انزعاج، أن هذا كان نتيجة لغارة جوية.كان هذا النوع من الأشياء يحدث طوال الوقت. يبدو أن المتمردين أطلقوا بضع قذائف هاون. لم يكن الأمر مهمًا. في صباح اليوم التالي، أنزلتنا طائرات الهليكوبتر في منشأة على بعد حوالي عشرة أميال من الموصل، والتي كانت في ذلك الوقت منطقة حرب نشطة. طلب الجنرال دانفورد من قادته شرح هيكل القوة - كان الأمريكيون يدربون ويسلحون جنودًا عراقيين للقيام بالقتال. كانت عملية مثيرة للإعجاب، والطريقة التي استفادت بها قواتنا من قدرات العراقيين جعلتني متفائلًا بشأن استقرار البلاد في المستقبل.

في وقت لاحق، علمت أنني ارتكبت خطأ: فقد ارتديت ملابسي لحضور اجتماعاتنا الصباحية، وارتديت سترتي الرياضية ونظارتي الشمسية في منطقة الحرب، وعندما أعطاني أحدهم سترة واقية من الرصاص، ارتديتها فوقها. كان الحرف N- E- R في اسمي الأخير مغطى بشريط فيلكرو، لذا كان اسمي K- U- S- H. لم أكن أعلم أنه سيتم التقاط الصور، وكنت معتادة على أن أكون

رجل خلف الكواليس في عالم السياسة، وليس مديرًا عليه أن يفكر في المظهر. وعندما تحولت الصورة الناتجة بسرعة إلى ميم على وسائل التواصل الاجتماعي، اعتقدت أنها كانت مضحكة. من الواضح أنني لم أنتبه إلى الملاحظة المتعلقة بقواعد اللباس، ولم يكن برنامج Saturday Night Live وجيمي فالون ليسمحا لي بنسيانها. حتى إيفانكا لا تزال تسخر مني بسبب هذا.

عندما التقينا برئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي، طلب مني أن أقابله وجهاً لوجه. وقد أخذ رئيس الوزراء تصريحات ترامب العلنية على محمل الجد.في وقت سابق، أدلى العبادي بتصريحات مفادها أنه يريد من الدول أن تدفع حصة أكبر من تكاليف الدفاع. وقال إنه على استعداد لدفع شيء ما مقابل الحماية الأميركية، لكنه كان يأمل في الأساس في "الصفقة الأرخص". ربما كان بوسعنا الحصول على 20% من عائدات النفط العراقية في مقابل دعمنا العسكري، لكن وزير الخارجية ريكس تيلرسون ووزير الدفاع جيم ماتيس اعتقدا أن ترامب مجنون لاقتراحه مثل هذا الاقتراح، وعطلا المناقشة إلى أجل غير مسمى.

في حالة أخرى، جاء ماتيس وفريقه القيادي للتحدث إلى الرئيس بشأن ميزانيتهم وزعموا أن 603 مليار دولار - وهو أكبر مبلغ تم إنفاقه على الدفاع - قد تم إنفاقه بالفعل.ولكن هذا الطلب لم يكن كافيا للحفاظ على أمن البلاد. فقد احتاجت الولايات المتحدة إلى 609 مليار دولار لتحقيق "الاستعداد العسكري".

"لذا، مع زيادة بنسبة واحد في المائة، تصبح جاهزًا عسكريًا، ولكن ...".

"هل أنت أقل بنسبة 100%؟" تساءل ترامب متشككًا.

وبعد أن غادر القادة العسكريون، أخذني ترامب جانبًا وقال: "قد يكون هؤلاء الرجال الأفضل في قتل الناس، ولكنهم بالتأكيد لا يفهمون معنى المال".

* * *

كان أحد أعظم التحديات التي واجهتنا منذ البداية هو العثور على الموظفين المناسبين لإدارة البيت الأبيض في عهد ترامب. كان الرئيس في احتياج إلى أشخاص موهوبين يتماشون مع أجندته، وقادرين على التكيف مع أسلوبه، ويعرفون كيفية تشغيل أدوات البيروقراطية. كان من الممكن العثور على أشخاص يتمتعون بواحدة أو اثنتين من هذه السمات، ولكن نادرًا ما يتوافر لديهم الثلاثة.

كان ترامب معجبًا في البداية باختياره لوزير الخارجية ريكس تيلرسون.كان تيلرسون، قطب النفط في تكساس، يدير شركة أميركية شهيرة ويتمتع بعلاقات راسخة مع زعماء العالم. لكن الرجلين بدأا في الصدام على الفور تقريبا. كان تيلرسون يتحدث ببطء، وكثيرا ما كان لا يرد على المكالمات الهاتفية، وكان منعزلا عن معظم الاجتماعات.

وزارة الخارجية. أصبح الرئيس يكره غطرسة تيلرسون
أسلوب.

خلال إحدى المنازعات مع كبير موظفي البيت الأبيض جوني دي ستيفانو، قال تيلرسون: "هذا صحيح، جوني، يمكنك الرد عليّ بحرية. لا أعرف ماذا عنك، لكنني رجل". ولكن الأهم من ذلك، كان له وللرئيس وجهات نظر وتوجهات متعارضة بشأن العديد من قضايا السياسة الخارجية. كان تيلرسون يكره المخاطرة ويريد إدارة مشاكل العالم. من ناحية أخرى، كان ترامب مجازفًا محسوبًا وصانع صفقات يريد تعطيل أساليب الماضي وتغيير العالم.

في وقت مبكر، قمت بتحديد موعد غداء أسبوعي لتيلرسون للقاء الرئيس في جو غير رسمي لمساعدة الوزير على التغلب على أكبر تحديين يواجههما: افتقاره إلى علاقة سابقة مع ترامب وافتقاره إلى التوافق مع أهداف سياسة الرئيس. يصبح وزير الخارجية عديم الفائدة في اللحظة التي يعرف فيها نظراؤهم الأجانب أنه لا يتحدث باسم الرئيس أو له تأثير في عملية صنع القرار.

لقد عملت أنا وتيلرسون معًا لإعداد أول مكالمة رسمية مع الرئيس الصيني شي جين بينج. ظل الصينيون غاضبين من المكالمة التي تلقاها ترامب من رئيس تايوان ورفضه تأييد سياسة الصين الواحدة. لقد اعتقدنا أنه من المهم إقامة اتصال مباشر بين الزعيمين الأكثر قوة في العالم. استغرق الأمر أسابيع للتفاوض على شروط المكالمة، ولكن عندما تحدث الزعيمان أخيرًا، كان الأمر وديًا. وكما تفاوضنا مسبقًا، دعا ترامب شي إلى القدوم إلى مارالاغو لعقد أول اجتماع شخصي بينهما. وعلى مدى الأسابيع القليلة التالية، عملت مع السفير كوي تيانكاي، أعلى دبلوماسي صيني في واشنطن منذ فترة طويلة، لتنظيم تفاصيل الرحلة بعناية.

في السادس من إبريل/نيسان، وصل الرئيس شي إلى منزل ترامب في بالم بيتش. ولأن ترامب أدرك أن خطابه القاسي قد وضع الصينيين في حالة من التوتر، فقد أراد أن يبدأ الزيارة بشيء من شأنه أن يكسر الجمود. فسألني أنا وإيفانكا عما إذا كان بوسع أرابيلا البالغة من العمر خمس سنوات أن ترحب بالزعيم الصيني باللغة الصينية. فقد نشأت وهي تتعلم اللغة الصينية بفضل تشجيع صديقتنا الطيبة ويندي مردوخ وشي شي، مربيتنا ومعلمتنا الحبيبة، التي كانت معنا منذ كانت أرابيلا طفلة رضيعة. وفي حفل الشاي الترحيبي بالزعيم، ألقت أرابيلا شعر تانغ. وأعجب شي بذلك إلى الحد الذي جعله يطلب مقابلة شي شي وأثنى عليها.

كان نطق أرابيلا المثالي للغة بكين واختيارها للقصائد سبباً في شعوره بالارتياح، وانتشر الفيديو كالنار في الهشيم فيالصين. لقد كان من دواعي الاحترام الكبير أن حفيدة رئيس الولايات المتحدة تعرف اللغة الصينية.

كان من المقرر أن يستمر حفل الشاي التمهيدي بين ترامب وشي لمدة خمسة عشر دقيقة، واستمر لأكثر من ساعة، وسرعان ما طور الزعيمان ديناميكية دافئة ومحترمة. تعامل ترامب مع شي كشخص عادي، ورد شي بالمثل. في أحد الاجتماعات، بدأ شي في الخوض في تاريخ الصين، بدءًا من حروب الأفيون وتوقيع "المعاهدات غير المتكافئة"، واستمر حتى ما يسمى بقرن الإذلال، والذي انتهى بصعود ماو تسي تونج إلى السلطة. كان أداء شي لمدة خمسة وأربعين دقيقة رائعًا، وقد انبهر ترامب بكيفية عدم تمكن حتى الزعيم الثابت للحزب الشيوعي الصيني من إخفاء الدافع الذي استمدته بلاده من قرن الإذلال. كان شي على يقين من أن الصين تعلمت من ماضيها وستنهض مرة أخرى. عندما سأل ترامب شي عن مدى نفوذه على الزعيم الكوري الشمالي الشاب المتقلب كيم جونج أون، الذي كان يختبر صواريخ بعيدة المدى ويهدد أميركا بالترسانة النووية لكوريا الشمالية، كان الرئيس الصيني صريحا بشكل مفاجئ في رده: كان لديه علاقة مع كيم جونج إيل، الزعيم السابق المتوفى لكوريا الشمالية، لكنه لم يعرف ابنه حقا.

بعد أربع ساعات من الاجتماعات، تم استدعاء الرئيس إلى مكان آمن.كان ترامب قد زار غرفة في مبنى المخابرات العسكرية في بالم بيتش، والتي تم تحويلها إلى منشأة معلوماتية حساسة، أو SCIF، حتى يتمكن من تلقي معلومات سرية وإحاطات عسكرية أثناء وجوده في بالم بيتش. قبل يومين، شن الدكتاتور السوري بشار الأسد هجومًا بالأسلحة الكيميائية على المدنيين، مما أسفر عن مقتل أكثر من ثمانين شخصًا وإصابة أكثر من خمسمائة. لقد شعر ترامب بالفزع، كما شعرنا جميعًا، من صور الأمهات والأطفال الذين اختنقوا حتى الموت، وكان قلقًا بشأن المعلومات الاستخباراتية الواردة حول الوضع. لقد شعر بقوة أن الولايات المتحدة يجب أن توضح أنها لن تتسامح مع استخدام الأسلحة الكيميائية. خلال الحملة، انتقد أوباما لرسمه "خطًا أحمر على الرمال" على سوريا ثم التراجع بخنوع عن المواجهة. لقد أدى فشل أوباما في فرض "الخط الأحمر" إلى تقويض نفوذ أمريكا في جميع أنحاء العالم. كان ترامب مصممًا على عدم تكرار هذا الخطأ.

كان هذا أول اختبار كبير يواجهه ترامب كقائد أعلى، وكان مدركًا تمامًا أن قراره قد يخلف عواقب على القوات الأمريكية في المنطقة. لقد طلب من ماتيس أن يقدم له خيارات الضربة، مما أثار نقاشًا داخليًا عنيفًا حول ما يجب القيام به. عارض بانون بشدة الضربة، محذرًا الرئيس من أنها قد تبدأ حربًا. اعتقد بقيتنا أن الرئيس بحاجة إلى إرسال إشارة قوية، لكن الضربة يجب أن تكون جراحية. كانت القاعدة العسكرية السورية التي كنا نستهدفها مأهولة بالروس - إذا ضربنا واحدة عن طريق الخطأ، فقد تبدأ الحرب العالمية الثالثة.

كان أحد أكثر الأجزاء الملهمة في مشاهدة حمي كقائد أعلى هو رؤية كيفية استجابته في لحظات الأزمة العسكرية عندما لم تكن الكاميرات موجودة. في ذلك اليوم، تجول حول الغرفة وطرح أسئلة صعبة على الجنرالات، وسعى إلى الحصول على آراء، واستمع باهتمام، ووزن بعناية العواقب قبل اتخاذ إجراء حاسم. كنت ممتنًا لأن الرئيس كان محاطًا بالعديد من الأشخاص ذوي الخبرة على الطاولة، وخاصة مستشار الأمن القومي الجديد، هربرت ماكماستر، الذي أطلع الرئيس بدقة على خياراته. كان ماكماستر، قائد الدبابات الأسطوري في عاصفة الصحراء، رجلًا قويًا، يمتلك الكثير من الطاقة البدنية لدرجة أنه كان يمارس الرياضة مرتين في اليوم. بصفته ضابطًا في الخدمة الفعلية، كتب نقدًا لاذعًا لتعامل أمريكا مع حرب فيتنام في كتاب بعنوان "التقصير في الواجب". أكسب الكتاب ماكماستر سمعة باعتباره جنرالًا محطمًا للأصنام، مما أبطأ مسار حياته المهنية. تم تجاوزه مرتين في الترقية من عقيد إلى جنرال بنجمة واحدة. ولكن بحلول الوقت الذي دخل فيه إدارة ترامب، كان قد حصل على نجمته الثالثة. في وقت سابق من اليوم، سأل الرئيس ماتيس عما إذا كانت خطة الضربة ستنجح دون التسبب في حادث دولي. فقال ماتيس بهدوء: "لا مشكلة يا سيدي. لديكم أفضل المعدات العسكرية وأكثرها فتكًا في تاريخ العالم. ستفعل هذه الصواريخ ما كان من المفترض أن تفعله - مائة بالمائة. لا يوجد شيء مستحيل".

"لا داعي للقلق."

خلال العشاء تلك الليلة مع الرئيس شي، أبلغ فريق الأمن القومي الرئيس أن الضربة تسير على ما يرام. فقد "أدت ثمانية وخمسون من أصل تسعة وخمسين صاروخا إلى تدمير هدفها بشكل خطير"، ولم يلحق الأذى بأي جندي روسي. كان الليل لا يزال في سوريا، ولم نتوقع الحصول على صور أقمار صناعية قاطعة لبضع ساعات أخرى. وعندما همس أحد المساعدين في أذن ترامب بتحديث، أخبره على الفور: "لا أعرف ما الذي سيحدث".

لم يستطع شي إخفاء صدمته. لقد كان من الواضح أنه معجب براحة ترامب في مثل هذه اللحظة الحاسمة، وشعرت أنه لا يعرف ماذا يفعل مع ترامب. لم يتعامل الصينيون مع شخص مثله من قبل. لم يتعامل أحد من قبل.

كان جزء من السبب وراء نجاح ترامب في تحقيق أهدافه في السياسة الخارجية أن القادة وجدوه غير قابل للتنبؤ. لقد بنى علاقة ودية مع نظرائه وتعامل مع كل موقف بعقل منفتح. كان على استعداد لتغيير المسار في أي لحظة وخوض مخاطرات محسوبة. لم يستطع خصومه قط معرفة ما إذا كان يخادع أو يشكل تهديدًا خطيرًا.

في ذلك اليوم، ظهرت قصة في صحيفة نيويورك تايمز: "كوشنر أغفل الاجتماع مع الروس في نماذج التصريح الأمني". عند ملء نماذجي الأمنية للبيت الأبيض، طُلب مني الكشف عن الاتصالات والعلاقات الأجنبية التي حدثت خلال السنوات السبع الماضية. استغرقت عملية الرجوع إلى سجلاتي وتقويماتي لإنتاج هذه القائمة أسابيع، ونصحني فريق مجلس الأمن القومي القادم بتقديم الجزء الأول من طلبي على الفور لبدء عملية التصريح الأمني الأولي، ثم متابعة ذلك في وقت لاحق بقائمة كاملة من جهات الاتصال الأجنبية. اتبعت هذه النصيحة، وقدمت النموذج الأولي، وبعد أسابيع قدمت قائمة جهات الاتصال الأجنبية. عندما علمت الصحافة بحقيقة أنني قدمت جهات الاتصال الأجنبية بعد النموذج الأولي - وهي عملية من المفترض أن تكون سرية ولم يتم تسريبها من قبل إلى الصحافة - ربطوني بشكل أكبر برواية التواطؤ الروسي الكاذبة، مشيرين إلى أنني تركت السفير سيرجي كيسلياك وسيرجي جوركوف خارج النموذج الأولي. لقد أخذوا شيئًا حميدًا وجعلوه يبدو شريرًا، ولم أتمكن من فهم سبب تقديمه بشكل غير عادل.

لم أدرج أي جهات اتصال أجنبية في استمارتي الأولية، تمامًا كمالقد نُصِحتُ بذلك، لذا لم أستطع أن أصدق أن صحيفة نيويورك تايمز خصت جهات الاتصال الروسية بالتحديد. لقد اعتقدت أنك تمزح معي. لو كنت قد قدمت نموذجًا مكتملًا وأدرجت فيه مائتي جهة اتصال أجنبية مع حذف كيسلياك وجوركوف فقط، فربما كان ذلك ليثير الدهشة بشكل مبرر، على الرغم من أن اتصالي بهذين الشخصين كان ضئيلًا وغير ضار. لكن لا أحد - حتى أشد منتقدي - كان ليصدق بصدق أنني أحاول الادعاء بأنني لم أقابل أي مواطنين أجانب ولم أسافر إلى أي دولة أجنبية على مدار السنوات السبع الماضية. كان من الواضح لأي مراقب منصف أن هذا كان بالضبط كما كنت أتوقع.

صرحت: "لقد قدموا استمارة غير مكتملة مع الكشف الكامل عنها. وتساءلت كيف أخطأوا في هذا الأمر، وظننت أن بانون هو من سرب المعلومات وزورها. لقد كان واحدًا من قِلة قليلة من الأشخاص الذين كان لديهم حق الوصول إلى الاستمارة".

في نفس الوقت تقريبًا، نشرت وسائل الإعلام سلسلة من القصص عن إيفانكا، مدعية أنها تستفيد من منصبها الحكومي لأنها تقدمت سابقًا بطلبات للحصول على علامات تجارية في الصين. في الواقع، بعد انتخابات عام 2016، قدمت العديد من الشركات في الصين مئات طلبات العلامات التجارية لاستغلال اسم إيفانكا وعلامتها التجارية على منتجات لا علاقة لها بها على الإطلاق. في 8 مارس، كان عنوان مقال في صحيفة واشنطن بوست، "من حبوب الحمية إلى الملابس الداخلية: الشركات الصينية تتدافع لانتزاع علامة إيفانكا ترامب التجارية". وتابع المقال قائلاً إن "258 طلبًا مذهلاً للعلامات التجارية تم تقديمها تحت أشكال مختلفة من إيفانكا وإيفانكا ترامب وحروف صينية متشابهة في الصوت بين 10 نوفمبر ونهاية العام الماضي". كانت إيفانكا تمتلك عملًا تجاريًا ناجحًا وتمتلك مئات العلامات التجارية على مستوى العالم قبل أن يترشح والدها لمنصب عام، وفي مايو ويونيو 2016، بعد دخول ترامب السباق، قدمت عددًا من طلبات العلامات التجارية الإضافية في محاولة لحماية اسمها في البلدان التي كانت سرقة العلامات التجارية متفشية فيها. كانت طلبات إيفانكا عالقة في البيروقراطية الصينية لمدة عام كامل. وعندما تمت الموافقة على العديد من الطلبات في وقت قريب من زيارة شي، حاولت وسائل الإعلام جعل الأمر يبدو شريرًا، لكن إيفانكا لم يكن لها سيطرة على التوقيت وكانت تبذل قصارى جهدها لمنع الشركات الصينية من تقليد علامتها التجارية وخداع العملاء.

بعد مرور ما يقرب من مائة يوم على تولي الإدارة، كنت أرغب في التركيز على المكاسب السياسية الحقيقية، لكن القصص السلبية ظلت تلاحقني. وخلال الحملة الانتخابية، تجاهلتني الصحافة في الغالب ـ ربما لأنها لم تكن لديها فكرة عن الدور الذي كنت ألعبه خلف الكواليس. ولكن في البيت الأبيض، كنت هدفاً للهجوم.

لقد رأى مجموعة من كبار الموظفين أنني أشكل تهديدًا لسلطتهم ووعندما واجهني والد زوجي بشأن الصحافة السلبية التي تناولتني، اشتكيت من أن الناس يسربون أخباراً عني. فقال ترامب: "جاريد، هذا هو البيت الأبيض".

"إذا كنت تريد العمل هنا، عليك أن تجد طريقة تمنع الناس من تسريب أسرارك."

في يوم الأربعاء 3 مايو/أيار، أدلى مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي جيمس كومي بشهادته أمام الكونجرس بشأن قراراته المشينة خلال دورة الانتخابات لعام 2016. وقد تابع ترامب الجلسة باهتمام كبير وعلق بعد ذلك قائلاً إن "هناك شيئًا ما غير طبيعي". فقد وجد أن شهادة كومي كانت متقلبة وغير موثوقة.

وبعد بضعة أيام، بينما كنا في بيدمينستر لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، دعا الرئيس إيفانكا وأنا للانضمام إليه وميلانيا لتناول العشاء. وفي منتصف الطريق، دعا ستيفن ميلر وبدأ في إملاء رسالة لإقالة كومي.

لقد شجعت ترامب على الانتظار حتى عودته إلى البيت الأبيض، حيث يمكنه الحصول على مدخلات من مستشاره القانوني ورئيس موظفيه، وهو ما قرر القيام به في النهاية.

عندما عدنا إلى واشنطن، التقى بريبوس وماكجان معلقد تعامل الرئيس مع الموقف من هناك. لقد طلبوا من ترامب التريث بينما قاموا بتنسيق الأمر مع قيادة وزارة العدل، التي فقدت الثقة في كومي.
يوم الثلاثاء، أقال ترامب مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي.
ستيف بانون، الذي ظل في الظلام بشأن المناقشات التي دارت حول
منعه من التسرب، كان غاضبًا. "هذا هو

"لقد قال: "نهاية الرئاسة". وبعد فترة وجيزة، في ما اشتبهت أنه تسريب من بانون، ذكرت الصحافة أنني نصحت الرئيس باتخاذ القرار، وهو ما كان كاذبًا. وصف الديمقراطيون إقالة كومي بأنها محاولة لعرقلة تحقيق مكتب التحقيقات الفيدرالي في روسيا وبدأوا في المطالبة باستقالة بانون.
تعيين مستشار مستقل. وبعد فترة وجيزة، عين نائب المدعي العام رود روزنشتاين روبرت مولر مستشارًا خاصًاقيادة التحقيق.

في إحدى عطلات نهاية الأسبوع، بينما كان الرئيس وحاشيته المعتادة من كبار الموظفين في مار إيه لاغو، طلبت من فريق صيانة البيت الأبيض إغلاق المدخل الداخلي بين مكتبي ومكتب بانون.

{11}

الرياض إلى روما

"أرجو أن تقرأوا ما أقول: نحن لن نذهب إلى المملكة العربية السعودية. تقبلوا الإجابة بالنفي!"

كنت أتناول العشاء مع ترامب في مساء يوم السبت في شهر أبريل.

كنا أنا وإيفانكا نجلس في زاوية المطعم في فندق ترامب الدولي على شارع بنسلفانيا، حيث كان الرئيس يزور المكان من حين لآخر عندما يحتاج إلى تغيير المشهد من البيت الأبيض.

بدأت وجبتنا بتذكر ترامب وإيفانكا للفندق نفسه، الذي عملا عليه معًا بشق الأنفس لعدة سنوات. كان الفندق في السابق مكتب البريد القديم التاريخي، وقد افتُتح في أكتوبر/تشرين الأول الماضي، قبل الانتخابات مباشرة. وتحول الحديث إلى كيفية تكيف أطفالنا مع مدارسهم الجديدة في واشنطن العاصمة.

وبينما كان ترامب يتحدث، كان مسترخياً. ومع ذلك، لم تكن أعمال الرئاسة بعيدة عن ذهنه أبداً. فقد سيطرت تحدياتها وفرصها على أيامه ولياليه، وكانت كل محادثاتي معه تقريباً تتناول موضوعات مثل:كان ترامب يتطلع إلى زيارة الولايات المتحدة، حيث كان يتولى مسؤوليات ضخمة. ولم يكن هذا الأمر مختلفًا، وسرعان ما حول نقاشنا إلى أحد مشاريعي الرئيسية: أول رحلة خارجية له كرئيس. كنت أخطط للرحلة منذ أشهر. كانت محطته الأولى هي المملكة العربية السعودية، حيث كان سيلقي خطابًا رئيسيًا أمام أربعة وخمسين من الزعماء المسلمين والعرب. كان رحيلنا بعد أسابيع قليلة. قال ترامب: "أعلم أنك كنت تعمل بجد في هذه الرحلة، لكنني بحاجة إلى البقاء هنا الآن". كان مترددًا في مغادرة البلاد بينما دعت جوقة متزايدة من المشرعين والخبراء في واشنطن إلى مغادرة البلاد.

تعيين مستشار خاص لإجراء تحقيق في الشأن الروسي.

وأضاف أن "ريكس لا يعتقد أن السعوديين سيحققون أهدافهم".

بدأت أشرح لماذا أختلف مع تيلرسون، لكن الرئيس

قاطعني. حينها أخبرني أن أقبل الرفض كإجابة.

خلال الحملة، لاحظت أسلوب ترامب في اتخاذ القرار: فكانت إجابته الأولى مؤقتة في كثير من الأحيان، واستخدمها كوسيلة لاستخلاص وجهات نظر مختلفة من فريقه ومعرفة مدى إيماننا بها. لذا لم أفسر كلماته على أنها رفض قاطع.

"دعني أزورك غدًا"، قلت. "سأعرض عليك الحزمة التي تفاوضت عليها، ويمكنك اتخاذ القرار النهائي". وافق لإنهاء الجمود.

في حوالي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي، وهو يوم أحد، التقيت بترامب في مقر إقامته وأطلعته على اقتراحي. فبالإضافة إلى عقد اجتماع مع زعماء مسلمين وعرب، وعد السعوديون بتنفيذ صفقات تجارية مع شركات أميركية بقيمة 300 مليار دولار أميركي لخلق فرص العمل، واتخاذ تدابير غير مسبوقة لمنع تمويل الإرهاب، وفتح مركز عالمي لمكافحة التطرف، وجعل ملك المملكة العربية السعودية يندد بالعنف باسم الإسلام، وشراء كمية كبيرة من المعدات العسكرية الأميركية، وتوفير المزيد من الدعم العسكري في الحرب ضد داعش. وفوق كل ذلك، سوف يبسطون السجادة الحمراء لترامب ويظهرون لأميركا احتراما هائلا من خلال التحليق العسكري فوق المنطقة وعشاء رسمي رائع، وهو تناقض ملحوظ مع زيارة الرئيس أوباما قبل عام، عندما رفض السعوديون استقباله على مدرج المطار. وسوف تمنح الرحلة ترامب فرصة لبناء علاقات أقوى مع العالم العربي، وإصدار دعوة صارمة للعمل ضد الإرهاب في المنطقة، ووضع الأساس لتطبيع العلاقات بين العرب وإسرائيل. علاوة على ذلك، سوف يدفن الرواية الكاذبة التي تروجها وسائل الإعلام بأنه معادٍ للإسلام. وسوف يتم إنجاز كل هذا في غضون ثماني وأربعين ساعة فقط.

قرر ترامب "لنحاول ذلك. أخبر ريكس أن الرحلة ستبدأ، ولكنني أريد كل شيء مكتوبًا".

في يناير/كانون الثاني الماضي، أثناء المكالمة الأولى التي أجراها ترامب مع الملك سلمان بن عبد العزيز، طلب منا الحاكم السعودي تنسيق الرحلة المحتملة مع ابنه محمد بن سلمان، ولي ولي العهد ووزير الدفاع البالغ من العمر واحد وثلاثين عامًا، والمعروف باسم MBS. قال ترامب إنني سأكون الشخص الذي سيتصل به. وعندما عدت إلى مكتبي، كنت قد تلقيت بالفعل رسالة بريد إلكتروني من MBS يطلب فيها ترتيب مكالمة. في مارس/آذار، بينما كان محمد بن سلمان في المدينة للتفاوض على التفاصيل، ضربت عاصفة ثلجية شمال شرق البلاد. ألغت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل، التي كان من المقرر أن تتناول الغداء مع الرئيس، في اللحظة الأخيرة لأن طائرتها لم تتمكن من الإقلاع من ألمانيا. سألت ترامب عما إذا كان سيتناول الغداء

كان ترامب قد اقترح على ولي العهد السعودي محمد بن سلمان أن يتناول الغداء مع مسؤولين أجانب ليسوا رؤساء دول. لكن ترامب رفض هذا البروتوكول البيروقراطي وقرر استكشاف شراكة محتملة من شأنها أن تعزز مصالح أميركا في الشرق الأوسط.

لأن محمد بن سلمان كان من الناحية الفنية المسؤول الثالث في المملكة العربية السعودية،لم يسمح له موظفو مجلس الأمن القومي بتخطي نقطة التفتيش الأمنية والقيادة مباشرة إلى الجناح الغربي، حيث يُسمح لرؤساء الدول. لذلك انتظر نائبي والموظف الوحيد في ذلك الوقت، آفي بيركويتز، في الثلج خارج نقطة التفتيش الأمنية لمقابلة محمد بن سلمان. عندما وصل ولي ولي العهد، كانت هناك مشكلة في الأوراق ورفض جهاز الخدمة السرية دخوله. ركضت إلى البوابة وأقنعتهم بالسماح له بالمرور.

وعلى الرغم من البداية الصعبة للزيارة، كان الغداء ناجحا. فقد أخبر ترامب محمد بن سلمان مباشرة أنه يريد تعاونا أقوى في مكافحة الإرهاب، والتصدي للتطرف، وإنهاء تمويل الإرهاب. كما توقع أن تتحمل المملكة العربية السعودية المزيد من العبء الدفاعي في المنطقة. لن تستمر أمريكا في إنفاق الدماء الثمينة والتريليونات من الدولارات على حروب خارجية لا نهاية لها. كانت رسالة قاسية، ولم يتردد ترامب. وردا على ذلك، كشف محمد بن سلمان عن خطة طموحة وشاملة لمكافحة الإرهاب. عزز هذا الاجتماع غير الرسمي غريزتي بأننا يجب أن نخاطر بالمملكة العربية السعودية في أول رحلة خارجية للرئيس. أعطاني ترامب الضوء الأخضر لمواصلة التخطيط.

وبينما كنت أقوم بتنسيق الرحلة، وجدت شريكاً موهوباً وفعالاً في نائبة مستشار الأمن القومي للرئيس، دينا باول، وهي من قدامى المحاربين في البيت الأبيض ووزارة الخارجية في عهد بوش. وكانت إيفانكا قد جندت باول للإدارة من جولدمان ساكس. وساعدني توجيه باول ودعمها في التغلب على المقاومة الداخلية الشديدة التي واجهتها في التخطيط للرحلة. كما وجدت حليفاً في مدير مجلس الأمن القومي للشرق الأوسط ديريك هارفي، وهو عقيد سابق في الجيش الأميركي كان يعتقد أن الرحلة كانت حاسمة لتعزيز علاقات أميركا مع الدول العربية في جهودنا لمواجهة العدوان الإيراني.

في أحد اجتماعات غرفة العمليات، كما هو موضح في كتاب بوب وودوارديخافلقد دافعت بقوة عن الرحلة ضد تيلرسون وماتيس وماكماستر.10 "أعلم أن لديك خبرة أكبر بكثير مني في التعامل مع السعودية.

"قلت لتيلرسون: """الجزيرة العربية"""، """لكن هذه هي الطريقة التي أرى بها الأمر: لا يمكننا السماح لإيران بالتدخل في شؤوننا الداخلية""."""الوعود المكسورة في الماضي تحدد المستقبل."

ولكن وزير الخارجية رد قائلا: لقد انخرط في مفاوضات تجارية جادة مع السعوديين خلال أكثر من ثلاثين عاما قضاها في منصب المدير التنفيذي لشركة نفط، ولا يعتقد أننا نستطيع أن نثق بهم. وقال: "إنهم لا ينفذون أبدا. ولن يفوا بوعودهم".

لقد رددت على ذلك قائلا: "قد لا أتمتع بخبرة دبلوماسية، ولكنني قمت بمئات المعاملات الصعبة، ويمكنني أن أميز متى يريد الناس عقد الصفقات ومتى لا يريدون ذلك. إن محمد بن سلمان لا يقول فقط إنه يريد القيام بذلك. إن كبير المفاوضين لديه يجلس حرفيا في فندق فور سيزونز في نهاية الشارع، على استعداد للمجيء ووضع اللمسات الأخيرة على هذه الوثائق".

لقد تردد تيلرسون والآخرون في الغرفة. فقد اعتقدوا أننا نحاول القيام بالكثير في إطار زمني ضيق. لذا فقد عبرت عن الأمر بصراحة أكبر: "إذا لم تعجبكم هذه الفكرة، فما هي فكرتكم؟ إذا كان لديكم بديل، فلنستمع إليه. ولكن لم يطرح أحد أي بديل. لم نأت إلى الحكومة لنجلس خارج متجر لبيع السيجار ونتحدث عن الكيفية التي ينبغي أن يكون عليها العالم. نحن المسؤولون، ونحن بحاجة إلى إنجاز الأمور. أعتقد أن الجانب السلبي لاقتراحي منخفض للغاية والجانب الإيجابي مرتفع للغاية. وإذا فشل، فسوف أتحمل المسؤولية".

بعد الاجتماع، اتصلت بمحمد بن سلمان وقلت له: "الجميع هنا يقولون لي إنني أحمق لأنني وثقت بك. يقولون إن الرحلة فكرة سيئة.إذا وصلت إلى المملكة العربية السعودية، ولم أجد فيها سوى مجموعة من الرمال والإبل، فسأكون رجلاً ميتاً.

"جاريد، لن أخذلك"، وعد. "لقد حصلت على كلمتي مائة بالمائة. هذا سيكون نجاحًا هائلاً للرئيس."سننفذ وعودنا، وسنواجه التطرف، وسترون في السعودية تغييرات تفوق تصوراتكم".

* * *

في مرات قليلة في حياتي شعرت بالتوتر كما شعرت عندما كنت أستقل طائرة الرئاسة الأميركية للمغادرة إلى الرياض، المملكة العربية السعودية، في التاسع عشر من مايو/أيار. كان العالم بأسره يراقب الرحلة، وكان لزاماً علينا أن نحقق هدفنا. وبعد أشهر من العمل على مدار الساعة، لم أستطع أن أمنع نفسي من التفكير في أنه كان من الأسهل كثيراً أن أتبع نمط الرحلة.

الرؤساء السابقون والسفر إلى المكسيك أو كندا لقص الشريطنوع الحدث.

وبينما بدأت الطائرة الرئاسية تتسارع على مدرج قاعدة أندروز المشتركة، بدا رئيس الأركان رينس بريبوس في حالة ذعر مطلق. وقرأ لي تغريدة من وكالة أسوشيتد برس: "حصري: مسودة خطاب ترامب تتخلى عن الخطاب القاسي المناهض للمسلمين الذي استخدمه في حملته الرئاسية". وكان مكتب سكرتير الأركان قد وزع مسودة الخطاب الرئيسي للرئيس في القمة العربية الأميركية على مجموعة كبيرة من كبار الموظفين، وقد سربها شخص ما إلى الصحافة. وكانت مقتطفات رئيسية من الخطاب قد انتشرت بالفعل على الإنترنت.

في صياغة الخطاب، بذلنا أنا وستيفن ميلر جهودًا غير عادية لإبقائه سرًا. أردنا أن نبقي العالم في حالة من التشويق.لقد كان من الصعب أن نتخيل كيف كان من الممكن أن نكتب مقالاً جديداً، ولكننا كنا نستعد لذلك. لقد كان من الصعب أن نتخيل كيف كان من الممكن أن نكتب مقالاً جديداً، ولكننا كنا نستعد لذلك، وكان من الممكن أن نبني الترقب حتى لحظة صعود ترامب على المسرح ـ ناهيك عن أن الرئيس لم يراجع كلمة واحدة من المسودة بعد. وكل ما كنا نعرفه أنه كان سيأخذها في اتجاه مختلف تماما. كان بريبوس على وشك الانهيار. هدأه ستيفن: "إنها ليست مشكلة كبيرة. الرحلة تستغرق أكثر من عشر ساعات. سأكتب مقالاً جديداً". وبينما كنا نسافر بسرعة عبر المحيط الأطلسي وخلال الليل، كنت أراجع تفاصيل الرحلة، محاولاً صرف انتباهي عن القلق بشأن كل الأشياء التي قد تسوء.

عندما هبطنا، كان الملك سلمان ينتظر على المدرج لاستقبال الرئيس ترامب وميلانيا. دوى صوت المدافع، وحلقت تسع طائرات عسكرية من طراز إف-16 فوق رؤوسنا، تاركة وراءها دربًا من الألوان الحمراء والبيضاء والزرقاء.

كان هذا الترحيب الدرامي متناقضًا بشكل صارخ مع الاستقبال الذي تلقاه أوباما خلال زيارته الأخيرة إلى المملكة العربية السعودية في عام 2016، عندما لم يستقبله الملك سلمان حتى في المطار. بعد أن رحب ترامب بالملك سلمان، كان هناك دخان أزرق.وبعد أن انتهى الملك من تبادل المجاملات، توجهنا إلى الديوان الملكي السعودي حيث كانت سيارة الليموزين الخاصة بالرئيس ترافقها عشرات الحراس السعوديين على خيول عربية تحمل العلمين الأمريكي والسعودي.

بعد وقت قصير من وصوله إلى الديوان الملكي السعودي للترحيب الرسميفي حفل أقيم في قصر المربّع، ترأس الرئيس ترامب والملك سلمان صفقة أسلحة عسكرية بقيمة 110 مليارات دولار، بهدف تعويض تكلفة الإنفاق الأميركي في الشرق الأوسط. وفي تلك الليلة، استضاف الملك سلمان وفدنا لتناول عشاء حميم في قصر المربع، مقر إقامة الملك عبد العزيز بن سعود، المؤسس الراحل للمملكة العربية السعودية الحديثة. وعندما وصل ترامب إلى القصر، انفتحت أبواب سيارته الليموزين على

بحر من السعوديين بملابسهم التقليدية.

كانت ثيابهم البيضاء والحمراء تتمايل ذهاباً وإياباً على إيقاع الطبل الضارب إلى السماء، ويرددون معاً لحن أغنية تقليدية. وبينما كان الرئيس يتقدم نحوهم، انشق البحر أمامه، فدفعه إلى ساحة واسعة حيث بدأ مضيفونا رقصة السيف الاحتفالية التي كان المحاربون القبليون في العصور القديمة في السعودية يؤدونها قبل المعركة.

في لفتة احترام، سلم الملك للرئيس سيفًا ودعاه للانضمام، وهو ما فعله. وانتشرت اللقطات الناتجة عن ذلك لترامب والملك سلمان بأذرع متشابكة، ويقفزان لأعلى ولأسفل على قرع الطبول، على نطاق واسع. أثناء استراحة في العمل، نظرت إلى ريكس تيلرسون، الذي لم يستطع إخفاء استمتاعه. "هذه ليست رقصة السيف الأولى لي"، ابتسم وهو يثني علي على مدى سلاسة الرحلة حتى الآن. داخل القصر، تم تكريمنا بمجموعة متقنة من الطعام السعودي التقليدي، بما في ذلك لحم الإبل، وهو ليس كوشير، لذلك حركته في طبقي.

وفي صباح اليوم التالي حضر ترامب اجتماعا لمجلس التعاون الخليجي.كان الرئيس أوباما ضيف الشرف في هذا الاجتماع. فقد أبرمت الولايات المتحدة ودول مجلس التعاون الخليجي (المملكة العربية السعودية والبحرين والكويت وعمان وقطر والإمارات العربية المتحدة) اتفاقاً تاريخياً لتجميع الموارد والاستخبارات لمنع تمويل الإرهاب. وخلال الاجتماع، ألقى المستشار الاقتصادي غاري كوهن مذكرة إلى الرئيس أوباما: "من باب التغيير، أنت أفقر رجل على الطاولة". ولم يتمكن الرئيس من إخفاء ابتسامته.

في قاعة الولائم الرئيسية لتناول الغداء مع الزعماء العرب، جلس محمد بن سلمان وأنا على طاولة معه. وعندما جلسنا، قدمني إلى الزعماء الآخرين على الطاولة. وقال: "هؤلاء هم جاريد كوشنر الشرق الأوسط. ليس لديهم جميعًا ألقاب واضحة، ولكن إذا كنت بحاجة إلى إنجاز أي شيء في بلدانهم، فاتصل بهم". وبينما تعرفنا على بعضنا البعض، أعجبت بانفتاحهم على الإصلاح. في مرحلة ما، قال مستشار الأمن الوطني الإماراتي، طحنون بن زايد آل نهيان، لإيفانكا بابتسامة: "استمري، اسألي محمد بن سلمان متى سيسمح للنساء بالقيادة". سمع محمد بن سلمان الاقتراح وأطلق ابتسامة كبيرة وقال: "قريبًا جدًا". فوجئت إيفانكا ولكنها أيضًا مسرورة. وأكد ذلك ما سمعته على المائدة المستديرة لرائدات الأعمال الصغيرة في وقت سابق من ذلك اليوم. ناقشت النساء علانية كيف أن حظر القيادة لم يكن العقبة الوحيدة أمام نجاحهن. إن قوانين الوصاية ــ التي تمنعهم من امتلاك حساب مصرفي أو عقار ــ تعوق قدرتهم على بدء وتنمية الأعمال التجارية.

أن النساء تحدثن عن هذا التحدي في حدث نظمتهكان إعلان محمد بن سلمان عن نيته في قيادة السيارة مؤشراً على علمهم بانفتاحه على الإصلاحات. وبعد عام واحد، فاجأ محمد بن سلمان العالم واتخذ خطوات لرفع الحظر عن قيادة السيارات. وفي العام التالي، غيّر قوانين الوصاية.

وبينما اقترب ترامب من المنصة لإلقاء خطابه الرئيسي أمام الزعماءفي عام 2011، كان من المقرر أن يزور ترامب باكستان، لكن من بين أربع وخمسين دولة ذات أغلبية مسلمة، لم يكن من الممكن أن تكون المخاطر أعلى. بموافقته على القيام بالرحلة، أصر ترامب على نقل رسالة صارمة مفادها أن الولايات المتحدة قد انتهت من إنفاق تريليونات الدولارات وآلاف الأرواح الأمريكية على حروب خارجية لا نهاية لها. يجب على حلفاءنا أن يتقدموا ويساهموا بشكل أكبر في دفاعهم. حذر قائلاً: "لا أريد أن أذهب إلى هناك لتقبيل مؤخرات". داخل قاعة المأدبة، جلس الزعماء على مكاتب مزخرفة تحت سقف يبلغ ارتفاعه ثلاثين قدمًا وثريات بحجم سيارة بويك. كانت القاعة كبيرة بشكل مذهل لدرجة أنها جعلت كل شيء آخر يبدو صغيرًا بالمقارنة، وكان الصمت مخيفًا عندما بدأ الرئيس خطابه الذي استغرق خمسًا وثلاثين دقيقة.

"أقف أمامكم كممثل للشعب الأميركي، لأقدم لكم رسالة صداقة وأمل"، هكذا بدأ أوباما خطابه، وناشد العالم الإسلامي تكثيف جهوده للقضاء على الإرهاب. "اطردوهم. اطردوهم. اطردوهم من أماكن عبادتكم. اطردوهم من مجتمعاتكم. اطردوهم من أرضكم المقدسة. واطردوهم من هذه الأرض".

وجدد أوباما تعهده بالعمل مع الدول العربية لعزل عدوهم المشترك وراعي الإرهاب رقم واحد في العالم، إيران. ودعا العرب إلى وضع المظالم القديمة جانباً والسعي إلى روح جديدة من الشراكة من أجل المنطقة. ثم اختتم كلمته بالحديث عن السؤال الرئيسي الذي طرحه على جمهوره: "هل سنكون غير مبالين في وجود الشر؟ هل سنحمي مواطنينا من أيديولوجيته العنيفة؟ هل سنسمح لسمه بالانتشار في مجتمعاتنا؟ هل سنسمح له بتدمير أكثر الأماكن قدسية على وجه الأرض؟".

لقد كانت جولة رائعة. بعد ذلك، بينما كنا نسير في بهو الفندق الذي كنا نقيم فيه، سمع كبير مستشاري السياسة لوزير الخارجية تيلرسون، برايان هوك، بعض الزعماء العرب يقولون فيما بينهم: "ترامب يفهمنا حقًا". بعد ما يقرب من عقدين من العلاقات المتوترة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، سمعنا بعض الزعماء العرب يتحدثون فيما بينهم: "ترامب يفهمنا حقًا".وفي الشرق الأوسط، تبنينا نهجاً جديداً ــ نهج لا يسعى إلى إعادة تشكيل الدول على صورتنا، بل يسعى بدلاً من ذلك إلى بناء تحالفات على أساس أهدافنا المشتركة.

كانت الرحلة تسير على نحو أفضل مما كنت أتمنى. كان ترامب في قمة عطائه، وأعجبه كرم ضيافة الملك. ولم يدخر السعوديون أي جهد في إظهار التزامهم بالإصلاح. ففي الثلاثين يومًا التي سبقت وصول الرئيس، أنشأوا منشأة متطورة تسمى المركز العالمي لمكافحة الإيديولوجية المتطرفة وزودوها بأكثر من مائتي محلل بيانات لمواجهة التطرف الإسلامي على الإنترنت وغيره من الأنشطة الإرهابية التي ابتليت بها المملكة العربية السعودية لعقود من الزمان. كما أصبح التطرف على الإنترنت يشكل تهديدًا في أمريكا، مما ساهم في الهجوم في سان برناردينو بولاية كاليفورنيا في عام 2015 والاعتداء الوحشي على ملهى بولس الليلي في أورلاندو بولاية فلوريدا في عام 2016. وخلال الانتخابات، خشي الكثيرون أن تستمر عمليات إطلاق النار بدافع الجهاديين في إزعاج الولايات المتحدة ودول حول العالم. وإذا تمكنا من إقناع المملكة العربية السعودية، زعيمة العالم العربي، باتخاذ إجراءات صارمة ضد التطرف على الإنترنت، فسوف تتبعها دول إسلامية أخرى. لقد ساهم هذا الجهد التاريخي في تحسين سلامة وأمن المواطنين الأميركيين والأبرياء في كل مكان.

لقد ارتكبت خطأ واحدا: لقد قمت بجدولة العديد من الارتباطات لترامب. كان السعوديون يريدون في الأصل أن تكون الزيارة عبارة عن قمة لمدة خمسة أيام، لكنني تفاوضت على تقليصها إلى يومين وملأت جدول ترامب بالاجتماعات لتلبية طلبات السعوديين وغيرهم من الزعماء العرب. خلال الثماني والأربعين ساعة في الرياض، حضر ترامب ثمانية اجتماعات ثنائية، وقمتين مختلفتين، وحفلات استقبال عديدة، وعدة غداء، وعشاء دولة. في نهاية يوم طويل، عندما أخبرناه عن حدث إضافي، التفت إلي واشتكى، "جاريد، هذا الجدول غير إنساني. أنت تعلم أنك لست في وصيتي. لماذا تحاول قتلي؟"

طلب ترامب من إيفانكا أن تجلس مكانه في الحدث، وهو منتدى يضم قادة وسائل التواصل الاجتماعي في المملكة العربية السعودية، التي لديها واحدة من أعلى معدلات استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في العالم. كانت هذه مبادرة كبرى لمحمد بن سلمان، وجزءًا من استراتيجيته لتعزيز التسامح وإدانة التطرف. وبعد بضع دقائق فقط من التحضير، صعدت إيفانكا على المسرح أمام مئات الأشخاص.وخلال الزيارة، أصبحت صورها رائجة على مواقع التواصل الاجتماعي في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية.

عندما كنا نسير على المدرج في صباح اليوم التالي، كنا على وشكانطلقت أول رحلة مباشرة من المملكة العربية السعودية إلى إسرائيل. وافق الملك سلمان على التنازل عن القيود المفروضة على المجال الجوي والسماح لطائرتنا بالطيران مباشرة إلى إسرائيل، مما سيقلل من وقت الرحلة بمقدار

ثلاث ساعات. وقبل إقلاعنا مباشرة، تلقيت مكالمة من السفير الأمريكي فيكان الإسرائيليون متوترين بشأن توقعات ترامب بشأن زيارته: لم تكن لديهم الميزانية اللامحدودة أو القصور الفخمة التي يمتلكها السعوديون، لكنهم خططوا مع ذلك لرحلة من الدرجة الأولى وفقًا لمعاييرهم. أخبرته أنهم لا ينبغي لهم أن يقلقوا.

وبعد وقت قصير من وصولنا إلى القدس، قادنا الرئيس والسيدة الأولىفي ذلك اليوم، كان ترامب يستعد لزيارة حائط البراق، وكان أول رئيس أميركي يزور هذا المكان المقدس. وبينما كنت أسير مع إيفانكا إلى جانب ترامب، صليت أن يحمي الله عائلتي، ويساعدني على الارتقاء إلى مستوى إمكاناتي، ويمنحني الحكمة والقوة لاستخدام المسؤوليات التي أُعطيت لي لخدمة بلدي بأمانة. بدأت الشمس تغرب، وكان ترامب يريد بشدة أن يسترخي في الليل قبل يوم حافل آخر. لكن كان من المقرر أن يتناول هو وميلانيا عشاء خاصا مع رئيس الوزراء بيبي نتنياهو وزوجته سارة. وفيما أشرت إليه مازحا بأنه فشل ذريع للاستخبارات الإسرائيلية، خطط بيبي لتناول وجبة متعددة الأطباق استمرت لساعات. كان ينبغي لبيبي أن يعرف جمهوره بشكل أفضل - كان ليحظى برضا ترامب لو قدم له همبرجر ببساطة وسمح له بالذهاب إلى الفندق للاسترخاء. اتصل بي ترامب بعد ذلك، محبطا: "لقد أبقاني الرجل مستيقظا لمدة ثلاث ساعات وكان يتحدث بصوت عال. كان الأمر جميلا، ولكن في كل مرة كنت أعتقد أن الوجبة ستنتهي، كان يتم تقديم طبق آخر".

وفي صباح اليوم التالي، كان من المقرر أن يجتمع الرئيس معكان الرئيس الفلسطيني محمود عباس قد زار البيت الأبيض في مايو/أيار الماضي، وأخبر الرئيس أنه مستعد للتفاوض، وأعرب عن ثقته في ترامب باعتباره الحكم على اتفاق السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل. لقد كنا مهتمين، لكننا ما زلنا ننتظر سماع المزيد. قبل مغادرتنا مباشرة، أطلع السفير فريدمان ترامب على التفاصيل، وعرض عليه مقطع فيديو يظهر فيه عباس وهو يطلق تهديدات خطيرة تجاه الشعب الإسرائيلي. كانت رسالة فريدمان واضحة: كن حذرا مع عباس - فهو يخبرك أنه من أجل السلام باللغة الإنجليزية، لكن انظر بعناية إلى ما يقوله باللغة العربية. رأى تيلرسون ما كان يحدث مع الفيديو وغضب بشدة، مدعيا أنه غير صادق. رد فريدمان: "هل تقول إنه لم يقل هذه الأشياء؟" كان على تيلرسون أن يعترف بأنها كانت كلمات عباس، لكنه كان غاضبا لأنه فقد السيطرة. كان من المهم للرئيس أن يرى جميع جوانب القضية، خاصة وأن عباس كان يتحدث عن السلام مع إسرائيل.

وقال إنه سمع من عدد من رجال الأعمال المحترمين أن عباس رجل جاد ويريد بصدق تحقيق السلام.

خلال الاجتماع الثنائي في رام الله، تلا عباس نفس النقاط التي استخدمها خلال زيارته الأخيرة للبيت الأبيض. كان الأمر وكأن الاجتماع الأول لم يحدث أبدًا. لقد فشل في إظهار أي تقدم بشأن القضايا التي ناقشها مع ترامب سابقًا. بخيبة أمل من سلوك الزعيم الفلسطيني، أصبح ترامب مستاءً ولم ينطق بالكلمات: "أنت تدفع للأشخاص الذين يقتلون الإسرائيليين. هذه سياسة حكومية رسمية. عليك أن توقف هذا. يمكننا إبرام صفقة في ثانيتين. لدي أفضل رجالى للقيام بذلك. لكنني أريد أن أرى بعض العمل. أريد أن أرى ذلك بسرعة. لا أعتقد أنك تريد إبرام صفقة ". أصبح عباس دفاعيًا واشتكى من أمن إسرائيل. رد ترامب، "انتظر: إسرائيل رائعة في الأمن، وأنت تقول إنك لن تأخذ أمنًا مجانيًا منهم؟ هل أنت مجنون؟ بدون إسرائيل، يمكن لداعش الاستيلاء على أراضيك في حوالي عشرين دقيقة. نحن ننفق الكثير على الجيش. كل شخص في هذه المنطقة ينفق ثروة على الأمن. "إذا كان بوسعي أن أحصل على أمن عالي الجودة مجاناً لأميركا مع توفير التكلفة، فسوف أقبل ذلك في ثانية واحدة". وبعد أن شهدت تعنت عباس، أدركت على نحو أفضل لماذا حاول اثني عشر رئيساً سابقاً التوصل إلى اتفاق سلام وفشلوا.

عندما وصلنا إلى روما، قمت أنا وإيفانكا بدعوة الفريق لتناول العشاءلقد شكرهم على عملهم الشاق في الرحلة. لقد أرشدنا جو هاجين، نائب رئيس أركان الرئيس للعمليات، إلى أحد مطاعم المعكرونة المفضلة لديه، دا ساباتينو. بعد عشاء إيطالي كلاسيكي، عرضت دينا باول وجاري كوهن، وكلاهما ليسا كاثوليكيين، إعطاء مكانيهما لمقابلة البابا لكاثوليكيين اثنين من الموظفين، برايان هوك ورئيسة أركان إيفانكا، جولي رادفورد. لقد التزم الفاتيكان ببروتوكولات صارمة بشأن عدد الأشخاص المسموح لهم بمرافقة الرئيس والسيدة الأولى. كان البيان، الذي تم التفاوض عليه قبل أسابيع، مقصورًا على أفراد أسرة الرئيس المباشرين وسبعة من أعضاء الموظفين. ولكن عندما مر الوفد عبر أمن الفاتيكان في صباح اليوم التالي، أوقف حارس رادفورد وأخبرها أن شخصًا آخر قد أخذ مكانها بالفعل - فقد وضعت إحدى كبار مساعدي تيلرسون نفسها في إحدى المركبات الأمامية واندفعت إلى المدخل وسجلت باسم دينا باول. ولم يسمح مسؤولو الفاتيكان لرادفورد بالدخول، ورغم أنها شعرت بخيبة أمل، إلا أننا مازحنا فيما بعد بأنها على الأقل لم تكذب أو تغش أو تسرق لمقابلة البابا.

وعلى عكس ما نشرته الصحافة عن الزيارة، كان البابا فرانسيس ودودًاوخلال مناقشاتهما، قال البابا إنه يشعر وكأننا نعيش في الحرب العالمية الثالثة، ولكن مع تفكك الصراعات في جميع أنحاء العالم. وفي الفاتيكان، التقت إيفانكا بالكرسي الرسولي لمناقشة الاتجار بالبشر، واتفقا على العمل معًا لمكافحة هذا الشكل الشرير من العبودية الحديثة.

في تلك الليلة، قبلت أنا وإيفانكا عرضًا سخيًا من الحكومة الإيطالية للقيام بجولة في البانثيون وقبته الرائعة. كنا نتصور أننا سنكون من بين العديد من السائحين الذين يزورون المعبد القديم، ولكن عندما وصلنا بسيارة الخدمة السرية، كانت الشرطة قد أغلقت المنطقة بأكملها وكان المئات من الناس ينتظرون وصولنا.

بينما كنا نشعر بالسعادة بسبب التحيات الطيبة، كنا نتمنى أن نتمكن من العودة إلىالأيام التي كان بإمكاننا فيها الذهاب إلى أي مكان تقريبًا دون إثارة أي ضجة. لم تعد حياتنا ملكنا.

لقد انقطعت أنا وإيفانكا عن الرحلة بعد روما، وسافرنا على متن طائرة تجاريةفي 2011، عاد ترامب إلى الولايات المتحدة، بينما واصل رحلته إلى بروكسل للاحتفال بذكرى المقر الجديد لحلف شمال الأطلسي. وحث ترامب الزعماء الأوروبيين على الوفاء بالتزاماتهم تجاه حلف شمال الأطلسي وإنفاق المزيد من الأموال لبناء دفاعهم الجماعي. وقد أعاد النظر في هذا الشاغل طوال فترة رئاسته، إلى جانب معارضته الشديدة لاعتماد أوروبا على روسيا في الحصول على الموارد الطبيعية.

لقد حذر بوتن المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل بشكل خاص من أن اعتماد بلادها على الغاز الروسي ودعم خط أنابيب نورد ستريم 2 من شأنه أن يثري بوتن مالياً ويمنح روسيا نفوذاً على الاقتصادات الأوروبية. كما حذر الزعماء الأوروبيين من أن الضغط من أجل ضم أوكرانيا إلى حلف شمال الأطلسي من شأنه أن يستفز روسيا ويدفع بوتن إلى الزاوية، حتى مع وجود أوروبا في موقف ضعيف استراتيجياً. وقد يؤدي هذا إلى الحرب.

قبل أن نغادر أنا وإيفانكا بقليل، نبهني مساعد صحفي إلى قصة عاجلة.

كانت صحيفة واشنطن بوست تخطط للإعلان عن خضوعي للتحقيق الجنائي من جانب مكتب التحقيقات الفيدرالي. ومن على مدرج المطار، اتصلت بفريد رايان، الرئيس التنفيذي لصحيفة واشنطن بوست، وأخبرته أنني لم أتلق أي إخطار بأنني أخضع للتحقيق، ولا أعرف ما الذي قد أفعله.أن يكون تحت التحقيق.

لقد زعمت أنهم استندوا في قصتهم إلى كذبة من شخص داخل مجتمع الاستخبارات كان على استعداد لخرق معايير السرية من خلال تسريب المعلومات إلى الصحيفة. أخبرته أنه من غير المسؤول تمامًا نشر مثل هذه القصة المدمرة بناءً على ادعاء غير مثبت بالكامل. إن القيام بذلك سيجعلني نشطًا إشعاعيًا في واشنطن وسيكون له عواقب وخيمة على حياتي. قال إنه ليس لديه ما يفعله. لقد أقلعنا ولم يكن لدينا إنترنت طوال الرحلة التي استغرقت اثنتي عشرة ساعة. لم يكن لدي أي فكرة عن شدة العاصفة التي تنتظرني في المنزل.

{12}

فن الحرب

عند عودتنا إلى الولايات المتحدة يوم الخميس 25 مايو، كان لدي أنا وإيفانكا ارتباط مهم: حفل باليه أرابيلا. لقد وعدناها بحضور الحفل، وقد وصلنا في الوقت المناسب. وبينما استقرينا للاستمتاع بأدائها، شعرت بالانزعاج الشديد.

رن الهاتف. أراد أحد المراسلين معرفة رد فعلي على قصة صحيفة واشنطن بوست،لقد نشرت للتو: "جاريد كوشنر الآن محور تحقيق روسيا". اتصلت بمحاميتي، جيمي جورليك، التي وجهت لي لكمة في بطني مؤخرًا عندما أخبرتني أنها بحاجة إلى التنحي عن تمثيلي بسبب تضارب المصالح. كان بوب مولر يعمل في نفس الشركة، وقد تم تعيينه مدعيًا خاصًا. أخبرتني أنها كانت تتلقى أيضًا موجة من المكالمات من المراسلين. عدت إلى باليه أرابيلا، لكن جورليك اتصلت بعد بضع دقائق بأسئلة عاجلة. طوال العرض، واصلت الخروج إلى الردهة لتلقي المكالمات الواردة. لقد بدأ طوفان من الأخبار والمعلومات المضللة.

في اليوم التالي، يوم الجمعة، نشرت صحيفة واشنطن بوست مقالاً آخر بعنوان "السفير الروسي أبلغ موسكو أن كوشنر يريد قناة اتصال سرية مع الكرملين". وفي تلك العطلة الأسبوعية، وللهروب من وسائل الإعلام المعسكرة خارج منزلنا في كالوراما، ذهبت أنا وإيفانكا إلى بيدمينستر. وحتى من هناك، على بعد مائتي ميل خارج واشنطن العاصمة، كان بوسعنا أن نشعر بالحرارة. بدا الأمر وكأن شبكة سي إن إن قد أصابها الجنون تمامًا، وهي تتنقل بين لجان "الخبراء" الذين افترضوا أن هذا الادعاء الذي لا أساس له من الصحة كان صحيحًا. في حالة من الصدمة والحيرة، اتصلت بجورليك. قلت لها: "هذا جنون. لقد كنت أعرف أن كوشنر كان على حق".

يجب أن نصدر بيانًا. إنهم يقومون بانتقال غير ذي أهمية"لقد بدا لي هذا اللقاء شريرًا. لم أقابل روسيًا واحدًا أثناء الحملة؛ ولم يكن هناك أي تواطؤ مع روسيا على الإطلاق". لقد أرسلت لها بيانًا كنت قد أعددته وطلبت موافقتها القانونية لإرساله.

"لن أفعل ذلك"، قالت. وعندما سألتها عن السبب، ردت: "نحن نراجع عشرات الآلاف من رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بك، وقد وجدت رسالة إلكترونية واحدة سترغب في رؤيتها. أعلم أن الأمر مؤلم الآن، لكن وظيفتي هي أن تصل إلى الطرف الآخر في حالة جيدة. أنا دقيقة، وأنا باهظة الثمن، ولكن هناك سبب يجعل الناس يستخدمونني. ولا تريد إصدار أي بيان حتى أراجع جميع الحقائق".

"حسنًا، ماذا يقول البريد الإلكتروني؟" استفسرت.

"أفضل أن أعرضها عليك شخصيًا. تعال إلى مكتبي عندما تحصل عليها"

خلف."

لقد استجمعت قواي، ولكن لم يخطر ببالي شيء. كنت أتلقى ثلاثمائة رسالة بريد إلكتروني يوميًا أثناء الحملة، ولكن لم أستطع أن أتخيل ما قد يحدث.لقد أشار جيمي إلى ذلك. كنت أعلم على وجه اليقين أنني لم أفعل أي شيء غير لائق مع روسيا.

عندما عدت إلى واشنطن، طار صديق مقرب من أريزونا لتناول العشاء معي لتشجيعي. وفي أسوأ لحظاتي في واشنطن، شجعني على أن أتمسك بالإيمان، وأن أظل قوية، وأن أرفع رأسي عالياً. وقال لي إنني سأنجح في تجاوز الأمر. لقد كانت محاضرة تحفيزية كنت في أمس الحاجة إليها.

في اليوم التالي، ذهبت إلى مكتب جورليك في كلية ويلمر هيل للقانون.كان ذلك في مكتب البريد الواقع على بعد ثلاث كتل غرب البيت الأبيض في شارع بنسلفانيا. وقد وضع جورليك وثيقة من ثلاث صفحات أمامي. ففحصت الصفحة الأولى. وكانت عبارة عن رسالة إلكترونية من حملة دونالد جونيور، يطلب فيها مني الحضور إلى اجتماع. وكان هذا حدثاً متكرراً وعادياً.

"إذن، ما الأمر المهم؟" سألتها. فأخبرتني أن أذهب إلى الصفحة الثالثة من النسخة المطبوعة وأقرأ نهاية سلسلة الرسائل الإلكترونية ـ وهو أمر لم أقرأه قط.كان من المفترض أن أقوم بذلك أثناء الحملة. في ذلك الوقت، كنت لا أزال أدير أعمالي وأشارك في عشرات الاجتماعات يوميًا. لم أكن أتصفح سلاسل البريد الإلكتروني الطويلة عندما كانت الرسالة في الأعلى تتعلق باللوجستيات. في أسفل الموضوع، في الصفحة الثالثة من وثيقة جيمي المطبوعة، رأيت البريد الإلكتروني الأولي الذي كان جزءًا من سلسلة لم أشارك فيها. كان وصفًا للموضوع المزعوم للاجتماع: مشاركة المعلومات "التي من شأنها أن تدين هيلاري وتعاملاتها مع

"روسيا"، كجزء من "دعم روسيا وحكومتها للسيد ترامب".

لقد أثارت رؤية البريد الإلكتروني ذاكرتي. "كان الاجتماع مجرد مزحة"، قلت.

قال جورليك.

"هذا لا يهم"، قالت. "لا يمكنك أن تقول إنك لم تقابل روسيًا أبدًا أثناء الحملة منذ عقد هذا الاجتماع. لا يهمني مدى براءة الاجتماع أو عدم وقوعه. ستستمتع وسائل الإعلام بهذا الأمر. أخبرني ماذا حدث في ذلك الاجتماع".

أتذكر أنني وصلت متأخرًا بعض الشيء، تمامًا كما أطلق محامٍ روسيفي ذلك الوقت، كنت أتحدث عن كيف يمكن لترامب أن يفوز في الانتخابات إذا تمكن من إقناع روسيا بإلغاء حظرها المضلل على تبني الأطفال الروس في الولايات المتحدة. أدركت على الفور أن الاجتماع كان مضيعة هائلة للوقت، فأرسلت بريدًا إلكترونيًا إلى مساعدي لإخراجي من الاجتماع: "هل يمكنك الاتصال بي على هاتفي المحمول؟ أحتاج إلى عذر للخروج من الاجتماع". عندما اتصل مساعدي، وقفت واعتذرت عن مغادرة الغرفة، ونسيت أن الاجتماع قد حدث. تتمتع الحملات الانتخابية بطريقة لإخراج المجانين الذين يعتقدون أنهم يعرفون أفضل. إنهم مثل مشجعي الرياضة الذين يتذمرون من قرارات المدربين والمديرين.

لقد ناقشت أنا وجورليك ما ينبغي لنا أن نفعله، وبدأت أدرك الواقع الجديد. فالقصص التي كنت أتعامل معها بشأن روسيا لن تختفي في أي وقت قريب.

بعد أن ذكرت الصحافة أنني كنت موضوع تحقيق من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي،بدأت ألاحظ أن بريبوس وبانون وماكجان يستبعدونني من اجتماعات البيت الأبيض. ويبدو أنهم يتجنبونني بشكل عام.

وبعد سنوات، وردت تقارير تفيد بأن بانون أرسل خلال هذا الوقت رسالة إلىأرسلت بريدا إلكترونيا إلى أحد أعضاء فريق العمل في بريتبارت أطلب منه التحقيق في قصة تربطني بقِلة أعمال روسية لم أقابلها من قبل.

لم أستطع أن أستوعب هذا السلوك الشرير والمدمر. كان الرئيس محاطًا برواية كاذبة عن التواطؤ مع روسيا والتي كانت تعوق رئاسته وتسبب له ضغوطًا كبيرة، ومع ذلك بدا أن بانون كان يغذي الرواية عمدًا لإيذاء زميل له. لقد كان مستوى من الخيانة لم أتصوره أبدًا ممكنًا، حتى في واشنطن.

في أواخر شهر يونيو، تحدث صديقي القديم إريك هيرشمان، المدعي العام السابق في نيويورك والشريك الأول في شركة المحاماة كاسويتز وبينسون وتوريس،

في ذلك الوقت، اتصل بي أحد موظفي البيت الأبيض وقال: "جاريد، لديك مشكلة كبيرة". لقد سمع أن بانون وماكجان يخططان لتعيين محامٍ دفاع رفيع المستوى لمساعدة الفريق القانوني للبيت الأبيض في الدفاع عن روسيا. كان اسمه تاي كوب، تمامًا مثل لاعب البيسبول الشهير. حذرني هيرشمان: "إذا تم تعيينه، أخشى أنك ميت". وأوضح أنه يعتقد أن كوب كان جزءًا من خطة بريبوس وبانون لطردي: تعيين محامٍ يخبر الرئيس أنني أصبحت عبئًا خطيرًا ويجب أن أغادر. عادة ما يكون لدى الموظفين الجدد فترة شهر عسل مع ترامب؛ خلال الأسابيع الثلاثة أو الأربعة الأولى من فترة ولايتهم، أظهر لهم الكثير من الاحترام. إذا كانت معلومات هيرشمان صحيحة، وتم تعيين كوب، فسيكون في ذروة سلطاته وهو يدفع لإقالتي. لقد قام بانون بإتقان بتصميم سلسلة من التسريبات والأكاذيب على مدى الأشهر القليلة الماضية، مما جعل اسمي مرتبطًا باستمرار بروسيا في الصحافة. كانت لجان الاستخبارات في مجلس النواب والشيوخ تستعد لاستجوابي.

كما أشار هيرشمان إلى أن ترامب كان لديه اجتماع خارج الجدول الزمني مع كوب في ظهر ذلك اليوم. دخلت المكتب البيضاوي بعد وقت قصير من بدء الاجتماع وجلست على أحد الكراسي بجوار المحامين، مباشرة أمام مكتب ريزولوت. بدا بريبوس وماكجان، اللذان لم يتوقعا انضمامي، غير مرتاحين. خرج بريبوس من الغرفة، وبعد عشر دقائق من المناقشة، طلب مني ماكجان بأدب المغادرة، موضحًا أنني شاهد رسمي في التحقيق الروسي وبالتالي لا ينبغي أن أكون جزءًا من مناقشتهم. أخذ الرئيس بنصيحة محاميه. عندما عدت إلى مكتبي، علمت أنه بينما كنت في المكتب البيضاوي، كان بريبوس مضطربًا يتجول في منطقة الاستقبال خارج المدخل الرئيسي للمكتب البيضاوي، قلقًا بشأن كيفية إخراجي من الاجتماع.

بعد عدة دقائق مؤلمة، قررت أنني لا أستطيع الجلوس بينما
خطط آخرون لإعدامي.

لدى الرئيس غرفة طعام خاصة في الجناح الغربي تفتحيمكن الوصول إلى الرواق الرئيسي من خلال مخزن خدمة بعرض قدمين؛ ويمكن أيضًا أن يكون بمثابة مدخل خلفي إلى المكتب البيضاوي. لتجنب بريبوس، تسللت عبر هذا المدخل الخلفي.

وعندما عدت في منتصف الاجتماع، قاطعته وأخبرت ترامب أنني أحتاج حقًا إلى التحدث معه.

لقد تفاجأ برؤيتي وانزعج لأنني قاطعت مناقشة حادة، فوافق على مضض، ووقف من كرسيه خلف المكتب، وتبعني إلى غرفة الطعام.

"أتفهم أنك تشعر بأنك لا تستطيع إقالة بانون لأنك لا
أريده أن يصبح مارقًا،" بدأت، "لكن لا تستأجر تاي كوب."

أجاب ترامب: "كنت على وشك عقد صفقة مع هذا الرجل، فلماذا لا أستطيع توظيفه؟"

"لأنني علمت أنه لديه أجندة أخرى"، قلت.

نظر إلي ترامب بصمت للحظة، وطلب مني الانتظار هناك،في ذلك اليوم، عاد ترامب إلى المكتب البيضاوي، حيث استدعى جون دود، محاميه الشخصي، الذي كان حاضرا أيضا في الاجتماع. وعندما دخلا معا إلى المكتب، طلب مني ترامب أن أكرر قلقي على دود. كان من الواضح أنني ارتكبت خطأ فادحا في يأسي، وأن محاولتي العبثية لإنقاذ نفسي كانت على وشك أن تجعل موقفي أسوأ كثيرا: من خلال دود، سيعرف تاي كوب الآن أنني أعارض تعيينه. وبينما كنت على وشك التحدث، وبشكل معجزي، انشغل ترامب بفقرة من قناة فوكس نيوز وطلب منا التوقف حتى يتمكن من سماع ما يقوله الخبراء. اقترحت بهدوء على دود أن نذهب إلى الغرفة الأخرى للتحدث، وواصلنا إلى المكتب الصغير الواقع بين المكتب البيضاوي وغرفة الطعام الخاصة - والتي يشار إليها في جميع أنحاء البيت الأبيض باسم "غرفة مونيكا لوينسكي".

"أخبرني عن تاي كوب" بدأت."إنه محامي رائع."

هل تثق به؟ نعم، أنا أثق به.

"يبدو أن هناك الكثير من الأشخاص المحيطين بالرئيس الذين"إنهم لا يضعون مصالحه في الاعتبار"، تابعت. "إنهم يتسببون في مشاكل أكثر مما يحلونها. انظر، كانت حياتنا لتكون أسهل بكثير لو بقينا في نيويورك، لكننا قررنا المجيء إلى واشنطن لمساعدة الرئيس على النجاح. لم نأت إلى هنا للقتال مع الناس ولعب ألعاب سياسية. نحن نهتم به، ونهتم ببلدنا".

لقد سألني داود، وهو جندي مشاة بحرية سابق ومحام متقاعد كان يؤمن بترامب ورأى في هذه الفرصة للعمل مع الرئيس آخر فترة له في الخدمة، بعض الأسئلة. فأجبت على كل منها بصدق وشرحت له الحقائق المتعلقة بقضيتي المتعلقة بروسيا. وبعد حوالي عشر دقائق، نظر إلي وقال: "كما تعلم، منذ اللحظة التي وصلت فيها إلى هنا، كان ماكجان،

لقد جاءني كل من بريبوس وبانون بشكل فردي وقالا لي إنك وإيفانكا هما المشكلة وأن كل شيء سوف يتم حله إذا لم أتدخل."لقد تمكنت من إخراجك. ولكن أعتقد أنني فهمت الأمر الآن. أنتم الوحيدون الذين يهتمون حقًا بالرئيس. أرى ما يحاول هؤلاء الأوغاد الأنانيون فعله. لقد قبضت عليهم. أنا أدعمكم، وسأقوم بالقبض على كل واحد منهم". قيل لي لاحقًا أن ماكجان وبريبوس وبانون صاغوا خطاب استقالتي وكانوا يضغطون على الرئيس لحملي على التوقيع عليه.

قبل عشرة أيام من شهادتي المقررة أمام الكونجرس، قال الرئيسوسافرت إيفانكا إلى بيدمينستر لحضور بطولة الجولف المفتوحة للسيدات في الولايات المتحدة. وذهبت معهما لتصفية ذهني وإنهاء شهادتي استعدادًا لليوم الحاسم. وكانت التغطية الإخبارية في ذلك الأسبوع مثيرة بشكل خاص.

بينما كنت أراجع شهادتي، دخل ترامب إلى كوخنا وجلس أمامي. كان محبطًا من دورات الأخبار السلبية وكان قلقًا عليّ، فقال: "أنت حار جدًا الآن. هل فعلت أي شيء؟"

قلت له إنني لم أفعل أي شيء خاطئ. "عليك أن تنظف نفسك""قم بإصلاح هذا الأمر"، توسل.

أوضحت له أنني أعمل على شهادتي ولا أستطيع الإدلاء بأي تصريح علني حتى ذلك الحين. كان بوسعي أن أستنتج أنه كان متألماً لأن الأشخاص الذين عارضوه كانوا يلاحقون عائلته. وكان الأمر الذي أزعجه بشدة هو أنه لم يكن بوسعه أن يفعل شيئاً لوقف ذلك.

لقد كان يساندني، لكنه لم يستطع حل مشاكلي نيابة عني. لقد أخبرني
أريد أن أبقى قويًا وأبذل قصارى جهدي، ولكن أن أكون حريصًا على عدم جعل الأمر أسوأ.

* * *

في صباح يوم 24 يوليو/تموز، قبلتني إيفانكا وداعا عندما كنت في طريقي لحضور جلسة استماع مع لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ.

قبل أن أغلق الباب خلفي، وجهت لي نصيحة أخيرة: "تذكر فقط أنك لم ترتكب أي خطأ. ليس لديك ما تخفيه، لذا لا تدعهم يخيفونك. ارفع رأسك عالياً وابتسم".

في وقت سابق من ذلك الصباح، أصدرت بياني الشامل المكون من إحدى عشرة صفحة.11 واقترح محاميي الجديد آبي لويل أن ننشر البيان مقدمًا لمنع الديمقراطيين من تحريف أجزاء مختارة من شهادتي بشكل غير دقيق لتتناسب مع روايتهم. لقد امتنعت لأشهر عن دحض الاتهامات، والآن يمكنني أخيرًا الرد، ومعالجة كل ادعاء بشكل منهجي وتقديم دفاع شامل يدمر الروايات الزائفة.

في الساعة 9:45 صباحا، مررت أمام مئات الكاميرات والمراسلين، وارتسمت على وجهي ابتسامة عندما دخلت مبنى هارت لمجلس الشيوخ. وبصحبتي حراس أمنيين ومحاميين، دخلت غرفة خاصة وجلست على طاولة مع كبار الموظفين من لجنة الاستخبارات. واستنادا إلى أسئلتهم، التي كانت بدائية بشكل مدهش، أدركت أنهم لا يعرفون شيئا تقريبا عن كيفية إدارة حملتنا. وعندما سألوني عن تفاعلاتي مع روسيا، قلت الحقيقة: "لم أتواطأ مع روسيا، ولا أعرف أي شخص آخر في الحملة فعل ذلك. لم تكن لدي اتصالات غير لائقة. ولم أعتمد على أموال روسية في أعمالي. وكنت شفافا تماما في تقديم جميع المعلومات المطلوبة".

عندما عدت إلى البيت الأبيض، منهكة ولكن مرتاحة في الوقت نفسه، وجدت الرئيس يستعد في مكتبه الخاص لمؤتمر صحفي حول مشروع قانون الرعاية الصحية الذي اقترحه بول رايان. أخبرته أن الإدلاء بشهادته سار بشكل جيد، وخرجت إلى "العصي" - المكان أمام المدخل الاحتفالي للجناح الغربي حيث يدلي مسؤولو الإدارة بتصريحات رسمية لهيئة الصحافة في البيت الأبيض. قبل أن أخرج مباشرة، قامت سارة ساندرز، التي تم تعيينها مؤخرًا سكرتيرة صحفية للبيت الأبيض، برش القليل من بودرة المكياج عليّ - لأول مرة بالنسبة لي - وقدمت لي نصيحة: "عندما تخرج إلى هناك، سيكون الأمر ساحقًا. خذ نفسًا عميقًا واقرأ ببطء شديد لأن قلبك، صدقني، سيتسابق". بينما واجهت بحر الكاميرات، شعرت بالخوف والترهيب، لكنني تذكرت نصيحة سارة، وأخذت نفسًا عميقًا وقرأت بياني. عندما عدت، اتصلت مادلين ويسترهوت، مساعدة الرئيس، لتقول إن ترامب يريد رؤيتي. عدت إلى المكتب البيضاوي، وهنأني على البيان.

في اليوم التالي أدليت بشهادتي أمام أعضاء لجنة الاستخبارات الدائمة في مجلس النواب. وعندما واصل العضو الديمقراطي البارز آدم شيف طرح أسئلة إضافية عليّ بعد انتهاء المهلة الزمنية المتفق عليها مسبقاً، بقيت وأجبت عليها. وقلت له: "لا أريده أن يخرج ويقول: "لدي الكثير من الأسئلة الأخرى". سأستمر في طرح الأسئلة إلى أن ـ طالما أردت ذلك".

وعلى النقيض من القضايا التي تنظرها المحاكم في مختلف أنحاء أميركا، افترضت هذه التحقيقات التي أجراها الكونجرس أنني مذنب حتى تثبت براءتي. وكان أي خطأ أو إجابة سيئة الصياغة أو إغفال عرضي يعني الإذلال والطرد من واشنطن وربما السجن. ولحسن الحظ، حققت الشهادة نجاحاً كبيراً. فقد نجحت في تطهير الأجواء من الاتهامات الكاذبة. وكنت آمل أن يقبل الكونجرس الحقيقة وأن يدرك الجمهور في نهاية المطاف أنه لا يوجد ما يستدعي التحقيق.

في تلك الليلة، احتفلت أنا وإيفانكا معًا على العشاء في المنزل معلأول مرة منذ شهور، شعرت براحة حقيقية. الآن بعد أن انتهيت من الشهادة وأتيحت لي الفرصة أخيرًا لتصحيح السجل، كنت حريصًا على تركيز المزيد من الطاقة على تحقيق الأشياء المهمة بالفعل. من خلال التجربة، تعلمت أنه لا يكفي تجنب الوقوف على الخط. كان علي أن أبقى على بعد ستة أقدام من الخط، وكان علي أن أكون أكثر حرصًا على عدم منح خصومي فرصًا سهلة لضربي.

تطورات أخرى في الجناح الغربي سرعان ما ابتلعت الأخبارقبل أسبوع واحد، عين الرئيس أنتوني سكاراموتشي مديراً جديداً للاتصالات. وكان الممول الناجح قد جاء إلى المكتب البيضاوي ليقدم نفسه للوظيفة، ومنحه ترامب إياها على الفور.

لقد فقد بانون وبريبوس أعصابهما. لقد كانا يسيطران على قسم الاتصالات واستخدماه لمهاجمة أعدائهما وحماية نفسيهما. بعد وقت قصير من اتخاذ القرار، أحضر الرئيس بريبوس وبانون إلى المكتب البيضاوي، إلى جانب سكاراموتشي، وهوب، وسكافينو، وإيفانكا، وأنا. خلال الاجتماع، رن الهاتف: كان مايك بومبيو، مدير وكالة المخابرات المركزية في ذلك الوقت، يرد على المكالمة. أشاد ترامب ببومبيو لخطاب ألقاه مؤخرًا في منتدى أسبن للأمن، والذي عرض بشكل مقنع نهج الرئيس في السياسة الخارجية "أمريكا أولاً".

لم نتمكن من سماع ما كان بومبيو يقوله، ولكن في مرحلة ما

قال له الرئيس: "أنت نجم. لدينا بعض النجوم الحقيقيين في هذه الإدارة". توقف قليلاً لإحداث تأثير درامي، ثم نظر عبر الغرفة.في حديثه إلى بانون، ثم تابع: "لدينا أيضًا بعض الخاسرين والمسربين الحقيقيين أيضًا، لكن هذا سوف يتغير".

كانت فترة ولاية سكاراموتشي في البيت الأبيض قصيرة، لكن وصوله كان سبباً في إرباك المنظمة. وقرر الرئيس أن الوقت قد حان لتطهير البيت الأبيض من الفاسدين.وفي وقت لاحق من ذلك الأسبوع، وبعد أشهر من العمل، فشل مجلس الشيوخ في تمرير مشروع قانون إصلاح الرعاية الصحية الذي اقترحه بول رايان، وقرر الرئيس أن الوقت قد حان لرحيل بريبوس. فقام بطرد رئيس أركانه المحاصر من خلال تغريدة في 28 يوليو/تموز أثناء عودتهما إلى قاعدة أندروز المشتركة من حدث مع ضباط إنفاذ القانون في لونغ آيلاند بنيويورك.

لقد تعاطفت مع بريبوس، على الرغم من حقيقة أنه كان قد تحالف مع بانون. كان عليه أن يتنافس معي، وبانون، وكيليان كونواي، وجاري كوهن، ودينا باول، والمتسابقة السابقة في برنامج "المتدرب" عمروسا مانيجولت، والعديد من الآخرين الذين كان لديهم خط مباشر مع الرئيس. كان ترامب جديدًا في واشنطن وكان لديه أسلوب حكم غير تقليدي. بعد أشهر، وصف بريبوس الموقف ببراعة: "كان هناك الكثير من الحيوانات المفترسة الطبيعية في حديقة حيوان واحدة". كما أخبرني أنه إذا كان بإمكانه القيام بذلك مرة أخرى، لكان قد ذهب معي بدلاً من بانون. اعترف قائلاً: "لم تكن أنت المشكلة. لقد أقنعني ستيف تمامًا بأنك أنت المشكلة وأن لا شيء سينجح حتى نتخلص منك. لقد ارتكبت خطأً فقط. أنا أفهمك الآن - أنت تلعب اللعبة الطويلة".

في نفس سلسلة التغريدات التي استخدمها ترامب لإقالة بريبوس، قال الرئيسفي ذلك الوقت، أعلن الرئيس أوباما عن تعيين الجنرال جون كيلي، الجنرال المتقاعد من فئة الأربع نجوم الذي كان يدير وزارة الأمن الداخلي، كرئيس جديد لهيئة الأركان. كانت تفاعلاتي مع كيلي محدودة خلال فترة عمله في وزارة الأمن الداخلي، لكنني احترمت سمعته وخدمته لبلادنا طوال حياته. ومع ذلك، كان هناك شيء مقلق بشأن الإشارات المبكرة التي أرسلها إلى موظفي البيت الأبيض. بعد الإعلان عن كيلي كرئيس جديد، أصدر تعليمات لمشغل البيت الأبيض بعدم إجراء أي مكالمات معه، ولم يقم بإجراء مكالمات لتقديم نفسه لأعضاء كبار الموظفين. بعد فوات الأوان، أصبح من الواضح لي أنه كان يقيم مسافة ويفرض هيمنته - ويحاول تعزيز انعدام الأمن.

بعد فترة وجيزة من تولي كيلي منصب رئيس الأركان، تناولت مشروبًا معه أثناء

لقد كنا في بيدمينستر مع الرئيس. وبينما كان الجنرال يشرب مشروبه المنعش، بينما كنت أشرب البيرة، أخبرته أنني أريد أن أرى الرئيس ينجح، وشرحت له ملفي. قلت له: "أريد فقط أن أعمل على هذه الأشياء. وأنا هنا لمساعدتك في أي شيء آخر - أعرف وأفهم ترامب وكيفية جعل الأمور تعمل، لكنك أنت الرئيس". ثم عرضت عليه نصيحتين غير مرغوب فيهما. كانت الأولى هي جعل الرئيس يتوقف عن الحديث عن الرعاية الصحية - وهي قضية خاسرة بدون خطة متماسكة - والتركيز بدلاً من ذلك على الإصلاح الضريبي. كان فريقنا الاقتصادي يعمل على اقتراح لخفض الضرائب وتخفيف العبء عن الأسر العاملة: "من الأكثر شعبية أن تخبر الناس أنك تخفض الضرائب بدلاً من أنك تحرمهم من الرعاية الصحية. علاوة على ذلك، فإن منوشين وجاري اثنان من أفضل رياضيينا، وسيتأكدان من حصولنا على أفضل فرصة لتحقيق أول انتصار تشريعي لنا قبل نهاية العام".

كانت نصيحتي الثانية هي التخلص من ستيف بانون. "لقد فقد عقله، ويريد أن يتحول كل شيء إلى صراع، وهو يسرب الأخبار إلى الصحافة طوال اليوم". وأكد لي كيلي أنه اتخذ بالفعل خطوات لمعالجة هذا الأمر.

في الثامن عشر من أغسطس/آب، أقال الرئيس بانون. ومازحني ستيفن ميلر قائلاً: "لدي خطة لتقسيم عبء العمل الضخم الذي يتحمله ستيف بانون. هوب، عليك أن تسرّبي المعلومات إلى جوناثان سوان في أكسيوس. جاريد، اتصل بمايك بيندر من وول ستريت جورنال. وسأتصل أنا بجيريمي بيترز من نيويورك تايمز، و... سننتهي".

أتذكر محادثة دارت في ذلك الوقت مع صديق مقرب.في ذلك الوقت، عندما كنت في الحكومة لمدة سبعة أشهر، لم أحقق أي نجاحات سياسية كبيرة حتى الآن، فقلت مازحا: "على الأقل تمكنت من إقالة ستيف بانون. وهذا ينقذ العالم جزئيا من كارثة فورية". فرد صديقي قائلا: "لا تستحق الثناء على ذلك. إنه مثل سداد قرضك العقاري. من المفترض أن تفعل ذلك". لقد علقت هذه الكلمات في ذهني حقا. كنت أعلم أنه كان على حق؛ فالبقاء على قيد الحياة لم يكن كافيا. لقد جددت التزامي بإيجاد طريقة لجعل خدمتي ذات قيمة.

عندما تعلمت كيفية التعامل مع الحكومة، أصبحت الكتب جزءًا من حياتي.أفضل المستشارين، الذين قدموا منظورًا تاريخيًا وواقعيًا نسيه الكثيرون في الحكومة أو لم يعرفوه أبدًا.

كانت هناك ميزة إضافية بالطبع، وهي أن الكتب لم تتسرب إلى الصحافة. كان هناك كتاب واحد على وجه الخصوص ساهم في تشكيل فهمي للحكومة: كتاب The Gatekeepers لكريس ويبل.12 يصف الكتاب كيف كان رؤساء الأركان

لقد عملت في إدارات مختلفة وساعدني ذلك على إدراك أن صراعات القوة في البيت الأبيض ليست فريدة من نوعها. فكل جناح غربي من البيت الأبيض يعج بالمنافسين الذين يتنافسون على جذب انتباه الرئيس، وكثيراً ما كان هناك توتر بين "البراغماتيين"، مثل رئيس أركان الرئيس ريغان جيمس بيكر، والأيديولوجيين، مثل صديق ريغان ومستشاره القديم إد ميس. ولمواجهة هذه الديناميكيات، يتعين على رئيس الأركان أن ينشئ عملية داخلية قوية لإعداد القرارات للرئيس. كما تعلمت أن هناك فرقاً كبيراً بين تسريب المعلومات إلى الصحافة والتحريف إلى الصحافة. فالتسريب يحدث عندما يكشف شخص غير مصرح له عن معلومات حساسة ــ وفي أسوأ الأحوال معلومات كاذبة ــ لتعزيز أجندة شخصية أو لتشويه سمعة زميل. ومن ناحية أخرى، فإن التحريف هو تبادل المعلومات غير العامة لتعزيز أجندة الرئيس من خلال مساعدة الجمهور على فهم قضية ما بشكل أفضل. وكثيراً ما يتم ذلك بالتنسيق الكامل مع مكتب الاتصالات في البيت الأبيض.

لم يكن بوسعي تغيير اللعبة. كل ما كنت بحاجة إليه هو التفوق فيها ــ تكييف نهجي، وزيادة ذكائي، وحزمي، وإدارة العملية، وتجاوز الهجمات، وحل المشاكل. كنت بحاجة إلى العثور على الأشخاص الفعّالين داخل حكومتنا وفي بلدان أخرى الذين تمكنوا بالفعل من إنجاز الأمور. فمقابل كل بانون، هناك ألف شخص في الحكومة لأسباب وجيهة. وفي أغلب الأحيان، لا أحد يعرف عنهم لأنهم مشغولون بأداء وظائفهم، وليس تسريب المعلومات إلى الصحافة.

كان الكتاب الآخر الذي ساعدني أكثر من غيره هو كتاب فن الحرب لسون تزو، وهو الدليل العسكري القديم الذي كتبه أحد القادة الصينيين.13 لقد تعلمت ثلاثة دروس لا تقدر بثمن من صن تزو. أولاً، يكتب: "كان المقاتلون الجيدون في الماضي يضعون أنفسهم أولاً خارج احتمال الهزيمة، ثم ينتظرون الفرصة لهزيمة العدو". لقد كنت مكشوفًا سياسيًا للغاية وكان عليّ أن أختبئ مثل السلحفاة في قوقعتها وأعيد بناء قوتي قبل أن أبدأ في تحسس طريقي للخروج. من الناحية العملية، كان هذا يعني التركيز على ملفاتي، وكسب المزيد من الأصدقاء وتقليل الأعداء، وعدم محاولة خوض معارك الآخرين. ثانيًا، "إن فرصة هزيمة العدو يوفرها العدو نفسه". بدلاً من محاولة هزيمة العدو بشكل مباشر، يجب أن أتعلم كيف أتغلب على العدو.

لملاحقة أولئك الذين يعارضونني، كان من الأذكى تجنب الصراع والسماح لهم بالذهاب.إنهم يخلقون الظروف لهزيمتهم. وهذا لم يضمن هزيمتهم، لكنه أعطاني المساحة للبقاء على قيد الحياة. طوال فترة وجودي في البيت الأبيض، لم أهزم أعدائي قط؛

لقد هزم كل واحد منهم نفسه. وقد أوضح بانون هذا الأمر بشكل مثالي. لم أهاجم بانون قط. لقد اختار أن يلاحقني، وقد خلقت هجماته المتواصلة موقفًا محفوفًا بالمخاطر حيث كان على أحدنا أن يرحل. وقد أدى هذا في النهاية إلى وفاته. وثالثًا، "إن تجنب الأخطاء يرسخ يقين النصر، لأنه يعني قهر عدو لا يمكن التنبؤ به".

لقد هُزمت بالفعل. كنت بحاجة إلى أن أكون خاليًا من الأخطاء. كان العمل في السياسة أشبه بالتوازن على كرة: كان عليّ أن أجد طرقًا لتحقيق أهدافي دون أن أسقط خارج الحدود. كانت كل مشكلة أحاول حلها تأتي مع مخاطر وخطوات مضادة، وقد يتغير الوضع في أي لحظة.

بعد سبعة أشهر من تولي الإدارة، رحل بريبوس وبانون أخيرا. وكان لدينا جنرال في مشاة البحرية الأميركية بدا وكأنه يعمل على إرساء النظام في الجناح الغربي للبيت الأبيض. وكانت شهادتي أمام الكونجرس قد انتهت، وبدا أن كل الهراء المتعلق بروسيا بدأ يهدأ. والآن كنت آمل أن أركز المزيد من الطاقة على مسؤولية كبرى عهد بها إلي الرئيس: تحقيق الهدف المراوغ المتمثل في السلام في الشرق الأوسط.

{13}

توقعات عظيمة

لقد فشل حتى أكثر خبراء السياسة الخارجية خبرة على مدى عقود من الزمان في التوسط من أجل السلام في الشرق الأوسط. وكان هؤلاء الخبراء متشككين في قدرتي على النجاح حيث فشلوا هم مراراً وتكراراً. فما هي الفرصة التي قد تتاح لمستثمر عقاري يبلغ من العمر ستة وثلاثين عاماًف؟

أدركت أن احتمالات النجاح ضئيلة، ولكنني كنت عازمًا على البحث عن اختراق. وقلت لنفسي إن أسوأ ما يمكن أن يحدث هو أن أفشل مثل أي شخص آخر.

عندما تحدثت إلى كبار الشخصيات في السياسة الخارجية للحصول على وجهات نظرهم، التقيتفي ذلك الوقت، التقيت بريتشارد هاس، رئيس مجلس العلاقات الخارجية، وهو من الشخصيات البارزة في مؤسسة السياسة الخارجية. وقد وصفت له النهج العام الذي أخطط لاتباعه، ثم سألته عما إذا كان يعتقد أن هذا النهج لديه أي فرصة للنجاح.

"لا" قال.

سألته لماذا هو متأكد هكذا؟

أجاب: "الأمر بسيط، لم يربح أحد المال من الرهان على النجاح في"الشرق الأوسط على مدى السنوات الخمس والعشرين الماضية."

لقد كان هاس رافضاً إلى الحد الذي جعلني أدرك مدى الهزيمة التي أصابت مؤسسة السياسة الخارجية. وبينما كنت أقرأ الكتب التي كتبها المفاوضون السابقون حول هذا الموضوع، لاحظت عبارة مألوفة: لقد أوضحوا جميعاً أنهم لم يفشلوا، بل إن المشكلة كانت صعبة للغاية.

كان وزير الخارجية الأسبق هنري كيسنجر بمثابة صندوق استشاري قيم. لقد كتب كيسنجر حرفيًا كتابًا عن السياسة الخارجية الحديثة؛ وتعد أطروحته التي تبلغ 900 صفحة "الدبلوماسية" قراءة إلزامية لطلاب الدراسات العليا.

موضوع.

منذ المرة الأولى التي التقيت به فيها أثناء الحملة، كنت أعتمد على حكمته ومعرفته ولطفه. وعلى الرغم من تقدمه في السن (94 عامًا)،كان حاد الذكاء ومطلعًا دائمًا على المشهد الجيوسياسي الحالي. "اتصل بي في أي وقت"، هكذا قال بعد فوز ترامب في الانتخابات. لقد رأى أنه من واجبه الوطني أن يقدم خبرته الواسعة ونصائحه. كنت ممتنًا للغاية وطلبت مشورته كثيرًا.

وبعد وقت قصير من تكليفي ترامب بملف السلام في الشرق الأوسط، سألت كيسنجر كيف سيتعامل مع المهمة. فأوصى بأن أركز بدلاً من محاولة تحقيق صفقة كبرى على خلق التقدم من خلال اتفاقيات قصيرة الأجل. ففي عام 1974، عندما كانت القوات الإسرائيلية والعربية تقاتل من أجل السيطرة على مرتفعات الجولان، تفاوض على وقف إطلاق النار. وكان نص الاتفاق واضحا بشكل صريح بأن الاتفاق "ليس اتفاق سلام". ومع ذلك، أوضح كيسنجر، فقد أصبح وضعا راهناً جديدا على مدى العقود الخمسة الماضية. وقال إن اتفاقيات السلام الدائمة تجعل السياسة الداخلية في الشرق الأوسط صعبة، ولكن إذا تمكنت من حمل المنافسين على الموافقة على اتفاق قصير الأجل، أو حتى تغيير الوضع الراهن، فسوف يستمر. كما حذرني كيسنجر من مقاومة الجهود الرامية إلى إدارة السياسة الخارجية خارج وزارة الخارجية. وقال: "يجب عليك دائما إدارة السياسة الخارجية في البيت الأبيض. إذا خسر البيت الأبيض السياسة الخارجية لوزارة الخارجية، فلن تتمكن أبدا من إنجاز أي شيء".

بعد أن وصلنا إلى البيت الأبيض، بدأت أقضي عدة ساعاتفي كل يوم أحد، كنت أتلقى إحاطات من كبار خبراء الاستخبارات والجيش والسياسة الخارجية في الحكومة الأميركية. وكان الخبير في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية نورم رول، الذي خدم في مجتمع الاستخبارات لأكثر من ثلاثين عاما وكان يعرف تعقيدات الشرق الأوسط مثل قِلة من غيره، هو الذي عزز معرفتي بتاريخ البلدان في المنطقة وجذور الصراعات والتحالفات الرئيسية واللاعبين المهمين. وأوضح لي أن أفضل طريقة لجمع المعلومات الاستخباراتية هي ركوب الطائرة وتكوين العلاقات والاستماع إلى الناس. ورسم هو وآخرون صورة للشرق الأوسط في حالة من الاضطراب. وكانت الجماعات الإرهابية مثل حماس وحزب الله تحشد عشرات الآلاف من الصواريخ وتوجهها نحو إسرائيل. وكان النظام الإيراني يستهدف القوات الأميركية من خلال منظماته الإرهابية بالوكالة في المنطقة. وتحولت سوريا إلى أزمة إنسانية وأزمة لاجئين.

وكان لتنظيم داعش خلافة بحجم ولاية أوهايو، وكان يجند أتباعًا متطرفين عبر الإنترنت.

لقد ترك نصف قرن من الصراع والمفاوضات الفاشلة العلاقة بين إسرائيل والفلسطينيين والدول العربية الأخرى في حالة من الفوضى. ولم يكن لدى أي من الجانبين حافز كبير لإبرام صفقة. وكان يُعتقد أن عباس يخشى التوصل إلى تسوية، ولم تكن إسرائيل راغبة في تقديم أي تنازلات. وكان كل من الطرفين ينظر إلى أي إجراء جديد باعتباره تهديداً محتملاً للتوازن الهش الذي توصلا إليه على مدى عقود من الزمان. وقد ذكّرني إحاطة رول بما قرأته للتو في كتاب "الكفاح من أجل القدس" لدوري جولد، والذي يصف لماذا يشعر الإسرائيليون بعدم الثقة في المجتمع الدولي بشأن مسألة القدس. في عام 1948، أقرت الأمم المتحدة بأغلبية ساحقة القرار رقم 181، وهو اقتراح لتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية منفصلتين مع الحفاظ على السيطرة الدولية على القدس. وبعد ستة أشهر، غزت قوات عسكرية من مصر والأردن ولبنان وسوريا والعراق فلسطين واحتلت مناطق من القدس الشرقية، بما في ذلك الحي اليهودي في البلدة القديمة. وظلت الأمم المتحدة صامتة أثناء الحرب التي أعقبت ذلك، مما سمح للحرم القدسي، بما في ذلك الحائط الغربي، بالوقوع تحت السيطرة العربية. وعلى مدى الأعوام التسعة عشر التالية، مُنع الشعب اليهودي من دخول المكان المقدس، حتى للصلاة السلمية، بينما تم تدنيس العديد من المواقع اليهودية الأخرى. وفي عام 1967، أثناء حرب الأيام الستة، تعرض الإسرائيليون للهجوم واستعادوا السيطرة على القدس.

ومنذ ذلك الحين، أصبحوا متشككين بشأن أي تغيير من شأنه أن يعرض سلطتهم القضائية للخطر مرة أخرى.

كان كتاب آخر أثر في تفكيري هو كتاب جيمي كارتر الأكثر مبيعاً "فلسطين: السلام وليس الفصل العنصري".18 وفي الملحق، وجدت مسودة لاتفاقية السلام لعام 1979 التي تفاوض عليها كارتر بين إسرائيل ومصر. وحتى هذه النقطة، كنت منشغلاً للغاية بفهم المشكلة لدرجة أنني لم أفكر بعد في الشكل الذي قد يبدو عليه الحل من الناحية الفنية. لم تكن مسودة كارتر لعام 1979 وثيقة قانونية متعمقة. بل كانت مجموعة موجزة من المبادئ. وقد أثار اهتمامي ذلك، فطلبت من مجلس الأمن القومي ووزارة الخارجية سحب كل الاتفاقيات الموقعة المتعلقة بالسلام في الشرق الأوسط، فضلاً عن كل وثيقة تمت صياغتها أو التفاوض عليها ولكن لم يتم التوقيع عليها. وكما قلت، فإنني أعتقد أن هذه المسودة لن تكون كافية لإثبات صحة هذه المسودة.

لقد درست مجموعة الوثائق، ووجدت أنها كانت كلها تفتقر إلى التفاصيل. كانت هذه الوثائق التي لا يزيد طولها عن صفحة أو صفحتين تتألف من مفاهيم رفيعة المستوى تم صياغتها بكثافة لتجنب القضايا الأكثر إثارة للجدال: لقد فشلت في تقديم حلول وسط محددة بشأن الأسئلة الأكثر إلحاحًا، مثل أين بالضبط يجب رسم الخطوط الفاصلة بين القدس، وما يحتاج الفلسطينيون إلى القيام به لتحقيق دولتهم الخاصة، وكيفية التعامل مع مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين الذين فروا إلى دول أخرى أثناء حربي 1948 و1967 ويريدون الآن العودة. كان عدد من الخبراء قد زعموا أن الإسرائيليين والفلسطينيين كانوا على وشك التوصل إلى اتفاق في كامب ديفيد في عام 2000، لكنني استنتجت خلاف ذلك من الوثائق والروايات المباشرة.

ولقد فوجئت بنفس القدر عندما درست مبادرة السلام العربية التي أطلقتها جامعة الدول العربية في عام 2002، والتي استشهد بها الفلسطينيون والدول العربية كأساس للمفاوضات.19 وكانت تتألف كلها من عشرة أسطر لا تقول الكثير.لقد قدم هذا التقرير إطاراً واعداً للسلام لأنه أكد على استعداد العرب للتفاوض على إنهاء الصراع وتطبيع العلاقات مع إسرائيل. ولكنه افتقر إلى حلول قابلة للتطبيق ودقيقة للقضايا الرئيسية التي لم يتم حلها.

في القضية الأكثر إثارة للجدال ربما ــ وضع القدس الشرقية وجوهرها، جبل الهيكل ــ كان البيان صياغته مناسبة لتجنب إزعاج العالم العربي، ولكنه لم يتضمن تفاصيل محددة. والواقع أن البيان دعا إسرائيل إلى قبول إقامة دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية دون تقديم أي تفاصيل حول الكيفية التي تعتزم بها تعريف القدس الشرقية، أو أين ترسم حدودها، أو كيف تخطط لاحترام المطالبات الدينية والحفاظ على الأماكن المقدسة آمنة ومفتوحة. وبعد حرمانها من الوصول إلى جبل الهيكل لعقود من الزمان، لم توافق إسرائيل قط على التخلي عن السيطرة على القدس الشرقية. ووفقاً لاستطلاع أجراه المركز الفلسطيني للرأي العام، فإن أكثر من نصف الفلسطينيين الذين يعيشون هناك يريدون أن يكونوا مواطنين إسرائيليين بدلاً من العيش في ظل نظام فلسطيني أثبت عجزه عن رعاية شعبه. وفي البحث عن حل وسط عادل، لجأت إلى سكوت ليث، الخبير الأبرز في مجلس الأمن القومي في الشؤون الإسرائيلية والفلسطينية، والذي عمل سابقاً في فريق وزير الخارجية كيري كمستشار خاص للمفاوضات الإسرائيلية الفلسطينية؛ وقد أدركت أنه كان شديد التأييد لإسرائيل.

- كسر التاريخ

متعاطف مع الفلسطينيين وطلب منه أن يمثل وجهة نظرهملقد كان سكوت يناقش مع ليث في مناقشاتنا الداخلية. ولقد فوجئت عندما طلبت منه أن يزودني بخلفية عن أصول المطالبة الفلسطينية بالقدس الشرقية عاصمة لهم، فلم يكن لديه أي فكرة عن ذلك. فطلب مني أن أعود إليه بإجابة. وبعد يومين، اعترف ليث بأنه لم يتمكن من العثور على أي دليل على مطالبة فلسطينية رسمية بالقدس الشرقية عاصمة لهم قبل عام 1988. وكان ذلك العام هو العام الذي أعلن فيه الفلسطينيون القدس عاصمة لهم في ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية. ولم أصدق ما حدث؛ فقد أمضى سكوت يومين في البحث والتحدث مع زملائه المتخصصين في السياسة، ولم يكن هذا سوى كل ما تمكن من العثور عليه. وقد اعتقدت أن هذا غير منطقي. فعلى مدى ثلاثة عقود من الزمان، قبل المجتمع الدولي المطالبة الفلسطينية بالقدس الشرقية عاصمة لها باعتبارها حقيقة ثابتة من حقائق القانون الدولي. ورغم ذلك فإن الأساس القانوني لمطالبتهم هو ميثاق عام 1988 الذي ينظم مجموعة من المقاتلين الثوريين. وقد ساعدني هذا في تفسير حقيقة تاريخية بدت لي غريبة. بعد حرب عام 1948، ضمت الأردن الضفة الغربية والقدس الشرقية، لكنها احتفظت بعاصمتها في عمان.

ولم يسبق لأحد أن اقترب من التوصل إلى حل حقيقي يمكن التوقيع عليه وتنفيذه. ولقد بذل أولئك الذين سبقوني جهوداً صادقة، ولكنهم كانوا أكثر تركيزاً على إدارة ردود الفعل السياسية على مفاوضاتهم من تركيزهم على تقديم مقترحات مفصلة من شأنها أن تخلف تأثيراً عملياً. ولقد قررت أن أختبر نهجاً جديداً: ألا أحاول التهرب من التفاصيل. بل سأقبلها بدلاً من ذلك. وطلبت من فريقي أن يضع "قائمة شاملة بالقضايا" تشرح النقاط الرئيسية الخلافية بين الجانبين. وهذا من شأنه أن يساعدني على فهم الاختلافات الدقيقة بين الطرفين. ثم سأعمل على استعراض هذه القائمة مع القادة في الشرق الأوسط لسماع وجهات نظرهم والتوصل إلى حلول ملموسة. وهذه هي الطريقة التي تعاملنا بها مع المعاملات في عالم الأعمال، وكان من المنطقي أن نطبق نفس التقنية هنا.

لقد بدأت في صياغة استراتيجية العمل لخطة السلام الخاصة بنا مع المستشارين الذين شكلوا فريق السلام الصغير ولكن الموهوب في الشرق الأوسط: نائبي آفي بيركوفيتش، الممثل الخاص للشؤون الدولية،

لقد التقيت آفي لأول مرة في عام 2011 في فندق بيلتمور في فينيكس. كان عيد الفصح، وكنت ألعب كرة السلة مع أخي وزوج أختي في ملعب المنتجع. لاحظنا آفي وابن عمه ينتظران اللعب، ودعوناهما للانضمام إلينا. لقد تعلمت الكثير عن آفي من خلال مراقبته في الملعب. كان لاعبًا جماعيًا وممررًا ماهرًا يعمل بجد ويتوقع اللعبة التالية وكان يتمتع بموقف رائع. دعوته للتدريب في شركات كوشنر. بعد الحصول على القبول في كلية الحقوق بجامعة هارفارد، انضم إلى شركتنا لقضاء عام الفجوة بين الكلية وكلية الحقوق. بعد تخرجه، وضع جانباً فرصاً مهنية أخرى للتطوع في حملة ترامب، وكان أول شخص وظفته في البيت الأبيض. كان جرينبلات محامياً عقارياً لترامب لمدة عشرين عاماً، وعمل كحلقة وصل بين حملة ترامب والمجتمع اليهودي. كان يتمتع بثقة الرئيس، ومعرفته العميقة بالموضوع، ووجهه الرائع. خدم برايان هوك في الإدارتين الجمهوريتين السابقتين، مما جعله مصدراً لا يقدر بثمن للمعرفة المؤسسية، لكنه كان أيضاً مشتبهاً به بين الموالين لترامب في الجناح الغربي. سرعان ما رأيت بنفسي أنه كان عضواً ثابتاً في الفريق، وكان بمثابة محاورنا الأساسي مع وزارة الخارجية. استكمل ديفيد فريدمان الفريق الأساسي. كان فريدمان محامياً ناجحاً في الإفلاس في مانهاتن، وقد اكتسب ثقة وصداقة ترامب على مدى خمسة عشر عاماً. انتقد البعض اختياره كسفير لأنه كان من صقور مؤيدي إسرائيل وله صلات بالجناحين اليمينيين الإنجيليين واليهود، لكنني رأيت هذا كأصل. كان فريدمان في وضع جيد يسمح له ببناء علاقات مع الإسرائيليين ونقل المعلومات إلى واشنطن. وفي وقت مبكر، اقترح فريدمان أن نتعامل مع أي اتفاق إسرائيلي فلسطيني كما نتعامل مع إجراءات الإفلاس. "إن إسرائيل دائن مضمون: فهي الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة التي تتمتع بحكومة مستقرة واقتصاد قوي وسوق قابلة للاستمرار. أما الفلسطينيون فهم دائنون غير مضمونين: فهم يعانون من فساد القيادة، والاقتصاد المتعثر، وعدم الاستقرار، ومع ذلك فهم يعتقدون أنهم على قدم المساواة مع الدائنين المضمونين. ومن تجربتي، فإنك تنتهي دائماً إلى المتاعب عندما تسمح للطرف الأضعف بأن يتصور أنه قادر على اتخاذ القرارات".

{14}

تمزيق نقاط الحديث

في الوقت الذي كنت أتعامل فيه مع وابل الأخبار الكاذبة حول التحقيق في روسيا، انتهز وزير الخارجية ريكس تيلرسون الفرصة لإبعادي عن ملف الشرق الأوسط. وفي أحد الأيام، تلقيت مكالمة من السفير الأمريكي لدى الأمم المتحدة.

لقد كنت على اتصال دائم بمبعوثة الأمم المتحدة نيكي هيلي، التي طورت معها علاقة عمل مثمرة. لقد أخبرها تيلرسون أنني لن أتولى ملف الشرق الأوسط، وأمرها بالتوقف عن توجيه القضايا والطلبات عبر مكتبي.

ولكن بدلاً من مواجهة تيلرسون، وهو ما كنت أعلم أنه سيكون له أثر عكسي، فقد تصورت أنه من الأفضل أن أؤكد على دوري. لذا حجزت أول رحلة منفردة لي إلى الشرق الأوسط. وفي الحادي والعشرين من يونيو/حزيران سافرت إلى إسرائيل مع آفي وغرينبلات للقاء رئيس الوزراء الإسرائيلي بيبي نتنياهو. وباعتباره بطل حرب ودبلوماسي وأطول رئيس وزراء إسرائيلي خدمة، كان بيبي مدافعاً جريئاً عن إسرائيل. وباعتباره المعارض الأكثر شراسة للاتفاق النووي مع إيران، اتخذ بيبي خطوات لتحسين العلاقات الدبلوماسية مع عدد من البلدان، بما في ذلك بعض الدول العربية التي تشاطر إسرائيل قلقها بشأن إيران النووية. وخلال فترة ولايته، حول بيبي إسرائيل إلى قوة اقتصادية، وواحة من الإبداع، ودولة مستعدة دائماً لخوض المعارك، مع واحدة من أكثر الجيوش نخبوية وتقدماً في العالم.

لقد التقيت برئيس الوزراء الإسرائيلي قبل سنوات عديدة، عندما أمضى عطلة نهاية الأسبوع مع عائلتي في إحدى رحلاته إلى الولايات المتحدة.في ذلك الوقت، كان مواطناً عادياً وكان يتحدث في مختلف أنحاء العالم. وقد دعاه والدي، الذي التقى بيبي من خلال دعمه للقضايا المؤيدة لإسرائيل، إلى الإقامة في منزلنا في نيوجيرسي أثناء وجوده في المدينة. وظل بيبي هناك حتى عام 2000.

في غرفة نومي، لذا تم نقلي إلى الطابق السفلي، حيث كنت أنام مع حراسه الأمنيين على أرائك قابلة للسحب. وبسبب إرهاق الرحلة الجوية، لم يتمكن بيبي من النوم، لذا أخرج كتابًا من على رف الكتب الخاص بي - توقعات عظيمة، الرواية الكلاسيكية لتشارلز ديكنز - وانتهى من نصفه.21 في صباح اليوم التالي، سألني عما إذا كان بإمكانه أخذ الكتاب لإنهائه على الطريق. عادةً، كنت سأكون سعيدًا بإعطاء كتابي للزعيم الإسرائيلي، لكن هذا الكتاب كان هدية. قمت بتقليب الصفحة الأولى وأريته النقش - كان من صديقتي في ذلك الوقت. ابتسم بيبي وترك الكتاب خلفه بلطف.

عندما التقينا في مكتب رئيس الوزراء في 21 يونيو، أعرب بيبي عنلقد شكرني نتنياهو على الزيارة الأخيرة التي قام بها الرئيس. لقد كان ممتنًا لعملي للدفاع عن إسرائيل في الأمم المتحدة أثناء الفترة الانتقالية، وكان مرتاحًا لأن الولايات المتحدة تدعم الدولة اليهودية مرة أخرى بعد ثماني سنوات من العلاقات المتوترة في ظل إدارة أوباما. عندما طرحت الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، اعتقد بيبي أنه يجب علينا تأجيل العمل على هذه القضية. لقد نجح في البقاء كرئيس للوزراء لمدة أحد عشر عامًا من خلال مناشدة قاعدته المحافظة ومعارضة الدولة الفلسطينية. قال: "هذا ليس الوقت المناسب". ثم واصل شرحه أنه لا يريد أن يعتقد الإسرائيليون أنه يستخدم مفاوضات السلام لصرف الانتباه عن تحقيق حكومي مستمر.

"قلت له: "إن هذه أولوية قصوى بالنسبة للرئيس ترامب، وإذا كنا سنعمل معك بشأن طلبات إسرائيل العديدة، فنحن بحاجة إلى أن تعمل إسرائيل معنا في هذا الشأن". وافق بيبي على مضض.

عندما كنا نقود السيارة من القدس إلى رام الله، ذكرني غرينبلات: "لا تقل إننا نؤيد حل الدولتين، لأن هذا يعني أشياء مختلفة لأشخاص مختلفين". كانت نصيحة جيدة، وقررت تجنب المصطلح حتى نحدد ما يعنيه أن تكون دولة. عندما وصلنا، تم إرشادنا عبر متاهة من السلالم إلى غرفة صغيرة بها كراسي ملكية مرتبة لاجتماع دبلوماسي. دخل الرئيس الفلسطيني محمود عباس، وتقدم إلى مقدمة الغرفة، وصافحنا. كان برفقته كبار المفاوضين: اللواء ماجد فرج، عضو جدير بالثقة وذو بصيرة في الدائرة الداخلية لعباس ورئيس قوات الأمن الفلسطينية؛ وصائب عريقات، الدبلوماسي الثرثار والمظلوم دائمًا والذي كان المفاوض الرئيسي.

لقد كان عباس زعيماً فلسطينياً لمدة خمسة وعشرين عاماً، ولكن لم يكن لديه ما يقدمه من جهود. وبينما كانوا يقدمون لنا الشاي، نظرت إلى الزعيم الفلسطيني.كان عباس يجلس منحنيا في مقعده، وقد بدت عليه علامات التقدم في العمر، وكان يدخن باستمرار، فكان كل بضع دقائق يسحب سيجارة من على الطاولة، ويضعها في فمه، وينتظر حتى يشعلها أحد الحاضرين. ورأيت أن عباس يبدو أقرب إلى الملك منه إلى ممثل لشعب لاجئ مضطهد تاريخيا.

وبعد تبادل المجاملات، بدأت اللقاء في نفس المكان الذي كان فيه عباس ووكان ترامب قد توقف عند هذا الحد خلال زيارتهما في مايو/أيار الماضي، وسأل عباس عما إذا كان قد أحرز تقدما في تفاصيل الاقتراح الأولي.

"نحن على استعداد للقيام بأشياء معكم لن نفعلها مع أي شخص آخر"، قال عباس مرة أخرى. "سنكون مرنين بشكل لا يصدق فيما يتعلق بالأرض. لكننا بحاجة إلى معرفة النسبة المئوية التي سنحصل عليها بالضبط، ويجب أن تزودونا بخريطة. لم نتمكن قط من الحصول على خريطة من إسرائيل. إذا كنتم تريدون الحصول على خريطة، فسنكون قادرين على ذلك"."أحضروا لنا خريطة، وسوف نكون مرنين، وكل شيء آخر سيكون سهلاً".

لقد سألته عما إذا كان لديهم عرض أولي بشأن قضية الأرض، ولكن بينما كنت أحاول التعمق، لم يكن عباس على استعداد للحديث عن التفاصيل. لقد ألقى نفس مجموعة العبارات الدبلوماسية المبتذلة التي نقلها إلى ترامب قبل عدة أسابيع. دار حديثنا حول طلبي منه مشاركة تفاصيل ملموسة حول اقتراح الأرض الذي يمكنه قبوله. مرة أخرى، رفض. بدأت أرى لماذا كان الناس متشككين للغاية في جهودنا: كان عباس دبلوماسيًا ذكيًا ومهذبًا بلا كلل وأعرب عن رغبته في إحراز تقدم، لكنه بدا غير راغب في السماح لمفاوضاتنا بالوصول إلى نقطة بداية. قال مرارًا وتكرارًا: "لدي الكثير من الأفكار الجديدة. سأكون مرنًا"، لكنه بعد ذلك أعاد صياغة نفس المطالب العامة التي طالب بها الفلسطينيون لعقود من الزمان.

"سأعود إلى الرئيس، الذي ليس صبوراً للغاية"، قلت. "سيسألني عن موقفنا من الاتفاق، وسأخبره أن الإسرائيليين منخرطون وبنّاءون، لكنكم عدتم ولم تكونوا على استعداد لإظهار المرونة على الإطلاق. هل هذه هي الرسالة التي تريدون مني أن أنقلها؟"

"لا، لا، نريد أن نكون مرنين"، أصر عباس. ولكن بعد ذلك كان الأمر أكثر تعقيدا.لم أكن متأكدًا ما إذا كان لا يعرف كيف يعقد صفقة، أو أنه لا يريد ذلك. وشعر عباس بإحباطي، فقال: "أنت لا تعرف كيف تعقد صفقة".

"اعلم، إذا لم يعجبك الأسلوب الذي تسير به الأمور وحاولت الضغط علينا، فسأعيد لك مفاتيح الضفة الغربية، ويمكن للولايات المتحدة أن تحاول إدارة الأمور هنا".

"بالتأكيد، سآخذ المفاتيح"، رددت. شعرت بجرينبلات يتحرك بشكل غير مريح في كرسيه، وكأنه يحاول أن يقول لي، عن طريق التخاطر، لا يمكنك قول ذلك.

لقد حذرني خبراء السياسة الخارجية في مجلس الأمن القومي من الضغط على عباس أكثر من اللازم. فمع مرور السنين أصبح شريكاً أمنياً قيماً ضد النشاط المتطرف في الضفة الغربية، وكانوا يخشون أن يكون ضعيفاً، وضعيفاً سياسياً، وعلى وشك الاستقالة من منصبه. وبينما اعتبروا هذا مصدر قلق حقيقي وخطير، فقد رأيت فيه فرصة، لكنني كنت أعلم أن عباس لن ينفذ أبداً. وإذا سلم المفاتيح بالفعل، فسوف يخسر سلطته وأهميته. وسوف يدقق خليفته حتماً في شؤونه الداخلية، الأمر الذي من شأنه أن يكشف عن فساده الواضح وأسلوب حياته الفاخر الذي جاء على حساب شعبه. لقد تم ضخ عشرات المليارات من الدولارات في الضفة الغربية، وبينما كان هناك بعض التقدم، فمن الواضح أن الكثير من الأموال اختفت. لقد كان عباس يعيش حياة طيبة وقصر رئاسي في رام الله، فضلاً عن قصر جميل في عمان بالأردن. وفي حين كان رئيس وزراء إسرائيل يسافر عادة على متن طائرة تجارية تابعة لشركة العال، كان عباس يسافر حول العالم في طائرة خاصة بقيمة 50 مليون دولار لعقد اجتماعات مع رؤساء الدول. لقد كنت أهدده، وكان يعلم ذلك.

"انظروا، إذا أعادتم المفاتيح واستقلتم"، أصررت، "سنعمل مع الأمم المتحدة وحلفائنا المحليين ونضع حكومة مؤقتة. وسنضخ الكثير من الأموال لبناء البنية الأساسية وتنمية اقتصادكم. وسنخلق الكثير من الوظائف وننشئ قضاء عادلاً ومستقلاً. وفي غضون خمس سنوات، سنرسم حدودًا عادلة، وسنجري انتخابات، وسيحظى شعبكم بزعيم جديد، وحياة أفضل، وبداية جديدة. أنا موافق على هذا المسار إلى الأمام، إذا كنتم تريدون ذلك حقًا. قد يكون في الواقع أسهل طريق لنا، وأفضل للشعب الفلسطيني".

ورغم أن عباس لم يعترف بذلك، إلا أنه بدا راضيا بترك الأمور كما هي.كما كانت صورته معلقة في مختلف أنحاء الأراضي الفلسطينية إلى جانب صورة الزعيم الفلسطيني السابق ياسر عرفات.

وفي الوقت نفسه، كان الفلسطينيون يتلقون كل عام أكثر من مليار دولار.إن عباس لن يتوصل إلى اتفاق مع إسرائيل إذا لم يتوصل إلى اتفاق مع إسرائيل. وإذا توصل عباس إلى اتفاق، فقد يخسر هذا التدفق من التمويل والقضية الوحيدة التي لفتت انتباهه على المسرح العالمي. وسوف يتحول تركيز العالم بعيداً عن شعبه الذي يبلغ تعداده خمسة ملايين نسمة تقريباً، وسوف تنقض حماس على أي تنازل حتى لو كان بسيطاً، وسوف ينظر إليه أتباع عباس باعتباره خائناً. ووفقاً لمصادرنا التي تعمل في قنوات الاتصال الخلفية، فإن عباس كثيراً ما كان يصرح بأنه يفضل الذهاب إلى القبر شهيداً وليس خائناً. وكان ذلك في العام الثاني عشر من فترة ولايته التي استمرت أربع سنوات. ولم يكن المجتمع الدولي يكترث، فلماذا إذن يخاطر عباس بتغيير الوضع الراهن؟

وبعد اجتماعنا مباشرة، بدأت المعلومات السرية حول مناقشتنا تظهر في الصحافة، وفهمت أيضاً لماذا كان عباس خائفاً إلى هذا الحد من إظهار التنازلات: فقد تسربت كل المعلومات من مكتبه. لقد عمل جاهداً على إقناع العالم أجمع بالوقوف إلى جانب مبادرة السلام العربية. وإذا أبدى مرونة في التعامل مع التنازلات، فإنه بذلك يخاطر بإحباط أنصاره. وبدأت أفقد الإيمان بأننا لن نصل إلى أي نتيجة معه. لقد كان في موقف صعب ولم يكن لديه الحافز الكافي لإحداث تغيير جريء. وعلى أمل التوصل إلى حل، واصلت التواصل مع عباس والإسرائيليين. كنت أعلم أن الفشل كان احتمالاً وارداً، ولكنني كنت عازماً على محاولة تحقيق النجاح.

* * *

"لقد أوضح لي محمد بن زايد، الزعيم الفعلي لدولة الإمارات العربية المتحدة، أن الولايات المتحدة ترسل عادة ثلاثة أنواع من الناس. النوع الأول هم الأشخاص الذين ينامون في الاجتماعات؛ والنوع الثاني هم الأشخاص الذين يقرؤون نقاط الحديث دون القدرة على المحادثة؛ والنوع الثالث هم الأشخاص الذين يأتون ويحاولون إقناعنا بالقيام بأشياء لا تخدم مصالحنا. أنت مختلف. أنت أول شخص يأتي ليطرح الأسئلة لمحاولة فهم وجهة نظرنا حقًا. أعتقد أنك ستحقق السلام في هذه المنطقة".

لقد تشرفت بملاحظة محمد بن زايد، ولم أنس كلماته قط. كان ذلك في أغسطس/آب 2017 عندما أدلى بهذه الملاحظة. كنا نختتم يومين من المناقشات البناءة في مقر إقامة محمد بن سلمان الساحلي في السعودية.

العربية السعودية بالقرب من البحر الأحمر، حيث دعاني للانضمام إليه وإلى محمد بن زايد لمواصلة حوارنا حول كيفية عملنا معًا للتقدمالسلام والازدهار في المنطقة.

في الفترة التي سبقت الاجتماع، طلبت من جيسون جرينبلات البدء في صياغة النسخة الأولى من خطة السلام، والتي كنت أعتزم استخدامها كنقطة انطلاق بينما كنت أسعى للحصول على مدخلات من قادة مثل محمد بن سلمان ومحمد بن زايد. كنت أرغب في تصميم خطة سلام قوية بما يكفي لدعم اتفاق بين إسرائيل والفلسطينيين في المستقبل البعيد. وسترتكز الخطة على ثلاثة مبادئ. أولاً، يجب أن يكون لجميع الأديان حق الوصول إلى أماكنها المقدسة لممارسة شعائرها باحترام. ثانياً، يجب أن تتاح للشعب الفلسطيني الفرصة لتحقيق حياة أفضل وأكثر ازدهارًا. وثالثًا، لإسرائيل الحق في الحفاظ على أمنها.

لقد بدا لي أن الطريقة القديمة هي الطريق الأكيد إلى الفشل، لذا قررت أن أفعل شيئاً غير تقليدي: اقترحت خطة مفصلة للغاية وحاولت أن أجعل كلا الجانبين يتفاعلان معها. وإلى أن يتمكن كلا الطرفين من التفاعل مع خطة جوهرية، بدا لي أنهما سيستمران في القتال حول تنازلات غامضة وحلول افتراضية، بدلاً من الجلوس إلى طاولة المفاوضات والتفاوض على صفقة من شأنها أن تدوم طويلاً بعد توقيعها وتنفيذها. كانت مسودتنا الأولية عبارة عن وثيقة من عشر صفحات، ولكنها سرعان ما تحولت وتوسعت. كنت أرغب في طلب مدخلات من الزعماء العرب، الذين دعموا الفلسطينيين لعقود من الزمان. ولأنهم يعيشون في المنطقة، فسوف يكون عليهم أن يعيشوا مع عواقب ما أنتجناه ويمكنهم مساعدتي في تقييم ما إذا كان نهجي قابلاً للتطبيق.

في اجتماعاتنا على البحر الأحمر مع محمد بن سلمان ومحمد بن زايد، وصف الزعيمان التحديات والفرص في المنطقة. لقد ترأسا اثنين من أكبر الاقتصادات والجيشين الأقوى في الشرق الأوسط، وكان لديهما الكثير ليقولاه. وكما سمعنا خلال زيارة الرئيس إلى الرياض، فقد أكدا أن قضيتهما الأكثر أهمية هي إيران. أخبراني أنه بعد توقيع أوباما على الاتفاق النووي مع إيران في عام 2015، بدأ العرب في تعلم اللغة الصينية لأنهم يعتقدون أن الصين يمكن أن تكون شريكًا مستقبليًا أفضل من الولايات المتحدة. كانت الإمارات العربية المتحدة من بين الدول الإسلامية الأولى التي انضمت إلى المعركة ضد التطرف بعد هجمات 11 سبتمبر.

وبعد هجمات 11 سبتمبر/أيلول، شعر العديد من الإماراتيين بخيبة أمل لأن إدارة أوباما لم تتشاور مع قيادتهم قبل الانتهاء من الاتفاق مع إيران.

وعندما ناقشنا الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، أبدى القادة الفلسطينيون تعاطفهم مع القضية الفلسطينية وأعربوا عن حزنهم إزاء الوضع. كما أبدوا إحباطهم إزاء فشل القيادة الفلسطينية في إيجاد طريق أفضل للشعب الفلسطيني. وكانوا يريدون حل المشكلة، سواء من خلال الإطار الذي حددوه في مبادرة السلام العربية أو من خلال اقتراح جديد.

لمفاجأتي، تحول حديثنا إلى العلاقة بينلقد أجرينا مناقشة مفيدة حول تاريخ المنطقة وكيف وصل الصراع إلى حالته الحالية، والتي كانت أكثر دقة وعقلانية مما كنت أتوقع. لقد تبادلنا الأفكار حول كيفية تحسين العلاقة بين إسرائيل والعالم العربي. في السنوات السبعين منذ أعلنت إسرائيل استقلالها، لم تقيم سوى مصر والأردن علاقات دبلوماسية معها، في خطوة تُعرف في الدوائر الدبلوماسية باسم "التطبيع". لقد رفضت بقية جامعة الدول العربية، والعديد من الدول الإسلامية الأخرى في جميع أنحاء العالم، الاعتراف بإسرائيل كدولة ذات سيادة. وهذا يعني أن هذه الدول ليس لديها علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، بما في ذلك عدم السفر الرسمي أو الاتصالات أو الأعمال أو التجارة مع الدولة اليهودية. في مرحلة ما، اعترف محمد بن سلمان ومحمد بن زايد بأن حلفاء بلديهما هم حلفاء إسرائيل، وأن أعداء بلديهما هم أعداء إسرائيل. عندما سألتهما بصراحة عما إذا كانا منفتحين على التطبيع، أعربا عن رغبتهما في إحراز تقدم بشأن القضية الفلسطينية، لكنهما لم يعبرا عن العداء تجاه إسرائيل. لقد طلبت منهم النصيحة حول كيفية التعامل مع المشكلة، نظراً لعناد عباس. وأشاروا إلى أنه إذا تمكنت من إقناع إسرائيل بالموافقة على خطة ذات مصداقية تتضمن دولة فلسطينية، والوصول إلى المسجد الأقصى، والاستثمارات لتحسين حياة الشعب الفلسطيني، فإن هذا من شأنه أن يغير الديناميكيات. وأشاروا إلى أنه إذا رفض الفلسطينيون الخطة، فإنهم سوف يصبحون أكثر انفتاحاً.

بعد زيارتنا، أشار أحد عملاء الخدمة السرية إلى أنهاستمتعت بمشاهدة مباراة كرة قدم مع حارس أمن إماراتي يدعى محمد. أخبرته أن الشخص الذي افترض أنه حارس الأمن هو في الواقع محمد بن زايد. فوجئ العميل - ولي العهد

لقد كان متواضعًا ومتواضعًا بشكل صادم، وقد اتخذ موقفًا حقيقيًا

الاهتمام بحياة الوكيل وخلفيته وعائلته.

لقد غادرت المملكة العربية السعودية وأنا أشعر بالتشجيع. فقد أصبحت على دراية بالطريقة التي تجري بها المحادثات الدبلوماسية عادة: حيث يجلس الجانبان في مواجهة بعضهما البعض، ويقرأان من بطاقات الملاحظات التي يسلمها إليهما موظفوهما المهنيون. ولكن هذا كان مختلفا. فقد مزقنا نقاط الحديث وانخرطنا في مناقشة حقيقية. وأوضح الاجتماع لماذا سيكون من الأهمية بمكان التحدث مباشرة إلى زعماء هذه الدول: فهم من يملكون السلطة للانحراف عن نقاط الحديث الراسخة واتخاذ القرارات الصعبة نيابة عن بلدانهم.

ولقد ساعدني أيضاً أننا طورنا بسرعة تفاهماً متبادلاً. ففي العالم العربي، تُعَد السياسة عملاً عائلياً، حيث يحكم أفراد الأسر المالكة لأجيال. وبصفتي صهر الرئيس، ومديراً تنفيذياً سابقاً لشركة عائلية، فقد مثلت شيئاً وجدوه مألوفاً ومطمئناً. وكانوا يدركون أنني عندما أتحدث، فإنني أفعل ذلك باعتباري امتداداً للرئيس على نحو لا يستطيع سوى قِلة من مسؤولي الإدارة أن يفعلوه.

ومن المملكة العربية السعودية سافرنا إلى قطر ومصر والأردن وإسرائيل، واستمعنا إلى الزعماء وقيسنا ردود أفعالهم على نهجنا في التوصل إلى اتفاق سلام. وقد أكد لي الاجتماع مع الأمير تميم بن حمد آل ثاني من قطر، والرئيس عبد الفتاح السيسي من مصر، والملك عبد الله الثاني ملك الأردن، شعوري بأن الزعماء العرب مستعدون لأفكار جديدة بشأن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني وأن القضية الأكثر أهمية بالنسبة لهم هي توسيع نطاق وصول المسلمين إلى المسجد الأقصى. وقد قدر الزعماء العرب شخصية ترامب الأكبر من الحياة، وأسلوبه غير التقليدي وغير المكتوب، وصرامة موقفه تجاه إيران، وحقيقة أنه كان أكثر اهتماما بالعمل معهم لحل المشاكل من إلقاء المحاضرات عليهم، كما فعل دبلوماسيون سابقون في واشنطن.

{15}

منافسة القوى العظمى

"أين أرابيلا؟" سأل الرئيس بينما كانت طائرته الرئاسية تستقر على ارتفاع الطيران في طريقها إلى آسيا في 3 نوفمبر/تشرين الثاني 2017.

ألقيت نظرة على جون كيلي، رئيس موظفي البيت الأبيض. وفُي إطار التخطيط لهذه الرحلة التي تستغرق اثني عشر يومًا عبر الصين واليابان وكوريا الجنوبية،لقد أوضح كيلي لي ولإيفانكا أنه لا يريد أيًا منا في الرحلة، وكان على ما يرام معي في سعيي لتحقيق السلام في الشرق الأوسط، والذي رفضه باعتباره خيالًا، لكنه لم يكن يريدني أن ألعب دورًا في تعاملاتنا مع الصين. وقد وضعني هذا في موقف محرج، نظرًا للعلاقات التي طورتها من خلال الزيارة الناجحة للرئيس شي إلى مار أ لاغو.

بعد إلقاء أرابيلا للشعر الصيني في مار آ لاغو، قال الرئيسكان شي قد طلب منها مرافقة جدها إلى الصين. وكان كيلي عدائيا بشكل خاص تجاه فكرة انضمام أرابيلا، مدعيا أنه لم يكن هناك مساحة كافية على متن الطائرة، على الرغم من أنه كان يعلم أن الرئيس يريدها أن تأتي. لم نضغط أنا وإيفانكا على هذه القضية. لم نرغب في إثارة شجار مع كيلي. بالإضافة إلى ذلك، كانت إيفانكا ووزير الخزانة منوشين في المرحلة الأخيرة من دفعهما نحو الإصلاح الضريبي. إذا تخطت الرحلة، يمكن لإيفانكا الاستمرار في تعزيز الأولوية التشريعية القصوى للرئيس.

وبينما كانت كيلي تقف في الجوار، أجبت على سؤال الرئيس. "قالت كيلي إن أرابيلا لن تتمكن من الحضور، لكننا سجلنا مقطع فيديو خاصًا لها وهي تغني باللغة الصينية، ولدي المقطع على جهاز iPad، في حالة رغبتك في عرضه على الرئيس شي".

ولم يخف الرئيس خيبة أمله. وقال: "تأكدوا من أن جيشي"قال، "مساعدي لديه جهاز آيباد"، ثم التفت إلى كيلي. "لماذا منعت أرابيلا من القدوم؟"

"سيدي، لم يكن لدينا مساحة كافية على متن الطائرة"، أجاب كيلي.

كان الرئيس يدرك أن هذا هراء. فنظر حوله في مقصورة طائرة الرئاسة الفسيحة، وقال ساخراً: "نحن على متن طائرة بوينج 747، وتلاحقنا طائرة دعم، وهي طائرة بوينج 747 أخرى. لقد أرسلنا عشرين طائرة شحن أخرى مليئة بالمعدات، وأنت تقول لي إننا لا نملك مكاناً لطفل في السادسة من عمره يتمتع بشعبية أكبر في الصين من أي منا؟".

عندما وصلنا إلى بكين، كانت المدينة تتألق في انعكاسكانت السماء زرقاء صافية. وبأمر من الحزب الشيوعي الصيني، تم إغلاق محطات الطاقة والمصانع التي تعمل بالفحم لمدة ثلاثة أسابيع قبل زيارتنا للسماح بتبديد الضباب الدخاني والسخام. وعندما دخل موكبنا المدينة المحرمة، كانت الأراضي فارغة بشكل مخيف. لقد أبعد الصينيون السياح عن الحدائق الإمبراطورية الشاسعة والقصور المزخرفة، التي تجتذب أكثر من أربعة عشر مليون زائر سنويًا. كان الثراء والتفاصيل الدقيقة والرمزية للمجمع الذي يعود إلى القرن الخامس عشر رائعًا بقدر ما كان ينذر بالسوء. بدا الأمر وكأن اختيار شي للموقع كان يهدف إلى تذكيرنا بأن الصينيين صمدوا لآلاف السنين وسيستمرون لآلاف السنين الأخرى. كانت الصين تلعب لعبة طويلة.

لقد استقبل شي ترامب بحرارة ثم قام بجولة إرشادية شخصية في المدينة القديمة، تلاها عشاء فاخر وعرض أوبرا. وكما توقع ترامب، شعر شي بخيبة أمل بسبب غياب أرابيلا. كان الزعيم الصيني قد أعد عرضًا لها في جناح قديم لم يستخدم منذ أكثر من مائة عام. استدعى ترامب على الفور مساعده العسكري لإحضار جهاز iPad، وعرض مقطع فيديو لأرابيلا وهي تغني الأغنية الشعبية الصينية "زهرة الياسمين". كان شي مسرورًا جدًا بالفيديو لدرجة أنه عرضه على شاشة ضخمة في العشاء الرسمي.

في اليوم التالي، في اجتماع حول السياسة الاقتصادية، جلس ترامب وشي في مواجهة بعضهما البعض، في غرفة مؤتمرات طويلة في عمق قاعة الشعب الكبرى، وهو مبنى ضخم للحزب الشيوعي في بكين.

كان من المقرر أن يلتقي الرئيسان شي جين بينغ وكيم في منتجع بالم بيتش في الطرف الغربي من ميدان السلام السماوي الذي تستخدمه الصين لاستضافة الوفود الأجنبية. وكان الزعيمان محاطين بكبار مسؤوليهما بينما كانا يستعدان لمواصلة المناقشة التي بدأت في مار آ لاغو قبل سبعة أشهر. وكان من بين الحاضرين عضو رئيسي في الوفد الأمريكي لم يحضر الاجتماعات مع شي في بالم بيتش: الممثل التجاري الأمريكي روبرت لايتهايزر. كان لايتهايزر محاميا صارما لا يقبل الهراء من بلدة أشتابولا الصناعية بولاية أوهايو، وكان يتمتع بصوت أجش يتناسب مع جذوره الريفية. كان لايتهايزر قوة في دوائر التجارة في واشنطن لأكثر من أربعة عقود، حيث خدم في لجنة المالية بمجلس الشيوخ لبوب دول ونائب الممثل التجاري في عهد رونالد ريجان. كان لايتهايزر شوكة في خاصرة زملائه الجمهوريين، حيث دعا إلى سياسات تجارية حمائية تدافع عن وظائف وسبل عيش العمال الأمريكيين. وفي ترامب، وجد لايتهايزر أخيرا بطلا لقضيته التي دافع عنها طيلة حياته.

بعد تأكيد لايتهايزر في مايو، كان هناك ارتباك في البدايةفي ذلك الوقت، كان هناك الكثير من النقاش حول من سيتولى زمام المبادرة في المفاوضات مع الصينيين. كان كل من "مدراء التجارة" - الوزير منوشين، والوزير ويلبر روس، والسفير لايتيزر، وجاري كوهن، وبيتر نافارو - يعتقد أنه سيملك الملف. في أحد الاجتماعات المثيرة للجدال، قال لايتيزر: "هناك ستة مفاوضين تجاريين في هذه الغرفة وأنا الوحيد الذي يحمل شهادة في القانون وشهادة تأكيد". بدأنا مناقشة رسالة سمعها الكثير منا من اتصالاتنا في مجتمع الأعمال: على الرغم من أن ترامب كان يتحدث بشدة عن الصين، ويهدد بفرض تعريفات جمركية غير مسبوقة على عشرات المليارات من الدولارات من الواردات الصينية، إلا أن الصينيين لم يعرفوا على وجه التحديد ما يريده في الصفقة. اعتقدنا أنه من المهم وضع قائمة محددة، لكن لايتيزر ضغط على المكابح.

وقال "إنهم يعرفون ما نريده، ونحن لا نعطيهم أي شيء"، قبل أن يقدم نبذة مختصرة عن الحوارات الاقتصادية بين البلدين.الولايات المتحدة والصين. منذ انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية في عام 2001، أجرت الولايات المتحدة سلسلة من المناقشات الفنية لمعالجة أنشطة الصين التجارية غير العادلة. وعلى مدار ثلاثة عشر اجتماعًا امتدت خلال إدارتي بوش وأوباما، تضاعف العجز التجاري الأمريكي مع الصين بأكثر من أربعة أضعاف، حيث ارتفع من 80 مليار دولار في عام 2001 إلى 375 مليار دولار في عام 2017.23

قال لايتيزر: "هؤلاء الرجال يلعبون بنا مثل الكمان". "ما نحتاج إليه هو"إن ما نفعله هو أن نفرض عليهم رسوماً جمركية لنظهر لهم أننا لسنا مثل غيرنا من الحمقى. وعلينا أن نتوقف عن عقد مثل هذه اللقاءات الحوارية، لأنها مضيعة للوقت. إنها طريقتهم في استغلالنا".

وعلى الرغم من طبعه المتقلب، فقد أحببت لايتيزر منذ البداية. فقد كان واحدا من قِلة من الناس الذين فهموا أجندة ترامب المؤيدة لأميركا واتفقوا معها، وكان يتمتع أيضا بالمهارات الفنية والمعرفة اللازمة لتنفيذ التغييرات التي كنا بحاجة إلى إجرائها. وقد أحبه ترامب لنفس الأسباب، وطلب منه أن يرافقه في رحلته إلى الصين لتقديم عرض إلى شي بشأن العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة والصين.

في بداية الاجتماع، افتتح ترامب الاجتماع بتصريح مفعم بالحماسة حول العلاقة الدافئة التي أقامها هو وشي بسرعة كبيرة. وعندما انتهت البيانات الافتتاحية، غادر الصحفيون الغرفة، وسلم ترامب الاجتماع إلى مفاوضه التجاري. لم يتردد لايتيزر في أي شيء. فقد ذكر بالتفصيل قائمة طويلة من انتهاكات التجارة الصينية. لقد انتهكوا كل قاعدة تحكم التجارة الحديثة تقريبًا: سرقة الملكية الفكرية الأمريكية، والتلاعب بعملتهم، وإغراق أسواقنا بمنتجات رخيصة بشكل غير قانوني لجعل شركاتنا غير قادرة على المنافسة، وإجبار الشركات الأمريكية على تسليم أسرارها التجارية كشرط مسبق لدخول السوق الصينية. أراد ترامب أن يرسل لايتيزر رسالة قوية، لكن عرض لايتيزر فاجأ حتى ترامب، الذي كان محترمًا وودودًا مع نظرائه الأجانب، على الرغم من أسلوبه التفاوضي الصارم. لم يكن لايتيزر كذلك. وأوضح لاحقًا أن الصينيين يرغبون في الاستقرار قبل كل شيء. إذا منعهم ترامب من تحقيقه، فسوف يكتسب اليد العليا في المفاوضات. وبعد ذلك، حاول الصينيون إيجاد قنوات أكثر ودية مع الرئيس.

لقد ذكّرني هذا بما قرأته في كتاب مايكل بيلسبري الاستفزازي "ماراثون المائة عام".25 وخلال الحملة الرئاسية لعام 1992، تحدث المرشح الديمقراطي بِل كلينتون بلهجة حادة عن الصين ـ واتهم في إحدى المرات جورج بوش الأب، الذي كان رئيساً آنذاك، بالتقرب من "جزاري بكين". وفي جلسات تأكيد تعيينه أعلن وارن كريستوفر، الذي اختاره كلينتون لمنصب وزير الخارجية، أنه سوف يتبنى موقفاً صارماً تجاه الصين.

وهكذا، وفي خطوة أطلق عليها الصينيون فيما بعد "انقلاب كلينتون"، نجح كبار الدبلوماسيين الصينيين في تطوير علاقات ودية مع اثنين من كبار مستشاري كلينتون الاقتصاديين، روبرت روبين ولاري سامرز، اللذين كانا أكثر تعاطفاً مع الصين، وعملوا من خلالهما على إقناع كلينتون بالتراجع عن عدائه للصين. وكانت الصين قد استخدمت نفس التكتيك خلال إدارتي بوش وأوباما، ونجحت إلى حد كبير.

وكان من المقرر أيضًا عقد اجتماع أصغر حجمًا ومحدودًا بين ترامبفي 12 فبراير/شباط، التقى الرئيس الصيني شي جين بينغ مع نظيره الأميركي شي جين بينغ لمناقشة قضية كوريا الشمالية. وفي حضور تيلرسون وماكماستر وكيلي، سار ترامب عبر ممر وشق طريقه إلى مساحة الاجتماعات المحظورة. وبينما حاول مساعد الرئيس العسكري متابعته عبر الممر حتى يتمكن من الوقوف خارج غرفة الاجتماعات، أغلق مسؤول أمني صيني أحد الأبواب لمنعه من المرور. وكان هذا خرقًا دبلوماسيًا مثيرًا للقلق. ومن المعروف أن المساعد العسكري يكون دائمًا في متناول سمع الرئيس، ويحمل حقيبة جلدية كبيرة تُعرف باسم "كرة القدم النووية". وتحتوي على الرموز اللازمة لتفويض هجوم نووي عندما يكون الرئيس بعيدًا عن مركز عمليات آمن مثل غرفة العمليات في البيت الأبيض. وعندما بدأ الرئيس اجتماعه مع شي، أصر مساعده العسكري على أنه بحاجة إلى أن يكون بالقرب من الرئيس. لكن ضابط الأمن الصيني أمسكه. ولمح كيلي الشجار واندفع نحو المدخل، وأمسك بالضابط الصيني من رقبته وثبته على الحائط.

"أنتم وقحون"، صرخ. "الشعب الصيني وقح!

"هذا أمر فظيع! هذه ليست الطريقة التي تعامل بها ضيوفك!"

هرع مسؤول البروتوكول إلى الداخل، مدركًا خطأ ضابط الأمن،لقد كان كيلي غاضباً للغاية، وقاطع الاجتماع وترك مقعداً بجوار الرئيس فارغاً بشكل واضح. لقد دخل إلى الغرفة حيث كان بقية موظفينا ينتظرون وسرد لنا القصة التي حدثت للتو. لقد تفاخر بأنه أظهر للصينيين أن أمريكا لن تخضع للتنمر بعد الآن. وفي منتصف سرده، دخل أحد الموظفين وقال إن رئيس البروتوكول الصيني كان بالخارج وأراد الاعتذار شخصياً عن الخطأ. توقف كيلي وابتسم بسخرية. "أخبرهم أنني مشغول". ثم عاد إلينا واستأنف هراءه.

وبعد مرور ساعة تقريبًا، رأيت كيلي يمشي بجوار رأس الصيني.

البروتوكول مع ذراعه حوله، ودود قدر الإمكان. في تلك اللحظة،لقد فهمت أخيرا جون كيلي. بالنسبة له، كان كل شيء عبارة عن لعبة لفرض الهيمنة والسيطرة. لقد جعل الناس يشعرون بالصِغَر وعدم الأهمية من أجل تأسيس العلاقة من مكان القوة. ثم، بعد أن ترسخت مكانته، كان يسحر وينزع سلاح الناس، مما يجعل الناس يشعرون بالارتياح لأنهم في صفه الجيد، لكنهم خائفون مما قد يحدث إذا عارضوه. لقد فكرت في كيف وضع كبار موظفي البيت الأبيض بالكامل على حافة الهاوية عندما رفض الرد على المكالمات الهاتفية بعد أن أعلنه الرئيس رئيسًا للموظفين، ولكن عندما وصل إلى الحرم الجامعي كان اجتماعيًا ومنخرطًا تمامًا. أدركت أن روتينه الذي يشبه جيكل وهايد لن ينجح إلا إذا سمح له الأشخاص الذين تنمر عليهم بالعمل. عندما عدت إلى واشنطن، شاركت القصة مع إيفانكا، التي وافقت على تصوري لكيلي.

طوال فترة عمله كرئيس لهيئة الأركان، كان كيلي حريصًا على عدم ترقية أي شخص تربطه علاقة وثيقة بالرئيس.لقد كان ترامب يشعر بالقلق من أن ننشق عن صفه ونحاول التحايل عليه. لقد عملنا بجد لتهدئة هذه المخاوف، ولكن دون جدوى. لقد استبعدنا من اجتماعات السياسة الحاسمة في المكتب البيضاوي المتعلقة بمحافظنا الخاصة، وأبطأ، أو ببساطة قتل، طلباتنا للاجتماع أو مقترحاتنا السياسية للرئيس.

كان كيلي يبدو مخادعاً باستمرار. فعادة ما كان يمطر إيفانكا بالمجاملات على وجهها والتي كانت تعلم أنها غير صادقة. ثم كان الجنرال ذو الأربع نجوم يستدعي موظفيها إلى مكتبه ويوبخهم ويهددهم بشأن قضايا إجرائية تافهة غالباً ما يخلقها نظامه الصارم. وكان يشير في كثير من الأحيان إلى مبادراتها مثل إجازة الأسرة المدفوعة الأجر والإعفاء الضريبي للأطفال باعتبارها "مشاريع إيفانكا المفضلة".

لم يسقط كيلي قناعه بالكامل إلا مرة واحدة. ففي أحد الأيام كان قد خرج للتو من اجتماع مثير للجدال في المكتب البيضاوي. وكانت إيفانكا تسير في الرواق الرئيسي في الجناح الغربي عندما مرت به.
دون أن تدرك حالته النفسية المتوترة، قالت: "مرحباً، يا رئيس". كيلي
دفعها بعيدًا عن الطريق واندفعت.
لم تتأذى ولم تثير ضجة كبيرة بشأن المشاجرة، لكن
في غضبه أظهر كيلي شخصيته الحقيقية.

وبعد ساعة وصل إلى الطابق الثاني وقام بزيارة إيفانكا.كانت رئيسة موظفي إيفانكا، جولي رادفورد، قد اجتمعت مع إيفانكا واستمعت إلى الاعتذار. كانت هذه هي المرة الأولى والوحيدة التي يرى فيها موظفو إيفانكا كيلي يزورون ركنهم في الطابق الثاني من الجناح الغربي.

عندما وظف ترامب كيلي، طلب منه أن يكون الجنرال ذو الأربع نجوم في الجناح الغربي، وأخذ كيلي هذا الطلب حرفيا للغاية. كان ترامب رئيسا غير تقليدي يزدهر بالاستماع إلى وجهات نظر متعددة عند اتخاذ القرارات. بعد تولي كيلي منصبه، مازح ترامب بأن مكتبه أصبح هادئا وفارغا لدرجة أنه فاته الحدث. كان كيلي مهتما بالسيطرة على العملية أكثر من إنتاج النتائج. كان ترامب مهتما بالنتائج أكثر من العملية. كان لدى مساعد الرئيس كريس ليدل أفضل تشبيه للانتقال من بريبوس وبانون إلى كيلي: "انتقلنا من سائل كامل إلى صلب كامل، عندما كان ينبغي أن يكون لدينا شيء بينهما".

عندما أبعدني كيلي عن منصبي، شعرت في البداية وكأنني أتعرض لنكسة أخرى، لكنني تعلمت تدريجيا أن أنظر إلى الأمر بشكل مختلف. ولأنني لم أعد أحكم في المشاحنات بين أعضاء هيئة التدريس أو أشعل عواصف نارية يومية، فقد تمكنت من تركيز طاقتي على أولويات سياستي، بما في ذلك اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية، وإصلاح العدالة الجنائية، والسلام في الشرق الأوسط. خلال تلك الفترة، أجريت محادثة مع بوب لايتهايزر ساعدتني في رؤية دوري الضيق كنعمة خفية. كنت أنا ولايتهايزر نناقش مفاوضاتنا التجارية الجارية مع المكسيك عندما اتصل بي السناتور ليندسي جراهام من ساوث كارولينا باقتراح بشأن سياسة الهجرة. سألت لايتهايزر عن رأيه، فأجابني باختصار: "لن أخبرك".

عندما سألته لماذا لا، أوضح، "لقد حصلت على وظيفة أحلامي الآن""الآن. لقد تحدثت عن قضايا التجارة هذه لمدة أربعين عامًا، والآن أصبح هناك رئيس يفهم هذه القضايا ويمتلك الشجاعة لمواجهتها. إذا كنت رائعًا في وظيفتي، فإن فرصتي في النجاح تبلغ واحدًا من عشرة نظرًا لصعوبة المهمة. في اللحظة التي أبدأ فيها في التطرق إلى قضايا الآخرين، تنخفض هذه الاحتمالات إلى واحد من المليون".

* * *

في الأول من نوفمبر، قبل يومين من مغادرتنا إلى آسيا، استقبلني أفراد الخدمة السرية في الساعة 7:30 صباحًا، وتوجهنا بالسيارة إلى مكتب محاميي،

كان من حسن حظي أن أستأجر لوبيل كمحامي لي. كان محاميا دقيقا فحص كل التفاصيل وتوقع كيف قد يحرف المدعي الحزبي القضية. هناك، في مكتب لوبيل، بدأت أول مقابلة لي مع فريق من محققي مولر وعملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي. أكدت لهم أنني أنوي المشاركة، وأنني ليس لدي ما أخفيه - لا دخان ولا نار ولا تواطؤ. استجوبوني حول هيكل فريق الانتقال، وعلاقتي بمستشار الأمن القومي السابق مايكل فلين، والظروف المحيطة بطرده. سألوني عن اجتماعي مع السفير كيسلياك وطبيعة تفاعلات فريق ترامب مع الروس أثناء الانتقال. بينما كنت أجيب على أسئلتهم، تذكرت أنني كنت مراهقًا وسمعت كل شيء عن تحقيق المستشار المستقل كين ستار في فضيحة مونيكا لوينسكي. لم أصدق أنني الآن في مركز تحقيق يتابعه العالم أجمع. بعد أشهر، اتصل بي فريق مولر واستجوبوني لمدة ست ساعات أخرى. مرة أخرى، أجبت على كل سؤال طرحوه.

في بعض الأحيان بدا الأمر وكأن العالم كله يسارع إلى إدانتيوفي مناسبتين منفصلتين، عندما كنت على وشك مغادرة منزلنا في كالوراما والتوجه إلى المكتب، سمعت ضجيج طواقم التصوير بينما كانت الصحافة تتجمع أمام منزلنا. وعندما نظرت من النافذة ولاحظت أن هؤلاء لم يكونوا مصوري ديلي ميل المعتادين، الذين كانوا مهووسين بشكل غريب بملابس إيفانكا، بل كانوا فرق إخبارية حقيقية، اتصلت بلويل وسألته عما يحدث. وفي المرتين، أخبرني أن المنافذ الإعلامية قد تلقت إخطارًا بأنني سأُعتقل في ذلك اليوم.

كان الجزء الأصعب من المحنة هو معرفة الضغوط التي تسببها لعائلتي، وخاصة والدتي. ومع بقاء تجربة والدي محفورة في ذاكرتها، كانت تقرأ مقالات إخبارية تزعم أنني مذنبة وتتصل بي قلقة. طوال الوقت، كانت إيفانكا صخرتي. كانت تعرف بطريقة ما بالضبط متى أحتاج إلى التشجيع أو أحتاج فقط إلى وجودها بجانبي. كانت تدعمني بينما كنت أسير على الجليد الرقيق.

في أسوأ لحظات حياتي، كانت إيفانكا في قمة نجاحها. فخلال رحلة الرئيس إلى آسيا، سافرت عبر أميركا للترويج للإصلاح الضريبي، وأثمرت جهودها الشاقة.

لقد زارت الدوائر الانتخابية للجمهوريين الذين كانوا مترددين في دعمهم للخطة، ونجحت في إقناع كل منهم بالتصويت لصالح مشروع القانون. كما نجحت في إقناع عضوي مجلس الشيوخ اللذين لم يعتقد أحد في الجناح الغربي أننا قادرون على الحصول عليهما، ولكن دعمهما كان حاسما في تمرير مشروع القانون: سوزان كولينز من ولاية مين وبوب كوركر من ولاية تينيسي، وكلاهما كان على خلاف مع الرئيس. ومن خلال العديد من الزيارات إلى مكاتبهما، ومحادثات العشاء في منزلنا، والمكالمات الهاتفية الطويلة، أصبحت إيفانكا أكثر المقربين منهما ثقة في البيت الأبيض. وبفضل دبلوماسيتها الماهرة ومفاوضاتها الدقيقة، نجحت في إقناعهما بالموافقة.

ولولا إيفانكا، لما كان الإصلاح الضريبي ليُقر، ولما كان ليشمل بالتأكيد أحكاماً لمضاعفة الإعفاء الضريبي للأطفال وإنشاء حافز جديد لتشجيع أصحاب العمل على تقديم إجازة مدفوعة الأجر للآباء العاملين. وكان هذان الجانبان من أنجح جوانب تشريع الإصلاح الضريبي، وقد منحا أكثر من أربعين مليون أسرة أميركية متوسطاً يزيد على 2000 دولار أميركي من المدخرات الضريبية سنوياً.26

وبينما كنت أتنقل بين كل القوى التي حاولت إسقاطي، تمكنت من الحفاظ على ثقة الرئيس. ولكن كانت هناك أوقات، حيث شعرت أن حتى ثقته بي كانت تتضاءل. فبعد وقت قصير من مقابلتي مع محققي مولر، كنت وحدي مع الرئيس في مقصورته على متن الطائرة الرئاسية. وسألني كيف صمدت أنا وإيفانكا. فأخبرته أننا نتحمل الأمور على ما يرام، مع الأخذ في الاعتبار كل شيء.

"أريدك أن تعلم أنني لن ألومكم إذا أردتم ذلك""لقد أصبحت واشنطن مكانًا شريرًا، ولقد عشتم حياة رائعة قبل هذا، وما زالت تنتظركم إذا أردتم ذلك".

لم أكن متأكدًا ما إذا كانت هذه طريقته في اقتراح أن أغادر، ولم أكن أرغب في السؤال. وبكل ما استطعت من ثقة، أخبرته أن التشهير والاتهامات الإعلامية لا تزعجني ـ كنت أريد تبرئة اسمي، وما زلت متحمسة للتقدم الذي أستطيع إحرازه في العديد من ملفاتي. كنت أيضا قلقة بشأن ما قد يحدث إذا تركنا ترامب بدون عائلة في الجناح الغربي، حيث سيحاول كيلي وغيره من اللاعبين المهتمين بمصالحهم الذاتية بذل المزيد من الجهد لممارسة المزيد من السلطة وتقويض أجندة الرئيس. أبقيت هذا الخوف لنفسي.

{16}

بناء رأس المال

"متى الوقت؟" قلت.

لقد سألني الرئيس للتو أحد أهم الأسئلة المباشرة التي واجهتها في المكتب البيضاوي: هل يجب علينا نقل السفارة الأميركية في تل أبيب إلى القدس؟

بعد خطاب لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية في عام 2016، تعهد ترامب مرارا وتكرارا بنقل السفارة - وهو الوعد الذي حرك العديد من الناخبين الإنجيليين واليهود. كان قد فكر في القيام بذلك بموجب أمر تنفيذي في يومه الأول في منصبه، لكن ماتيس وتيلرسون حذرا من أن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى عنف كارثي. أرجأ ترامب الأمر، وبعد عشرة أشهر من الإدارة، لم يكن لدى تيلرسون خطة لنقل السفارة. كان يعتقد أنه أرجأ القرار إلى أجل غير مسمى، والذي بدا أنه هدفه، على الرغم من رغبات الرئيس.

بحلول شهر نوفمبر/تشرين الثاني، رأيت أنا وفريقي فرصة سانحة. لأكثر من عشرين عامًا، انتظر أنصار إسرائيل رئيسًا لنقل السفارة إلى القدس. في عام 1995، أقر الكونجرس قانون سفارة القدس، الذي يلزم الرئيس بنقل السفارة. كان التشريع مدفونًا في بند يسمح للرئيس بتأخير النقل إذا وقع على إعفاء كل ستة أشهر. منذ ذلك الحين، وقع كل رئيس مرارًا وتكرارًا على الإعفاء. عندما وصل الإعفاء لأول مرة إلى مكتب ترامب في يونيو/حزيران، حثه تيلرسون على التوقيع عليه. مع عودة الإعفاء للمرة الثانية في أواخر نوفمبر/تشرين الثاني، خططنا لتوصية الرئيس بأن يفي بتعهد حملته الانتخابية، ويعكس عشرين عامًا من الوعود المكسورة، ويعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل، وينقل السفارة الأمريكية.

في 17 نوفمبر/تشرين الثاني، اجتمع تيلرسون، كيلي، ماكماستر، فريدمان، جرينبلات،في 19 أغسطس/آب 2011، اجتمعت مع الرئيس ترامب في المكتب البيضاوي. وكان الغرض المعلن من الاجتماع هو إطلاع الرئيس على حوارنا الجاري مع الإسرائيليين والفلسطينيين وطلب ملاحظاته. وبعد أن ناقشنا بإيجاز تقدمنا، سألنا ترامب عما نفعله بشأن السفارة. لقد توقع فريدمان وجرينبلات وأنا هذا وكنا مستعدين للمناقشة. وتدخل ماكماستر وأوضح أن القضية معقدة - كان هناك الكثير على المحك في القرار، وكان الأمر يمر عبر عملية مجلس الأمن القومي لضمان النظر في جميع العوامل ووجهات النظر قبل تقديم توصية له. كان هو وتيلرسون متعاطفين مع المنطق القديم المتمثل في أن نقل السفارة من شأنه أن يعرض موقف أمريكا كوسيط للسلام للخطر ويتسبب في انفجار العنف في المنطقة. أرادوا تأخيرًا آخر لمدة ستة أشهر، وعند هذه النقطة سيطلبون بلا شك تأجيلًا آخر، ثم آخر، إلى ما لا نهاية.

كان فريدمان متأكداً من أن عملية مجلس الأمن القومي بقيادة ماكماستر ستعطل هذه الخطوة، فتحدث. وقال إن هذا كان اختباراً مبكراً لرئاسة ترامب. كان العالم بأسره ــ من طهران إلى بيونج يانج ــ يراقب ليرى ما إذا كان سيصبح رئيساً يفي بوعوده، أو ما إذا كان سيستمر في سياسته العدوانية.الوقوع في الأنماط المألوفة للحكمة التقليدية.

التفت ترامب إلي وسألني عما إذا كان نقل السفارة سيجعل الأمرمن الصعب التوصل إلى اتفاق سلام مع الفلسطينيين.

"في الأمد القريب، سيكون الأمر أكثر صعوبة"، قلت، "ولكن في الأمد البعيد، سيكون الأمر أسهل لأننا سنبني رأس المال مع إسرائيل، في حين نظهر لزعماء العالم أنك لست مقيدًا بالتقاليد. الشرق الأوسط منطقة صعبة، حيث يحترم القادة أولئك الذين يفعلون ما يقولون ولا يتراجعون تحت الضغط".

أعرب ترامب عن قلقه بشأن خطة السلام، ثم سأل عما إذا كان ينبغي لنا الانتظارستة أشهر أخرى وانظر ما إذا كانت الخطة قد اكتسبت زخمًا.

"في حين ينبغي أن نأخذ ذلك في الاعتبار، فإن هذه فترة هادئة نسبيا في الشرق الأوسط المتقلب عادة"، قلت. "أي شيء يمكن أن يحدث، وفي غضون ستة أشهر، سوف نشهد المزيد من التصعيد"."قد لا يكون لديك نفس اليد للعب بها لعدة أشهر."

وبعد الاستماع إلى وجهة النظر المعارضة من تيلرسون ووزن المخاطر والفوائد المحتملة، اتخذ الرئيس قراره: "أريد أن أفعل ذلك. أدير عملية مجلس الأمن القومي، ودعنا نجتمع بشأنها قريبا".

لقد كنت سعيدًا بهذا القرار، ولكن لم يكن لدي وقت للاحتفال.لقد توقف مساعدي كاسيدي لونا عند مكتبي ومعه مذكرة كان محاميي آبي لويل قد اتصل بها. لقد تلقى استفسارًا صحفيًا حول التحقيق الجاري في روسيا. لقد أجريت مقابلة بالفعل مع ممثلي الادعاء التابعين لمولر، وقدمت شهادة إلى مجلسي الكونجرس، وبذلت جهودًا غير عادية لتلبية الطلبات والشفافية الكاملة. ولكن بعد عام من التحقيقات التي لا أساس لها، شعرت بالإحباط. لم أستطع أن أتخيل خوض جولة أخرى من التحقيقات.

في تلك اللحظة دخل تيلرسون إلى مكتبي وهو يلهث من شدة الانزعاج.كان ترامب غاضبًا للغاية. لقد فوجئ بالاجتماع مع الرئيس. لقد افترض أنه سيكون حول خطة السلام فقط، وكان غير مستعد بشكل مؤسف لمناقشة السفارة. ولزيادة غضبه، تحدث مع محمد بن سلمان في وقت سابق من اليوم، وأخبر ولي العهد تيلرسون أنه سعيد لأن فريقه يعمل الآن مع البيت الأبيض على أساس يومي. اعتقد تيلرسون أن هذا يعني أنني ومحمد بن سلمان نتحدث بانتظام. لقد أثار غضبه الاعتقاد بأن هذا كان يحدث دون علم وزارة الخارجية.

في يونيو/حزيران، وبعد أقل من أسبوع من عودة الرئيس من أول رحلة خارجية له، قطعت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والبحرين ومصر العلاقات الدبلوماسية مع قطر وأوقفت حركة المرور الجوي والبحري والبري. واتهمت هذه الدول قطر بتشجيع الإرهاب من خلال تمويل جماعة الإخوان المسلمين والعمل مع إيران لزعزعة استقرار المنطقة.

كان تيلرسون متعاطفا مع القطريين. تحت قيادته، استثمرت شركة إكسون عشرات المليارات من الدولارات لبناء صناعة الغاز في قطر. وقد طور علاقات وثيقة مع العائلة المالكة القطرية. كان يعلم أنني تحدثت كثيرا مع الزعيم الإماراتي محمد بن زايد كما أسست علاقة ودية مع محمد بن سلمان. تكهن بأن الرباعية التي تضم المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والبحرين ومصر تستغل حسن نيتنا لتخويف القطريين. زعم أنني كنت مسؤولا عن الخلاف السعودي مع قطر، وهو عكس الحقيقة تماما. في الواقع، رأيت العداء على أنه يتعارض مع المصالح الأمريكية، وعندما علمت لأول مرة أن السعوديين قد يتخذون إجراءات ضد قطر، حاولت إقناعهم بتأخير القرار. أخبرتهم عن اجتماع مشجع عقدته قبل أسابيع مع وزير الخارجية القطري محمد آل ثاني، الذي أوضح أن القطريين يريدون نزع فتيل التوترات المتصاعدة. نفى آل ثاني بشدة هذه المزاعم.

لقد قمت بمناقشة قضية قطر ووعدت بمعالجة أي مشاكل على الفور إذا تمكنت من إحضار قائمة محددة له. لم تنجح جهودي للتوسط، لذلك اتصلت بغرفة العمليات وطلبت الاتصال بتيلرسون. اعترضت رئيسة أركانه، مارغريت بيترلين، المكالمة وأخبرتني أنه مشغول. على مدى الأيام القليلة التالية، دفعت جهود تيلرسون الدبلوماسية جميع الأطراف إلى زواياها. لم يفشل في التفاوض على حل فحسب، بل جعل الأمور أسوأ. منذ تلك النقطة، شعرت وكأنني فقدت ثقة تيلرسون - بدا أنه توقف عن اللجوء إلي باعتباري صديقًا وحليفًا ونظر إلي بدلاً من ذلك باعتباري عائقًا خطيرًا.

"بفضل جهودك"، قال بحدة، "الشرق الأوسط اليوم أسوأ بكثير مما كان عليه عندما وصلنا إلى هنا. نقل السفارة سيكون كارثة. بين هذا وعلاقتك مع محمد بن سلمان، أنت تشعل عود ثقاب".في غابة جافة، والشرق الأوسط بأكمله يحترق.

وزعم أن محمد بن سلمان من شأنه أن يزعزع استقرار المملكة العربية السعودية والشرق الأوسط بأكمله. وتابع تيلرسون: "إذا واصلت المناورة حولي واتخاذ هذه القرارات، فربما يكون من الأفضل أن تذهب إلى مجلس الشيوخ للتأكيد لأنك ستتسبب في حرب، ولن أكون الشخص الذي يتحمل اللوم عن ذلك".

الآن كنت غاضبًا. أخبرته أنه كان مخطئًا تمامًا. بينما كنت أفعل ذلك،لقد كنت أؤيد رؤية محمد بن سلمان للتحديث بشكل كامل، ولم أتحدث معه منذ ثلاثة أسابيع على الأقل، وفي كل مرة كان فريقي أو أنا نتعامل فيها بشكل جوهري مع السعوديين، كنا نشارك مسؤولين من مجلس الأمن القومي ووزارة الخارجية. وبما أنني أعلم أن محمد بن سلمان يعمل على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع، فقد طلبت من كاسيدي محاولة الاتصال به. وقد فعلت ذلك، وقلت لولي العهد: "أخبرني الوزير تيلرسون أنك ألمحت إلى أننا ننسق يوميًا. لا يمكنني أن أسمح بهذا. إنه وزير الخارجية، وبينما أعمل على ملف الشرق الأوسط، فأنا أقدم له تقارير عن السياسة الخارجية، ونحاول جاهدين البقاء على انسجام في كل شيء".

وبينما كان تيلرسون يقف هناك ويستمع إلى محادثتنا، رد محمد بن سلمان ضاحكًا: "لا بد أنه أساء الفهم. لم أقل قط إننا نتحدث بشكل مباشر. لقد طلب مني الوزير تيلرسون قبل شهر التأكد من أن فريقي ينسق سياساتنا مع الحكومة الأمريكية. ماذا حدث؟"

"قلت إنني أتبع طلبه، ونحن الآن ننسق سياساتنا بشكل كامل مع مجلس الأمن القومي بالبيت الأبيض". وذكر محمد بن سلمان أن شقيقه خالد، الذي كان في ذلك الوقت سفير السعودية لدى الولايات المتحدة، وفريق معين قد اجتمعوا في البيت الأبيض في ذلك اليوم مع فريق مجلس الأمن القومي بأكمله في الشرق الأوسط وموظفي وزارة الخارجية. "هل من الممكن أن يكون وزير الخارجية

ولم يكن تيلرسون على علم بأن فريق وزارة الخارجية التابع له كان "الاجتماع مع أخي بانتظام؟"

وبينما كان تيلرسون يستمع، تحول وجهه إلى اللون الأحمر الساطع. فأغلقت الهاتف وطلبت منه أن يمسك بزمام الأمور في فريقه قبل أن يتهمني بأشياء لم أفعلها. فرد تيلرسون قائلا إن السعوديين هم أكبر ممولي الإرهاب وتوقع أن محمد بن سلمان لن يقوم أبدا بالإصلاحات التي وعد بها. وأضاف: "إنني أبيع السعودية على المكشوف"، مستخدما مصطلحا من مصطلحات سوق الأوراق المالية للإشارة إلى أنه يراهن ضدهم. ثم رفع يديه في الهواء وصرخ: "لا أستطيع أن أتصرف على هذا النحو! أشعر وكأن لدينا أربعة وزراء خارجية".

عادة ما أتجنب الدخول في جدالات عقيمة، لكن هذا كان كافيا. شعرت بصوتي يرتفع قائلا: "لو قمتم بعملكم بالفعل ونفذتم ما طلبه الرئيس، فلن يكون لدينا سوى واحد فقط".

لقد كانت كلماتي مؤلمة. كان عملاق النفط السابق يزداد إرهاقًا"وكنت أشعر بعدم الأمان، لذا خففت من حدة نبرتي. قلت: "أعرف أن هذا كان سوء تفاهم. أنت وزير الخارجية، وأريد أن أعمل معك. إذا قدمت لي أي اقتراحات حول كيفية تغيير أسلوبي أو طريقتي لجعلك تشعر بالراحة، فأعلمني، وسأفعل ذلك". حدق فيّ لبضع ثوانٍ، ولم يقدم أي اقتراحات، وخرج غاضبًا.

* * *

في 27 نوفمبر، وجه كيلي ماكماستر لجدولة اجتماع صغيرفي عام 2008، اجتمع كيلي مع الرئيس في غرفة العمليات للبحث عن قرار نهائي بشأن السفارة في القدس. دعا كيلي نائب الرئيس بنس، وتيلرسون، وماتيس، وماكماستر، والسفير فريدمان. وعلى الرغم من أنني كنت المسؤول الأول عن سياسة البيت الأبيض في الشرق الأوسط، رفض كيلي السماح لجيسون جرينبلات أو لي بالانضمام. وأكد لي أن هذا كان من أجل حمايتنا. وأوضح أنه كان قلقًا من أن يؤدي القرار إلى هجمات عنيفة على سفاراتنا، وإذا مات أمريكيون نتيجة لذلك، فهو لا يريد أن أتحمل اللوم على ذلك. علمت لاحقًا أنه أعطى فريدمان سببًا مختلفًا تمامًا: فهو لا يريد أن يُظهر التاريخ أن ثلاثة يهود أرثوذكس، قد يكونون متحيزين لصالح إسرائيل، شاركوا في مثل هذا الاجتماع المهم. كانت هذه لعبة أخرى من ألعاب القوة التي يمارسها كيلي. بحكم التصميم، كان عدد فريدمان أقل في الاجتماع، لكنه كان أكثر من مستعد للرد على أولئك الذين لم يجيبوا على أسئلة كيلي.

عارضت هذه الخطوة. واستنادًا إلى مناقشاتي الخاصة مع ترامب، فقد عارضت أيضًاكان يعرف موقفه بشأن هذه القضية.

وبينما كان الاجتماع يجري في الطابق الذي يقع أسفلنا في غرفة العمليات، انتظرت أنا وغرينبلات وآفي بقلق في مكتبي. ثم توقف فريدمان بعد ذلك وألقى علينا الضوء على التفاصيل. وبينما جلس الرئيس على مقعده المعتاد على رأس الطاولة، وضع القواعد الأساسية للمناقشة: أراد أن يسمع من أولئك الذين لم يوافقوا على نقل السفارة، وبعد كل حديث، كان فريدمان يقدم دحضًا. بدأ تيلرسون أولاً، وقرأ من ورقة فضفاضة. وبنبرة تكساس، زعم أن إدارة ترامب أعادت تأسيس علاقة عمل متينة بين الولايات المتحدة وإسرائيل. كان الموقف الأمريكي الحالي بشأن السفارة هو سياستنا لفترة طويلة، ولن يؤدي نقلها إلى تحسين مكانتنا بشكل كبير مع الإسرائيليين، فلماذا نفعل ذلك؟ من نصه المعد مسبقًا، سار مع الرئيس عبر التاريخ الحديث للقدس، لكنه ارتكب خطأً فادحًا عندما أخبر الرئيس أن الإسرائيليين سيطروا على القدس منذ "حرب عام 1996".

وعندما انتهى تيلرسون من حديثه، التفت ترامب إلى فريدمان وطلب منه الرد. فقال: "سيدي الوزير، أنا على استعداد للاعتراف بأنك في تسعة وتسعين في المائة من هذا العالم تعرف القضايا أفضل مني ألف مرة. أنا فقط لست على استعداد للاعتراف بذلك من أجل إسرائيل. لم أحضر أي ملاحظات معي؛ أما أنت، من ناحية أخرى، فقد كنت تقرأ فقط من نقاط نقاش كتبها شخص ما لك. ويجب طرد من كتبها، لأنها تحتوي على الكثير من الأخطاء. على سبيل المثال، كانت الحرب في عام 1967، وليس عام 1996. يمكننا إجراء هذا النقاش، إذا كنت تريد ذلك، لكنه لن يكون عادلاً بالنسبة لك".

نظر تيلرسون إلى فريدمان بنظرة استخفاف، ثم أغلق دفتر ملاحظاته، وقال: "لقد قلت ما لدي". بعد ذلك، التفت الرئيس إلى ماتيس، الذي أوضح أنه لا يستطيع أن يفهم لماذا تم التركيز كثيرًا على قضية القدس. لقد زار إسرائيل في مناسبات لا حصر لها، وفي كل مرة ذهب فيها، كانت اجتماعاته في تل أبيب. لماذا نقل السفارة إلى القدس إذا كان هذا هو الحال؟

وزارة الدفاع الإسرائيلية في تل أبيب؟

وتوجهت المجموعة إلى فريدمان للحصول على إجابة. فسأل ماتيس: "أين يقع البنتاغون؟" فأجابه بأنه في أرلينجتون بولاية فرجينيا. ثم تابع فريدمان: "هل عاصمتنا في فرجينيا؟ بناءً على منطقك، يجب أن تكون كذلك. عندما تذهب إلى إسرائيل، تلتقي في مقر دفاعها".

إن مقرهم الرئيسي في تل أبيب. وعندما يأتون إلى هنا، فإنهم يجتمعون في البنتاغون، الذي يقع في ولاية فرجينيا. ولكن الكونجرس الأميركي والمحكمة العليا والبيت الأبيض كلها في واشنطن العاصمة. وعلى نحو مماثل، فإن مقرهم الرئيسي في واشنطن العاصمة يقع في تل أبيب."إن الكنيست والمحكمة العليا ومقر إقامة رئيس الوزراء كلها في القدس". واعترف ماتيس بهذه النقطة. وبحلول نهاية الاجتماع، أعلن الرئيس أنه يريد المضي قدمًا في قرار نقل السفارة إلى القدس.

تحدث تيلرسون مرة أخرى. ويبدو أنه لم يقل ما قاله حقًا.وقال "أود أن أشير إلى أن هذا خطأ. لدي دبلوماسيون أميركيون في بلدان إسلامية من المغرب إلى باكستان. ولا أعرف كيف سأحافظ على سلامتهم عندما تندلع أعمال عنف".

نظر ماتيس إلى تيلرسون وقال: "انظر، كنت ضد هذا أيضًا، لكن الرئيس اتخذ قرارًا، وسأتأكد من حصولنا على ما يكفي من الدعم"."أرسلوا قوات مشاة البحرية إلى سفاراتكم للحفاظ على سلامة كل دبلوماسي."

كان ترامب يريد أن يكون مستعدًا في حالة اندلاع أعمال عنف، وطلب مني التحدث إلى جميع القادة في الشرق الأوسط وإبلاغهم إذا كانت هناك أي مشاكل. وفي حين أوضح العديد من القادة أنهم ضد نقل السفارة، فقد التزموا أيضًا بالعمل معنا لمنع ردود الفعل العنيفة في بلدانهم.

مع اقترابنا من الأول من ديسمبر، وهو اليوم الذي كان من المقرر أن تنتهي فيه صلاحية الإعفاء الحالي، تلقى فريقي استفسارًا من الصحافة يطلب مني تأكيد ذلك.تقرير: "في يوم الاثنين، انعقد اجتماع مهم في البيت الأبيض بشأن مسألة القدس عاصمة لإسرائيل. رفض الرئيس الأمريكي توصية مستشاريه للأمن القومي وقرر نقل السفارة". لقد سرب أحدهم الخبر. وبسبب قلقهم، قام صائب عريقات وماجد فرج، وهما اثنان من كبار المحاورين الفلسطينيين مع واشنطن، بزيارة طارئة لرؤيتي في البيت الأبيض.

وحذر عريقات من أن "نقل السفارة الآن سيكون خطأ فادحا".وكرر فرج هذه المخاوف: "ستكون هناك عواقب وخيمة. لن تتمكن المنطقة من تحملها ـ أو أي قرار أمريكي بهذا الشكل". تأثير.

إنكم في أرض صراع. ولا يتعلق الأمر فقط بالإسرائيليين والفلسطينيين، أو حتى بالناخبين الأميركيين. بل إن هذا من شأنه أن يؤثر على المنطقة بأسرها. وسوف يضعف موقفكم مع شركائكم، الإمارات العربية المتحدة، والمملكة العربية السعودية، والأردن، ومصر. ونحن نعمل على افتراض أن الرئيس سوف يوقع على الإعفاء كما هو الحال دائما. وعدم القيام بذلك سوف يؤدي إلى تفاقم التوترات بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

تعزيز الفوضى واستبعادك من لعب أي دور في السلام
عملية."

لقد أوضحت لهم أن القرار بيد الرئيس وأن القرار ليس نهائياً، ولكنه رجل يفي بكلمته. وقلت لهم إنه إذا قرر الرئيس الاعتراف بالقدس، فسوف نراقب أفعاله وتصريحاته عن كثب لنحكم على مدى التزام الولايات المتحدة بجميع جوانب علاقتها بالسلطة الفلسطينية، بما في ذلك حزمة المساعدات الخارجية السنوية السخية التي نقدمها.

في يوم السبت بعد الظهر، 2 ديسمبر، تلقيت رسالة إلكترونية من كيلي:"جاريد، بما أن هذه رسالة بريد إلكتروني غير آمنة، فسأكون حذرًا. لقد أنهيت للتو مكالمة هاتفية مع وزير الدفاع ماتيس الموجود في الأردن (حوار العقبة) بعد مغادرته القاهرة للتو. والآن بعد أن أصبح على الأرض، أصبح أكثر قوة في توصياته بشأن هذه القضية. كما أصبح وزير الدفاع تيلرسون ومجتمع الاستخبارات أكثر قوة في توصياتهم منذ مناقشة رئيس الولايات المتحدة أيضًا. سألتقي برئيس الولايات المتحدة غدًا وسأنقل لكم ما حدث. سأطلب من مدير الاستخبارات الوطنية وربما أطلب من وزير الدفاع ماتيس قطع رحلته لتقديم تقرير والعودة إلى واشنطن العاصمة".

في جميع القرارات الرئاسية، لا شيء يصبح نهائيًا إلا بعد توقيعه وإصداره.

خلال الثماني والأربعين ساعة المتوترة التي سبقت إعلان السفارة، تحدى ترامب عشرين عامًا من التقاليد، وتوقعات الاستخبارات المزعجة، ومعارضة وزيري خارجيته ودفاعه. اتصل به زعماء أجانب لتحذيره من أن الشرق الأوسط ليس مكانًا مناسبًا له.

كان الشرق سيشتعل بالنيران. ولم تكن المخاوف الأمنية هي المشكلة الوحيدة التي كان يعاني منها.في الواقع، كان ترامب رجل أعمال. فبصفته رجل أعمال، بنى إمبراطورية عقارية من خلال تحديد النفوذ بشكل صحيح واستخدامه لانتزاع التنازلات من شركائه في التفاوض. وهنا، بدا الأمر وكأننا نطلب منه أن يمنح إسرائيل هدية كبيرة مجانًا، وهو ما يتعارض مع غرائزه. وعندما اتصل به صديق رجل أعمال ذكي ونصحه بأن يحمل الإسرائيليين على تجميد نشاطهم الاستيطاني في مقابل نقل السفارة، تساءل الرئيس عما إذا كان من الخطأ إعطاء شيء مهم للغاية لإسرائيل دون طلب شيء في المقابل. اتصل بي لمعرفة رد فعلي تجاه هذه الفكرة، وأكدت له أنه سيتلقى ردي.شيئ في المقابل.

"قلت إن هذه الخطوة ستعزز من ثقتنا في الشعب الإسرائيلي. وإذا أحرزنا أي تقدم في ملف السلام، فسوف تحتاج القيادة الإسرائيلية إلى تقديم بعض التنازلات السياسية الصعبة، وحصولهم على ثقتكم أمر لا يقدر بثمن. فضلاً عن ذلك، فقد وعدت بنقل السفارة خلال ولايتك."حملتك، وأنت تعمل بجد للوفاء بكل وعودك."

{17}

جدار من الورق المعجن

في الثالث من ديسمبر/كانون الأول، استدعاني ترامب وإيفانكا إلى مقر إقامته التنفيذي. وكان قد أمضى للتو الساعتين والنصف السابقتين في حفل عيد الميلاد في البيت الأبيض لصالح جهاز الخدمة السرية، حيث كان يتولى مهمة تقديم المشورة لأعضاء جهاز الخدمة السرية.
التقطت صورًا مع كل ضابط وعضو من أفراد الأسرة الذين حضروا.لقد كانوا يحمونه ويحمون عائلته، وأراد أن يشكره في المقابل.

لقد أخبرني أنه كان ملتزمًا بنسبة 100% بقراره بشأن السفارة، ولكن في وقت سابق من ذلك اليوم، تلقى مكالمات ذعر من تيلرسون وكان ماتيس رجلين يحبان إظهار الشجاعة والهدوء في مواجهة الخطر والصعوبة، لذا فسر مخاوفهما على أنها حقيقية ومبررة. وقد رسم كل منهما سيناريو كارثيا: هذا القرار من شأنه أن يغرق المنطقة في الفوضى والعنف والتطرف. وكانت المعلومات الاستخباراتية تتوالى بسرعة، وكانت مزعجة.
وسأل ترامب "هل مازلت تشعر بالثقة بأن هذه هي الخطوة الصحيحة؟"

كان بإمكاني أن أقول إنه ما زال ملتزمًا، لكنه كان مدركًا للمخاطر. كما كنت أعلم أنه كان يقيس قوة قناعتي، كما كان يفعل كثيرًا.مع مستشاريه عندما يتخذ قرارات مهمة.

"نعم، أنت تتخذ القرار الصحيح"، قلت له، وأطلعته على محادثاتي مع الزعماء العرب، الذين أرادوا أيضا تجنب اندلاع العنف في بلدانهم.

في الخامس من ديسمبر/كانون الأول، أي قبل يوم واحد من الإعلان المخطط له، اتصل ترامب ببيبي وأخبره بالخبر. فقال له بيبي بفتور: "إذا اخترت أن تفعل ذلك، فسوف أدعمك".

وبعد أن اعتقد ترامب أن نتنياهو لم يفهم ما قاله، كرر أنه سيعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل وينقل السفارة الأميركية إليها. ومن شأن هذا أن يرسل إشارة غير مسبوقة إلى العالم مفادها أن الولايات المتحدة تقف وراء سيادة إسرائيل في القدس. وأضاف أنه عندما يحين الوقت المناسب، فإن الولايات المتحدة تتوقع من إسرائيل أن تأتي إلى طاولة المفاوضات وتبرم اتفاق سلام ــ وهو ما لم يفعله نتنياهو من قبل.

مرة أخرى، رد بيبي بحماس أقل من المتوقع.ولكن بعد الاستجابة الفاترة، بدأ ترامب في إعادة النظر في قراره. وبينما واصل حديثه مع نتنياهو، تساءل بصوت عالٍ عن سبب قيامه بهذه المجازفة إذا لم يعتقد رئيس الوزراء الإسرائيلي أنها مهمة إلى هذا الحد.

وتحول صوت ترامب إلى لهجة صارمة: "بيبي، أعتقد أنك المشكلة".

إذا كان بيبي قد فوجئ بهذا التعليق، فإنه لم يظهر ذلك. بل رد ببرود: "لا، دونالد، سوف تجد أنني جزء من الحل، وأنا جزء من الحل"."أنت أيضًا جزء من الحل."

وبعد أن أغلق الزعيمان الهاتف، أدركت أن ترامب كان محبطًا.كان القلق بشأن ما قد يحدث خطأ يثقل كاهل الجميع. اتصل العديد من الزعماء الأجانب الآخرين بالبيت الأبيض للتحدث إلى الرئيس. كان ترامب يعرف سبب اتصالهم وطلب من فريقه تحديد موعد لمكالماته بعد إعلانه عن القرار. بهذه الطريقة، لن يضطر إلى الاستماع إلى نفس الحجج مرة أخرى ثم رفض طلبات المتصلين. بدلاً من ذلك، عندما يتصل بهم مرة أخرى، يمكنه تجاوز القرار والانتقال إلى المجموعة التالية من الأولويات.

في اليوم التالي، سارت الأمور كما هو مخطط لها. ووقع الرئيسمذكرة لإخطار مجموعة من كبار المسؤولين في الإدارة بأنه ينوي التوقيع على إعلان رئاسي يعترف رسميًا بالقدس عاصمة لإسرائيل ويصرح بنيته نقل السفارة على الفور.

في الساعة الواحدة بعد الظهر من يوم 6 ديسمبر، وقف الرئيس
خلف المنصة في غرفة الاستقبال الدبلوماسية. "بعد المزيد

وقال "بعد أكثر من عقدين من الإعفاءات، لم نقترب بعد من السلام الدائم"."لقد كان ترامب واضحا في موقفه من الاتفاق بين إسرائيل والفلسطينيين. وسيكون من الحماقة أن نفترض أن تكرار نفس الصيغة بالضبط من شأنه أن يؤدي الآن إلى نتيجة مختلفة أو أفضل. لذلك، قررت أنه حان الوقت للاعتراف رسميا بالقدس عاصمة لإسرائيل". وأوضح أنه لم يتخذ موقفا بشأن الحدود المتنازع عليها، وحث الناس على الاستجابة بهدوء، وطلب من القادة "الانضمام إلينا في السعي النبيل لتحقيق السلام الدائم". ووقع ترامب على الإعلان وحبس الجميع أنفاسهم لمعرفة ما سيحدث بعد ذلك.

ولقد ترددت في ذهني كلمات أحد زعماء الشرق الأوسط الذين تحدثت إليهم في اليوم السابق: "لن أقول لكم أن تفعلوا ذلك أو لا تفعلوه، ولكن إذا فعلتم ذلك، فسوف تكتشفون من هم أصدقاؤكم". وبعد الإعلان مباشرة، بدأ مدير مجلس الأمن القومي مايكل بيل في عقد اجتماعات بين الوكالات مرتين في اليوم لمراقبة التطورات. وكما اتضح، كان رد الفعل في مختلف أنحاء العالم الإسلامي معتدلاً بشكل لافت للنظر مقارنة بالتوقعات. وظلت الاحتجاجات في المنطقة سلمية، وإن كانت الضفة الغربية وغزة استثناءات ملحوظة. وفي غضون ثماني وأربعين ساعة تبددت الحشود دون عنف كبير. والواقع أن أحد شركائنا الرئيسيين أرسل إشارات عززت موقفنا. فقد أعلن عنوان رئيسي لوكالة رويترز في تقرير وصف نية المملكة في مواصلة العمل معنا على خطة سلام: "على الرغم من الغضب إزاء الخطوة المتعلقة بالقدس، فإن السعوديين يبدون تأييدهم لجهود السلام الأميركية". وذكرت صحيفة وول ستريت جورنال: "العنف الأولي في الشرق الأوسط الناجم عن السياسة الأميركية الجديدة تجاه إسرائيل محدود".

كان الفلسطينيون يشعرون بالتوتر. وإدراكًا منهم أن نفوذهمولكن مع تراجع الدور الفلسطيني على الساحة العالمية، لجأ الرئيس عباس إلى الاستراتيجية التي استخدمها الفلسطينيون منذ تأسيس إسرائيل في عام 1948: استخدام الأمم المتحدة كمنتدى لمواجهة إسرائيل والولايات المتحدة. وأقنع مصر، أحد الأعضاء غير الدائمين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، بصياغة قرار يدين الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل. وعندما علم تيلرسون بقرار الأمم المتحدة، دفعته غريزته إلى تقديم تنازلات. وقد اقترب مني في حفل استقبال في البيت الأبيض وأوضح لي أن الوضع خطير.

وقال "يتعين علينا أن نعترف بحق الفلسطينيين في القدس الشرقية حتى نمنحهم شجاعة ونسمح لهم بحفظ ماء الوجه، وإلا فإنهم سوف ينسحبون من طاولة المفاوضات ولن يعودوا إليها إلا بعد جيل كامل".

"إذا لم يعودوا، فلن يعودوا"، قلت. "إذا استجبت لتهديدهم بتقديم تنازل، فإن هذا يشكل سابقة رهيبة. على مدى عقود من الزمان، تقبل دبلوماسيونا ديناميكية حيث يقول الفلسطينيون "اقفز"، ويسأل الدبلوماسيون الأميركيون، "إلى أي ارتفاع؟"

تيلرسون تدحرجولكنني لم أقتنع بذلك، بل إنني لم أطيل الحديث عن هذه القضية. فقد أخبرني ترامب في جلسة خاصة أنه يريد إقالة الوزير بحلول نهاية العام؛ وكان يعتقد أن تيلرسون "مفاوض أقل من المتوسط"، وكان محبطاً لأنه ظل يحاول الترويج لأجندة السياسة الخارجية التقليدية التي تتبناها مؤسسة واشنطن والتي تنتقد فلسفة ترامب "أميركا أولاً".

لقد اتصلت بسفيرة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة نيكي هيلي، والتي اعتقدت أنها حليفة لأجندة الرئيس. كنت أعلم أنها تؤيد قرار نقل السفارة ولم تكن تخشى تجاوز تيلرسون. قلت لها: "نيكي، يتعين علينا أن نفعل شيئا. لو كنت مواطنا عاديا، وصوتت كل هذه البلدان التي تتلقى مساعدات أجنبية لإدانة أميركا في الأمم المتحدة، لظننت أننا ندار من قبل مجموعة من الحمقى.

لكننا نحن المسؤولون الآن، وإذا سمحنا بحدوث هذا، فسنكون أغبياء".

وافقت هالي بكل إخلاص. اتصلت بترامب مباشرة وشرحت لهإنها ترغب في الإعلان عن أنه إذا صوتت الدول ضدنا، فسوف نسحب مساعداتها الخارجية. أحب ترامب فكرة استخدام نفوذ أمريكا للدفاع عن مصالحنا والتوقف عن السماح لحلفائنا المفترضين الذين تلقوا مليارات الدولارات من التمويل الأمريكي بتهديد رئيس الولايات المتحدة.

لقد قمت أنا وهايلي بتقسيم قائمة الأعضاء الدائمين وغير الدائمين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة وحلفائنا الرئيسيين في الجمعية العامة، وبدأنا في إجراء المكالمات الهاتفية، مطالبين الدول بالامتناع عن التصويت. كان المشهد أشبه بمشاهد سابقة بعد معركتنا ضد القرار 2334 المناهض لإسرائيل أثناء فترة انتقال الرئاسة، إلا أنني هذه المرة كنت أعرف اللاعبين، وكان لدي أرقامهم على هاتفي.

إن الفلسطينيين يشكلون قوة داخل أروقة الأمم المتحدة، لذا عندما صوتت الجمعية العامة على القرار، فكرت في أن هذا القرار سوف يتعارض مع القانون الدولي.إن أربع وأربعين دولة إما امتنعت عن التصويت أو صوتت ضده، وهو ما يشكل مؤشراً إيجابياً على أننا نعمل على إقامة شراكات استراتيجية، واستخدام نفوذنا، وتحويل النموذج في الشرق الأوسط ببطء.

ومن المؤسف أن الرئيس عباس ابتعد عن عملية السلام التي تقودها الولايات المتحدة.وأثارت تصريحات عباس غضب الفلسطينيين. وقال عباس في خطابه في وجه ترامب: "الله يهدم بيتك، لن نقبل أميركا وسيطا وحيدا بيننا وبين إسرائيل بعد ما فعلته".

لقد نقلت رسالة إلى عباس من خلال وسيطنا: "نحن ندرك أنكم بحاجة إلى أن تبدوا أقوياء في الوقت الذي يحتج فيه الناس في شوارعكم، ولكننا سنكون مستعدين للتدخل عندما تكونون كذلك. إذا كنتم تريدون العمل معنا، فاعملوا معنا. وإذا لم ترغبوا في ذلك، فلن نطاردكم. نحن نعتزم المضي قدماً بخطتنا سواء كنتم معنا أو بدوننا".

لقد افترض خبراء السياسة الخارجية دوماً أن عباس قادر على التلاعب بمشاعر الشارع العربي. ولكن في أعقاب إعلان السفارة، أصبح من الواضح أن الأمر ليس كذلك. لقد كان هذا بمثابة كشف مهم للزعماء العرب، الذين كانوا يحاولون دوماً الحكم على المشاعر الحقيقية في المنطقة. لقد أثبت العنف المحدود في الشارع وردود الفعل المعتدلة من جانب الزعماء العرب أننا قادرون على تحمل المخاطر المحسوبة والتشكيك في الافتراضات السائدة. وبالنسبة للعدد المتزايد من الزعماء العرب الذين كانوا يراقبون الحدث، فقد أظهر رد فعل عباس المضاد للإنتاجية أن القيادة الفلسطينية الحالية غير قادرة على توفير حياة أفضل للشعب الفلسطيني. لقد قلت لفريقي في وقت سابق: "إن مهمتنا هي محاولة اختراق هذا الحاجز الذي كان منيعاً في السابق"، في إشارة إلى الصراع بين إسرائيل والعالم العربي. "فلنضربه بكل ما لدينا لنكتشف ما إذا كان الجدار مصنوعاً من الخرسانة أم من الورق المعجن". وقد أكد نقل السفارة الناجح أن تحقيق اختراق من أجل السلام ربما يكون أكثر احتمالاً مما افترضته الحكمة التقليدية.

{18}

النضال من أجل المنسيين

عندما كان والدي في السجن، وجد شريكًا غير متوقع لممارسة الرياضة. كان الشاب، الذي سأطلق عليه اسم "شون"، يقضي عقوبة تتعلق بالمخدرات. أخبر والدي أنه

كان شون قد أصبح تاجر مخدرات لأن والده كان تاجر مخدرات. كان هذا كل ما يعرفه - وبسبب ذلك انتهى به الأمر في ورطة مع القانون. كان شون شابًا ذكيًا حصل على 1140 في اختبار SAT، وكان والدي يعتقد أنه يستحق فرصة لتكفير نفسه. من هاتف السجن العمومي، اتصل بصديقه المطران روبرت شيران، رئيس جامعة سيتون هول. وافق المطران على منح شون منحة دراسية إلى سيتون هول بعد إطلاق سراحه من السجن. تخرج شون من الجامعة بمعدل 4.0. كانت قصته مثالاً يفتح العيون على الإمكانات البشرية الهائلة التي غالبًا ما تُهدر من خلال أنظمة السجون لدينا. لا ينبغي أن يضطر المسجونون إلى مقابلة ملياردير خلف القضبان لكسب فرصة ثانية.

لم يكن من المخطط على وجه التحديد أن أشارك قصة شون مع الرئيس في مائدة مستديرة حول إصلاح العدالة الجنائية في 11 يناير/كانون الثاني 2018، ولكن عندما أكد المدعي العام الأمريكي جيف سيشنز أن جميع الناس في السجن لا يمكن إصلاحهم، لم أستطع إلا أن أفكر في شون.

قبل الاجتماع، أطلعت ترامب على جهودي لإصلاح العدالة الجنائية، وأعرب عن تشككه في الموضوع. كان رئيسًا ملتزمًا بالقانون والنظام، وكان الموضوع جديدًا عليه. أوضحت أن العديد من الزعماء المحافظين والإنجيليين يؤيدون الإصلاحات؛ لم تكن هذه مجرد قضية "ليبرالية"، كما كان يحب أن يمزح. سأل سارة ساندرز، المحافظة الحقيقية، عن رأيها. أخبرته أن هذه قضية عظيمة. كان والدها، مايك هاكابي، قد سن إصلاحات مماثلة عندما كان حاكمًا لولاية أركنساس ذات الأغلبية الحمراء، وكان قد شرع في إصلاحات مماثلة عندما كان حاكمًا لولاية أركنساس ذات الأغلبية الحمراء.

كانت الإصلاحات فعالة وشعبية. لكن هذا لم يكن الحل الذي اقترحه ترامب.من المتوقع أن نسمع.

في غرفة روزفلت، استقبل الرئيس مجموعة من كبار الشخصيات السياسية: بالإضافة إلى المدعي العام سيشينز، انضم إلينا العديد من المدافعين المحافظين عن إصلاح العدالة الجنائية - بما في ذلك حاكم ولاية كنتاكي مات بيفين، وحاكم ولاية كانساس سام براونباك، ورئيس اتحاد المحافظين الأمريكي مات شلاب، والمدير التنفيذي لشركة كوتش إندستريز مارك هولدن، ورئيسة مؤسسة السياسة العامة في تكساس بروك رولينز. في ذلك الوقت، كنت في صدد تجنيد رولينز لقيادة جهود إصلاح العدالة الجنائية في البيت الأبيض. لقد ساعدت في سن إصلاح ناجح في تكساس، لكنها كانت مترددة في القدوم إلى واشنطن لأنها كانت تعلم أن هذه الخطوة ستكون صعبة على أطفالها الأربعة في سن المدرسة. كان علي أن أقنعهم بشدة، مازحًا أنها لن تعمل ساعات أطول أبدًا، ولن تكسب أموالًا أقل، ولن تحظى بتقدير أقل في حياتها. لكن، مثلي، رأت رولينز التضحية كفرصة لمساعدة الناس على الحصول على فرصة حقيقية لتحقيق الحلم الأمريكي.

في بداية الاجتماع، ألقى الرئيس كلمة موجزة، أوضح فيها أنه سيكون صارمًا في التعامل مع الجريمة ولكنه يبحث عن طريقة لتزويد السجناء السابقين "بسلم من الفرص للمستقبل". بعد أن طرد ترامب الصحافة من الغرفة، بدأت المناقشة بتلخيص للحالة الحالية لنظام السجون في أمريكا. أوضحت أن الولايات المتحدة تشكل أقل من 5٪ من سكان العالم، لكن أنظمة السجون لدينا تضم ما يقرب من 25٪ من سجناء العالم.27 كان عدد سكان السجون الفيدرالية ينمو بمعدل ينذر بالخطر، حيث زاد بنحو 800٪ منذ عام 1980، وكان جزء كبير من هذا الاتجاه مدفوعًا بسجن مرتكبي جرائم المخدرات غير العنيفين من مجتمعات منخفضة الدخل.28 ذهب ما يقرب من 75٪ من المجرمين المفرج عنهم إلى ارتكاب جريمة جديدة، وانتهى الأمر بـ 25٪ إلى السجن مرة أخرى في غضون ثماني سنوات.29

لقد أصبحت مقتنعًا بأننا نستطيع أن نفعل ما هو أفضل. غالبًا ما يغادر السجناءإن هؤلاء السجناء يواجهون مشاكل صحية عقلية أو تعاطي مواد مخدرة لا يتم علاجها بشكل صحيح. ولزيادة تعقيد هذه التحديات، فإنهم غالبًا ما يفتقرون إلى المال ودعم الأسرة والمهارات التي يحتاجون إليها لعيش حياة مستقرة. كما أن سجلاتهم الجنائية تجعل من الصعب عليهم الحصول على عمل والتغلب على الصعوبات التي تواجههم. ولكن عندما يجدون وظائف ويبقون على وظائفهم، فإن احتمالات ارتكابهم لجرائم مستقبلية تكون أقل بكثير. وقد اتهم بعض أقوى حكام الولايات الحمراء في أمريكا، بما في ذلك ريك بيري وسام كراولي، بمحاولة استغلالهم لصالحهم.

كان براونباك وناثان ديل ومايك بنس قد أصلحوا سجونهم لتوفير علاج أكثر فعالية وتدريب على العمل. وفي كل حالة، أدت الإصلاحات إلى خفض معدلات العودة إلى الجريمة، وتحسين السلامة، وتوفير أموال دافعي الضرائب.

لقد تجولنا حول الغرفة، وقد قدم كل مشارك حقائق وقصص داعمة لصالح الإصلاح، باستثناء سيشينز، الذي عارض إصلاح العدالة الجنائية لسنوات. لقد قدم سيشينز حجة عاطفية لفرض أشد العقوبات.

ومع اقتراب الاجتماع من نهايته، قال صديقي القديم ريد كورديش، وهو أحد الحاضرين:"ومن بين كبار موظفي الرئيس ومطور عقارات سابق في بالتيمور، التفت إلى ترامب. "عندما ترشحت للرئاسة، وعدت بالقتال من أجل الرجال والنساء المنسيين في هذا البلد. حسنًا، لا يوجد أحد أكثر نسيانًا أو تمثيلاً من الرجال والنساء في السجون".

وقد أثار هذا الأمر استياء الرئيس ترامب، الذي قال: "لم أكن أتوقع أن يعجبني هذا. لكن هذا منطقي. إذا لم نساعد هؤلاء الناس، فمن الطبيعي أن يعودوا ويرتكبوا جرائم في المستقبل. دعونا نفعل ذلك - هذا هو الشيء الصحيح الذي ينبغي القيام به. لكن يجب أن نتعاون مع جيف للتأكد من أنه ليس متساهلاً مع الجريمة".

كان اجتماع غرفة روزفلت نقطة تحول في جهودي لإصلاح العدالة الجنائية. لقد حصلنا على موافقة الرئيس للمضي قدمًا، وكانت التغطية الصحفية رائعة. ذكرت شبكة سي بي إس: "يستضيف ترامب مناقشة حول إصلاح السجون والحد من العودة إلى الجريمة". وكتبت صحيفة يو إس إيه توداي: "ترامب يتناول إصلاح السجون: "يمكننا المساعدة في كسر هذه الحلقة المفرغة". حتى المعلقين الذين لم يحبوا الرئيس اعترفوا بأن هذا كانخطوة مفاجئة وإيجابية.

* * *

لقد كنت أعمل بهدوء على هذه القضية منذ فترة وجيزة بعد تولي منصبي،عندما تلقيت مكالمة من بات نولان، وهو زعيم جمهوري سابق في جمعية ولاية كاليفورنيا والذي قضى عقوبة لمدة عامين بتهمة الفساد. أثناء وجوده في السجن، التقى نولان بالواعظ الإنجيلي تشاك كولسون وقرر أنه يريد تكريس حياته لمساعدة السجناء على العيش بإحساس جديد بالهدف.

أثناء سجن والدي في عام 2005، اقترح أحد الأصدقاء أن
تعرفت على نولان. لذا سافرت أنا وأمي إلى واشنطن العاصمة وقابلناه

في غرفة مؤتمرات بالمطار، استقبلنا نولان بحرارة وسألنالقد كان من الرائع أن يبدأ نولان اجتماعنا بالصلاة. فبينما كان يصلي، روى لنا قصة من العهد القديم عن يوسف، الذي باعه إخوته للعبودية، ولكن الرب انتشله من العبودية ووضعه عن يمين فرعون ليساعد في توجيه مصر خلال المجاعة وإنقاذ أسرته من المجاعة. لقد استخدم الرب ما كان مقصودًا لشر يوسف لخيره. لقد ملأتني صلاة نولان بالأمل عندما كنت في أمس الحاجة إليه.

وبعد مرور عقد من الزمان، كنت جالساً على مكتبي في نهاية الردهة من المكتب البيضاوي، وكان نولان على الطرف الآخر من الخط. وقد طلب مني أن أساعد في إجراء الإصلاحات التي طال انتظارها لنظام العدالة الجنائية الفيدرالية والتي فشلت في إقرارها أثناء إدارة أوباما.

وبعد وقت قصير من محادثتي مع نولان، استدعاني السيناتور تشاك جراسلي، رئيس لجنة القضاء في مجلس الشيوخ، إلى مكتبه لحضور اجتماع بشأن هذه القضية. وكان جراسلي البالغ من العمر أربعة وثمانين عاماً يتمتع بطاقة شخص في نصف عمره. وفي البداية حيرتني طريقته في الحديث. فقد ظننت أنه يصرخ في وجهي إلى أن أدركت أن هذه هي طريقته في الحديث. وكان جراسلي محبوباً في ولاية آيوا مسقط رأسه، ولقد أمضى سبعة وعشرين عاماً متتالية دون أن يفوت صوتاً واحداً. ولكن جراسلي تمنى لو كان بوسعه أن يتراجع عن تصويت واحد على الأقل. ففي عام 1993 صوت لصالح مشروع قانون الجريمة الذي اقترحه بيل كلينتون. وكان أحد كبار صاغة هذا القانون في مجلس الشيوخ زميل جراسلي من ولاية ديلاوير، السيناتور جو بايدن. وكان هذا القانون سبباً في سجن أعداد كبيرة من الرجال السود بتهمة ارتكاب جرائم مخدرات غير عنيفة. وكان جراسلي عازماً على تصحيح هذا الظلم.

قدمني سيناتور ولاية أيوا إلى اثنين من زملائه في مجلس الشيوخ: مايكلقد كان لي، المحافظ الدستوري من ولاية يوتا، وديك دوربين، زعيم الحزب الديمقراطي وأحد الشخصيات البارزة في السياسة في ولاية إلينوي لأكثر من ثلاثة عقود. أوضح جراسلي أنهما كانا يحاولان لسنوات عديدة تمرير قانون إصلاح الأحكام والإصلاحات. لقد اقتربا في عام 2016، حيث تقدما بالتشريع من لجنة القضاء التابعة لجراسلي، لكن زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ ميتش ماكونيل أوقفه. عندما سألت لماذا منع ماكونيل التشريع من الوصول إلى التصويت، نظر كل منهما إلى الآخر بوعي. لقد نشر جيف سيشنز، الذي كان آنذاك عضوًا في مجلس الشيوخ من ألاباما، معلومات مضللة حول مشروع القانون واتهم مؤيديه الجمهوريين بـ "التساهل في التعامل مع الجريمة". لعدم رغبته في تقسيم المؤتمر الجمهوري، قام ماكونيل بإيقافه.

لقد رفض جراسلي ولي ودوربين تقديم مشروع القانون. لقد عرضوا عليّ ما أسموه طلبًا "بسيطًا": إقناع الرئيس بإخبار ماكونيل بتقديم مشروع القانون إلى مجلس النواب. ولكن لا شيء في واشنطن بهذه البساطة.

في البيت الأبيض، حددت موعداً لاجتماع مع فريقي للحصول على معلومات كاملة عن حالة مشروع القانون والأحكام التي تسببت في تعثره. وعادة ما يقود مجلس السياسة الداخلية في البيت الأبيض هذا التحليل، ولكن بعد اجتماع واحد، أوضحوا فيه أننا لن نتمكن أبداً من تمرير إصلاح العدالة الجنائية، أصبح من الواضح أن قيادته كانت متحالفة بشكل وثيق مع سيشينز.

ولكنني وجدت زميلاً ذكياً ودوداً في مكتب سكرتير الموظفين يُدعى نيك باترفيلد، وطلبت منه أن يبحث في تشريع جراسلي ويساعدني في فهم اعتراضات سيشينز. وأوضح لي باترفيلد أن الجزء المتعلق بإصلاح السجون من التشريع يحظى بدعم واسع النطاق. ويتضمن التشريع أحكاماً تهدف إلى الحد من معدلات العودة إلى الجريمة من خلال توفير التدريب المهني وإعادة التأهيل من المخدرات والبرامج القائمة على الإيمان للسجناء. ولكن الجزء المتعلق بإصلاح الأحكام يحتوي على العديد من الأحكام المثيرة للجدال. فقد عمل على تقصير مدة العقوبة، ومنح القضاة قدراً أعظم من السلطة التقديرية في إصدار الأحكام، ووسع نطاق الأهلية للإفراج المبكر. وقد تسبب مشروع القانون في انقسام الجمهوريين في مجلس الشيوخ لأن بعضهم اعتقد أن إصلاحات الأحكام من شأنها أن تطلق سراح المجرمين العنيفين مرة أخرى إلى المجتمع. وسواء كانت هذه المخاوف دقيقة أو عادلة أم لا، فسوف يتعين علينا أن نعالجها.

لقد أمضينا عدة أشهر في مراجعة الأحكام، والتشاور مع المدافعين والمشرعين، ووضع خطة جديدة اعتقدنا أنها قد تحشد ما يكفي من الأصوات. بعد إجراء مناقشة ثنائية الحزبية مع المشرعين في سبتمبر 2017، اجتمعت مع جارون سميث، عضو مجلس السياسة المحلية في البيت الأبيض الذي دعم الإصلاحات وسرعان ما أصبح حاسمًا لجهودنا. بصفته خريج جامعة هوارد وموظفًا قديمًا في الكابيتول هيل والذي عمل مع السيناتور تيم سكوت من ساوث كارولينا، كان لدى جارون علاقات قوية في الكابيتول. طلبت منه أن يكون الشخص الذي أشاركه في المفاوضات التشريعية.

وللمساعدة في بناء الدعم الشعبي لهذا الجهد، اتصلت بسام فايست، مدير شبكة سي إن إن.رئيس مكتب واشنطن، وسأل عما إذا كانت الشبكة تستطيع أن تأخذ استراحة قصيرة من تغطيتها المثيرة للأحداث في روسيا للتركيز على إصلاح العدالة الجنائية.

"أعلم أنك ستعتقد أنني مجنون لاقتراحي هذا"، قال فايست، "لكن هل ستكون منفتحًا على مقابلة فان جونز؟ إنه يكره ترامب وكان منتقدًا شرسًا للإدارة، لكنه رجل رائع، ولا أحد يهتم بهذه القضية أكثر منه. يجب أن تتحدث معه".

اعتقدت أنه كان يمزح. كان المعلق في شبكة سي إن إن فان جونز مسؤولاً رفيع المستوى سابقًا في البيت الأبيض في عهد أوباما ومعارضًا صريحًاكان ترامب قد تحدث عن أنني أخبرت رئيس شبكة سي إن إن جيف زوكر بضرورة إقالة فان جونز، وفي هذه الحالة كان التقرير صحيحًا. لكن فايست أصر على أن أتحدث معه، وكنت سعيدًا بتجربة أي شيء.

أجرينا أنا وفان جونز محادثة بناءة بشكل مدهش في اليوم التاليلقد كنت صريحاً بشأن الطريق الذي ينتظرني: كنت مجرد شخص واحد، ولم يكن الرئيس على استعداد بعد، لكنني كنت أستعد لتقديم الحقائق له ومحاولة الحصول على موافقته. بدا أن جونز يقدر صدقي وشغفي بالقضية. أخبرني أنه سيقتله أصدقاؤه وأنصاره الليبراليون بسبب عمله معنا، ولكن إذا كنت أعتقد أن هناك فرصة حقيقية للنجاح، فهو على استعداد لتحمل المخاطر. قال لي قبل أن ننهي مكالمتنا الأولى من بين العديد من المكالمات: "اعتمدني في الفريق". كنت ممتنًا لعرضه وأدركت أنني بحاجة إلى مساعدته.

كنت بحاجة إلى التغلب على فجوة الثقة بين الديمقراطيين والبيت الأبيض في عهد ترامب.

كان حكيم جيفريز، وهو عضو مؤثر في كتلة الكونجرس السوداء، أحد كبار المفاوضين الديمقراطيين في مجلس النواب. كنت أعرف جيفريز لفترة وجيزة من الوقت الذي قضيته في تطوير العقارات في بروكلين، لكننا لم نكن قد شكلنا بعد علاقة عمل قوية.

وافق جونز على التحدث مع جيفريز والديمقراطيين الآخرين ولقد قدم لي المشورة بشأن ديناميكياتهم الداخلية حتى أتمكن من معالجة مخاوفهم وتوقع أي مشاكل. كما ربطني بجيسيكا جاكسون، المؤسس المشارك لـ #cut50، وهي منظمة إصلاح العدالة الجنائية الخاصة به. لقد أصبح جاكسون أداة فعالة في جهودنا الحزبية.

بعد أن أعطانا ترامب الضوء الأخضر للعمل على إصلاح العدالة الجنائية، بدأت في التعامل بقوة مع المشرعين في الكونجرس لصياغة التشريع. وبمجرد أن بدأت في إحراز تقدم مع المحافظين، أرسل سيشينز خطابًا رسميًا إلى جراسلي يدين مشروع القانون الخاص به وأصدره في نفس الوقت للصحافة: "سيؤدي التشريع إلى تقليل العقوبات على مجموعة شديدة الخطورة من المجرمين". إذا تم تمريره في حالته الحالية

"إن أي تعبير رسمي عن آراء الإدارة بشأن التشريع يمر عادة عبر عملية مراجعة شاملة بين الوكالات. لكن سيشينز تجاهل العملية وأرسل خطابه مباشرة إلى جراسلي.

رد جراسلي، وهو شخصية مشهورة بألوانها الزاهية على تويتر، بحماس: "غضب من خطاب جلسات، محاولة لتقويض جراسلي/دوربين/لي إصلاح العدالة الجنائية بين الحزبين يستحق هذا المشروع دراسة متأنية من قبل لجنتي. "المدعون العامون ينفذون القوانين، والكونجرس يكتبها!"

{19}

سري للغاية

استدعاني إيلي إلى مكتبه، وأغلق الباب خلفنا، ولقد نقل لي بعض الأخبار السيئة. قال: "أحتاج إلى تخفيض مستوى تصريحك الأمني. سيكون ذلك مؤقتًا فقط، وسأتأكد من أنه لن يؤثر على قدرتك على أداء وظيفتك".

كان التاريخ يوم الاثنين الموافق 19 فبراير 2018. وكان الرئيس قد عاد مؤخرًا من رحلة ناجحة إلى المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس،في سويسرا، أعلن ترامب أن "أميركا مفتوحة للأعمال". وبدأ العديد من قادة الشركات في دافوس يرون أن سياسات ترامب تجعل الاقتصاد الأميركي موضع حسد العالم. وكان هؤلاء القادة أنفسهم متشككين في ترامب في البداية، بل وأشادوا بالرئيس الصيني شي جين بينغ باعتباره زعيم الاقتصاد العالمي. وفي أعقاب خطاب الرئيس، أشاد العديد من الرؤساء التنفيذيين لشركات فورتشن 100 علناً بالإدارة ـ وهو ما لم يشعروا بالارتياح للقيام به من قبل.

وعلى الرغم من التحقيقات والمعارك الداخلية خلال العام الأول من الإدارة، فقد بدأ البيت الأبيض في تكديس السياساتلقد حقق ترامب انتصارات كبيرة. فقد أقر بعض أكبر التخفيضات الضريبية في تاريخ أميركا. كما خفض القيود التنظيمية غير الضرورية والمرهقة على الشركات. وكان الاقتصاد الأميركي يضيف عددا قياسيا من الوظائف الجديدة ويوسع الفرص أمام الأميركيين السود واللاتينيين والآسيويين. كما عين ترامب عددا قياسيا من القضاة الفيدراليين الجدد، بما في ذلك قاضي في المحكمة العليا. وحتى كاتبة العمود في صحيفة وول ستريت جورنال بيجي نونان، التي تنتقد أسلوب ترامب بشكل حاد عادة، كتبت مقالا كان بمثابة نسختها من اللطف: "إنه مجنون... وهذا ينجح نوعا ما".

على المستوى الشخصي، هدأت الأخبار السلبية إلى حد كبير. بعد تعديل نهجي، وجدت طريقة للعمل داخل نظام كيلي، وكنت أحرز تقدماً في ملفاتي. لكن الزخم تبخر يوم الثلاثاء، 6 فبراير/شباط 2018، عندما نشرت صحيفة ديلي ميل الجزء الأول من قصة هيمنت على البيت الأبيض لمدة عشرة أيام تالية. زُعم أن سكرتير الموظفين روب بورتر، خريج جامعة هارفارد الأنيق وحاصل على منحة رودس، أساء معاملة زوجته السابقة. كان بورتر يدير كل تدفق الأوراق إلى الرئيس. جلب كيلي بورتر إلى دائرته الداخلية، ومنحه سلطة واسعة لإدارة عمليات السياسة عبر الحكومة الفيدرالية.

خلال اجتماع كبار الموظفين يوم الجمعة، ادعى كيلي أنه علم بمزاعم بورتر يوم الأربعاء - في نفس الوقت الذي علم به الجميع - وأنه طالب على الفور باستقالة بورتر. كان الأمر محيرًا، وترك الموظفين في حيرة. أصدر كيلي بيانًا قويًا للدفاع عن بورتر يوم الثلاثاء، لذا فهو كان على علم بالتأكيد بالمزاعم قبل يوم الأربعاء. الجميع يعرفون هذا. ما الغرض إذن من إخبار مثل هذه الكذبة الواضحة والصارخة للموظفين؟ أيا كان السبب، فإن خداعه تسبب في تساؤل عدد من كبار الموظفين عما كان يعرفه ومتى علم به. شعر العديد من أعضاء الموظفين بالخيانة بسبب أكاذيب كيلي وغضبوا لأنه فشل في التصرف بشأن أخبار بورتر في وقت سابق. أدت تصريحاته المتضاربة إلى زيادة التدقيق الإعلامي وإحباط الرئيس.

ومع ظهور تفاصيل إضافية، بدا من الواضح أن كيلي ومستشار البيت الأبيض دون ماكجان كانا على علم باتهامات الإساءة.كان من المقرر أن يتم الإفراج عنهما بعد عدة أشهر، عندما أشار إليهما مكتب التحقيقات الفيدرالي لمكتب أمن البيت الأبيض أثناء مراجعة بورتر الأمنية. كان بورتر يعمل بموجب تصريح سري للغاية مؤقت - تصريح مؤقت يُمنح لمسؤولين رفيعي المستوى بعد فحص أولي للخلفية حتى يتمكنوا من أداء واجباتهم بينما يجري مكتب التحقيقات الفيدرالي فحصًا أكثر شمولاً للخلفية. في ذلك الوقت، كانت عملية مكتب التحقيقات الفيدرالي متراكمة للغاية لدرجة أن عمليات التحقق من الخلفية كانت تستغرق أكثر من عام لإكمالها. بعد نشر قصة ديلي ميل، طرح المراسلون أسئلة متوقعة. متى بالضبط علم كيلي وماكجان بالاتهامات؟ لماذا سمحوا لبورتر بمواصلة الخدمة في مثل هذا المنصب الحساس؟

هل يتغلب على مخاوف مكتب التحقيقات الفيدرالي بشأن طلبه بالموافقة؟ تزايدت التكهنات حول أمن كيلي الوظيفي، وبدأت مجموعة من الناس تطالب باستقالته. نشرت صحيفة نيويورك تايمز قصة: "يقول كيلي إنه"مستعد للاستقالة في ظل فضيحة الاعتداء الجنسي التي تهز البيت الأبيض". كيلي بقوةوقد نفى هذا الادعاء، لكنه انحدر إلى أدنى نقطة له كرئيس للأركان.

ولكن ما حدث بعد ذلك كان بمثابة الدليل الأول على كيفية تجنب اللوم في فضيحة ما. ففي يوم الجمعة السادس عشر من فبراير/شباط، أي بعد عشرة أيام من اندلاع الفضيحة، بدأ المكتب الصحفي للبيت الأبيض يتلقى طوفاناً من المكالمات من وسائل الإعلام تطلب التعليق على سياسة كيلي الجديدة الخاصة بالموافقات الأمنية وما إذا كان سيتم تخفيض مستوى موافقتي الأمنية. وقد فاجأني هذا الأمر. فلم أكن أعلم أن كيلي أصدر سياسة جديدة، ولم يخبرني أحد بأن مستوى موافقتي الأمنية سوف ينخفض. سرعان ما علمت أنه في وقت سابق من ذلك اليوم، أرسل كيلي مذكرة خاصة إلى ماكجان، يوجهه فيها إلى النظر في عدد من التغييرات "لتحسين" عملية التصريح الأمني، بما في ذلك إجراء لوقف التصاريح المؤقتة على مستوى سري للغاية ومستوى SCI - وهو تصريح أعلى مستوى يمنح الوصول إلى "معلومات مقسمة حساسة" - للأفراد الذين كانت عمليات التحقق من خلفياتهم معلقة منذ 1 يونيو 2017. في ذلك الوقت، كانت عملية مكتب التحقيقات الفيدرالي متراكمة للغاية لدرجة أن التصاريح كانت تستغرق أكثر من عام لإكمالها. كنت من بين أكثر من مائة موظف في البيت الأبيض حصلوا على تصريح مؤقت بينما أجرى مكتب التحقيقات الفيدرالي فحصًا أكثر شمولاً للخلفية.

في غضون ساعات، كانت مذكرة كيلي "الخاصة" متداولة علناً، وانتهت فترة غيابي القصيرة عن دائرة الضوء. ورغم أنني تعلمت الكثير عن التعامل مع العواصف الإعلامية الناجمة عن التطورات القانونية المفاجئة، فقد شعرت بعدم الارتياح. وبينما كنت أقرأ القصص، خطر ببالي أن كيلي كان يحاول تحويل الانتباه بعيداً عن إدارته السيئة للفضيحة وإعادة توجيهه نحوي. كانت كل قصة تقريباً تدفع برواية مفادها أن كيلي تولى زمام الأمور، وباستخدام يد عادلة ونزيهة، كان يصلح عملية الحصول على التصريح الأمني المكسورة. ورغم أن سياسة كيلي الجديدة أثرت على العديد من موظفي البيت الأبيض، فإن هذه القصص حملت صورتي حتماً في المقدمة وتكهنت بما إذا كان سيُسمح لي بالاحتفاظ بتصريحي السري للغاية. وكان بانون ليفخر بالطريقة التي استخدمني بها كيلي كخصم.

عندما استدعاني كيلي أخيراً إلى مكتبه في التاسع عشر من فبراير/شباط وأعلن أنه سيسحب تصريحي، اعترضت قائلاً: "سيدي الجنرال، لم أرتكب أي خطأ. إنني أتعرض لهجوم شديد في الصحافة بسبب شيء لا علاقة لي به. لماذا أتعرض لعقوبة لأنك وضعت سياسة تعسفية بتاريخ تعسفي لا مبرر له إلا لأن مكتب التحقيقات الفيدرالي بطيء؟".

وأصر كيلي قائلاً: "لقد ورثت فوضى هنا في البيت الأبيض، ولا يمكن أن نتحمل موقفًا آخر مثل روب بورتر".

"لديهأثار مكتب التحقيقات الفيدرالي أي مخاوف أو علامات حمراء بشأن تصريحي، مثل

"هل فعلوا ذلك مع روب؟" سألت."لا" أجاب كيلي.

"ثم لماذا تفعل هذا بي؟"

حدقت كيلي في وجهي بنظرة فارغة، وكأنها تشير إلى أن حقائق حياتي ليست واضحة.

القضية لم تكنموضوع.

كان تخفيض كيلي لتصريحي الأمني مهينًا، لكننيفي الواقع، لم أكن لأسمح لسلطته بهزيمتي. ذكّرتني إيفانكا بالنصيحة التي تلقيناها من أحد أفضل الساسة الذين التقينا بهم: رئيس الوزراء الياباني الأطول خدمة، شينزو آبي. في عشاء في اليابان، قال لإيفانكا: في أسوأ أيامك، ارتدِ أفضل بدلة لديك، وامشِ ورأسك مرفوعة، ولا تظهر أي ضعف، واعتقد أن شيئًا لم يتغير. في أعقاب تخفيض التصريح، اتبعت نصيحة آبي وقررت العمل بجدية أكبر. نظرًا لأنني لم أعد أُجرَّ إلى اجتماعات سرية، فقد كان لدي ساعات إضافية من الوقت. بدأت أدرك أنني أستطيع إنجاز المزيد من خلال عدم المشاركة في كل قرار. عندما سألني الرئيس عن أجزاء من الاستخبارات لم أرها، حاولت توجيهه إلى مستشاره للأمن القومي، هربرت ماكماستر. لاستعارة مفهوم من مقال الفيلسوف إشعياء برلين الشهير "القنفذ والثعلب"، أصبحت أقل ثعلبًا يعرف الكثير من الأشياء جيدًا نسبيًا، وأكثر من قنفذ يعرف القليل من الأشياء جيدًا. مع الوقت الذي اكتسبته حديثًا، تعمقت في ملفاتي السياسية الثلاثة: إصلاح العدالة الجنائية، والسلام في الشرق الأوسط، والعلاقات المتوترة بين أميركا والعالم.

مع المكسيك.

* * *

في أبريل/نيسان 2017، أصدر ترامب تعليماته لي ولعدة أشخاص آخرين بإعداد وثائق لإنهاء اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية التي تبلغ قيمتها 1.3 تريليون دولار. كنت أعلم أن ترامب كان متلهفاً لإصلاح سياسات التجارة الأميركية المكسورة، لكنني تساءلت عما إذا كان يريد حقاً خوض هذه المجازفة الضخمة، أو ما إذا كان يحاول تحفيز فريقه التفاوضي على العمل بشكل أسرع. نصحت أنا وجاري كوهن الرئيس بأن إنهاء اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية سيكون سابقاً لأوانه؛ فقد كانت محادثاتنا مع المكسيكيين مثمرة. فضلاً عن ذلك، لم تكن لدينا خطة بديلة جاهزة. وقد تكون التكاليف الاقتصادية المترتبة على إلغاء الاتفاقية كارثية. لم يتخذ ترامب قراراً نهائياً، لكنه أراد منا صياغة أمر تنفيذي على الفور. كان مستشار البيت الأبيض التجاري بيتر نافارو يعتقد اعتقاداً راسخاً أن إلغاء اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية سيكون انتصاراً سياسياً، وانقض على توجيه الرئيس بإعداد وثائق لإنهاء الاتفاقية. وليس من قبيل المصادفة أن تسرب طلب الرئيس إلى بوليتيكو، مما وضع ضغوطاً عامة على ترامب للمضي قدماً.

لقد رأى وزير الخارجية المكسيكي لويس فيديجاراي المقال واتصل بي وقال لي: "هذه معركة سوف تقتل فيها المكسيك، ولكن الولايات المتحدة سوف تقتلها".وحذر قائلا "سوف أفقد ساقي وعينًا".
أخبرته أنني أعمل على إيجاد حل.

"نحن لا نحرك المكسيك ولا نحرك الولايات المتحدة، لذا أعتقد أنه يتعين علينا أن نتوصل إلى حل لهذه المشكلة"، قلت مازحا. لم يكن لويس الشخص الوحيد الذي فوجئ بقصة بوليتيكو. وزير الخزانة ستيفن منوشين، وزير الخزانةكان وزير التجارة ويلبر روس ووزير الزراعة سوني بيردو منزعجين بنفس القدر. أرادا تقديم مجموعة من الخيارات للرئيس من شأنها أن تحد من نقل الوظائف الصناعية الأمريكية إلى المكسيك، لكنهما لم يصلا إلى إنهاء اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية. بعد تسريب التقرير، مر بيردو وكوهن بمكتبي في طريقهما إلى اجتماع تجاري أسبوعي مع موظفي البيت الأبيض. قدم بيردو قضية عاطفية ضد الانسحاب من اتفاقية التجارة. وأوضح أنه في عام 2016 وحده، قام المزارعون الأمريكيون بتصدير ما يقرب من 40 مليار دولار من البضائع إلى المكسيك وكندا. ورفع خريطة كبيرة الحجم للولايات المتحدة أظهرت جميع المقاطعات في جميع أنحاء أمريكا التي ستتأثر سلبًا بإنهاء اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية. كان العديد من المزارعين يعملون بهامش ربح ضئيل للغاية أثناء إدارة أوباما، وأي اضطراب مفاجئ في السوق قد يؤدي إلى خروجهم من العمل.

كان الرئيس يستحق أن يسمع من بيردو مباشرة، لذلك طلبت منه أن يتخطى اجتماع التجارة وأحضرته إلى المكتب البيضاوي، حيث قدم السكرتير نفس العرض. وجد ترامب مخطط بيردو مقنعًا للغاية لدرجة أنه قام لاحقًا بتكبيره في ملصق احتفظ به في غرفة الطعام الخاصة به لبقية فترة ولايته. أراد الرئيس حماية المزارعين، لكنه لم يكن على استعداد للسماح لكندا والمكسيك بخداعه مثل أي سياسي عادي. لقد دفعه التسريب إلى بوليتيكو إلى الزاوية - أي شيء أقل من أمر الانسحاب سيبدو ضعيفًا ومترددًا.

وعندما شعرت بأن ترامب يبحث عن حل، اقترحت خطة عمل قصيرة الأجل: "ماذا لو اتصلت بالرئيس بينيا نييتو ورئيس الوزراء ترودو الآن وطلبا منكم عدم إلغاء اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية، ثم يمكنكم إصدار بيان تقولون فيه إنكم ستمنحونهم الوقت للتفاوض. وسوف يشعرون بالالتزام بالمتابعة بحسن نية إذا أظهرتم لهم حسن النية بعدم إنهاء الاتفاقية". ووافق ترامب.

اتصلت بنظرائي في كل حكومة وشرحت لهم الديناميكيات، وفي غضون خمسة عشر دقيقة اتصل كل من بينيا نييتو وترودو بالرئيس وحثاه على عدم إنهاء المفاوضات، ووعداه بتسريع المفاوضات إذا أرجأ ذلك. هدأت الأزمة المباشرة، وبدأت في العودة سيرًا على الأقدام إلى مكتبي عندما خطر ببالي أن اجتماع التجارة المنتظم ربما لا يزال مستمراً. فتحت باب غرفة روزفلت وألقيت نظرة حول الغرفة الممتلئة بكبار الموظفين ومسؤولي مجلس الوزراء. لم يكن هناك مقعد فارغ.

"هل ما زال هذا هو اجتماع اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية؟" سألت. "لقد تحدثنا للتو مع الرئيس. الانسحاب قد انتهى الآن. إنه يمنحنا فرصة قصيرة لإبرام صفقة".

وبعد مرور ما يقرب من عام على تلك المناقشة، استقرت علاقة ترامب مع بينيا نييتو، وما زلنا أنا ولويس نعمل خلف الكواليس لتحسين العلاقات بين الولايات المتحدة والمكسيك. لقد قمنا بتنسيق السياسات بين حكومتينا بشأن أكثر من اثنتي عشرة مصلحة مشتركة، بما في ذلك معالجة الهجرة غير الشرعية والحد من تدفق الأسلحة غير المشروعة والمخدرات والأموال عبر الحدود. كنا نعتقد أن الوقت قد حان لجمع رئيسي الدولتين معًا في أول اجتماع لهما في البيت الأبيض.

قبل أن نتمكن من الإعلان عن الزيارة، والتي ستكون حدثا سياسيا مهما،

في 20 فبراير/شباط 2018، خططنا لحدث كبير للزعيمين، حيث قمنا بترتيب اتصال هاتفي بينهما. ورتبت أنا ولويس لإجراء مكالمة هاتفية. وسرعان ما تصاعدت حدة المحادثة عندما أثار بينيا نييتو مسألة ما سيقوله الزعيمان عن من سيدفع ثمن الجدار الحدودي - وهو نفس السؤال الذي تسبب في مثل هذا الجدل خلال زيارة ترامب للمكسيك في حملة عام 2016. أراد بينيا نييتو أن يعلن ترامب أنه تخلى عن مطالبه بأن تدفع المكسيك ثمن الجدار. لم يوافق ترامب على هذا، لكنه عرض أن يقول إنهم ما زالوا يعملون على حل قضية الدفع، وأن المكسيك لم توافق على أي شيء. لم يكن هذا كافياً بالنسبة لبينيا نييتو، وبعد مكالمة هاتفية استمرت خمسين دقيقة، تم إلغاء زيارته للبيت الأبيض للمرة الثانية.

لقد هدد الافتقار إلى الكيمياء بين الزعيمين الآن بإحباط جهودنا لإعادة التفاوض على اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية. وكحل أخير، قررت أنني بحاجة إلى الجلوس مع بينيا نييتو وجهاً لوجه وشرح الظروف المروعة. وإذا لم يبدأ في التفاوض بحسن نية، فإن العلاقة بين الولايات المتحدة والمكسيك سوف تنهار.سوف يتجه نحو الهاوية.

في السابع من مارس/آذار 2018، سافرت إلى المكسيك برفقة مديرة وزارة الخارجية الأميركية لشؤون نصف الكرة الغربي كيم بريير وعدة مسؤولين آخرين. وكان لويس قد نبهني إلى حقيقة مفادها أن أعضاء مؤثرين في فريق بينيا نييتو أصبحوا مترددين بشأن المضي قدما في مفاوضات التجارة. وكان الرئيس المكسيكي في العام الأخير من ولايته، حيث تقترب الانتخابات في يوليو/تموز. ولم يروا فائدة في تحمل المخاطر السياسية. وإذا ما أطالوا المناقشات لبضعة أشهر أخرى، فلن تكون مشكلتهم بعد الآن، ويمكن للجميع المضي قدما. وبينما كان بينيا نييتو يفكر في التفاوض أو إضاعة الوقت، كنت مستعدا لإيصال رسالة بسيطة: لا يوجد مسار مريح هنا. وإذا كانوا يريدون نتيجة جيدة، فعليهم أن يثقوا بي وأن يتوصلوا إلى اتفاق قريبا.

ونظراً للمشاكل التي واجهتها في واشنطن، ربما كان بينيا نييتو ليتجاهلني، لذا فوجئت باستقباله الحار: "جاريد، قبل أن تقول أي شيء، أود أن أشكرك. لقد كنت مسؤولاً عن هذه العلاقة بمفردك".

بلغت المناقشات بين فرقنا ذروتها بغداء صغير لمدة ثلاث ساعات مع بينيا نييتو في لوس بينوس، المقر الرسمي للرئيس.

الرئيس المكسيكي. أجرينا مناقشة ودية ولكن مكثفة، وقد تحدثت مع الرئيس المكسيكي.حُجتي من أجل الشروع في مفاوضات جادة.

"قلت إن عدم القيام بأي شيء هو قرار، فلماذا لا نستطيع إنجاز هذا الأمر الآن؟ إذا لم نحاول، فمن المرجح أن يلغي الرئيس ترامب الاتفاق، وهو ما من شأنه أن يلحق الضرر باقتصادنا".

"ماذا عن كندا؟" وزير الاقتصاد المكسيكي، إلديفونسو

سأل غواخاردو فياريال.

"لا نعتقد أنهم يريدون إبرام صفقة الآن"، أوضحت، "وهم يماطلون في التعامل مع العديد من القضايا. تبلغ قيمة التجارة بين المكسيك والولايات المتحدة سنويًا 500 مليار دولار، و30 مليار دولار فقط مع كندا. من المنطقي ماليًا أن تتوصل المكسيك إلى اتفاق معنا أولاً. يحترم كل من الجانبين ويفهم الآخر، وإذا بذلنا قصارى جهدنا، يمكننا التوصل إلى اتفاق - فلننهي الأمر. ثم سنعرض على كندا القدرة على إجراء تعديلات محدودة والانضمام. إنها ليست الطريقة الأكثر أناقة للقيام بذلك، لكنها الطريقة الوحيدة التي أستطيع رؤيتها، بالنظر إلى مجال اللعب ". إذا أعلنت الولايات المتحدة والمكسيك عن اتفاق للمضي قدمًا مع كندا أو بدونها، فسيضع ذلك ضغوطًا كبيرة على ترودو، الذي هدد علنًا بالتخلي عن محادثات التجارة.

نظر إليّ بينيا نييتو بدفء، وأومأ برأسه، وأشار إلى أحد الموظفين ليحضر له مجموعة من أكواب التكيلا. وقال: "إنها الخامسة مساءً في مكان ما". ثم ألقى نخبًا، وشربنا جميعًا المشروب.

* * *

عندما عدت إلى واشنطن، كنت متلهفاً إلى أن ينهي مكتب التحقيقات الفيدرالية إجراءات ترخيصي - ولكنني شعرت على نحو متزايد بأنني وقعت في فخ رواية لفرانز كافكا، ضحية لبيروقراطية غريبة وغامضة وغير عقلانية. ولم أكن أعرف ما إذا كانت هناك أي مخاوف من هذا القبيل. ولم أكن أعرف أي شيء عن عملية كيلي. ولم يكن لدي قاض أو هيئة محلفين أو منتدى للإجراءات القانونية الواجبة.

وعندما قمت بزيارة نادرة لمكتب كيلي لمعرفة ما إذا كان لديه تحديث، قال إن مكتب التحقيقات الفيدرالي قد أكمل عمليته، وأن ملفي الآن في عهدة رئيس مكتب أمن الموظفين في البيت الأبيض، كارل كلاين، وهو محترف محترم لديه أكثر من أربعين عاما من الخدمة العسكرية والمدنية.

كان كلاين هو الشخص الذي جاء إلى مكتبي لتوقيعي على أوراق عندما تم تخفيض درجتي. وعندما سلمني كلاين الوثائق، قال: "انظر، جاريد، سأكون صادقًا. لا أرى أي مشاكل. هناك تكهنات إعلامية حول الكثير من الأشياء، لقد اتُهمت بالكثير من الأشياء، لكن لم نرَ شيئًا يجعلني أعتقد أنني لن أقرأ لك مرة أخرى قريبًا جدًا في مكتبك".

سري للغاية/موافقة على SCI."

وبعد عدة أسابيع، اتصل بي كيلي وطلب مني الحضور إلى مكتبه.

"لدي أخبار جيدة لك"، قال. "لقد تم الحكم على ملفك الأمني بشكل إيجابي. تمت مراجعته من قبل شخصين على المستويات الأدنى، ثم تمت ترقيته إلى كارل. بدون أي تأثير، قال كارل أنك مؤهل للحصول على تصريح سري للغاية".

لقد شعرت بالارتياح. أخبرني كيلي أنه من المفترض أن أتلقى بريدًا إلكترونيًا خلال الأسبوع لإعادة ترخيصي. ثم مرت عشرة أيام دون أن أتلقى بريدًا إلكترونيًا. اتصل بي كيلي في النهاية إلى مكتبه وقال إنه قلق بشأنكيف سيبدو الأمر إذا حصلت على تصريح إصابة الحبل الشوكي مرة أخرى.

"إذا كانت هناك قضية مفتوحة أو أي مخاوف أمنية، فيمكنهم إجراء مقابلة أخرى معي"، قلت. "أنا أعرف حياتي الشخصية. ليس لدي أي شيء يقلقنيحول. هل هناك شيء آخر يجب أن أفعله أو شخص يجب أن أتحدث معه؟

لقد رفض عرضي بسرعة. "لا، ليست هناك حاجة لذلك. دعنيفكر في كيفية إدارة هذا الأمر.

لقد سئمت من ذلك، فقلت له: "لقد أخبرتني أنني حصلت على تصريحي السري للغاية من خلال المسار الطبيعي. هل هذا صحيح؟" فأجابني كيلي: "نعم".

"لقد قلت أنهم سيعيدون تشغيله، لذا إذا كنت تخبرني بأنك لا تملك رؤية واضحة بشأن توقيت إصابة الحبل الشوكي أو أي شيء آخر يؤخرها، فلماذا لا نواصل العمل على التصريح السري للغاية؟"

وافق على ذلك. وفي الثالث والعشرين من مايو/أيار، كان من المقرر أن يعيد مكتب الأمن تصريحي. لكن كيلي كان لا يزال يلعب بالألعاب. فقد قال في وقت سابق إن السكرتيرة الصحفية للبيت الأبيض سارة ساندرز يجب أن تعطيني تصريحا شخصيا.ولكن في صباح ذلك اليوم، أخبرها أن تسافر مع الرئيس لحضور حدث في لونغ آيلاند، نيويورك. وعندما قالت إنها لا تحتاج إلى الذهاب إلى هناك، أمرها كيلي: "أنت ذاهبة، ولا يمكنك التحدث إلى الصحافة بشأن تصريح جاريد".

في أثناء،أصدر محاميي آبي لوييل بيانًا خارج السجل

لقد كان كيلي قد اقترح في البداية أن يخبر الصحافة بذلك بعد أن تلقت الصحافة معلومات عن الخلفية من سارة. وقد انتشرت القصة في نيويورك تايمز"جاريد كوشنر يحصل على تصريح أمني، منهيًا دوامة من الأسئلة حول التأخير". لاحقًا، أخبرني القائم بأعمال مدير الاستخبارات الوطنية آنذاك ريك جرينيل، ومديرة وكالة المخابرات المركزية جينا هاسبيل، ومستشار الأمن القومي روبرت أوبراين أنه لا توجد مخاوف أو مخاطر أمنية مع ملفاتي.

كان استعادة تصريحي لحظة أعظم مما كنت أتوقع. فقد أصبح بمثابة تبرئة علنية ضد الادعاءات الكاذبة بأنني تواطأت مع روسيا، وتوضيح قصة لم يكن ينبغي لها أن توجد في المقام الأول. وبينما خرجت من سلسلة الأحداث المؤسفة، فكرت في ما يمكنني فعله بشكل مختلف لتجنب الوقوع في مرمى التحقيقات في المستقبل.

وأدركت أن أفضل طريقة لتقليص الهدف الذي أستهدفه هو تحقيق النتائج. ومنذ تلك النقطة فصاعدًا، كان هدفي هو تجنب المعارك الداخلية، والتمسك بملفاتي، والتركيز على التغييرات السياسية التي من شأنها أن تترك تأثيرًا دائمًا.

{20}

ثمن السلام

"لقد حان الوقت لإقالة ريكس، أنا مستعد لإجراء التغيير"، قال الرئيس.

"قالت إيفانكا عبر الهاتف في صباح أحد الأيام في أوائل شهر مارس 2018.

كنا نعلم أن الأمر مجرد مسألة وقت. فقد كان تيلرسون في موقف حرج لفترة من أنا الوقت. وكان ترامب على وشك إقالته قبل أسبوع،

لكن العديد من أعضاء الفريق أقنعوه بالانتظار لأن دورة الأخباركانت إيجابية بشكل غير عادي. لم يرغبوا في إفساد التغطية الصحفية الجيدة دون داع.

في حين دخل تيلرسون الإدارة بتوقعات عالية، كانت فترة ولايته فاشلة بكل المقاييس. في صيف عام 2017، ظهرت تقارير من اجتماع على مستوى مجلس الوزراء في البنتاغون تفيد بأن تيلرسون وصف الرئيس بأنه "أحمق". بعد فترة وجيزة، أخبر تيلرسون الصحافة أنه فتح حوارًا مع مكتب الشؤون الخارجية في كوريا الشمالية، لكن رسالته الضعيفة كانت غير متزامنة مع الرئيس، الذي أراد استخدام نبرة مختلفة لإعداد المسرح للمفاوضات مع الدكتاتور الشاب المتهور في كوريا الشمالية، كيم جونج أون. في تغريدة مهينة، سحب ترامب تيلرسون من الملف: "أخبرت ريكس تيلرسون، وزير خارجيتنا الرائع، أنه يضيع وقته في محاولة التفاوض مع رجل الصواريخ الصغير ... وفر طاقتك ريكس، سنفعل ما يجب القيام به!"

لقد كشف هذا التبادل للعالم عن شيء كنا نعرفه بالفعلداخليا: لم يكن الرئيس ووزير خارجيته على نفس الصفحة. مثل هذا التوبيخ العلني من الرئيس أثار الشكوك بين نظراء تيلرسون الأجانب حول ما إذا كان لديه نفوذ لدى الرئيس، مما جعله عديم الفائدة فعليا في دوره كأعلى وزير خارجية في البلاد.

ولكن تيلرسون لم يكتف بإصلاح العلاقة مع الولايات المتحدة، بل أصبح مستاءً.وبدأنا نسمع أنه كان يقوض ترامب بشكل علني مع الزعماء الأجانب.

في أوائل عام 2018، كنت أجتمع بالرئيس في المكتب البيضاوي عندما دخل كاسيدي وأخبرني أن تيلرسون على الهاتف ويريد التحدث معي على الفور. اعتذرت وتلقيت مكالمة الوزير. كان على متن طائرة متجهة إلى مكسيكو سيتي، وكان موظفوه يطلعونه على حزمة من خمسة وعشرين اتفاقية أصغر كنا قد أنهينا التفاوض عليها تقريبًا، والتي تغطي مجموعة من القضايا التي تؤثر على العلاقات بين الولايات المتحدة والمكسيك، من الهجرة إلى المخدرات والاتجار بالأسلحة إلى صادرات الطاقة.
"ما الذي يدور حول كل هذه الصفقات مع المكسيك؟" تساءل. "من الذي
هل أعطيتكم تفويضًا للتفاوض على كل هذه الاتفاقيات؟

"لقد عملت مع كيم بريير على هذه الأهداف لعدة أشهر"، قلت، في إشارة إلى مديرة شؤون نصف الكرة الغربي بوزارة الخارجية. "لقد كان فريقك معنا في كل خطوة على الطريق. لقد أحرزنا تقدماً أكبر في عام واحد مقارنة بالسنوات العشر السابقة. أي من هذه الإنجازات لا يعجبك؟"

وأنهى تيلرسون المكالمة بغضب. وعلمت لاحقًا من لويس أنه بعد اجتماع ثنائي، سحبه تيلرسون جانبًا وبدأ في إلقاء خطاب غاضب.واتهم لويس بارتكاب خطأ استراتيجي من خلال العمل معي في البيت الأبيض بدلاً من شخص ما في وزارة الخارجية.

لا بد أن تيلرسون كان يعلم أن خطابه سوف يعود إلىلقد كان يشعل النار في نفسه، وإذا كانت هذه هي استراتيجيته المتعمدة، فقد نجحت. ومن خلال ما أستطيع أن أقوله، فقد أوضح قطب النفط السابق أنه لم يعد مهتماً بتمثيل أجندة السياسة الخارجية للرئيس بأمانة.

لقد سأل ترامب إيفانكا عمن تعتقد أنه يجب أن يحل محل تيلرسون، وأوصت بقوة بمايك بومبيو. كانت هذه غريزة ترامب أيضًا. في الأسابيع الأخيرة، كان يسأل دائرته الداخلية عن رأيهم في نقل مدير وكالة المخابرات المركزية إلى وزارة الخارجية. وفقًا لجميع الروايات، كان بومبيو هو الشخص المثالي. لم يكن لديه مؤهلات ممتازة فحسب، بل كان يشارك ترامب أيضًا وجهات نظره في السياسة الخارجية، ويفهم حس الفكاهة لديه، ولم يحاول سرقة الأضواء.

بعد فترة وجيزة من تنصيب الرئيس، دعاني بومبيو إلى مقر وكالة المخابرات المركزية لزيارته، وأضاف: "أنت مستخدم قوي لموادنا". كان يشير إلى إحاطاتي المنتظمة في غرفة العمليات مع محللي وكالة المخابرات المركزية، الذين كانوا يساعدونني في التعرف على الشرق الأوسط. التقيت بالعديد من كبار موظفي وكالة المخابرات المركزية. سألتهم عما إذا كان هناك أي فرق ملحوظ بين إدارتنا والإدارة السابقة. قالوا إنه في الإدارة السابقة كان كل إنفاق أو إجراء تقريبًا، حتى شراء دراجة نارية لعميل لإخفاء الغطاء، يحتاج إلى موافقة البيت الأبيض. على النقيض من ذلك، فوض ترامب المزيد من السلطة إلى بومبيو، الذي فوضها بدوره إلى رؤساء محطاته، مما مكنهم من أداء وظائفهم. أوضحوا أنهم لا يتفقون دائمًا مع توجيهات ترامب، لكنهم يقدرون حزمه. انتهت معظم اجتماعات السياسة رفيعة المستوى في عهد إدارة أوباما بقرار الاجتماع مرة أخرى في غضون أسبوعين لمناقشة القضية بشكل أكبر. لقد عقدت إدارتنا عددا أقل من الاجتماعات، وكانت الاجتماعات التي عقدت تسهل إجراء مناقشات قوية وتنتهي بقرارات توفر اتجاها واضحا. لقد أعجبت بذلك. لقد مكن بومبيو الموظفين من القيام بمهامهم، مما أدى إلى تعزيز الروح المعنوية داخل وكالة الاستخبارات المركزية - على عكس نهج تيلرسون الانعزالي في وزارة الخارجية.

في صباح الثالث عشر من مارس/آذار 2018، عرض ترامب على بومبيو المنصب، فقبله على الفور. وعندما ناقشا استبداله في وكالة الاستخبارات المركزية، دافع بومبيو عن جينا هاسبيل، نائبته الموهوبة والعنيدة، التي شقت طريقها عبر الرتب خلال مسيرتها المهنية التي استمرت ثلاثين عاما في الوكالة. ووافق ترامب على ترقية هاسبيل. وفي ذلك الصباح، أعلن عن التغيير في تغريدة: "سيصبح مايك بومبيو، مدير وكالة الاستخبارات المركزية، وزير خارجيتنا الجديد. وسوف يقوم بعمل رائع! شكرا لريكس تيلرسون على خدمته! ستصبح جينا هاسبيل المديرة الجديدة لوكالة الاستخبارات المركزية، وأول امرأة يتم اختيارها. تهانينا للجميع!"

لقد شعرت بالصدمة وتخيلت أنني ربما كنت أعلم بالقرار قبل أن يعلمه هو، فسألني كيلي: "هل تعلم ماذا حدث؟"، فأجابني في ذهول: "لقد اعتقدت أن تيلرسون يقوم بعمل رائع، وأن مجلس الوزراء بأكمله يحبه".

كان من الواضح أن كيلي كان منزعجًا من إقالة الرئيس

كان تيلرسون ـ أحد كبار أعضاء مجلس الوزراء وحليف كيلي المقرب ـ قد استقال من منصبه دون استشارته. ومنذ ذلك اليوم فصاعداً، أصبح كيلي أكثر انعداماً للثقة في موقفه.

وفي وقت لاحق، تحدث كيلي مع الصحفيين بشكل غير رسمي. وفي محاولة واضحةكان تيلرسون ودودًا للغاية، فقد أعطاهم ثرثرة ملونة وسخيفة لدرجة أنه كان من المؤكد أن تتسرب: أثناء رحلته عبر إفريقيا، كان تيلرسون يتعامل مع نوبة "انتقام مونتيزوما" وكان في المرحاض عندما اتصل به كيلي وأخبره أنه سيُطرد. لقد خرق العديد من أعضاء الصحافة قانونًا راسخًا للصحافة وأعطوا هذه القطعة النقدية التي لا تقاوم والتي لا يمكن نشرها لمراسل آخر، لم يكن في الغرفة وبالتالي غير ملزم بالبروتوكول ضد الكشف عن المعلومات خارج السجل. لم يكن ينبغي لهؤلاء المراسلين مشاركة القصة أبدًا، ولكن الأهم من ذلك، كان ينبغي لكيلي أن يعرف أفضل. لم يحقق إعطاء هذه التفاصيل المحرجة للمراسلين شيئًا سوى إذلال وزير الخارجية المنتهية ولايته، صديق كيلي المفترض. بالنسبة لشخص اعتبر نفسه الشخص البالغ في الغرفة، كان ذلك بمثابة خيانة صبيانية. كان من الصعب نسيان صورة رجل النفط القوي في تكساس الذي تلقى المكالمة وهو يعاني في المرحاض. لقد جسدت عملية الإقالة غير الرسمية التي قام بها تيلرسون أحد مبادئ صن تزو: "إن فرصة هزيمة العدو يوفرها العدو نفسه". لقد أطاح تيلرسون بنفسه من الحكومة.

* * *

في بومبيو، وجد الرئيس أخيرا وزير خارجية قادر على تعزيز أهداف سياسته الخارجية بأمانة. وفي غضون الأسابيع القليلة الأولى من توليه منصبه، دعا بومبيو السفير ديفيد فريدمان وأنا للقاء به. وفي مكتبه المغطى بالألواح الخشبية، عاملنا بومبيو وكأننا صديقان قديمان.

"مايك، لدي مشكلة صغيرة"، قال فريدمان بسخرية."لدي كل هذه القضايا التي أعمل على الحصول على الموافقة عليها، وأنت حقًا تبطئني. مع تيلرسون، كان الأمر سهلاً للغاية. كان يكرهني، وأنا أكرهه، لذا فعلت ما أريد. المشكلة هي أنني أحبك حقًا، لذا أحاول اتباع كل هذه العمليات، لكنها تبطئني بشكل جنوني. أعلم أنك تشرب من خرطوم إطفاء، لكن هل يمكنك إعطاء ملفاتنا بعض الاهتمام؟"

ضحك بومبيو وقال: "حسنًا، أعدك بأنني سأنتبه إلى ما تقوله"."هذه القضايا، وسنعمل على دفعها إلى الأمام بسرعة."

لقد حان دوري الآن. بدأت بالقول إنه لديه مهمة كبيرة يجب أن يقوم بها، وأنني كنت مرنًا ومنفتحًا على العمل معه بأي طريقة يراها أكثر إنتاجية. ثم شرحت له بعناية جهود السلام وآخر التفاصيل حول مناقشات التجارة مع المكسيك وكندا.

"هل أنت موافق على استمراري في العمل على هذين الملفين؟" سألت. "أنا مصمم للغاية عندما أتلقى مهمة، لكنني لا أريد أبدًا أن أتجاوز مساري، لذا إذا خرجت عن الخط، فما عليك سوى الاتصال بي وإخباري. إذا كنت تريد مني أن أفعل شيئًا مختلفًا، فسأفعل ذلك. أنت وزير الخارجية. لا يوجد وزيران للخارجية، ولا أريد لوسائل الإعلام أبدًا أن تروج لمثل هذه القضية، كما فعلت في عهد ريكس. أنا هنا لدعمك ودعم الرئيس".

رد بومبيو قائلا: "جاريد، هذا المكان فوضوي. لقد أفرغ ريكس كل شيء من محتواه"."إن المبنى بأكمله، والموظفين محبطون. ليس لدي أي تعيينات سياسية تقريبًا، ومعظم الذين لدي لا يحبون الرئيس. لدي الكثير من التنظيفات التي يجب أن أقوم بها، وخمسون ملفًا يجب أن ألحق بها، وكل شخص في جميع أنحاء العالم يريد التحدث. أنا أعمل عشرين ساعة في اليوم، وأحتاج إلى عشرين ساعة أخرى. أتمنى لو كان لدي شخص مثلك في كل ملف. استمر في التقدم. إذا كنت بحاجة إلي، فاتصل بي، وسأرد عليك دائمًا بسرعة. إذا كان لدي أي اقتراحات، فسأتصل بك. ولكن على الأقل في الثلاثين يومًا القادمة، فقط اركض للأمام. لا تتباطأ، لا تتباطأ. افعل ما تريد. أنا أثق في حكمك. اتصل بي عندما تعتقد أنني يجب أن أعرف شيئًا ما."

لقد كان رده هادئًا وواثقًا لدرجة أنني كنت أعلم أن الرئيس قد اتخذ الاختيار الصحيح وأن هذه كانت بداية عمل عظيم.لقد لاحظت قريبًا تغييرًا مرحبًا به. كان بومبيو يتصل بي كثيرًا لإبقائي على اطلاع ومعرفة أفكاري حول قضية ما. وعندما فعل ذلك، كان دائمًا ودودًا، ولكن في صميم الموضوع. نادرًا ما استمرت المكالمات لأكثر من ثلاث دقائق. نادرًا ما اتصل تيلرسون وغالبًا ما لم يرد على المكالمات على الفور - وهي شكوى متكررة بين الدبلوماسيين الأجانب. في المناسبات النادرة التي فعل فيها ذلك، كانت المكالمات تستغرق دائمًا ثلاثين دقيقة تقريبًا ولا تحقق سوى القليل.

لقد تصورت أنه من منظور رياضي فقط، فإن بومبيو سوفـأن تكون قادرا على القيام بعشرة أضعاف الدبلوماسية.

كان ترامب عادة ما يجري التغييرات على دفعات. ففي الأسبوع الذي أعقب إقالته لتيلرسون، قرر استبدال مستشاره للأمن القومي، الجنرال

إتش آر ماكماستر. إلى جانب العديد من الآخرين في الجناح الغربي، كنت أفكركان الجنرال ذو الثلاث نجوم صديقًا وزعيمًا مخلصًا. ومع ذلك، وجد ماكماستر نفسه خارج نادي الجنرالات النخبة من ذوي الأربع نجوم الذي يشغله مشاة البحرية كيلي وماتيس، وكلاهما قضى حياتهما المهنية الأخيرة في إخبار الجنرالات ذوي الثلاث نجوم بما يجب عليهم فعله. وليس من المستغرب أن يكون الجنرالات ذوي الأربع نجوم مترددين في الخضوع لماكماستر، على الرغم من حقيقة أن الرئيس كلفه بإدارة عملية السياسة في الأمور العسكرية والسياسة الخارجية.

كان ماتيس وكيلي من الأبطال العسكريين الذين كرسوا حياتهم لـلقد كان ماتيس وكيلي من أشد المعجبين بأميركا وخدموها بتضحية وتميز. لقد دفع كيلي، على وجه الخصوص، تكلفة شخصية هائلة عندما قُتل ابنه روبرت، البطل الأميركي، بقنبلة متفجرة أثناء دورية في أفغانستان. لم أشك قط في حبهما للبلاد. ولكن في مرحلة ما، بدا الأمر كما لو أن ماتيس وكيلي قررا أنهما يعرفان أفضل من رئيس الولايات المتحدة وجعلا من مهمتهما حماية العالم من ترامب. كان ماكماستر يشكو لي من أنهما قاوما جهوده لتنسيق السياسة بشأن إيران وكوريا الشمالية، وأعاقا طلب الرئيس بالانسحاب من الاتفاق النووي مع إيران، ورفضا إعطاء الرئيس المعلومات التي يحتاجها لإعادة القوات إلى الوطن من العراق وأفغانستان.

لم يكن ماكماستر يتفق دائمًا مع الرئيس، وكان بإمكانه الضغطولكن ماكماستر لم يكن على استعداد للتراجع بقوة. وكان أسلوبه الأكاديمي يتعارض في كثير من الأحيان مع النهج البراجماتي الذي يتبناه ترامب. ولكن على النقيض من النجوم الأربعة، بذل ماكماستر قصارى جهده لتنفيذ توجيهات الرئيس. ولهذا السبب، كان كيلي وماتيس يطعنان ماكماستر باستمرار. فعندما طلب الرئيس خطة ملموسة للانسحاب من أفغانستان، على سبيل المثال، أرجأ كيلي وماتيس ثم ألقيا باللوم على ماكماستر عندما أعرب الرئيس عن إحباطه إزاء التأخير. وأصبحا مهووسين بإخراج ماكماستر واستبداله بنائب مستشار الأمن القومي، ريكي واديل، وهو ضابط رفيع المستوى ولكنه أقل رتبة شعرا أنهما يستطيعان السيطرة عليه.

في إحدى المناقشات الحادة، حذرهم ماكماستر قائلاً: "إنكم تحاولون بكل ما أوتيتم من قوة التخلص مني. فقط احذروا مما تتمنون. فقد تنجحون في الحصول على شخص مثل جون بولتون".

لقد ثبت أن تحذير ماكماستر كان نذيرًا لمصيره ومصيرهم. وكما تنبأ ماكماستر، استبدله ترامب ببولتون. كان بولتون، الأكاديمي المشاكس في السياسة الخارجية والشخصية التلفزيونية الذي عمل سفيرًا لدى الأمم المتحدة في عهد جورج دبليو بوش، محافظًا جديدًا وأكثر تشددًا من ترامب، لكنه وافق على الحاجة إلى الانسحاب من الاتفاق الإيراني. عندما يتعلق الأمر بإيران، رأى ترامب من خلال الأعذار البيروقراطية ولم يغفل أبدًا عن الحقائق القاتمة: فقد رفع الاتفاق العقوبات الاقتصادية وسلم أكثر من 100 مليار دولار إلى آية الله ونظامه الخبيث. ونتيجة لذلك، حققت إيران ثروة وعززت ميزانيتها العسكرية بنحو 40٪. قام النظام الإيراني ببناء صواريخ قادرة على حمل رؤوس حربية نووية وتوجيه الدعم إلى تنظيم القاعدة، وطالبان، وحزب الله، وحماس، وغيرها من المنظمات الإرهابية، التي كانت تعمل بنشاط على زعزعة استقرار العراق ولبنان وسوريا واليمن ودول أخرى. ولعل الأمر الأكثر أهمية هنا هو أن الاتفاق فشل في التعامل مع القضية ذاتها التي كان من المقرر أن يتناولها: فقد سمح لإيران بمواصلة تخصيب المواد النووية، وافتقر إلى آلية تفتيش وإنفاذ قوية، ولم يشر إلى برنامج الصواريخ الإيراني. ونتيجة لهذا، تشجعت الدولة الرائدة في العالم في رعاية الإرهاب على السعي إلى امتلاك سلاح نووي.

في 30 أبريل/نيسان 2018، عقد رئيس الوزراء بيبي نتنياهو مؤتمرا صحفيا في تل أبيب وكشف للعالم أن الموساد - وكالة الاستخبارات الإسرائيلية - اقتحمت مستودعا سريا في طهران ولقد حصلنا على آلاف الوثائق التي تثبت بشكل قاطع أن إيران كانت منخرطة في برنامج سري لتطوير واختبار الأسلحة النووية. لقد أخفى النظام مخططاته عن المجتمع الدولي وكذب في الادعاء بأنه ليس لديه برنامج للأسلحة النووية. قدم كشف نتنياهو دليلاً ملموسًا على أن الإيرانيين فشلوا في الامتثال لشروط الاتفاق - وفي الواقع أظهر أنهم لم يقصدوا أبدًا الامتثال. أصبح لدى الرئيس الآن أساس قوي للانسحاب من الاتفاق وإعادة فرض أعلى مستوى من العقوبات وطلب من شركائنا أن يحذوا حذوه.

في 8 مايو أعلن الرئيس قراره من الدبلوماسية

غرفة الاستقبال. "في قلب الاتفاق الإيراني كان هناك خيال عملاق:

"أعلن ترامب أن النظام القاتل لم يرغب إلا في برنامج سلمي للطاقة النووية"، وأضاف: "إن الإجراء الذي اتخذه اليوم يرسل رسالة بالغة الأهمية. إن الولايات المتحدة لن تسمح أبدا لإيران بانتهاك حقوق الإنسان"."لم تعد الدول تطلق تهديدات فارغة. عندما أقدم وعودًا، فإنني أفي بها."

كان إعلان الرئيس بمثابة بداية "الحد الأقصى" لأمريكاحملة "الضغط" ضد إيران.

{21}

خطوة نحو العدالة

في كل يوم، في الساعة الخامسة مساءً، كان المصورون من صحيفة الديلي ميل يحزمون كاميراتهم ويغادرون منزلنا. كان الأمر أشبه بعمل الساعة.

كان بوسعك أن تضبط ساعتك من خلال سلوكهم. فقد كانوا أكثر المصورين تفانياً، وكانوا يراقبون منزلنا باستمرار، ويبحثون عن صور لإيفانكا ـ ويكتفون أحياناً بي ـ أثناء ذهابنا وإيابنا. ولم يكونوا يدركون أن أفضل الأحداث في منزلنا في حي كالوراما المورق في واشنطن كانت غالباً ما تحدث في وقت متأخر من المساء.

في إحدى ليالي خريف عام 2017، وبعد وقت قصير من مغادرة المصورين عند الغسق، مرت سيارة سوداء من نوع سوبيربان ذات نوافذ ملونة في شارعنا.لقد خرج ثالث أقوى ديمقراطي في الكونجرس، عضو مجلس الشيوخ ديك دوربين. وانضم إليه زميلاه الديمقراطيان شيلدون وايتهاوس وأيمي كلوبوشار وعضوا مجلس الشيوخ الجمهوريان ليندسي جراهام ومايك لي. وبينما كانوا يجتمعون في غرفة الطعام لمناقشة إصلاح العدالة الجنائية، رفعت السناتور كلوبوشار كأسها لشرب نخب.

قالت: "من الجميل حقًا أن نفعل هذا، لأن هذا كان يحدث في واشنطن طوال الوقت. وأشعر وكأننا لم نعد قادرين على التحدث مع بعضنا البعض".

لقد استضفت أنا وإيفانكا هذا التجمع، والعديد من التجمعات الأخرى المشابهة، بناءً على طلب الشؤون التشريعية في البيت الأبيض، التي طلبت منا جمع أعضاء من أحزاب متعارضة في جو هادئ ومغلق. كان العديد من الديمقراطيين على استعداد للمشاركة ومناقشة الإصلاحات الحزبية، لكن قِلة منهم رفضوا الاجتماع، بما في ذلك السناتور عن ولاية كاليفورنيا كامالا هاريس.

بعد مشاهدة جهود الإصلاح الضريبي الناجحة، التي قادها وزير الخزانة ستيفن منوشين، وجاري كوهن، وإيفانكا، أصبح من الواضح لي أنه إذا أردنا تمرير إصلاح العدالة الجنائية، فنحن بحاجة إلى العمل بشكل تعاوني مع أعضاء الكونجرس. ولتمرير أي مشروع قانون، يحتاج البيت الأبيض إلى إشراك المشرعين في البداية، وسؤالهم عن آرائهم، وفهم مخاوفهم ومعالجتها، وتطبيق القدر المناسب من الضغط. يحكم الكونجرس الديمقراطية، وليس الشركة. وتغيير القانون ليس من المفترض أن يكون سريعًا، ولا ينبغي أن يكون سهلاً.

بحلول إبريل/نيسان 2018، تمكنا من بناء تحالف قوي من الأعضاء من كلا الجانبين. وقررنا التركيز على التشريع المتعلق بإصلاح السجون، والذي من شأنه أن يحسن برامج التدريب المهني للسجناء ويوفر علاجًا أفضل للإدمان، من بين أولويات أخرى. وقد حظي هذا التشريع بدعم أوسع بين الجمهوريين مقارنة بإصلاح الأحكام، والذي من شأنه أن يسمح لبعض المجرمين غير العنيفين بالخروج من السجن في وقت مبكر. وإذا تم تمرير مشروع قانون إصلاح السجون في مجلس النواب، فسنتمكن من العمل على إضافة إصلاح الأحكام إلى نسخة مجلس الشيوخ.

لقد كنا على استعداد لتنفيذ استراتيجيتنا التشريعية. وكانت العقبة الأولى هي لجنة القضاء بمجلس النواب التي يرأسها بوب جودلات، والتي كان لزاماً عليها أن تدرس مشروع قانون إصلاح السجون قبل أن يتم عرضه على المجلس بكامل هيئته للتصويت عليه. وكان الجمهوري دوج كولينز والديمقراطي حكيم جيفريز عضوين في لجنة القضاء، وقد عملت معهما منذ البداية لصياغة التشريع وبناء تحالف من الدعم داخل اللجنة. وبحلول نهاية شهر إبريل/نيسان نجحنا في إقناع ما يقرب من نصف أعضاء اللجنة برعاية مشروع القانون. وحدد جودلات موعداً لإقراره في الخامس والعشرين من إبريل/نيسان. وعادة ما تستمر المفاوضات والمساومات التشريعية حتى نحو ثماني وأربعين ساعة قبل إقراره، ولكن فريقي كان واثقاً من أن مشروع القانون سوف يمر بسهولة.

في صباح يوم 25 أبريل، تلقيت تنبيهًا عاجلاً بأن الرئيسلقد ألغى جودلاتي الزيادة في الأسعار في ذلك اليوم. وفي الساعة 7:45 صباحًا، اتصلت برئيسنا التشريعي، جارون سميث. وسألته: "ما الذي حدث لمشروع القانون؟". وفي الخلفية، سمعت الإعلان الآلي الخافت - "تراجع، الأبواب تُغلق" - لعربة المترو.

كان في طريقه إلى البيت الأبيض وكان محدودًا فيما يمكنه فعله

"أقول لك: تعال إلى مكتبي بمجرد وصولك"، طلبت. عندما قال جارون

جاء إلى مكتبي، وأوضح أن فريق سيشينز في الوزارةلقد أرسل لي وزير العدل عدة تعديلات اعتبرها جيفريز بمثابة حبوب سامة. لقد أطلعني على تفاصيل تعديلات سيشينز.

"قلت: "إن هذه التغييرات سخيفة وتنم عن سوء نية. تجاهلوا تعديلات سيشينز، وقدموا حلولاً وسطاً عملية، وانظروا ما إذا كان ذلك سيعيد جيفريز إلى العمل".

وبعد أن بدأ جارون العمل، تمكنا بحلول نهاية اليوم من إزالة التعديلات التي اقترحها سيشينز وإضافة أحكام جيفريز لتوسيع نطاق تطبيق الاعتمادات المالية لضمان عدم وضع السجناء في سجون تبعد أكثر من خمسمائة ميل عن منازلهم، الأمر الذي يجعل من الممكن لأحبائهم زيارتهم. وبمجرد أن أجرينا هذه التغييرات، عاد جيفريز إلى طاولة المفاوضات، على الرغم من الضغوط التي كان يواجهها من اليسار لحمله على الانسحاب.

لم أكن متأكداً بعد من كيفية التعامل مع سيشينز. لقد حاولت جاهداً إقناعه بقبول سياسة أفضل، لكنه ظل متمسكاً بموقفه. التقيت أنا وبروك رولينز وجيرون به في وزارة العدل وراجعنا مشروع القانون سطراً بسطر، وطلبنا منه أن يصف اعتراضاته.

"حسنًا، سيخبرك رجالي بذلك"، هكذا قال، طالبًا من محاميه أن يشرحوا له موقفهم. كانت مخاوفهم إما سهلة المعالجة أو غير منطقية. أخيرًا، التفت سيشينز نحوي وقال بلهجته الجنوبية: "جاريد، الأمر بسيط للغاية. إذا ارتكب الصبي الجريمة، فعليك حبسه". هذا هو موقفه بالضبط. ومنذ تلك اللحظة، أدركت أنه سيحاول تقويضنا في كل منعطف، مما يجعل المهمة المستحيلة تقريبًا أكثر صعوبة.

لقد قررت بدلاً من مواجهة سيشينز مباشرة أن أعرض قضيتي بشكل مباشر على أكثر أعضاء مجلس النواب تحفظاً. فقد كانت اعتراضات المدعي العام تحمل وزناً كبيراً، وكان الحصول على دعمهم من شأنه أن يرسل إشارة قوية إلى الرئيس بأن الجمهوريين المؤيدين للقانون والنظام يؤيدون إصلاح السجون. وفي مساء السابع من مايو/أيار، التقيت بكتلة الحرية في مجلس النواب، وهي ائتلاف محافظ. وفي حين كان العديد من الأعضاء منفتحين على الإصلاحات الفيدرالية، إلا أن بعضهم لم يقتنعوا بها. وكان أحد هؤلاء المتشككين مارك ميدوز، ممثل ولاية كارولينا الشمالية وزعيم الكتلة.

وعندما تناولت مخاوفه، أدركت أنه كان يأخذ حججي في الاعتبار ويحافظ على عقل منفتح. وكان الاجتماع بداية لتعاون وصداقة عظيمة مع ميدوز، الذي قال في وقت لاحق: "كنت لأتصور أنني سأموت قبل التصويت لصالح إصلاح العدالة الجنائية. لن تعرف أبدًا ما إذا كنت قد صوتت لصالح هذا لأنني أقدر صداقتنا، أو إذا صوتت لصالحه لأنني أتفق الآن مع هذه السياسة". بعد أن أصبح رابع وآخر رئيس أركان لترامب، كان ميدوز غالبًا ما يدافع عني عندما يتهمني الرئيس بالفساد.
وباعتباره ليبراليًا، رد مازحًا: "في الواقع، جاريد عضو فخري في كتلة الحرية".

وفي التاسع من مايو/أيار، أقرت لجنة القضاء بمجلس النواب أخيراً مشروع القانون.لقد تم تغيير اسم القانون إلى قانون الخطوة الأولى، وقد تم تمريره من قبل اللجنة بدعم قوي من الحزبين بأغلبية 25 صوتًا مقابل 5. كان النائب ستيف كينج من ولاية أيوا هو الجمهوري الوحيد الذي صوت ضد القانون، ولكن كينج كان معروفًا بآرائه المتطرفة، لذا فإن الوقوف على الجانب الآخر منه لم يكن أمرًا سيئًا. على الجانب الديمقراطي، فقدنا أيضًا تصويت إحدى رعاتنا الأصليين، النائبة شيلا جاكسون لي. بعد أن قمنا بدمج طلباتها بتوفير السدادات القطنية للسجينات وضمان عدم تقييد النساء أثناء الولادة، قدمت مطلبًا ثالثًا لم نتمكن من قبوله: أرادت السماح للأمهات بإبقاء أطفالهن في السجن معهن لمدة ثلاث سنوات. حاولت أن أشرح: "أعتقد أن هدفنا هو المساعدة في إخراج الناس من السجن. نحن لا نحاول وضع الأطفال في السجن بهذا القانون".

وبعد أن تجاوزنا عقبة اللجنة، قررنا نقل مشروع القانون إلى مجلس النواب للتصويت عليه بالكامل. وبسبب قلقه من أن التشريع يكتسب زخماً حقيقياً، سارع سيشينز إلى بذل جهد داخلي لوقف مشروع القانون. وحدد موعداً لاجتماع في المكتب البيضاوي لمحاولة ثني الرئيس عن المضي قدماً. وعلى هذا فقد استعنت بوزير الطاقة ريك بيري، الذي نجح في قيادة إصلاحات مماثلة عندما كان حاكماً لولاية تكساس.

ومع بدء الاجتماع، أبدى سيشينز اعتراضاته. وقال للرئيس إن مشروع القانون متساهل في التعامل مع الجريمة، ومن شأنه أن يضع المجرمين الخطرين تحت طائلة القانون."أنت لا تريد أن تتحمل المسؤولية عن موقف ويلي هورتون القادم، أليس كذلك؟"

لقد شعرت بالاشمئزاز لأنه حاول مقارنة جهودنا بفضيحة مايك دوكاكيس، وكدت أفقد هدوئي. ولكنني بدلاً من ذلك أجبت بالحقائق،

اقتباس من نص مشروع القانون وشرح سبب خطأ ادعاءات المدعي العام: لا يوجد شيء في مشروع القانون يسمح للمجرمين العنيفين مثل هورتون بالخروج مبكرًا. لم يكن لدى جلسات أي رد، وهو أمر نادر.

الرئيس، الذي لم يكن معتادًا على رؤيتي في حالة من التوتر، أعجب
"بسبب شغفي." "أنت تعرف هذه الأشياء حقًا"، قال.

"هذا أمر خطير - يتعلق بإنقاذ الأرواح والحفاظ على سلامة الناس"أجاب: "لن أضعك أبدًا في موقف سيئ، وأعلم أنه إذا حدث أي خطأ هنا، فسيكون ذلك بسببي، لذا نعم، لقد راجعت كل التفاصيل".

لقد عرضت عليه قائمة بأعضاء اللجنة الذين أيدوا مشروع القانون، بما في ذلك جيم جوردان، ورون دي سانتيس، ولوي جوميرت، وجون راتكليف. نظر الرئيس إلى سيشينز ثم نظر إليّ وقال: "سأختار جاريد في هذه المسألة".

وبعد فترة وجيزة، كتب خمسة ديمقراطيين ـ أعضاء مجلس الشيوخ دوربين وهاريس وكوري بوكر، والنائبان جاكسون لي وجون لويس ـ رسالة عامة إلى زملائهم في الكونجرس يعارضون فيها مشروع القانون، زاعمين أن قانون الخطوة الأولى كان "خطوة إلى الوراء" ومن شأنه أن "يؤسس للتمييز ومن المرجح أن يفشل في الحد من العودة إلى الجريمة". وبصرف النظر عن مزاعم الرسالة التي لا أساس لها من الصحة، فإن ما أصابني بخيبة أمل أكبر هو رؤية اسم بوكر في كتلة التوقيعات. كنت قد التقيت بوكر عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري، وكان والدي يدعم ترشحه الأول الفاشل لمنصب عمدة نيوارك في نيوجيرسي. وأصبح صديقا لنا، وظللنا ندعمه لسنوات. والآن، عندما سنحت لنا الفرصة للعمل معا في قضية كنا نعتقد أنها حاسمة لتحسين حياة الملايين من الأميركيين، برز بوكر كواحد من أشد المعارضين لهذه الجهود.

كان الهدف من رسالة الديمقراطيين إقناع زملائهم، وخاصة أولئك من بين أعضاء الكتلة السوداء في الكونجرس مثل حكيم جيفريز وسيدريك ريتشموند، بالتخلي عن مشروع القانون. لكن لا جيفريز ولا ريتشموند تراجعا. اتصلت بجيفرز وأخبرته أننا نعمل على الرد. قال لي: "جاريد، لا تقلق بشأن هذا الأمر. أنا أقوم بصياغة الرد". في خطاب لاذع من سبع صفحات، دحض جيفريز الادعاءات قبل أن يختتم قائلاً: "في نهاية المطاف، يجب أن تكون مهمتنا تحسين حياة الأشخاص الذين نحن هنا لتمثيلهم.

في هذا الصدد، لا ينبغي للكمال أن يكون عدوًا للخير، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالأقل شأنًا، والضائعين، والمتروكين خلف الركب. وهذا هو جوهر قانون الخطوة الأولى.

وعليه، فإنني آمل أن يعيد مؤلفو رسالة المعارضة النظر في موقفهم، وأن يتخلوا عن طموحاتهم الحزبية وينضموا إلى معركة مجلس النواب لإصلاح نظام العدالة الجنائية المكسور".31.

لقد كانت تحفة من الشجاعة السياسية. كنت أعلم أنه من الصعب على جيفريز أن يقطع علاقته بأعضاء حزبه، بما في ذلك حركة الحقوق المدنية الأميركية.لقد كنت ممتنًا للغاية لأسطورة جون لويس، وقد حرص على إصراره على القيام بالشيء الصحيح في مواجهة المعارضة.

وعندما دخلنا المرحلة الأخيرة قبل التصويت الكبير في مجلس النواب، عقدنا حدثا للرئيس للإعلان عن دعمه لقانون الخطوة الأولى. وتحدث ترامب عن الحاجة إلى كسر حلقة العودة إلى الجريمة من خلال مساعدة السجناء السابقين في العثور على وظائف والمساهمة في المجتمع. وقال قبل أن يبتسم: "أميركا أمة تؤمن بالفرص الثانية، والفرص الثالثة في بعض الحالات. ولا أدري، ربما حتى الفرصة الرابعة". وكان بيانه بمثابة لحظة مهمة: كانت المرة الأولى التي يدعو فيها ترامب، الرئيس الذي يفرض القانون والنظام، الكونجرس إلى تمرير تشريع لإصلاح السجون. وعلى مدى الأيام التالية، وافق كل الجمهوريين تقريبا في مجلس النواب على دعم مشروع القانون.

في الثاني والعشرين من مايو/أيار ــ قبل يوم واحد من إعادة كيلي تصريحي الأمني السري للغاية ــ أقر مجلس النواب قانون الخطوة الأولى بأغلبية 360 صوتاً مقابل 59 صوتاً، مع معارضة اثنين فقط من الجمهوريين لمشروع القانون، وهما ستيف كينج وبيل هويزينجا. وكان الاختبار الأكبر لا يزال في انتظارنا. فقد أوضح السناتور تشاك جراسلي أنه لن ينظر في قانون الخطوة الأولى في لجنة القضاء بمجلس الشيوخ ما لم يتضمن إصلاحاً للعقوبات. وقد دعوته والسناتورين تيم سكوت ومايك لي وليندسي جراهام إلى طرح فكرة دمج إصلاحات العقوبات في قانون الخطوة الأولى على الرئيس. وفي المكتب البيضاوي، عرضنا قضيتنا لإصلاح العقوبات. وقد ساعد مشروع القانون الذي أقره مجلس النواب السجناء الذين كانوا مسجونين في ذلك الوقت، ولكنه كان يفتقر إلى أحكام قوية للحد من عدد السجناء غير العنيفين الذين يقضون فترات عقوبتهم قاسية بشكل غير متناسب. وأوضح جراسلي أن تخفيف العقوبات الذي اقترحه لن يكون متاحاً إلا للمجرمين غير العنيفين، بل إنه في الواقع يشدد العقوبات المفروضة على العنف المنزلي والاتجار بالأسلحة. وأعرب جراسلي عن ثقته في قدرته على البناء على الزخم الذي حققناه في مجلس النواب والحصول على مشروع قانون أكثر شمولاً من خلال مجلس الشيوخ.

وبحلول نهاية المناقشة، أبدى ترامب اهتمامه بالمضي قدما. وبعد ذلك، أبدى لي سروره بدعم ترامب، لكنني وجهت له تحذيرا عادلا.

"هذا مجرد موافقة ناعمة"، قلت. "لم يسمع الرئيس بعد سوى صوتنا."هذا هو الجانب من القصة. والآن أحتاج إلى إحضار الأشخاص الذين يختلفون معي لعرض قضيتهم عليه قبل أن يصل إلى استنتاج."

مع تزايد دعم الرئيس لإصلاح العدالة الجنائية،قررت أن الوقت قد حان لإحضار قضية العفو عن أليس جونسون. لقد علمت بقضيتها لأول مرة في ديسمبر/كانون الأول، عندما تواصلت كيم كارداشيان مع إيفانكا. كانت أليس جدة تبلغ من العمر ثلاثة وستين عامًا تقضي العام الحادي والعشرين من عقوبة السجن مدى الحياة، دون إفراج مشروط، بتهمة التآمر على المخدرات وغسيل الأموال. كانت جريمتها غير عنيفة. في أوائل التسعينيات، مرت بأوقات عصيبة وتورطت في حلقة تهريب مخدرات، حيث سهلت تدفق المخدرات غير المشروعة والأموال. أثناء سجنها، غيرت أليس حياتها. أصبحت قسيسة مكرسة، وأكملت شهادات مهنية متعددة، وأرشدت زملائها من السجناء، وحافظت على سجل سلوكي خالٍ من العيوب.

في اجتماع عقد في المكتب البيضاوي في مايو/أيار، وبعد العمل عن كثب مع كيم كارداشيان لفحص الملف، عرضت قضية أليس على الرئيس. وشرحت أن أليس حُكِم عليها بتهمة ارتكاب جريمة مخدرات غير عنيفة في تسعينيات القرن العشرين، وأن المنهجية المستخدمة لحساب عقوبتها غير عادلة ولن يُسمح بها اليوم.

رد مستشار البيت الأبيض دون ماكجان قائلاً: "ملفها يقول إنها أيضًا"لقد كانت لديها جريمة قتل مقابل أجر"، كما زعم. "السبب وراء حصولها على مثل هذا الحكم القاسي هو أنها كانت في الواقع زعيمة العصابة".

لم أصدق ذلك. هل كنا نتحدث عن نفس الشخص؟ "إنها جدة. وهي تشارك في مسرحيات عيد الميلاد وحفلات الترانيم الإنجيلية في السجن. ولم تلمس المخدرات قط".

رد ماكجان قائلاً: "جاريد، كنت تعمل في مجال البناء. كنت تعمل في مجال العقارات. أفترض أنك لم تكن تلمس المطارق".

"لماذا؟" قلت.

"لأنك كنت الرئيس التنفيذي للشركة. وبالمثل، لم تلمس أليس المخدرات،"لأنها كانت العقل المدبر حقًا."

"أنظر، إنها كانت شخصًا من المستوى المنخفض تورطت في هذا الأمر"، أجبت. "ولكن حتى لو كنت على حق، فقد قضت واحدًا وعشرين عامًا في السجن بسبب جريمة ارتكبتها لأول مرة ولم يقتل فيها أحد. ووفقًا لجميع الروايات، بما في ذلك رواية مدير السجن، فقد تم تأهيلها بالكامل. هل سنحرمها من فرصة الحياة بسبب خطأ ارتكبته قبل واحد وعشرين عامًا؟"

وبحلول نهاية الاجتماع، قال ترامب: "إذا انتهى بك الأمر على الجانب الخطأ من نظامنا القضائي، فلن يكون لديك أمل. دعونا نفكر بجدية في تخفيف الحكم".

في الثلاثين من مايو/أيار، التقت كيم كارداشيان بترامب في المكتب البيضاوي. وعرضت قضية أليس على الرئيس بلباقة. وكانت تعرف التفاصيل من البداية إلى النهاية. وقد قدم ماكجان وأحد أعضاء فريقه الحجج المضادة، رغم أنه كان أكثر اعتدالاً من المعتاد لأن ترامب كان يعارضها.لقد أذهله جمال كارداشيان. شكرها ترامب على حضورها. وبعد يومين، اتصل بي في الصباح الباكر وقال: "دعونا نصدر العفو. دعونا نأمل ألا تخرج أليس وتقتل أحدًا!"

لقد اتصلت بمكجان لبدء العمل، لكنه استمر في تأخير الأمر.الوثائق القانونية. وبعد ذلك بفترة وجيزة، نشرت صحيفة واشنطن بوست قصة تقوللقد كنت أعتقد أن ترامب أصبح "مهووسًا" بالعفو وأن شهرة كارداشيان كانت تؤثر على آرائه بشأن قضية أليس. كنت أشك في أن ماكجان وكيلي قد سربا هذه الأكاذيب كجزء من محاولة أخيرة لإثارة ردود الفعل المحافظة وتغيير رأي ترامب. بعد موقف التصريح الأمني المعذب، كنت مدركًا تمامًا للقوة التي يمكن أن يتمتع بها ماكجان وكيلي علي، لذلك كنت حذرًا من خوض معركة أخرى. لكنني قررت الاستمرار في الضغط من أجل قضية أليس، بغض النظر عن العواقب، لأن الأمر يتعلق بإنقاذ حياة.

في النهاية، نفدت تكتيكات كيلي وماكجان للمماطلة، وفي السادس من يونيو/حزيران، خفف الرئيس عقوبة أليس جونسون. وفي وقت لاحق من ذلك المساء،وبينما كان يجلس في غرفة الطعام الرئاسية الصغيرة مع إيفانكا، كان ترامب يتابع إطلاق سراح أليس من السجن على نشرة الأخبار المسائية. وركضت أليس إلى أحضان عائلتها، واحتضنتهم بينما كانت الدموع تنهمر على وجهها.

وبينما كانت الكاميرات تحيط باللقاء العاطفي، أعلنت: "أنا حرة"أعانق عائلتي. أنا حرة في أن أعيش حياتي. أنا حرة في أن أبدأ من جديد. هذا هو أعظم يوم في حياتي". كانت مشاعرها خامًا، وفرحتها معدية، ومعاناتها الطويلة وحبها ينبعان من ابتسامتها.

اتصل بي الرئيس بعد ذلك وقال لي: "جاريد، هذا أحد أجمل الأشياء التي رأيتها على الإطلاق. لقد عملت في هذا المجال لفترة طويلة، وكان ذلك جميلاً. أستطيع أن أقول إنها شخصية قوية. لا بد أن هناك المزيد من أمثالها في السجن. دعونا نبحث عن المزيد من القضايا الجديرة بالاهتمام".

{22}

لا وقت للانتصار

لقد وصلت أنا وفانكا إلى إسرائيل في الثالث عشر من مايو/أيار لنشهد لحظة تاريخية في العلاقات الأمريكية الإسرائيلية: افتتاح سفارتنا في القدس. لقد قامت أختي الكبرى دارا برحلة مفاجئة من نيوجيرسي للقاء بنا هناك. كان هذا اليوم ذا مغزى خاص بالنسبة لها. بعد المدرسة الثانوية، درست في إسرائيل لمدة عام وعادت إلى الولايات المتحدة بالتزام مضاعف بإيمان عائلتنا اليهودي. لقد ألهم تفانيها بقية أفراد عائلتنا، وسعدت لأنها كانت معنا في هذه اللحظة.

ولكن هذا اليوم لم يكن ليحدث تقريبا. ففي الأسابيع التي أعقبت إعلان الرئيس في السادس من ديسمبر/كانون الأول عن نقل السفارة، خططت وزارة الخارجية لعملية واسعة النطاق تتضمن مفاوضات بشأن الأراضي، وفواتير بناء باهظة التكاليف، وربما أكثر من مليار دولار في طلبات تخصيص من الكونجرس. وقد أدرك السفير ديفيد فريدمان بمهارة أن هذا تكتيك للمماطلة، فاتصل بالرئيس مباشرة.

"لقد حذر فريدمان قائلاً: "إن الدولة سوف تقتل نقل السفارة. لقد اعتقدت أنه يجب عليك أن تعلم. إذا كنت لا تريد القيام بذلك، فما عليك سوى إخباري ولن أزعجك مرة أخرى".

يبدو أن الوزارة كانت قد اتصلت بالرئيس بالفعل. "قالوا لي إن الأمر سيكلف مليار دولار وسيستغرق من خمس إلى عشر سنوات".رد ترامب.

هذه التقديرات جاءت من خطة معقدة لم يتم تحسينهاقال فريدمان إن هذا ليس الخيار الوحيد، بل إن الحكومة الأميركية تمتلك بالفعل مبنى على أحدث طراز في حرم جامعي مترامي الأطراف مساحته سبعة عشر فداناً في قلب القدس الغربية. وقال فريدمان إنه يستطيع تحويله إلى سفارة بتكلفة أقل.

أكثر من 200 ألف دولار، وإعدادها للاحتفال الكبير في 14 مايو، يوم الاستقلال الإسرائيلي.يوم الاستقلال.

"لقد انتهى الأمر"، قال الرئيس. "ولكن للمرة الأولى في حياتي، سأقول إن هذا رخيص للغاية. لماذا لا تنفقون 500 ألف دولار ـ اجعلوه جميلاً".

مع اقتراب يوم الافتتاح، سألت الرئيس عما إذا كان يريدالسفر إلى القدس لترؤس الحفل التاريخي.

"لماذا لا تذهب؟" قال ترامب. "أعلم أنك تحب أن تكون في الخلفية، لكن يجب أن تتحدث للتغيير. كان نقل السفارة هو الشيء الصحيح الذي يجب القيام به وأنا أعلم أنه كان مهمًا جدًا بالنسبة لك". لم يسبق لي أن خاطبت جمهورًا على هذا النطاق الواسع. كان مئات المسؤولين من جميع أنحاء العالم يتجمعون في السفارة الجديدة للاحتفال، وسيتم بث الحفل على الهواء مباشرة على شاشة التلفزيون إلى العالم.

الجمهور. وعلى الرغم من توترك، وافقت على الذهاب.

عندما وصلنا إلى المبنى الذي تم تجديده حديثاً في حي تلبيوت بالقدس، استقبلنا رئيس الوزراء نتنياهو وزوجته سارة بحرارة. وعادة ما ألاحظ كل التفاصيل في أي مبنى أدخله، وهي سمة اكتسبتها من عملي في مجال العقارات، ولكن في ذلك اليوم كنت قلقاً للغاية بشأن خطابي لدرجة أنني لم أستطع أن أخبرك بلون الجدران. لقد أمضيت ساعات في صياغة كل سطر من خطابي بعناية. وأخيراً جاءت اللحظة.

"إن السعي إلى السلام هو أنبل ما يسعى إليه البشر. وأعتقد أن السلام في متناول اليد إذا تجرأنا على الاعتقاد بأن المستقبل يمكن أن يكون مختلفا عن الماضي، وأننا لسنا محكومين بإحياء التاريخ، وأن الطريقة التي كانت عليها الأمور ليست كما يجب أن تكون إلى الأبد"، هكذا قلت وأنا أقف أمام السفارة الأميركية التي افتتحت حديثا في القدس. "عندما يسود السلام في المنطقة، سوف ننظر إلى الوراء إلى هذا اليوم ونتذكر أن رحلة السلام بدأت بأميركا القوية التي أدركت الحقيقة".

انفجر الحشد بالتصفيق عندما أنهيت كلامي وعُدت إلى مقعدي بجوار إيفانكا، التي ضغطت على يدي وهمست، "أنت"لقد نجحت في ذلك." التفتت دارا إليّ وهي تبتسم وقالت: "سوف يشعر بوبي وزايدا بالفخر الشديد. الله وحده قادر على كتابة هذا السيناريو."

لقد كانت لحظة خاصة لن أنساها أبدًا، ولكن مثل كل تجربة سريالية أخرى خلال فترة وجودي في الحكومة، كانت أيضًا لحظة عابرة.

وبعد دقائق من انتهاء الحدث، شاهدت التغطية التلفزيونية.

كانت عبارة عن شاشة مقسمة، مع لقطات من ملاحظاتي إلى جانب الصورمن المتظاهرين في غزة الذين أصيبوا بالرصاص المطاطي والغاز المسيل للدموع من قبل قوات الدفاع الإسرائيلية، مما أدى إلى مقتل أكثر من خمسين شخصًا.

لقد بدا هذا الأمر بمثابة رد فعل مبالغ فيه ومضر على المعارضة الفلسطينية المتوقعة، على الرغم من أن أحد زعماء حماس اعترف بعد أيام قليلة بأن كل القتلى تقريبا كانوا أعضاء في حماس، التي صنفتها وزارة الخارجية الأمريكية باعتبارها "منظمة إرهابية أجنبية".

في الفترة التي سبقت افتتاح السفارة، ألقى عباس خطابًا مجنونًافي خطابه أمام الهيئة التشريعية الفلسطينية، شكك عباس علانية في الظروف المحيطة بالهولوكوست، مدعياً، وفقاً لنص تم الحصول عليه من هيئة الإذاعة البريطانية، أن النازيين لم يكونوا ضد الشعب اليهودي بل ضد ممارساتهم الاستغلالية في الإقراض والمصارف. بعبارة أخرى، جلب اليهود الجشعون الهولوكوست على أنفسهم. حتى هيئة تحرير صحيفة نيويورك تايمز الشهيرة بمعاداتها لإسرائيل كتبت دعوة لاذعة لاستقالته: "لتكن كلمات عباس الدنيئة هي آخر كلماته كزعيم فلسطيني".

* * *

ومع استمرار القيادة الفلسطينية في إثبات عدم رغبتها في السعي إلى حل بناء لشعبها، كنت حريصاً على إصدار خطتنا للسلام في أقرب وقت ممكن حتى يتمكن العالم من التفاعل معها. وأملت أن يحث هذا عباس على النظر في اقتراحنا، الذي من شأنه أن يحقق الرخاء والسلام للشعب الفلسطيني.

في يونيو/حزيران، سافرت إلى إسرائيل لمناقشة خطتنا مع رئيس الوزراء بيبي نتنياهو. ولكن بعد فترة وجيزة من وصولي، اتصلت بي إيفانكا لإطلاعي على آخر المستجدات على وجه السرعة.

"هذا أسوأ ما رأيته. لقد خلقت سياسة عدم التسامح التي ينتهجها سيشينز أزمة هائلة على الحدود. يرفض كيلي الاعتراف بأنه ارتكب خطأ، وهو لا يخبر والدي بالحقيقة بشأن الموقف".

قبل شهرين، في السادس من أبريل/نيسان، أصدر المدعي العام جيف سيشنز بيانًا صحفيًا أعلن فيه أنه سينفذ قانون الهجرة.في عام 1997، كان من المفترض أن يتولى سيشينز إدارة أوباما، ولكن مع "سياسة عدم التسامح مطلقًا" مع المهاجرين الذين عبروا الحدود الجنوبية بشكل غير قانوني. في ذلك الوقت، كانت العواقب العملية للتغيير الذي أجراه سيشينز على الادعاء العام غامضة بعض الشيء. بموجب حكم صادر عن محكمة اتحادية عام 1997 يسمى اتفاقية تسوية فلوريس، لا يمكن لوزارة الأمن الداخلي احتجاز الأطفال المهاجرين غير الشرعيين لأكثر من عشرين يومًا. من ناحية أخرى، يمكن احتجاز البالغين لفترات أطول بكثير أثناء انتظارهم لعقد جلسات الاستماع الخاصة بالهجرة.

إذا تم تطبيق قوانين الهجرة في بلادنا حقًا، مع سياسة عدم التسامح مطلقًا، فمن شأنه أن يتسبب في فصل بعض الأطفال عن والديهم. ومع إصرار سيشينز على تطبيق سياسته، سلطت وزيرة الأمن الداخلي كيرستن نيلسن الضوء على مخاوف كيلي بشأن فصل الأطفال. دعا رئيس الأركان إلى اجتماع بشأن الهجرة في غرفة العمليات بالبيت الأبيض في أوائل مايو. ونظرًا لأن الهجرة كانت خارج نطاق اهتماماتنا، لم تتم دعوة إيفانكا ولا أنا، لكننا علمنا لاحقًا أن كيلي قرر المضي قدمًا في سياسة عدم التسامح مطلقًا. استغرق الأمر حوالي ستة أسابيع حتى تسربت تداعيات سياسة كيلي وسيشينز إلى الصحافة. خلال تلك الفترة، فصلت وزارة الأمن الداخلي 2816 طفلاً عن والديهم أو الأوصياء عليهم. بحلول الأسبوع الثالث من يونيو، تمامًا كما غادرت إلى الشرق الأوسط، حصلت الصحافة على القصة، والتي اندلعت على الفور تقريبًا.

وعندما رأى ترامب العناوين الرئيسية العاجلة، استجوب فريقه حول صحة التقارير وسأل عما يمكن القيام به لإنهاء فصل الأطفال. ولم يقدم له سيشينز وكيلي مجموعة كاملة من الخيارات، وحثوه على الاستمرار في السياسة، التي اعتقدوا أنها ستكون بمثابة رادع للأشخاص الذين يعبرون الحدود وستضغط على الكونجرس لإصلاح قوانين الهجرة المكسورة. أدركت إيفانكا هذا عندما قام اثنان من أعضاء الموظفين، بما في ذلك موظف الهجرة ثيو وولد، بزيارة غير متوقعة لها. كان وولد قلقًا من أن الرئيس لم يحصل على الصورة الكاملة من فريق قيادته. يمكن لترامب وقف فصل الأطفال على الفور من خلال التوقيع على أمر تنفيذي يوجه سيشينز ونيلسن بإنهاء سياسة عدم التسامح وتنفيذ نهج أكثر إنسانية. شكرت إيفانكا وولد وطلبت منه البدء في العمل على الأمر التنفيذي.

عندما اتصلت بي إيفانكا، سألتني عما أعتقد أنه ينبغي لها أن تفعله. "تقول كيلي للرئيس إنه لا يوجد خيار آخر. لقد كنت أحاول إثارة هذه القضية معه، لكنه يستبعد الأشخاص الذين لديهم آراء مختلفة من الاجتماعات في المكتب البيضاوي. سوف يكون غاضبًا تمامًا، لكنني لا أرى أي طريق آخر غير طرح هذا الحل مباشرة على الرئيس".

"أتمنى لو كنت هنا لمساعدتك"، قلت، "لكن لا يوجد الكثير مما يمكنني فعله من هنا. ليس لديك حقًا خيار. لقد تسبب كيلي في هذه الفوضى - تجاهله وافعل ما تعتقد أنه صحيح".

كانت إيفانكا حريصة بشكل عام على عدم تجاوز بروتوكولات الجناح الغربي، ولكن في هذه الحالة شعرت أن الرئيس لم يتم تقديم خدمة جيدة له،

كانت القضية بالغة الأهمية. كانت تعلم أن الرئيس يريد إيجاد حل، ولم يكن أمامه كل الخيارات لحل المشكلة. ذهبت لزيارة والدها في المقر التنفيذي وسلمته مسودة الأمر التنفيذي التي طلبت من وولد إعدادها.

"أعلم أنهم يخبرونك أن هذا لا يمكن أن يتم"، قالت. "قد يكونون"كن على حق، ولكن قم بالتوقيع عليه على أي حال وتحدى أي شخص أن يتحداه."

بعد قراءة مسودة الأمر، اتصل الرئيس بمكجان.

"سأكون في البيت الأبيض بعد ثلاثين دقيقة، وأريد أن يكون هناك أمر تنفيذي ينهي هذه السياسة على مكتبي عندما أصل إلى هناك"، هكذا أمر. "اتصل بإيفانكا واطلع على الأمر الذي أطلعتني عليه".

وكما توقعت إيفانكا، كانت كيلي غاضبة. وعادة ما كانت تحاول تجنب غضبه، لكنها لم تهتم هذه المرة. لقد وضعت كيلي والدها والبلاد وثلاثة آلاف أسرة في هذا الموقف الرهيب، وكانت على استعداد لقبول ذلك.في اليوم التالي، وقع الرئيس على أمر تنفيذي ينهي سياسة عدم التسامح التي انتهجها سيشينز. كانت إيفانكا قد نجحت في نزع فتيل الأزمة المباشرة. لم تكن تتطلع إلى الإعلان عن مشاركتها، ولكن عندما تحدث الرئيس إلى الجمهوريين في مجلس النواب حول سبب عزمه على عكس السياسة، كشف عن دورها في قراره. في اليوم التالي، اعترف علنًا بإيفانكا عندما وقع على الأمر التنفيذي. أدى هذا إلى سلسلة من القصص الإخبارية التي كانت تأمل في تجنبها.

كان هذا أحد الأمثلة العديدة للفجوة بين الواقع والخيال.لقد كان تصوير وسائل الإعلام لإيفانكا أمرًا مثيرًا للانتباه. ففي حين سارعوا إلى انتقادها لعدم إدانتها القوية لهذه السياسة ـ على الرغم من أن كل صحفي

كانت إيفانكا تدرك أن الاعتراض العلني على سياسة الإدارة كان ليكون أمراً غير معتاد على الإطلاق ـ فقد عملت بهدوء خلف الكواليس لإيجاد حل بناء. كانت في موقف مستحيل، لكنها تعاملت مع الأزمة برشاقة تحت الضغط. ولن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي تتحسن فيها حكمة إيفانكا وتعاطفها مع الناس وعلاقتها بالآخرين.

لقد حلت السفينة مع والدها مشكلة كبيرة وساعدت البيت الأبيض تحقيق نتيجة أفضل.

{23}

"لا أحد يصبح أكثر ذكاءً من خلال الحديث"

في السياسة، من الأسهل بكثير قتل صفقة من إبرامها. حتى لو سارت الأمور على ما يرام، فإن النجاح ليس مضمونًا، وقد يحدث الفشل مع أدنى خطأ. في ربيع عام 2018، بدأت محادثاتنا التجارية مع أنا
المكسيك وكندا في الانهيار. استغرق الأمر بضعة أسابيع حتى تنهار الصفقة.
ملاحظة مكتوبة بخط اليد على قطعة من الورق لإنقاذهم.

كانت المذكرة في جيب بدلتي عندما غادرت الجناح الغربي في إحدى بعد الظهيرة في شهر مايو/أيار وهرعت عبر شارع السابع عشر إلى المبنى الذي يشغله الممثل التجاري الأمريكي بوب لايتهايزر. كان المبنى أحد أقدم المباني في العاصمة، وكان بمثابة مكتب للجنرال مونتغمري سي ميجز، وهو جورجي ظل مخلصًا للاتحاد ونسق إمدادات الطعام والملابس وغيرها من المواد إلى الميدان. تقول الأسطورة إن أبراهام لينكولن كان يمشي بنفس الطريقة من البيت الأبيض عندما أراد التعاطف مع ميجز بشأن أداء جنرالاته.

ولم يكن هدفي من ذلك أن أبدي أي تعاطف. بل كنت أحاول إنقاذ اتفاقية تجارية. وعندما دخلت مكتب لايتيزر، أخرجت الورقة من جيبي وسلّمتها إليه. فدرس كبير الدبلوماسيين التجاريين في البلاد الوثيقة، وفك رموز الأرقام والأسهم المكتوبة عليها. ثم نظر إليّ وقال: "لم أر قط اتفاقية تجارية تُحَل على ورقة بحجم ثلاثة في خمسة. ولكن إذا فعلوا ذلك حقًا، فأعتقد أن هذا حل وسط عادل، وينبغي لنا أن نبرم الصفقة".

في شهر مارس/آذار، غادرت المكسيك بتعهد من الرئيسكان من المفترض أن يتولى بينيا نييتو مهمة إقناع فريقه بالعمل على حل النزاعات التي استمرت في التفرقة بين الجانبين. وقد وقعت المهمة على عاتق إلديفونسو غواخاردو فياريال، وزير الاقتصاد المكسيكي والمشرع السابق. وبنظرة مركزة على مستقبله السياسي، أدرك إلديفونسو الخطر السياسي الذي قد يترتب على التسوية. إن إصرار ترامب على إعادة الوظائف إلى أميركا يعني أن أي اتفاق من شأنه أن يجبر المكسيك على فقدان الوظائف. ونظراً لإدراكه لكيفية تأثير هذا على المكسيكيين، تجنب غواخاردو نتيجة غير شعبية محتملة من خلال تأخير المناقشات وتحريف القضايا الفنية وتحويلها إلى عوامل غير قابلة للحل.

منذ البداية، كنا نعلم أن نقطة الخلاف الرئيسية في محادثاتنا تتعلق بوظائف صناعة السيارات. ففي ظل اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية، خسرت الولايات المتحدة 10% من سوقها.في عام 2018، بلغت قيمة صادرات السيارات وحدها نحو 64 مليار دولار من عجزنا التجاري البالغ 78 مليار دولار في السلع مع المكسيك. ولتحقيق علاقة أكثر توازناً وعكس هجرة الوظائف إلى الجنوب، أردنا أن نطلب من المركبات المصنوعة في المكسيك استخدام المزيد من الأجزاء المصنوعة في أمريكا. وبعد أشهر من محادثات التجارة، وصل لايتهايزر وجواجاردو إلى طريق مسدود. فالمكسيك ببساطة لم تتزحزح عن موقفها بشأن هذه القضية المركزية.

ثم تدخل ترامب. ففي مايو/أيار، وجه فريقه التجاري للتحضيركان ترامب قد فرض تعريفات جمركية بنسبة 25% على السيارات المستوردة من كندا والمكسيك إلى الولايات المتحدة. وقد هدد هذا بتدمير اقتصادي البلدين وربما دفعهما إلى الركود. وقد أثارت خطوته الجريئة قلق واشنطن وول ستريت، لكن ترامب كان يقاتل من أجل الشارع الرئيسي. وبصفته رجل أعمال سابق، كان يعرف أكثر بكثير من السياسي النموذجي أو مدير صندوق الاستثمار عن فرض النفوذ على منافس.

بعد انتشار أنباء تهديد ترامب بالرسوم الجمركية، طار لويس فيديجاراي، وزير الخارجية المكسيكي، إلى واشنطن. وعندما دخل مكتبي، دخل مباشرة إلى صلب الموضوع. بصفته مبعوثًا للرئيس بينيا نييتو، جاء لويس مستعدًا لمعالجة القضايا الصعبة. أخرج قطعة ورق بيضاء ورسم مخططًا يوضح حلًا وسطًا محتملًا. بموجب اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية، لكي تدخل واردات السيارات المكسيكية إلى الولايات المتحدة معفاة من الضرائب، يجب أن يتم تصنيع 62.5٪ من السيارات في الولايات المتحدة. أراد لايتهايزر رفع معيار "قواعد المنشأ" هذا إلى 85٪. تمثل كل نسبة مئوية مليارات الدولارات من الاستثمار المحتمل وعشرات الملايين من الدولارات من الاستثمارات الأجنبية.

لقد اقترح لويس أن نلتقي في منتصف الطريق، واقترح عتبة 75٪ لكلا البلدين، مع مطالبة الممثل التجاري الأمريكي بتقديم تنازلات بشأن قطاعات أخرى. كانت هذه خطوة كبيرة. من شأنها أن تقضي عمليًا على نقل المصانع الأمريكية إلى المكسيك. وهذا يعني أننا قد نتوصل إلى اتفاق. وبعد أن غادر لويس، أخذت المذكرة عبر الشارع إلى لايتيزر.

كان لايتهايزر على استعداد لقبول فكرة لويس بشأن إنشاء هيئة ذات قاعدة أصلية.ولكن كان هناك الكثير من العمل المتبقي بشأن قضايا خلافية أخرى. وفي خضم هذه المناقشات، انتخبت المكسيك في الأول من يوليو/تموز رئيساً جديداً: أندريس مانويل لوبيز أوبرادور، المعروف باسم أندريس مانويل لوبيز أوبرادور. وكان من المقرر أن تبدأ ولايته في الأول من ديسمبر/كانون الأول. وسرعان ما اختار أندريس خيسوس سيد، أستاذ الاقتصاد المتمرس، كمفاوض تجاري مفضل لديه. وبعد فترة وجيزة، استؤنفت محادثات التجارة الرسمية في واشنطن، وانضم سيد إلى الوفد المكسيكي مع لويس.

اجتمع المفاوضون الأميركيون والمكسيكيون في اجتماع لايتيزر المحدود
قاعة المؤتمرات، حيث يجلس الفريقان على جانبي طاولة طويلة.
بدأ لايتهايزر المحادثة بنبرة متفائلة، وهو أمر غير معتاد بالنسبة له. وقال: "أنا سعيد لأننا توصلنا إلى اتفاق بشأن السيارات بنسبة خمسة وسبعين في المائة، لذا يمكننا الآن المضي قدمًا في القضايا الأخرى".

وبينما كان يجلس أمام لايتهايزر، ويداه متشابكتان أمامه، فاجأ غواخاردو الجميع بمفاجأة غير سارة. فقال: "نحن لا نوافق على ذلك، ولكن...هذا عرض جيد منك. ماذا لو قمنا بـ 65% وننهي الأمر؟"

تحول وجه لايتهايزر إلى اللون الأحمر من شدة الغضب وأطلق نظرة غاضبة في اتجاهي.لقد أصيب بالذهول وطلب استراحة. أشار لي بالدخول إلى مكتبه وأغلق الباب وبدأ بالصراخ.

"جاريد، اعتقدت أنك قلت إننا توصلنا إلى اتفاق. هذه كارثة. لقد اتخذنا خطوتنا الكبرى قبل الأوان."

"بوب، توقف عن الصراخ"، رددت عليه. "هذا في الواقع خطؤك". "لقد أخبرتني أنك حصلت على صفقة مقابل هذا الرقم. كيف حدث هذا يا صديقي؟"

عيب؟"

"لقد كنت تفعل هذا لمدة أربعين عامًا، ولم أفعل هذا أبدًا"من قبل. لم يكن ينبغي لك أن تستمع إلي!"

لقد كسرت نكتتي التوتر، فضحك بوب وهدأ من روعه.

"أعطني عشر دقائق لمحاولة إصلاح هذا الأمر"، قلت. "أنا أثق في قدرة لويس على الالتزام باتفاقنا".

غادرت مكتب لايتهايزر وسحبت لويس جانبًا في الردهة. "لويس، ما الذي يحدث هنا؟"

"سأوصلنا إلى هناك"، قال. ثم ذهب إلى غرفة جانبية مع غواخاردو. علمت لاحقًا أنهما اتصلا بالرئيس بينيا نييتو، الذي أوضح أوامره بوضوح تام. بعد البداية المضطربة، اجتمعنا مرة أخرى في غرفة المؤتمرات. مع الاتفاق على السيارات، تمكنا من حل مشكلة العتبة، لكن العديد من المخاوف الأخرى التي قد تؤدي إلى إبطال الصفقة ظلت قائمة. من بين قضايا أخرى، أردنا حماية أقوى للعمال والبيئة وعملية أفضل لحل النزاعات التجارية.

وعلى مدى الأشهر القليلة التالية، أصبح جناح لايتيزر في مكتب الممثل التجاري للولايات المتحدة بمثابة مكتبي المساعد، حيث قضيت ثمانية عشر ساعة في العمل على حل القضايا العالقة في الاتفاق مع موظفي الممثل التجاري للولايات المتحدة. ورغم أن أغلبهم كانوا مسؤولين ديمقراطيين محترفين، فقد استمدوا الطاقة من حقيقة أن الرئيس ترامب مكنهم من النضال من أجل العمال والشركات الأميركية.

ومع إحرازنا للتقدم، برز سؤال مهم: إلى متى ينبغي أن يستمر الاتفاق الجديد؟ فمثله كمثل أي اتفاق تجاري أميركي آخر،

لم يكن لاتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية تاريخ انتهاء صلاحية. فقد ظلت قائمة إلى الأبد، دون أي وسيلة لتعديلها أو تعديلها إذا أصبحت أجزاؤها قديمة أو غير عادلة. لقد كان لدينا في الأساسبيع حق الوصول الدائم إلى سوقنا. وقد شجع هذا الشركات على نقل وظائفها إلى الخارج.

ولإصلاح هذا الخلل، طالب لايتيزر ببند الغروب، الذي من شأنه أن ينهي الاتفاق الجديد بعد خمس سنوات ما لم توافق الدول الثلاث على تجديده. وكان هذا مثيرا للجدل. فقد رفض المكسيكيون والكنديون، وحتى رئيس مجلس النواب بول رايان، الفكرة ووصفوها بأنها غير قابلة للتنفيذ. وبتوجيه من لايتيزر، عملت مع لويس على التوصل إلى حل وسط. وبعد يوم مكثف من المفاوضات، دعوت وزير الخارجية إلى منزلي حتى نتمكن من مناقشة قضية بند الغروب على انفراد.

وصلنا بعد الساعة العاشرة مساءً، جائعين ومنهكين. وجدت بقايا طعام صيني في الثلاجة، فتناولنا الطعام بأنفسنا. وعندما نزلت إيفانكا إلى الطابق السفلي، وجدتنا جالسين وسط كومة من الصناديق البيضاء الفارغة. شعرت بالخزي لأنني سمحت لضيفة بتناول بقايا طعام أطفالنا. قالت: "في المرة القادمة، إذا أعطيتني مهلة أطول قليلاً، فسأعد وجبة مناسبة".

لقد قمت أنا ولويس بوضع استراتيجية بعد منتصف الليل. وأخيرًا، عرضت عليه فكرةكان هناك الكثير من التساؤلات حول ما إذا كان الاتفاق الحالي قد انتهى أم لا، ولكن ما الذي قد يحدث إذا أدرجنا بندًا يحدد تاريخ انتهاء الاتفاقية تلقائيًا بعد ستة عشر عامًا، ما لم توافق الدول الثلاث على تمديدها في هذه الأثناء؟ يمكن للأطراف إجراء مراجعة مشتركة في غضون ست سنوات لتقييم الاتفاقية وإجراء التعديلات. إذا وافقت الأطراف على التمديد، فسيتم إعادة تعيين مدة الاتفاقية لستة عشر عامًا أخرى. إذا لم يفعلوا ذلك، فستبدأ ساعة انتهاء الاتفاقية في العمل بعد عشر سنوات، وستتزايد الضغوط على الأطراف لحل خلافاتهم مع اقتراب تاريخ انتهاء الصلاحية.

وفي اجتماعنا الرسمي التالي مع المكسيكيين، الذي عقد في مكتب لايتهايزر، طرحت مسألة الغروب الشمسي، وقلت: "اسمحوا لي أن أشاركم اقتراحا لحل هذه المسألة".

قبل أن أتمكن من المضي قدمًا، قاطعني جيسوس سياد: "لا، لا، لقد"فكرة!"

القاعدة الأولى للمفاوضات هي السماح دائمًا للطرف الآخر بالبدء أولاً.

"بكل تأكيد" قلت.

أخرج سياد حقيبته وقام بتوزيع وثيقة من صفحتين

كان ذلك مشابهًا بشكل لافت للنظر لفكرتي، ولكن مع اختلاف جوهري واحد:ولكن في عام 1991، اقترح أوباما مهلة ستة عشر عاماً بدلاً من الموعد النهائي المحدد. وكان هذا أكثر فائدة للولايات المتحدة ـ وكان بمثابة دراسة حالة توضح لماذا من الأفضل أن نسمح للطرف الآخر باتخاذ الخطوة الأولى.

"هذا أمر بنّاء، لكنه ليس جيدًا كما نحتاج"، قلت، محاولًا

أخفي عدم تصديقي.

لقد أخذنا استراحة قصيرة، ثم قمت باصطحاب لويس إلى غرفة مؤتمرات صغيرة. وفي محاولة لاحتواء استيائي، سألته عما يريد أن يفعله. لقد اتفقنا بالفعل بشكل غير رسمي على فترة ولاية مدتها ستة عشر عامًا، والتي كنا نعلم أن كلا من رئيسينا يمكنهما الموافقة عليها. لقد ألقى اقتراح سياد بثقله على خطتنا. لقد خطرت على بال لويس فكرة: يمكننا أن نطلب من غواخاردو الاعتراض وطلب ثمانية عشر عامًا، وبعد ذلك يمكننا التفاوض والتوصل إلى اتفاق بشأن الستة عشر عامًا التي خططنا لها في الأصل. وهذا من شأنه أن يحرر سياد من المسؤولية عن عرضه. والأهم من ذلك أنه سينهي القضية الأخيرة المعلقة في مفاوضاتنا الماراثونية.

لقد عدنا جميعًا إلى مكتب لايتهايزر لحضور جولة من مسرح الكابوكي. لقد لعب كل منا دوره على أكمل وجه، مما أدى إلى فوز الجميع. بعد مغادرة الوفد المكسيكي، تبادلنا أنا ولايتهايزر النظرات وتحدثنا عن بعضنا البعض.ضحكنا. كانت تلك واحدة من أسوأ لحظات التفاوض التي شهدناها على الإطلاق. قال لايتيزر: "تذكر فقط، لا أحد يصبح أكثر ذكاءً من خلال الحديث".

في اليوم التالي، 27 أغسطس/آب، جاء الوفد المكسيكي إلى المكتب البيضاوي. وبينما كان الرئيس بينيا نييتو يتحدث عبر الهاتف ورجال الصحافة في الغرفة، أعلن ترامب أننا توصلنا إلى اتفاق أولي مع المكسيك. وقبل وقت قصير من إعلان الرئيس، وقف سياد وإلدفونسو خارج مكتب الممثل التجاري للولايات المتحدة وعقدا مؤتمرا صحفيا خاصا بهما. وادعى سياد بفخر الفضل في بند الغروب. هنا وخلال فترة وجودي في الحكومة، رأيت بنفسي الحكمة في مقولة الرئيس هاري ترومان: "من المدهش ما يمكنك إنجازه إذا كنت لا تهتم بمن يحصل على الفضل".

{24}

اتفاقية الولايات المتحدة والمكسيك وكندا

يجب أن يعلم رئيس الوزراء أن مفاوضيه على وشك

"تفجير علاقات تجارية بقيمة 600 مليار دولار بسبب الزبدة."

لقد بدا الأمر وكأنه مشهد كوميدي غريب من برنامج Saturday Night Liveص ولكنني كنت أتحدث على الهاتف مع ستيف شوارزمان، مؤسس ورئيس مجموعة بلاكستون. لقد أجريت المكالمة من شقتي في نيويورك، حيث كنت أستعد لحضور خطاب ترامب أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في 25 سبتمبر/أيلول 2018. وعندما علمت أن شوارزمان كان يخطط للقاء رئيس الوزراء الكندي ترودو، طلبت منه أن ينقل رسالة. ورغم أننا توصلنا إلى اتفاق مع المكسيك، إلا أننا ما زلنا ننتظر ردا من المكسيك.

الإجابة النهائية من كندا - وكنا على وشك نفاد الوقت.

كان من المقرر أن تنتهي ولاية بينيا نييتو كرئيس للمكسيك في الثلاثين من نوفمبر/تشرين الثاني، وكان لزاماً علينا أن نوقع على اتفاقية قبل أن يترك منصبه. ولتعقيد الأمور، كان القانون الأميركي يتطلب نشر نص أي اتفاقية قبل ستين يوماً من توقيع الرئيس عليها. وهذا يعني أن الموعد النهائي كان في الثلاثين من سبتمبر/أيلول ــ أي خمسة أيام فقط متبقية من الوقت.

"لقد وصلنا إلى نقطة ضعف"، هكذا أخبرت شوارزمان. "إنهم يلعبون لعبة الدجاج مع الرجل الخطأ. إن ترامب سيكون سعيدًا بالمضي قدمًا مع المكسيك وفرض الرسوم الجمركية على كندا. لقد قطع وعدًا لمزارعي الألبان، ولن يتزحزح عن وعده".

اتصل شوارزمان مرة أخرى بعد بضع ساعات، وقال إن ترودو "حصل على"أرسل رسالة واضحة وصريحة إلى فريقه وطلب منهم تقديم عرض مضاد نهائي كان يرغب في مراجعته بنفسه."

لقد استغرق الأمر شهرًا من العمل الجاد للوصول إلى هذه النقطة.

بدأت المفاوضات في غضون أربع وعشرين ساعة من إعلان ترامب أننا توصلنا إلى اتفاق مع المكسيك. سافرت وزيرة الخارجية الكندية كريستيا فريلاند، ورئيسة أركان ترودو كاتي تيلفورد، وكبير مستشاري ترودو جيرالد بوتس إلى واشنطن. فور وصولهم، جاء تيلفورد إلى مكتبي وتحدث معي بصراحة. كنا بحاجة إلى تسوية ثلاث قضايا. كانت القضيتان الأوليتان هما التعريفات الجمركية التي فرضها ترامب على الصلب والألمنيوم، والآلية الكندية أحادية الجانب لحل النزاعات التجارية. كنت أعلم أننا قادرون على حل هذه القضايا، لذا فقد انتهى الأمر بالقضية الثالثة: منتجات الألبان. ستكون هذه القضية أكثر صعوبة وقد تكون سببًا في فشل الصفقة.

في سبعينيات القرن العشرين، فرضت كندا ضوابط أسعار محلية،في عام 2016، سمحت كندا لمزارعي الألبان بفرض أسعار مرتفعة بشكل مصطنع. وفي الوقت نفسه، منعت ضريبة الاستيراد المزارعين الأميركيين من التمتع بالوصول إلى سوق كندا. تنطبق هذه الحواجز على مجموعة واسعة من منتجات الألبان، ولكن ليس على الحليب فائق الترشيح، وهو أحد مكونات حليب الأطفال والجبن وغيرها من الأطعمة المصنعة. ولأن هذا الجزء من السوق ظل مفتوحًا نسبيًا، فقد استثمر العديد من مزارعي الألبان في ويسكونسن في معدات باهظة الثمن لصنع حليب فائق الترشيح. في عام 2016 وحده، حققوا أكثر من 100 مليون دولار من المبيعات.35 ولإحباط هذه الأرباح، توصل صناع السياسات الكنديون إلى قيود جديدة على الحليب فائق الترشيح، مما هدد بإخراج العشرات من مزارع الألبان الأميركية من العمل.36 التقى ترامب ببعض هؤلاء المزارعين في وقت مبكر من رئاسته، وكان مصممًا على القتال من أجلهم.

على مدى الأسابيع الثلاثة التالية، التقيت أنا ولايتهايزر يوميا مع فريلاند وتيلفورد وبوتس في سلسلة من المفاوضات المحبطة على نحو متزايد. ورغم أن تيلفورد وبوتس أرادا غريزيا دفع المناقشات نحو نتيجة بناءة، إلا أن فريلاند لم تكن في عجلة من أمرها. فمثل غواخاردو من المكسيك، كانت نجمة صاعدة في صفوف السياسة في بلادها. وخلال ساعات من الاجتماعات، كانت تقرأ من الملاحظات التي كتبتها بالحبر على يدها. ثم سمحت لليتهايزر بالتشاجر مع خبراء التجارة لديها حول المسائل الفنية، كل ذلك مع رفض الالتزام بأي تغييرات جوهرية. وبعد هذا المسرح، كانت تسير إلى درجات مبنى الممثل التجاري للولايات المتحدة وتعقد مؤتمرا صحفيا في الهواء الطلق، وتنطق بعبارات مبتذلة مثل "أحصل على أجري بالدولار الكندي، وليس الدولار الأمريكي".

بعد ثلاثة أسابيع من التأخير من جانب فريلاند، وجه لايتهايزر موظفيه لإعداد وثيقتين: اتفاقية ثنائية مع المكسيك، وفيفي حالة قرر جيراننا الشماليون الانضمام في اللحظة الأخيرة، وهي صفقة ثلاثية شملت أيضًا كندا.

بعد أن اتصلت بشوارزمان وطلبت منه التحدث إلى ترودو بشأنفي أعقاب المأزق الذي وصلنا إليه بشأن الزبدة، علمت أن بينيا نييتو أجرى أيضًا مناقشة صريحة مع رئيس الوزراء الكندي. وشجع ترودو على التفكير فيما إذا كانت مفاوضته التجارية قد أوصلت الصفقة إلى أقصى حد ممكن. لقد أعدت الطاولة، لكن إتمام الصفقة يتطلب قرارًا تنفيذيًا. وعندما اعترف ترودو بأنه لا يزال لا يريد القيام بذلك، وجه بينيا نييتو إنذارًا نهائيًا: "أخبرونا، لأننا موافقون. لقد حصلنا بالفعل على صفقتنا. أحتاج إلى التوقيع نيابة عن بلدي، وسأوقع".

وفي نفس الوقت تقريبا، في السادس والعشرين من سبتمبر/أيلول، عقد ترامب مؤتمرا صحفيا وسأله أحد المراسلين عما إذا كانت كندا ستنضم إلى الصفقة. فاستغل الرئيس الفرصة للتفاوض من خلال وسائل الإعلام، وهو تكتيك أتقنه. وقال: "مع كندا، سنرى ما سيحدث. إنهم يفرضون علينا رسوما جمركية بنسبة ثلاثمائة بالمائة على منتجات الألبان؛ لا يمكننا أن نتحمل ذلك. لذا فإن كندا أمامها طريق طويل لتقطعه. يجب أن أكون صادقا".

معك، نحن لا نتفق على الإطلاق مع مفاوضيهم إذا

"إن كندا لم تعقد صفقة معنا، ونحن سنعقد صفقة أفضل بكثير."

وبعد أقل من ساعة، قدم لنا الكنديون عرضًا مكتوبًا. وبعد ستة عشر شهرًا من المماطلة، أصبحوا مستعدين أخيرًا للحديث عن التفاصيل.

لقد كنت أعرف الكثير عن الأسباب التي تفصل بين الجانبين، ولكنني لم أكن خبيراً في التفاصيل الغامضة المتعلقة ببنود منتجات الألبان. لقد أرسلت صوراً للوثائق إلى لايتيزر ونائبه الأعلى، رئيس المحكمة العليا، قبل أن أتوجه إلى اجتماع طويل مع رئيس الوزراء بيبي نتنياهو لمناقشة خطتنا للسلام.

عندما اتصلت بلايثيزر بعد الاجتماع، صاح قائلاً: "هذا كل شيء"."هذا هراء! إنهم لا يريدون عقد صفقة - هذا لن ينجح."

"هل يمكنني أنا وسي جيه أن نتصل بكيتي ونشرح لها سبب عدم نجاح الأمر ونمنحها فرصة أخيرة لقبول عرضنا النهائي؟" سألت.

"لا" رد لايتهايزر.

"لماذا لا؟" سألت.

تدخل سي جيه، وسأل: "ألم تشاهد فيلم العراب؟". "هذا هو"كيف تم إطلاق النار على العراب."

"حسنًا، يا رفاق، لا داعي لأن تنفصلوا عن بعضكم البعض"، قلت. "لكنني أعتقد أنهمأريد أن أبرم صفقة وهذا عرض حسن النية. دعني أعود إليهم مرة أخرى. للقيام بذلك، أحتاج إلى الحصول على كل التفاصيل بشكل صحيح تمامًا. هل يمكنك أن تشرح لي سطرًا بسطر من عرضهم وتخبرني بما سنقبله؟"

وافق لايتهايزر، وفي صباح اليوم التالي، قضينا ما يقرب من ساعتين في مراجعة التفاصيل. ثم اتصلت بتيلفورد وناقشت التغييرات التي نحتاجها.

قالت: "سيكون الأمر صعبًا. نحن نتجه الآن إلى اجتماع مع رئيس الوزراء، وسنتصل بك مرة أخرى ونخبرك بإجابته". اتصلت بعد ساعة قائلة: "سيوافق رئيس الوزراء على الصفقة".

كان أمامنا أقل من ثمانين ساعة قبل الموعد النهائي لتقديم الصفقة الجديدة للمراجعة في الكونجرس. وعمل لايتيزر وفريقه طوال الليل لوضع اللمسات الأخيرة على التفاصيل الفنية. وفي عصر يوم الأحد، قمت أنا ولايتهايزر بزيارة ترامب في مقر إقامته في البيت الأبيض وأطلعناه على التفاصيل.

وقال ترامب: "بوب، لماذا لا تخرج وتعقد مؤتمرا صحفيا غدا وتروج للصفقة؟ لم أر قط في حياتي صفقة تجارية تم استقبالها بشكل إيجابي".

لقد شعرت أنا ولايتهايزر بالإحباط الشديد. فقد عملنا على هذه الاتفاقية لمدة عامين تقريبًا. وفي بعض الأحيان، بدا الأمر وكأنه مهمة مستحيلة. ولكن عندما واجهنا مقاومة، واصلنا المضي قدمًا، وتوصلنا إلى اتفاق أفضل مما توقعنا. والآن يريد الرئيس منا أن نثبت أن الصحافة المعادية عادة ستصور الاتفاق بشكل إيجابي كما وصفناه له.

وعندما خرجنا، أضاف ترامب: "أريد أن يُطلق عليها اسم US MCA، مثل سلاح مشاة البحرية الأمريكي"، ثم أجرى تعديلاً نهائيًا.إلى الصفقة.

ومع اقتراب الساعة من منتصف الليل، أرسلنا الاتفاق الموقع حديثا إلى الكونجرس، متقدمين على الموعد النهائي بثلاثين دقيقة فقط، وضمنا التزامنا بالجدول الزمني لإنهائه قبل مغادرة بينيا نييتو لمنصبه.

كان الاستقبال الإعلامي في صباح اليوم التالي إيجابيا للغاية. اتصلت إيفانكا بالرئيس، وقرأت عليه العناوين الرئيسية المتفائلة، وشجعته على احتضان النصر من خلال الإعلان بنفسه.

وبعد ساعات قليلة، اعتلى ترامب المنصة في حديقة الورود. ووقفت أنا ولايتهايزر خلفه، إلى جانب وزير الخزانة ستيفن منوشين وأعضاء آخرين من مجلس الوزراء. وانضم إلينا على خشبة المسرح بناء على طلب ترامب موظفو مكتب الممثل التجاري الأمريكي الذين عملوا بلا كلل لصياغة الاتفاق عالي التقنية بسرعة قياسية - وهو مجرد مثال واحد على غريزة ترامب في شكر الأشخاص الذين لم يتلقوا في كثير من الأحيان ما يكفي من التقدير. وبعد أن تحدث الرئيس، طلب من لايتيزر أن يقول بضع كلمات. ورغم أنني لم أتوقع ذلك، شكرني لايتيزر على خشبة المسرح: "لقد قلت من قبل، وسأقول مرة أخرى. لم يكن هذا الاتفاق ليحدث لولا جاريد".

ومن المدهش أن مسودة الاتفاق لم تتسرب إلى الصحافة قط. والواقع أن أياماً قليلة مرت منذ أن أعلن عن الاتفاق.قبل إعلان الرئيس، كتب مراسل أكسيوس جوناثان سوان: "لا يتمتع سوى عدد ضئيل من مسؤولي الإدارة، بما في ذلك روبرت لايتهايزر وجاريد كوشنر، برؤية كاملة لمفاوضات اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية. لقد كانت المفاوضات خالية من التسريبات بالكامل تقريبًا". كان هذا إطراءً كبيرًا وإنجازًا نادرًا في البيت الأبيض تحت إدارة ترامب.

إن التفاوض على اتفاقية تجارية يشبه لعبة الدجاج، مع عواقب حقيقية. يجب على الجانب الآخر أن يعتقد أنك ستقفز من الهاوية. لقد نجحنا لأن ترامب كان مستعدًا تمامًا لإنهاء اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية - وكانت المكسيك وكندا تعلمان ذلك. لقد جعل أسلوبه العديد من الناس يشعرون بعدم الارتياح، بما في ذلك حلفاؤه في الكونجرس، والزعماء الأجانب، ومستشاريه، لكنه أدى إلى نتائج غير مسبوقة. بعد ثلاثين عامًا من العولمة التجارية الحرة التي أغلقت المصانع الأمريكية، أعادت اتفاقية الولايات المتحدة والمكسيك وكندا تشكيل التجارة لإعادة الوظائف وتحقيق أجور أفضل للعمال الأمريكيين. نفذت الصفقة البالغة قيمتها 1.3 تريليون دولار متطلبات "قواعد المنشأ" القوية لدفع التصنيع إلى الولايات المتحدة. كما فتحت أسواق ألبان جديدة للمزارعين الأمريكيين. تضمنت متطلبات مفصلة وقابلة للتنفيذ لمنح العمال أجرًا عادلاً وحماية البيئة - وهي الأولى في تاريخ التجارة الأمريكية.

وقد اتخذت خطوات لمواجهة النفوذ الخبيث للصين في الاقتصاد العالمي من خلال بند يقضي بطرد أي طرف من الصفقة إذا انضم إلى اتفاقية تجارية مع الصين.

كما تضمنت الاتفاقية بندًا مبتكرًا لمحاسبة كندا والمكسيك على شروط الاتفاقية، وضمنت تسوية النزاعات التجارية في المحاكم الأمريكية أو المكسيكية أو الكندية، بدلاً من منتدى دولي عالمي. لقد غيرت اتفاقية الولايات المتحدة والمكسيك وكندا إرث أمريكا في التجارة. لقد وضعنا نموذجًا جديدًا لـ "أمريكا أولاً" ليستخدمه المسؤولون الأمريكيون في المفاوضات المستقبلية مع البلدان الأخرى.

* * *

بعد عدة أسابيع، في 18 أكتوبر، أخذت يومًا إجازة نادرًا وسافرت إلىنيويورك ــ في عام 1991، كنت في زيارة إلى نيويورك لحضور حفل زفاف أخي جوش. وقد نشأت بيننا رابطة قوية منذ الصغر، حيث كنا نلعب كرة السلة والهوكي معا كل يوم تقريبا بعد المدرسة. وبينما كنا نقود السيارة إلى منزل أحد الأصدقاء بالقرب من مكان حفل الزفاف، تذكرت كيف كانت الحياة خارج قدر الضغط في واشنطن. ولكن في منتصف الرحلة بالسيارة، رن هاتفي الحكومي. ألقيت نظرة خاطفة على هوية المتصل فرأيت مصدر المكالمة: "غرفة العمليات في البيت الأبيض". وعادة ما تعني المكالمة من هذا الرقم أن الرئيس يريد التحدث معي. وعندما رددت على الهاتف، طلب مني عامل الهاتف الانتظار للجنرال كيلي. ونادرا ما كان يتواصل معي، لذا فقد اعتقدت أن هذا أمر غريب.

"أين أنت؟" صرخت كيلي.

قلت له إنني في نيويورك لحضور حفل زفاف أخي، فقال لي: "عليك العودة إلى هنا على الفور".

"ماذا يحدث؟" سألت.

وقال كيلي إن القوافل القادمة من أميركا الوسطى كانت تعبر الحدود الجنوبية للمكسيك وتتجه إلى الولايات المتحدة. وأضاف: "الرئيس يصاب بالجنون ويصرخ في وجه وزيرة الخارجية نيلسن. أريدك أن تعودي على الفور وتتعاملي مع هذا الأمر".

قلت له إنه إذا كان الموقف أزمة حقيقية، فسوف أستأجر طائرة إلى واشنطن في وقت لاحق من تلك الليلة بعد الزفاف. لم يكن يبدو راضيًا،لكننا أنهينا المكالمة.

اتصلت بلويس وطلبت منه معلومات أساسية عن الوضع، وشرحت-وقال لويس إن القوافل لا تزال على بعد مئات الأميال من الحدود الأمريكية ولا تشكل أزمة فورية. وأخبرني أن المكسيك يمكن أن تتخذ عدة تدابير لتكثيف إنفاذ القانون ومواجهة القوافل. وقال: "دعونا نحرك هذه الجهود، ويمكننا إعادة النظر في هذا الأمر في غضون أربع وعشرين ساعة".

بدت حلوله معقولة، واستنتجت أن تدريبات إطفاء الحرائق التي أجراها كيليكان الهدف من الخطة هو تلبية احتياجات جمهور واحد: الرئيس. لذا قررت أن أذهب مباشرة إلى المصدر وأرى ما إذا كان ترامب يوافق على خطة لويس. عندما اتصلت بمساعد ترامب مادلين ويسترهوت، أبلغتني أنه كان في المكتب البيضاوي مع منوشين وجون بولتون ووزيرة الأمن الداخلي كيرستين نيلسن بالإضافة إلى كيلي.

"ممتاز"، أجبت. "أرسلني إلى الرئيس واسأله إذا كان"يمكنه أن يضعني على مكبر الصوت."

لقد وصفت اقتراح المكسيك للمجموعة، وبدا ترامب راضيا،طلب مني أن أشكر لويس، وطلب مني أن أستمتع بالزفاف.

وبعد بضع دقائق، اتصل بي منوشين: "لن تصدق أبدًا ما حدث. عندما دخلت مادلين إلى المكتب البيضاوي وقالت إنكوعلى الهاتف، قفزت كيلي واعترضت على تدخلك.

يبدو أن كيلي أصر على ألا أتحدث مع المكسيكيين بشأن قضية القافلة. وأصر على أن الأزمة تقع ضمن اختصاص نيلسن، وأنها كانت تسيطر عليها. نظر ترامب إلى كيلي باستخفاف وقال: "بالطبع نريد أن يشارك جاريد في هذا الأمر. إنه الوحيد الذي أنجز أي شيء مع المكسيك. كيف سنوقف القوافل بخلاف ذلك؟" غاضبًا من تشكيك الرئيس في قدرته وقدرة نيلسن على حل المشكلة، غادر كيلي المكتب وغادر المبنى ولم يعد إلى الجناح الغربي لعدة أيام. ومع ذلك، بحلول ذلك الوقت، بدا وكأنه منزعج للغاية لدرجة أن أحدًا في الجناح الغربي لم يلاحظ حقًا أنه غادر.

{25}

مشروع قانون الزومبي

في واشنطن، اكتسبت تشريعاتنا لإصلاح العدالة الجنائية لقبًا غير مرغوب فيه: "مشروع قانون الزومبي". وبعد أن تم تمرير مشروع القانون في مجلس النواب بدعم ساحق، صعد معارضونا من انتقاداتهم العامة وعطلوا تنفيذه.

لقد كان هناك زخم في مجلس الشيوخ. وبدا أن احتمال وصول مشروع قانون إلى مكتب الرئيس يتضاءل، لكنني كنت عازماً على المضي قدماً.

في أغسطس/آب، بينما كان ترامب يقيم في معسكره في ناديه للغولف في بيدمينستر بولاية نيوجيرسي، بينما كان البيت الأبيض يخضع لأعمال التجديد، اغتنمت الفرصة للتخطيط لمنتدى حول إصلاح الأحكام مع العديد من أنجح حكام الولايات المتحدة.

عندما اجتمعنا، كان الرئيس متأخرًا عن الموعد المحدد.خارج كوخه، أجريت مكالمة كنت قد أجلتها لفترة طويلة. بعد إطلاق سراحها من السجن بموجب عفو رئاسي قبل شهرين، أصبحت أليس جونسون من المشاهير. في البداية، كنت مترددة في التدخل في قصتها: كانت هي من تحكيها، وآخر شيء تحتاجه هو مسؤول عام يصرف الانتباه عن مثالها. لكنني أردت أن أخبرها أن قصتها تساعد جهودنا، لذا اتصلت برقمها.

"شكرًا جزيلاً على الاتصال!" قالت على الفور. "كنت أتمنى أن تفعل ذلك. شكرًا لك على إنقاذ حياتي. لقد أطلعتني كيم على كل محادثاتك على طول الطريق. أعرف ما كنت تواجهه وأشكرك على القتال من أجلي والإيمان بي. لن أخذلك أو أخذل الرئيس ترامب أبدًا. آمل أن تعرف أن الجميع

إن السجناء في السجن يحبونك ويتابعون جهودك عن كثب. إنهم يصلون من أجلك."لك كل يوم."

لقد فوجئت وسعدت بسماع هذا - لكن الهدف من مكالمتي كانلتخبرها بمدى الخير الذي كانت تفعله.

"لقد أثرت قصتك على الكثير من الناس، ولكن الأهم من ذلك أنها أثرت على الرئيس ترامب"، قلت. "لقد فتحت قضيتك عينيه وقلبه. نحن على وشك الدخول في اجتماع للحصول على موافقته على إصلاح الأحكام، وأعتقد أننا سننجز ذلك".

واختتمنا المكالمة في الوقت الذي خرج فيه ترامب من كوخه واتجه نحو أسطول من عشرين عربة جولف وما بدا وكأنه كتيبة من عملاء الخدمة السرية يرتدون معدات تكتيكية ويحملون مدافع رشاشة ضخمة.

لقد قدم المحافظون حجة مقنعة لإصلاح الأحكام، ويمكنني أن أقول إن ترامب كان يفكر بجدية في دعم الأحكام التي أصر السناتور تشاك جراسلي على إضافتها إلى مشروع القانون الذي أقره مجلس النواب. ومع اقترابنا من نهاية أغسطس، كانت نافذة تمرير أي تشريع تغلق بسرعة. كانت انتخابات التجديد النصفي في نوفمبر تلوح في الأفق. كان كل عضو في مجلس النواب على وشك الانتخاب، وكذلك ثلث أعضاء مجلس الشيوخ. بالنسبة لجراسلي وعدد قليل من الآخرين، ظل تمرير قانون الخطوة الأولى أولوية، ولكن بالنسبة لمعظم أعضاء الكونجرس، كان لإعادة انتخابهم الأولوية على أي شيء آخر تقريبًا. ولتعقيد الأمور، كان المتنبئون السياسيون يتوقعون أن يستعيد الديمقراطيون السيطرة على مجلس النواب والشيوخ. اعتقد العديد من الديمقراطيين أنه إذا حصلوا على الأغلبية، فيمكنهم الدفع من أجل مشروع قانون أكثر ليبرالية. إذا أردنا تمرير إصلاح العدالة الجنائية الذي سيوقعه الرئيس بالفعل، فنحن بحاجة إلى إنجازه قبل نهاية العام.

وفي الوقت نفسه، كان المدعي العام سيشينز يراقب نشاطنا من مكانه في وزارة العدل، وكان يشعر بقلق متزايد من احتمال تأييد الرئيس لإصلاح نظام العقوبات. وبفضل خبرته الطويلة في واشنطن، كان سيشينز يدرك أنه ليس مضطراً إلى إقناع الرئيس بمعارضتنا. بل كان عليه فقط إقناعه بتأجيل القرار حتى عام 2019. وهذا من شأنه أن يكون كافياً لإفشال جهودنا. وحدد الجنرال كيلي موعداً لاجتماع في الثالث والعشرين من أغسطس/آب حتى يتمكن سيشينز من عرض قضيته على الرئيس.

في هذه المرحلة، أصبحت علاقة النائب العام بالرئيس

كان قد تدهور بشكل كامل. في يوم الاجتماع، تم عرض لقطات من مقابلة ترامب المسجلة مع المذيعة آينسلي إيرهارت من قناة فوكس نيوز على التلفزيون.وقال ترامب وهو يجلس في حديقة الورود: "جيف سيشنز لم يتولى السيطرة على وزارة العدل، وهذا أمر لا يصدق".

ورد المدعي العام ببيان: "طالما أنني المدعي العام، فإن تصرفات وزارة العدل لن تتأثر بشكل غير لائق بالاعتبارات السياسية".

لم يكن ترامب يتحمل النظر إلى سيشينز خلال اجتماعهما، الذي حضرته مع بروك رولينز، ولكن عندما حذر سيشينز من أن إصلاح الأحكام سيكون بمثابة هروب للمجرمين، أخذ تحذيرات المدعي العام على محمل الجد وقرر الانتظار حتى بعد انتخابات التجديد النصفي لاتخاذ القرار.

لقد فاجأني قراره. قبل الاجتماع، كنت قد أشرت إلى العديد من جماعات المناصرة والمشرعين المحافظين أن ترامب سيدعم إصلاح العقوبات. لقد استبقت الأمر، وكان ينبغي لي أن أتوقع حدوث ذلك. لقد تحدثت أنا وبروك رولينز في مكتبي. لقد شعرنا بخيبة الأمل بسبب النكسة، ولكن من وجهة نظر ترامب السياسية، كان القرار صائبا.

وبما أنني لم أعد أملك الكثير من الخيارات، فقد لجأت إلى نائب الرئيس بنس طلبا للنصيحة."إن هذا جهد نبيل، وبصفتي مسيحياً أؤمن بالفرص الثانية"، كما قال. "لقد قمت بهذا في ولاية إنديانا فقط بعد أن حصلت على دعم من سلطات إنفاذ القانون. وبهذه الطريقة، في أي وقت ينتقدني فيه شخص ما من اليمين، يمكنني أن أقول "لقد عملت مع سلطات إنفاذ القانون للقيام بهذه الإصلاحات". انظر، بعض الناس يؤيدون إصلاح العدالة الجنائية، وبعض الناس يؤيدون السلامة، ولكن بالنسبة لي الأمر يتعلق بالخلاص وأعتقد أنه يمكنك أن تكون مع الثلاثة".

عدت إلى فريقي. قلت: "حسنًا، يا رفاق، قبل أن نعود إلى اللعبة الداخلية في العاصمة، دعونا نركز على لعبتنا الخارجية. نحتاج إلى إشراك مجموعات الشرطة". قفز رولينز إلى العمل وتواصل مع مجموعات إنفاذ القانون الرئيسية. لقد أحبوا جميعًا الرئيس ترامب وقدّروه وكانوا على استعداد للعمل معنا بشأن إصدار الأحكام، طالما أن إصلاحاتنا تجعل المجتمعات أكثر أمانًا.

كانت إحدى المجموعات التي كانت مفيدة بشكل خاص هي الرابطة الدولية

مؤتمر رؤساء الشرطة، وهو أكبر منظمة لقادة الشرطة في العالم.لقد قمت بترتيب لقاء ترامب للتحدث في مؤتمرهم السنوي في فلوريدا في الثامن من أكتوبر/تشرين الأول، حتى يتمكن من شكرهم على خدماتهم والتعبير عن امتنانه لتأييدهم لقانون الخطوة الأولى.

في طريق العودة من الحدث، بينما كنا نستقل مروحية مارين وان في قاعدة أندروز المشتركة لرحلة العودة التي تستغرق عشر دقائق إلى البيت الأبيض، سلم أحد المساعدين ترامب مسودة للملاحظات التي سيلقيها في الحدث في ذلك المساء: حفل أداء اليمين لأحدث عضو في المحكمة العليا، القاضي المساعد بريت كافانو، الذي أقره مجلس الشيوخ للتو بعد واحدة من أكثر جلسات الاستماع القضائية إثارة للجدل في تاريخ أمريكا. عندما ظهرت الاتهامات حول سلوك كافانو المزعوم في المدرسة الثانوية، اتصل الكثيرون في واشنطن بالرئيس وتوسلوا إليه لسحب الترشيح. غالبًا ما قال ترامب إن ترشيح قاضٍ في المحكمة العليا هو ثاني أكبر قرار يتخذه الرئيس، لأنه تعيين مدى الحياة. فقط قرار الذهاب إلى الحرب هو الأكثر أهمية.

لقد فاجأ الجدل كله ترامب. قال له: "أنت فتى جوقة".وبعد وقت قصير من ترشيحه لكافانو، قال ترامب مازحا: "لقد كان مرتاحا لتمسكه بكافانو وعدم الرضوخ لما اعتقد أنه اتهامات كاذبة. ومع ذلك، كان قلقا أيضا من أن التجربة قد تغير وجهة نظر القاضي الجديد، وأنه سيقضي بقية حياته المهنية في محاولة الفوز بموافقة الليبراليين ووسائل الإعلام من خلال اتخاذ القرارات التي يفضلونها".

وبينما كان يضع علامات على مسودة الخطاب، نظر إلي ترامب وقال: "ماذا؟"هل فكرت في البكاء؟" سأل، في إشارة إلى لحظة في جلسات الاستماع عندما انهار كافانو في البكاء.

"لقد اعتقدت أن الأمر نجح معه"، قلت. "لقد بدا الأمر حقيقيًا، وكان

"تغيرت ديناميكية الجلسة."

توقف ترامب ونظر من نافذة طائرة مارين وان بينما كنا نحلق فوق نصب واشنطن التذكاري، على بعد أقل من مائة قدم. ثم نظر إلي وقال: "جاريد، اسقط قبل أن تبكي".

* * *

ورغم أن ترامب منح سيشينز انتصارا بموافقته على تأجيل إصلاح العدالة الجنائية، إلا أن علاقتهما كانت تقترب بسرعة من نهايتها.

بدأت المعارضة الشديدة من جانب المدعي العام لإصلاح العدالة الجنائيةلقد كان من المفترض أن يكون هذا هو السبب وراء غضب الرئيس ووسائل الإعلام. لقد نجحنا أنا وروليتز في تجميع تحالف قوي من الدعم المحافظ، والذي ضم العديد من أصدقاء وحلفاء ترامب. وقد أكدوا للرئيس أن إصلاحاتنا تتفق مع قيمه المحافظة ــ وأن سيشينز كان مخطئا تماما.

بحلول شهر نوفمبر/تشرين الثاني، حصلنا على تأييد سبع منظمات رئيسية لإنفاذ القانون، فضلاً عن أكثر من ألفي زعيم محافظ ورجل دين. عملت القسيسة باولا وايت، وهي صديقة قديمة لترامب وقسيسة قادت جهودنا للتواصل مع الإنجيليين في حملة عام 2016، بلا كلل مع زعماء الأديان لبناء الدعم لمشروع القانون الذي قدمناه. كان شغف المجتمع الديني بهذه القضية هو المفتاح لإبقاء أعضاء الكونجرس الجمهوريين منخرطين.

في مجلس الشيوخ، واصلنا الاعتماد على مجموعة من المشرعين الذين جلبوا مهارات فريدة إلى الطاولة. كان الرئيس جراسلي يحمل مطرقة لجنة القضاء، وكان مبدأه وشغفه مجتمعين ليجعلاه كلبًا قويًا للإصلاح. كان مايك لي محاميًا استثنائيًا ومارس نفوذًا كبيرًا على المحافظين الرافضين في مجلس الشيوخ مثل تيد كروز وماركو روبيو. كان تيم سكوت، السيناتور الجمهوري الأسود الوحيد، مشرعًا فعالاً ويمكنه التحدث بسلطة أخلاقية عن التفاوتات في أمريكا. وكان ليندسي جراهام، رجل كارولينا الجنوبية الاجتماعي والعنيد، يتقن فن إقناع الزملاء المتشككين بالموافقة وكان مدافعًا لا يعرف الخوف في الصحافة.

وعلى الجانب الديمقراطي، كنت أتحدث مع ديك دوربين بشكل شبه يومي. وعندما أقر مجلس النواب قانون الخطوة الأولى دون إصلاح نظام العقوبات، سحب دعمه لمقترحنا. ثم عاد إلى جهودنا بعد أن رأى أننا جادون في تضمين إصلاح نظام العقوبات في مشروع قانون مجلس الشيوخ. وكنا قلقين باستمرار من خسارة دعمه. وبسبب قواعد التعطيل في مجلس الشيوخ، كنا في حاجة إلى تأمين أكثر من ستين صوتاً. وهذا يعني أننا لم نستطع أن نخسر دعم دوربين أو غيره من الديمقراطيين الرئيسيين. ثم انضم إلينا كوري بوكر، الذي عارض مشروع القانون في السابق، وأثبت أنه كان فعالاً في توسيع تحالفنا.

في مرحلة ما، قدمنا عدة تنازلات لمجموعات إنفاذ القانون،

ولقد كان من الصعب للغاية أن نتوصل إلى اتفاق، وهو ما تطلب منا إزالة بعض الأحكام التي كانت مهمة بالنسبة لدوربين. وقد اتصل بي جارون سميث، رئيس اللجنة التشريعية، في حالة من الذعر. فقد سمع أن دوربين كان على وشك سحب دعمه. فتوجهت مباشرة إلى مجلس الشيوخ: "إذا لم تكن مرتاحاً، فأنا لست مرتاحاً"، هكذا قلت لدوربين عندما التقينا في مكتب جراسلي. "لقد بدأنا جميعاً هذا الأمر معاً، وسوف ننهيه معاً". لقد عملت فرقنا طوال الليل، وقاد جارون المفاوضات ببراعة إلى إجماع حافظ على تماسك ائتلافنا.

وقد تضمن مشروع القانون المحدث العديد من الإنجازات. فأولا، خفض الحد الأدنى الإلزامي للمجرمين غير العنيفين، بما في ذلك أحكام السجن مدى الحياة لبعض مرتكبي جرائم المخدرات غير العنيفة مثل أليس جونسون. وثانيا، تأكد من أن العقوبات المفروضة على حيازة الكوكايين الكراكي، وهو الشكل الأكثر انتشارا من الكوكايين في المجتمعات السوداء، كانت متناسبة مع العقوبات المفروضة على حيازة الكوكايين المسحوق ـ وطبق هذا التخفيف بأثر رجعي، حتى يتسنى لأولئك الذين يقضون حاليا عقوبات غير عادلة الحصول على الإفراج. وثالثا، أعطى القضاة مزيدا من السلطة التقديرية في إصدار الأحكام، حتى يتمكنوا من فرض عقوبات قاسية على التهديدات الحقيقية للمجتمع وعقوبات أكثر تساهلاً على أولئك الذين لديهم تاريخ إجرامي بسيط أو ليس لديهم تاريخ إجرامي على الإطلاق. وأخيرا، أصلح "ائتمانات الوقت الجيد" للتأكد من أن السجناء الذين أظهروا سلوكا جيدا لا يتم سجنهم لفترة أطول مما ينبغي.

وبينما كنا ندمج هذه الإصلاحات المتعلقة بالعقوبات في مشروع القانون، تلقيت مكالمة غير متوقعة من أنتوني روميرو، المدير التنفيذي للاتحاد الأميركي للحريات المدنية. ومع علمي بأن تأييد الاتحاد الأميركي للحريات المدنية لهذه الإصلاحات كان بمثابة صدمة حقيقية، فقد كان من الواضح أن هذا هو ما حدث.ولكي أشجع الديمقراطيين على الانضمام إلى ائتلافنا، فقد التقيت مع أنتوني قبل عدة أشهر لطلب دعمهم.

"تهانينا، لقد حصلتم الآن على تأييدنا"، قال. "لقد وعدت بأننا سندعم إصلاحات الأحكام بأثر رجعي إذا تضمنتها ـ وأنا دائمًا أفي بوعودي". لقد نسيت وعد روميرو، لكنني كنت ممتنًا لأنه أوفى بوعده. لقد انضم كل الديمقراطيين تقريبًا الذين عارضوا مشروع القانون في البداية ـ بما في ذلك جيري نادلر وكامالا هاريس ـ على الفور بعد تأييد اتحاد الحريات المدنية الأمريكية.

في انتخابات التجديد النصفي التي جرت في السادس من نوفمبر/تشرين الثاني، استعاد الديمقراطيون الأغلبية في مجلس النواب، لكن خسائر الجمهوريين كانت أخف من المتوقع. ففي مجلس الشيوخ، لم يحتفظ الجمهوريون بأغلبية مقاعدهم فحسب، بل وأيضاً بأغلبية مقاعد مجلس الشيوخ.

ولكن الحزب تمكن من السيطرة على الانتخابات لكنه حصل على مقعدين ـ وهو إنجاز نادر في انتخابات التجديد النصفي.

عندما يعاني حزب الرئيس عادة من النكسات.

في اليوم التالي لانتخابات التجديد النصفي، أقال ترامب سيشينز، فأزال بذلك أكبر عائق داخلي أمام إصلاح نظام العقوبات. ولكن حتى مع رحيل سيشينز، ظلت عقبتان هائلتان قائمتين. أولا، لم يتخذ الرئيس قرارا نهائيا بشأن إصلاح نظام العقوبات. وثانيا، حتى لو قرر دعمه، فإننا ما زلنا في حاجة إلى زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ ميتش ماكونيل لتحريك مشروع القانون عبر مجلس الشيوخ، وكنا نعلم أنه لم يكن حريصا على القيام بذلك. لا يزال العديد من أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين البارزين يعارضون التشريع، وكان ماكونيل - وهو سيناتور من كنتاكي لمدة ست فترات وموهوب في فن السياسة الانتخابية - مترددا في قضاء وقت مجلس الشيوخ في مناقشة قضية قسمت الحزب.

في الرابع عشر من نوفمبر/تشرين الثاني، نظمت أنا ورولينز وجارون اجتماعا رئاسيا مع شريحة واسعة من ائتلافنا: المشرعون والمدافعون وقادة إنفاذ القانون. في عدة مناسبات، ألمح ترامب إلى أنه كان على استعداد تقريبا لتأييد نسختنا الموسعة من قانون الخطوة الأولى، بما في ذلك إصلاحات العقوبة. اعتقدت أنه إذا سمع من بعض أقوى دعاة الإصلاح المحافظين، فقد يؤيد مشروع القانون على الفور. كان التوقيت مهما لأنه كان من المقرر أن يجتمع ترامب في اليوم التالي مع ماكونيل لمناقشة الأولويات التشريعية قبل نهاية العام.

لقد أطلعت ترامب على الاجتماع الذي كنا على وشك حضوره، وسلمتهلقد أعطيته نسخة من كتابي الذي يبلغ سمكه بوصتين والذي يحتوي على رسائل التأييد من الجماعات الداعمة له، بما في ذلك سلطات إنفاذ القانون وأنصاره الإنجيليين الأقوياء. لقد أردت أن أكون على استعداد في حالة قرر أن يعلن تأييده علناً لإصلاح نظام العقوبات في تلك اللحظة. حتى أنني أعددت له مسودة خطاب، في حالة احتياجه إليها.

وعلى أمل أن تسفر هذه الخطوة عن نتائج طيبة، سألت الرئيس عما إذا كان مستعداً لتأييد هذه الخطوة. وكانت تلك لحظة بالغة الأهمية، وكنت أعلم أن مصير مشروعنا ربما يتوقف على ما سيقوله بعد ذلك.

"دعونا نفعل ذلك"، قال.

عندما التقى ماكونيل بالرئيس في اليوم التالي، أوضح زعيم الأغلبية أنه لم يكن هناك وقت كافٍ لتمرير إصلاح العدالة الجنائية. كان يحاول تمرير تشريعات أخرى، بما في ذلك قانون مثير للجدل

كان من المفترض أن يحضر ترامب الاجتماع في وقت لاحق. كان من المفترض أن يحضر ترامب مشروع قانون لتمويل الحكومة. كان الجنرال كيلي قد استبعدني من الاجتماع، لكن ترامب استدعاني: "أحضر جاريد إلى هنا"، وأمرني. وبمجرد دخولي، قال ترامب: "ميتش، لماذا لا تخبر جاريد بما أخبرتني به للتو بشأن مشروع القانون الخاص به".

ضحك ماكونيل وقال: "لقد كنت في واشنطن لفترة طويلة، ولا بد أن أقول إن جاريد هو أحد أفضل رجال الضغط الذين رأيتهم على الإطلاق. السيد الرئيس، في هذه المرحلة، أعتقد أن جاريد جعل كل شخص أعرفه يتصل بي للضغط من أجل هذا القانون".

"سيدي القائد، هذا ليس صحيحًا"، قلت مازحًا. "لقد تحدثت إلى عدد أكبر بكثير من الناس.

من أصدقائك الذين لم يتصلوا بك بعد.

ضحك الجميع، بما في ذلك ماكونيل.

"أقدر شغفك بهذه القضية وإصرارك عليها"، قال ماكونيل، "لكن الأمر سيستغرق عشرة أيام تشريعية للقيام بذلك. ليس لدينا وقت في التقويم. يتعين علينا تمويل الحكومة. لماذا لا ننتظر حتى الكونجرس القادم؟"

"إذا ما أرجأنا الأمر إلى الكونجرس القادم، فإن الديمقراطيين سوف يغيرون الاتفاق. لقد تفاوضنا بعناية على مشروع القانون هذا لإقناع الجميع بالموافقة عليه، والائتلاف الذي أنتمي إليه أصبح على حافة الهاوية بالفعل".

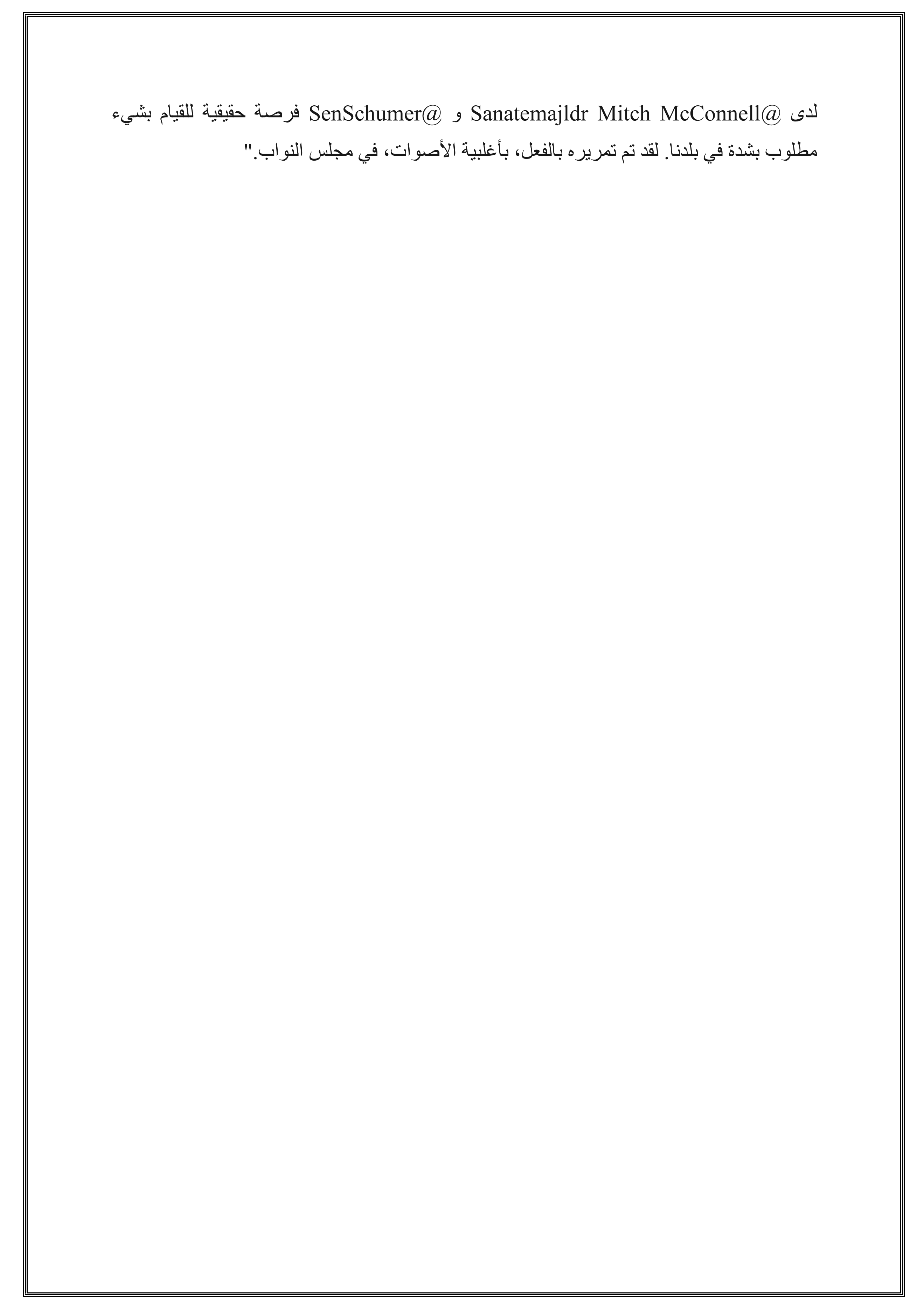
في حين أنني كنت أعرف أقل بكثير عن إجراءات مجلس الشيوخ مقارنة بماكونيل، إلا أنني كنتكنت على يقين من أنني سأتمكن من إقناع الديمقراطيين بتقليص المدة إلى يوم أو يومين فقط. ولكنني لم أكن أرغب في الدخول في جدال حول الإجراءات أمام الرئيس، لذا فقد اقترحت: "دعني أعمل وأرى ما إذا كان بوسعنا تقليص عدد الأيام التي ستستغرقها هذه العملية".

قال ماكونيل في ختام المحادثة: "يبدو هذا جيدًا". ربما كان يعتقد أنه أرجأ التصويت فعليًا، لكن العكس تمامًا كان صحيحًا.

بعد الاجتماع، أطلعت الرئيس جراسلي على المستجدات واقترحت عليه الاتصال بالرئيس أثناء توجهنا إلى فلوريدا. اتصل جراسلي بالرئيس وأخبر ترامب أن ماكونيل كان مخطئًا تمامًا في تحديد التوقيت. وقال إنه إذا مارسنا ضغوطًا كافية، فسوف يسلك ماكونيل مسار المقاومة الأقل ويحرك مشروع القانون.

على متن الطائرة الرئاسية، كتب ترامب تغريدة على تويتر:

"إن إصلاح العدالة الجنائية الجيد حقًا لديه فرصة حقيقية للحصول على دعم كبير من الحزبين.



لدى @Sanatemajldr Mitch McConnell و @SenSchumer فرصة حقيقية للقيام بشيء مطلوب بشدة في بلدنا. لقد تم تمريره بالفعل، بأغلبية الأصوات، في مجلس النواب."

وقد كتبها الرئيس على هاتفه، مضيفًا إليها إحدى توقيعاته.

وتزدهر في النهاية، "سيكون انتصارًا كبيرًا للجميع!"

ثم أدلى ترامب بتعليق لي لم ينشره على تويتر: "ماكونيل يهتم فقط بالبقاء في السلطة. دعونا نفعل شيئًا عظيمًا"."لمساعدة الكثير من الناس."

بين مكالمة جراسلي، وتغريدة الرئيس، وموافقة الديمقراطيين على تقليص الوقت المطلوب للتصويت، استسلم ماكونيل وحدد موعدًا للتصويت.

والآن كان علينا فقط التأكد من نجاح الأمر.

* * *

في خضم الجدل الدائر حول مشروع قانون إصلاح العدالة الجنائية، انضممت إلى ترامب في رحلة إلى الأرجنتين لحضور اجتماع مجموعة العشرين، وهو منتدى لأغنى بلدان العالم. وفي الأيام التي سبقت الرحلة في التاسع والعشرين من نوفمبر/تشرين الثاني،لقد عملت بلا توقف لتمرير قانون الخطوة الأولى والاستعداد لما سيكون بمثابة اللحظة المميزة في برنامج ترامب: حفل توقيع اتفاقية التجارة الحرة بين الولايات المتحدة والمكسيك وكندا. ولأن بينيا نييتو كان على وشك ترك منصبه، فقد كان علينا أن نختتم اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية في أميركا الجنوبية.

قبل بضعة أسابيع، اتصل بي لويس ليخبرني أن بينيا نييتو يريدلقد كان من المفترض أن يهديني لويس نسر الأزتك. لم يكن هذا النسر من الجوائز التي تمنح للمشاهير أو الفخامة والاحتفالات التي تحيط بها، ولكنني شكرته ولكنني اعترضت. فقد اعتقدت أن توقيع اتفاقية التجارة الجديدة غير المسبوقة بيننا كان مكافأة كافية. فضلاً عن ذلك، لم أسمع قط بنسر الأزتك. وبدافع من الفضول، أجريت بحثًا سريعًا على جوجل ووجدت أنه أعلى جائزة مدنية في المكسيك ـ ما يعادل وسام الحرية الرئاسي الأمريكي. وقد حصل عليه شخصيات مرموقة مثل والت ديزني ودوايت أيزنهاور ونيلسون مانديلا.

اتصلت بلويس مرة أخرى. "لم أكن أدرك أن هذا شرف كبير. أشعر بالتواضع. شكرًا جزيلاً لك. من فضلك أخبر الرئيس بينيا نييتو أيضًا بالشكر".

عندما ذكرت النسر الأزتيكي لترامب وطلبت منه الإذن باستلامه، مازحني قائلاً: "بعد التمسك به عندما لم يعتقد أحد أننا سنتمكن من التوصل إلى هذه الصفقة مع المكسيك، فإنك تستحق أكثر من مجرد وشاح".

كان جدول رحلته التي استغرقت يومين مزدحما، ولم أكن أريد أن يشعر بأنه ملزم بحضور الحفل، لذلك لم أدعوه وطلبت حفلا صغيرا خاصا. ولكن بينما كنا نسافر على متن طائرة مارين وان من البيت الأبيض إلى قاعدة أندروز المشتركة، حيث كانت تنتظرنا طائرة الرئاسة، انحنى ترامب نحوي، حتى أتمكن من سماعه فوق هدير ريش المروحية. "هل يجب أن أنتظر حتى تدعوني إلى حفل توزيع الجوائز؟"

"لقد تعلمت درسًا من الحجز الزائد لك في المملكة العربية السعودية"، قلت."لم أرد أن أزعجك."

"أريد أن أحضر"، قال. "هذا شرف كبير، وقد حصلت عليه بجدارة. أنت دائمًا موجود من أجلي. أريد أن أحضر وأن أكون جزءًا من هذا من أجلك". شكرته وأعدت ترتيب وقت الحفل حتى يتمكن من الحضور.

لقد قضيت الرحلة التي استغرقت عشر ساعات إلى الأرجنتين في الاتصال بعشرات أعضاء مجلس الشيوخ لتأمين أصواتهم لصالح قانون الخطوة الأولى. وكان على متن الطائرة الرئاسية عدة مشغلين هاتفيين في الطابق العلوي. وكان بوسعهم تعقب أي شخص تقريبا في العالم، ولم يكن بوسع أحد أن يرفض إعلانهم: "مرحبا، هذا مشغل الطائرة الرئاسية يتصل بك نيابة عن المستشار الكبير كوشنر من الطائرة الرئاسية، من فضلك انتظر بينما أقوم بتحويل الخط". وقال ترامب مازحا ذات مرة: "هؤلاء الرجال ماهرون للغاية في العثور على الأشخاص، وإذا سألتهم، فربما يتمكنون من الاتصال بإلفيس على الهاتف".

في صباح الثلاثين من نوفمبر/تشرين الثاني، قبل أقل من أربع وعشرين ساعة من تنصيب المكسيك رئيسها الجديد، اجتمع ترامب وترودو وبينيا نييتو في البيت الأبيض.وقعت الولايات المتحدة والمكسيك وكندا على اتفاقية التجارة الحرة بين البلدين. كانت اتفاقية التجارة الحرة بين الولايات المتحدة والمكسيك وكندا أكبر اتفاقية تجارية وأكثرها تقدمًا في تاريخ العالم. وقد وضعت فصولها الأربعة والثلاثون وملاحقها الأربعة والرسائل الجانبية الستة عشر أعلى المعايير في مجال حماية البيئة والعمالة، وكانت بلا شك أكثر اتفاقية تجارية مواتية للعمال الأميركيين على الإطلاق.

بعد حفل توقيع اتفاقية الولايات المتحدة والمكسيك وكندا مباشرة، قدم لي بينيا نييتو النسر الأزتيكي، وهو ميدالية جميلة ذات طبقات من نسر ذهبي.فوق خلفية فيروزية محاطة بنجمة خماسية الرؤوس. قبل أن يسلمني الجائزة ويعلق شريطًا أصفر لامعًا على صدري، وصفني بينيا نييتو بـ "الحليف العظيم للمكسيك" و"اللاعب المهم".

لقد كان هذا إنجازًا كبيرًا في العلاقات بين بلدينا. ورغم شعوري بعدم الارتياح لكوني مركز الاهتمام، وخاصة مع جلوس الرئيس في الصف الأمامي، إلا أنني كنت فخورًا بما يرمز إليه هذا التكريم: الاحترام والصداقة التي بنيتها مع بينيا نييتو ولويس، وحجم ما حققناه في إعادة ضبط العلاقات الأمريكية المكسيكية. فقبل عامين فقط، جعل الديمقراطيون العلاقة بين الولايات المتحدة والمكسيك قضية مركزية في الحملة، متهمين ترامب بالعنصرية وكراهية الأجانب تجاه الشعب المكسيكي. وعلى عكس كل التوقعات، قلبنا السيناريو تمامًا، مما جعل البلدين في وضع أفضل.

في ذلك المساء، تناول زعماء مجموعة العشرين العشاء في دار الأوبرا الشهيرة "تياترو كولون" في بوينس آيرس. وقبل الوجبة، جلس كل رئيس دولة في مقصورة الأوبرا مع زوجته وضيفين. ودعاني ترامب وإيفانكا لحضور الحفل معه وميلانيا. وقد استمتعنا بالجمال الأخاذ للمسرح الرائع. الصناديق المطلية بالذهب، والمقاعد المخملية الحمراء، ومصابيح منتصف القرن ملفوفة حول المسرح البيضاوي، الذي توج بقبة مثمنة الشكل مع ثريا من الكريستال مكونة من 700 مصباح. وقد تم بناؤه على مدى عقدين من الزمان في مطلع القرن العشرين، وكان يعتبر على نطاق واسع أنه يتمتع ببعض من أفضل الصوتيات في العالم.

وبينما جلسنا، خفتت الأضواء، وساد الهدوء الغرفة، وبدأ العرض. وبعد وتيرة الاجتماعات المحمومة، والتصريحات، والمؤتمرات الصحفية، استمع كبار زعماء العالم في هدوء إلى العرض الرائع. نظرت حولي في الغرفة وفكرت في الكيفية التي كان على جميع الزعماء أن يواجهوا بها أعباء مناصبهم. كانت الليالي التي لا ينامون فيها، والهموم المستمرة، والقرارات المستحيلة محفورة على جباههم المتجهمة. وبينما كانوا يتظاهرون بالقوة لتمثيل بلدانهم على المسرح العالمي، اخترق الخوف من المشاكل المستقبلية أعينهم. كانوا جميعًا أساتذة في حرفتهم، وقد تفوقوا على خصومهم. ولكن في تلك اللحظة، أدركت أنه في حين واجه ترامب تحديات هائلة في الداخل، فإن كل زعيم آخر كان كذلك.

كان إيمانويل ماكرون من فرنسا يواجه محتجي السترات الصفراء الذين كانوا يسيرون في الشوارع ويخربون الممتلكات ويطالبون باستقالته. ولم تتمكن أنجيلا ميركل، التي أشارت إلى أنها تقترب من نهاية ولايتها التي استمرت ثلاثة عشر عامًا كمستشارة لألمانيا، من الهروب من الانتقادات الحادة لإدارتها للاجئين السوريين. في عام 2011، كان ماكرون يواجه محتجي السترات الصفراء الذين كانوا يسيرون في الشوارع ويخربون الممتلكات ويطالبون باستقالته.

المملكة المتحدة، كانت تيريزا ماي تكافح مع اقتراب موعد الانتخابات في بلادها.في روسيا، كان بوتن بوتن ـ كان لديه دائمًا مشاكل لكنه حافظ على قبضته على السلطة وتسبب في فوضى للآخرين. كان ولي العهد السعودي محمد بن سلمان يتعامل مع الصرخة العالمية من وفاة الصحفي جمال خاشقجي، الذي قُتل في القنصلية التركية في اسطنبول. في اليابان، انخفضت شعبية شينزو آبي بعد فضيحة مزعومة داخل حكومته، وبدت انتخاباته القادمة فجأة صعبة. بدا هؤلاء الزعماء العالميون هادئين ومسيطرين، لكنهم جميعًا واجهوا تحديات، وكان لديهم جميعًا عيوب. كانوا جميعًا بشرًا.

في زاوية قاعة الحفلات الموسيقية، لمحت لويس، وهو رجل وحيدكان ذلك في الثلاثين من نوفمبر/تشرين الثاني، وهو اليوم الأخير لبينيا نييتو كرئيس للمكسيك. وقبل انتهاء فترة ولايته عند منتصف الليل، عاد بينيا نييتو إلى وطنه، تاركاً لويس نائباً له في قمة مجموعة العشرين. وكان لويس قد خدم مقاطعته لمدة خمسة عشر عاماً، أولاً كرئيس للأركان، ثم وزير للمالية، وأخيراً وزير للخارجية. وهناك في المقصورة الرئاسية، محاطاً بأقوى الناس في العالم، أمضى الساعات الأخيرة من حياته المهنية الناجحة في الحكومة، منغمساً في الأداء ومبتسماً من الأذن إلى الأذن، في تعبير واضح عن السعادة والارتياح.

بعد العشاء الرسمي، التقى لويس بإيفانكا وأنا في مطعم شهير يقدم شرائح اللحم في الأرجنتين. وانضمت إلينا كاتي تيلفورد أيضًا. وفي منتصف الليل، رفعنا أكوابنا من نبيذ مالبك الأرجنتيني واحتفلنا بنهاية الخدمة العامة المخلصة التي قدمها لويس وبداية حياته خارج الحكومة. وفكرت في الطبيعة العابرة لوقتنا في الحكومة، وتذكرت نصيحة رئيس الوزراء الكندي السابق برايان مولروني: "الأشياء الوحيدة التي تبقى بعد خدمتنا هي التغييرات التي نجلبها للحكومة والصداقات التي نبنيها على طول الطريق".

في اليوم التالي لتوقيع اتفاقية الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، كان من المقرر أن يعقد ترامب اجتماعًا عالميًا مرتقبًا مع الرئيس الصيني شي جين بينغ.لقد تصاعدت حدة التوترات بين بلدينا. فمنذ السابع من فبراير/شباط 2018، فرض ترامب خمس جولات منفصلة من الرسوم الجمركية على الواردات الصينية إلى الولايات المتحدة. ورد شي بالمثل بفرض رسوم جمركية على السلع الزراعية من الولايات المتأرجحة. ولكن بدلاً من التراجع، قرر شي أن يفرض رسوماً جمركية على السلع الزراعية من الولايات المتأرجحة.

ولقد ضاعف ترامب من جهوده ورد بفرض المزيد من الرسوم الجمركية. ففي الفترة التي سبقت اجتماعهما في الأرجنتين، هدد ترامب بزيادة الرسوم الجمركية على واردات صينية بقيمة 200 مليار دولار من 10% إلى 25%. وعلى الرغم من توقعات خبراء الاقتصاد بأن مثل هذه الرسوم الجمركية من شأنها أن تؤدي إلى تباطؤ اقتصادي عالمي، فقد كان ترامب على حق في اعتقاده بأن الولايات المتحدة لها اليد العليا، وأنه إذا استمر في ممارسة الضغوط الاقتصادية، فإن الصين سوف تنحني.

وبينما التقى الزعيمان، شعر ترامب بأن شي كان مستعدًا لإبرام صفقة. ووافق ترامب على تعليق التعريفات الجمركية الإضافية لمدة تسعين يومًا وأمر المفاوضين بالبدء في العمل بسرعة. وأشار إلي في الطرف البعيد من الطاولة. "لقد قام جاريد بعمل مذهل في العمل مع شي، وأنا سعيد للغاية بذلك". بوب لايتهايزر يتحدث عن اتفاقية التجارة الحرة الرائعة USMCA التي وقعناها أمس."لقد نجح في ذلك إلى الحد الذي جعل المكسيك تمنحه أعلى جائزة لديها. والآن أطلب منه أن يشارك بشكل أكبر وأن يعمل على إبرام هذه الصفقة مع بوب وستيفن منوشين. ولكن لا ضغوط يا جاريد"، هكذا قال ترامب وهو يميل إلى الأمام وينظر إلى أسفل الطاولة الطويلة، ويلفت نظري. "إذا لم يتم إنجازها، فإنني ألومك على ذلك".

{26}

النصر والهزيمة

"كنا جميعًا ملتصقين بالتلفزيون. كانت الخطب لطيفة، لكننا كنا نصرخ في التلفزيون "ترامب، وقع على مشروع القانون اللعين!"، هكذا قال ماثيو تشارلز، وهو يصف شعوره بالجلوس خلف القضبان ومشاهدة الرئيس يوقع على مشروع القانون.

لقد كان أول سجين يتم إطلاق سراحه بموجب قانون إصلاح العدالة الجنائية الجديد. لقد دعوته إلى البيت الأبيض بعد خروجه من السجن، وسألته كيف كان يتابع التطورات عن بعد.

وقال "لقد وعدنا الساسة بإصلاحات العدالة الجنائية منذ أكثر من عقد من الزمان، وكنا جميعاً قلقين من أن هذا مجرد سراب سوف يتلاشى"."في اللحظة الأخيرة. لقد تابعنا كل تطور في التشريع، وعندما غرّد ترامب على ماكونيل، كان هناك تصفيق كبير في سجني".

في ديسمبر 2018، أقر الكونجرس النسخة الجديدة والموسعة من قانون الخطوة الأولى. وفي مجلس النواب، كانت نسبة التصويت 358.في مجلس الشيوخ، كانت النتيجة 87 مقابل 12. وهذا منح الرئيس انتصارا كبيرا على مستوى الحزبين ونصرا تاريخيا - ولكن الأهم من ذلك أنه من شأنه أن يساعد الآلاف من الناس مثل ماثيو تشارلز الذين يستحقون فرصة ثانية.

في الحادي والعشرين من ديسمبر/كانون الأول، وفي حفل التوقيع في المكتب البيضاوي، صُدم الرئيس بتشكيلة المجموعة التي ساعدتنا على تحقيق هذا النصر الرائع: المشرعون الجمهوريون والديمقراطيون، والمدافعون المحافظون والتقدميون، ومحترفو إنفاذ القانون،

كان هناك العديد من السجناء السابقين الذين كانوا يتجمعون خلف مكتب Resolute. ربما كان هذا المقطع العرضي الفريد من نوعه لأمريكا أحد أكثر المجموعات التي لم يكن من المتوقع أن تتجمع في المكتب البيضاوي.

من كرسيه خلف مكتب ريزولوت، روى الرئيس قصة قاضٍ التقى به والذي ترك منصبه مؤخرًا لأنه أُجبر على ذلك.في عام 2011، حكم على شاب بالسجن لمدة ثمانية وعشرين عامًا بينما كان يعتقد أنه يستحق عامين فقط. ثم قام بخطوة لن يجرؤ عليها سوى عدد قليل من السياسيين: دعا ضيوفه للتحدث بشكل ارتجالي. في معظم الإدارات، يتم كتابة التعليقات العامة بعناية. لكن ترامب كان غالبًا ما يخاطر ويدعو ضيوفه، الذين لم يقابل العديد منهم من قبل، لإلقاء ملاحظات لم يتم الاتفاق عليها مع أي شخص في البيت الأبيض. وقد خلق هذا لحظات تلفزيونية خام وممتعة أوصلت رسالته إلى الوطن.

كان مايك لي سريعًا في التدخل: "من الصعب بالنسبة لي أن أتحدث عن هذا الأمر دون أن أكون عاطفيًا. وفي هذه العملية، جمعت بين صداقات سأعتز بها لبقية حياتي. أنا الآن أراسل أصدقاء مع فان جونز، وديك دوربين، وكوري بوكر، وأتواصل معهم عبر الرسائل النصية.

"أتحدث مع جاريد كوشنر حوالي خمس مرات في اليوم."

وأشار ترامب بعد ذلك إلى فان، منتقده الدائم.

"لا يوجد شيء أكثر أهمية من الحرية"، قال فان. "والحرية هي جوهر الحياة."حرية الناس المحاصرين في نظام معطل، وحرية الناس المحاصرين في الإدمان، وحرية الناس المحاصرين في الفقر - هؤلاء هم الناس الذين تستهدفهم مناطق الفرص الخاصة بك، وسياستك الخاصة بالمواد الأفيونية، وسياستك الخاصة بالعدالة الجنائية. وعندما تحاول مساعدة الناس في القاع، يا سيدي، سأعمل مع أو ضد أي ديمقراطي، مع أو ضد أي جمهوري، لأنه لا يوجد شيء أكثر أهمية من الحرية". لقد عانى فان من هجمات شرسة من العديد من حلفائه السياسيين على اليسار بسبب عمله مع ترامب ومعي، ولكن من خلال شجاعته وقناعته، فقد أحدث الآن تأثيرًا أكثر خطورة من أي من حلفائه. لم يكن من الممكن لمنتقدي تويتر أن يتخيلوا ذلك على الإطلاق.

في ذلك الوقت، ربما كان ماثيو تشارلز يصرخ في التلفاز ليطالب ترامب بالتوقيع على مشروع القانون اللعين، لكن تشاك جراسلي هو الذي جعله يفعل ذلك.

وبعد أن انتابه القلق، انحنى السيناتور نحو الرئيس وهمس: "سيدي، هل تمانع في التوقيع على مشروع القانون؟ يتعين علي أن أعود إلى مجلس الشيوخ للتصويت عليه ـ فلم أفوت أي تصويت على مشروع القانون منذ خمسة وعشرين عاماً!" ووقع الرئيس على التشريع بقلمه الكبير المعتاد.

بمجرد انتهاء الحدث وقول وداعا لضيوفنا،تسللت إلى مكتبي واتصلت بأبي وقلت له: "إن الله يعمل بطرق غامضة. ربما دفعت الثمن في ذلك الوقت حتى تتمكن آلاف الأسر من الحصول على الإغاثة الآن وفي السنوات القادمة".

"أنا لا شيء، حياتي لا تهم"، قال. "هذا أمر كبير جدًا""أنت أفضل مني كثيرًا. أنا فخور بك وبما فعلته. لقد نجحت في تخفيف الألم الذي شعرنا به لدى آلاف العائلات. لقد دفعت عائلتنا ثمنًا باهظًا مقابل خدمتك، ولكن بالنسبة لي، هذا وحده يجعل كل شيء يستحق العناء آلاف المرات."

بعد ساعات من توقيع ترامب على قانون الخطوة الأولى، جاء كاسيدي وأخبرلقد شعرت أن الرئيس يريد رؤيتي مرة أخرى في المكتب البيضاوي. وتساءلت عما إذا كان والد زوجتي يريد التفكير فيما حققناه للتو. ولكن عندما دخلت، رأيت فريقي التشريع والميزانية مجتمعين، وعرفت على الفور أن احتفالنا المؤقت قد انتهى: لقد تحول ترامب إلى الأزمة الحالية. كانت الحكومة الفيدرالية على وشك الإغلاق لأن مشروع قانون الإنفاق في الكونجرس فشل في تضمين أموال كافية لبناء الجدار على الحدود الجنوبية.

"جاريد، لماذا تنفق كل وقتك على إصلاح السجون بدلاً من العمل على الهجرة؟ أنا لم أقم بحملة من أجل إصلاح السجون."الجدار هو قضيتي الأولى."

"سيدي، كان الجنرال كيلي يدير هذه القضية"، أوضحت. "لقد أعطاني تعليمات صارمة بعدم المساس بالهجرة". تنهد ترامب وقالأريد أن أشارك على الفور.

* * *

في وقت سابق من هذا العام، أرسل الكونجرس للرئيس حزمة تمويل حكومية ضخمة بقيمة 1.3 تريليون دولار، منها 1.6 مليار دولار فقط للجدار ـ وهو مبلغ أقل كثيرا من 25 مليار دولار التي أرادها ترامب لمشروع ذكره في كل خطاب تقريبا من خطابات حملته الانتخابية. وفي 23 مارس/آذار، بعد دقائق من وصول مشروع القانون إلى مكتبه، غرد ترامب قائلا: "أنا أفكر في أن هذا هو الوقت المناسب".

"استخدام حق النقض ضد مشروع قانون الإنفاق الشامل، على أساس حقيقة أن أكثر من 800 ألف من المستفيدين من برنامج العمل المؤجل للقادمين في مرحلة الطفولة (DACA) قد تم التخلي عنهم تمامًا من قبل الديمقراطيين (ولم يتم ذكرهم حتى في مشروع القانون) والجدار الحدودي، الذي نحن في أمس الحاجة إليه لدفاعنا الوطني، لم يتم تمويله بالكامل".

بعد مكالمة محمومة من رئيس مجلس النواب بول رايان، الذي حذرفي خطابه الذي ألقاه في قاعة الاستقبال الدبلوماسية، حيث كان مشروع القانون المكون من ألف صفحة مكدسًا بشكل مسرحي بجانبه، قرر ترامب التوقيع على مشروع قانون آخر مثل هذا مرة أخرى.

والآن، بعد تسعة أشهر، فعلها الكونجرس مرة أخرى، فأرسل إليه مشروع قانون ضخم لتمويل الحكومة لكنه لم يقدم سوى 1.6 مليار دولار لبناء الجدار الحدودي. وقد قرر ترامب اتخاذ موقف هذه المرة. وأصبح الجدار معيارا لقياس نجاح ترامب: فإذا تمكن الديمقراطيون من إيقافه، فسوف يزعمون أن ترامب كان يتحدث فقط ولا يفعل شيئا. وقد ربط عشرات الملايين من ناخبيه الجدار برئاسة ترامب، وكان الفشل في الوفاء بوعده من شأنه أن يضر بمصداقيته. وكثيرا ما كان ترامب يمزح بأن أسهل طريقة له للحصول على تمويل الجدار هي معارضته؛ وعندها سوف يؤيده الديمقراطيون مرة أخرى.

إذا فشل الكونجرس والرئيس في الاتفاق على الميزانية، فإن التمويل سوف ينقطع عن أكثر من نصف الحكومة. ومن الناحية العملية، يعني هذا إغلاق تسع من الإدارات الرئيسية الخمس عشرة، إلى جانب عشرات الوكالات الأصغر. وسوف يتم تسريح ما يقرب من 380 ألف موظف فيدرالي، في حين سيضطر 420 ألف موظف آخر إلى العمل بدون أجر، بما في ذلك ضباط الأمن في المطارات والجمارك ومسؤولي الحدود في موانئ الدخول وعلى طول الحدود الدولية.

هل كان الرئيس مستعدا للمخاطرة؟

"لا أعرف حتى الآن، ولكنني بحاجة إلى المحاولة والقتال من أجل الجدار - و

وقال ترامب "نأمل أن نجد طريقا للمضي قدما".

لقد امتد ترددي في التطرق إلى ملف الهجرة إلى صيف عام 2017، عندما استضفنا أنا وإيفانكا عشاءً ثنائي الحزبية في منزلنا في كالوراما. وضمت المجموعة السيناتور الديمقراطي ديك دوربين، والسيناتور الجمهوري ليندسي جراهام، ومستشار البيت الأبيض ستيفن ميلر. لقد أصبحت الهجرة قضية سياسية سامة لدرجة أن

كان الديمقراطيون والجمهوريون خائفين حتى من التحدث مع بعضهم البعض حولبناءً على إلحاح غراهام وبمباركة الرئيس، خططت لمناقشة خاصة مع الديمقراطيين لتحديد أرضية مشتركة لتحسين نظام الهجرة في بلادنا وبناء الجدار الحدودي. أثناء مشاهدتي للحوار الودي بين دوربين وميلر على طاولة غرفة الطعام الخاصة بنا، أذهلني النقاش البناء والفرصة التي كانت أمامنا. كان لديهم اختلافات في الرأي حول بعض الجوانب، لكن كلاهما فوجئ بعدد من النقاط التي اتفقا عليها. بحلول نهاية العشاء، توصلنا إلى اتفاق عام لاستكشاف صفقة تسمح للأطفال المهاجرين غير المصحوبين بذويهم - المعروفين باسم متلقي DACA - بالبقاء في البلاد مقابل جدار حدودي ممول بالكامل.

"لقد كانت هذه أول مناقشة جوهرية أجريتها على الإطلاق مع ديمقراطي جاد بشأن الهجرة"، هذا ما أخبرني به ميلر بعد ذلك.

في اليوم التالي اتصلت بالجنرال كيلي، الذي كان لا يزال وزيرا للأمن الداخلي آنذاك، لأطلعه على الأمر. فقلت له: "طلب مني الرئيس أن أستكشف سيناريو حيث يمكنه استبدال برنامج داكا بالجدار الحدودي. هل يمكنك أن تشاركنا المواصفات الفنية لما نحاول بنائه - كم ميلا من الجدار الذي نحتاجه، ومدى السرعة التي يمكننا بها بنائه، وما هي المتطلبات الأخرى اللازمة لإكمال نظام الجدار، والتكلفة؟".

"لم نتوصل إلى ذلك معًا بعد حقًا"، أجاب.

لقد أذهلني هذا الرد. كان الجدار الحدودي الوعد الرئيسي الذي أطلقه الرئيس في حملته الانتخابية، وبعد ستة أشهر من توليه منصبه، لم يكن لدى وزير الأمن الداخلي خطة.

لقد تساءل كيلي عن سبب حديثه معي، وليس مع رينس بريبوس، رئيس الأركان في ذلك الوقت. لقد أوضحت له أن الرئيس طلب مني أن أعمل بهدوء على هذه القضية. لم أدرك ذلك في ذلك الوقت، ولكن هذا التبادل ربما زرع بذور عدم الثقة. لقد كنت أحاول حماية الرئيس وحل مشكلة، ولكن في الماضي، كان نهجي هاوياً. لو حدث هذا الموقف في عامنا الرابع في البيت الأبيض، وليس في عامنا الأول، لكنت طلبت من فريق السياسة في البيت الأبيض حل المعضلة للرئيس، ثم كنت لأساعد في تنفيذ قراره. عندما انضم كيلي إلى طاقم البيت الأبيض، ربما كان يعتقد أنني ممثل سيئ يعمل حول رئيس الأركان.

كان أحد تحركاته الأولى كرئيس هو أن يأمرني بالابتعاد عن ملف الهجرة. كان يريد أن يديره بنفسه.

كان أحد الأسباب التي دفعت ترامب إلى اختيار كيلي كرئيس لهيئة الأركان هو التصور بأنه حقق نجاحا هائلا في القضاء على الهجرة غير الشرعية بصفته وزيرا للأمن الداخلي. فخلال الأشهر القليلة الأولى من الإدارة، انخفضت أعداد الموقوفين على الحدود ـ وهو مؤشر رئيسي للهجرة غير الشرعية من المكسيك ـ بشكل حاد، بنسبة 75% عن مستويات ما قبل الانتخابات. وقد أعجب الرئيس، وأشاد الجميع بكيلي. ولكن تبين لاحقا أن الانخفاض الحاد في أعداد الموقوفين لم يكن مرتبطا بأي تغيير نفذه كيلي، بل بالتأثير الرادع لخطاب حملة ترامب الصارم والأوامر التنفيذية العدوانية التي وقعها في الأشهر الأولى من رئاسته.

بحلول منتصف عام 2018، كانت عمليات القبض على المهربين على الحدود في ارتفاع شديد. ويبدو أن مهربي البشر أدركوا أنه لم تكن هناك أي تغييرات في السياسة تقريبًا في عهد كيلي أو خليفته الذي اختاره بنفسه، وزيرة الأمن الداخلي كيرستين نيلسن. من جانبها، كانت نيلسن لديها فهم جيد للجوانب الفنية للأمن الداخلي، لكنها بدت غير مستعدة للتعقيدات المترتبة على إدارة إدارة تضم 240 ألف موظف. لقد انعكست الاتجاهات الإيجابية منذ الأيام الأولى لإدارة ترامب بالكامل.

بموجب القانون، يجب على الرئيس تقديم ميزانية إلى الكونجرس كل عام.وتشمل طلبات التمويل التي قدمها لكل شيء من الطرق والجسور إلى الرعاية الصحية للمحاربين القدامى. وفي كل من طلبات عامي 2017 و2018، طلب كيلي ونيلسن 1.6 مليار دولار للجدار. وعندما سألت كيلي ونيلسن عن سبب تقديمهما لمثل هذه الطلبات المنخفضة، زعما أن

كان مبلغ 1.6 مليار دولار كافيا، وكان يعني ضمنا أن ترامب ببساطة لم يفهم كيف تسير العملية وأن هناك الكثير من العقبات البيروقراطية التي تحول دون بناء الجدار بشكل أسرع. وفي أفضل السيناريوهات، سيستغرق بناء الجدار عشر سنوات، كما زعموا. وإذا طلبنا المزيد من التمويل، فلن نتمكن من إنفاقه قبل السنة المالية التالية. وبعد بضع ساعات، عدت إلى المكتب البيضاوي، حيث كان الرئيس لا يزال غاضبا من محنته. وكان غاضبا بشكل خاص من بول رايان وميتش ماكونيل لإرسالهما له مشروع قانون دون أن يقره الكونغرس.

تمويل الجدار.

"لا تغضب من بول أو ميتش"، قلت. "لقد حصلوا لك على ما طلبه نيلسون وكيلي بالضبط في ميزانيتنا".

كان بوسع ترامب أن يستدعي كيلي ويوبخه، ولكن في هذه اللحظة لم يتحدث الاثنان تقريبا. وفي الجناح الغربي للبيت الأبيض، بدا الأمر وكأن كيلي قد توقف عن القيام بالعمليات اليومية منذ أشهر، وتفاقم الوضع بعد إعلان ترامب في الثامن من ديسمبر/كانون الأول أن رئيس الأركان سيترك منصبه في نهاية العام.

"لقد لعبت ورقة رابحة هنا"، قلت. "إذا استخدمت حق النقض ضد مشروع قانون الإنفاق، فسوف يلقي الديمقراطيون باللوم عليك بسبب الإغلاق. لن يستسلموا بشأن الجدار وليس لديهم سبب لذلك، لأنهم سيسيطرون على مجلس النواب في الثالث من يناير. دعونا نتراجع اليوم ونبحث عن طريقة أخرى للمضي قدمًا. يمكننا أن ننظر في طرق للحصول على التمويل دون إغلاق".

لقد استمع ترامب، لكن عزيمته تشدّدت: "أنت تعطيني نصيحة عقلانية، لكنني ما زلت لن أوقع على مشروع القانون. طوال حياتي، خضت كل أنواع المعارك بأيدي سيئة، وبطريقة ما تمكنت من حلها.جاريد، إذا نزلت، سأنزل بحذائي.

بتوجيه من الرئيس، قفزت إلى سيارة ليموزين مع نائب الرئيسوبعد ساعات عديدة من الاجتماعات غير المثمرة، أصبح من الواضح أن بيلوسي وشومر لا يهتمان بإيجاد حل تشريعي طويل الأجل لمشكلة الأطفال المهاجرين غير المصحوبين بذويهم إذا كان هذا يعني أن ترامب سوف يحقق فوزا في أكبر وعوده الانتخابية.

وبينما كان أفراد الخدمة السرية يقلونني إلى المنزل، كنت أفكر في الدوامة التي عشتها طيلة الساعات الخمس والعشرين الماضية. كنت أتمنى أن أحتفل بمرور قانون الخطوة الأولى مع إيفانكا والأطفال في ذلك المساء. ولكنني لم أغادر مبنى الكابيتول إلا بعد وقت طويل من موعد نوم الأطفال. ورغم أنني حققت نجاحاً هائلاً، إلا أن بقية البيت الأبيض كان في أزمة.

الآن بعد أن كان كيلي في طريقه إلى الرحيل، كنت بحاجة إلى الاندماج مرة أخرى في الفريق ومساعدة بقية الجناح الغربي على النجاح، مع التأكد من أن الرئيس القادم لم يشعر بالتهديد. خلال هذا الوقت، أوصتني سارة ساندرز لمنصب رئيس الأركان. سألني ترامب عما إذا كنت أرغب في أن يتم النظر في ترشيحي.

"لقد حصلت علي بالفعل"، قلت. "أعتقد أنه سيكون من الأفضل لك إذا
تجد شخصًا آخر أكثر خبرة في السياسة والصحافة، ويمكنني

"مساعدتهم في العمليات والتنفيذ." لم أكن متحمسًا بشكل خاصلقد قررت أن أتدخل في معركة الإغلاق، ولكنني كنت أعلم أن هذا مهم. هناك قاعدة واحدة تنطبق على كل من الآباء والرؤساء. عندما يطلبون المساعدة، لا توجد سوى إجابة واحدة: نعم.

وفي الوقت نفسه تقريبًا، كان كريس كريستي يمارس ضغوطًا قوية ليصبح رئيسًا للأركان، وأخبر ترامب أن التحقيق في روسيا كان نتيجة لكان كريستي يتصرف بشكل سيئ، وكان يحتاج إلى رئيس أركان يدافع عنه بقوة على شاشة التلفزيون. وعندما سألني ترامب عن رأيي، مازحته بأن كريستي قد يكون أفضل في الأمن الداخلي: "إذا كان بإمكانه إغلاق جسر جورج واشنطن، فربما يكون قادرًا على إغلاق الحدود".

كان ترامب قلقًا بشأن سجل كريستي في نيوجيرسي وكما كنت قلقًا بشأن قدرة كريستي على الحفاظ على سرية المعلومات: في كل مرة التقيا فيها، كانت تفاصيل اجتماعهما تنتهي مع نفس المراسلين. أخبرت ترامب أن كريستي وأنا عملنا معًا بشكل جيد في تشريع إصلاح العدالة الجنائية وأكدت له أنني أشعر بالراحة في دوري وسأعمل جيدًا مع أي شخص يختاره. عندما علم ترامب أن كريستي سيصدر كتابًا في غضون عدة أشهر، اتصل بكريستي وسأله عما إذا كان هناك أي شيء يمكن أن يصبح مشكلة. أخبره كريستي أنه يصور ترامب بشكل جيد في الغالب، لكنه كان قاسيًا بعض الشيء معي ومع والدي.

كان هذا بمثابة نقطة تحول حاسمة بالنسبة لترامب، الذي أخبر كريس أنه لا يستطيع أن يسمح لرئيس الأركان بنشر كتاب يهاجم عائلته. أخبر كريستي ترامب أنه اتصل بالناشر لمعرفة ما إذا كان بإمكانه إعادة مقدمه وإلغاء الكتاب، لكن الناشر كان قد أنفق بالفعل مئات الآلاف من الدولارات على طباعة النسخ. لقد فات الأوان. بعد أشهر، صدر الكتاب بعنوان "دعني أنهي". كان مليئًا بالهجمات الشرسة والكاذبة علي وعلى والدي.37 ومن عجيب المفارقات أن هوس كريستي التافه باستخدام عائلتي لجذب انتباه وسائل الإعلام دمر فرصة حلمه لإعادة تأهيل صورته وإنهاء حياته السياسية.

{27}

أطول فترة إغلاق

يعد البيت الأبيض كنزًا وطنيًا مذهلًا، ويتألق بشكل خاص خلال العطلات، ولكن أي شخص يقضي أسابيع متواصلة داخل جدرانه قد يبدأ في الشعور وكأنه محاصر في متحف.

وبعد أن شعر بنس بأن ترامب قد يستمتع بقضاء أمسية خارج المنزل، دعاه وميك مولفاني وأنا لتناول العشاء في مقر إقامته في المرصد البحري. وكان ترامب قد عين ميك مولفاني رئيسا بالإنابة لهيئة الأركان في ديسمبر/كانون الأول ليحل محل كيلي. وقبل مغادرتنا، التقيت أنا ومولفاني بالرئيس لمناقشة جدول أعماله المقبل. ثم سلم مولفاني ترامب وثيقة للتوقيع عليها. وقال: "هذا من شأنه أن ينهي الممارسة التي بدأها كيلي بالاستماع إلى جميع مكالماتك الهاتفية"، موضحا أن كيلي أعطى نفسه القدرة على الاستماع سرا إلى مكالمات الرئيس.

"ماذا فعلت كيلي؟" سأل الرئيس مذهولاً من انتهاك الخصوصية. "أنهوا هذا الأمر على الفور".

وعلى مدى الأسابيع الأربعة التالية، سافرت ذهاباً وإياباً في شارع بنسلفانيا مع بنس ومولفاني. وفي الكونجرس، تحدثنا مع الديمقراطيين والجمهوريين وحاولنا إيجاد طريق للمضي قدماً. وخلال اجتماع مع بول رايان وغيره من زعماء الحزب الجمهوري في مجلس النواب، ناقشنا إمكانية التوصل إلى حل وسط لإنهاء الإغلاق الحكومي.

قاطعه رايان: "كيف نعرف أن الرئيس قال نعم؟هل سيستمر في ذلك فعليا؟

لقد فوجئت، فأجبت: "مع كل الاحترام الواجب، أعتقد أنك

لقد أساء فهم الرئيس.

إذا أعطيته كل المعلومات وأطلعته على الحقائق والتفاصيل،في هذه الحالة سوف يتخذ قرارًا حاسمًا.

إذا حاولت إقناعه بالموافقة على شيء ما دون إعطائه كل ما لديه

"ولكن الحقائق من المرجح أن تغير رأيها عندما يعلمها."

لقد عزوت الانفصال بين رايان وترامب إلى افتقاره إلى الخبرة في القطاع الخاص. فقد كان عضوا في الكونجرس لمدة تقرب من عقدين من الزمان ــ منذ كان في الثامنة والعشرين من عمره. وفي عالم الأعمال، يتفق المفاوضون غالبا على صفقة من حيث المفهوم، ثم يطلبون من المحامين وضع التفاصيل. وقد تطفو قضايا جديدة على السطح خلال هذه الخطوة الثانية من العملية. وكان رايان يفترض أنه يستطيع ببساطة الاتصال بترامب وإقناعه بالموافقة على إطار مفاهيمي دون موافقته على التفاصيل النهائية. وبصفته رجل أعمال سابقا، لم يكن ترامب يعمل بهذه الطريقة.

كانت إحدى أعظم المآسي في العامين الأولين من رئاسة ترامب، عندما كانت الأغلبية في مجلسي الكونجرس، أن رايان وماكونيل لم يفهما الرئيس. ومثل العديد من الجمهوريين المؤسسين، استاءوا من تعطيله للنظام الذي اعتادوا عليه. ووجدوا أنفسهم في مأزق: لم يتفقوا تمامًا مع أسلوب ترامب، لكنهم لم يتمكنوا من تحديه لأن ناخبيهم أحبوه. لقد أصبحوا جنرالات بدون جيش. وكثيراً ما تساءلت لماذا لا يبدو أن الجمهوريين المؤسسين يحترمون الناخبين الثلاثة والستين مليون الذين انتخبوا ترامب. فبدلاً من العمل مع ترامب لتمرير التشريعات التي تحقق وعوده للناخبين، أهدر الكونجرس الجمهوري عامين في التهرب من الزعيم الجديد لحزبهم.

بعد سلسلة من الاجتماعات المسدودة في الكونجرس، بدأت أبحث عن طرق إبداعية لتمويل الجدار لا تتطلب موافقة الكونجرس. تعاونت مع مستشار البيت الأبيض الجديد للرئيس، بات سيبولوني، وهو محامٍ موهوب من واشنطن ومحافظ مبدئي تولى المنصب عندما غادر دون ماكجان في أكتوبر/تشرين الأول، ونائبه بات فيلبين، كاتب المحكمة العليا السابق الذي يتمتع بقدر كبير من الذكاء. كما انضم إلى الجهود ستيفن ميلر، وميك مولفاني، وراسل فوغت، الذي كان يدير مكتب الميزانية في غياب مولفاني، ونائبه ديريك كان.

وبما أن الحكومة الفيدرالية تنفق نحو 4.5 تريليون دولار سنويا، فقد تصورنا أنه بوسعنا جمع بضعة مليارات من الدولارات لبناء الجدار. وبعد أن أمضينا بضعة أسابيع في البحث في سلطات الرئيس وحسابات ميزانية الحكومة الفيدرالية، عاد الفريق بقائمة تضمنت 600 مليون دولار في حساب مصادرة وزارة الخزانة، و3.6 مليار دولار في حساب للإنشاءات العسكرية في الخارج، وربما 6.3 مليار دولار أخرى من خلال تحويل عام ومن خلال السحب من حساب الإنفاق الدفاعي لمكافحة المخدرات.38 وكان هذا مذهلا.

لقد وجدوا ما يعادل النيكل والدايم في الحكومة وجاءوا
مع 11 مليار دولار من التمويل الموجود في الحسابات المصرفية الفيدرالية.

"هل نحن متأكدون من أن لدينا السلطة لتحويل هذه الأموال؟" سألت.وأوضحوا أن الرئيس يتمتع بموجب قانون سلطات الطوارئ بسلطة إعادة برمجة الأموال العسكرية. وكان عليه فقط أن يثبت أن الولايات المتحدة تتعامل مع حالة طوارئ. ومع ارتفاع حالات الاعتقال على الحدود، وانتشار الاتجار بالمخدرات والبشر، وزحف القوافل نحو حدودنا الجنوبية، فإن هذا يعني أن الولايات المتحدة تواجه خطراً حقيقياً.

كان لدى الرئيس أساس واضح لذلك، فعرضنا الفكرة على ترامب.

"لقد قلت، "يتعين علينا إنهاء الإغلاق، سيبدو الأمر وكأنك"لقد تكبدنا خسائر في هذا الأمر، ولكن ما يهم هو أنه في يونيو 2020 سيكون هناك جدار كبير وجميل، تمامًا كما وعدتم. وقد وجدنا الآن التمويل اللازم لذلك".

عقد الرئيس ذراعيه واتكأ على كرسيه. "جاريد، إذا"أوافق على القيام بذلك، ثم يتعين عليك التأكد شخصيًا من بناء الجدار بسرعة. ولكن دعونا نستعرض الأمر بمزيد من التفصيل مع الكونجرس ونرى إلى أين سنصل".

بحلول نهاية شهر يناير، أصبح من الواضح أن طريقنا الوحيد للمضي قدمًا هوإعلان حالة الطوارئ.

في الرابع والعشرين من يناير/كانون الثاني، بينما كنا نستعد للإعلان، اتصل بي ابني جوزيف البالغ من العمر خمس سنوات: "أفتقدك يا أبي. هل يستطيع جدي إنهاء الإغلاق حتى نتمكن من العودة إلى العمل؟"هل يمكنك العودة إلى المنزل؟

لقد شعرت بالحزن الشديد. لم أتمكن من العودة إلى المنزل لتناول العشاء أو النوم منذ أسابيع. لقد تصورت أن هذه كانت إحدى المشكلات القليلة التي يمكن أن تكونوبعد أن حلت المشكلة بالآيس كريم الناعم، دعوت جوزيف إلى الجناح الغربي لتناول الزبادي المجمد من Navy Mess. وبعد نصف ساعة، أوصله جهاز الخدمة السرية إلى West Executive Drive، خارج الجناح الغربي مباشرة. كان يبتسم ابتسامة عريضة، وعانقته بينما كنا نسير إلى الداخل إلى Navy Mess.

يقع Navy Mess في الطابق السفلي عبر القاعة من غرفة العمليات، وهو عبارة عن غرفة طعام حميمة بدون نوافذ ومغطاة بألواح خشبية، وتصطف على جانبيها صفوف من الطاولات المخصصة لشخصين في الغالب والمزينة ببياضات أنيقة وأثاث أبيض.منذ أن أسس هاري ترومان خدمة الطعام الرئاسية في عام 1951، كانت الفوضى، كما يطلق عليها عادة، من السمات المفضلة في الجناح الغربي بين موظفي البيت الأبيض. وهي تشمل منضدة للوجبات الجاهزة مع قائمة ممتازة من العناصر، تتراوح من

من شرائح السلمون إلى أصابع الموزاريلا، حتى يتمكن الموظفون المرهقون من الحصول علىوجبة طعام دون مغادرة الحرم الجامعي.

لقد طلبنا أنا وجوزيف زبادي مجمد بنكهة الفانيليا، مع بسكويت أوريو. وبينما كنا نتناول الآيس كريم في مكتبي، نادى عليّ بنس من أسفل الصالة للحديث عن إعلان حالة الطوارئ ومناقشاته الأخيرة مع أعضاء الكونجرس. تركت جوزيف مع زميلتي الموثوقة كاسيدي لونا. وبينما كنت أتحدث مع نائب الرئيس، قالت مساعدته إن الرئيس يريد منا أن نأتي إلى المكتب البيضاوي للعمل على خطابه للإعلان في اليوم التالي. أحضرت جوزيف معي. عانق جده، الذي وضع كالمعتاد قطعة من الشوكولاتة في جيب حفيده. رأى جوزيف نسخة ليغو للبيت الأبيض التي بناها لجده. عرضها ترامب بفخر على رف الموقد في المكتب البيضاوي وأظهرها لقادة العالم.

بعد ساعة من الجلوس بصبر خلال الاجتماعات حول مواضيع لم يفهمها، جاء جوزيف إليّ والدموع في عينيه. همس: "هذا ممل، أريد العودة إلى المنزل".

لقد كانت الهزيمة النهائية. اعتذرت له عن تشتت انتباهي ورافقته إلى السيارة. لم يكن ينظر إليّ تقريبًا. في ذلك المساء، بينما كنت لا أزال في المكتب أستعد للإعلان، اتصلت بجوزيف قبل أن يخلد إلى النوم وسألته عما إذا كان سيعود معي إلى البيت الأبيض في صباح اليوم التالي قبل المدرسة لتناول الفطائر. وعدته بعدم مقاطعتي، وتقديم كمية غير محدودة من الكريمة المخفوقة.

كان اليوم التالي هو الخامس والعشرين من يناير/كانون الثاني، وهو اليوم الخامس والثلاثون من أطول إغلاق حكومي في التاريخ. بالنسبة لي ولجوزيف، بدأ الأمر بوجبة إفطار مكونة من الفطائر في السابعة صباحاً في ميس البحرية. لم أكن لأتخيل بداية أفضل لهذا الصباح.

وبعد ساعات قليلة أعلن الرئيس أنه توصل إلى اتفاق مدته ثلاثة أسابيع لإنهاء الإغلاق الحكومي، وتمويل الحكومة، وضمان حصول العاملين الفيدراليين على رواتبهم المتأخرة. وعندما مرت ثلاثة أسابيع دون أن يجد الكونجرس حلاً، سلمنا ترامب إعلانًا رئاسيًا يعلن حالة الطوارئ الوطنية على الحدود الجنوبية. وفي الخامس عشر من فبراير/شباط، وقع عليه، مما أتاح لنا الوصول إلى 11 مليار دولار لبناء الجدار الحدودي.

وكان الرئيس واضحا: لقد أصبحت مسؤوليتي الآن أن أبنيه.

عندما توليت المشروع ـ أحد أكبر مشاريع البنية التحتية الأمريكيةالجهود المبذولة منذ بناء نظام الطرق السريعة في الولايات المتحدة ـ لقد نظمت

الاجتماعات في غرفة العمليات مع كبار المسؤولين من داخل المكتبكان من المقرر أن أجتمع مع مسؤولين من وزارة الإدارة والميزانية ووزارة الدفاع ووزارة الأمن الداخلي. وطلبت منهم أن يطلعوني على تفاصيل ما كنا نبنيه بالضبط. هل كان من الخرسانة أم من شرائح الصلب أم من الأسلاك الشائكة؟ وسرعان ما اتضح أن أحداً لم يستقر على النوع الدقيق من الهياكل التي نعتزم إقامتها. وبصفته بنائاً سابقاً، كان لدى الرئيس منظور قوي، لذلك نظمت إحاطة. وأوصى الخبراء بحاجز بارتفاع ثلاثين قدماً مصنوع من شرائح فولاذية طويلة، مع ألواح مضادة للتسلق تصطف في الأعلى. لم يعجب ترامب بمظهر الألواح المضادة للتسلق، لكنه وافق على التصميم بناءً على توصية قوية من دورية الحدود. كنا بحاجة أيضاً إلى تحديد امتدادات حدودنا الأكثر عرضة للمعابر غير القانونية وتهريب البشر والمخدرات والأسلحة حتى نتمكن من تركيز جهود البناء على المواقع ذات الأولوية. كانت أغلب الأراضي الواقعة على طول الحدود الجنوبية مملوكة للقطاع الخاص، وكان على هيئة المهندسين بالجيش أن تنخرط في عملية شاقة للاستحواذ على الأراضي، والتي كانت تنطوي في بعض الأحيان على نزع الملكية، وهو إجراء قانوني أقل من المثالي يمنح الحكومة الفيدرالية السلطة لإجبار المواطنين الأفراد على بيع قطع من أراضيهم. وقد قدرت هيئة المهندسين بالجيش أن هذه الخطوة وحدها قد تستغرق من ستة إلى سبعة أسابيع.

لقد استغرق الأمر اثني عشر شهرًا لإكمال المشروع. ولم يكن لدينا هذا القدر من الوقت.

وبعد العمل على حل هذه القضايا، قررنا تعريف النجاح بأنه بناء 450 ميلاً من جدار حدودي جديد على أحدث طراز بحلول نهاية عام 2020. وكان هذا هدفًا عدوانيًا ولكن يمكن تحقيقه من شأنه أن يعزز أمن حدودنا في مواقع استراتيجية، بما في ذلك سان دييغو ويوما وإل باسو ووادي ريو غراندي. وسوف يرتفع جزء من الجدار في أماكن لا توجد بها حواجز، وسوف يحل جزء آخر محل الأسوار القائمة ولكنها غير فعالة. ومع تكثيف البناء، عقدت اجتماعات أسبوعية في غرفة العمليات. كنت أبدأ دائمًا بسؤالين، نموذجيين لأي مشروع بناء: لماذا يستغرق الأمر وقتًا طويلاً؟ ولماذا يكلف الكثير؟

"لقد وصلنا إلى الموعد المحدد"، هكذا قال الفريق أول تود سيمونيت، الجنرال ذو الثلاث نجوم الذي أدار فيلق المهندسين بالجيش، في أحد هذه الاجتماعات الأسبوعية. وبينما كان يسرد أرقام البناء،من الأسبوع السابق، فتحت مجلد مانيل الخاص بي، وأخرجت الجدول الزمني للأسبوع السابق، وتحققت مرتين من التوقعات.

"بكل احترام، يا سيدي الجنرال، أنت لست في الموعد المحدد"، قلت. "في الأسبوع الماضي، قلت إنك ستكون على مسافة مائة وسبعة عشر ميلاً، وأنت الآن في الموعد المحدد"."فقط في المائة والخمسة عشر."

"هذا هو الجدول الزمني القديم"، قال. "أنا أتحدث عن الجدول الزمني المحدث".

"سيدي الجنرال، على عكس أغلب الوظائف التي تم تكليفي بها في الحكومة، فإن هذه الوظيفة هي التي اكتسبت فيها بعض الخبرة"، قلت مازحا. "لم يسبق لي أن رأيت مقاولاً يعترف بتخلفه عن جدوله الزمني ــ إنهم يستمرون في مراجعة الجدول الزمني."الجدول اللعين."

الجميع ضحكوا.

"أعرف كيف أتعامل مع هذه الأمور. في كل مرة نلتقي فيها، أحتاج منك أن تطلعني على آخر المستجدات بشأن ما كنا عليه في اليوم السابق، وما كان من المتوقع أن نكون عليه. هناك الكثير من الأجزاء المتحركة، وسوف تسير الأمور بشكل أفضل أو أسوأ مما نتوقع. دعونا نتفق على أن يكون هناك تدفق شفاف للمعلومات، وسوف نعمل على حل المشاكل فور ظهورها".

ومن خلال هذا الاجتماع، أنشأت جدول بيانات من صفحة واحدة، مع تتبع وتحديثات محددة لمراقبة التقدم، وكلفت أحد كبار مساعدي، وهو رجل ودود متعدد المهن يُدعى جون رادر، بإدارة تنسيق المشروع. ارتقى الجنرال سيمونيت وفريقه إلى مستوى التحدي وقاموا بعمل رائع. لقد قبلنا جميعًا المساءلة كفريق واحد، وبدأنا في تنفيذ المشروع. بعد أن استغرق كيلي ونيلسن عامين لبناء 35 ميلاً من الجدار الحدودي الجديد والبديل، عملنا مع القائم بأعمال وزير الأمن الداخلي تشاد وولف يخطط لبناء أكثر من 415 ميلاً في عامي 2019 و2020 - الكثير

أسرع مما توقعه الخبراء. وللقيام بذلك، قمت بتطبيق صيغة بسيطةلقد عملت بجدية شديدة، على عكس ما كنت قد استخدمته في اتفاقية الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، وقانون الخطوة الأولى، وملف الشرق الأوسط. لقد حددت النجاح، ووضعت خطة، وبنيت فريقًا رائعًا مبدعًا ونشطًا ويركز بشدة على التنفيذ. أكثر من أي شيء آخر، لم أكن أريد أن أخذل ترامب. لقد وعد ببناء الجدار الحدودي للحفاظ على سلامة وأمن الأميركيين. وقد وجدت التقارير اللاحقة أن الجدار الذي بنيناه حقق هذا الهدف، مما أدى إلى تعطيل تدفق المجرمين والمهربين عبر الحدود.

في أحد الاجتماعات، أطلق مارك مورجان، الزعيم الموهوب والكاريزمي لهيئة الجمارك وحماية الحدود، مازحا أن صقور الهجرة في وسائل الإعلام المحافظة مثل آن كولتر وتوكر كارلسون سوف يصابون بنوبات قلبية لو علموا أن مصير بناء الجدار الحدودي يعتمد على شخص يشوهونه باعتباره "نيويوركيا ليبراليا".

227

{28}

يوريكا

في فبراير/شباط 2019، بدا احتمال السلام في الشرق الأوسط أكثر بعدا من أي وقت مضى.
فقد ظل رئيس الوزراء الإسرائيلي بيبي نتنياهو عالقا في نمط الانتظار حتى بعد انتخابات أبريل/نيسان، وكان الفلسطينيون لا يزالون غاضبين بشأن السفارة في القدس ورفضوا التحدث مباشرة. وعلى الرغم من التوقعات القاتمة،
لقد تقدم فريقي الصغير للأمام.

على مدى الأشهر الستة الماضية، وضعنا خطة السلام من أجل الازدهار الاقتصادية ــ وهي مخطط لاستثمار خمسين مليار دولار في الضفة الغربية وغزة والمنطقة المحيطة إذا قبل الفلسطينيون خطتنا السياسية للسلام كنقطة انطلاق للمفاوضات. والآن حان الوقت لقياس رد فعل زعماء العالم على الاقتراح. وضعنا خططا لرحلتين إلى الخارج. وسوف نبدأ في أوروبا بمؤتمر لمدة يومين يضم ستين دولة لمكافحة إيران نظمه برايان هوك، الذي عُيِّن مبعوثا خاصا لإيران، في وارسو ببولندا. وكان المؤتمر بارزا لأنه جمع رئيس وزراء إسرائيل ووزراء خارجية الإمارات العربية المتحدة والبحرين في منتدى عام. ثم يأتي مؤتمر ميونيخ للأمن في ألمانيا، وهو تجمع سنوي مرموق لكبار السلطات العالمية في مجال الدفاع والأمن القومي. ثم بعد أقل من أسبوع، سننتقل بسرعة عبر ست دول في الشرق الأوسط في خمسة أيام في ما سيكون ثالث رحلة مطولة لي إلى المنطقة.

وكان من المقرر أن يلقي نائب الرئيس بنس الخطاب الرئيسي فيمؤتمر وارسو في 14 فبراير.
دعاني للسفر معه

إلى بولندا على متن طائرة الرئاسة البولندية وانضم إليه والرئيس البولندي أندريه دودا في جولة في أوشفيتز- بيركيناو، معسكر الاعتقال والموت النازي السابق حيث قتل النازيون مليون يهودي.

لقد زرت معسكر أوشفيتز قبل عشرين عاماً عندما كنت طالباً في المدرسة الثانوية. وفي ذلك الوقت، عندما طلبت من مدير المدرسة أن يعذرني على غيابي عن الفصول الدراسية بسبب الرحلة، رفض ذلك، مستشهداً بمتطلبات الحضور في المدرسة. وفي اجتماع في مكتبه، واجهته قائلاً: "إذا فشلت في مساعدتي، فأنا أقبل ذلك، لكنني أعتقد أنه بعد عشر سنوات، سوف أتذكر من هذه الرحلة أكثر مما أتذكره من أسبوع دراسي واحد". لقد استسلم، وبالفعل غيرت الرحلة حياتي.

وبينما كنا نسير على طول ممرات الموت في أوشفيتز، روى أحد المرشدين قصة عن والده، الذي كان سجيناً هناك قبل ستين عاماً. كان والده قد هرب معه التيفيلين - وهو صندوق صغير يحتوي على نقوش التوراة مثبت بشريط جلدي، وكان يرتديه كعمل من أعمال الإيمان. وبينما كان النازيون يجبرون السجناء على الاصطفاف والسير في ساحة السجن كل صباح، كان والده ينحني، ويأخذ الشريط الجلدي الذي يحتوي على التيفيلين، ويلفه حول ذراعه، ويقول صلاة قبل تسليمه للسجين التالي في الصف. ومن بين كل الأشياء التي كان السجناء يستطيعون تهريبها إلى معسكر الموت، اختاروا التيفيلين. لقد خاطروا بحياتهم من أجل الصلاة. وفي سن المراهقة، كان يلبس التيفيلين كنوع من أنواع العبادة.في كثير من الأحيان كنت أتجاهل طقوس الصباح. لقد ألهمتني قصة أوشفيتز لتغيير طريقتي. إذا كان هؤلاء السجناء على استعداد للموت من أجل إيمانهم، فيجب أن أحتضن حريتي وأبذل جهدًا أكبر. منذ ذلك اليوم فصاعدًا، بدأت صباحي بلف الشريط الجلدي حول ذراعي والصلاة.

والآن، بعد مرور عشرين عاماً، وبينما كان الرئيس دودا رئيس بولندا يقود وفدنا عبر معسكر أوشفيتز- بيركيناو، أذهلني مدى ضآلة التغيير الذي حدث منذ زيارتي إلى معسكر أوشفيتز- بيركيناو في المدرسة الثانوية. فقد بدت المواقع، التي تغطي مساحة 470 فداناً، وكأنها مجمدة في الزمن. ودخلنا المكان تحت لافتة مشؤومة من الحديد المطاوع ـ "العمل يحررك". ثم انتقلنا عبر الصفوف المتباعدة بعناية بين الثكنات، حيث كان النازيون يحشرون البشر الهزيلين على أرفف خشبية بينما كان الجليد والمطر والثلج يتسرب عبر السقف. ومررنا بغرفة العيادة، حيث جُرِّد الرجال والنساء والأطفال من كرامتهم. ووقفنا حيث وقف السجناء، في صفوف تفصل بين الموتى والأحياء، والتي بدت وكأنها تمتد إلى ما لا نهاية.

إن زيارة أوشفيتز كشخص بالغ ذكرتني بالسبب الذي يجعل الإسرائيليين يعيشون باستمرار في حالة من الخوف من أنهم سيجدون أنفسهم ذات يوم في موقف عاجز في مواجهة الظالم، ولماذا يتفاوضون على كل نقطة صغيرة كما لو كانت مسألة حياة أو موت.

وبينما كنا نستعد لمغادرة بولندا، أثناء هبوطنا على مدرج المطار في كراكوف، سمعنا صوتاً عبر نظام مكبرات الصوت في الطائرة: "على النقيض من أجداد أبنائي الثلاثة، لم يصل هذا اليهودي إلى أوشفيتز في عربة ماشية، بل في موكب نائب الرئيس. واليوم لا يغادر أوشفيتز كما فعل أكثر من مليون يهودي، في الليلة التي "حوّلت وجوه الأطفال الصغيرة إلى دخان تحت سماء صامتة". واليوم، نجا من ذلك الجحيم على أجنحة النسور على متن الطائرة الرئاسية الثانية".

كان الصوت من نصيب توم روز، المستشار الكبير لنائب الرئيس. وقد نجت أسرته أيضًا من المحرقة. وقد عبر روز عن مشاعري بالكلمات، ولم تكن هناك عين جافة على متن الطائرة.

عندما وصلنا إلى ميونيخ، نظرت من نافذة موكبنا في طريقنا إلى الفندق، وذهلت من المباني النظيفة والساحات العامة التي عرضت أروع الهندسة في العالم. وخطر ببالي أن أوشفيتز. كيف يمكن للناس أن يأخذوا براعتهم وإبداعهم ويحرفوا تلك المواهب لبناء مصانع الموت المصممة بشكل مثالي؟ حتى الناس الطيبون قادرون على التعاون في الشر غير المفهوم. الأمر متروك لكل منا لاختيار كيفية استغلال وقتنا القصير على الأرض.

في مؤتمر ميونيخ للأمن، خططت لإطلاع الزعماء الأوروبيين على خطتنا للسلام. وحتى هذه النقطة، كنت قد أمضيت الجزء الأكبر من وقتي في طلب ردود الفعل وبناء الدعم بين الزعماء العرب، ولكنني كنت بحاجة أيضًا إلى مدخلات أوروبا قبل إصدار الخطة، والتي كان من المقرر أن نقوم بها مؤقتًا في أعقاب الانتخابات البرلمانية الإسرائيلية في أبريل. لقد بذلت ألمانيا جهودًا كبيرة للاعتراف بالفظائع ومحاولة مداواة جراح الهولوكوست، لذلك كنت آمل أن تكون المستشارة أنجيلا ميركل متقبلة. لقد أطلعتها على جهودنا عندما التقت وفودنا. أعربت عن دعمها، لكنها لم تتعهد بدعم خطتنا. طلبت مني العمل مع أحد مساعديها. بعد فترة وجيزة، علمت من ريك جرينيل، سفيرنا في ألمانيا، أن ميركل ربطتني بدافع ورقي.

كان تسليمها إشارة أكيدة إلى أنها لا ترغب في إعادة التفكير في حياتها.ولم يكن الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون مختلفا عنهم. فعندما تحدثنا، لم يعترف تقريبا بأن الأساليب السابقة قد فشلت. وكانت نقاط حديثه مباشرة من كتاب وزارة الخارجية التقليدي، ولن تدعم فرنسا أي خطة ما لم يوقع عليها الفلسطينيون.

ولم يبد زعماء أوروبا الأكثر نفوذا أي اهتمام بالانفصال.

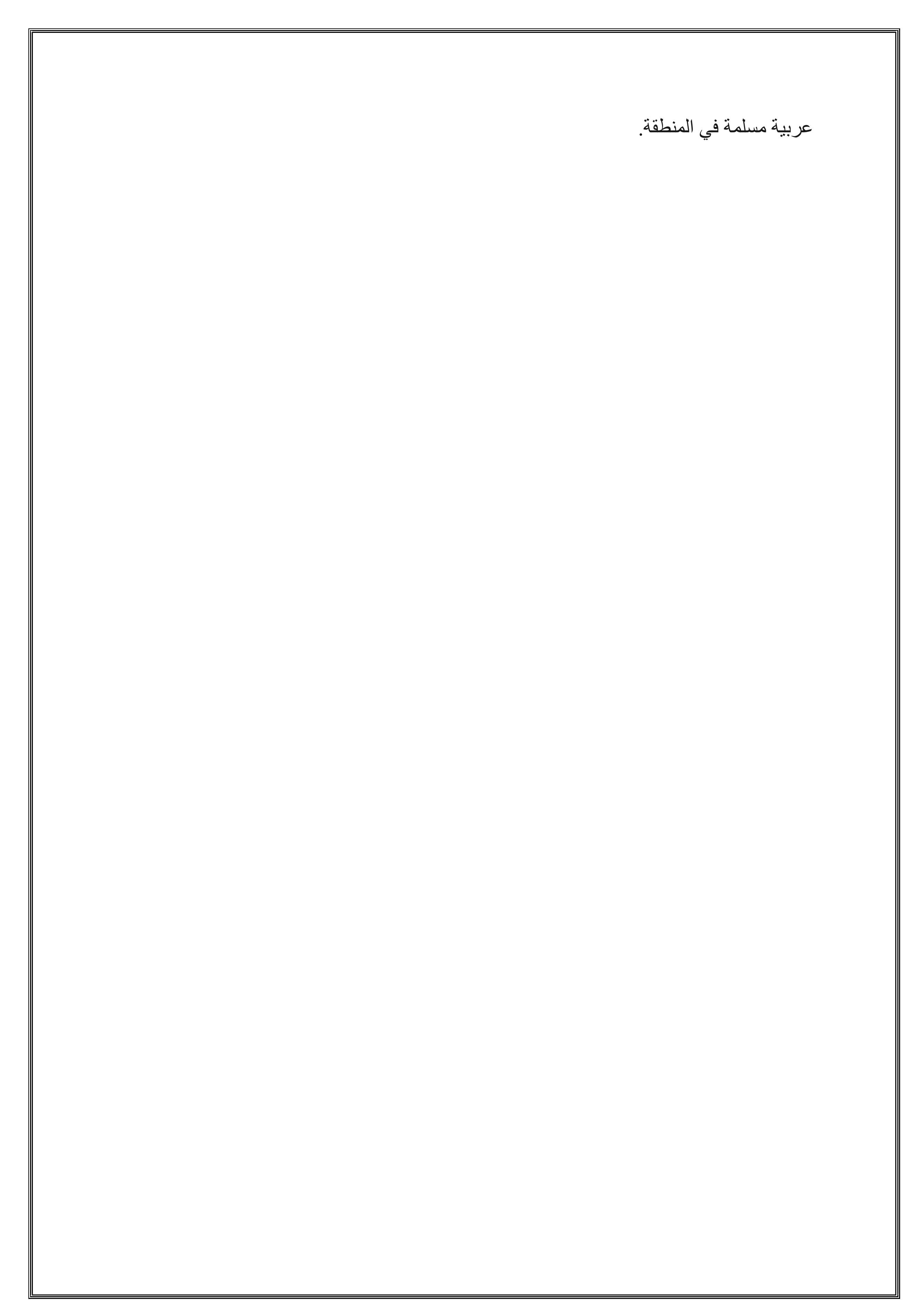
من سياسات الماضي الفاشلة إلى البحث عن طريق جديد للسلام.

* * *

في الثالث والعشرين من فبراير/شباط، غادرت إلى الشرق الأوسط برفقة آفي بيركويتز وجيسون جرينبلات وبريان هوك. وشملت الرحلة زيارتنا الأولى إلى سلطنة عمان. تقع عمان في موقع استراتيجي على طول مصب الخليج العربي، وتشترك في حدود مع المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة واليمن. وعلى الجانب الآخر من مضيق هرمز تقع إيران، على بعد واحد وعشرين ميلاً فقط.

عند وصولنا بعد الظهر توجهنا إلى الفندق وانتظرنا اتصالاً من القصر بالتعليمات حول الوقت الذي يجب أن نصل فيه لتناول العشاءفي بهو الفندق، التقينا بكاتب عمود نيويورك تايمز وخبير الشرق الأوسط توماس فريدمان، الذي كان هناك لإلقاء خطاب. وأثناء تناولنا القهوة، كشف لي أنه تابع جهودي عن كثب وأدرك أننا نتعامل مع المفاوضات بشكل مختلف. ففي حين حاول أسلافنا لعب دور الوسيط المحايد، كنا نقف بلا اعتذار إلى جانب إسرائيل في السياسات التي اتفقنا عليها، مدركين أن هذا من شأنه أن يبني الثقة معهم. وذكرني بقاعدته الأولى بشأن المنطقة: "في الشرق الأوسط، تحصل على تغيير كبير عندما يفعل اللاعبون الكبار الأشياء الصحيحة لأسباب خاطئة". وأصر على أنه إذا لم نكن نخطط لعرض دولة على الفلسطينيين، فلن تؤتي جهودنا ثمارها أبدًا. ولأنني لم أكن أرغب في الكشف عن يدي لصحفي، قلت إننا ما زلنا نعمل على حل القضايا ونحاول الاستفادة من علاقتنا القوية مع إسرائيل.

بعد فترة وجيزة من تناولنا القهوة، تلقينا مكالمة من القصر. لقد حان الوقت لمقابلة السلطان قابوس بن سعيد آل سعيد، وهو شخصية بارزة في الشرق الأوسط.الشرق. كان قابوس، وهو من نسل الجيل الرابع عشر للملك المؤسس لسلطنة عمان، أطول الزعماء بقاءً في السلطة في المنطقة والعضو المؤسس الوحيد لمجلس التعاون الخليجي الذي لا يزال على قيد الحياة. ومنذ ذلك الحين، أصبح قابوس أول رئيس لدولة



عربية مسلمة في المنطقة.

بعد أن أطاح بوالده في انقلاب مدعوم من بريطانيا في عام 1970، كان لديهلقد نفذ السلطان قابوس إصلاحات كبيرة بوتيرة منهجية. وعلى مدار حكمه الذي دام ما يقرب من نصف قرن، ألغى العبودية، واعترف بحق المرأة في التصويت، وبنى البنية الأساسية الحديثة، وحول بلاده من أرض تعاني من الفقر والعزلة إلى اقتصاد مزدهر ومتنوع يحترمه جيرانه. ومثل معظم الدول العربية، لم تكن لسلطنة عمان علاقات دبلوماسية رسمية مع إسرائيل، لكن السلطان استضاف نتنياهو مؤخرًا في زيارة. وكان هذا بمثابة خبر كبير، بل وفاجأ مجتمع الاستخبارات الأمريكي، الذي فسر هذه المبادرة على أنها علامة على أن جهودنا كانت تعمل على تغيير المشاعر في المنطقة.

وعندما دخلنا القصر، رافقنا مسؤول إلى غرفة استقبال فخمة، حيث التقينا بثلاثة وزراء رفيعي المستوى يرتدون الزي العماني التقليدي مع عمائم على شكل مزر وخناجر مرصعة بالجواهر على أحزمتهم. وتبادلنا المجاملات بينما كنا ننتظر السلطان بفارغ الصبر. مرت نصف ساعة، ثم ساعة. حاولنا ألا نظهر جوعنا وإرهاقنا بينما كنا نتبادل أطراف الحديث، ولكن ربما كان ينبغي لنا ذلك، لأنهم لم يعطونا أي إشارة إلى موعد وصول السلطان. وأخيراً، في الساعة العاشرة مساءً، بعد ساعتين من وقت بدء اجتماعنا المتوقع، أعلن مسؤول أن السلطان جاهز. تم اصطحابنا إلى غرفة مؤتمرات بلا نوافذ مغطاة بألواح من خشب الماهوجني ومصطفة بالكراسي. لم يكن هناك أي أثر للطعام في الأفق. ولا حتى طاولة طعام. همس هوك في آذني، "أعتقد أننا لن نتناول العشاء".

لقد استقبلنا السلطان، وهو رجل قصير القامة ذو لحية مشذبة بعناية وعمامة ملكية، بحرارة. لقد بدت هيئته الفخورة غير المستعجلة وكأنها تنقل هالة من المعارك اكتسبها من خمسة عقود قضاها في أكثر المناطق الجغرافية السياسية خشونة في العالم.

وعندما قدمنا أنفسنا، طرحت أسئلة حول تاريخ وشخصيات الشرق الأوسط. وفي حين كان أغلب زعماء المنطقة يميلون إلى الحيوية والعاطفية، فقد أعجبت بسلوك السلطان الهادئ، وخاصة عندما روى قصة عن أحد جيرانه. فقال: "لقد حاول قتلي، لكننا حللنا مشاكلنا، ولا أحمل له ضغينة".

لقد أذهلني بيانه الواقعي، ولكن ربما لا ينبغي أن يكون كذلك.

لقد نجح في البقاء على قيد الحياة من خلال اختيار معاركه بحكمة واتخاذ خطوات إلى الأمام بسرعته الخاصة. لقد كان يعرف نقاط قوته وضعفه، وكان يركز على اللعبة الطويلة.

وعندما وصلنا إلى موضوع الفلسطينيين، شارك السلطان وجهة نظر سمعتها من كل زعيم في المنطقة تقريبًا. ومع ذلك، فقد التقط جوهر القضية بدقة ووضوح مذهلين: كان العنصر الأكثر أهمية في السلام الإسرائيلي العربي هو الوصول إلى المسجد الأقصى في الحرم الشريف. وذهب إلى أبعد من غيره من الزعماء، معربًا عن خيبة أمله في أن وسائل الإعلام العربية نشرت لسنوات رواية كاذبة مفادها أن إسرائيل تريد تدمير المسجد. كانت هذه الكذبة شائعة في معظم الدول الإسلامية، وكان من الضروري معالجتها. من الواضح أن السلطان تعاطف مع عباس، موضحًا كيف عمل الزعماء العرب لسنوات على تأجيج الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين عمدًا لصرف الانتباه عن أوجه القصور المحلية لديهم وحشد الدعم الشعبي.

"لقد مارسنا ضغوطاً علنية على الفلسطينيين للوقوف في وجه إسرائيل وعدم الخيانة"، هكذا قال. ثم، ولدهشتي، اعترف بأن هذه التصريحات العلنية غالباً ما تتناقض مع ما يقوله القادة العرب في السر، عندما كانوا أكثر استعداداً للاعتراف بالفوائد التي جلبتها إسرائيل للمنطقة. واعترف قائلاً: "لن تنتهي هذه النفاق إلا عندما يقول القادة علناً ما يقوله كثيرون في السر". وبينما استمرت مناقشتنا، ألقى السلطان بعض اللوم على عباس لعجزه عن إيجاد الحلول ودوره في إدامة الصراع. وقال: "من المفترض أن نتعلم من التاريخ، ولكن لا يمكنك أن تعيش في التاريخ".

لقد صدمت مما سمعته. فقد أعطتني هذه التصريحات، التي صدرت عن أطول حاكم في العالم العربي حكماً، الأمل في أن يدعم السلطان خطتنا للسلام، أو حتى إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل. وقد أخبرني عن مدى استمتاعه بعشائه مع بيبي، وكيف رأى فرصاً هائلة لسلطنة عمان وجيرانها للتعاون مع إسرائيل.

وعندما انتهينا من شرح الخطة للسلطان، سألته عما إذا كان يعتقد أن لدينا فرصة للسلام بين إسرائيل والفلسطينيين. فقال: "إذا لم تبدأ، فلن نتمكن من إنجاز أي شيء أو تغييره. إن عباس لديه حدوده، لكن قلبه في المكان الصحيح". ثم عبر الندم عن وجهه. "أشعر بالأسف على الشعب الفلسطيني؛ فهم يحملون معهم عبء العالم الإسلامي".

لمدة تزيد عن ساعتين، شارك السلطان القصص وأعطى رؤى من وجهة نظره الفريدة. كنت منغمسًا في المحادثة لدرجة أنني نسيت جوعي. ومع ذلك، كان فريقي يشعر بالتعب. كان آفي وهوك يكافحان لإبقاء أعينهما مفتوحتين وإعادة ضبط مقاعدهما للبقاء مستيقظين. انتهى الاجتماع أخيرًا بعد منتصف الليل. عندما وقفنا للمغادرة، سأل السلطان: "هل نأكل؟" لم يكن هناك سوى إجابة واحدة مقبولة. كان بإمكاني أن أرى النظرات المحبطة على وجوه آفي وهوك وغرينبلات عندما أجبت بالإيجاب. كانوا يريدون فقط القليل من النوم قبل مغادرتنا في الساعة 8:00 صباحًا إلى البحرين.

فتح موظفو السلطان أبواب غرفة طعام رائعة، محاطة بأعمدة وأقواس ضخمة. وفي الوسط كانت هناك طاولة رخامية مرسومة يدويًا ومزينة بحواف ذهبية. وكان هناك ثلاثة نادلين يرتدون بدلات رسمية يقفون خلف كل كرسي. كان سلطان عمان مشهورًا باستضافة حفلات عشاء أكثر رسمية من تلك التي تُقام في قصر باكنغهام، لكن لا شيء كان ليهيئنا لما تلا ذلك.

كانت أغطية الأطباق الفضية اللامعة منتشرة على الطاولة، مصحوبة بقوائم طعام ضخمة تحتوي على أوصاف لثلاثين طبقًا مختلفًا، مفصولة بفئات مثل "الحساء" أو "الأسماك"، مكتوبة بخط أنيق باللغة الإنجليزية والعربية. كنت أتوقع اختيار مجموعة واحدة من كل فئة، كما هو شائع في أمريكا. ولكن قبل أن أتمكن من اتخاذ القرار، قدم لي النادل حساء الأفوكادو البارد، يليه حساء هلام لحم الضأن البارد وحساء الطماطم والريحان. ومع وصول كل طبق جديد، وصف السلطان المكان الذي اكتشف فيه الوصفة الأصلية. "هل لديك بعض؟" سأل، مرارًا وتكرارًا. لم أستطع رفض مضيفتي الكريمة وارتشفت من كل منها. بعد تقديم سبعة أنواع مختلفة من الحساء، بدأ النوادل في إحضار أطباق المأكولات البحرية: الجمبري المشوي، والجمبري سكامبي، والكركند الطازج، وسمك الملك المشوي، وسمك القد المقلي. بعد أربعة عشر طبقًا، ألقيت نظرة خاطفة على القائمة ورأيت أننا لم ننته حتى نصف الطريق.

حاولت تجنب الطعام غير الحلال، وتناولت قضمات صغيرة حتى أتمكن من تناول الوجبة بينما استمر السلطان في شرح الديناميكيات في المنطقة. في مناسبات عديدة، كنت منغمسًا في المناقشة لدرجة أنني نسيت تجربة طبق جديد. في النهاية، لاحظت هوك وآفي.

حدق في وجهي، وأدرك: لن يقدم النوادل الطبق التاليحتى توقفنا عن الحديث. أراد الرجال مني أن أصمت حتى نتمكن من مواصلة تناول العشاء.

وبينما كان السلطان يروي لنا قصص الفتوحات والمكائد، فقد أظهر فهماً رائعاً للتاريخ. فعندما يغيب عن ذهنه تاريخ ما، ينظر إلى أحد وزرائه. فيرد عليه بسرعة: "هل كان ذلك في عام 1942؟" فيرد عليه بسرعة: "لا، كان ذلك في عام 1943". وقد تكرر هذا الأمر عدة مرات. فيرد عليه: "هل كان ذلك في عام 1973؟" فيرد عليه: "لا، كان ذلك في عام 1974". ولشهور، كانت هذه مزحة متداولة بين فريقي. وكان هوك يسأل: "هل كان ذلك في عام 1942؟" فيرد عليه آفي: "لا، كان ذلك في عام 1943".

بعد أربع ساعات وثلاثين طبقًا لذيذًا، أنهينا الوجبة. كانت الساعة بعد الرابعة صباحًا ولم أكن لأشعر بسعادة أكبر من تلك التي شعرت بها عندما تناولنا الطعام.لقد استمتعت كثيراً بمناقشاتي الممتعة. وفي غضون ست ساعات، تمكنت من بناء علاقة جديدة واكتسبت نظرة ثاقبة هائلة في أكثر القضايا الدبلوماسية تعقيداً في العالم. وشعرت أنني أصبحت شريكاً جديداً. وعندما رافقنا السلطان إلى الباب لتوديعنا، سألني بلا مبالاة: "هل ترغبون في رؤية مجموعتي من السيارات؟" ولأنني أعلم أنه يمتلك واحدة من أفضل مجموعات السيارات في العالم، والتي تضم أكثر من ثلاثمائة سيارة عتيقة، فقد كنت على وشك الموافقة. ثم نظرت إلى آفي، الذي هز رأسه قائلاً: "من الأفضل ألا نفعل ذلك. وسوف أتطلع إلى رؤيتها في زيارتنا القادمة".

بمجرد أن أغلقنا أبواب سيارتنا الرياضية متعددة الاستخدامات، التفت إلى آفي وهوك مبتسمًا. "أردت أن أرى مجموعة السيارات". لقد فقدا صوابهما. قال آفي: "كانت تلك ثماني ساعات من التعذيب البذخ! لم ننم منذ ثلاثين عامًا".ساعات، ونطلقنا إلى البحرين في أقل من أربع ساعات. لقد تعاطفت، لكننا سافرنا نصف الطريق عبر العالم للقاء سلطان دولة، وكان من الواضح أنه يقدر صحبتنا. لو لم يكن كذلك، لما أبقانا لفترة طويلة. كنت سعيدًا بالتخلي عن بضع ساعات من النوم لبناء ثقة أكبر ومنحنا فرصة أفضل لصنع السلام. بالإضافة إلى ذلك، استمتعت بكل دقيقة من التجربة. متى سنحت لنا الفرصة للتحدث طوال الليل مع سلطان عمان؟ كما اتضح، سيكون هذا اجتماعنا الوحيد. توفي السلطان بالسرطان في يناير 2020، عن عمر يناهز التاسعة والسبعين.

في الرحلة إلى البحرين، لم أستطع التوقف عن التفكير في المحادثة التي دارت بيني وبين السلطان في الليلة السابقة. كان هناك سطر واحد يتكرر باستمرار

في رأسي: "أشعر بالأسف تجاه الشعب الفلسطيني. فهم يحملون معهملقد أثار هذا تساؤلي حول من الذي

عين محمود عباس، مع عصابته غير الكفؤة من المفاوضين، لتمثيل العالم العربي بأكمله في قضية

المسجد الأقصى. وقد أدى هذا إلى لحظة اكتشاف: ربما كان السبب وراء عدم حل الصراع الإسرائيلي

الفلسطيني هو أنه صراعان منفصلان، وليس صراعاً واحداً. هناك النزاع الإقليمي بين إسرائيل

والفلسطينيين حول مكان التسوية وترسيم الحدود في القدس والضفة الغربية. ثم هناك الصراع الأوسع

بين إسرائيل وجميع العرب حول الوصول إلى المسجد الأقصى. على مدى عقود من الزمان، كان دمج

هاتين القضيتين سبباً في جعل الصراع غير قابل للحل. إذا ركزنا على كل قضية على حدة، فسوف نجد

أنفسنا في مواجهة صراع لا يمكن حله.

وبشكل فردي، ربما يكون التقدم ممكنا.

بعد عامين من هزيمة الحلفاء للنازيين في الحرب العالمية الثانية، دعت الأمم المتحدة إلى إقامة دولتين يهودية وعربية منفصلتين، مع الاحتفاظ بالسيطرة الدولية على القدس. وقد أيد الشعب اليهودي في إسرائيل هذه الخطة، بما في ذلك اقتراح القدس، لكن العالم العربي رفضها. وعندما انتهى الحكم البريطاني في عام 1948، أعلن اليهود استقلالهم، وأعلنوا ذلك في الرابع عشر من مايو/أيار. وفي اليوم التالي، هاجمت دول مصر والأردن والعراق وسوريا ولبنان.

في عام 1948، وبعد أن حاصرها الأعداء وتفوقت عليها القوات العربية عدداً، انتصرت دولة إسرائيل الوليدة بأعجوبة في ما أصبح يُعرف بالحرب العربية الإسرائيلية. وفي بداية الغزو العربي، حث الجنرال المصري جمال عبد الناصر الفلسطينيين على الفرار من المنطقة، ووعدهم بالعودة والمشاركة في غنائم النصر العربي الوشيك. واستجاب مئات الآلاف لدعوته، ولكن عندما هُزمت قواتهم، لم يتمكنوا من العودة إلى ديارهم وأصبحوا لاجئين. وبدلاً من دعوة أكثر من خمسين دولة إسلامية وعربية للترحيب بهؤلاء اللاجئين ومنحهم الجنسية، رفض الجنرال عبد الناصر وحلفاؤه الاعتراف بالهزيمة وتعهدوا بأن يتمكن اللاجئون ذات يوم من العودة إلى فلسطين. وأصبح هؤلاء اللاجئون بيادق جيوسياسية، استُخدِموا لتعزيز السعي المستمر المعادي للسامية من قبل زعماء العالم العربي آنذاك لتبرير معارضتهم لوجود إسرائيل. واستمر هذا الفشل في حل مشكلة اللاجئين لمدة سبعين عاماً، مما أدى إلى عدم الاستقرار والاضطرابات الإقليمية. وفي حين تم إعادة توطين جميع اللاجئين الآخرين بعد الحرب العالمية الثانية، فإن الفلسطينيين النازحين وحدهم هم الذين ما زالوا يعيشون في مخيمات اللاجئين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

بعد الهزيمة المهينة التي تعرض لها ناصر، وجه الجنرال المصريولقد أدى هذا إلى تزايد الغضب تجاه إسرائيل والشعب اليهودي. ونتيجة لهذا فقد طُرد نحو ثمانمائة ألف يهودي، ممن عاشوا بسلام مع جيرانهم المسلمين لقرون من الزمان، من ديارهم في بغداد والقاهرة وفاس ودمشق وطهران. وقد استقروا جميعاً في أماكن أخرى، ووجد العديد منهم ملجأ في إسرائيل. وعلى النقيض من اللاجئين الفلسطينيين، لم تُمنح اللاجئين اليهود تصنيفاً خاصاً من قِبَل الأمم المتحدة.

عندما التقيت بقادة اعترضوا على موقف إسرائيل الحالي فيالقدس، أود أن أذكرهم بأن العرب غزاوا إسرائيل ثلاث مرات – في أعوام 1948 و1967 و1973 – وخسروا. وبعد حربي 1967 و1973، أصدرت الأمم المتحدة قرارات دعت إسرائيل إلى إعادة أي أرض اكتسبتها من خلال الحروب إلى الفلسطينيين. وتجاهل المناهضون لإسرائيل حقيقة مفادها أن إسرائيل وافقت على قرار الأمم المتحدة لعام 1947 الذي أنشأ دولتين ذات سيادة، مع سيطرة دولية على القدس. وكان المخالفون الحقيقيون للنظام الدولي هم الجنرال ناصر وتحالفه. وفي أغلب الحالات التاريخية، هناك عواقب وخيمة لخسارة حرب هجومية. وقد خسروا ثلاث حروب.

بعد عامين من استكشاف كل زاوية من هذه المشكلة التي تبدو غير قابلة للحلفي عام 2006، عندما كنت في إسرائيل، شعرت وكأنني قد توصلت أخيراً إلى اختراق مفاهيمي: ربما كان السبيل إلى تحقيق السلام والحد من التوتر الإقليمي هو تضييق نطاق تركيزنا على قضية الوصول إلى المسجد الأقصى. كنت متفائلاً بأن هذا النهج يتماشى مع مشاعر الشعب العربي - وليس فقط قادتهم. قبل أشهر، كنت قد كلفت مجموعات تركيز تابعة لوزارة الخارجية في الضفة الغربية ومصر والأردن والإمارات العربية المتحدة. عندما طُلب من المشاركين العرب وصف مصدر الصراع العربي الإسرائيلي، ذكرت الغالبية العظمى الوصول إلى المسجد. أما قضية السيادة الإقليمية، التي كانت من هواجس "الخبراء"، فلم تظهر بالكاد.

إن إسرائيل إذا ضمنت للمسلمين رعاية الأماكن المقدسة، ووسعت من نطاق وصول المصلين المسلمين إليها، فسوف نتمكن من معالجة القضية الأكثر إثارة للقلق لدى العرب. وإذا عقدت هذه الدول السلام مع إسرائيل، فسوف تنفتح الرحلات الجوية إلى إسرائيل، الأمر الذي يجعل من الممكن لمئات الملايين من المسلمين أداء فريضة الحج إلى المسجد الأقصى. ولكي يتسنى لنا تحقيق هذه الغاية، لابد أن تظهر خطتنا للسلام التزاماً جدياً بحل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. وكنا على استعداد لتقديم خطة تتطلب التنازلات، ولكنها في الوقت نفسه تحافظ على أمن إسرائيل مع تحسين حياة الفلسطينيين.

ومن شأن الاقتراح التفصيلي أن يضع عباس في موقف تفاوضي صعب.إذا قبل العرض وأنهى الصراع، فسوف يخاطر بخسارة مليارات الدولارات سنويا من المساعدات الدولية. ولكن إذا رفض اقتراحنا لحل الدولتين البراجماتي، والذي تضمن خطة استثمارية ضخمة للأراضي الفلسطينية، فسوف يكشف عن لامبالاته الحقيقية برفاهة شعبه. وهذا من شأنه أن يعزز الحجة التي كنت أطرحها على زعماء البلدان الإسلامية ـ بأن الوقت قد حان للتركيز على مصالحهم الوطنية والمضي قدما في التطبيع.

في أواخر فترة ولايته كوزير للخارجية، قدم جون كيري نصيحة وداعية لجمهور الحاضرين في واشنطن. قال في منتدى سابان: "لن يكون هناك سلام منفصل بين إسرائيل والعالم العربي. وأود أن أوضح ذلك لكم جميعًا. لقد سمعت العديد من الساسة البارزين في إسرائيل يقولون أحيانًا: "حسنًا، العالم العربي في مكان مختلف الآن، علينا فقط أن نتواصل معهم ويمكننا أن نعمل على بعض الأشياء مع العالم العربي وسنتعامل مع الفلسطينيين". كلا، كلا، كلا، كلا. أستطيع أن أخبركم أن هذا قد تأكد حتى في الأسبوع الماضي عندما تحدثت إلى زعماء في المجتمع العربي. لن يكون هناك سلام متقدم ومنفصل مع العالم العربي بدون العملية الفلسطينية والسلام الفلسطيني. يجب على الجميع أن يفهموا ذلك. هذه حقيقة قاسية ".

كانت هذه هي الحكمة التقليدية لعقود من الزمن، وقد قبلتها في البدايةولكن عندما استمعت إلى ما قاله نتنياهو وتعلمت منه، شعرت أن العكس قد يكون صحيحا. فإذا تمكنا من تحقيق السلام بين إسرائيل والعالم العربي، فمن المرجح أن ينفتح الطريق أمام تحقيق السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل في نهاية المطاف أيضا.

وعندما اقتربت طائرتنا من البحرين، انحنيت نحو جيسون وطلبت منه إجراء تغييرين على خطة السلام. أولاً، يجب عليه إعادة صياغة قضية الوصول إلى المسجد الأقصى، وإزالتها كموضوع للتفاوض مع الفلسطينيين وتحويلها إلى محور اتفاقيات التطبيع الأوسع بين إسرائيل والعالم الإسلامي. ثانياً، كان علينا الانتهاء من الحدود في القدس والضفة الغربية في إطار خطة السلام.

طريقة عقلانية مبنية على الواقع المعاصر وليس على قرار من الأمم المتحدةمنذ عام 1967. وكان كلا المفهومين يرتكزان على إيجاد حل عملي قادر على إنهاء الصراع وتجاوز النموذج الفاشل في الماضي.

وإذا رفضت القيادة الفلسطينية هذا النهج، الذي كادت أن تفشل فيه،ومن المؤكد أن القادة العرب سوف يدركون أن التعنت الفلسطيني يقوض مصالحهم في وقت تتزايد فيه التهديدات المشتركة والفرص المشتركة.

لقد كان عشاءنا مع سلطان عُمان، وما تلا ذلك من إدراك للواقع، سبباً في بلورة استراتيجيتنا ومهد الطريق أمام اتفاقيات إبراهيم. وبينما كنا نسعى إلى تحقيق نموذج جديد، بدأنا نرى فرصة هائلة كانت مختبئة أمام أعيننا.

{29}

كليشيه جديد

سألت الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك البحرين، حاكم الدولة الجزيرة المزدهرة قبالة سواحل المملكة العربية السعودية: "هل يمكنني أن أسألك سؤالا غير مناسب؟".

ابتسم الملك وأومأ برأسه.

"أمس في مصر"، تابعت، "في اجتماع جامعة الدول العربية مع"لقد دعوتم، يا الاتحاد الأوروبي، إلى إقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس الشرقية، على أساس الحدود التي أنشئت في عام 1967. وهذه هي نفس النقاط التي يتحدث عنها الجميع في مبادرة السلام العربية منذ عام 2002. وأنتم تعلمون أن هذا لن يحدث. وأنا أعلم أن هذا لن يحدث. والجميع في تلك الغرفة يعلمون أن هذا لن يحدث. فلماذا تستمرون أنتم وغيركم في تكرار هذا؟"

توقف الملك، وجمع أفكاره، وتحدث: "أعتقد أنها أصبحت عبارة مبتذلة. ربما نحتاج إلى عبارة مبتذلة جديدة."

وأضاف الملك أنه ليس لديه أي مشاعر سيئة تجاه إسرائيل وتوقعوكان أوباما يعتقد أن المنطقة لن تتقدم إلا عندما تتحد الديانات الإبراهيمية الثلاثة، ولهذا السبب أراد أن يرى التقدم للفلسطينيين.

كان هذا أفضل استنتاج كنت أتمنى التوصل إليه بعد اجتماعات بناءة مع الملك وابنه ولي العهد الأمير سلمان بن حمد آل خليفة.كان خليفة قائدًا متقدمًا في التفكير، وقد قطع خطوات كبيرة لتحديث وتنويع اقتصاد البحرين. وقد أعرب الملك وولي العهد عن تقديرهما لأن خطتنا الاقتصادية "السلام من أجل الازدهار" تضمنت مخططًا تفصيليًا لتوفير فرص العمل في الضفة الغربية. وعرضا المساعدة في أي جهد لمساعدة الشعب الفلسطيني.

من البحرين سافرنا بالطائرة إلى المملكة العربية السعودية وتوجهنا مباشرة إلى الديوان الملكي السعودي للقاء الملك سلمان بن عبد العزيز.لقد أعرب الملك سلمان البالغ من العمر ثلاث سنوات عن تقديره لعمل ترامب لتحقيق الاستقرار في المنطقة، وتذكر بحنان قمة الرياض التي استضافها قبل عامين تقريبًا. وأكد أن الوصول إلى المسجد الأقصى هو القضية الأكثر أهمية لجميع المسلمين ووجه فريقه لمواصلة العمل معنا لمعرفة ما يمكننا القيام به لحل الصراع. مع العلم أن إسرائيل لم تكن الموضوع المفضل لدى الملك سلمان، طلبت من برايان هوك، مبعوثنا الخاص لإيران، أن يقدم له تحديثًا عن إجراءاتنا ضد النظام في طهران. لقد أشركت برايان في معظم اجتماعاتي مع القادة العرب ليس فقط لأنه كان مستشارًا سياسيًا بارعًا، ولكن أيضًا لأن وجوده ذكّر الدول العربية بأننا متفقون على أولوية رئيسية لهم، وكنا نتوقع منهم المشاركة بشكل بناء في أولوياتنا الأخرى. في الماضي، اختاروا القضايا التي كانوا على استعداد للمشاركة فيها، بينما قالوا إن الأولويات الأمريكية ستكون مزعزعة للاستقرار بالنسبة لهم داخليًا. أردت أن يتوقف هذا. إذا كانوا يأملون في جني فوائد السياسات التي يدعمونها، فلا يمكنهم الهروب من القضايا التي يفضلون تجنبها.

بعد لقائنا بالملك، دخلنا مبنى جميلاً آخر في مجمع الديوان الملكي: مكاتب ولي العهد الأمير محمد.كان هذا أول لقاء شخصي بيننا منذ أن أقدم عملاء سعوديون على اغتيال كاتب العمود في صحيفة واشنطن بوست جمال خاشقجي في أكتوبر/تشرين الأول 2018.

لقد تأكدت من أن فريق الاتصالات أصدر بيانًا رسميًا لاجتماع المجموعة للصحافة، لذلك كان من الواضح أنني لم أخفيلقد كان من دواعي سروري أن ألتقي بكم وأن الولايات المتحدة تقف إلى جانب حليفتها في لحظة صعبة. لقد شرحت لمحمد بن سلمان خطتنا الاقتصادية "السلام من أجل الازدهار"، والتي تضمنت استثمارًا اقتصاديًا بقيمة 50 مليار دولار في الضفة الغربية وغزة والمنطقة المحيطة بها.

لقد استثمرت الدول العربية لعقود من الزمن مليارات الدولارات في هذه المجالات، ولم تجن سوى عائد ضئيل للغاية. ولقد قلت: "لو تم توجيه الاستثمارات مباشرة إلى الاقتصاد الفلسطيني، وليس من خلال قياداتهم، وشرط إجراء الإصلاحات، لكان الناس سيستفيدون أكثر. والآن، يشكل النظام الحالي عبئاً هائلاً غير محدود".

وقال "إن هذه الخطة مدروسة حقًا ولها معنى كبير. كيف تمكنتم من تنفيذها؟"

أوضحت أنني جمعت ثلاثة من أذكى الأشخاص من البيت الأبيض والذين لديهم خلفيات في مجال التمويل، وأننا قضينا عدة أشهر في البحث عن المشكلة وحساب الأرقام.

"يبدو أن هذا عمل مائة مستشار من شركة ماكينزي!"

قال.

أخبرته أن خطته لرؤية 2030 للشعب السعودي ألهمتمخططنا.40

"لقد تنبأ بأن منتقديك الطبيعيين سوف يزعمون أنك تحاول شراء الشعب الفلسطيني، ولكن هذا الانتقاد سوف يأتي في كل الأحوال. هذه خطة قوية، وسوف يحكم الناس بأنفسهم على ما إذا كانوا يعتقدون أنها ستساعدهم على تحقيق حياة أفضل. لقد حدث نفس الشيء في بلدي مع رؤية 2030".

عندما ناقشنا قضية مقتل خاشقجي، أخذ ولي العهدوقال إنه يتحمل المسؤولية عن وقوع الجريمة تحت إشرافه، رغم أنه قال إنه لم يكن متورطًا شخصيًا في الجريمة. وأضاف أنه يجري تحقيقًا شاملاً ويخطط للتعامل مع جريمة القتل علنًا بمجرد اكتمالها.

كما ناقشنا سبل حل الخلاف الخليجي مع قطر، الذي دخل عامه الثاني وكان مسؤولاً عن عدم الاستقرار والأضرار الاقتصادية في المنطقة. قلت: "دعونا نضع جانباً الأسباب التي أدت إلى بدء هذا الخلاف. قطر الآن مضطرة إلى الاعتماد على إيران للحصول على المواد الغذائية. وكلما طال أمد هذا الصراع، كلما زاد العداء في المنطقة، مما يقلل من فرص نجاحك في المنطقة"."فرص تحقيق أحلامك الطموحة لبلدك."

وقال بن سلمان "أنا منفتح على التوصل إلى اتفاق، لكن يجب أن يكون اتفاقا يحل المشكلة حقا. الاتفاقات السابقة بين بلدينا لم تفعل سوى تفاقم المشكلة".

لقد عرضت التحدث مع الشيخ تميم أمير قطر، واستكشاف آراء القطريين لمعرفة ما إذا كان من الممكن التوصل إلى حل يعالج المخاوف السعودية. وافق محمد بن سلمان.

وبعد عدة أشهر، تحدث محمد بن سلمان عن مقتل خاشقجي خلال مقابلة مع برنامج 60 دقيقة على قناة سي بي إس، وأخبر العالم بما قاله لي: "كانت هذه جريمة شنيعة".ولكنني أتحمل المسؤولية كاملة كزعيم في المملكة العربية السعودية،

وخاصة أنها ارتكبت على يد أفراد يعملون لصالح الحكومة السعودية. و يجب أن أتخذ كافة الإجراءات لتجنب مثل هذا الأمر في
مستقبل."

في حين كان هذا الوضع مروعا، لم أستطع تجاهل حقيقة أن الإصلاحات التي كان محمد بن سلمان ينفذها كان لها تأثير إيجابي على ملايين الأشخاص في المملكة - وخاصة النساء. تحت قيادته، بدأت المملكة العربية السعودية في السماح للنساء بحرية السفر والمشاركة في الاقتصاد وامتلاك العقارات. كما خففت القيود الثقافية على الرقص والحفلات الموسيقية. وقلصت بشكل كبير من شرطة الأمراء، التي فرضت لسنوات شكلاً صارمًا من أشكال الشريعة الإسلامية. كانت كل هذه الإصلاحات من الأولويات الرئيسية للولايات المتحدة، لأنها أدت إلى مزيد من التقدم في مكافحة التطرف وتعزيز الفرص الاقتصادية والاستقرار في جميع أنحاء المنطقة التي مزقتها الحرب. كانت المملكة على استعداد للبناء على هذا التقدم التاريخي، وكنت أعتقد أنها ستفعل ذلك.

* * *

في تركيا، التقيت بالرئيس رجب طيب أردوغان في قصره الرئاسي الضخم، الذي أكمل بنائه مؤخراً بتكلفة 600 مليون دولار، وشرحت له خطتنا للسلام. لم تسر الأمور على ما يرام، ولكنني لم أكن أتوقع أن تسير على ما يرام.

كان أردوغان، السياسي الإسلامي الشعبوي الموهوب للغاية، يعرب عن تضامنه مع الفلسطينيين الذين يعانون في غزة، ولم يُبد أي استعداد لدعم التسويات التي اقترحتها. وعندما اقترحت أن حماس تسببت في هذه المعاناة من خلال إرهابها وسوء إدارتها السياسية، توقف أردوغان، ونظر إليّ بذهول، ثم غير الموضوع. كان أكثر اهتمامًا بمناقشة العلاقات الاقتصادية التركية مع الولايات المتحدة. كان يريد مضاعفة حجم التجارة السنوية إلى 50 مليار دولار. أخبرته أنني سأحاول تشجيع المزيد من التجارة، لكن شراء تركيا في وقت سابق لصواريخ مضادة للطائرات من روسيا من شأنه أن يؤدي إلى فرض عقوبات قانونية أمريكية على تركيا. شكرني أردوغان على استعدادي للمحاولة. ثم نظر إلى هاتفه.

وزير المالية، بيرات البيرق، الذي كان أيضًا صهره.

"قد يخيب المستشارون آمال رؤساءهم في بعض الأحيان، ولكن ليس أبناءهم في المستقبل"."القانون" قال أردوغان.

ولم يكن هذا هو تعليقه الوحيد بشأن الأسرة. فقبل انتهاء اجتماعنا، شجعني أردوغان وإيفانكا على إنجاب المزيد من الأطفال، وأعرب عن حبه الصادق لأطفاله. وقال مازحا إنه في تجمعاته السياسية كان يشجع أنصاره دائما على تكوين أسرهم.

لم أتوقع قط أن يدعم أردوغان خطتنا للسلام. فبعد إيران والفلسطينيين، كان أردوغان أشد منتقدي قرارنا بنقل السفارة الأميركية إلى القدس. ولكن الأمر يستحق المحاولة، وربما تدفعه زيارتي إلى تخفيف حدة خطابه أو حتى البقاء على الحياد.

لقد أكدت رحلتنا في فبراير/شباط عبر الشرق الأوسط شعوري بضرورة إطلاق خطتنا الاقتصادية أولاً، ثم يليها خطة السلام السياسية بعد ذلك بفترة وجيزة. وبعد عامين من بناء الثقة في المنطقة، شعرت بالتشجيع عندما علمت أن الزعماء العرب على استعداد للمضي قدماً في تبني نموذج جديد للشرق الأوسط. وإذا أقر رئيس الوزراء الإسرائيلي الخطة في أعقاب الانتخابات في أبريل/نيسان، فسوف يصبح العرب والإسرائيليون أقرب من أي وقت مضى إلى بعضهم البعض في العديد من القضايا الرئيسية، بما في ذلك الطريق إلى الدولة الفلسطينية والوصول إلى المسجد الأقصى. وهذا من شأنه أن يزعزع الوضع الراهن ويحرك استراتيجيتنا الجديدة المنقحة لتشجيع الفلسطينيين على الجلوس إلى طاولة المفاوضات، في حين نسعى في الوقت نفسه إلى مسار مواز للتطبيع بين إسرائيل والدول العربية.

{30}

تبرئة

لقد كانت هذه خدعة حقيقية طوال الوقت - وفي الرابع والعشرين من مارس 2019، اضطرت حتى شبكة سي إن إن إلى الاعتراف بالحقيقة. كان ذلك في فترة ما بعد الظهر من يوم الأحد، وكنت على وشك مغادرة المنزل عندما اتصل بي آفي.

"قم بتشغيل التلفاز!" قال.

عندما مددت يدي إلى جهاز التحكم عن بعد، لم يكن لدي الوقت الكافي للتساؤل عن الأزمة الجديدة التي تلوح في الأفق. أول ما رأيته على الشاشة كان خبرا عاجلا: "وزارة العدل: مولر لم يجد أن ترامب تآمر مع روسيا".

وقد استعرضت وزارة العدل تقرير المستشار الخاصفي عام 2016، أجرى روبرت مولر تحقيقا مستقلا وخلص إلى أن ترامب وحملته الرئاسية لم يتواطأوا مع روسيا للتأثير على الانتخابات. وقد أمضى المحققون عامين وعشرات الملايين من الدولارات في البحث عن أدلة على وجود رابط - وكما توقعت، لم يعثروا على أي شيء.

لذا لم تكن أزمة على الإطلاق. بل كانت بمثابة راحة. لقد انتظرنا هذه اللحظة لسنوات. كنت أعلم أننا لم نرتكب أي خطأ، لكن ترامب كان دائمًا قلقًا من أن يبالغ مولر في بعض الحقائق العشوائية في القضية، مما يمنح منتقديه شيئًا يستغلونه للمطالبة بإثبات التواطؤ. كانت والدتي أيضًا قلقة باستمرار. في بعض الأحيان بدا الأمر وكأنها تتابع التقارير الصحفية التي تتكهن بوضعي القانوني عن كثب أكثر من محاميتي. اتصلت بها على الفور وطلبت منها تشغيل الأخبار.

"لقد أصبحت الآن في مأمن بنسبة مائة بالمائة"، قلت. "انظر، لقد أخبرتك أنه لا ينبغي لك أن تقلق كثيرًا".

بينما كنا نتحدث، عادت عيناي إلى شاشة التلفزيون، حيثكان مراسل شبكة سي إن إن مانو راجو يناقش الإعلان. "أصدرت نانسي بيلوسي وتشاك شومر للتو بيانًا مشتركًا حول تقرير مولر. وقالا إن حقيقة أن المحقق الخاص

لا يبرئ تقرير مولر الرئيس من تهمة خطيرة مثل عرقلة العدالة، مما يوضح مدى أهمية نشر التقرير الكامل والوثائق الأساسية دون أي تأخير إضافي."نظرًا للسجل العام للسيد بار المتحيز ضد تحقيق المستشار الخاص."

لقد اعتقدت أن هذا الأمر برمته لعبة مريضة. لقد جئنا لتغيير واشنطن وخدمة بلدنا. لقد طعنت وسائل الإعلام والديمقراطيون في شرعية الانتخابات بشراسة. كان ترامب على حق طوال الوقت. لم يكن هذا التحقيق برمته سوى حملة شعواء.

بعد الإعلان عن تبرئة ترامب، أرسل لي السيناتور ريتشارد بور، وهو جمهوري من ولاية كارولينا الشمالية ورئيس لجنة الاستخبارات بمجلس الشيوخ، رسالة يطلب مني الإجابة على جولة أخرى من الأسئلة حول التواطؤ مع روسيا. رد محاميي آبي لويل، مشيرًا إلى أنني أجبت بالفعل على أسئلة اللجنة في يوليو 2017. بالإضافة إلى ذلك، أغلق تقرير مولر القضية. ومع ذلك، رفض بور التخلي عن التحقيق الذي استثمر فيه الكثير من الوقت. لذلك هددني باستدعاء.

وبما أنني لم أكن أخفي شيئاً، فقد وافقت على الذهاب. ولكنني لم أكن سعيداً لأن هذا الأمر أبعدني عن أولوياتي الأخرى. وعندما وصلت إلى مبنى هارت للمكاتب في مجلس الشيوخ، تسلل إلي بور خارج قاعة الاستماع وقال: "شكراً لك على حضورك اليوم. لقد كانت هذه التحقيقات مثمرة بشكل لا يصدق. لقد وجدنا أشياء ستبقي مجتمع الاستخبارات لدينا مشغولاً على مدى السنوات العشر القادمة".

استدرت لأقف وجهاً لوجه مع بور. "سيدي السيناتور، هل أنت جاد؟" سألت دون أن أخفي إحباطي. "هذا التحقيق محرج. ما تراه له تفسير بسيط. على عكس أي شخص آخر في نظام واشنطن، كان دونالد ترامب كيانًا غير معروف للحكومات الأجنبية. لقد التقطت قدرًا كبيرًا من إشارات الاستخبارات غير العادية لأن فوز الرئيس فاجأ العالم. تعرف هذه البلدان كيفية التأثير على جميع السياسيين الراسخين منذ فترة طويلة، لذلك لا ترى حركة استخباراتية عليها، لكنها لم تكن لديها أي فكرة عن كيفية محاولة التأثير على ترامب، لذلك كانوا يكافحون لمعرفة ذلك.

لم يتوصل تحقيقك الشامل إلى أي شيء. ولم يتوصل مولر إلى أي شيء. لقد انتهى هذا الأمر. اذهب وانظر كيف نتعرض للضرب على أيدينا بسبب الاستخبارات الصينية، ووفر الرقابة على شيء لا يمكن التنبؤ به."إنها في الواقع مشكلة حقيقية. توقفوا عن إهدار وقتي وأموال دافعي الضرائب بهذه الهراءات."

لقد كنت غاضبًا. عادةً ما أكون هادئًا، وقد فاجأت نفسي بـلقد كان من الصعب علي أن أستوعب قوة ونبرة هذه الكلمات. ولكن بور كان قد أثار حفيظة الجمهور. فقد كان التعامل مع المنتقدين في وسائل الإعلام والحزب الآخر أمراً مختلفاً. ولكنني واجهت عامين من التحقيقات التي لا أساس لها من الصحة من جانب بعض الجمهوريين أيضاً. كما بدا أنهم مترددون في قبول الحقيقة.

لقد تفاجأ بور عندما وجد شيئًا غير المعتادلقد كان ذلك بمثابة تكريم لأعضاء مجلس الشيوخ. وبدلاً من الرد على ما قلته، رد بلباقة واشنطن المعتادة: "أنا ممتن للغاية للاحترام الذي أبديته للجنة بحضورك اليوم. دعنا نلتقي قريبًا". ثم ابتعد. لقد استجوبني أعضاء مجلس الشيوخ وموظفوهم لمدة أربع ساعات.

لقد توصلت إلى رؤية بور باعتباره نوعًا من السياسيين المؤسسين الذين يقدرونكان من الواضح أن بور كان مهتمًا بالأمن الوظيفي أكثر من أي شيء آخر. بعد مرور عام، وجد بور نفسه متورطًا في فضيحة تتعلق بالأسهم التي زعم أنه تخلص منها بعد تلقي إحاطة استخباراتية حول خطورة التهديد الذي يشكله فيروس كورونا. وبينما أسقطت وزارة العدل في النهاية تحقيقها الذي استمر شهورًا مع السيناتور، تنحى عن منصبه كرئيس للجنة الاستخبارات واختار عدم الترشح لإعادة انتخابه في ولاية كارولينا الشمالية.

* * *

وبينما كنت أستعد لمقابلة بور في اللجنة، اتصل بي السفير ديفيد فريدمان من إسرائيل طالبا: "بيبي يسأل ما إذا كان الرئيس يستطيع الاعتراف بهضبة الجولان".

كان يشير إلى الهضبة الجبلية التي تمتد على مساحة تقرب من سبعمائة ميل مربع على طول الحدود الشمالية لإسرائيل مع لبنان وسوريا. ومن موقعها على ارتفاع ثلاثة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر، توفر مرتفعات الجولان منصة استراتيجية للإسرائيليين، حيث تمنحهم أرضًا دفاعية مرتفعة على الحدود السورية وحاجزًا أكبر بين المراكز السكانية الإسرائيلية وجيرانها الشماليين. وخلال حرب الأيام الستة في عام 1967، استخدم العرب هذه الأرض المرتفعة لقصف إسرائيل. وفي عام 1968، استخدمت إسرائيل هضبة الجولان كنقطة انطلاق للهجمات الجوية.

وبفعل دفاعي، طرد الإسرائيليون أعداءهم من المنطقة. وبعد الحرب، احتفظوا بها، على الرغم من مطالبات الدول الأخرى بإعادتها إلى سوريا، وظلت المنطقة هادئة لأكثر من خمسة وأربعين عامًا.

تمامًا مثل الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل،لقد رأى أوباما أن الاعتراف بسيادة إسرائيل على مرتفعات الجولان يشكل فرصة قوية لأميركا للدفاع عن الحقيقة. فبعد ثماني سنوات من الحرب الأهلية، لم تعد سوريا دولة. ولم يكن بوسعها السيطرة على ما يحدث داخل حدودها، لذا فإن توسيعها لم يكن خياراً وارداً. وكان الاعتراف بحقيقة أن مرتفعات الجولان تابعة لإسرائيل هو التصرف الصحيح. كما سيساعدنا ذلك في بناء المصداقية مع الإسرائيليين بينما نستعد لطلب دعمهم لحل الدولتين مع الفلسطينيين.

حتى قبل أن يتصل فريدمان لنقل طلب نتنياهو، كنت أنا ومستشار الأمن القومي جون بولتون قد طرحنا هذه القضية مع الرئيس. ولكن بعد خمس دقائق من بدء الاجتماع، أوقفنا ترامب: "لقد فعلت الكثير من أجل نتنياهو بالفعل. دعونا نرى ما سيفعله مع اتفاق السلام أولاً".

لذا عندما اتصل فريدمان بي في أواخر مارس/آذار ـ قبل أسابيع قليلة من الانتخابات الإسرائيلية ـ أخبرته أنني اصطدمت بالفعل بجدار رئاسي. لكننا اتفقنا على أنه ينبغي له أن يتصل بترامب ويشرح له لماذا كان ذلك مهما للغاية بالنسبة للإسرائيليين ومن غير المرجح أن يزعج الزعماء العرب.

وعندما اتصل فريدمان وقدم عرضه، طرح ترامب سؤالاً مشروعاً: لماذا لم يفعل أي من أسلافه ذلك؟ وكانت الإجابة أن الرؤساء السابقين تهربوا من هذه القضية. فقد أرادوا تجنب الإدانة من جانب المجتمع الدولي، وكانوا يتوقعون أيضاً أن تستمر السيطرة الفعلية لإسرائيل إلى أجل غير مسمى.

"فلماذا هذا الأمر مثير للجدل؟" سأل ترامب. لقد أراد التأكد منلقد كان فريدمان على علم بالجانبين من القضية، وقد أطلعه على التاريخ والسياسة، فطرح ترامب المزيد من الأسئلة ثم توصل إلى قراره: "لنفعل ذلك".

"هل يجب أن أتصل ببولتون؟" سأل فريدمان.

"لدي فكرة أفضل"، هكذا قال ترامب. ثم التفت إلى مستشاره الدائم دان سكافينو، الذي كان من بين الأشخاص القلائل الذين وثق بهم ترامب في معرفة كلمة المرور الخاصة بحسابه على تويتر. ومازحته بأن سكافينو يحمل الكرة النووية الحقيقية، لأنه يستطيع أن يبدأ حرباً في أي وقت بإطلاق تغريدة خاطئة.

"ابق على الخط"، هكذا قال الرئيس لفريدمان. ثم نادى على رئيسه.المساعد: "أحضر جاريد إلى هنا."

وبعد دقائق، دخلت المكتب البيضاوي. وكان ترامب قد كتب بالفعل تغريدة على قطعة من الورق، ثم وضعها على مكتبه حتى أتمكن من قراءتها: "بعد 52 عاما، حان الوقت لأن تعترف الولايات المتحدة بشكل كامل بسيادة إسرائيل على مرتفعات الجولان، التي تشكل أهمية استراتيجية وأمنية بالغة الأهمية لدولة إسرائيل والاستقرار الإقليمي".

كانت تغريدة ترامب الكلاسيكية هذه. لم يقل فيها إنه اتخذ قرارًا رسميًا بالاعتراف بهضبة الجولان، بل أشار ببساطة إلى نيته القيام بذلك - وهو تصريح غامض بما يكفي للسماح له باختبار الموقف ومعرفة رد فعل الناس قبل اتخاذ إجراء حاسم. كان هذا دورًا مهمًا آخر لسكافينو: بالإضافة إلى التوصية أحيانًا بعدم نشر بعض التغريدات التي قد تسبب ردود فعل عنيفة غير مقصودة، فقد أخبر الرئيس بكيفية استقبال تغريداته - ولم يقم أبدًا بتزيين ملاحظاته.

"ماذا تعتقد؟" سأل ترامب.

"هذا رائع"، أجبت. "سيكون هذا حدثًا رائعًا وسيشكل حدثًا تاريخيًا".

"ديفيد، هل أنت متأكد من هذا الأمر؟" سأل ترامب للمرة الأخيرة، راغبًا في التأكد من أنه لم يلاحظ أي تردد في صوت السفير.

قال فريدمان: "ألف بالمائة، سيدي، هذا سيحظى باستجابة رائعة".

"دان، أخرجه"، قال.

ضغط سكافينو على الزر.

وقال ترامب "الآن قم بتشغيل التلفزيون وشاهد كم من الوقت سيستغرق الأمر قبل أن تغطيه الأخبار الكاذبة".

لم يستغرق الأمر سوى دقائق حتى تنقطع شبكات الكابل عن تغطيتها الطبيعية.

كان ترامب على استعداد لتحمل المخاطر المحسوبة، وكثيراً ما كان يستمتع بدوره كمحرر مهام للمؤسسات الإخبارية. وعلى حين غرة، سارع المراسلون إلى البحث في القضية، والعثور على خبرائهم، وإعداد تقارير عن سياسة تاريخية. وكما توقعت، فاجأ الإعلان أيضاً مثيري الشغب في الشرق الأوسط، وكانت ردود الفعل السلبية ضئيلة.

كانت هذه واحدة من العديد من الحالات التي دفع فيها حسم ترامبلقد كان ترامب حريصا على المضي قدما في سياسة منطقية لم تكن لتنجح أبدا في ظل بيروقراطية بطيئة ومترددة في المخاطرة. وبعد وقت قصير من نشر تغريدته، أصدر ترامب تعليماته لنا بالمضي قدما في إعلان رئاسي يعترف رسميا بالسيادة الإسرائيلية على مرتفعات الجولان.

{31}

زيارة غير متوقعة

أنت أول شخص خارج حكومتنا يعرف ذلك

هذا."

لم أستطع أن أصدق ما سمعته وأنا جالس في غرفتي المعيشية

في يوم الأحد 26 مايو 2019، اجتمعنا في غرفة الاجتماعات مع السفير يوسف العتيبة من دولة الإمارات العربية المتحدة. كان يوسف أنيقًا ومتمكنًا، وفي سن الخامسة والأربعين، أصبح أحد اللاعبين الرائدين في الدوائر الاجتماعية والدبلوماسية في واشنطن. في أي يوم، يمكن رؤيته في اجتماع أو حفل استقبال مهم، أو يستضيف حفل عشاء خاص به مع قائمة ضيوف يمكن أن تكون بمثابة من هم من واشنطن. بفضل علاقاته الوثيقة برئيسه، ولي العهد محمد بن زايد (MBZ)، الحاكم الفعلي لدولة الإمارات العربية المتحدة، كان يوسف أحد أقوى الرجال في وطنه وأحد أكثر الرجال نفوذاً في الشرق الأوسط بأكمله.

وقال "لقد تحدثت مع محمد بن زايد هذا الصباح، وطلب مني أن آتي لمقابلتك بمفردي لإيصال رسالة مفادها أنه مستعد". وتوقف للحظة، مشيرًا إلى أنه على وشك أن يقول شيئًا مهمًا. "إنه يريد المضي قدمًا والتطبيع الكامل مع إسرائيل".

حاولت إخفاء حماسي وراء وجه جامد، لكن عقلي كان يدور. كانت الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل الدولتين الأكثر تقدمًا في الشرق الأوسط من الناحية العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية، لكن لم تكن بينهما علاقات رسمية. كان اتخاذ هذه الخطوة من شأنه أن يطلق العنان لقوى إيجابية لم تشهدها المنطقة منذ عقود من الزمان ويغير التاريخ بطرق يصعب فهمها.

وقال يوسف "لقد كنتم تدفعوننا برفق وجيراننا لاتخاذ هذه الخطوة، وبفضل جهود الرئيس ترامب وفريقكم تغيرت المنطقة للأفضل، يعتقد رئيسي أن التطبيع هو الحل".

من الممكن الآن ويريد أن يكون الأول. إنه يثق بك، ويثق بالرئيس "ترامب، وهو يريد منك أن تساعدنا في إيجاد طريقة للقيام بذلك."

وأوضح يوسف أن تطبيع العلاقات مع إسرائيل يحمل مخاطر هائلة على الإمارات، داخليا وخارجيا. وكانت الحكومة الإماراتية قد اختارت أن تكون 2019 عاما للتسامح. واحتفالا بذلك، وجهت دعوة للبابا فرانسيس لزيارة شبه الجزيرة العربية لأول مرة في التاريخ. وكانت هذه خطوة عظيمة وسخية، لكنها أثارت احتجاجات بين رجال الدين والناشطين الإقليميين ووسائل الإعلام العربية، وأبرزها قناة الجزيرة.

وقال يوسف "إذا اتخذنا هذه الخطوة فإن الآخرين سوف يتبعوننا".

في اليوم التالي، مر بومبيو بمكتبي، حاملاً حقيبته الكبيرة الآمنة، التي كانت مليئة دائمًا بالإحاطات الموسعة التي كان يحب الاستماع إليها. كان يبتسم ابتسامة عريضة. كان يوسف قد زاره في وزارة الخارجية في ذلك الصباح وشاركه الفكرة. قال: "من المؤكد أنها محاولة بعيدة المنال، لكن حدثت أشياء أكثر جنونًا".

كان تشكك بومبيو مبررا: فقد تسوء الأمور كثيرا. أولا، كان علينا أن نبقي الأمر سرا. فأي تسريب بشأن التطبيع من شأنه أن يجبر كلا الطرفين على إصدار نفي علني ويجعل استمرار المحادثات غير قابل للاستمرار سياسيا. ثانيا، كانت إسرائيل قد أنهت للتو انتخاباتها وما زالت تشكل حكومة. وإلى أن تكتمل هذه الحكومة، لن يكون لدى بيبي الوقت للدبلوماسية.

* * *

وبعد أيام، غادرت إلى رحلتي التالية إلى الشرق الأوسط. وكانت وجهتي الأولىكانت المغرب، وهي دولة لم أزرها بعد أثناء وجودي في الحكومة. جاءت الزيارة مصحوبة ببعض الخوف. في الصيف السابق، تنافست الولايات المتحدة وكندا والمكسيك في عرض مشترك ضد المغرب لاستضافة كأس العالم لكرة القدم 2026.

لقد كلفني ترامب بقيادة الجهود، والتي تضمنت العمل بشكل وثيق مع اتحاد كرة القدم الأمريكي وجمع العشرات من اللاعبين غير العاديين.الالتزام الفني

كان من الواضح أن ترامب كان يستمع إلى أصوات من الإدارات والوكالات. وبينما كان الفيفا يستعد للتصويت، طلب مني الاتصال بمحمد بن سلمان وطلب دعم المملكة العربية السعودية لعرضنا. ووافق ولي العهد. وكان التصويت السعودي الحاسم بمثابة نقطة تحول في جهودنا وساعد في إقناع العديد من الدول العربية الأخرى بدعم عرضنا على المغرب. وكان الفوز بعرض استضافة بطولة كرة القدم التي تحظى بمتابعة عالمية نجاحًا دبلوماسيًا واقتصاديًا كبيرًا للرئيس. ومع ذلك، كان هناك جانب سلبي واحد: كان المغرب هو الوصيف، وكنا قلقين من أن فوزنا جاء على حساب علاقة متوترة مع حاكم البلاد الملك محمد السادس.

ينحدر الملك محمد السادس من سلالة نبيلة من الزعماء العلويين.كان الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم من نسل النبي محمد، مؤسس الدين الإسلامي. وبالتالي، كان يتمتع بمصداقية هائلة في العالم الإسلامي. فقد شغل منصب رئيس لجنة القدس في منظمة التعاون الإسلامي، وهي هيئة محترمة ساعدت في الحفاظ على الأماكن المقدسة الإسلامية في القدس، فضلاً عن مصالح أخرى.

وبينما كنت أستعد للرحلة، وصف خبراء السياسة الخارجية الداخلية لديناولقد كان الملك محمد السادس رجل أعمال مشهوراً، وتوقع أن يرغب في مناقشة مسألة السيادة على الصحراء الغربية، تلك المنطقة الصحراوية الشاسعة الواقعة على الحدود الجنوبية الغربية للمغرب. فقد حكم الحكام المغاربة المنطقة لقرون من الزمان، وكان الملك محمد ينظر إليها باعتبارها أمراً ضرورياً للأمن القومي لبلاده. وعندما نالت حكومة المغرب الحديثة استقلالها عن فرنسا وإسبانيا في عام 1956، أعلنت على الفور مطالبتها الإقليمية بالصحراء الغنية بالمعادن والتي تبلغ مساحتها مائة ألف ميل مربع، والتي ظلت في حوزة إسبانيا. كما أكدت مجموعة محلية من سكان الصحراء، الصحراويين، سلطتهم على المنطقة من خلال منظمتهم غير الحكومية، جبهة البوليساريو، الأمر الذي دفع الأمم المتحدة إلى إدراج الصحراء الغربية على قائمة "الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي".

كلما بحثت في التاريخ، زاد اعتقادي بأن للمغرب مطالبة مشروعة. ومن منظور أمني، كان المغرب يسيطر بالفعل على ثلثي الأراضي، ومن الواضح أن سيطرة المغرب على الباقي تخدم المصالح الأميركية. وكان معظم الوجود العسكري الأميركي في أفريقيا ردا على الطموحات العنيفة لتنظيم داعش وبوكو حرام، والتي كانت بمثابة تهديد مباشر للولايات المتحدة.

التوسع في المناطق التي تركت دون حكم من قبل الفاسدين أو المكافحين أوإننا في حاجة إلى دول فاشلة. وآخر ما نحتاج إليه هو أن تتحول الصحراء الغربية إلى ملاذ للفوضى والصراع. وعلى النقيض من أغلب جيرانها، تتمتع المغرب بحكومة مستقرة، واقتصاد سليم، وعلى الرغم من التنافس بيننا في بطولة كأس العالم، فإن علاقاتها مع الولايات المتحدة كانت حميمة. والواقع أن وجود المغرب في الصحراء الغربية من شأنه أن يمنع المنطقة من أن تصبح فراغاً يترك مجالاً للإرهاب وعدم الاستقرار.

وعندما سألت خبراءنا عن العوائق التي تحول دون الاعتراف، أعطوني اسماً واحداً: جيم إينهوف. كان رئيس لجنة القوات المسلحة القوية في مجلس الشيوخ الأميركي، الذي يبلغ من العمر أربعة وثمانين عاماً، يعارض السيادة المغربية على الصحراء الغربية. وكانت لجنة إينهوف تتمتع بنفوذ كبير على ميزانية البنتاجون التي تبلغ 700 مليار دولار، الأمر الذي منحه سلطة هائلة على السياسة الخارجية الأميركية. ولسبب أو لآخر، كان يسافر إلى الصحراء الغربية لمدة عشرين عاماً وأصبح راعياً قوياً لجهود جبهة البوليساريو من أجل الاستقلال. لقد كنت أكن احتراماً كبيراً لهذا السيناتور، وتصورت أنه لابد وأن يكون هناك سبب وجيه لموقفه، لذا فقد سجلت ملاحظة للتواصل معه عند عودتي بعد أن تحدثت مع الملك محمد.

عند وصولي إلى الدار البيضاء، فوجئت وسعدت برؤيةصديقي العزيز والحاخام ديفيد بينتو. خلال صعودي وهبوطي في حياتي، ألهمني الحاخام بينتو دائمًا لإيجاد العزاء والقوة من خلال علاقتي بالله. كان الحاخام بينتو يهوديًا فرنسيًا فخورًا من أصل مغربي، وكان يقول غالبًا إنه يصلي من أجل الملك المغربي كل يوم بسبب الأعمال البطولية التي قام بها جد الملك الملك محمد الخامس خلال الحرب العالمية الثانية. عندما طلب النازيون من الملك محمد الخامس تحديد هوية اليهود في بلاده وتسليمهم، قيل إنه رد بتحدٍ: "لا يوجد مواطنون يهود، ولا يوجد أي يهودي في المغرب، ولا يوجد أي يهودي في إسرائيل، ولا يوجد أي يهودي في إسرائيل".

المسلمون هم كلهم مغاربة.

لقد اكتشف الملك محمد السادس أن الحاخام بينتو العظيملقد دُفن جدي، الحاخام حاييم بينتو، في المقبرة اليهودية التاريخية بالدار البيضاء، وهي موقع حج مقدس. ولقد سررت ودهشت عندما رتب الملك لقاءً بيني وبين الحاخام بينتو في المغرب حتى نتمكن من تقديم واجب العزاء عند قبر جده.

وفي تلك بعد الظهر أبلغني الملحق الأمريكي في الدار البيضاء أن

كان الملك قد دعاني وضيفًا لتناول العشاء في مسكنه الخاص - وهو شرف نادر، حيث كان يلتقي دائمًا بالضيوف في القصر الملكي. كان شهر رمضان، لذلك وصلت أنا وجيسون جرينبلات بعد غروب الشمس وتم اصطحابنا إلى منطقة تناول الطعام الملكية في الهواء الطلق بجوار المسبح، حيث اكتشفنا بوفيهًا ضخمًا من الطعام الكوشر. بينما جلسنا مع الملك لتناول عشاء الإفطار لكسر صيام رمضان، شكرته على تفكيره في ترتيب زيارة المقبرة. لم تتضمن رحلاتي إلى الشرق الأوسط مشاهدة المعالم السياحية أبدًا، ولكن إذا كان هناك مكان واحد كنت أرغب في زيارته، فهو تلك المقبرة - وبطريقة ما كان الملك يعرف ذلك قبل أن نلتقي.

وعندما بدأنا العشاء جلست على يمين الملك. وعلى يساره، أمامي، كان ابنه، وهو شاب في السادسة عشرة من عمره، يتمتع بسلوكيات تشبه سلوك شخص في مثل عمره. وكان الود بين الأب والابن واضحاً. وفي حين يفتقر بعض أبناء كبار الشخصيات إلى النضج اللازم للتصرف في المواقف الرسمية، كان ولي العهد الأمير مولاي الحسن منتبهاً ومنخرطاً تماماً. وناقشت أنا والملك الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وأكد على أهمية ضمان الانسجام والوصول إلى الأماكن المقدسة في القدس. وبعد الاستماع بعناية إلى وجهة نظره بشأن الصحراء الغربية، أصبحت أكثر اقتناعاً بأن الاعتراف بسيادة المغرب هو السياسة المنطقية، ووعدت بأن أعود بالقضية إلى واشنطن وأستكشف كيفية تغييرها.

كما أوضح وزير الخارجية ناصر بوريطة سبب عدم قيام الملكفي عام 2018، زار بولتون البيت الأبيض كما كان مخططًا له: قال إن جون بولتون لن يوافق على تضمين لغة في قراءة الرحلة تقول إن الولايات المتحدة ستعمل مع المغرب لإيجاد حل سلمي للصحراء الغربية. كان ترامب يتطلع إلى الزيارة، وعلى حد علمي، لم يخبره بولتون أبدًا عن سبب إلغائها. كان لبولتون تاريخ طويل في معارضة المغرب. في التسعينيات، عندما توسط وزير الخارجية جيم بيكر في خطة التسوية التي أدت إلى استمرار الأزمة، كان بولتون مفاوضه.

{32}

مواجهة مكسيكية وسط محادثات السلام

وقال وزير الخزانة ستيفن منوتشين "إننا نواجه مشكلة كبيرة حقًا".
منوشين، في اتصال هاتفي من عبر المحيط.

كان يوم الاربعاء 29 مايو 2019، كنت في كنيسة الملك داود.فندق في القدس، أتعامل مع مشكلتي الخاصة: رئيس الوزراء

كان أمام الوزير نتنياهو مهلة منتصف الليل لتشكيل حكومة ائتلافية، بعد الانتخابات الوطنية التي جرت في الشهر السابق. وإذا نجح، فسوف يكون قادرًا على تأييد خطة السلام علنًا وربما قبول عرض الإمارات العربية المتحدة لمواصلة التطبيع. ومن شأن الفشل أن يؤدي إلى جولة جديدة من الانتخابات والمزيد من التأخير. وكان من المفترض أن ألتقي به في اليوم التالي، ولكن مع اقتراب الموعد النهائي، لم يكن من الواضح ما إذا كان بيبي سينجح في تشكيل حكومة.
لقد جذب منوشين انتباهي مرة أخرى إلى واشنطن.

وقال الوزير "كما تعلمون، كان الرئيس يهدد بفرض رسوم جمركية على المكسيك بسبب القوافل على الحدود الجنوبية. لقد أصدر للتو بيانًا يقول إنه يفرض رسومًا جمركية على الفور. إنه يريد أن يصدر هذا البيان الليلة".

اتصلت بمساعد الرئيس وسألته إذا كان ترامب بمفرده.لقد تعلمت منذ وقت مبكر أن التحدث معه على انفراد عندما أختلف معه كان أكثر فعالية. وإلا فإن أحد العاملين في الجناح الغربي للبيت الأبيض كان ليخبر الصحافة بأننا قد نشب خلاف بيننا، وهو ما كان يقلل من احتمالات إقناعه. لقد شعرت بقوة أن الموظفين لا ينبغي لهم أبداً أن يضعوا الرئيس في موقف يجعل الجمهور يدرك أنه غير رأيه بناءً على نصائحهم.

لحسن الحظ، كان ترامب وحيدًا. لقد صادفته بين الاجتماعات وفيلقد كان مزاجي هادئا. لقد أطلعته على تفاصيل رحلتنا، ونقلت له تحيات ملك المغرب الحارة. ثم انتقلت إلى الهدف الحقيقي من مكالمتي: التعريفات الجمركية المفروضة على المكسيك.

بمجرد أن ذكرتهم، قاطعني ترامب: "جاريد، لقد سئمت من"أنتظر. الجميع يخبرونني باستمرار أنهم يعملون على خطة لوقف القوافل وأن المكسيك سوف تساعد. أعتقد أن الجميع يتحدثون هراءً."

"أعلم أنك محبط"، قلت. "يجب أن تكون كذلك. لكن اعلم أنك"إنهم يلعبون ببرميل بارود هنا. إن فريقنا قريب حقًا من إكمال خطة مع الحكومة المكسيكية الجديدة التي ستنجح. لقد وعدني أندريس مانويل لوبيز أوبرادور بأنه سيساعد. أشعر بالثقة في أن الرئيس المكسيكي سيحقق هدفه"، قلت، في إشارة إلى الرئيس أندريس مانويل لوبيز أوبرادور، الذي تولى منصبه في الأول من ديسمبر 2018.

لم يكن ترامب مقتنعًا. "لقد سمعت أنهم سيفعلون ذلك"وقال "إنهم ينتظرون المساعدة لعدة أشهر، ولا أعتقد أنهم سيفعلون ذلك".

"امنحوني بضعة أسابيع أخرى"، توسلت. "قد يكون أندريس مانويل لوبيز أوبرادور يميل إلى السياسات اليسارية، لكنه مثلك فخور وذكي. لقد أظهر لك الكثير من الاحترام حتى الآن، لكنه صارم. إذا دفعته إلى الزاوية، فقد يخرج منتصرا. إذا أصدرت هذا البيان وأعلنت عن التعريفات الجمركية، فأنت تضع كل رقائقك على الطاولة وتذهب بكل قوتك".

وقال ترامب "أعلم أنك عملت بجد على اتفاقية الولايات المتحدة والمكسيك وكندا. أنا لا أهتم بالسياسة. لقد فقدت صبري بشأن الحدود، ولا يوجد شيء يمكن لأي شخص أن يفعله لمنعي. افعل لي معروفًا: ركز على إسرائيل ودعني أتعامل مع هذا الأمر".

لقد كنت أعلم منذ عدة أشهر أن استمرار ارتفاع معدلات الهجرة غير الشرعية قد يدفع ترمب إلى اتخاذ إجراء جذري. فبعد الانتخابات الرئاسية المكسيكية في يوليو/تموز 2018 مباشرة، استضفت أنا ووزير الخارجية بومبيو وزير خارجية أندريس مانويل لوبيز أوبرادور مارسيلو إبرارد، وهو سياسي ماهر كان عمدة مدينة مكسيكو سيتي سابقًا، لتناول العشاء في وزارة الخارجية. وفي الاجتماع، مرر بومبيو وثيقة عبر الطاولة. وقد حددت هذه الوثيقة بيانات المعابر الحدودية غير الشرعية الشهرية.

وقال بومبيو "إن علاقتنا ستكون بسيطة للغاية. اتبع هذه الأرقام. إذا ارتفعت، فسوف نواجه مشاكل. وإذا انخفضت، فسيكون لديك شريك رائع هنا سيساعدك في أي أولويات لديك".

حمل إيبرارد الرسالة إلى المكسيك، لكنه فشل في تحقيق نتائج. وبحلول مارس/آذار 2019، تفاقم تدفق المهاجرين غير الشرعيين.رحلة استغرقت اثنتي عشرة ساعة إلى مدينة مكسيكو لتوصيل رسالتي مباشرة إلى أندريس مانويل لوبيز أوبرادور: إذا لم تتحرك المكسيك على الفور للحد من عمليات عبور الحدود غير القانونية، فإن كل الرهانات ستكون ملغاة - بما في ذلك اتفاقية الولايات المتحدة والمكسيك وكندا التي تم التفاوض عليها مؤخرًا، والتي كانت لا تزال تنتظر موافقة الكونجرس.

لقد وعد أندريس مانويل لوبيز أوبرادور بأنه سيمنح إبرارد كل ما يحتاجه لمواجهة الأزمة. وقد اعتبرت هذا الوعد نجاحا. ولكن في وقت المكالمة الطارئة التي أجراها منوتشين معي في القدس، لم نكن قد قدمنا بعد حلا للرئيس. وكان ترامب قد سئم.

عندما أخبرت منوشين أنني فشلت في توجيه الرئيس بعيدا عن الإعلان عن الرسوم الجمركية على المكسيك، حاولت المزاح بشأن محنتنا: "ستيفن، أراهن أنك لم تعتقد أبدا أنك ستتورط في مواجهة مكسيكية حقيقية".

كنا نعلم أن الأمر خطير. ولحسن الحظ، أقنع منوشين ولاري كودلو، مدير المجلس الاقتصادي الوطني، ترامب بإبطاء تنفيذ إعلانه، مما جعل الرسوم الجمركية سارية المفعول في الأسبوع التالي، بدلاً من اليوم التالي. وأشار الوزير إلى أن الأمر سيستغرق على الأقل نفس المدة لتغيير أنظمتنا الجمركية حتى نتمكن من تحصيل الرسوم الجمركية. وافق ترامب على التأخير لمدة أسبوع واحد، وهو انتصار صغير ولكنه مهم منحنا بضعة أيام لمحاولة التوسط في صفقة. بعد فترة وجيزة، غرد ترامب: "في العاشر من يونيو، ستفرض الولايات المتحدة تعريفة جمركية بنسبة 5٪ على جميع السلع القادمة إلى بلادنا من المكسيك، حتى يتوقف المهاجرون غير الشرعيين القادمين عبر المكسيك، وإلى بلادنا. ستزداد التعريفة تدريجياً حتى يتم علاج مشكلة الهجرة غير الشرعية".

عندما جلست في تلك الغرفة في فندق الملك داود، شعرت وكأنني أقفـفي الوقت الذي كنا نستعد فيه لإطلاق خطة السلام، بدا الأمر وكأن نتنياهو لن يشكل حكومة. والآن كان ترامب على وشك بدء حرب اقتصادية مع المكسيك من شأنها أن تقلب عامين من العمل على اتفاقية الولايات المتحدة والمكسيك وكندا رأسا على عقب.

بعد مرور ما لا يزيد عن عشر دقائق على نشر ترامب لتغريدته، قال إيبرارد:

اتصل بي من المكسيك وسألني: "ماذا يفعل الرئيس؟"

لم أكن أرغب في إخباره بأنني عارضت التغريدة. كانت وظيفتي هي تمثيل آراء الرئيس وليس آرائي الخاصة. قلت له: "لقد حذرتك منذ أسابيع من أن الرئيس قد وصل إلى نهاية حبل صبره".

"هل بإمكاني الحضور إلى واشنطن في أقرب وقت ممكن؟"

"أنا في إسرائيل، وسأعود قريبًا، لكن وزير الخارجية بومبيو وآخرين"يمكنني أن ألتقي بك. إذا أتيت، سيكون لديك فرصة واحدة - في أفضل الأحوال - لإتمام الصفقة. أحضر كل الموارد التي لديك."
قبل إيبرارد الدعوة، واتصلت بترامب على الفور.

"لقد نجحت حيلتك"، قلت. "لقد أظهر لي وزير الخارجية أوراقه. المكسيك تستسلم".

وقال ترامب "لم تكن هذه خدعة، ومن الأفضل أن يأتوا بشيء جيد، وإلا فسوف أمضي قدما في فرض هذه التعريفات الجمركية. أريد حل مشكلة الحدود".

* * *

بحلول صباح الثلاثين من مايو/أيار، كان من الواضح أن حكومة نتنياهو قد انهارت. وكانت إسرائيل تتجه نحو انتخابات أخرى في سبتمبر/أيلول. وتوقعت أن يلغي نتنياهو اجتماعنا. لكن موظفيه أكدوا أنه لا يزال قائما، مع تغيير بسيط واحد: تم تأجيل اجتماع الإفطار إلى الغداء. عندما جلسنا مع رئيس الوزراء المحاصر، كانت الهالات العميقة تحت عينيه تحكي قصة الليلة السابقة. ولكن بخلاف ذلك، ظل هادئا، مثل المعلم السياسي الذي كان عليه. وبدلا من القفز إلى مناقشة فنية حول خطة السلام، حاولت تخفيف الحالة المزاجية من خلال طرح أسئلة حول حياته السياسية.

"لقد تعلمت في وقت مبكر من حياتي المهنية في السياسة أن أهم شيء هو الزخم"، كما قال. "كلما شعرت بالإحباط، كنت أجد أي خبر جيد ثم أجعله أهم شيء. لأن الفوز في السياسة هو الفوز"."احصل على المزيد من الانتصارات."

أمسك بمنديل ورسم مثلثًا، وقسمه إلى ثلاثة مستويات.لقد استخدم نتنياهو في خطابه هذا رسومات توضيحية لتوضيح "هرم السياسة". وأشار إلى الرسم التخطيطي، وشرح ذلك قائلاً: "كل الناس في المستوى المتوسط هم الساسة الذين يريدون منصب الزعيم في القمة. إنهم لا يمنحونك السلطة. إنهم يحاولون انتزاع سلطتك". ثم أشار إلى الجزء السفلي من المثلث. "إن الطريقة للبقاء في السلطة هي الحفاظ على العلاقة القوية مع أنصارك. قدم لهم ما تريد، ولن ينسوا ذلك أبدًا. حتى بدون دعم الصحافة أو الساسة في الوسط، إذا بقيت مخلصًا لأنصارك، فلن تتمكن المجموعة في الوسط من انتزاع سلطتك منك". لقد كان تصريحًا لا يُنسى في وقت كانت فيه بقاء بيبي السياسي موضع شك.

وسرعان ما تحول إلى سبب اجتماعنا. فقال: "لا يمكننا إصدار خطة السلام الآن. يتعين عليّ أن أجتاز انتخابات أخرى. ولكن عندما أتمكن من ذلك، أعد بأننا سنجد طريقة لتحقيق ذلك. أريد أن أصنع السلام، وأعتقد أن ذلك ممكن في عهد الرئيس ترامب".

بعد الغداء ـ الذي يتولى إعداده دائماً طاهٍ متخصص لعرض المطبخ الوطني الإسرائيلي ـ سألتُ إن كان بوسعي أن أتحدث إلى بيبي على انفراد. فقادني إلى مكتبه الخاص، وهي غرفة صغيرة بها مكتب مغطى بالكتب. وعرض صوراً لعائلته، بما في ذلك صورة له ولأخيه يوناتان، الذي قُتل في عملية الإنقاذ الشهيرة لـ 102 رهينة يهودي من طائرة مخطوفة في عنتيبي بأوغندا في عام 1976.

جلس بيبي وأخذ غليونه الذي كان محملاً بالفعلالتبغ. وعندما أشعله ونفخ فيه، امتلأ الهواء برائحة حلوة عفنة.

"قلت: "ما سأخبرك به الآن حقيقي تمامًا ولابد أن نحتفظ به بيننا. الإمارات العربية المتحدة مستعدة للتطبيع. وأعتقد أن هذا عرض حقيقي".

"لا أعتقد أنهم سيفعلون ذلك أبدًا"، قالت بيبي.

"صدقني"، قلت له، ووصفت له زيارة يوسف لمنزلي. "لم أضللكم بعد. إذا كنتم على استعداد للتحلي بالمرونة وعدم تحويل الأمر إلى قضية سياسية، فإنهم مستعدون".

وقال "كل شيء سياسي الآن، أنا في انتخابات مرة أخرى،"وأنا بحاجة إلى التركيز على ذلك حتى أتمكن من الفوز. ولكن دعونا نواصل الحديث. إذا كنت تعتقد أن هذا حقيقي، فضعني في اعتبارك. أخبرني بما يجب أن أفعله، وسنجد طريقة للوصول إلى هناك."

{33}

السلام من أجل الرخاء

من إسرائيل، سافرنا إلى مونترو، على ساحل بحيرة جنيف في سويسرا، لحضور أحد أكثر التجمعات سرية في العالم: اجتماع بيلدربيرج، وهو تجمع سنوي لكبار القادة السياسيين في العالم.
قادة في الحكومة والصناعة والأوساط الأكاديمية. تأسس الاجتماع في عام 1954 لتعزيز العلاقات بين الولايات المتحدة وأوروبا.

كنت متشككا بشأن مثل هذه الفعاليات لأنها نادرا ما تسفر عن نتائج ملموسة. كنت قد رفضت دعوات للتحدث في العامين السابقين، لكنني اعتقدت أن الاجتماع في عام 2019 قد يكون مكانا مفيدا لشرح نهجنا تجاه السلام في الشرق الأوسط وبناء الدعم بين فئة مؤثرة من الناس.

كان لدي هدف آخر في ذهني أيضًا. بين الاجتماعات المثمرة والمناقشات الجماعية المحفزة، ذهبت لمقابلة شخص لم يكن على قائمة ضيوف بيلدربيرج: كيريل دميترييف، الرئيس التنفيذي لصندوق الاستثمار المباشر الروسي. حتى هذه النقطة، كنت أتجنب التفاعل مع أي شخص مرتبط بالحكومة الروسية. ومع ذلك، بعد تبرئة مولر للرئيس، شعرت أنه حان الوقت أخيرًا للتواصل. تاريخيًا، لعب الروس دورًا في جهود السلام في الشرق الأوسط، وأردت فتح خط اتصال والتأكد من أنهم لن يعارضوا اقتراحنا.

كان وزير الخارجية بومبيو قد اقترح أن يساعدني السفير الأمريكي لدى روسيا جون هانتسمان الابن في تحديد أفضل محاور. وقال في مكالمة هاتفية: "روسيا دولة فخورة، لذا إذا لم يتم التشاور معهم، فسوف يعارضون ذلك".

لقد عرض هانتسمان التحدث إلى رئيس أركان بوتن، وقال: "ستحصل على واحد من اثنين. إذا حصلت على ميخائيل بوغدانوف، الرجل المسؤول عن الشرق الأوسط في وزارة الخارجية، فهذا يعني في الأساس عدم وجود أي اهتمام. سوف تعقد اجتماعاً شكلياً، ولن يفعلوا أي شيء من أجلك. إن وزارة الخارجية الروسية قديمة الطراز، والعديد منها عالقة في عقلية الحرب الباردة. أما إذا حصلت على كيريل دميترييف، فهذا يعني أن بوتن مهتم ويفهم بالفعل أن هذا قد يكون وسيلة لروسيا للعمل مع الولايات المتحدة".

وبعد بضعة أيام، اتصل بي هانتسمان ليخبرني أن الروس يريدون مني أن أتواصل مع كيريل، وهو خريج جامعة ستانفورد وكلية هارفارد للأعمال، وله علاقات قوية بمجتمع الأعمال الأميركي. وعمل السفير على ترتيب لقاء في مكان محايد، واستقر الأمر على مونترو خلال فعالية بيلدربيرج. لقد تعلمت من تحقيق مولر أن أتجنب لقاء الروس وجهاً لوجه. فقد كانت وسائل الإعلام مهووسة بهذا الأمر وتنخرط في تكهنات طائشة. لذلك طلبت من ماثيو بوتينجر، الخبير الأول في شؤون الصين في مجلس الأمن القومي ــ ونائب مستشار الأمن القومي قريباً ــ أن ينضم إلي في الاجتماع. كان بوتينجر مراسلاً سابقاً لصحيفة وول ستريت جورنال وضابطاً متقاعداً في سلاح مشاة البحرية، وقد خدم تحت قيادة ثلاثة مستشارين مختلفين للأمن القومي، وتمتع بالتميز غير العادي المتمثل في أنه محبوب ومحترم من قبلهم جميعاً. وقد تمت دعوته إلى المؤتمر لمناقشة الصين.

"آمل أن تفهم أن آخر مرة جاء فيها شخص معي إلى اجتماع مع روسي، انتهى به الأمر بالكثير من الفواتير القانونية"، قلت مازحا.خلال اجتماعنا مع كيريل، أطلعته على العناصر الرئيسية لخطة السلام لدينا، واعتقد أنها إطار يمكن لروسيا أن تدعمه.

قبل أن نختتم، طلبت منه الحذر من التسريبات.

وأضاف كيريل "إذا أظهرتم لنا الثقة مع روسيا فإننا سنعيدها إليكم"."عندما نتعرض لقلة الاحترام، فإننا لا نتقبل ذلك بسهولة."

وقد أكد ذلك ما كنت أشتبه به، وسعدت بلقائنا.

* * *

في الثاني والعشرين من يونيو/حزيران، أصدرنا خطة السلام من أجل الازدهار، وهي الإطار الاقتصادي الأكثر شمولاً الذي تم إنشاؤه على الإطلاق للفلسطينيين والشرق الأوسط الأوسع.41 وتضمنت الخطة التي تتألف من 140 صفحة استراتيجية مفصلة لتحويل أكثر من سبعين عاماً من الركود الاقتصادي والاضطراب السياسي.

لقد كانت هذه التجاوزات بمثابة انعكاس للانتهاكات التي تمارسها إسرائيل في الضفة الغربية وغزة. فقد تدفقت مليارات الدولارات من الاستثمارات الأجنبية إلى الأراضي الفلسطينية من خلال وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، ولكن هذه الأموال لم تفعل شيئاً تقريباً لتحسين حياة الفلسطينيين. فعندما لم يكن قادتهم الفاسدون يسرقون الأموال، كانوا يبددونها على مشاريع مسدودة وذات تأثير ضئيل. ففي غزة، استخدمت الاستثمارات الدولية لدفع ثمن برامج تغرس في عقول الشباب كراهية إسرائيل والولايات المتحدة. كما استخدمت الأموال لبناء مرافق تخزين سرية لإخفاء المعدات العسكرية لحماس، والتي كانت القوات الإسرائيلية تحاول تدميرها أثناء المناوشات. وقد ردعت هذه العيوب الأساسية قادة الأعمال عن الاستثمار في الضفة الغربية أو غزة وحرمت الشعب الفلسطيني من مستقبل أفضل. وبعد أن نقلنا السفارة الأميركية إلى القدس، أبلغتني وزارة الخارجية أن نسبة الموافقة على الولايات المتحدة كانت ستة في المائة فقط في غزة. وعندما سألت عن مدى ارتفاعها قبل النقل، اعترفوا بأنها كانت تسعة في المائة فقط. وفي الوقت نفسه، كانت نسبة الموافقة على الوكالة الأميركية للتنمية الدولية حوالي 70 في المائة، وهو ما عزز وجهة نظري بأن المساعدات الأميركية الحالية لغزة لا معنى لها.

لقد اقترحت خطتنا استثمار خمسين مليار دولار في الأراضي الفلسطينية والمنطقة المحيطة بها، على أن يتم صرف هذه المبالغ على دفعات على مدى عشر سنوات مع تطبيق تدابير صارمة للمساءلة. كما حددت الخطة إطاراً تجارياً لتحسين الوصول إلى الأراضي الفلسطينية، بما في ذلك بناء طرق وخطوط سكك حديدية جديدة، ونزع السلاح عن المعابر الحدودية وتحديثها، وربط الضفة الغربية وغزة. كما دعت الخطة إلى تحسين البنية الأساسية الحيوية، مثل مرافق معالجة المياه، ومحطات الطاقة، وشبكات الاتصالات. ولم تكن المدارس الفلسطينية تزود العمال بالمهارات التي يحتاجون إليها لشغل الوظائف الشاغرة في سوق العمل المحلية، لذا فقد دعت خطتنا إلى التدريب على الوظائف، وتغيير المناهج الدراسية، وإنشاء جامعة جديدة على مستوى عالمي. كما تضمنت الخطة إصلاحات قوية لإرساء سيادة القانون ومنع الفساد.

في حين أن المقترحات لحل النزاع السياسي بين إسرائيل والفلسطينيين لا تزال قائمة.في كثير من الأحيان، بدا الفلسطينيون غامضين، وكانت الخطة الرامية إلى تحسين حياة الشعب الفلسطيني أكثر واقعية. كانت الخطة مفصلة بـ 179 مشروعاً محدداً. وكانت تتضمن مخططات مع تقديرات للتكاليف وجداول زمنية للتنفيذ تم حسابها بدقة من قبل توماس ستورش، وهو عالم تحليلي كان زميلي في جامعة هارفارد قبل أن يذهب إلى هناك.

لقد كان رجلاً ناجحاً في وول ستريت. لقد كان يدي اليمنى فيالخطة الاقتصادية، وعملت عليها بشكل وثيق مع جون رادر.

ولن يكون لأي من هذه الاستثمارات أي أهمية ما لم تكن جزءاً من اتفاق سلام سياسي ـ الجزء الثاني من خطتنا، الذي كنا نأمل في إطلاقه بمجرد تشكيل إسرائيل للحكومة. إن الاقتصاد الفلسطيني المزدهر يعتمد على السلام الإقليمي، وبدونه لن نتمكن من مطالبة الإسرائيليين بتخفيف بروتوكولاتهم الأمنية على الحدود والسماح بالتدفق الحر للسلع والأشخاص من الضفة الغربية وغزة. ويمثل الاقتصاد الإسرائيلي النابض بالحياة فرصة اقتصادية هائلة للفلسطينيين إذا تمكن القادة من حل خلافاتهم السياسية القديمة. وكان الأمر أشبه بوادي السيليكون المنفصل عن بقية كاليفورنيا.

في الأسبوع الأول من إصدارها، تم تنزيل خطة السلام من أجل الازدهار أكثر من مليون مرة، مما أثار المناقشات والجدال في جميع أنحاء المنطقة وحول العالم. وقبل أن ننشر الخطة، رفضتها القيادة الفلسطينية، وهو ما كنت أتوقعه، وأعلن الرئيس محمود عباس أن الفلسطينيين يقاطعون ورشة العمل في البحرين.

في الخامس والعشرين من يونيو/حزيران، هبطت في البحرين لحضور ورشة العمل التي طال انتظارها بعنوان "السلام من أجل الرخاء". وكان الغرض من الورشة هو بناء الزخم لخطتنا الاقتصادية من خلال التواصل مع زعماء العالم ورجال الأعمال الذين لديهم القدرة على الاستثمار في المشاريع التي أوصت بها خطتنا. وأردت أن أوضح أن مخططنا يمكن أن يصبح حقيقة واقعة بسرعة بمجرد التوصل إلى اتفاق سلام سياسي. وكان فريقي قد أمضى شهورًا في التخطيط للقمة. وقد نسقوا كل التفاصيل مع حكومة البحرين وأسطورة التسويق الشهيرة ريتشارد أتياس، الذي حول قاعة رقص في فندق فور سيزونز المنامة إلى مسرح بيضاوي أنيق بزاوية 360 درجة.

وقد استقطبت الورشة عددًا كبيرًا من الحضور الذين أكدوا على أهميةكان من بين المئات من المشاركين ولي عهد البحرين الشيخ سلمان، وستيف شوارزمان من مجموعة بلاكستون، وقطب العقارات الإماراتي محمد العبار، ورئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير، ومديرة صندوق النقد الدولي كريستين لاجارد، ورئيس البنك الدولي ديفيد مالباس، وراندال ستيفنسون من شركة AT&T، وماسايوشي سون من سوفت بنك، ورئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم جياني إنفانتينو. وفي المجموع، كان أكثر من خمسة وعشرين دولة ممثلة، بما في ذلك المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والأردن ومصر.

قطر والمغرب وروسيا. قاد وزير الخزانة ستيفن منوشينالوفد الأمريكي.

لقد وافق البحرينيون على التنازل عن قيود التأشيرة التقليدية والسماح لرجال الأعمال الإسرائيليين وعدد قليل من أعضاء وسائل الإعلام الإسرائيلية بالمشاركة - وهو تطور مهم، نظرًا لأن إسرائيل والبحرين لم تكن تربطهما علاقات رسمية. مع كل لفتة صغيرة مثل هذه، كنا نمنح القادة العرب فرصة أخرى لاختبار المياه بشأن التطبيع. كانت وسائل الإعلام مسرورة بالإشارة إلى أن عددًا قليلاً من رجال الأعمال الفلسطينيين حضروا، لكن محمد العبار، الرئيس التنفيذي لشركة إعمار، أكبر شركة تطوير في المنطقة، التقط تمامًا المنظور المتطور للقادة العرب تجاه المقاومة الفلسطينية: "كل واحد منا، نحن فلسطينيون في القلب حقًا. لأن القضية الفلسطينية هي قضيتنا. لذلك، لسوء الحظ، لم يكونوا هنا. كان من الرائع أن يكونوا هنا. لكنني أشعر أنني أمثلهم".

وقال خلال حلقة نقاشية:

في نهاية المطاف، ربما كان عناد عباس قد أتى بنتائج عكسية. فبالنسبة للحاضرين، بدا رفضه المشاركة ومنعه الفلسطينيين الآخرين من الحضور بمثابة قرارات هزيمة ذاتية. فقد هيمن المؤتمر على موجات الأثير في الشرق الأوسط لمدة ثلاثة أيام. وعندما سأل المراسلون عباس عن رأيه في الورشة، وصف الخطة بأنها "كذبة كبيرة اخترعها كوشنر وآخرون لخداع الناس". وقد أهانت كلماته الزعماء الذين حضروا للتو. والأسوأ من ذلك أنني تلقيت في وقت لاحق تقارير تفيد بأن السلطة الفلسطينية سجنت وهددت وعذبت رجال الأعمال الفلسطينيين القلائل الذين تحدوا التهديدات وحضروا المؤتمر.42 لقد كان عرضًا مقلقًا للغاية للانتقام الوحشي من قبل عباس ضد شعبه.

قبل عامين، كان من غير المتصور أن يحضر هؤلاء الوزراء العرب مؤتمراً عاماً مع الإسرائيليين هاجمه الفلسطينيون علناً. كان الجدار المجازي بين العرب والإسرائيليين قد بدأ يتلاشى أمام أعيننا. ومن خلال ورشة العمل، اتخذت البحرين خطوة شجاعة نحو التطبيع، وكان الثناء يفوق بكثير ردود الفعل العنيفة. وبدأ زعماء الخليج يفكرون في الشكل الذي يمكن أن تبدو عليه الخطوة الأكبر - ليس فقط للبحرين، بل وأيضاً لبلدانهم.

{34}

المنطقة منزوعة السلاح

"قال ترامب لإيفانكا في مكالمة هاتفية صباحية أثناء وجودنا في اليابان لحضور قمة مجموعة العشرين: "من العار أننا قطعنا كل هذه المسافة حول العالم ولم نلتق بكيم جونج أون". "يقول فريقي إنه أنا من الصعب التواصل معه. يقولون لي أنه يمكنك التحدث معه.

لا أتواصل إلا من خلال الرسائل الرسمية، والتي يتعين ترجمتها ثم إرسالها جواً إلى كوريا الشمالية. ولكنني سمعت أن كيم يتابع حسابي على تويتر، لذا ربما أكتب تغريدة مفادها أنني أرغب في مقابلته عندما أكون في كوريا الشمالية.

كوريا الجنوبية غدا. من يدري؟

"أبي، هذه بالتأكيد ستكون طريقتك في فعل الأشياء"، قالت إيفانكا.في ذلك الصباح، كانت إيفانكا تضع اللمسات الأخيرة على تصريحاتها في جلسة مجموعة العشرين حول تمكين المرأة اقتصاديًا. كان رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي قد طلب منها استضافة جلسة حول هذا الموضوع، الذي اعتبره أولوية في اليابان. اعتقدت إيفانكا أنها ستكون جلسة متواضعة على هامش المؤتمر الرئيسي، لكن كل زعماء العالم تقريبًا في مجموعة العشرين قرروا الحضور، بما في ذلك رؤساء الدول من كندا وفرنسا وألمانيا والمملكة العربية السعودية.

وكان والد إيفانكا فخوراً بشكل خاص بالانضمام.

وبعد دقائق من مكالمتهما، غرد ترامب: "بعد بعض المحادثات المهمة للغاية،"وبعد الاجتماعات، بما في ذلك اجتماعي مع الرئيس الصيني شي، سأغادر اليابان إلى كوريا الجنوبية (مع الرئيس مون).

وأثناء وجودي هناك، إذا رأى الرئيس كيم هذا، فسألتقي به على الحدود/

"منزوعة السلاح فقط لمصافحته والقول مرحبًا (؟)!"

صعدت إيفانكا إلى المنصة في حدثها. وبكل وضوح ودفء وقوة، حثت القادة المجتمعين على "تعزيز واحدة من أكثر الشخصيات غير المقدرة".الموارد في العالم: الموهبة والطموح والعبقرية

"وناقشت برنامجها، برنامج التنمية العالمية للمرأة.ومبادرة الرخاء والازدهار (W- GDP)، التي تهدف إلى تمكين خمسين مليون امرأة في العالم النامي من خلال توفير التعليم المهني، والوصول إلى التمويل لرائدات الأعمال، وإصلاح الحواجز القانونية والثقافية التي تمنع المرأة من المشاركة في الاقتصاد.

وبعد فترة وجيزة، تعلمنا درسا آخر حول كيف يمكن لوسائل الإعلام أن تقلل من أهمية الأحداث الحقيقية وتشوهها. فقد نشر قسم وسائل التواصل الاجتماعي في الحكومة الفرنسية ببراءة مقطع فيديو مدته عشرين ثانية لمحادثة غير رسمية بين إيفانكا والرئيس إيمانويل ماكرون ورئيسة الوزراء تيريزا ماي ورئيس الوزراء جاستن ترودو ومديرة صندوق النقد الدولي كريستين لاجارد. وبعد انتزاعه من سياقه، بدا الأمر وكأن إيفانكا كانت تقحم نفسها في المحادثة وأن لاجارد كانت تتجاهلها. وكان هذا غير دقيق تماما. فقد حضرت لاجارد والقادة الآخرون حدثا قادته إيفانكا بناء على طلب مضيف مجموعة العشرين، رئيس الوزراء آبي. وعلاوة على ذلك، كانت إيفانكا ولاجارد تربطهما علاقة حميمة. وقبل بضعة أشهر فقط، طلبت لاجارد من إيفانكا تقديمها في حفل توزيع الجوائز.

وعلى الرغم من هذه الحقائق، استخدم المنتقدون الساخرون وغير الشرفاء الفيديو، الذي تمت مشاهدته أكثر من عشرين مليون مرة، لخلق رواية كاذبة مفادها أن إيفانكا غير مرحب بها في قمة العشرين. كانت هذه لحظة مؤلمة ومثبطة للهمم بالنسبة لإيفانكا. فقد طمس مقطع فيديو قصير عامين من العمل الشاق، وخطابها المذهل، وحقيقة أنها نجحت في جعل تمكين المرأة اقتصاديًا ركيزة أساسية لكل منتدى لزعماء العالم تقريبًا خلال فترة تولي ترامب لمنصبه. وتحت ابتسامتها الهادئة، تتمتع إيفانكا بقلب كبير، وقد تؤلمني هجمات وسائل الإعلام التافهة. كنت أتمنى لو كان بإمكاني أن أفعل المزيد كزوج لمساعدتها على الشعور بالفخر بعملها المهم، حتى في مواجهة الانتقادات غير العادلة. عندما كانت إيفانكا تدير عملاً تجاريًا مدفوعًا بمهمة، كانت تحظى بالثناء الشامل في جميع وسائل الإعلام، حتى من قبل منشورات مثل فوغ وفانيتي فير. والآن، على الرغم من أن عملها الحكومي كان له تأثير إيجابي على ملايين النساء على مستوى العالم، فقد بحثت وسائل الإعلام عن كل فرصة لانتقاد جهودها. لقد كان من المغري في كثير من الأحيان أن نقاوم، ولكنني أعجبت بإيفانكا لأنها اختارت دائمًا أن تسلك الطريق الصحيح وأن تظل وفية لنفسها وخدمتها. كان علينا أن نتعلم كيف نتخلى عن الأشياء التي لا نستطيع السيطرة عليها وأن نحافظ على منظورنا فيما يتعلق بما هو أكثر أهمية: إيماننا، وأسرتنا، وما نحاول تحقيقه من أجل البلاد.

وبعد انتهاء فعالية إيفانكا، انتقل ترامب على الفور إلى اجتماعه مع شي، والذي كان من المتوقع على نطاق واسع أن يكون مواجهة بشأن التجارة. افتتح الرئيس الصيني بقصة عن دبلوماسية تنس الطاولة الشهيرة التي أدت إلى إذابة جليد العلاقات بين الولايات المتحدة والصين في السبعينيات، وفي نهاية المطاف دفعت الرئيس ريتشارد نيكسون إلى فتح علاقات دبلوماسية مع الصين. أخبر شي ترامب أنه قضى معظم وقته في التفكير في علاقة بلاده بالولايات المتحدة، والتي يريد أن تكون قائمة على الاحترام المتبادل والمنفعة المتبادلة. ولاحظ أن البعض في الولايات المتحدة كانوا يدعون إلى حرب باردة جديدة، لكنه شعر أن العلاقة يمكن أن تتحسن. وافق ترامب، مشيرًا إلى ديناميكيتهما الودية كسبب للتفاؤل. كان هذا دائمًا موقف ترامب التفاوضي مع شي: كان يقود مناقشة صادقة وصعبة حول القضايا، لكنه كان يفعل ذلك بسحر، مستفيدًا من كيميائه الطبيعية مع الرئيس الصيني.

عندما أثار شي موضوع التعريفات الجمركية، أوضح ترامب أنه يعتقد أنها شيء عظيم، وربما يتركها كما هي حتى لو رفضتها الولايات المتحدة.في ذلك الوقت، توصلت الولايات المتحدة والصين إلى اتفاق تجاري. ثم أدلى ترامب بإحدى تصريحاته الكلاسيكية الغريبة التي كان يقصد بها زعزعة توازن شي. فقد ذكر العمل الرائع الذي قام به آبي في استضافة مجموعة العشرين، مضيفًا أن المقاتلات اليابانية كانت من بين الأفضل في العالم، ويعود تاريخها إلى عصر الساموراي. ثم أشار عرضًا إلى أن الولايات المتحدة أنقذت الصين من اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية.

في اللحظة التي انتهى فيها المترجم من نقل تعليق ترامب المرتجل، تحول أسلوب شي الودي إلى الغضب. "لا! بعد أربعة عشر عامًا من القتال، حررت الصين نفسها، وخسرنا عشرين مليون شخص في هذه العملية".

وبعد أن أدرك ترامب أنه لمس وتراً حساساً، أعاد توجيه الاجتماع إلى التجارة. وأخبر شي ترامب أنه يتفهم مخاوف الرئيس بشأن العجز التجاري، الذي ارتفع إلى 400 مليار دولار سنوياً، وأنه لا ينبغي أن يكون هناك أي تباطؤ في نمو الاقتصاد الصيني.وقال شي جين بينغ لترامب إنه مستعد لاتخاذ خطوات لخلق المزيد من التوازن. وقال شي لترامب: "أعلم أنك تحمل المزارعين في قلبك. وأعلم أنك حارسهم".

كان هذا التعليق يشير إلى الإعانات غير المسبوقة التي قدمها ترامب للمزارعين للتعويض عن تأثير التعريفات الجمركية الصينية. ولم يفوت ترامب أي فرصة، فقال لشي إن المزارعين الأميركيين يتمتعون بفخر كبير، وأنهم لا يريدون المساعدة، لكنه سيستمر في منحهم إياها طالما استغرق الأمر للتوصل إلى اتفاق مع الصين.

وفي نهاية المحادثات الثنائية، أثار شي قضية كوريا الشمالية. وأشاد بالاجتماعين السابقين لترامب مع كيم جونج أون، وقدم نصيحة: يجب على الولايات المتحدة أن تكون مستعدة لتقديم التنازلات. وهذا من شأنه أن يُظهِر مرونة مقارنة بالإدارات السابقة ويقرب كوريا الشمالية من التوصل إلى اتفاق لنزع السلاح النووي. وقال شي إن الصين مستعدة لدفع كوريا الشمالية إلى عقد صفقة مع الولايات المتحدة، لكن ترامب يجب أن يكون حريصًا على عدم دفع كيم إلى الزاوية. وحذر شي الرئيس من تقديم ضمانات أمنية قوية لكيم، حتى يشعر كيم بالثقة في أن نزع السلاح النووي الكوري الشمالي لن يؤدي إلى "وضع ليبيا"، في إشارة إلى نهج إدارة بوش تجاه نزع السلاح النووي في ليبيا، والذي أدى في النهاية إلى اغتيال الدكتاتور معمر القذافي.

في صباح اليوم التالي، في سيول، طلب ترامب مني ومن إيفانكا الانضمام إليه في الاجتماع الثنائي الرسمي مع الرئيس مون جاي إن والوفد الكوري الجنوبي. كان ترامب يعتزم مناقشة تقاسم تكلفة إيواء ثمانية وعشرين ألف جندي أمريكي في كوريا الجنوبية. في خطابه، قال ترامب: "لا أعرف ما إذا كان سيحضر اجتماعًا ثنائيًا رسميًا مع الرئيس مون جاي إن والوفد الكوري الجنوبي".كان ترامب يريد من كوريا الجنوبية أن تدفع 5 مليارات دولار سنويا لتغطية هذه النفقات. وكانت كوريا الجنوبية قد وافقت على زيادة مساهماتها السنوية إلى مليار دولار، لكن ترامب أراد المزيد.

وقال في الاجتماع "إنني أنظر إلى هذه الصفقة على أنها شهر بشهر. ولن أتردد في سحب قواتنا من هنا وإعادتها إلى الوطن، وهو المكان الذي يريده مواطنو بلدي. أريدكم أن تصلوا إلى خمسة مليارات دولار، وسأمنحكم خمس سنوات للوصول إلى هذا. وسنزيد مليار دولار سنويًا. فكروا في الأمر كما لو أنني أضعكم على خطة سداد. لديكم بلد عظيم، لكننا لا نريد أن نكون هنا ننفق مليارات الدولارات على التكاليف العسكرية، من أجل امتياز خسارة المال لكم في التجارة".

صرح ترامب بشكل خاص أنه على الرغم من أنه لم يحصل على كل ما حصل عليه،وعلى الرغم من أن كيم كان يطلب ذلك، إلا أنه نجح في جلب 500 مليون دولار إضافية لدافعي الضرائب الأميركيين من خلال إجراء بعض المكالمات الهاتفية. وانتهى الاجتماع، وبدأ الزعيمان السير إلى مؤتمر صحفي في أسفل الدرج في البيت الأزرق، المقر التنفيذي للرئيس مون.

وفي الوقت نفسه، قال مستشار الأمن القومي جون بولتون، الذي كان فيفي اجتماع مع الزعيمين، رصدت القائم بأعمال رئيس الأركان ميك مولفاني وتوجهت مباشرة نحوه.

قال بولتون وهو يشير بإصبعه إلى مولفاني: "لقد انتهى أمر المنطقة منزوعة السلاح".الصدر. "هذا أمر سخيف."

"ماذا حدث؟" سأل مولفاني. "لماذا تم إيقافه؟"

"لأن الكوريين الشماليين يصرون على أن يكون اللقاء فرديًا"بين الزعيمين، وهذا يخالف كل قواعد البروتوكول في الكتاب."

واعتذر مولفاني عن المؤتمر الصحفي واتصل بنائب رئيس الأركان للعمليات دان والش، الذي كان في خضم مفاوضات مرتجلة مع نظيره في كوريا الشمالية.

"سأخبرهم أننا سنلغي اللقاء إذا أصروا على اللقاء وجهاً لوجه"، قال والش. "سيتراجعون لأنني إذا فشلت هذه المهمة، فمن المحتمل أن أفقد وظيفتي، ولكن الرجل الآخر سيتم إعدامه".

وبعد دقائق أعلن الرئيس أنه ذاهب إلى المنطقة المنزوعة السلاح.وقال إنه سيلتقي بكيم، وهو ما أثار غضب بولتون الذي لم يوافق قط على مبادرات الرئيس.

"أنا لن أفعل هذا الشيء اللعين"، قال بولتون.

لقد أوفى بوعده: فبينما كان ترامب يستعد للسفر إلى المنطقة منزوعة السلاح، استقل بولتون طائرة منفصلة إلى منغوليا لحضور اجتماعات غير ذات صلة. لقد تخلى مستشار الأمن القومي في البيت الأبيض عن رئيسه خلال اجتماع رفيع المستوى.لحظة حاسمة مع أحد خصوم أميركا الرئيسيين.

قبل أن يصعد ترامب إلى سيارته الليموزين للقيام برحلة قصيرة إلى مهبط الطائرات المروحية، حيث كان مارين وان ينتظره، سحبه الرئيس مون جانبا.

وقال مون "إنك قريب جدًا من رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي، وهو يحترمك حقًا. هل يمكنك الاتصال به ومعرفة ما إذا كان بإمكانك حل مشكلة لنا؟ لقد أعلنوا للتو أنهم لن يبيعوا لنا بعد الآن المواد الأرضية النادرة التي نحتاجها لصنع الهواتف وأجهزة التلفزيون. وسيكون لهذا تأثير سلبي للغاية على اقتصادنا".

حدق ترامب في مون في ذهول وقال: "أنت مثل وظيفة بدوام كامل. سأطلب من أحد نوابي إجراء مكالمة - ولكن مكالمة واحدة فقط. لدي بلدي لأديره، ولا أستطيع حل جميع مشاكلك نيابة عنك".

عندما صعدنا على متن طائرة مارين وان في رحلة تستغرق عشرين دقيقة إلى المنطقة منزوعة السلاح، لم يكن أحد منا يعرف ماذا يتوقع. وعندما وصلنا، استقبلنا الرئيسكانت القوات الأميركية متمركزة هناك، ورافقه القادة العسكريون إلى منصة تطل على كوريا الشمالية. وعلى الجانب الآخر من الحدود، كان الكوريون الشماليون قد وضعوا أسلحة مدفعية ثقيلة. وكان الحراس يقفون في مواقعهم وهم يحملون مدافع رشاشة كبيرة، وكأنهم يتوقعون هجومًا في أي وقت.

ولكن مجمع الأمم المتحدة الصغير داخل المنطقة منزوعة السلاح لم يكن يبدو مكانًا عدائيًا. كانت المباني حديثة ونظيفة،لم يكن الأمر يشبه بأي حال منطقة الحرب الشيوعية في الثمانينيات كما كنت أتوقع. وبينما كان الرئيس يقود مجموعتنا إلى بيت الحرية بين الكوريتين، وهو مبنى زجاجي مكون من أربعة طوابق يقع على الجانب الكوري الجنوبي من المنطقة منزوعة السلاح، شرح والش لترامب الخطة.

"سوف تخرج إلى هناك وتحيي الرئيس كيم مباشرة فيوقال "إن خط ترسيم الحدود هو عبارة عن حاجز قصير يبلغ عرضه ست بوصات يفصل بين البلدين، وإذا عبرت هذا الحاجز فسوف تصبح أول رئيس أميركي يدخل كوريا الشمالية".

"ماذا أفعل إذا دعاني؟" سأل الرئيس.

"إذا فعل ذلك"، قال والش، "يمكنك أن تخطو خطوة أو خطوتين إلى داخل كوريا الشمالية، لكن جهاز الخدمة السرية لا يملك أي سيطرة تقريبًا على ما يحدث بمجرد عبورك""هذا الخط."

ترامب يتوجه إلى إيفانكا.

"هل يجب أن أذهب إذا دعاني؟" سأل.

"لماذا لا تلعبها حسب الأذن وترى كيف تشعر؟"

وبعد ثوانٍ، بدأ ترامب مسيرته المنفردة نحو كوريا الشمالية. وعندما وصل إلى خط ترسيم الحدود، توقف وانتظر كيم، الذي كان يسير بقوة في اتجاهه. وتصافح الزعيمان، ودعا كيم الرئيس إلى دخول كوريا الشمالية. ومع التقاط الكاميرات بسرعة كبيرة حتى بدت وكأنها مدافع رشاشة، استدار الرجلان وساروا حوالي عشرين خطوة داخل كوريا الشمالية. وأدى هذا إلى جنون الخدمة السرية. وكانت الخطة أن يتخذ الرئيس خطوة أو اثنتين قبل أن يستدير، ولكن هنا كان الرئيس كيم يقود ترامب إلى أبعد داخل كوريا الشمالية.

وبعد بضع ثوانٍ متوترة، استدارا وعادا إلى الجانب الكوري الجنوبي، وتوقفا أمام حشد وسائل الإعلام، وقالا بضع كلمات قبل تحية الرئيس مون، الذي أصر على لعب دور واضح في الزيارة. ثم دخلا إلى بيت الحرية، حيث التقى ترامب وكيم لمدة ساعة تقريبًا. عندما تم تقديمي إلى كيم، شكرني على دوري في ربطه بمايك بومبيو. لقد أبقيت الأمر سراً، لكنني لعبت دورًا محوريًا في إنشاء خط الاتصال الأولي بين ترامب وكيم. بعد وقت قصير من تولي ترامب منصبه في عام 2017، بدأ كيم سلسلة من الاختبارات الصاروخية الاستفزازية التي زادت من التوترات مع الولايات المتحدة. رفض الرئيس السماح لكيم بدفعه. خلال خطابه السنوي الأول إلى الأمم المتحدة، قال كيم: "لا أعرف ما إذا كان سيفعل ذلك أم لا".

في الجمعية العامة للأمم المتحدة، أعلن ترامب، "رجل الصواريخ في حالة انتحار"كان الرئيس ترامب قد قرر إدراج عبارة "رجل الصواريخ" في خطابه قبل بضع دقائق فقط من صعوده على المسرح لإلقائه. وعلى عكس التصور العام، كان حريصًا للغاية في اختيار كلماته. لقد فكر في تسمية كيم "رجل الصواريخ الصغير"، لكنه شعر أن ذلك قد يكون مثيرًا للفتنة. عندما ألقى هذا السطر في خطابه في الأمم المتحدة، كان هناك تأخير لمدة أربع ثوانٍ للمترجمين، ثم التفت الجميع في قاعة الجمعية العامة ونظروا إلى مقصورة وفدنا بتعبيرات من عدم التصديق. عندما التقى ترامب بكيم في قمة سنغافورة، شعر بخيبة أمل عندما علم أن كوريا الشمالية لم تسمع أبدًا الأغنية الشهيرة لإلتون جون.

في ذلك الوقت، تواصل غابرييل شولتز، وهو أحد معارف إيفانكا السابقين في مجال الأعمال. في السنوات السابقة، قبل تشديد العقوبات، كان قد بنى علاقات عميقة مع شخصيات كورية شمالية رئيسية. قال شولتز: "أخبرني أحد اتصالاتي التجارية القديمة في كوريا الشمالية والذي أثق به أن مسؤولاً رفيع المستوى يريد فتح قناة مع عائلة ترامب نيابة عن كيم جونج أون. لقد تحققت من ذلك مع اتصالاتي الأخرى هناك وهذا أمر جاد. إنهم يريدون استكشاف صفقة مع ترامب، وهم يعتقدون أنك أفضل شخص يمكن التحدث معه". وأشار شولتز إلى أن كوريا الشمالية كانت شركة عائلية، حيث قادتها عائلة كيم لثلاثة أجيال، لذلك افترضوا بطبيعة الحال أن أفضل مكان للبدء هو مع أحد أفراد الأسرة على الجانب الآخر. سأل شولتز: "كيف تريد التعامل مع هذا؟" في ذلك الوقت، كنت أسير على قشر البيض حول وزير الخارجية تيلرسون، الذي كان من المفترض أن يتولى زمام المبادرة في العلاقة مع كوريا الشمالية، لكن كان من الواضح للجميع أنه لم يصل إلى أي مكان وكان خارج التناغم مع الرئيس. لقد جعلني التحقيق الروسي أيضًا نشطًا للغاية. لذا بدلاً من المشاركة بشكل مباشر، اقترحت على شولتز أن يعمل الكوريون الشماليون مع بومبيو، الذي كان آنذاك مدير وكالة المخابرات المركزية. قلت: "أخبرهم أن بومبيو يحظى بثقة الرئيس. إن الاجتماع مع بومبيو هو بمثابة الاجتماع معي. سأظل مشاركًا في تطوير العلاقة، ولكن خلف الكواليس". في حالة تقديم مثل هذه الفرصة، كانت الإدارات السابقة لتمررها إلى البيروقراطيين الحذرين للغاية في وزارة الخارجية. لكن بومبيو تابع مع شولتز وأقام اتصالًا مثمرًا للغاية مع حكومة كيم. أدى هذا إلى

عدة اجتماعات في بيونج يانج، حيث أعد بومبيو الطاولة لقمة سنغافورة 2018 بين ترامب وكيم. بينما التقى ترامب وكيمفي بيت الحرية، خرجت أنا وإيفانكا ودخلنا أحد الأكواخ الخشبية الزرقاء الصغيرة الممتدة على طول الحدود. تم بناء الهياكل البسيطة لتسهيل الحوار بين الطرفين، وكان نصفها على الجانب الكوري الشمالي ونصفها الآخر على الجانب الكوري الجنوبي. بينما كان الجميع مشغولين، دخلنا كوريا الشمالية. ومع ذلك، لم نتأخر. في رحلة العودة إلى واشنطن، اتصل ترامب بوالدي أوتو وارمبير، وهو طالب جامعي أمريكي زار كوريا الشمالية في جولة إرشادية في عام 2016 ولكن تم القبض عليه لإزالة ملصق من جدار فندقه. لقد عانى من إصابة دماغية وحشية وكارثية أثناء وجوده في زنزانة سجن كوري شمالي وتوفي بعد وقت قصير من إطلاق سراحه إلى أمريكا في عام 2017. قال لسينثيا وفريد وارمبير: "في كل مرة ألتقي فيها بكيم جونج أون، أفكر في أوتو، وأفكر فيكما أيضًا. إنه موقف صعب. أشعر أنني ملزم تجاه مئات الملايين من الناس بمحاولة إقناعهم بخفض التوتر. ولكن عندما أرى الصور من اجتماع اليوم

في التلفاز، أفكر فيكما في المنزل تشاهدان ذلك، وأعلم أن الأمر صعب للغاية بالنسبة لكما. يجب أن أحاول عقد صفقة، لكن أي شخص لديه القليل من القلب يعرف مدى صعوبة هذا الأمر عليك. قد يبدو الأمر رائعًا عندما ترانا نسير ونتحدث ونبتسم، لكنه ليس كذلك. يجب أن أتصرف
مثل هذا بالنسبة للدبلوماسية، لكن الأمر صعب. لا أعرف كيف تتعامل مع الخسارة
ابنك. أنتم أشخاص رائعون."

لقد دعاهم الرئيس إلى البيت الأبيض حتى يتمكن من تحديثهم شخصياً بما تعلمه. كما قطع لهم وعداً: "إذا تمكنت من إبرام صفقة، فسوف يشرفني أوتو أكثر من أي وقت مضى".

{35}

العدو من الداخل

بعد أن هدد الرئيس بفرض تعريفات جمركية شاملة على الواردات المكسيكية في مايو 2019، عززت الحكومة المكسيكية إنفاذ قوانين الهجرة. وانخفضت حالات عبور الحدود غير القانونية من ذروة بلغت 144 ألف حالة في مايو إلى 52 ألف حالة في مايو.

سبتمبر/أيلول. استمرت الأرقام في الانخفاض، لكن ترامب أراد تقليصها أكثر.

اتصلت بوزير الخارجية المكسيكي مارسيلو إيبرارد وقال: "قاعدتي الأولى في العمل مع ترامب هي أنه يتعين عليك أن تبقيه في مكانه بشكل استباقي"."لقد أخبرته أنه إذا اتصل بي للحصول على تحديث بشأن أمر ما، فسيكون الأوان قد فات. لماذا لا تأتي إلى واشنطن لحضور جلسة عمل، ومن ثم يمكنني إحضارك إلى المكتب البيضاوي لإطلاع الرئيس على الخطوات التي تتخذها المكسيك للحد من الهجرة غير الشرعية. تعال قريبًا، وإلا فقد نعود إلى المربع الأول مع التعريفات الجمركية".

استطعت أن أقول أن إبرارد كان متوترًا عندما دخلنا المكتب البيضاوي في10 سبتمبر/أيلول. استقبله ترامب بحرارة وأشار إليه بالجلوس على أحد الكراسي المواجهة لمكتب ريزولوت. وقال: "لا أعرف ما إذا كنت قد شاهدت الأخبار أم لا. لكنني أقلت جون بولتون هذا الصباح".

لم يكن إيبرارد يتوقع أن يذكر ترامب بولتون، ورد على ذلك بقوله:

وقال ترامب بحذر: "نعم، لقد شاهدت الأخبار".

وقال ترامب "جون كان مجنونا، كان يحاول باستمرار الذهاب إلى الحرب".

مع الجميع. كان يريد خوض حرب مع الصين وروسيا وفنزويلا.

"كوريا الشمالية وإيران في نفس الوقت. في البداية، لم أمانع عدوانيته. وجوده في طاقم العمل جعلني أبدو وكأنني الشخص العقلاني للتغيير. كما أبقى خصومنا في حالة من عدم التوازن".

توقف ترامب ونظر مباشرة إلى إبرارد. "هذا الصباح، جاء جون إلى مكتبي وقال،" السيد الرئيس، كل شيء جاهز. علينا غزو المكسيك؛ إنهم لا يبذلون جهدًا كافيًا على الحدود الجنوبية، "وقلت،" جون، هذا كثير جدًا. هذا هو القشة الأخيرة. لن أفعل ذلك أبدًا لصديقي أندريس مانويل لوبيز أو لشعب المكسيك العظيم. أنت مطرود ".

لقد أصيب إيبرارد بالذهول. ولكن عندما رآني أضحك على النكتة،ابتسمت واسترخيت.

كان ترامب مسرورًا بعمل إبرارد في الحد من الهجرة غير الشرعية، والذي تضمن نشر المكسيك لقوات الحرس الوطني لمراقبة جانبها من الحدود. كما صممت بلدانا اتفاقية "البقاء في المكسيك"، والتي أبقى طالبي اللجوء في المكسيك بينما تراجع محاكم الهجرة الأمريكية قضاياهم، بدلاً من إطلاق سراحهم في الداخل الأمريكي، حيث اختفوا غالبًا في عالم سفلي من العمل والإقامة غير القانونيين. 43 شجع النظام غير العقلاني السابق مئات الآلاف من المهاجرين من أمريكا اللاتينية وأماكن أخرى على السفر إلى الحدود الجنوبية وجعل من المستحيل تقريبًا معرفة من يقدم مطالبات لجوء مزيفة. مع تطبيق اتفاقية البقاء في المكسيك، توقف المهاجرون غير الشرعيين عن القدوم. لم يكن الأمر يستحق دفع عشرات الآلاف من الدولارات لمهربي البشر مقابل رحلة غادرة إذا كانت من المرجح أن تؤدي إلى إعادتهم إلى الوطن. كجزء من الاتفاقية، اتخذ المكسيكيون أيضًا إجراءات صارمة ضد هؤلاء المهربين، المعروفين باسم "الذئاب"، الذين أساءوا معاملة النساء والأطفال تحت رعايتهم، فيما كان غالبًا شكلًا حديثًا من أشكال العبودية.

ووصف إيبرارد هذه الجهود، ومنح ترامب الوزير اهتمامه الكامل.

وقال ترامب بعد إحاطة إيبرارد: "أقدر كل جهودكم"."لقد أنقذت أفعالكم العديد من الأرواح، ولكن المكسيك قادرة على فعل المزيد".

وعد إيبرارد ترامب بأن المكسيك ستواصل تحسين إنفاذ القانون على الحدود ومكافحة الاتجار بالبشر. لقد أحرزنا أخيرًا تقدمًا كبيرًا في الحد من التدفق الخطير للمهربين والمتاجرين بالأسلحة والمخدرات ـ ولم يكن ذلك ممكنًا لولا ترامب.

277

اتبعت الاستراتيجية المتناقضة المتمثلة في اللعب بقوة في ما يتعلق بالرسوم الجمركية مع بناء علاقة إيجابية مع أندريس مانويل لوبيز أوبرادور وإيبرارد.

وبفضل هذه الجهود، نجحنا في تعزيز العلاقات بين أميركا والمكسيك بشكل كبير، وتحسين حياة الناس على جانبي الحدود، وزيادة فرص العمل في أميركا. وقد ساهم هذا في زيادة عدد الأميركيين من أصل إسباني الذين يدعمون سياسات ترامب. ولكن من المؤسف أن ترامب لم تتح له الفرصة الكافية للاستمتاع بهذا النجاح. وكانت العاصفة تلوح في الأفق بسرعة في واشنطن.

* * *

في وقت متأخر من أحد أيام شهر أغسطس/آب بعد الظهر، تلقيت مكالمة من صديق قديم كان من كبار المتبرعين لنانسي بيلوسي، رئيسة مجلس النواب من الحزب الديمقراطي.

"أعلم أنني أخبرتك العام الماضي أن بيلوسي اعتبرت المساءلة قضية سياسيةوقال "إنها خاسرة ولم تكن لديها خطط لمواصلة ذلك، لكنها الآن تحت ضغط شديد من أقصى اليسار لدرجة أنني أعتقد أنها ستفعل ذلك". وذكر النائبتين ألكساندريا أوكاسيو كورتيز وماكسين ووترز باعتبارهما عدوانيتين بشكل خاص. "إنهما تهددان المعتدلين بتحديات أولية إذا لم يشاركوا. يجب أن تكونوا مستعدين".

بعد تسعة عشر دقيقة فقط من أداء ترامب اليمين الدستورية في عام 2017، نشرت صحيفة واشنطن بوست مقالاً بعنوان "الحملة من أجلوبعد خمسة أشهر، تقدم النائبان الديمقراطيان براد شيرمان وأل جرين بمشروع قانون لعزل ترامب بسبب إقالته لمدير مكتب التحقيقات الفيدرالي جيمس كومي. وفي الثالث من يناير/كانون الثاني 2018 ـ اليوم الذي سيطر فيه الديمقراطيون على مجلس النواب ـ تعهدت عضو الكونجرس الجديدة رشيدة طليب بـ "عزل ذلك اللعين". ولن ترضى القاعدة الديمقراطية بأي شيء أقل من العزل ـ فهي لم تقبل قط نتائج انتخابات عام 2016، وكان مجرد وجود ترامب في البيت الأبيض إهانة لا يمكنها قبولها.

في الثامن من أغسطس/آب 2019، أعلن جيري نادلر، رئيس لجنة القضاء في مجلس النواب الأميركي، أن لجنته بدأت تحقيقا في عزل الرئيس، لكن لم يكن من الواضح ما الهدف من ذلك. وبحلول سبتمبر/أيلول، كانت هناك جوقة متنامية تطالب بعزله. ولم أكن أعرف ما إذا كان هذا التحقيق سيحقق في عزله.

278

لقد أدركنا مدى انتشار هذه الجهود حتى أعلن النائبان حكيم جيفريز وإليوت إنجل، اللذان كانا يتسمان بالعقلانية في الماضي، فجأة أنهما يؤيدان عزل ترامب. وكانا يحاولان صد المنافسين من أقصى اليسار في الانتخابات التمهيدية.

في الرابع والعشرين من سبتمبر/أيلول، وبعد وقت قصير من إلقائه خطابه السنوي أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، أعلنت بيلوسي عن إجراء تحقيق رسمي لعزله. وكانت هذه ضربة موجعة لترامب لأنه يمثل الولايات المتحدة على المسرح العالمي. وكان بوسعها بسهولة أن تنتظر أربعا وعشرين أو ثمان وأربعين ساعة قبل أن تشن هجومها.

كان السبب المعلن للديمقراطيين للتحقيق يدور حول التعليقات التي أدلى بها الرئيس قبل شهرين، في مكالمة هاتفية مع الرئيس الأوكراني المنتخب حديثًا، فولوديمير زيلينسكي. طلب ترامب من زيلينسكي التحقيق فيما إذا كان تعيين هانتر بايدن في مجلس إدارة شركة بوريسما، وهي شركة غاز طبيعي أوكرانية، بمثابة عمل فساد. لم يكن لدى هانتر أي خبرة في قطاع الطاقة، ولديه تاريخ طويل من التعاملات التجارية المشكوك فيها، وماضي متقلب شمل طرده من البحرية الأمريكية لاستخدامه الكوكايين.44 في وقت التعيين، كان والده نائبًا لرئيس الولايات المتحدة، وحصل هانتر على رسوم استشارية قدرها 83000 دولار شهريًا.45 حاول المدعي العام الأعلى للحكومة الأوكرانية التحقيق في التعيين، لكنه أُطيح به بعد أن ضغط نائب الرئيس جو بايدن على إزالته.46 اعتبر ترامب هذا انتهاكًا محتملاً للثقة العامة وأراد معرفة المزيد عن الظروف المحيطة به.

في الوقت نفسه، كان ترامب يخوض معركة مع الكونجرس بشأن ما يقرب من 4 مليارات دولار من المساعدات الخارجية، بما في ذلك 250 مليون دولار لأوكرانيا. وكان الرئيس يرفض عادة برامج المساعدات الخارجية المهدرة. وكان يعتقد أن الأموال من الأفضل إنفاقها في الولايات المتحدة، وليس في الخارج.كانت هذه هي المرة الأولى التي يستخدم فيها ترامب آلية الحجز لكبح جماح المساعدات الخارجية. ففي عام 2018، استشهد بها لتجنب إنفاق أموال المساعدات الخارجية، بل وطلب من المشرعين الإذن بإعادة الأموال إلى الخزانة، لكن الكونجرس رفض طلبه. وكان لدى الديمقراطيين مخبر يزعم أن الإدارة كانت تحجب الأموال عن أوكرانيا، واتهموا الرئيس بمعاملة مقايضة: حرمان الأوكرانيين من الأموال ما لم يستأنفوا صناعتهم.

التحقيق مع هانتر بايدن. مساعد بيلوسي آدم شيف، رئيس اللجنةفي 25 يوليو/تموز، حصل شيف، عضو لجنة الاستخبارات في مجلس النواب، بطريقة ما على نسخة تقريبية من المكالمة التي أجراها ترامب مع زيلينسكي. وقد قدم شيف وجهة نظره على أنها حقيقة: "تعكس ملاحظات المكالمة محادثة أكثر إدانة مما تخيلت أنا أو كثيرون غيري. لقد كان الرئيس ترامب يتحدث عن نفسه، وكان يتحدث عن نفسه، وكان يتحدث عن نفسه، وكان يتحدث عن نفسه".

لقد خانت الولايات المتحدة قسمها وضحت باستقلالنا الوطني."بعد بحث فاشل دام عامين عن سبب لعزل الرئيس، استقروا على أفضل خيار سيئ يمكنهم العثور عليه. في اليوم التالي لإعلان بيلوسي، كنا لا نزال في نيويورك لعقد اجتماعات مع زعماء أجانب. بينما كنت جالسًا في غرفة احتجاز الرئيس الآمنة بين الاجتماعات، سلمني رئيس الأركان بالوكالة ميك مولفاني مجلدًا يحمل علامة "سري". كان يحتوي على نص مكالمة ترامب في 25 يوليو.47 سألني "ما رأيك في هذا؟" قرأت النص. قلت "لا يبدو الأمر مهمًا بالنسبة لي". "هذا ترامب يتصرف كترامب". كان المستشار الاقتصادي الكبير لاري كودلو جالسًا بجانبي. قرأ أيضًا النص وشعر بنفس الطريقة. ناقشنا ما إذا كان يجب إصداره. لقد عملت الصحافة على نفسها في حالة من الهياج من التكهنات بناءً على تأطير شيف المشوه لمكالمة الرئيس. إن إصدار النص من شأنه أن يثقب ثغرة في رواية شيف المثيرة للقلق. فضلت أنا ومولفاني هذا النهج. ولكن كان القرار صعبا. فبينما كنا نزن الفوائد والسلبيات المحتملة لنشر النص، اتصل مستشار البيت الأبيض بات سيبولوني بمولفاني وجادل بأن القيام بذلك من شأنه أن يشكل سابقة سيئة. ومن غير المرجح أن يتحدث القادة الأجانب بصراحة في المكالمات المستقبلية إذا اعتقدوا أن كلماتهم الخاصة يمكن أن تصبح علنية. وكان من الأفضل دائما أن نخطئ على جانب الحذر في مسألة قانونية مثل هذه. كان سيبولوني يقدم نصيحة سليمة ـ نوع من التوجيه القانوني الفني الذي يتبعه المرء بدقة في قاعة المحكمة. لكننا لم نكن نتعامل مع محكمة قانون. كنا نتعامل مع محكمة الرأي العام، حيث كانت القواعد مختلفة. عندما راجع الرئيس النص، انحاز على الفور إلى جانبي ومولفاني، وأعلن قراره عبر تويتر: "أنا حاليا في الأمم المتحدة ممثلا لبلدنا، لكنني أذنت بإصدار نص كامل وغير سري وغير محرر لمحادثتي الهاتفية مع الرئيس زيلينسكي من أوكرانيا غدًا. سترى أنها كانت مكالمة ودية للغاية ومناسبة تمامًا. لا ضغوط، وعلى عكس جو بايدن وابنه، لا يوجد أي مقابل!

ليس أكثر من استمرار للأعظم والأعظم
"مطاردة الساحرات المدمرة في كل العصور!"

في اليوم نفسه الذي أصدر فيه الرئيس النسخة، كان من المقرر أن يلتقي في مدينة نيويورك بالرئيس زيلينسكي. وخلال الاجتماع،كان زيلينسكي صريحا. وقد قدر ترامب أن الرئيس الأوكراني كان يحاول إصلاح وضع معطوب وأنه لا يريد أن يكون في قلب السياسة الأميركية. وبينما كان الزعيمان يجلسان أمام حشد من الصحفيين، صاح أحد المراسلين بسؤال في زيلينسكي عما إذا كان قد تعرض لضغوط لبدء تحقيق.

وقال زيلينسكي، مؤكدًا رسالة ترامب: "لم يدفعني أحد". وبين جوهر النص وتعليق زيلينسكي، لقد ارتكب الديمقراطيون خطأ تكتيكيا عندما ركزوا كل جهودهم على هذه القضية الهزيلة. ولكن مع شروعهم في إجراءات العزل الرسمية في الكونجرس وهجومهم على الرئيس في الصحافة، لم يكن لدى البيت الأبيض استراتيجية اتصالية لدحض هجماتهم.

على عكس سلفه، أسس مولفاني ثقافة جماعية داخلكان سيبولوني من الشخصيات البارزة في البيت الأبيض. وكان بابه مفتوحاً دائماً، وكان يعزف موسيقى الروك الكلاسيكية أثناء عمله. وكان أغلب الناس يشعرون بالراحة في التعاون معه. وكان يحترم الرئيس ويتفهمه، وطلب مني أن أتدخل في القضايا عندما أستطيع أن أكون مفيداً. ونتيجة لهذا تحسنت العديد من جوانب البيت الأبيض، لكنه طور نوعاً من التنافس مع سيبولوني، وهو ما أصبح مثيراً للقلق.

بدأ مولفاني في عقد اجتماع تخطيطي للعزل كل صباح في مكتبه. وبصفته مستشارًا للبيت الأبيض، كان من المفترض أن يقدم سيبولوني نصيحته في هذه الاجتماعات، لكنه نادرًا ما نطق بكلمة. وعندما سألته عن سبب صمته، قال إنه يشتبه في أن مولفاني يسرب معلومات عنه. إنه لا يريد الكشف عن معلومات حساسة قد تجد طريقها إلى الصحافة.

لقد بدأت روتينًا مألوفًا: كان مولفاني يأتي إلى مكتبي ويشكو من سيبولوني. وفي وقت لاحق، كان سيبولوني يدخل ويشكو من مولفاني. لقد أدركت تكاليف الانخراط في المشاحنات بين المكاتب، لذلك كنت أستمع في الغالب ولا أتحيز لأي طرف. بعد النجاة من الخصومات في السنوات الأولى، كنت خاليًا فعليًا من الأعداء داخل الجناح الغربي - ولم أكن أبحث عن أي أعداء.

{36}

القتال من أجل الفوز

في خضم الاقتتال الداخلي في الجناح الغربي للبيت الأبيض، تلقيت اتصالاً من عضوي الكونجرس مارك ميدوز من ولاية كارولينا الشمالية وجيم جوردان من ولاية أوهايو.

"لقد أفسدتم هذا الأمر"، قال جوردان. وقد لفت ذلك انتباهي. كان الرجلان من السياسيين الأذكياء الذين يهتمون بترامب. وعندما عرضا عليّ القدوم إلى البيت الأبيض، قبلت.

وبعد أقل من ساعة، ظهروا برفقة اثنين من زملائهم في كتلة الحرية، لي زيلدين ومات جيتز. واجتمعنا في مكتب سيبولوني في الطابق الثاني من الجناح الغربي.

"من وجهة نظري، هذه القضية بسيطة"، قال زيلدين. "أولاً،"أصدر البيت الأبيض نص المكالمة، مما يثبت أن الرئيس ليس لديه ما يخفيه. ثانيًا، تم الإفراج عن المساعدات. ثالثًا، لم يتم إجراء التحقيق في أوكرانيا أبدًا. ورابعًا، عندما سئل، قال رئيس أوكرانيا إنه لم يتم ممارسة أي ضغوط. بغض النظر عما يقوله أي مُبلغ عن المخالفات أو ديمقراطي، فإن هذه الحقائق الأربع لن تتغير. إذا التزمنا جميعًا بها وتواصلنا بشكل فعال، فسنفوز بشكل كبير. لم يكن هناك أي مقابل، وليس لديهم أي قضية".

سألني ميدوز وجوردان عن سبب غياب فريق الاتصالات بالبيت الأبيض عن العمل. ولأنني لم أرغب في انتقاد زملائي أمام أعضاء الكونجرس، فقد قمت بقلب السؤال.

"ما الذي تعتقد أننا نحتاجه لتحقيق النجاح؟"

"في الوقت الحالي،" قال ميدوز، "لا أحد من البيت الأبيض يتصل بي على الإطلاقنحن نعمل على تنسيق رسالتك. عندما أحاول معرفة موقف البيت الأبيض من موضوع ما، لا ترد ستيفاني على هاتفها ولا ترد على الهاتف.

بالنسبة لي، احضر لنا شخصًا متاحًا للعمل معنا على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع"أنا وأعضائي ندعمكم في هذا الأمر. وسنساعدكم على تعزيز هذه المعركة والفوز بها."

كان ميدوز يشير إلى مديرة الاتصالات في البيت الأبيض والمتحدثة باسم البيت الأبيض ستيفاني جريشام. وقد روج لها ترامب بعد عودة سارة هاكابي ساندرز إلى أركنساس في يونيو 2019. وقبل ذلك، كانت جريشام تعمل كسكرتيرة صحفية للسيدة الأولى.كان اختيارها غير تقليدي لشغل منصب الاتصالات في البيت الأبيض. فقد تطلب الدور مستوى من المهارة والالتزام يفوق بكثير مسؤولياتها في الجناح الشرقي، حيث كانت وتيرة العمل أبطأ وتميل إلى الدوران حول الأحداث الاحتفالية.

وبعد أن اتضح أن فريقي الاتصالات والقانون لن يعملا معًا، بدأت في البحث عن شخص كبير في مجال الاتصالات يمكنه التركيز فقط على المساءلة ـ شخص يستيقظ كل صباح مستعدًا لهذه المعركة. وسرعان ما اتضح أن أفضل شخص لهذا الدور هو توني صايغ، وهو محترف اتصالات قديم في وزارة الخزانة ساعدنا في تمرير الإصلاح الضريبي. وعلى النقيض من العام الأول للإدارة، عندما صنعت أعداء عن غير قصد، اتخذت هذه المرة قرارًا واعيًا بالتدخل، مع العلم أن جريشام من المرجح أن ينقلب ضدي. أتمنى لو رأيت خيارًا آخر، لكن حماية الرئيس كانت أكثر أهمية من رأي جريشام فيّ.

كان ترامب على علم بالخلل الداخلي، وأعطاني الضوء الأخضر لتعيين صايغ. وعندما أخبرت جريشام بالقرار، حاولت أن أكون مهذبًا قدر الإمكان. وقلت إن تعيين صايغ والسماح له بالرحيل لن يكون بالأمر السهل.لقد كان تركيزها على محاكمة الرئيس ترامب من شأنه أن يحررها لإدارة بقية عملية الاتصالات. لقد فوجئت بسرور عندما قالت إنها فكرة رائعة. لقد قالت إنها تحب صايغ وتعتبره صديقًا عزيزًا. لقد طلبت من صايغ أن يرفع تقاريره إليها مباشرة وألا يكون له مكتب في الجناح الغربي، وهو ما وافقت عليه على الفور. لقد اعتقدت أن الأمور بيننا ربما لن تكون بهذا السوء بعد كل شيء.

وبعد ساعة، اتصل الرئيس. كانت جريشام قد هرعت إلى المكتب البيضاوي وزعمت أن صايغ من شأنه أن يعرض دفاع ترامب عن نفسه للخطر. وفي تلك اللحظة أدركت أنها انقلبت علي. وبناء على طلب الرئيس، تابعت مع جريشام لمناقشة مخاوفها، وعند هذه النقطة اتهمتني بمحاولة إدارة قسمها.

"أجبته: "لا أريد أن أدير قسم الاتصالات. لكن يبدو أنك لا تستطيع أن تتفق مع الفريق القانوني، ونحن بحاجة إلى شخص كبير في قسم الاتصالات مخصص فقط لعزل الرئيس لمنع إقالته من منصبه".

لقد شعرت بالثقة في أن البيت الأبيض لديه موقف قوي فيما يتصل بمسألة المساءلة. والآن لم يعد أمامنا سوى قصف الديمقراطيين بالخطابات ـ وكان صايغ هو مدفعيتنا الرئيسي.

* * *

في البيت الأبيض، من المستحيل التعامل مع مشكلة واحدة في كل مرة. وبينما كان فريقنا يتجمع للتعامل مع أعظم تحد محلي تواجهه رئاسة ترامب، نشأ صراع في الخارج. بتوجيه من الرئيس، كانت وزارة الدفاع تخفض عدد القوات الأمريكية على الحدود السورية مع تركيا، حيث كانت تحرس منطقة مثيرة للجدل. كان ترامب يعرف كيف يتعامل مع الشخصيات الكبيرة لمنع المواقف القابلة للاشتعال. حذر الرئيس رجب طيب أردوغان من أنه "سيدمر ويمحو اقتصاد تركيا تمامًا" إذا فعل الأتراك أي شيء "خارج الحدود"، لكن رجل إسطنبول القوي تجاهل تهديد ترامب. ومع رحيل القوات الأمريكية من المنطقة، شن أردوغان هجومًا عسكريًا ضخمًا في شمال شرق سوريا ضد المقاتلين الأكراد الذين كانوا شركاء أساسيين في الحرب الأمريكية ضد داعش. طلب ترامب من بنس التفاوض على وقف إطلاق النار مع الرئيس أردوغان.

قبل أن يغادر بنس إلى تركيا، توقف عند مكتبي. لقد التقيت بهمع أردوغان عدة مرات، وطلب بنس النصيحة في التعامل معه.

"أنت لست بحاجة إلى نصيحتي"، قلت، "لكنني سأخبرك أنه من تجربتي، عندما تجلس معه، سيعبر عن كل مظالمه. سيستمر الأمر لفترة من الوقت، وسأستمع فقط. أشعر أنه يقدر علاقته بترامب، لذا فإن نجاحك سيعتمد على الدرجة التي يمكنك بها نقل أن ترامب جاد للغاية بشأن وقف إطلاق النار. أردوغان عنيد للغاية.

أنا لست متأكدًا من كيفية حل هذه المشكلة، لكنني سأشجعك من هنا.

في 17 أكتوبر/تشرين الأول، وبينما كان بنس في تركيا، سافر ترامب إلى دالاس لحضور الافتتاح الكبير لمصنع ضخم لشركة لويس فيتون.بعد فترة وجيزة من انتخابات عام 2016، قدمت ترامب لأصدقائي، ألكسندر ووالده برنارد أرنو، رئيس LVMH - الشركة الأم لـ Louis Vuitton وأكبر شركة للسلع الفاخرة في العالم. بعد ذلك، أعلن أرنو أنه يتطلع إلى بناء مصنع آخر لـ Louis Vuitton في الولايات المتحدة. بعد عامين ونصف، نفذ وعده بإنشاء منشأة تبلغ مساحتها مائة ألف قدم مربع توظف ألف عامل أمريكي لصنع أرقى المنتجات الجلدية في العالم. انضم إلينا أرنو في الرحلة إلى تكساس على متن طائرة الرئاسة - وهي تجربة مثيرة، حتى بالنسبة للثالث.

-أغنى شخص على وجه الأرض. وبينما كان ترامب وأرنو يتحدثان على متن الطائرة، اتصل بنس.

"لقد توصلنا إلى اتفاق"، هكذا قال نائب الرئيس. "كنت حازماً في إخبار أردوغان بأنك تحبه، وأنك كنت صديقه قبل هذه الحرب، وأنت صديقه الآن، وستظل صديقه إلى الأبد ــ ولكن عليه أن يوقف هذه الحرب التي بدأها على الفور، وإلا فسوف تكون هناك عقوبات اقتصادية هائلة. وقد أثار العديد من الاعتراضات، ولكن بعد تسعين دقيقة وسبع نسخ من نفس الرسالة، قال: "حسناً، سنوقفها، فلنذهب إلى الغرفة الأخرى وننهي الصفقة".

"هذا رائع"، قال ترامب. "كانت هذه المنطقة برميل بارود لفترة من الوقت، وكنت أكره وجود الكثير من القوات هناك. كنا هناك لأن كلا الجانبين أراد المنطقة، ولم نتمكن أبدًا من التوصل إلى تسوية. في بعض الأحيان عليك فقط ترك الجانبين يتقاتلان قليلاً، وعندما يدركان أن أيًا منهما ليس لديه وضع رائع، فسيكون من الأسهل بكثير إبرام صفقة. إذا لم أفعل هذا، فستظل أمريكا عالقة هناك لمدة مائة عام قادمة - أو ما هو أسوأ من ذلك، ستنتهي في حرب أخرى على قطعة رمل لم يسمع عنها أحد في أمريكا من قبل ".

بينما كان يتحدث عبر الهاتف مع بنس، لفتت قناة فوكس نيوز انتباهه إلى غرفة الإحاطة الصحفية في البيت الأبيض. كان مولفاني على المنصة، يجيب على أسئلة حول التحقيق الجاري في قضية العزل. بصفته نائبًا منتخبًا سابقًا، كان مولفاني يتحدث عن التحقيق في قضية العزل.

كان مولفاني، المسؤول الرسمي، متحدثًا ذكيًا وفعالًا. بعد ذلك،اتصلت بمولفاني وأثنيت عليه لأدائه المتميز.

بعد فترة وجيزة من إغلاقي للسماعة، رن هاتفي. كان المتصل هو سيبولوني.

"هل سمعت ما قاله مولفاني للتو؟" سأل.

قلت إن مولفاني قام بعمل جيد بناءً على ما رأيته.

"لقد كانت كارثة حقيقية"، اشتكى سيبولوني. "لقد قال فقط"إن الرئيس انخرط في عملية مقايضة. وهذا من شأنه أن يفسد القضية برمتها. ونحن في حاجة إلى أن يصحح مولفاني هذا التصريح على الفور".

لقد فاتتني الثلاثين ثانية الأكثر أهمية من المؤتمر الصحفي. فقد سأل مراسل قناة إيه بي سي جون كارل مولفاني بشكل مباشر عما إذا كان الرئيس قد ارتكب جريمة المقايضة.

"ولكي نكون واضحين، فإن ما وصفته للتو هو مقايضة،" قال جون كارل وهو يواصل حديثه. "إنه: لن يتدفق التمويل ما لم يتم التحقيق في"لقد حدث الخادم الديمقراطي أيضًا."

"لقد فعلنا ذلك طوال الوقت فيما يتصل بالسياسة الخارجية"، هكذا رد مولفاني. "لقد كنا نحجز الأموال في نفس الوقت لصالح دول المثلث الشمالي، حتى تتمكن من تغيير سياساتها في التعامل مع الهجرة".

لقد كانت هذه كارثة بالفعل. وكانت وجهة نظر مولفاني صحيحة من حيث الأساس.إن الرؤساء يستغلون المساعدات الخارجية بانتظام لانتزاع التنازلات من شركائهم الأجانب. وكان ترامب بارعاً بشكل خاص في هذا. ولكن في لحظة بالغة الخطورة حيث كان لزاماً علينا أن نجعل رسالتنا محكمة، كانت رسالته غير دقيقة. وقد أثار ذلك حماسة الديمقراطيين، الذين زعموا أن رئيس أركان الرئيس نفسه قد قدم للتو دليلاً دامغاً.

حاول مولفاني التراجع عن تصريحه، لكن الأوان كان قد فات.لقد كنا نكتسب زخمًا، وكان فريق البيت الأبيض الخاص بنا يمنح الميزة لخصومنا. والآن كان علينا أن نعيد تجميع صفوفنا ونقاتل حتى النهاية

Hospital Negotiations

{ 37 }

إليكم قصة قديمة عن روبرت لايتهايزر، الممثل التجاري الأميركي. ففي ثمانينيات القرن العشرين، عندما كان
يعمل في إدارة ريغان، شارك في محادثات تجارية مع اليابان.
ذات يوم، وبعد أن تلقى عرضًا غير مرضٍ من نظرائه،أخذ الصفحة التي تحتوي على الاقتراح، وطواها على شكل طائرة ورقية، وألقى بها مرة أخرى إلى اليابانيين. وقد أكسبته هذه الحادثة لقب "رجل الصواريخ".

وبعد ثلاثة عقود من الزمان، أصبح كبير المفاوضين التجاريين لدى ترامب ــ ولم يفقد حس الفكاهة لديه. وفي عام 2019، مع استمرار مفاوضاتنا مع الصين، أصبح من الواضح أن ترامب لم يفقد روح الدعابة.دخل مرحلة جديدة، فأرسل بالبريد الإلكتروني قصيدة ليمريك:

نحن نتحدث مع الرئيس شي، وسنرى ما إذا كان هناك تقدم، وهل يجب أن يستمر الغش؟
وراء هذه النافذة القصيرة من المؤكد أنه ستكون هناك تعريفات جمركية.

على حد علمي، لم ير الصينيون تلك الرسالة الإلكترونية قط ــ ولكن لو رأوها، فإنها كانت لتلعب دوراً في تعزيز أسوأ مخاوفهم بشأن لايتيزر.ولكن في نهاية المطاف، كان هذا هو الحال. فقد كان سمعته كمفاوض صارم تخيفهم. حتى أنهم حملوه المسؤولية عن تباطؤ النمو في اليابان في تسعينيات القرن العشرين، معتقدين أن مشاكل البلاد يمكن إرجاعها إلى "رجل الصواريخ".
ما أزعجهم حقًا، بالطبع، لم يكن لايتهايزر فحسب، بل

الحقيقة أنه للمرة الأولى في التاريخ، أصبح رئيس أمريكي يقفالواقع أن الصين لم تفِ بوعدها، حتى مع اكتسابها حصة أكبر من السوق العالمية من خلال السلع منخفضة التكلفة المدعومة بشدة بالعمالة المحلية الرخيصة والاستثمارات الحكومية. وبحلول عام 2018، تضخم العجز التجاري الأميركي مع الصين إلى أكثر من 400 مليار دولار سنويا، ارتفاعا من 83 مليار دولار في عام 2001. وفي الوقت نفسه، أجبرت الصين الشركات الأميركية على الكشف عن أسرارها التجارية والتكنولوجية كشرط مسبق لممارسة الأعمال التجارية في الصين. وفي الواقع، كانت الصين تسرق أفضل تقنياتنا وتحولها ضدنا.

بحلول نهاية عام 2018، كانت مواجهة ترامب مع الصين قد تقدمتفي عامي 2018 و2019، فرضت الولايات المتحدة تعريفات جمركية على نحو 96% من إجمالي الواردات الصينية. وقد أدى هذا إلى جمع ما يقرب من 40 مليار دولار من الإيرادات للحكومة الأميركية. وافترضت الحكمة السائدة أن حربا تجارية يقودها ترمب بين أكبر اقتصادين في العالم من شأنها أن تدمر الأسواق الأميركية وتهدد بالركود العالمي. لكن ترمب لم يصدق ذلك. فكلما فرض تعريفات جمركية جديدة، كانت الأسواق تتقلب لبضعة أيام، لكن الهلاك لم يأت أبدا، على الرغم من التوقعات المخيفة التي أطلقها خبراء الاقتصاد التقليديون. وحتى أشد كارهي ترمب أعجبوا بشجاعته في خوض معركة تجاهلها أسلافه.

بعد أن أخبر ترامب الرئيس شي في ديسمبر 2018 أنني سأساعدفي محاولة للتوصل إلى اتفاق تجاري بين الولايات المتحدة والصين، اجتمعت مع فريقنا. كنت أعلم أن لايتيزر ووزير الخزانة ستيفن منوشين يتمتعان بالخبرة الفنية اللازمة لإتمام الصفقة، لذا طلبت منهما أن يخبراني كيف يمكنني أن أكون مفيدًا في مفاوضاتهما الجارية. وبسبب حذرهم من لايتيزر، فضل الصينيون العمل مع منوشين، صانع الصفقات البراجماتي والموهوب الذي لم يبذل أي محاولة لإخفاء رغبته في وجود أسواق اقتصادية قوية ومستقرة. بدأ الصينيون في التحدث حصريًا تقريبًا مع منوشين، محاولين تجاوز لايتيزر تمامًا.

لا شيء يمكن أن يغير حقيقة أن لايتيزر كان المفاوض الرئيسي للولايات المتحدة بشأن التجارة. لقد اكتسب احترام الرئيس وثقته. بعد أن رأيت فعالية لايتيزر في مفاوضاتنا مع كندا والمكسيك، كنت مقتنعًا بأن الصينيين بحاجة إلى معاملته على قدم المساواة مع منوشين للتوصل إلى اتفاق. بناءً على طلب لايتيزر ومنوشين، اتصلت بجون ثورنتون، الرئيس السابق لغولدمان ساكس، وأخبرته أن لايتهايزر كان مفاوضًا تجاريًا.

كان ساكس هو الذي ساعد شركة تشاينا تيليكوم في عام 1997 على إدراجها كشركة عامة في صفقة رائدة. وكان ثورنتون أحد القنوات الخلفية للصين في التعامل مع الإدارة، وقد وجدته مدروساً وبناءً.

"لقد فشل الصينيون في تحقيق أي تقدم، وذلك لأنهم ما زالوا يحاولون ممارسة اللعبة وفقًا لشروطهم"، قلت. "ربما نجح هذا معهم في الماضي، لكنه لن ينجح في عهد ترامب. إنهم بحاجة إلى معرفة أنهم لن يحصلوا على صفقة أبدًا إذا لم يمروا عبر لايتيزر. يرجى إبلاغهم بأنه معقول، والأهم من ذلك، أنه يتمتع بثقة الرئيس الكاملة. سأعمل معه للحفاظ على الأمور على المسار الصحيح إذا شاركوا".

طوال عام 2019، فرضت الولايات المتحدة والصين رسومًا جمركية على سلعة واحدة.في عام 2011، كان ترامب يضغط على الصين، وشعرت الدولتان بالألم. انخفض معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي في الصين إلى أدنى مستوى له في ثلاثين عامًا. في الولايات المتحدة، شهد المزارعون ومربي الماشية إغلاق سوق تصدير مهمة. ولأنه لا يريد معاقبة المزارعين الأمريكيين على عناد الصين، وجه ترامب وزير الزراعة سوني بيردو لإيجاد طريقة لتوفير الإغاثة. من خلال برنامج غامض يعود إلى عصر الكساد، أعاد ترامب توجيه الإيرادات من عشرات المليارات من الدولارات التي كانت الولايات المتحدة تجمعها الآن من الرسوم الجمركية على الصين إلى المزارعين ومربي الماشية الأمريكيين. عززت هذه الضربة الإدارية الرئيسية المزارعين ومنحت ترامب النفوذ والقوة اللازمة للصمود في المعركة، والتي كان يعتقد أنها تضر بالصين أكثر بكثير من الولايات المتحدة. ما لم يتحول الوضع إلى مأساوي، كنت أعلم أن ترامب من غير المرجح أن يستسلم.

بحلول شهر سبتمبر/أيلول، تراجع الصينيون عن موقفهم. فقد أشاروا إلى استعدادهم لشراءكانت هذه طريقة ذكية لإظهار جديتهم. لم تعد الكلمات مهمة: كدليل على أنهم لا يخدعوننا، كنا بحاجة إليهم لتوقيع أوامر الشراء والبدء في شحن الحاويات. اقترب لايتيزر ومنوشين من إبرام صفقة من شأنها أن تلزم الصينيين بشراء ما يصل إلى 50 مليار دولار من المنتجات الزراعية سنويًا، وهو ضعف الكمية التي اشتروها من الولايات المتحدة على الإطلاق. عندما وصف ترامب حجم هذه المشتريات لجماعات الضغط من المزارعين، قالوا إنهم غير متأكدين من أن المزارعين الأميركيين قادرون على إنتاج هذا القدر من المنتج لبيعه للصينيين.

أجاب ترامب: "اشترِ جرارات أكبر!". "لقد تمسك المزارعون بـ"سأدعمهم في هذه المعركة، وسأحرص على خروجهم منها أقوى".

كما عزز الاتفاق حماية الملكية الفكرية ومنع الصينيين من إجبار الشركات الأميركية على الكشف عن أسرارها التجارية وتقنياتها. وللمرة الأولى في التاريخ، وافقت الصين على آلية إنفاذ من شأنها أن تحاسبها. وإذا انتهكت الاتفاق، فسوف تدخل التعريفات الجمركية حيز التنفيذ لتعويض الضرر الاقتصادي. وكان هذا تنازلا غير مسبوق من جانب الصينيين.

في مقابل هذه الالتزامات، طلبت الصين من الولايات المتحدة إلغاء بعض التعريفات الجمركية وخفض أخرى. واختلف لايتهايزر ومنوشين حول بعض التفاصيل: أراد منوشين رفع المزيد من التعريفات الجمركية أكثر مما كان لايتهايزر يعتقد أنه ضروري. لذا، اتفقنا على لقاء مع الرئيس. وكان من المقرر أن يقرر ترامب كيفية إدارة المرحلة النهائية من المفاوضات وضمان فوز ساحق.

في مساء أحد أيام السبت في أكتوبر/تشرين الأول، انضمت أنا وإيفانكا إلى منوشين وروس ولايتهايزر وبيردو ونافارو وكودلو في المقر التنفيذي لتناول العشاء. وقد عرض منوشين ولايتهايزر وجهة نظرهما. وكان ترامب مرتاحًا وسعيدًا بوجود اتفاق في الأفق. ولأنه شعر أن الصين تريد إبرام صفقة، اختار اقتراح لايتهايزر الأكثر عدوانية. وبعد انتهاء العشاء، دعا الفريق لمشاهدة فيلم "جوكر" في دار السينما بالبيت الأبيض، لكن إيفانكا وأنا قررنا العودة إلى أطفالنا. وعندما خرجنا، أخذني لايتهايزر جانبًا وسألني عما إذا كان بإمكاني توصيل اقتراحنا إلى الصينيين من خلال قناتنا الخلفية حتى يعرفوا بالضبط ما هو مطلوب لإتمام الصفقة.

اتصلت بثورنتون، الذي وافق على نقل الرسالة إلى الصينيين، لكنه أوصى أيضًا بالاتصال بالسفير الصيني كوي تيانكاي لتوصيل موقفنا عبر قناة رسمية.

وبما أنني كنت أعلم أن مكالمتي مع كوي سوف تخضع للتحليل في الصين، فقد تحدثت بتأن شديد. وعندما شرحت للسفير الشروط في البداية، تردد في الحديث. وقال إن الصين تريد المزيد من خفض التعريفات الجمركية.

"لا تفكر من حيث النسبة المئوية"، قلت. "فكر من حيث ما سيحدث إذا لم تبرم صفقة. أنا واثق إلى حد ما من أن ترامب سيبرم الصفقة التي حددتها للتو، لكن هذا قد يتغير إذا تأخرت. إذا قلت نعم، فسوف تتوقف هذه الحرب التجارية وتخلق مساحة للجولة التالية من المفاوضات. إذا لم تقبل هذا، فمن المرجح أن يصعد ترامب. أخبرني والدي ذات مرة أنه لم يبع له أحد مبنى أبدًا لأنهم أحبوا ربطة عنقه - لقد باعوه له لأنه دفع أعلى سعر.

"السعر. هذا هو السعر الذي يتعين عليك دفعه لإبرام هذه الصفقة وتجنب زيادة أخرى في التعريفات الجمركية. ورغم أن هذا السعر غير مريح، فإنك ستنظر إلى الوراء وتشعر بالسعادة لأنك فعلت ذلك."

بدا أن عدم مرونتي قد وصل إلى السفير. فقد أكد لي أنه سينقل رسالتي إلى بكين وأنهم سيبدأون صياغة عرض رسمي.

* * *

ومع تقدم هذه المحادثات التجارية مع الصين، كان علي أن أواجه مشكلة شخصية غير متوقعة ومخيفة. ففي صباح اليوم الذي سافرت فيه إلى تكساس لحضور افتتاح مصنع لويس فيتون، سحبني طبيب البيت الأبيض شون كونلي إلى المقصورة الطبية على متن الطائرة الرئاسية. وقال لي: "لقد جاءت نتائج فحوصك من والتر ريد. يبدو أنك مصاب بالسرطان. نحتاج إلى تحديد موعد لعملية جراحية على الفور".

قبل أن يتمكن من قول المزيد، وضعت يدي على كتفه وقلت له: "اسمع يا دكتور، دعنا نتظاهر بأنك لم تقل هذا للتو ونمر بالأربع والعشرين ساعة القادمة. تعال إلى مكتبي غدًا صباحًا. من فضلك لا تخبر أحدًا - وخاصة زوجتي أو والد زوجتي".

في صباح اليوم التالي، أخبرت إيفانكا بما أعرفه. وبكل ما أستطيع من الثقة، أخبرتها ألا تقلق. أياً كان الأمر، فسوف نجد طريقة للتعامل معه. انضمت إليّ في الاجتماع مع الدكتور كونلي، وكذلك فعل آفي. عرضت إيفانكا وآفي بلطف العثور على أفضل أخصائي في البلاد. وخلص الدكتور توماس فاهي من مستشفى نيويورك-بريسبتيريان إلى أنني بحاجة إلى عملية جراحية لإزالة نمو غير عادي في الغدة الدرقية، وحددنا موعد العملية يوم الجمعة قبل عيد الشكر. وبهذه الطريقة، سأغيب عن المكتب أقل قدر ممكن. وقد يمر غيابي دون أن يلاحظه أحد. هكذا أردت الأمر. كانت هذه مشكلة شخصية وليست للاستهلاك العام. باستثناء إيفانكا وآفي وكاسيدي ومولفاني، لم أخبر أحداً في البيت الأبيض - بما في ذلك الرئيس.

لقد انغمست في عملي وحاولت ألا أفكر في الجراحة القادمة أو النمو غير المرغوب فيه في جسدي. وعندما فكرت في الأمر، ذكّرت نفسي بأن الأمر في أيدي الله والأطباء، وأن كل ما حدث كان خارج سيطرتي. وفي بعض الأحيان، وجدت نفسي أتساءل عما إذا كنت سأحتاج إلى علاج مكثف.

لقد كنت أفكر في العديد من الأشياء البسيطة التي كنت أعتبرها أمراً مسلماً به والتي حذرني الطبيب من أنها قد تكون مختلفة ـ أو حتى تختفي. وفي كل ليلة، قبل أن أخلد إلى النوم، كنت أقضي بضع لحظات إضافية في غرف أطفالي. كنت أشاهدهم وهم نائمون بلا هموم في العالم. وشعرت بالذنب لأنني كنت مشتتة الذهن وغايبة عن الوعي طيلة السنوات القليلة الماضية. كنت دائماً في العمل أو أستقبل مكالمات هاتفية عندما كانوا يريدون قضاء الوقت مع والدهم. وكنت أفتقد المسرحيات والأحداث الرياضية. وكنت قد وعدت نفسي بأنني سأعوض الوقت الضائع عندما تنتهي خدمتي في البيت الأبيض. والآن أصبحت مضطرة إلى مواجهة احتمال أن ينتهي وقتي. وكنت أدعو الله أن تنجح الجراحة.

في اليوم السابق للجراحة، اتصل بي ترامب إلى المكتب البيضاوي ووأشار لفريقه بإغلاق الباب. "هل أنت متوترة بشأن العملية الجراحية؟" سأل.كيف عرفت ذلك؟

"أنا الرئيس"، قال. "أعرف كل شيء. أتفهم أنك تريد أن تبقي هذه الأمور سرية. أنا أيضًا أحب أن أبقي مثل هذه الأمور لنفسي. ستكون بخير. لا تقلق بشأن أي شيء يتعلق بالعمل. لدينا كل شيء هنا."

لم أكن أريده أن يعرف ذلك لأنني شعرت أنه لا يحتاج إلى مشكلة أخرى للقلق بشأنها، لكنني الآن سعيد لأنه فعل ذلك. في البيت الأبيض، حاولت أن أسانده. والآن أصبح في مأمن مني، وأنا ممتن لذلك.

وبفضل مهارة الدكتور فاهي، سارت العملية على ما يرام. فقد أزال جزءاً كبيراً من الغدة الدرقية. وعندما استيقظت بعد عدة ساعات، كان الدكتور فاهي يقف بجانبي. فقلت له: "من فضلك أخبر زوجتي أنني بخير". وبعد بضعة أيام وصلت نتائج الخزعة، وكشفت أن العقدة كانت سرطانية بالفعل. والحمد لله أننا اكتشفناها مبكراً. وقبل الجراحة، حذرني الأطباء من أن الإجراء قد يغير صوتي، وقد يستغرق الأمر أسابيع أو أشهراً للعودة إلى حالتي الطبيعية. ولحسن الحظ، كان التأثير ضئيلاً. وبعد عدة ساعات، بينما كنت لا أزال في المستشفى أتعافى، تلقيت مكالمة هاتفية من ثورنتون. وكان الصينيون على استعداد لتقديم عرض رسمي بناءً على اقتراحنا.

لقد ناقشنا بعض التفاصيل، بما في ذلك مقدار الإعفاء الذي ستحصل عليه الصين من الرسوم الجمركية. لقد اقترحت حلاً وسطًا أقرب إلى موقف لايتيزر منه إلى موقف منوشين، وقلت إنه إذا وافقت الصين على ذلك، فسوف يكون هناك المزيد من الإعفاءات.سأذهب بهذا الأمر مباشرة إلى الرئيس.

بعد أن أنهيت المكالمة مع ثورنتون مباشرة، قمت بتشغيل هاتفي الآمن، الذي كنت أحمله في حقيبة خاصة محكمة الغلق. ثم اتصلت بلايثيزر وأخبرته بما حدث.

"هذا قريب جدًا مما أردناه"، قال. "إذا فعلوا ذلك حقًا"هذا العرض سيكون صفقة رائعة."

كان الصينيون قد وافقوا على ما أصبح يُعرف قريبًا باسم "المرحلة الأولى" من الاتفاق التجاري، وهو انتصار هائل للولايات المتحدة. لمنع الرئيس ترامب من زيادة التعريفات الجمركية، وافقت الصين على سلسلة غير مسبوقة من التنازلات التجارية. لقد وافقوا على إبقاء التعريفات الجمركية الحالية البالغة 250 مليار دولار على الواردات الصينية كما هي، دون اتخاذ المزيد من الإجراءات الانتقامية. أدى هذا إلى إعادة ضبط العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة والصين تمامًا، ورفع تكلفة وارداتها، مع حماية العمال الأمريكيين وتحقيق عشرات المليارات من الدولارات في الإيرادات السنوية للحكومة الفيدرالية. من خلال المرحلة الأولى، وافق الصينيون على إجراء تغييرات منهجية في معاملتهم للملكية الفكرية وفي قطاعي الخدمات الزراعية والمالية، وموازنة المنافسة بين الشركات الأمريكية والصينية. كما وافقوا على إجراء مشتريات كبيرة من المنتجات الزراعية الأمريكية. أخيرًا، أصبح الاتفاق قابلاً للتنفيذ: إذا فشلت الصين في المتابعة، يمكن للولايات المتحدة فرض عقوبات - وربما تعريفات جمركية. كان هذا وحده بمثابة اختراق كبير للولايات المتحدة.

وبسبب انبهاري بهذه التطورات، اتصلت بالرئيس.

قال ترامب "هذا رائع، قم بإنجازه".

وأخيرا، اتصلت بالسفير كوي وأخبرته بالخبر.

كان من المفترض أن تكون هذه مكالمتي الأخيرة في المستشفى: دخلت إيفانكا الغرفة، وأعطتني قبلة، وأخذت مني هواتفي الثلاثة.

{38}

سليماني

في الثاني من يناير/كانون الثاني 2020، عندما التقى ترامب بفريق حملته في مار آ لاغو، دخل مستشار الأمن القومي روبرت أوبراين الغرفة. كان ترامب قد استأجر مؤخرًا رجل الرهائن الناجح المفاوض وخبير السياسة الخارجية ليحل محل بولتون.

"السيد الرئيس، لقد حان الوقت"، قال أوبراين.

وقف ترامب وبدأ يتبع أوبراين خارج الغرفة. قبل

خرج، استدار.

"انتظروا هنا يا رفاق، سأعود."

كنا في غرفة صغيرة ذات إضاءة خافتة بالقرب من المكتبة في مار آ لاغو.وقد أطلق على الغرفة اسم "غرفة القرود" بسبب النقوش المعقدة على جدرانها، وكانت تفيض بأجواء كلاسيكية تعود إلى عشرينيات القرن العشرين، عندما تم بناء المنتجع. وكان ترامب يراجع الخيارات المتاحة لإعلان تلفزيوني يذاع خلال مباراة السوبر بول، والذي من المتوقع أن يصل إلى ما يقدر بنحو 80% من الناخبين. وكنت أنا وبراد بارسكال ولاري ويتزنر ودان سكافينو نستعرض الإعلانين معه عندما جاء أوبراين.

"لا أتوقع عودته قريبا"، قلت بعد أن غادر ترامب.

أثناء تناول المشروبات في الليلة السابقة، اقترح السيناتور ليندسي غراهام أن هناك شيئًا كبيرًا في الأفق: "ما يفكر فيه رئيس الولايات المتحدة"قال بطريقة غامضة: "إن القيام بما هو قادم في الغد هو شجاعة. إنه أمر محفوف بالمخاطر، لكنه سوف يغير قواعد اللعبة". لقد أثار تعليق جراهام فضولي، لكنني لم أكن على دراية بما هو على وشك الحدوث.

وبينما مرت الدقائق، نظر الآخرون حولهم بقلق، متسائلين-

كم من الوقت يجب أن ينتظروا وما إذا كان الرئيس سوف-لا أريد العودة على الإطلاق. أسرع مما كنت أتوقع، عاد الرئيس إلى غرفة القرد.

"هل يمكنك أن تلعب دور أليس جونسون مرة أخرى؟" سأل.

وبينما استأنفنا مناقشتنا، لاحظت أن سكافينو كان يتصفح موقع تويتر. كان يعرف بالضبط أي الصحفيين يجب أن يتابعهم للحصول على الأخبار العاجلة حول العالم، وكان كثيراً ما يسلط الضوء على الأحداث الدولية للرئيس وكبار الموظفين قبل وقت طويل من تلقينا معلومات استخباراتية من مسؤولين في وكالة الاستخبارات المركزية أو غيرهم من الجهات الأخرى. مرت عشر دقائق، ثم تحدث سكافينو.

"هناك صور لانفجار في العراق. يقول الناس إنه حدث بواسطة"المطار."

"دان"، قال الرئيس، "تابع ذلك عن كثب وأخبرني إذا كان هناك أي شيء"يظهر شيء مثير للاهتمام."

ومرت خمس دقائق أخرى.

"يجب عليكم جميعًا رؤية هذا!" قال سكافينو.

كان أحد الصحافيين في إيران قد نشر على تويتر صورة ليد مقطوعة مغطاة بالرماد ومزينة بخاتم به حجر كبير أحمر اللون.48 وإلى جانب هذه الصورة، للمقارنة، كانت هناك صورة حديثة للجنرال الإيراني الأعلى قاسم سليماني وهو يمسد لحيته. وكان يرتدي على يده نفس الخاتم بالضبط.

ومع انتشار الأخبار، ظل ترامب منخرطا في مناقشتنا بهدوء.كان الأمر وكأن شيئا غير عادي لم يحدث. كانت هذه واحدة من السمات التي أعجبت بها أكثر من غيرها في ترامب. كان يركز بنسبة مائة بالمائة على المهمة المطروحة. وكلما ارتفعت المخاطر، أصبح أكثر هدوءا وانخراطا. افترض العديد من منتقديه أنه متقلب وغير منضبط، وخاصة بسبب تغريداته. هذا التصور غاب عنه شيء أساسي عن الرئيس: عندما يتخذ قرارات السياسة الخارجية المهمة، كان حذرا ومتعمدا. كان يدرك دائما خطورة اللحظة، ولم يكن يريد أبدا تعريض حياة الأميركيين للخطر إذا كان بإمكانه تجنب ذلك.

سرعان ما علم العالم أن ترامب أمر بالضربة التي قتلت الإرهابي الأبرز في العالم، الجنرال قاسم سليماني من إيران. إذا تم رفع العقوبات، فإن ترامب سيتخذ إجراءات أخرى.كان الزعيم آية الله خامنئي رأس إيران، ثم أصبح سليماني قبضتها المشدودة. كان قائد قوة القدس الإيرانية، وهي وحدة النخبة المكونة من عشرين ألف جندي والتي عملت سراً على زعزعة استقرار الشرق الأوسط.

كان سليماني يتولى مهمة إمداد أميركا بالأسلحة إلى الشرق الأوسط من خلال وكلاء إيران الإرهابيين. وكان سليماني قد زود أعداء أميركا بالقنابل التي استخدمها أعداء أميركا لقتل وتشويه آلاف الجنود الأميركيين في العراق وأفغانستان. وفي سوريا، أعطى الدكتاتور بشار الأسد سليماني حرية التصرف في قيادة الميليشيات التي كان لديها القدرة على الوصول إلى حدود سوريا مع إسرائيل ولبنان والعراق.

ومع إحكام سليماني قبضة عسكريا على المنطقة، ارتفعت شعبيته في إيران وشهرته في مختلف أنحاء الشرق الأوسط إلى مستويات غير مسبوقة.في عام 2017، كتب المحلل السابق في وكالة المخابرات المركزية كينيث بولاك نبذة عن سليماني في قائمة مجلة تايم لأكثر 100 شخصية تأثيراً في العالم: "بالنسبة للشيعة في الشرق الأوسط، فهو بمثابة جيمس بوند، وإروين روميل، وليدي غاغا في شخص واحد".

في الأشهر التي سبقت ضربة الرئيس، صعّد الإيرانيون هجماتهم ضد أمريكا وحلفائنا في الشرق الأوسط. في 20 يونيو، أسقط الإيرانيون طائرة أمريكية بدون طيار كانت تحلق في المجال الجوي الدولي فوق مضيق هرمز. وافق ترامب في البداية على ضربة انتقامية، لكنه تراجع عن مساره قبل دقائق فقط من تنفيذها. غرد عن قراره: "كنا مستعدين للرد الليلة الماضية على 3 مواقع مختلفة عندما سألت، كم عدد الذين سيموتون. 150 شخصًا، سيدي، كانت إجابة أحد الجنرالات. قبل 10 دقائق من الضربة أوقفتها. لا يتناسب مع إسقاط طائرة بدون طيار. أنا لست في عجلة من أمري ".

في 27 ديسمبر/كانون الأول، أطلقت الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران عدة صواريخ علىلقد كان من الواضح أن ترامب كان على حق عندما هاجم قاعدة جوية عراقية أمريكية مشتركة، مما أسفر عن مقتل متعاقد عسكري أمريكي وإصابة أربعة جنود أمريكيين. لقد قرر الرئيس أنه أظهر ضبط النفس لفترة كافية. لقد كان يعلم أن القضاء على سليماني من شأنه أن يقلل من القدرة العسكرية الإيرانية ويرسل أقوى رسالة ممكنة مفادها أنه لن يكون هناك ملاذ آمن لأولئك الذين يهدفون إلى قتل الأمريكيين.

في الثاني من يناير/كانون الثاني، أمر ترامب بشن الضربة. وكان سليماني قد هبط في مطار بغداد الدولي، على بعد اثني عشر ميلاً فقط من السفارة الأميركية، دون أن يدرك أنه لم يتبق له سوى لحظات ليعيشها. فصعد إلى سيارة سيدان وغادر المطار. وفي مفارقة غير عادية للقدر، انضم إليه راكب غير متوقع: أبو مهدي المهندس، أحد أخطر العقول المدبرة الإرهابية في العالم، ولكن يبدو أنه لا يمكن المساس به.

لسنوات، كان المهندس على رأس قائمة الأهداف الأمريكية. في عام 1983، دبر تفجير السفارتين الأمريكية والفرنسية في الكويت، مما أسفر عن مقتل خمسة مدنيين، قبل أن يفر إلى إيران ويطور علاقة وثيقة مع سليماني، الذي كان يؤسس فيلق القدس. في عام 2003، نقل عملياته إلى العراق، حيث أنشأ شبكة متطورة من الإرهابيين المدربين تدريباً عالياً والمعروفين باسم لواء حزب الله، والذي قتل مئات الجنود الأمريكيين. ربما تكون الولايات المتحدة قد قتلت المهندس قبل سنوات، ولكن في عام 2014 تم تعيينه في منصب رسمي داخل الحكومة العراقية، ولم ترغب الولايات المتحدة في الإضرار بعلاقتها مع العراق أثناء تعاملها مع التقلبات في المنطقة. ومع ذلك، عندما وضع نفسه في تلك المركبة مع سليماني، وقع المهندس دون علمه على حكم إعدامه.

بينما كان القاتلان وحاشيتهما يسافرون عبر طريق الوصول إلى المطار في طريق سريع كان به حركة مرور خفيفة، أطلقت طائرة بدون طيار من طراز ريبر صاروخ هيلفاير. ومن غير المرجح أن يكون سليماني أو المهندس قد سمعا صوت صفير الصاروخ لأكثر من ثانيتين قبل أن يتركهما في كومة من الرماد والصلب على طريق الوصول إلى المطار. لقد ماتا على الفور.

كان سليماني هدفًا خطيرًا، وكان نفوذه العسكري في المنطقةكان مقتل سليماني نتيجة لعلاقة وثيقة مع آية الله، مما يعني أن قتله قد يؤدي إلى حرب. وقد أدرك القادة العسكريون الذين خدموا في الشرق الأوسط العواقب المترتبة على ذلك. وقال الجنرال ديفيد بترايوس في برنامج الإذاعة العامة "العالم": "من المستحيل المبالغة في أهمية هذا الإجراء". "هذا أكثر أهمية بكثير من مقتل أسامة بن لادن. بل إنه أكثر أهمية من مقتل البغدادي"، زعيم داعش الذي قتله الجيش بتوجيه من ترامب قبل عدة أشهر.

وبينما كان العالم يتفاعل مع قرار الرئيس، تناول ترامب العشاء مع زعيم الأقلية في مجلس النواب كيفن مكارثي في الفناء في مار إيه لاغو. وجلست على طاولة قريبة مع جراهام وسكافينو وأوبراين وزوجته لو ماري. وخلال العشاء، ظل أوبراين يعتذر ويختفي في منشأة سرية للغاية لتلقي المكالمات الهاتفية. وعندما عاد أوبراين إلى الطاولة بعد إحدى مكالماته، سألته عما إذا كان يعد بيانًا للرئيس. وبصرف النظر عن نشر صورة لعلم أمريكي على تويتر بعد وقت قصير من الضربة، امتنع الرئيس عن التعليق علنًا. اعتقدت أن ترامب بحاجة إلى إرسال رسالة واضحة وقوية حول أسبابه للضربة والعواقب التي قد تترتب على إيران.

ولكن ما أثار دهشتي هو أن أوبراين قال إنه ووزير الخارجية مايك بومبيو شعرا بأن الضربة يجب أن تتحدث عن نفسها.

في صباح اليوم التالي، الثالث من يناير/كانون الثاني، قمت بزيارة نادرة إلى غرفة نوم ترامب. سألني عن كيفية بث الأخبار، فقلت له إنها كانت تبث على نطاق واسع.لقد أثار هذا الهجوم اهتمام الصحافة، وأن العديد من زعماء العالم اتصلوا بأوبراين للتعبير عن تقديرهم للخطوة الجريئة، لكنهم كانوا يخشون التصريح بذلك علناً. وعندما سألته عما إذا كان سيصدر بياناً، قال ترامب إن بومبيو نصح بعدم القيام بذلك لأنه من شأنه أن يلفت الانتباه غير المرغوب فيه إلى الضربة ويؤدي إلى تصعيد الموقف.
قلت: "لقد أبحرت تلك السفينة، وهذا الأمر يهيمن على الأخبار".

قبل ثلاث سنوات، عندما أمر الرئيس بشن هجوم على سوريا، كنت قد احتفظت بأفكاري لنفسي في الغالب لأنني لم أكن واثقاً من وجهة نظري. ولكن الآن أصبحت أعرف المزيد عن المنطقة. وهذه المرة كانت لدي قناعة قوية، وكانت المخاطر أعلى.

"لقد تعهدت إيران بالرد"، قلت. "لقد قصدت شخصًا واحدًا فقط - آية الله خامنئي. يجب أن يعلم أنه إذا قتل الإيرانيون أمريكيًا واحدًا، فسوف تطلق العنان للغضب. في الوقت الحالي، ربما يجلس في نسخته من غرفة العمليات مع كبار خبرائه، ويناقش الخيارات. من المهم أن تشرح أن هذه لم تكن ضربة استباقية - بل كانت انتقامًا لجميع عمليات القتل والتشويه للجنود الأمريكيين التي تسبب فيها سليماني. إذا لم تدلي ببيان، فسنكون معرضين لخطر أكبر من قيام إيران بضرب القوات الأمريكية في المنطقة ".

فكر ترامب لدقيقة، ثم طلب مني أن أجمع مجموعة من الملاحظات. وبينما كنت أعمل مع فريق كتابة الخطب، اتصل بومبيو بالرئيس للاطمئنان عليه، فأخبره ترامب أنه يفكر الآن في الإدلاء ببيان عام وطلب من الوزير مناقشة الأمر معي. وعندما تحدثنا، أبدى بومبيو في البداية مقاومة وانزعاجًا بعض الشيء. ومن الإنصاف أن نقول إن وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ووكالات الاستخبارات ومجلس الأمن القومي قد وضعت خطة شاملة لجميع جوانب ضربة سليماني، وكان الإجماع على التوصية بعدم الإدلاء بتصريحات رئاسية.

وبحلول نهاية مناقشتنا، تراجع بومبيو عن موقفه قائلا: "هناك احتمال بنسبة خمسين في المائة أن تكون استراتيجيتك صحيحة".

"أرجو أن ترسل لي الملاحظات"، قلت. "انظر إذا أعجبتك، وأخبرني إذا كان لديك أي تعديلات."

وبعد بضع دقائق، اتصل بومبيو مرة أخرى وقال: "ليس لدي أي مشكلة مع هذه التصريحات. أرى ما تحاولون القيام به هنا. إذا كان الرئيس سيقول شيئًا، فهذا هو الشيء الصحيح الذي يجب قوله".

اتصلت بالرئيس وأطلعته على محادثتي مع بومبيو.

"أريد أن ألقي الخطاب اليوم"، قال.

بعد الساعة الثالثة مساءً بقليل، قبل أن ينطلق على متن طائرة مارين ون لحضور حدث في كنيسة في ميامي لإطلاق واحدة من أهم حملاتهفي إطار التحالفات الإنجيلية المؤيدة لترامب، دخل الرئيس إلى غرفة المؤتمرات الصحفية المؤقتة في مارالاغو وتحدث إلى الأمة.

"بصفتي رئيسًا، فإن واجبي الأسمى والأهم هو الدفاع عن حقوقنا."الأمة ومواطنيها. الليلة الماضية، بتوجيهاتي، نفذ الجيش الأمريكي بنجاح ضربة دقيقة لا تشوبها شائبة قتلت الإرهابي رقم واحد في أي مكان في العالم، قاسم سليماني. . . . تحت قيادتي، فإن سياسة أمريكا لا لبس فيها: بالنسبة للإرهابيين الذين يؤذون أو ينوون إيذاء أي أمريكي، سنجدكم؛ سنقضي عليكم. سنحمي دائمًا دبلوماسيينا وأفراد خدمتنا وجميع الأمريكيين وحلفائنا لقد اتخذنا إجراءً الليلة الماضية لوقف الحرب.

ولم نتخذ أي إجراء لبدء الحرب.

في يوم الأحد الخامس من يناير/كانون الثاني، بينما كنت أمارس الجري مع إيفانكا، اتصل بي رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون. وقال: "لقد تقدمت بطلب رسمي للتحدث إلى الرئيس، لكنني لم أتلق ردًا بعد. لقد سُئلت عن مقتل سليماني، وأود التحدث مع الرئيس قبل الإدلاء ببيان عام".

لقد كانت علاقتي بجونسون ودية منذ انتقال السلطة في عام 2016، عندما كان وزيراً للخارجية وجاء لمقابلتي في مدينة نيويورك.لقد بقيت على اتصال معه بعد استقالته من الحكومة في يوليو 2018 واستمرت صداقتنا عندما عاد إلى الحكومة وأصبح رئيسًا للوزراء. لقد وجدته دائمًا متاحًا ومنخرطًا وخياليًا.

اتصلت على الفور بالمساعد العسكري للرئيس، الذي سلمني

اتصلت هاتفيا بترامب. عندما أخبرته أن بوريس جونسون طلب مني إجراء مكالمة هاتفية،

في مكالمة هاتفية، شعر بالإحباط لأن أحداً لم يخبره بذلك وطلب التحدث إلى رئيس الوزراء على الفور. سارت المحادثة بشكل جيد، وأصدر جونسون بيانًا داعمًا: "نظرًا للدور القيادي الذي لعبه [سليماني] في الأعمال التي أدت إلى مقتل الآلاف من المدنيين الأبرياء والموظفين الغربيين، فلن نأسف على وفاته".

لقد كانت رسالة جونسون الإيجابية متناقضة مع ردود الفعل الفاترة من جانب زعماء أوروبيين آخرين، انتقد بعضهم الضربة. لقد كان هؤلاء الزعماء على علم بأن سليماني كان مهندس الفوضى والقمع والإرهاب، لكنهم كانوا خائفين للغاية من الاعتراف علناً بأن ترامب اتخذ المسار الصحيح.

وفي طهران دعا آية الله خامنئي إلى الحداد لمدة ثلاثة أيام.لقد بكى الرئيس الأمريكي دونالد ترامب علانية في جنازة سليماني، وتوعد بـ"الانتقام الشديد" من الولايات المتحدة. وعندما رأى ترامب هذا التهديد، أطلق تحذيرًا عبر تويتر: "ليكن هذا بمثابة تحذير بأنه إذا هاجمت إيران أي أمريكيين أو أصول أمريكية، فقد استهدفنا 52 موقعًا إيرانيًا (تمثل الرهائن الأمريكيين الـ 52 الذين احتجزتهم إيران منذ سنوات عديدة)، بعضها على مستوى عالٍ جدًا ومهم لإيران والثقافة الإيرانية، وهذه الأهداف، وإيران نفسها، ستتعرض لضربة سريعة جدًا وقوية جدًا. الولايات المتحدة لا تريد المزيد من التهديدات! لقد هاجمونا، ورددنا".

لقد تناقضت تصريحات ترامب على تويتر مع تصرفاته الهادئة والهادئة خلف الكواليس. لقد استخدم المنصة لشن معركة نفسية ضد خصومنا ــ وفي مناسبات عديدة، ساعدت تغريداته في تهدئة الصراعات الخارجية.

في مساء السابع من يناير/كانون الثاني، عاد الرئيس إلى البيت الأبيض عندما أفاد أوبراين بأن إيران ضربت منشآت في قاعدتين جويتين عراقيتين تتمركز فيهما قوات أمريكية. كان الجيش لا يزال يقيم الأضرار، لكن المؤشرات الأولية كانت تشير إلى عدم مقتل أي من أفراد الخدمة الأمريكية ـ فقد كانوا مستعدين للهجوم وكانوا محميين في المخابئ وقت الاصطدام. وفي الوقت نفسه، زعمت وسائل الإعلام الإيرانية زوراً أنهم قتلوا العديد من الجنود الأمريكيين. وبعد عدة ساعات، نقل الإيرانيون رسالة عبر وسيط سويسري: إذا انتهينا، فإنهم انتهوا أيضًا.

بعد أسبوع متوتر، كانت هذه لحظة ارتياح. ومن خلال تصريحات ترامب،

لقد كان تحركه قويا وحاسما وغير متوقع، وقد أطاح بملكة إيران.
من على رقعة الشطرنج، ولم يأخذوا حتى بيدقًا واحدًا.

قبل أشهر، كان جو، زوج النجمة الذهبية والمحارب القديم في الجيش الأمريكي،لقد جاء كينت إلى البيت الأبيض وطلب مقابلتي. كانت زوجته، الضابطة الأولى شانون كينت، قد خدمت في البحرية لمدة ستة عشر عامًا قبل أن يقتلها مفجر انتحاري إرهابي في سوريا. لقد تركت وراءها ليس فقط جو بل وأيضًا طفليهما الصغيرين. كان جو ليشعر بالمرارة لرحيل زوجته - لم يكن أحد ليلومه - لكنه اختار بدلاً من ذلك تكريس حياته لتربية ولديه وتكريم إرث زوجته من خلال القتال لمنع حدوث وفيات مثلها في المستقبل. لقد تواصل معي بعد وفاة سليماني وأخبرني أنه عندما كان الرئيس أوباما يحاول التفاوض على الاتفاق الإيراني، كان الجيش يعمل بموجب بروتوكول مفاده أنه إذا ضربت إيران، فلن نرد. كان الإيرانيون يعرفون هذا، واستمروا في إطلاق النار على قواعدنا وعلى الجنود الأمريكيين دون عواقب. قال لي جو: "في كل مرة قتلت فيها إيران أحد أفراد خدمتنا، لم يواجهوا أي عواقب. كنا نجلس هناك وأيدينا مقيدة خلف ظهورنا لسنوات نتعرض للتعذيب من قبل الإيرانيين. وكان سليماني هو العقل المدبر". أخبرني جو عن لقائه بالرئيس في قاعدة دوفر الجوية في أسوأ يوم في حياته ــ اليوم الذي أعيد فيه جثمان زوجته في نعش ملفوف بالعلم. وتذكر أن ترامب نطق باسمه، وهز يده، وصافحه.
يده، وأمسك كتفه.

"أعرب ترامب عن أسفه الشديد لخسارتك"، قال له. "كان شانون
امرأة مذهلة ومحاربة ....نحن محظوظون بوجود أشخاص مثلها
"مستعدون للخروج هناك ومواجهة الشر من أجلنا."

لقد أعطاني جو سوارًا يحمل اسم زوجته ورقم هويتها، وقد احتفظت به على مكتبي حتى اليوم الذي غادرت فيه البيت الأبيض. لقد كان بمثابة تذكير دائم بالرجال والنساء الشجعان الذين يخاطرون بحياتهم على الخطوط الأمامية كل يوم.

{39}

ضربة البنك

نادرًا ما توفر السياسة لحظات مثالية لأي شيء، ولكن بحلول يناير/كانون الثاني 2020، اعتقدت أن الوقت قد حان أخيرًا لإطلاق خطة السلام التي وضعها الرئيس. وإذا انتظرنا لفترة أطول، فقد يختفي

ص

ضجيج الحملة الرئاسية المقبلة.

تطغى على جهودنا.

جلست على كرسي أمام مكتب ريزولوت، برفقة آفي، ومديرة وكالة المخابرات المركزية جينا هاسبيل، ووزير الخارجية مايك بومبيو، ومستشار الأمن القومي روبرت أوبراين. وانضم السفير ديفيد فريدمان إلينا عبر خط مؤتمر آمن. وجلس على الأرائك خلفنا ميك مولفاني ومارك شورت، رئيس موظفي نائب الرئيس.

"نعتقد أن الآن هو الوقت المناسب لإصدار خطتك للسلام"، قلت.كان من المقرر أن يبدأ الاجتماع في الثالث عشر من يناير/كانون الثاني. وعلى مدى أكثر من ساعة، شرحت أنا وفريدمان للرئيس كل جانب من جوانب الخطة ـ الأجزاء التي قد تكون مثيرة للجدل، وردود الفعل المكثفة التي تلقيناها من الزعماء العرب والإسرائيليين، وكيف نتوقع رد فعل كل دولة في المنطقة، وكيف خططنا للرد على الانتقادات المحتملة.

"لقد وافق كل من بيبي وغانتس على تأييد اقتراحك"، قلت، في إشارة إلى رئيس الوزراء نتنياهو ومنافسه السياسي بيني غانتس، وزير الدفاع الإسرائيلي. "هذا فوز كبير، لأنهما منخرطان في حملة سياسية مثيرة للجدال ومختلفان حول كل قضية أخرى تقريبًا، وسوف يُظهِر تأييدهما المشترك موقفًا إسرائيليًا موحدًا".

"فهل وافق الإسرائيليون والفلسطينيون على هذا؟" سأل.

ترامب.

"لا"، قلت. "لقد صممنا الأمر على أساس أن "أنت الرابح، وهم الخاسر"."إذا وافق الفلسطينيون على هذه الخطة كنقطة انطلاق للمفاوضات، فهذا فوز كبير. لقد تركت في الخطة ما يكفي من اللحم على العظم حتى يتمكن الفلسطينيون من الخروج من المفاوضات فائزين. ولكن إذا لم يفعلوا ذلك ــ وهي النتيجة الأكثر ترجيحاً ــ فسوف يرى العالم العربي أن الفلسطينيين غير راغبين حتى في الجلوس إلى طاولة المفاوضات للنظر في خطة تتضمن تسويات حقيقية، بما في ذلك مسار يؤدي إلى إقامة دولة فلسطينية، ومن المرجح أن يصبحوا أكثر انفتاحاً على تطبيع العلاقات مع إسرائيل".

أوضحت أن هذه كانت الخطة الأكثر تفصيلاً على الإطلاق، وكانت المرة الأولى التي وافقت فيها إسرائيل على التفاوض على أساس خريطة مفصلة.كما كانت هذه هي المرة الأولى التي تتعهد فيها إسرائيل بشكل جاد بضمان حصول المسلمين على حق الوصول الدائم إلى المسجد الأقصى. وإذا عارض الفلسطينيون هذه الخطة، فسوف يؤدي ذلك إلى تقريب إسرائيل والدول الإسلامية الأخرى، الأمر الذي من شأنه أن يزيد الضغوط على القادة الفلسطينيين في المستقبل، ويخلق الظروف الملائمة للدول العربية للتطبيع مع إسرائيل.

وقال ترامب "لدي الكثير من القضايا التي تدور الآن، وهذه ليست أولويتي القصوى. لا أريد أن أفعل أي شيء إذا قال عباس لا. حدد موعدًا للمكالمة معه. وسأتمكن من معرفة ذلك من خلال نبرته. وإلا، فلننتظر حتى ننشر الخطة في وقت لاحق ولا نضيع وقتنا".

لقد كانت هذه مفاجأة. فقد أدت رغبة ترامب في طلب موافقة الرئيس الفلسطيني محمود عباس قبل أن ننشر الخطة إلى كبح جماح استراتيجيتنا وقلبها رأساً على عقب. وفي مكتبي، انهار آفي على كرسيه من شدة الغضب. واتصل بي فريدمان في حالة من الذعر.

"لقد انتهى الأمر الآن"، قال السفير. "لن ترى خطتنا النور أبدًا، وكل جهودنا ذهبت سدى". "دعونا نستمروانظر ماذا سيحدث، قلت.

نظر إليّ آفي وكأنني مجنون.

حتى لو فشلت مكالمة الرئيس إلى عباس في إفشال الخطة بطريقة أو بأخرى،كان لا يزال أمامنا العديد من الخطوات التي يتعين علينا إكمالها قبل إصداره. لقد جمعت مصفوفة تضم كل زعيم أجنبي بارز اعتقدت أنه قد يدعم اقتراحنا، أو على الأقل يتخذ موقفًا محايدًا. اجتمعت مع بومبيو وهاسبيل وأوبراين وأفي في وزارة الخارجية لتقسيم البلدان وفقًا لمن لديه أفضل العلاقات، وبدأنا في إجراء المكالمات.

كان رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون على رأس قائمتي. لقد ناقشنا الصراع الإسرائيلي الفلسطيني عدة مرات، منذ انتقال السلطة في عام 2016. حتى أنه أرسل لي رسالة يشاركني فيها بآرائه حول هذه القضية. كتب: "أنا مدرك تمامًا للمسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقك للتوصل إلى اتفاق، وأن الإسرائيليين والفلسطينيين هم الذين سيضطرون في النهاية إلى إظهار الشجاعة للتوصل إلى تسوية. لدي ثقة تامة في أنك ستنجح".

وسأل جونسون عما إذا كان فريقه يستطيع مراجعة نص الخطة. وبصفته مبعوثنا الخاص الجديد للمفاوضات الدولية، سافر آفي إلى لندن للقاء وزير الخارجية البريطاني دومينيك راب وريتشارد مور، وهو موظف حكومي مخلص ارتقى في الرتب وسرعان ما أصبح رئيس جهاز الاستخبارات السرية المعروف باسم MI6. وقد أثبت راب ومور أنهما حليفان جديران بالثقة طوال فترة وجودي في الحكومة، وكانا سعيدين لأن خطتنا تضمنت مسارًا إلى دولة فلسطينية مستقلة.

وفي الوقت نفسه، سافرت مع ترامب إلى دافوس في سويسرا لإلقاء خطابه الثاني أمام المنتدى الاقتصادي العالمي. وبينما كنا نحلق فوق جبال الألب ذات الثلوج البيضاء، استعرض الرئيس مسودة خطابه الرئيسي الذي طال انتظاره.

"ما هذا الهراء بشأن تريليون شجرة؟" سأل.

كان قد عثر على سطر في الخطاب يتعهد بدعم أمريكا لمبادرة زراعة تريليون شجرة على مستوى العالم بحلول عام 2050. كنت أعمل على هذه المبادرة بشكل خاص لعدة أشهر مع الرئيس التنفيذي لشركة Salesforce مارك بينيوف، واعتقدت أنها نهج قائم على العلم لتحسين البيئة دون زيادة القيود التنظيمية المرهقة.

"هل تحاول أن تفرض عليّ المزيد من الأفكار الليبرالية؟" سأل.

"لا، إنها فكرة ذكية"، أجبت. "إنها لا تكلف شيئًا الآن، والمحافظون مثل كيفن مكارثي يحبونها. أنت تقول دائمًا إنك تتفق مع دعاة حماية البيئة في رغبتهم في الحصول على هواء نظيف ومياه نظيفة. لقد تحسنت جودة كل من الهواء والماء في ظل رئاستك، لكنك لا تنسب الفضل إلى أي شخص في هذا الأمر".

"حسنًا، سأترك الأمر كما هو"، قال الرئيس بغضب.

وفي ذلك المساء، حضر ترامب عشاءً نظمته إيفانكا ولاري كودلو معكبار الرؤساء التنفيذيين الدوليين. من الواضح أن ترامب شعر بالارتياح بين

زملائه السابقين. كان رجل أعمال أولاً، ثم سياسيًا ثانيًا،كان أوباما واحداً من هؤلاء القادة، وكان دائماً واحداً منهم. كما لم يفوت أبداً فرصة لتجنيد فرص العمل والتصنيع في الولايات المتحدة، وكان يوجه خطاباً قوياً إلى هؤلاء القادة، ويشيد بمناخ الأعمال المحسن في أميركا والموهبة التي لا مثيل لها لدى العمال الأميركيين.

"هل يمكننا التقاط صورة جماعية؟" سأل أحدهم قبل الحدث

تم الإنتهاء.

وبينما تجمع المسؤولون التنفيذيون حوله، تحدث الرئيس.

"أريد فقط أن أقول: طوال حياتي، كنت أتابعكم. أنتم"إنهم أكبر مني، ولقد احترمتكم جميعًا. لقد رأيتكم على أغلفة المجلات. لقد قرأت عنكم. لقد تعاملت مع بعضكم. عندما أبني مبنى عظيمًا، يقوم شخص آخر ببناء مبنى أكبر. عندما أكسب الكثير من المال، يقوم أحدكم بكسب المزيد من المال. فكرت في نفسي، "لا يمكنني التنافس مع هؤلاء الرجال. ماذا يمكنني أن أفعل ولا يستطيع هؤلاء الرجال فعله؟" لذلك، قررت أن أصبح رئيسًا". انفجرت المجموعة في الضحك، وابتسم ترامب من الأذن إلى الأذن.

لم يأخذ الرئيس نفسه على محمل الجد، ولقد أعجبت بذلك دائمًالقد جعله ذلك أكثر ارتباطًا بالناس مما كان يبدو عليه في كثير من الأحيان عندما كان يتنافس مع الخبراء على شاشة التلفزيون.

في البداية، كنت أخطط للتوقف في المملكة العربية السعودية وإسرائيل من دافوس. كنت آمل أن أعمل مع السعوديين لوضع اللمسات الأخيرة على بيان يحث الإسرائيليين والفلسطينيين على التفاوض على أساس خطتنا للسلام، وكنت بحاجة إلى حل بعض القضايا العالقة مع بيبي وغانتس. وقبل أن نستقل طائرة مارين وان في رحلة تستغرق ثلاثين دقيقة من دافوس إلى مطار زيوريخ، حيث كانت الطائرة الرئاسية تستقلها، أعلن مساعد الرئيس العسكري عن حالة الطقس السيئ. وكان علينا أن نقود السيارة لمدة ثلاث ساعات إلى المطار. وبينما كنا نشق طريقنا عبر جبال الألب على الطرق الضيقة الجليدية، بدأت أعيد النظر في رحلتي إلى الشرق الأوسط. فقد حدث تطور غير متوقع ولكنه محظوظ: فقد تواصلت وكالة المخابرات المركزية مع قوات الأمن الفلسطينية لطلب مكالمة بين عباس وترامب. ومن المدهش أن عباس رفض المكالمة وأبلغنا أنه لن يتحدث إلى ترامب إلا بعد أن ننشر خطة السلام. ولو وافق عباس ببساطة على المكالمة، لكان من المرجح أن يعرقل اقتراحنا.

لقد أصبحنا الآن على بعد ستة أيام فقط من التاريخ الذي كنا نستهدفه للإصدار

الخطة: الثلاثاء 28 يناير. أكد لي فريدمان أنه لا يوجدكان من المقرر أن يسافرا إلى إسرائيل، وكان الزعيمان الإسرائيليان لا يزالان على متن الطائرة.

خلال رحلة إلى القدس في ذلك الأسبوع، التقى نائب الرئيس بنس بكل من بيبي وغانتس وسلمهما دعوات لحضور حفل في البيت الأبيض. بعد التحدث إلى فريدمان، اتصلت بأفي وبريان هوك. اعتقد كلاهما أن البيان السعودي في حالة جيدة وأن مكالمة هاتفية يمكن أن تنهي الأمر. كان المتغير المجهول الأكبر بالنسبة لي هو الرئيس، لذلك قررت إلغاء رحلتي والعودة معه. إذا وافق على إصدار الخطة، أردت أن أكون بالقرب من المكتب البيضاوي في الأيام التالية في حالة حاول شخص ما تغيير رأيه وتعطيل الإطلاق.

وبينما كانت الطائرة الرئاسية ترتفع إلى ارتفاع التحليق في طريقها إلى قاعدة أندروز المشتركة، صعدت إلى مقصورة الرئيس. كان يقرأ الوثائق ويشاهد تغطية المرافعات الافتتاحية من محاكمة عزله في مجلس الشيوخ. ومضت الشاشة بين مشاهد بات سيبولوني وجاي سيكولو وهما يعرضان قضيتهما في قاعة مجلس الشيوخ. قلت له وأنا أضع نسخة مطبوعة لامعة من الاقتراح على مكتبه: "لقد فعلت جينا هاسبيل ما طلبته، وقال عباس إنه من المحتمل أن يوافق على المكالمة بعد إصدار الخطة. إن بيبي وغانتس مستعدان للمجيء إلى واشنطن لدعم هذه الخطة، وقد وافقت العديد من الدول على طرحها". "أطلق تصريحات إيجابية. أعتقد أن الوقت قد حان الآن."

وبعد نقاش مطول، نظر إلي الرئيس أخيراً ووافق.

"أنا أثق بك"، قال. "لن أتدخل في تفاصيلك. يمكن أن تكون إسرائيل ملفًا قابلًا للاشتعال. لقد تحملت المسؤولية ولم تتورط معي في أي مشكلة. على الأقل حتى الآن. إذا كنت تعتقد أن هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب القيام به، فلنفعل ذلك".

لقد كان ترامب يمنحني الحرية، لكنه كان أيضًا واضحًا أنه سيفعل ذلك.حاسبوني إذا حدث أي خطأ. هذا كل ما كنت أحتاج إلى سماعه.

بفضل موافقته، قفزت إلى العمل. وبمساعدةمن خلال مشغل لوحة مفاتيح الطائرة الرئاسية، اتصلت بنائب الرئيس، ووزير الخارجية، ووزير الدفاع، ومدير وكالة المخابرات المركزية لإبلاغهم بأن الرئيس مستعد للمضي قدمًا.

نحن بحاجة إلى وضع خطة لتنفيذها. كان علينا أن ننهي خطة السلاموتتولى اللجنة التنسيقية العليا للشؤون الخارجية في الولايات المتحدة مهمة إعداد وتنسيق عشرات البيانات الداعمة من جانب الزعماء الأجانب، وتنظيم زيارات بيبي وغانتس، وتنبيه المسؤولين الأميركيين المعنيين إلى ضرورة اتخاذ الاستعدادات الأمنية في السفارات في الشرق الأوسط في حالة اندلاع أعمال عنف.

لم أقرر بعد كيف سنخبر الصحافة بأننا سننشر خطتنا للسلام التي طال انتظارها، لكن الرئيس كانفي اليوم التالي، بينما كان يطير إلى فلوريدا، سار ترامب إلى مؤخرة الطائرة وتحدث إلى مجموعة الصحافة المسافرة، كما يفعل غالبًا. دون علمي، أعلن أنه ينوي إصدار الخطة في غضون أسبوع. لقد اعتنى باستراتيجية وسائل الإعلام بنفسه. شعرت أن ترامب كان يطلق بالون اختبار لقياس ردود فعل الناس. عندما اندلعت الأخبار بأن بيبي وغانتس سيصلان إلى واشنطن للإعلان، أدركت الصحافة أهمية الحصول على دعم المنافسين السياسيين لإسرائيل لخطتنا. وكما كنا نأمل، كانت التغطية أكثر إيجابية من المعتاد.

وبعد بضع ساعات اتصل فريدمان بغانتس ليخبره بمشكلة: فقد كان غانتس يقول على ما يبدو إنه لن يحضر. فقد سمع أن بيبي سيتحدث، ولم يكن يريد الجلوس بين الحضور بينما كان خصمه السياسي يصعد إلى المنصة في البيت الأبيض. وبعد مكالمات هاتفية متعددة، وافق غانتس على الحضور إلى واشنطن للإعلان عن دعمه لخطتنا، طالما كان بوسعه عقد اجتماع كامل مع الرئيس قبل إطلاق الخطة.

لكن غانتس لم يوافق على حضور الحدث، ولم يكن هذا مثاليًا.ولكن كان ذلك أفضل من عدم حضوره على الإطلاق - أو رفض الخطة تمامًا. لقد احترمت أنه في كل مرة كان على غانتس اتخاذ قرار بين ما هو أفضل لدولة إسرائيل أو لنفسه سياسياً، كان يختار بلاده دائمًا. عندما سمع بيبي عن اجتماع غانتس، أصر على عقد اجتماع أيضًا. لحسن الحظ، وافق ترامب على الاجتماع مع كلا الزعيمين. مع اقترابنا أكثر فأكثر من الإعلان، تجنبنا أزمة أخرى.

{40}

الفوضى والسلام

قبل يومين من إصدار خطة السلام، وبينما كنت في طريقي إلى البيت الأبيض للتحضير للقاء مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بيبي نتنياهو، اتصل بي براد بارسكال.

"ما رأيك في آخر قصة نشرتها صحيفة نيويورك تايمز؟" سألمدير حملة ترامب. كان ذلك في وقت متأخر من بعد ظهر يوم الأحد. وكان من المقرر نشر المقال في صحيفة اليوم التالي، لكنه كان قد نُشر بالفعل على الإنترنت.

كانت المراسلة السياسية ماجي هابرمان قد حصلت على عدة مقتطفات من كتاب جون بولتون القادم، والذي زعم فيه بولتون أن ترامب ربط بشكل مباشر المساعدات الخارجية لأوكرانيا بالتحقيق في قضية هانتر بايدن. وكان الرجل الذي طرده الرئيس قبل بضعة أشهر فقط يتناقض مع دفاع ترامب بأنه لم يربط بين الأمرين مطلقًا. وقد عزز ذلك اتهام الديمقراطيين بوجود مقايضة. ولزيادة تعقيد الأمور، أوضح بولتون أنه على استعداد للإدلاء بشهادته أمام الكونجرس إذا تم استدعاؤه.

لقد كان من الواضح بالنسبة لي أن بولتون كان يحاول إثارة التكهنات الإعلاميةوبناءً على هذا التقرير، كان الديمقراطيون قد طالبوا بالفعل بجولة جديدة من جلسات الاستماع للتحقيق في الأمر. ولكن عندما وصل الأمر إلى القضية القانونية للعزل، لم يكن هناك شيء جديد. ومرة أخرى، لم تكن هذه قضية قانونية بل معركة رسائل.

عندما وصلت إلى البيت الأبيض، توجهت مباشرة إلى مقر الإقامة.دخلت الغرفة البيضاوية الصفراء لأجد ترامب جالسًا مع محاميه بات سيبولوني وجاي سيكولو. في منتصف محاكمة مجلس الشيوخ التي استمرت عشرين يومًا، كان كلاهما يعاني من هالات سوداء تحت أعينهما وكانا يبدوان منهكين بشكل غير معتاد. لقد صمد كلاهما في وجه جولة تلو الأخرى من الأسئلة من الديمقراطيين الذين كانوا مصممين على تدمير قضيتهم وإقالة الرئيس من منصبه. كان أداؤهما ممتازًا، ويعكس ساعات لا حصر لها من العمل الدقيق.

كان من الصعب للغاية على المحامين الدفاع عن الرئيس في قضية العزل، وكانوا على دراية بذلك. عندما دخلت الغرفة، كانوا في نقاش حاد مع الرئيس حول كيفية الرد على ادعاء بولتون.

"قال سيكولو: ""لدينا مشكلة كبيرة، لقد كان مجلس الشيوخ في وضع مثالي، ولم يكن في نيته استدعاء الشهود، وكان من المقرر أن يصوتوا هذا الأسبوع، وكانت المحاكمة على وشك الانتهاء، وهذا من شأنه أن يغير كل شيء""." سألته: ""لماذا؟"""

"لقد تحدثت مع السيناتور ليندسي جراهام"، رد سيكولو، "وشعر من حديثه إلى آخرين أنهم يريدون سماع ما يقوله بولتون. جراهام يعرف أن بولتون لديه مصلحة شخصية، ولكن إذا كان بولتون على استعداد لقول شيء ما تحت القسم، فسوف يشعر عدد كاف من أعضاء مجلس الشيوخ أن من واجبهم الاستماع إليه".

"أنا لا أتفق مع هذا الرأي"، قلت. "ما لم تكن هناك قنبلة لا نعرف عنها شيئًا، فلا أعتقد أن شهادته ستغير أي شيء. هذه مسألة سهلة. لا يوجد شيء جديد هنا حرفيًا، ويجب أن يكون هذا هو موقفنا. إذا تصرفنا بذعر، فسيكون هذا أمرًا كبيرًا. إذا وقفنا بثبات وثقة، فيمكننا تجاوز هذه المسألة. نحن بحاجة إلى إصدار بيان يرد على رواية بولتون ويوضح أن الحقائق لم تتغير".

كان ترامب إما معجبًا بحقيقة أنني كنت أقدم عرضي بثقة، أو أنه فهم استراتيجيتي. قال: "جاريد محق. بات وجاي، اذهبا للعمل مع جاريد على بيان واعرضاه عليّ. أريد أن أخرجه بسرعة". بينما كنا نسير عائدين إلى الجناح الغربي، سمعت من سيكولو الكثير عن مدى خطورة تقديم المشورة القانونية بشأن مثل هذه المسألة الحساسة. حذرني: "أنت لا تعرف ما كتبه بولتون في الكتاب. إذا أصدر الرئيس بيانًا غير صحيح، فسنكون مخطئين".

ميت."

لم يكن سيكولوف مخطئًا، لكنني شعرت أنه كان متوترًا للغايةولقد أدركت أننا لن نتوصل إلى إجماع. فاقترحت عليه وعلى سيبولوني أن يصوغا بياناً، بينما أعمل على صياغة بيان منفصل. ووافقا على ذلك واختفيا في مكتبهما. وسرت في الردهة مروراً بمكتبي رئيس الأركان ونائب الرئيس إلى مكتب مستشار الأمن القومي في الزاوية البعيدة من الجناح الغربي.

وجدت أوبراين جالساً على مكتبه ينتظرني حتى نتمكن من السير عبر الشارع إلى بلير هاوس، حيث كان من المقرر أن نلتقي مع بيبي في ذلك المساء. قلت له: "لدي مشكلة صغيرة يجب أن أتعامل معها أولاً. هل لديك مخطوطة بولتون؟". كان بولتون ملزماً بتقديم مخطوطة أولية إلى مجلس الأمن القومي للمراجعة للتأكد من أنها لا تكشف عن أي مواد سرية.

وقال "لقد احتفظت بها في خزانتنا، ولم يطلع عليها أحد غيري والمسؤول الذي يراجعها بحثا عن معلومات سرية".

لقد مررت له نسخة مطبوعة من مقالة نيويورك تايمز. "أريد أن أعرف ما يقوله بولتون في مخطوطته عن المساعدات لأوكرانيا وما إذا كان هناك أي شيء متفجر أو جديد".

قال أوبراين وهو يراجع المسودة: "لن أعرض عليك المخطوطة، ولكن في هذا القسم، يفعل شيئًا مثيرًا للاهتمام حقًا. طوال الكتاب، يقتبس بولتون باستمرار من الرئيس حرفيًا، ولكن في هذه الحالة، لم يفعل ذلك. بدلاً من ذلك، يشير إلى أنه كان يفهم أن الرئيس يريد منه حجب المساعدات حتى تفتح أوكرانيا تحقيقًا".

"فهل من الآمن بالنسبة لي أن أعمل تحت افتراض أنه لا يقتبس بشكل مباشر من الرئيس بطريقة تتناقض مع دفاعنا حتى الآن؟" سألت.

"صحيح" أجاب أوبراين.

هرعت إلى مكتبي وقمت بصياغة بيان، ثم اتصلت بعامل الهاتف في البيت الأبيض وطلبت منه توصيلي بالرئيس. قرأت مسودة البيان على ترامب، وبعد أن أملى بعض التعديلات، طبعت نسخة محدثة وعدت إلى مكتب أوبراين.

"إذا قلت شيئًا مثل التالي - "لم أخبر جون بولتون أبدًا أن المساعدات لأوكرانيا مرتبطة بالتحقيقات في الديمقراطيين" - فهل سيكون ذلك تناقضًا؟"

"أنت في مكان آمن هناك"، قال أوبراين. "لا يوجد شيء في الكتاب يتناقض مع ذلك".

أخذت البيان إلى المقر. وقام ترامب بتحريره بعناية. ثم ركضت إلى مكتبي وطبعت نسخة منقحة. وبينما استمر الرئيس في تنقيح البيان، قمت بعدة رحلات ذهابا وإيابا من المقر إلى الجناح الغربي. وفي النهاية نظرت إلى ساعتي: لقد تجاوزت الساعة العاشرة مساء.

"قلت للرئيس: "أنا بحاجة ماسة إلى الذهاب. بيبي ينتظرني منذ أكثر من ساعة".

وقال ترامب "بيبي يمكنه الانتظار، هذا يأتي أولاً".

طلبت من فريقي أن يخبر رئيس الوزراء الإسرائيلي بأنني سأتعرض لتأخير إضافي، وأخذت البيان إلى سيبولوني وسيكولوف لمراجعته.

"لقد وافق رئيس الولايات المتحدة على هذا البيان، وأعتقد أن هذا سوف يوصلنا إلى حيث نريد أن نكون"، قلت للمحامين وأنا أسلمهم المسودة.

"لا تتحدث مع موكلي!" صاح سيكولوف. "سوف تفسد الأمر"امتياز محامينا العميل!"

قلت له: "جاي، اهدأ، هذا ليس بالأمر الكبير، كل شيء سوف يسير على ما يرام".

كن بخير..."

"أنا هادئ!" صرخ سيكولوف.

انفجرت أنا وسيبولوني بالضحك، وابتسم سيكولوف أيضًا.لقد اقتربت من سيكولو وعانقته بقوة. كان من الواضح أنه يشعر بضغط هائل. واتفقنا على حل وسط بعد ذلك بوقت قصير.

وفي الساعة 12:18 صباحًا، أصدر ترامب بيانه في سلسلة من ثلاث تغريدات:"لم أخبر جون بولتون أبدًا أن المساعدات المقدمة لأوكرانيا مرتبطة بالتحقيقات في الديمقراطيين، بما في ذلك بايدن. في الواقع، لم يشكو أبدًا من هذا في وقت إنهاء خدمته علنًا. إذا قال جون بولتون هذا، فكان ذلك لبيع كتاب فقط. مع ذلك، فإن نصوص مكالماتي مع الرئيس زيلينسكي هي كل الأدلة المطلوبة، بالإضافة إلى حقيقة أن الرئيس زيلينسكي ووزير خارجية أوكرانيا قالا إنه لم يكن هناك ضغوط ولا مشاكل. بالإضافة إلى ذلك، التقيت بالرئيس زيلينسكي في الأمم المتحدة ... (قال الديمقراطيون إنني لم أقابله أبدًا) وأفرجت عن المساعدات العسكرية لأوكرانيا دون أي شروط أو تحقيقات - وقبل الموعد المحدد بكثير. كما سمحت لأوكرانيا بشراء صواريخ جافلين المضادة للدبابات. لقد فعلت إدارتي أكثر بكثير من الإدارة السابقة ".

وفي هذه الأثناء، ركضت عائداً إلى غرفة روزفلت، حيث كان آفي وأوبراينكان فريدمان وبريان هوك ينتظران منذ الساعة الثامنة مساءً. وبعد منتصف الليل مباشرة، توجهنا سيرًا على الأقدام إلى بلير هاوس. كان بيبي لطيفًا ولم يشتك من تأخيري. لقد فهم بشكل مباشر ضغوط التحقيقات. ومع ذلك، فقد قدم طلبًا كبيرًا آخر: أراد أن تكون وسائل الإعلام حاضرة لاجتماعه الثنائي مع ترامب. لم يكن هذا جزءًا من الأجندة التي تفاوضنا عليها بالفعل. مع الإسرائيليين، كان من المفترض أن يكون هناك اجتماع ثنائي مع ترامب.

كانت الانتخابات على بعد شهر واحد فقط، وقد رتبنا الزيارة لتجنب إظهار التحيز لأي من بيبي أو جانتس. كان من المقرر أن يحصل الزعيمان على صورة مع الرئيس - بدون وسائل إعلام، ولا تصريحات، ولا إنتاج كبير. كان من المفترض أن يكون اجتماعًا بسيطًا. لكن لا شيء كان بسيطًا على الإطلاق مع إسرائيل. اتصل فريقي بغانتس، الذي وافق على طلب بيبي وأعرب عن أنه يريد فقط ما هو الأفضل لإسرائيل.

لقد استعرضنا أنا وبيبي النسخة النهائية من خطة السلام.

"حسنًا يعيش مع هو - هي،" بيبيقال.

"لن تتعايش مع هذا. سوف تنجح معه"، هكذا رددت بابتسامة. كان هذا نموذجياً لرئيس الوزراء المخضرم. لقد أمضينا عامين في المساومة على كل سطر، ووضعنا خطة مدروسة لم يلتزم بها نتنياهو.ولكن نتنياهو لم يكن يعتقد أن الخطة قد تنجح في الواقع. ففي غضون اثنتي عشرة ساعة، كان رئيس الوزراء اليميني، الذي خاض حملة لعقود من الزمان ضد منح الفلسطينيين دولة، على وشك تأييد خطة تدعو إلى حل الدولتين. وكان نتنياهو حريصاً على التأكد من أن كلمة واحدة من الخطة لن تعرض أي إسرائيلي للخطر، وكان متوتراً بشكل مفهوم بشأن الكيفية التي قد تؤثر بها على الانتخابات المقبلة. ولحسن حظه، أدرك أن الخطة معقولة، وأفضل حل وسط لحل النزاع الإسرائيلي الفلسطيني. صراع.

لقد عملنا حتى الساعة الثانية صباحًا تقريبًا. وعندما راجعت هاتفي، وجدت عدة مكالمات فائتة من السيناتور جراهام. لقد تحدثنا في وقت سابق، وحذر من أن أخبار بولتون قد تؤدي إلى كارثة لدفاع الرئيس عن نفسه في قضية عزله. وعندما اتصلت مرة أخرى بجراهام، قال إن رد الفعل على بيان الرئيس كان إيجابيًا بشكل مدهش، وأنه كان من الممكن أن يكون هناك المزيد من المتاعب.

اعتقد أن لدينا فرصة للحفاظ على تماسك الجمهوريين في مجلس الشيوخضد استدعاء الشهود.

في يوم الاثنين، عقد بيبي وغانتس اجتماعات منفصلة مع الرئيس. وقد أعجب ترامب بغانتس، الذي انحنى نحوه في إحدى المرات. وقال: "فقط لكي تعرف: إذا أصبحت رئيسًا للوزراء، فسوف أتواصل مع الفلسطينيين وأبرم صفقة".

وفي وقت لاحق، أخبرني ترامب بما يعتقده بشأن غانتس: "أنا أحب هذا الرجل".

{41}

رؤية للسلام

في ظهر يوم الثلاثاء الموافق 28 يناير 2020، أعددنا أنفسنا للكشف عنالعالم يقترح علينا السلام بين إسرائيل والشعب الفلسطيني.

كان الصباح عبارة عن ضباب من الإحاطات والمكالمات والمهام في اللحظة الأخيرة قبل حدث إطلاق الخطة. وبحلول الساعة الثامنة صباحًا، قدم البيت الأبيض إحاطة خلفية لعدد قليل من المراسلين حول الخطة، على أمل أن يؤدي السياق المضاف إلى تغطية عادلة ودقيقة. تحدثت مع أعضاء الكونجرس. أردت منهم أن يروا أننا نقترح حلاً متوازنًا للدولتين. وعلى الرغم من أن شركاء ترامب المعتادين في المناوشات من المرجح أن يسيّسوا جهودنا، إلا أنني كنت آمل أن ينظر الديمقراطيون في مزاياها قبل إصدار تنديداتهم.

في كل مرة كنت أتحقق فيها من هاتفي، كنت أتلقى تحديثًا إيجابيًا آخر. فقد قال وزير الخارجية البريطاني دومينيك راب إن حكومته تستعد لإصدار بيان داعم. كما أرسل كيريل دميترييف رسالة بالبريد الإلكتروني من روسيا: "كل شيء على ما يرام من جانبنا". وقد أشار ضمنيًا إلى فلاديمير بوتن، قائلاً إن قيادة بلاده تقدر أننا "تواصلنا مسبقًا مع بعض تفاصيل الخطة".

ثم اتصل آفي بأخبار لا تصدق. في ذلك الصباح، سأل سفير الإمارات العربية المتحدة يوسف العتيبة عما إذا كان الوقت قد فات للرد على الدعوة لحضور الحفل. كان هذا تطورًا كبيرًا. لم يظهر المسؤولون الإماراتيون والإسرائيليون معًا في الأماكن العامة تقريبًا. لقد دعونا شريحة واسعة من كبار الشخصيات العربية، لكننا لم نتوقع منهم حضور حدث مع رئيس وزراء إسرائيل. بعد أن أكد يوسف أنه سيحضر، اتصل آفي على الفور بأقرب حلفائنا داخل السلك الدبلوماسي العربي، وحثهم على الانضمام إلى يوسف. لم نكن نعرف ذلك في ذلك الوقت، لكن يوسف كان يتصل أيضًا بزملائه السفراء برسالة مماثلة.

ولقد كانت هذه الخطوة بمثابة التشجيع. ولقد فوجئنا بموافقة سفراء البحرين وعمان على الحضور. وهذا يعني أن ثلاث دول عربية ليس لها علاقات دبلوماسية مع إسرائيل كانت مستعدة لإظهار الدعم العلني لخطتنا باعتبارها الإطار الجديد لمفاوضات السلام. وهذا من شأنه أن يرسل إشارة قوية مفادها أن الشرق الأوسط أصبح مهيئا للتطبيع.

ولكن على الرغم من كل ما حدث، فقد كان من الممكن أن يكون أفضل. فبعد الحدث، اتصل بي السفير المصري وقال إنه شعر بالإهانة لعدم دعوته إلى الحفل. وقال إنه كان ليشارك بكل سرور. وقد شعرت بالخزي والعار من فكرة أننا تجاهلناه عن طريق الخطأ. ولكن عندما استفسرت من فريقي، علمت أننا وجهنا الدعوة بالفعل إلى السفير المصري. وتبين أن موظفيه افترضوا أنه لن يرغب في الحضور. وعلى الرغم من هذا الارتباك، فإن حفل إطلاق المشروع كان يتجه إلى أن يكون أفضل مما كنا نأمل.

حوالي الساعة الحادية عشرة صباحًا، ذهبت إلى مقر إقامة ترامب في المقر ومعي مسودة الخطاب. كان ترامب يراجع الوثائق، ويبدو في كامل لياقته وجاهزًا للانطلاق.

وقال "لقد أحسنا التصرف الليلة الماضية بشأن بيان بولتون. وفي هذا الصباح، سنركز بشكل كامل على إسرائيل. هل سيؤدي هذا إلى السلام؟".

"هذه خطوة بالغة الأهمية"، قلت. "سوف تستمتع بها. لقد أعددنا خطابًا خاصًا للغاية".

خارج غرفة نومه مباشرة، جلسنا أمام لوحة "صباح على نهر السين، طقس جيد" للفنان كلود مونيه، والتي أهداها السيدة الأولى السابقة جاكلين كينيدي إلى البيت الأبيض تخليدا لذكرى زوجها. سلمت ترامب مجلدا من ورق المانيلا، يحتوي على الخطاب بداخله بالطريقة التي يحبها: خط بحجم ستة عشر نقطة وغير مثبت بدبابيس. أخرج المجلد ورفعه عاليا.

"خمس صفحات؟ لماذا هذا الطول؟ لقد قلت لكتاب الخطابات ألا يتكرر هذا أبدًا""أكثر من صفحتين لأحداث الغرفة الشرقية."

باستثناء الأحداث الكبرى مثل خطاب حالة الاتحاد، اعتقد ترامب أن الخطب القصيرة والقويّة كانت أكثر فعالية من الخطب الأطول، والتي كانت في كثير من الأحيان متذبذبة وأقل إثارة للاهتمام بالنسبة للمستمعين.

إن إصراره على الاختصار أجبر الكتاب على تنقيح الأفكار حتى تصل إلى جوهرها، ونتيجة لهذا كانت خطاباته واضحة ومباشرة.

"لا يمكنك تحقيق السلام في الشرق الأوسط في صفحتين"، أجبت.

قام بمراجعة المسودة، وأجرى عليها تعديلات أقل من المعتاد. وبعد الانتهاء من كل صفحة، سلمها إليّ مع تعديلاته، ونسقت مع سكرتير موظفي البيت الأبيض ديريك ليونز للتأكد من تحميل التغييرات على جهاز التلقين.

"هذا خطاب جيد حقًا"، قال. "أنت على حق. لقد فعلنا الكثير. لا أعرف حتى كيف فعلنا كل هذا، منذ أن كان لدينا"لقضاء معظم وقتنا في محاربة تحقيقات مطاردة الساحرات والمحاكمة الكاذبة."

توقف للحظة ورفع بصره عن المسودة، ثم قال مازحا: "إن كون المرء رئيسا هو جزء سهل من الوظيفة؛ أما محاربة المجانين فهو الجزء الصعب. تخيلوا فقط ما الذي يمكننا إنجازه إذا تمكنت من إنفاق كل طاقتي على قضايا مثل هذه".

وفي الظهيرة في الغرفة الشرقية، وبينما وقف ثلاثمائة ضيف من مقاعدهم وتجمعت الصحافة في الخلف، أعلن المساعد العسكري: "سيداتي وسادتي، رئيس الولايات المتحدة ورئيس وزراء دولة إسرائيل".

جلست بجانب إيفانكا، وبدأ الرئيس كلمته.

وقال ترامب "اليوم تتخذ إسرائيل خطوة كبيرة نحو السلام".

انفجرت الغرفة بالتصفيق. زفرت. لقد حدث ذلك أخيرًا،لقد كانت بداية جيدة. لم أكن لأشعر بفخر أكبر عندما شاهدت تتويج ثلاث سنوات من الجهد الدؤوب والتخطيط الدقيق.

وبينما كنت أشاهد التاريخ يتكشف على بعد أقدام قليلة مني ـ وهو ما تم بثه على شاشات التلفزيون ليراه العالم ـ أدلى بيبي بتصريح مفاجئ: "السيد الرئيس،وقال: "أعتقد أنه على مر العقود، وربما على مر القرون، سوف نتذكر أيضًا الثامن والعشرين من يناير 2020، لأنه في هذا اليوم أصبحت أول زعيم عالمي يعترف بسيادة إسرائيل على مناطق في يهودا والسامرة والتي تعتبر حيوية لأمننا ومركزية لتراثنا".

لم يكن هذا ما تفاوضنا عليه. فبموجب خطتنا، كنا نعتزم في نهاية المطاف الاعتراف بسيادة إسرائيل على المناطق المتفق عليها إذا اتخذت إسرائيل خطوات لتعزيز إقامة الدولة الفلسطينية داخل الأراضي التي حددناها.

لقد كان الأمران مرتبطين ببعضهما البعض، وسوف يستغرق الأمر بعض الوقت لتوضيح التفاصيل. ثم كرر رئيس الوزراء النقطة، متخذاً خطوة أبعد.

"ستطبق إسرائيل قوانينها على غور الأردن، وعلى جميع المجتمعات اليهودية في يهودا والسامرة، وعلى المناطق الأخرى التي حددتها خطتكم كجزء من إسرائيل والتي وافقت الولايات المتحدة على الاعتراف بها كجزء من إسرائيل".

لقد أشار ضمناً إلى أن خطتنا ستسمح لإسرائيل بضمها على الفورلقد كان خطاب نتنياهو في غور الأردن وأجزاء من الضفة الغربية خطوة بعيدة المنال. وفي حين كان على نتنياهو أن يتنقل في بيئة سياسية صعبة في الداخل، فقد كان هذا خطوة أبعد مما ينبغي. لقد أمسكت بمقعدي بقوة شديدة حتى تحولت مفاصلي إلى اللون الأبيض، وكأن قبضتي يمكن أن تجعل نتنياهو يتوقف. لقد طلبت صراحة من السفير الإسرائيلي رون ديرمر التأكد من أن نتنياهو يبقي ملاحظاته موجزة وبعيدة عن السياسة السائدة. في كل من النبرة والمضمون، كان الخطاب بعيدًا عن الهدف. لم يتضمن أي شيء كريم أو تصالحي تجاه الفلسطينيين. كان في الأساس خطاب حملة لسياساته الداخلية.

جمهورنا السياسي، وقد أساء تمثيل خطتنا.

ومع اقتراب رئيس الوزراء من الدقيقة العشرين، أدركت أن ترامب بدأ يشعر بعدم الارتياح. فقد كان يزم شفتيه، ويتأرجح من جانب إلى آخر، ويلقي نظرة من وقت لآخر على خطاب نتنياهو المعد سلفا ليرى عدد الصفحات المتبقية.

نظرت إلى السفراء العرب الثلاثة، وفكرت في أصدقائنا وشركائنا في المنطقة، الذين قضيت ثلاث سنوات في بناء ثقتهم. لقد شرحت لهم اقتراح السلام وأعطيتهم كلمتي بأن ترامب سيقدم اقتراحًا كريمًا ومتوازنًا - اقتراح يتطلب تنازلات من الجانبين. لكن هذا بالتأكيد لم يكن الاتفاق الذي وصفه بيبي.

ولكن لو تم طرح الخطة وفقاً للخطة، لكان عباس قد وجد نفسه في موقف مستحيل. ذلك أن الرد العنيف على أي اقتراح جدير بالثقة من شأنه أن يزيد من عزلته، فضلاً عن كشف فراغ موقفه. ولكن رئيس الوزراء الإسرائيلي أعطى عباس بالضبط الفرصة التي كان يحتاج إليها لرفض خطتنا، وكان بوسعه أن يقنع بقية اللاعبين الرئيسيين في المنطقة بالوقوف إلى جانبه. وكنت أتوقع أن أقضي فترة ما بعد الظهر في الهجوم، وترويج الخطة عبر وسائل الإعلام. ولكنني الآن أصبحت قلقاً بشأن السيطرة على الأضرار.

{42}

"سوء الفهم"

عندما مشيت مع الرئيس على طول الرواق عائدين إلى المكتب البيضاوي مباشرة بعد انتهاء الإعلان، التفت إلي ترامب وقد بدت على وجهه خيبة أمل واضحة وقال: "لقد ألقى بيبي خطابًا انتخابيًا. أشعر بالانزعاج". لم يكن أي منا يشعر بالانزعاج.

لقد أردنا أن تصبح الخطة سياسية، ولهذا السبب انتظرنا أكثر من عام لإطلاقها ووجهنا الدعوة إلى منافس بيبي السياسي لحضور حفل إطلاقها.لقد تجاوز هذا الأمر السياسة، بل كان الأمر يتعلق بإحلال السلام.

وكما اتضح، فقد أكد السفير ديفيد فريدمان لنتنياهو أنه سيعمل على إقناع البيت الأبيض بدعم الضم على الفور. ولم ينقل هذا لي أو لأي شخص في فريقي. وبعد وقت قصير من إعلان الرئيس، قال للصحافيين إن إسرائيل "ليست مضطرة للانتظار على الإطلاق" بشأن الضم وأن العامل المحدد الوحيد هو "الوقت الذي يستغرقه الأمر للحصول على الموافقات الداخلية".

وعندما واجهت فريدمان، أخبرني أنه عرض الخطة بدقة. واحتدم الحديث بيننا، فأخرجت الخطة من المجلد الموجود على مكتبي.

"أين مكتوب ذلك هنا؟" سألت. "لم يذكر ذلك هنا."أنت أحد أفضل المحامين في العالم. أنت تعلم أن هذا ليس ما اتفقنا عليه."

وعندما أدرك فريدمان أنه يخسر الحجة، حاول أن يستغل سحره. فقال: "ما المشكلة؟ لماذا لا نلتزم بالغموض ونترك بيبي يقول ما يريده ونترك الأمور تسير على ما يرام؟".

"لم تتحدث إلى شخص واحد من دولة خارج إسرائيل"

"رددت عليه قائلاً: ""رائيل""، ""ليس عليك أن تتعامل مع البريطانيين، ليس عليك أن تتدخل في شؤونهم الشخصية."إنني مضطر إلى التعامل مع المغاربة، ولا يتعين عليك التعامل مع السعوديين أو الإماراتيين، الذين يثقون جميعًا بكلامي ويصدرون التصريحات. يتعين عليّ التعامل مع تداعيات هذا الأمر. أما أنت فلا يتعين عليك التعامل معه".

لقد أدرك فريدمان الآن أن كلمات بيبي تشكل مشكلة كبيرة، فأشار إلى استعداده للتراجع. فطلبت منه أن يتحدث مع بيبي لتوضيح موقفنا وإبلاغ رئيس الوزراء بأنني على الرغم من أنني سأحاول تقليص الفجوة الصارخة بين موقفينا، إلا أننا لن ندعمه في هذه المسألة.

"أخبره،" قلت، "إذا كنا محظوظين، فإن هذا لم يقتلني تمامًا"إنني سأتمكن من تعزيز مصداقيتي لدى البلدان الأخرى، وسوف أظل قادراً على الحصول على بيانات الدعم التي أعددتها".

ولحسن حظه، نجح فريدمان في تصحيح سوء التفاهم مع الإسرائيليين ووسائل الإعلام.

كانت فترة ما بعد الظهر مليئة بمقابلات تلفزيونية واحدة تلو الأخرى. وبينما كنت أعمل على صياغة التغطية والدفاع عن خطتنا، كان آفي مشغولاً خلف الكواليس بالاتصال بأقرب شركائنا وتوضيح موقفنا. ووجد أنه في حين كان بعض القادة في حيرة من أمرهم، إلا أنهم ما زالوا مستعدين للمضي قدمًا طالما أننا لا نضغط على الضم الفوري. وأكد لهم آفي أننا لا نضغط.

كانت الثقة التي بنيناها صامدة، وكان شركاؤنا يستعدون لإصدار بياناتهم الإيجابية كما كان مخططًا لها في الأصل. ومع ذلك، لم يرغب أحد في البدء. اتصلت بدومينيك راب، الذي قال إنه أوقف بيانه حتى يتمكن من تأكيد أن الولايات المتحدة لن تدعم الضم الفوري. أعطيته كلمتي، ونشرت المملكة المتحدة البيان كما هو مخطط له: "من الواضح أن هذا اقتراح جاد، يعكس وقتًا وجهدًا كبيرين"، كما جاء في البيان. وتبعه بقية شركائنا. وفي غضون أربع وعشرين ساعة، أصدرت أكثر من اثنتي عشرة دولة بيانات دعم. وأشارت المملكة العربية السعودية إلى تقدير الملك لجهودنا وشجعت "بدء مفاوضات السلام المباشرة ... تحت رعاية الولايات المتحدة". ووصفت الإمارات العربية المتحدة الخطة بأنها "مبادرة جادة تعالج العديد من القضايا التي أثيرت على مر السنين". وأشادت البحرين بالولايات المتحدة على "جهودها الحثيثة لدفع عملية السلام". وأشاد المغاربة بالخطة.

وأعرب الجانبان عن "رغبتهما في إطلاق عملية سلام بناءة". وشكرت مصر الولايات المتحدة على عملها الدؤوب "للتوصل إلى تسوية شاملة وعادلة للقضية الفلسطينية، وبالتالي المساهمة في استقرار وأمن الشرق الأوسط".

الدبلوماسية عادة ما تكون تمرينًا على الكلمات. يحذر الناس منلقد كانت هذه التصريحات الداعمة غير محتملة وغير مسبوقة. على مدى ما يقرب من عقدين من الزمان، كانت كل دولة عربية تعتبر مبادرة السلام العربية لعام 2002 الإطار المناسب للمفاوضات. والآن أصبحت الدول العربية الأكثر نفوذاً تشيد بخطتنا كنقطة انطلاق للجولة التالية من المحادثات. والأمر المهم هو أن الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة امتنعا عن التنديد بخطتنا، وبدلا من ذلك دعيا الجانبين إلى بدء المفاوضات. ونظرا لمدى سلبية الهيئتين تجاه إسرائيل في الماضي، فقد نظرنا إلى حيادهما كخطوة رئيسية في الاتجاه الصحيح. في المقابلات، أوضحت أن إدارة ترامب لا تدعم الضم الفوري، وحاولت تقليص الفجوة بين موقفنا وتعهد بيبي. خلف الكواليس، وصلت علاقتنا بالحكومة الإسرائيلية إلى أدنى مستوياتها حتى الآن. شعرت وكأنني أحاول دفع الإسرائيليين إلى الأمام وبناء شراكات مع إسرائيل. في حين أنهم كانوا عالقين في السياسة الداخلية.

السفير الإسرائيلي رون ديرمر، الذي كان عادة قوة بناءة،لقد جاءني بعد عدة أيام من بدء عملية الضم. كنت أتوقع منه أن يعتذر نيابة عن بيبي أو أن يقترح نوعاً من التسوية. ولكن بدلاً من ذلك، قال إن بيبي بحاجة إلى المضي قدماً في عملية الضم على الفور.

لم أصدق ذلك. كان ترامب لا يزال غاضبًا من خطاب بيبي. في الواقع، سألني عما إذا كان ينبغي له أن يتخذ الخطوة غير العادية المتمثلة في تأييد المنافس السياسي لرئيس الوزراء، بيني غانتس. لو مشيت عشرين قدمًا في القاعة إلى البيت الأبيض وطلبت من ترامب المضي قدمًا في الضم، لكان الرئيس قد طردني.

ورغم أن الاستجابة الفورية لإعلاننا كانت إيجابية، فقد استخدم الاتحاد الأفريقي وجامعة الدول العربية تصريحات بيبي كأساس لإدانة خطتنا. وكان لدينا ما يكفي من الحلفاء في الاتحاد الأوروبي لمنع المسؤول الأعلى للسياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، من

لقد أصدر بيانًا رسميًا، ولكنه كان منزعجًا للغاية لدرجة أنه خالف البروتوكول وأصدر بيانًا شخصيًا لاذعًا يرفض خطتنا ويدين الضم. كما بدأت روسيا في التراجع عن دعمها الأولي.

لقد بذلنا الكثير لتعزيز تحالف أمريكا مع إسرائيل - نقل سفارتنا إلى القدس والاعتراف بسيادة إسرائيللقد أعلنوا عن رغبتهم في ضم مرتفعات الجولان، والانسحاب من الاتفاق النووي مع إيران، والانتظار لمدة عام لطرح خطة السلام لاستيعاب الانتخابات الإسرائيلية المضطربة. والآن يريدون المزيد. قال ديرمر إنه إذا لم ندعم الضم الفوري، فلن تتمكن إسرائيل بعد الآن من الثقة في الإدارة.

"لا تستهينوا بنا"، حذرت. "لقد عملنا بجد لمدة ثلاث سنوات للوصول إلى هذه النقطة. وللمرة الأولى، تتمتع إسرائيل بموقف أخلاقي رفيع. أنتم تعرضون على الفلسطينيين دولة وخريطة تدعمها الدول العربية كنقطة انطلاق للمفاوضات. لكن الآن كل شيء أصبح فاسدا. أنتم تعتقدون أنكم كنتم فعالين للغاية مع هذه الإدارة. أكره أن أكشف لكم الحقيقة، لكننا لم نفعل أيًا من هذه الأشياء لأنكم أقنعتمونا بذلك. لقد فعلناها لأننا نعتقد أنها كانت الأشياء الصحيحة التي يجب القيام بها".

أدرك ديرمر أنه تجاوز الحد، فاعتذر وغادر بعد فترة وجيزة، مدركاً أن الأمر متروك لهم لتنظيف الفوضى السياسية التي أحدثها بيبي.

بين محادثة فريدمان مع بيبي ومشاجرتي معلقد فهم الإسرائيليون الرسالة. فبعد ثلاث سنوات من السياسات التي عززت العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، كانت شعبية ترامب مرتفعة للغاية في إسرائيل لدرجة أن بيبي لم يكن بوسعه أن يعارضه. وتراجع رئيس الوزراء عن تصريحه بشأن وادي الأردن، وألغى الإسرائيليون خططهم للبدء في المضي قدمًا في الضم الفوري. وفي السر، واصل بيبي الحديث معنا بلهجة صارمة، وهدد بالاعتراف بوادي الأردن في غضون أسابيع، لكنني كنت أعلم أنه كان يخادع. وسيكون من الانتحار السياسي المضي قدمًا دون دعم أقرب حلفائهم وداعميهم.

بينما كنت أحاول التفكير في كيفية الاستمرار في تحقيق هدفنا على الرغم من هذا

لقد شعرت بالانتكاسة، وقد وجدت العزاء في درس من رواية لورانس رايت عن

مؤتمر كامب ديفيد عام 1978 في كتاب "ثلاثة عشر يومًا في سبتمبر"، وهو أحد كتبي المفضلة عن السلام في الشرق الأوسط.49 يصف كيف أن هناك تناقضًا عميقًا بين إسرائيل والفلسطينيين.ولقد أدى سوء الفهم إلى إحراز تقدم. فقد أخبر حسن التهامي، وهو منجم وعالم صوفي، الرئيس المصري أنور السادات أنه علم من خلال قنوات خلفية أنه إذا سافر السادات إلى القدس وألقى خطاباً أمام الكنيست، فإن رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيجين سوف ينقل السيطرة على شبه جزيرة سيناء إلى مصر. وكما تقول القصة، فقد قام السادات برحلة شجاعة وتاريخية إلى القدس. وبعد خطابه، التقى بيجين على انفراد وسأله كيف تريد إسرائيل المضي قدماً في تبادل سيناء. فقال بيجين إنه ليس لديه أي فكرة عما يتحدث عنه السادات، وغادر السادات القدس خالي الوفاض وخائب الأمل.

وعلى الرغم من سوء الفهم هذا، فقد حطمت زيارة السادات حاجزاً وغيَّرت نظرة العالم إلى الصراع في الشرق الأوسط. فقد أظهرت أن السلام مع العرب لا ينبغي أن يمر عبر الفلسطينيين، وأن اتفاقيات السلام المنفصلة الثنائية ممكنة. وقد أدى هذا إلى سلسلة من الأحداث التي أدت مباشرة إلى تحقيق اختراق في كامب ديفيد: أول اتفاقية سلام بين دولة عربية وإسرائيل في العصر الحديث.

على الرغم من أنه كان من الصعب تقديره في تلك اللحظة، إلا أن شيئًا مماثلاًلقد ثبت أن هذا هو أعظم مفارقة في السلام: فقد أدى تهديد نتنياهو بالضم، والتوتر والإلحاح الذي أحدثه، في نهاية المطاف إلى الاختراق الذي أصبح اتفاقيات إبراهيم.

{43}

معركة في الأمم المتحدة

"قال السيد آدم، السيد نائب الرئيس، أعضاء الكونجرس، السيدة الأولى للولايات المتحدة، ومواطني،"الرئيس أثناء تدريباته لخطابه عن حالة الاتحاد.

"هل يجب أن أقول حقًا سيدتي الرئيسة؟" سأل ترامب. "هذه المرأة المجنونة عُزلتني للتو من أجل لا شيء. ربما يمكنني تركها خارجًاوانظر إذا كان أحد يلاحظ ذلك.

كانت فرضيات ترامب الساخرة مشهورة بين أصدقائه وأفراد عائلته، وكنا دائمًا نستمتع بكيفية وصولها إلى أولئك الذين لم يعرفوه جيدًا بما يكفي لإدراك أنه كان يمزح. وعندما فعل ذلك،في العلن، كان أنصاره يقدرون حس الفكاهة الذي يتسم به. ومن ناحية أخرى، لم يحاول منتقدوه فهمه. وقد لخصت الكاتبة سالينا زيتو الديناميكية التي سادت خلال حملة 2016 على أفضل نحو: "الصحافة تأخذه حرفيا، ولكن ليس على محمل الجد؛ ويأخذه أنصاره على محمل الجد، ولكن ليس حرفيا".

كان يوم الثلاثاء، الرابع من فبراير/شباط 2020، وكان ترامب يقف في زاوية غرفة الخرائط، وهي صالة صغيرة مغطاة بألواح خشبية في الطابق الأرضي من مقر إقامة البيت الأبيض. كان فرانكلين د. روزفلت قد استخدم الغرفة ذات يوم كمركز اتصالات سري للغاية، وهو نوع من مقدمة لغرفة العمليات الحديثة، حيث كان بإمكانه تتبع أحدث التطورات العسكرية على خرائط كبيرة خلال الحرب العالمية الثانية. لا تزال النسخ الاحتفالية من هذه الخرائط معلقة في إطارات حول الغرفة، مما يمنحها إحساسًا بالتاريخ. واجهت ترامب خلف طاولة، إلى جانب نائب الرئيس بنس، وستيفن ميلر، ودان سكافينو، وديريك ليونز، وكاتبي الخطابات فينس هالي وروس ورثينجتون. أثناء قيامه بمراجعة المسودة، توقف ترامب كل بضعة أسطر لإدخال فكرة، أو تعديل عبارة، أو إضافة ذوقه المميز.

كانت بعض اللحظات المفضلة لدي في الحكومة خلال خطاب حالة الاتحاد. كان هناك دائمًا إغراء بتحميل الخطاب بمقترحات سياسية غير واضحة موجهة نحو المصالح الخاصة لواشنطن والحلفاء السياسيين. لكن كاتبي خطابات ترامب عملوا بجد للحفاظ على تركيز الخطاب على عدد قليل من أهداف السياسة الأساسية، مع استخدام أكبر مسرح في العالم لإظهار كيف كانت سياسات ترامب المؤيدة لأمريكا تغير حياة الناس وتستعيد الأمل في أمتنا. قامت كاتبة الخطابات بريتاني بالدوين، التي احتفظت بقائمة جارية من الأفكار التي تم إنشاؤها على مدار العام، بصياغة قصص "ضيوف المعرض" - مجموعة الأبطال الذين خلقت حياتهم الشجاعة والنعمة والوطنية بعضًا من أكثر اللحظات التي لا تُنسى. جلست إيفانكا وأنا مع هؤلاء الأفراد الرائعين في معرض مجلس النواب كل عام، وكان من المؤثر أن نرى وجوههم تضيء بالفخر بينما يكرمهم الرئيس. لن أنسى أبدًا وقوفي بجانب السجناء السابقين أليس جونسون وماثيو تشارلز في عام 2019 عندما احتفلت أمريكا بقصص فدائهم، أو الانضمام إلى الغرفة بأكملها للغناء "عيد ميلاد سعيد" للناجي من الهولوكوست وعضو جماعة شجرة الحياة يهوذا ساميت، أو مشاهدة بطل يوم النصر هيرمان زيتشيك يعانق جوشوا كوفمان، الناجي من الهولوكوست الذي حرره من داخاو، معسكر السجن النازي.

كانت لهذه الخطب أهمية شخصية بالنسبة لترامب، الذي كان سيقول:لقد تغيرت الأمور حتى اللحظة التي غادر فيها إلى الكابيتول. كنت عادة أحجز اليوم بأكمله في جدول أعمالي حتى أتمكن من مساعدته في الاستعداد - ولم يكن عام 2020 استثناءً. عندما دخلنا الساعات الأخيرة قبل الخطاب، تلقيت ملاحظة تفيد بأن آفي بحاجة إلى التحدث معي. كان يعلم أنني كنت في مرحلة إعداد الخطاب، لذلك شعرت أن الأمر كان عاجلاً.

"لقد انتهيت للتو من محادثة هاتفية مع ديرمر"، هكذا قال آفي عندما اتصلت به. "إن التونسيين يتداولون قراراً لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة يدين خطتنا للسلام باعتبارها انتهاكاً للقانون الدولي".

لقد كان هذا الأمر ملحاً بالفعل. ففي ذلك العام، كانت تونس هي الممثل الدوري للجامعة العربية في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وفي الأسبوع الذي تلا إطلاق الخطة، شن الفلسطينيون هجوماً شاملاً على هذه الخطة ــ وكانوا يكتسبون زخماً في الأمم المتحدة.

"اتصلوا بالسفير التونسي في البيت الأبيض على الفور واسألوه لماذا، بعد كل ما تفعله أميركا لتونس، يعطون الأولوية لبلادهم؟""لقد قلت لأفي: "علاقتنا مع الفلسطينيين أهم من أميركا". لقد تعلمت من تجربتنا السابقة أن الوفود في مجمع الأمم المتحدة في نيويورك لم تكن دائماً متناغمة مع قادتها في الوطن. لقد خضت مرتين من قبل معارك وخسرت في الأمم المتحدة. وبينما كنا نستعد للاختبار الثالث، كنت أعلم أن بقاء خطتنا على المحك. إذا شجبت الأمم المتحدة جهودنا، فإن هذا من شأنه أن يبرر التعنت الفلسطيني ويحول عملياً دون أن تكون خطتنا أساساً موثوقاً به لمحادثات السلام. قررت القيام برحلة طارئة إلى نيويورك لمعالجة الأمر مع مجلس الأمن.

المجلس مباشرة.

لقد تواصل آفي مع السفير التونسي في السفارة في واشنطن العاصمة. وعندما التقينا في البيت الأبيض، أعرب آفي عن انزعاجنا من القرار. شحب وجه السفير واعتذر بشدة. وقال إن سوء التفاهم حدث. وطلب آفي إجراء مكالمة بيني وبين رئيس وزراء تونس، ووافق السفير بسرعة.

عندما اتصل بي رئيس الوزراء في السادس من فبراير/شباط، كنت قد وصلت للتو إلى نيويورك وكنت في طريقي إلى اجتماع لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. كنت أتوقع المناوشات الدبلوماسية المعتادة بشأن وضعه السياسي الصعب أو موقفه الدولي. ولكن لدهشتي الكبيرة، أوضح لي رئيس الوزراء أن ممثله لدى الأمم المتحدة قد انحرف عن مساره. فقد ألغت تونس القرار، وأعفى رئيس الوزراء الدبلوماسي من منصبه.

عندما انتشرت أنباء استدعاء تونس لممثلها في الأمم المتحدة، أحدثت موجة من الصدمة في أروقة الأمم المتحدة الهادئة. لقد فاجأ هذا التطور الجميع وأظهر التقدم الذي أحرزناه على مدى السنوات الثلاث الماضية.

في ظهر ذلك اليوم، نزلت من المصعد إلى الطابق العلوي في مبنى البعثة الأميركية لدى الأمم المتحدة، وهو عبارة عن مساحة مخصصة للمناسبات تم تجديدها مؤخرا ويبلغ ارتفاع سقفها ثلاثة عشر قدما وتتمتع بإطلالة بانورامية مهيبة على نهر إيست ومجمع الأمم المتحدة.

وبينما جلس ممثلو مجلس الأمن الخمسة عشر حول طاولة مربعة كبيرة الحجم، استقبلتهم وثيقتان كبيرتان

لقد وضعت في كل مكان: نسخة من خطة السلام وعرض تقديمي على برنامج باور بوينت. وعرضت العرض التقديمي على عدة شاشات كبيرة وبدأت في الحديث عن مزايا خطتنا وكأنني أتحدث إلى مجلس إدارة شركة. وقد أوضح الرسم البياني الأول مدى عدم منطقية التمسك بالنهج الفاشل في الماضي. فمنذ عام 1993، كانت هناك تسع جولات من محادثات السلام بين إسرائيل والفلسطينيين. وفي كل مرة انهارت فيها المفاوضات، تزايد نشاط إسرائيل الاستيطاني، وحصلت السلطة الفلسطينية على المزيد من الأموال من المجتمع الدولي.

"لقد كانت عملية السلام في معظمها مسرحية هزلية على مدى عشرين عاما"، قلت. لقد تبنت الأمم المتحدة ما يقرب من سبعمائة قرار فيما يتصل بالصراع الإسرائيلي الفلسطيني. ولكن لم يتغير شيء. لماذا قد يكون لدى أي من الجانبين سبب للتنازل طالما استمرينا على هذا المسار؟ وفي الوقت نفسه، تدهورت نوعية الحياة بالنسبة لأولئك في الضفة الغربية وغزة. كان الجهاديون يتلاعبون بالصراع لتطرف الشباب المسلمين ونشر رواية كاذبة مفادها أنهم بحاجة إلى اتخاذ تدابير عنيفة لاستعادة المسجد الأقصى.

"أستمر في الحصول على حث للعب وفقًا للقواعد القديمة، لكن القواعد القديمة لا تنطبق على الجميع""عمل،" قلت.

بعد ذلك، قمت بإرشادهم خلال العناصر العملية للعرض الجديدعلى الطاولة: حل الدولتين الواقعي الذي يحافظ على الأمن الإسرائيلي.

ولقد ذكّرتهم بأن هذه الخطة كانت المرة الأولى التي تتنازل فيها إسرائيل عن مسارها نحو إقامة الدولة الفلسطينية. وبعد عرضي، طرح عليّ الممثلون أسئلة لأكثر من ساعة. وكان نقاشنا ودياً ومثمراً، وغادرت الاجتماع وأنا آمل أن أكون قد حققت تقدماً.

على مدى عقود من الزمن، كان عباس مهيمناً على الأمم المتحدة. وكان معتاداً علىولكن الآن لم يعد من الواضح ما إذا كان قراره في مجلس الأمن سوف يحظى بالدعم الإجماعي اللازم لعزل الولايات المتحدة، وأي شيء أقل من ذلك من شأنه أن يشير إلى أن موقفه الذي كان منيعا في الأمم المتحدة بدأ ينهار.

وبعد فترة وجيزة من عدم اليقين، لجأ الفلسطينيون إلى إندونيسيا، أكبر دولة ذات أغلبية مسلمة في

العالم، لحمل القرار. وفي يوم السبت الثامن من فبراير/شباط، تم توزيع مسودة القرار، مما أعطى ممثلي مجلس الأمن أربعا وعشرين ساعة لتقديم التعديلات ـ وهي الخطوة المعروفة في لغة الأمم المتحدة باسم "كسر الصمت". وافترض الجميع أننا ببساطة سوف نستخدم حق النقض ضد القرار. ولكن عندما قرأنا أنا وأفي المسودة، كانت لدينا فكرة أخرى. فبدلا من استخدام حق النقض ضده، ماذا لو "كسرنا الصمت" وقدمنا تعديلات بناءة؟ يمكننا تحويل القرار إلى بيان إيجابي حول أهمية متابعة أفكار جديدة وتحسين حياة الشعب الفلسطيني. ومن شأن هذه الخدعة أن تحول القرار من إدانة لخطتنا إلى تأييد لنهجنا العام. وسوف تجبر ممثلي مجلس الأمن على تحديد ما إذا كانوا حقا ضد المسار البناء الذي نقترحه. وبمساعدة سفيرتنا الجديدة لدى الأمم المتحدة، كيلي كرافت، التي خلفت نيكي هيلي، قمنا بصقل الاقتراح الجديد خلال عطلة نهاية الأسبوع واتصلنا بجهات الاتصال لدينا في كل دولة من الدول الأعضاء في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وبحلول يوم الاثنين، أعربت ألمانيا وفرنسا والمملكة المتحدة وجمهورية الدومينيكان عن دعمها لخطابنا. وأشارت الصين وفيتنام والنيجر إلى أنها ستمتنع عن التصويت. وفي ظل الاختيار بين الفشل والتراجع، اختار الفلسطينيون التراجع. وأعلنت إندونيسيا أنها ستؤجل القرار إلى أجل غير مسمى.

لقد انتصرنا. لقد هزمنا الفلسطينيين في لعبتهم الخاصة. عباس

نيويورك ـ في الحادي عشر من فبراير/شباط، وصل أوباما إلى نيويورك، وكان يخطط لإلقاء كلمة رسمية أمام مجلس الأمن بعد ما تصور أنه سيكون بمثابة هزيمة أخرى للولايات المتحدة. وبدلاً من الاحتفال بالنصر، ألقى أوباما خطاباً متعرجاً أمام مجلس الأمن، حيث رفض بشدة الدولة التي اقترحتها الولايات المتحدة ووصفها بأنها "جبنة سويسرية". كما هاجم الممثلين بكلمات مألوفة جوفاء، وهددهم بأنه إذا لم يتحركوا بسرعة، "فإن الوضع قد ينفجر في أي لحظة".

لقد كان كل من حاول التحدث إلى الزعيم الفلسطيني نيابة عنا محبطاً ويائساً. وحتى الزعماء العرب فقدوا ثقتهم في عباس. فقد سئم شعبهم من القضية الفلسطينية التي كانت مرتبطة بالماضي. حتى أن أحد الزعماء العرب شاركنا بمثل عربي شائع يلخص مشاعره تجاه الرئيس الفلسطيني: "من الأفضل أن يكون لديك عدو ذكي من حليف غبي".

* * *

في اليوم نفسه الذي قدمت فيه عرضي أمام مجلس الأمن، كان الرئيس في الغرفة الشرقية من البيت الأبيض يحتفل بتبرئته في مجلس الشيوخ. لقد أحزنني تفويت هذه اللحظة الخاصة. لقد صمد ترامب في وجه هجوم تاريخي من الهجمات وخرج أقوى من ذي قبل. ارتفعت نسبة تأييده بعشر نقاط. ومع اقتراب عام الانتخابات، كان الحزب الجمهوري متحدًا ومليئًا بالطاقة.

وبعد فترة وجيزة من عودة ترامب من رحلته إلى الهند في فبراير/شباط، طلب الرئيس من القائم بأعمال رئيس الأركان أن يستمع إلى رأي مولفاني في مسألة سياسية ملحة، لكن مولفاني لم يكن موجودا في أي مكان. وسرعان ما علم ترامب أنه غادر في رحلة شخصية. ولم تكن هذه هي القضية الأولى التي أثيرت مع مولفاني. وفي استياء عميق، استدعاني ترامب إلى المكتب البيضاوي، حيث كان يجلس مع دان سكافينو.

"لقد حان الوقت لإحداث التغيير"، قال.

"لقد أجرى ميك مناقشة معي حول هذا الأمر"، قلت. "لقد أخبرني"أخبرني أنه إذا أردت منه أن يستقيل في أي وقت، فإنه سيكون على استعداد للقيام بذلك بشروط جيدة. لن يكون مشكلة، وقد حدد بالفعل الوظيفة التي يريدها."

قال ترامب، متفاجئًا ولكن أيضًا مرتاحًا، "حسنًا، لقد حان الوقت للاتصال

أخبره أنني أريد أن أكون على علاقة جيدة.

ثم سألنا من نعتقد أنه سيكون البديل المناسب.

وبدون تردد، قلنا أنا وسكافينو، "ميدوز".

أومأ ترامب برأسه موافقا وطلب مني أن أعرف ما إذا كان مارك ميدوز، عضو الكونجرس عن ولاية كارولينا الشمالية ورئيس كتلة الحرية، سيقبل العرض.

كان ترامب قد فكر سابقًا في ترشيح ميدوز لهذا المنصب.لقد نجحا في بناء احترام متبادل قوي من خلال نيران التحقيق في روسيا ومحاكمة الرئيس. ومع ذلك، كان عضو الكونجرس قلقًا بشأن الرسوم القانونية والجدل الذي بدا وكأنه يلاحق كل من خدم في فلك ترامب.

عندما اتصلت بميدوز لمناقشة الدور، كان مترددًا. "ميك"صديقي"، قال.

لقد أطلعته على الاتجاه الذي يتجه إليه الرئيس: التغيير أمر لا مفر منه.

قال ميدوز: "هذا العام يحمل الكثير من المخاطر. كما تعلمون، أنا أحب الرئيس. وإذا كان سيجري أي تغيير على أي حال، فسوف يشرفني أن أخدمه".

كانت مكالمتي التالية مع مولفاني، الذي قبل قرار ترامب.مساء الجمعة 6 مارس، غرد ترامب: "يسعدني أن أعلن أن عضو الكونجرس مارك ميدوز سيصبح رئيسًا لموظفي البيت الأبيض. لقد عرفت وعملت مع مارك لفترة طويلة، والعلاقة جيدة جدًا. أود أن أشكر القائم بأعمال رئيس الأركان ميك مولفاني على مساعدته".

بعد أن خدم الإدارة بشكل جيد، سيصبح رئيس الولايات المتحدة.

"المبعوث الخاص للولايات المتحدة إلى أيرلندا الشمالية. شكرًا لك!"

وبينما كان ميدوز يستعد لدخول الجناح الغربي للبيت الأبيض، قررت ألا أتردد في تقديم النصيحة له. وبعد أن دعمت بقوة تعيينه، شعرت بأنني أتحمل مسؤولية كبيرة.

"لقد عملت الآن مع ثلاثة رؤساء أركان، وأربعة مستشارين للأمن القومي، وأكثر من ثلاثين عضوًا في مجلس الوزراء"، قلت. "لقد رأيت أشخاصًا يستولون على منظمات حكومية. بعضهم يفعل ذلك جيدًا، والبعض الآخر يفشل بشكل بائس. نصيحتي لك هي أن تأتي وتمكن العديد من الموظفين العظماء لدينا بالفعل.

لقد استعان كل رئيس أركان قبلك بأشخاص من وظيفته السابقة، وهذا أدى حتماً إلى صراع ثقافي. فقد استعان رينس باللجنة الوطنية الجمهورية، واستعان كيلي بفريق وزارة الأمن الداخلي، واستعان ميك بمكتب الإدارة والميزانية.

في كل مرة، كان هذا الأمر محبطًا لأعضاء الفريق الحاليين، الذين كانوا يعملون بجد لصالح ترامب وكانوا يشعرون بعدم الارتياح عند إبلاغهم لمجموعة جديدة من الشخصيات التي لم تفهم الرئيس ولم تدفع مستحقاتها.

"إن رئيس الأركان لديه مهمة مستحيلة ـ فهو يحتاج إلى إدارة الموظفين في المبنى مع الحرص في الوقت نفسه على التواجد الكامل والاهتمام بالرئيس. ولن تتمكن من أداء هذه المهمة على النحو اللائق إلا إذا كان لديك فريق قوي من حولك."

لقد دافعت عن كريس ليديل كنائب لرئيس الأركان للسياسة الرامية إلى إبقاء القطارات تعمل في الوقت المحدد، وديريك ليونز كمسؤول عن منع المشاكل.لقد عملت مع دان سكافينو كمستشار قانوني، وهوب هيكس كمستشارة استراتيجية. كما عرضت قضية دان سكافينو كنائب آخر لرئيس هيئة الموظفين. لقد قلت لميدوز: "دان هو أهم موظف في البيت الأبيض. فهو غالبًا ما يكون مع الرئيس لمدة عشر ساعات يوميًا.

عندما تعود إلى المنزل، ويكون الرئيس في مكتبه يعمل حتى وقت متأخر من الليل، فسوف يجلس سكافينو بجواره مباشرة وهو يقرأ المواد الخاصة به، ويعبر عن آرائه الخاصة، ويتحدث عن كل أنواع الأشياء. إذا كان هناك خطأ ما، فأنت تريد أن يشعر دان بالمسؤولية عن ذلك ثم يعمل معك لتصحيحه.

شكرني ميدوز على النصيحة، وفي معظم الأحيان، أخذ بها.

مثلمع اقتراب فصل الربيع، تزداد احتمالات فوز الرئيس في الانتخابات الرئاسية لعام 2020.

لم يكن يبدو أكثر واعدة من هذا قط.

لقد انتهت عملية العزل أخيرًا. وكان الاقتصاد الأمريكي في حالة من النشاط. فمنذ انتخابات عام 2016، نجح اقتصاد ترامب في خلق 7 ملايين وظيفة جديدة، ورفع 10 ملايين شخص من الرعاية الاجتماعية، وجلب 3.5 مليون شخص في سن العمل من الهامش إلى قوة العمل، ورفع أجور العمال ذوي الدخل المنخفض. ووصلت معدلات البطالة بين الأمريكيين من أصل إسباني والأمريكيين من أصل أفريقي والأمريكيين الآسيويين إلى أدنى مستوياتها في التاريخ. وكان الكونجرس قد أقر للتو تشريعًا يوافق على اتفاقية التجارة الجديدة بين الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، وهي الخطوة الأخيرة في جعلها دائمة.

لقد أبرمنا اتفاقية تجارية مع الصين. وقد ارتفعت نسبة تأييد الرئيس

ارتفع إلى أفضل رقم شخصي له وهو 49 في المائة، وهو رقم لم نكن نتوقعه.

كان يعتقد دائمًا أن مؤيدي ترامب لا يتم تمثيلهم بشكل كافٍ. 94
نسبة مئوية منلقد فضله الجمهوريون.

في ميدوز، كان لدينا رئيس جديد للأركان يتمتع بثقة ترامب ويشعر بأنه الشخص المناسب لهذا المنصب. ووفقًا لكل المؤشرات تقريبًا، كان ترامبفي وضع يسمح له بالإبحار نحو إعادة انتخابه.

ثم تغير كل شيء.

{44}

كود احمر

"يجب أن تحضر هذا الاجتماع في البيت الأبيض"، همس نائب رئيس الأركان كريس ليديل في أذني.
كان ذلك صباح الأربعاء، الحادي عشر من مارس/آذار 2020، وكنت في منتصف اجتماع في غرفة
ي
روزفلت مع مجموعة من أعضاء الحزبين الجمهوري والديمقراطي.
اجتمعت مع المشرعين والمديرين التنفيذيين للشركات لمناقشة تسريع مبادرة تريليون شجرة، والتي
أعطاني ترامب الضوء الأخضر لتنسيقها بعد تأييده لها في دافوس.
"قال ليديل: "إن الرئيس يفكر في إغلاق السفر من أوروبا. هذا قرار كبير جدًا، ويجب أن تكون
هناك". حتى تلك اللحظة، لم أكن مشاركًا في استجابة البيت الأبيض لـ COVID-19. قبل أن يحظر
ترامب السفر من وإلى الصين في 31 يناير، كان وزير الصحة والخدمات الإنسانية أليكس عازار
ونائب مستشار الأمن القومي مات بوتينجر يديران فريق عمل فيروس كورونا - فريق من المسؤولين
الفيدراليين لمراقبة انتشار الفيروس والإشراف على استجابة الإدارة. مع انتشار الفيروس، بدأ كبار
الأطباء وخبراء الرعاية الصحية في البلاد في زيارة البيت الأبيض على أساس يومي، باتباع نمط
طيران يمكن التنبؤ به يبدأ في غرفة العمليات، قبل الانتقال إلى مكتب رئيس الأركان، ثم إلى المكتب
البيضاوي، ثم العودة إلى غرفة العمليات. كان من المستحيل عدم ملاحظة ضجيج النشاط - أو
المخاوف المتزايدة التي يمثلها. وقد لفت انتباهي بالتأكيد عندما وضع ترامب نائب الرئيس مسؤولاً عن
فريق العمل في 26 فبراير، استجابة للمخاوف المتزايدة بشأن نقص الاختبارات.
على الصعيد الوطني.
استشهدت صحيفة نيويورك تايمز لاحقًا بمصدر غير مؤكد لتزعم أنني قللت من أهمية الفيروس داخليًا. كان
هذا كاذبًا. قيل لي إن الفيروس

كان يشكل تهديدًا خطيرًا وأن الرعاية الطبية والصحة العامة للحكومةكان الخبراء قادرين على السيطرة على الاستجابة لحالة الطوارئ الصحية العامة. في يوم الاثنين 9 مارس، قبل يومين من دخولي المكتب البيضاوي، انخفض مؤشر داو جونز بمقدار ألفي نقطة، وهو أكبر انخفاض على الإطلاق خلال التداول اليومي. ومع هبوط مؤشرات الأسهم إلى اللون الأحمر بشكل أعمق، حملت شاشة التلفزيون لقطات في الوقت الفعلي لسفينة الرحلات البحرية جراند برينسيس وهي ترسو في خليج سان فرانسيسكو وأكثر من ثلاثة آلاف شخص يدخلون الحجر الصحي. توفي أحد الركاب المسنين بالفعل بسبب الفيروس بينما كانت السفينة في البحر. في الساعة 1:45 مساءً، جاء رئيس موظفي نائب الرئيس، مارك شورت، إلى مكتبي وتوسل إلي لمساعدتهم. قال: "نحن نواجه مشكلة كبيرة مع فريق العمل". "نحن لا نحصل على دعم من اتصالات البيت الأبيض أو مجلس السياسة الداخلية. إن مكتب نائب الرئيس عملية ضئيلة للغاية، ولكي ينجح هذا، نحتاج إلى المزيد من الدعم من بقية البيت الأبيض. لكنهم يرفضون العمل معنا. هل يمكنك مساعدتنا في سد الفجوة؟أخبرت شورت أنني سأحاول حل المشكلة.

الآن، عندما غادرت غرفة روزفلت، شعرت بأن كوفيد-19 كان على وشك أن يتحول إلى أزمة تتجاوز نطاق حالة الطوارئ الصحية العامة النموذجية. كان الاجتماع في المكتب البيضاوي قائمًا بالفعل، لذا تسللت وجلست على أحد الكراسي الصفراء في مؤخرة الغرفة واستمعت إلى المناقشة. كانت مجموعة كبيرة: نائب الرئيس بنس، وستيفن منوشين، وأليكس عازار، والدكتور أنتوني فاوتشي، والدكتور روبرت ريدفيلد، والدكتورة ديبورا بيركس، وروبرت أوبراين، ومات بوتينجر، ولاري كودلو، وإيفانكا، وهوب هيكس، وستيفاني جريشام. كانوا يناقشون ما إذا كان ينبغي حظر السفر من أوروبا، وكان منوشين وكودلو يشرحان التأثير المدمر الذي قد يخلفه القرار على الاقتصاد والأسواق العالمية.

كان الرئيس يستمع باهتمام شديد، ويزن حجم القرار ويدرس كل المتغيرات. وبدا وكأنه يقف إلى جانب فريقي الأمن القومي والصحة العامة، اللذين أرادا فرض الحظر على الفور.

"قال فاوتشي: "نحن لا نعرف ما لا نعرفه، واتخاذ هذه الخطوة قد ينتهي به الأمر إلى أن يكون أمرًا كبيرًا حقًا".

لقد بدا الوضع في إيطاليا، كما صورته شاشات التلفزيون، على حافة الهاوية.لقد كانت المستشفيات تعاني من نقص في أسرة العناية المركزة. واصطف المرضى في الممرات والمستشفيات الميدانية بينما كان الأطباء المنهكون يفرزون المرضى ويضطرون إلى اتخاذ قرارات مصيرية بشأن من سيحصل على الرعاية. ومن الممكن أن يساعد حظر السفر في منع حدوث ذلك في أمريكا.

وبينما كنت أستمع إلى المناقشة، لفت انتباهي تجريداتها. كان الجانبان يناقشان فكرة الحظر من حيث المبدأ، ولكن لم يكن من الواضح ما إذا كانا قد وضعا اقتراحًا ملموسًا أو خطة تنفيذية. وكان ينبغي توضيح هذه التفاصيل من خلال عملية وضع السياسات في البيت الأبيض، والتي كانت تعمل أخيرًا بمستوى عالٍ من الاحتراف. وكانت هذه هي أفضل طريقة لتقديم خيارات واضحة لترامب، مستنيرة بأصحاب المصلحة. ولكن بسبب إلحاح جائحة كوفيد-19، تجاوز الموضوع عملية وضع السياسات.

لقد شعرت أن الرئيس قد يحتاج إلى بعض الوقت للتفكير في مثل هذا القرار الخطير. إن وقف سفر أقرب شركائنا وحلفائنا سيكون غير مسبوق. وبعد أن جلسنا بهدوء خلال الاجتماع، اقترحت أن يأخذ الموظفون استراحة لمدة ساعتين ثم يعودوا بخطة تكتيكية ليدرسها الرئيس.

اجتمع الفريق في غرفة مجلس الوزراء، وبدأت في طرح الأسئلة. ماذا يعني حظر السفر بالنسبة للتجارة والتبادل التجاري؟ ما المطلوب من المواطنين الأميركيين العائدين؟ هل نعلق عليه تاريخ انتهاء صلاحية أم نتركه مفتوحا؟ ما مدى السرعة التي نبدأ بها في فرضه؟

لقد عملنا على الإجابة على هذه الأسئلة ثم عدنا إلى الرئيس بعد عدة ساعات. وكان ترامب مستعدًا لاتخاذ قراره.

"فلنفعل ذلك"، هكذا قال. "إنها خطوة كبيرة، وسوف أتعرض لردود فعل سلبية كثيرة من جانب حلفائنا، ولكن يتعين علينا أن نفعل ذلك. وإذا كان هذا خطأ، فسوف يتقدم الأوروبيون بمزيد من الشكاوى، وسوف تخسر الشركات بعض الأموال، وسوف تتأخر خطط السفر. وإذا لم نفعل ذلك، وهذا التهديد حقيقي كما يبدو، فسوف يموت الناس".

لقد كنت فخوراً بحسم الرئيس. لقد كانت خطوة قوية

سيساعد في الحفاظ على أمن أمريكا وإظهار البلاد أنه على استعدادبذل جهود كبيرة للتعامل مع الفيروس.

لقد اتفقنا على أن الخطاب الرئاسي من المكتب البيضاوي هو أفضل وسيلة لشرح القرار وتهدئة الرأي العام. ومن شأن الرئيس أن يُظهِر للأميركيين أنه ثابت، ومسيطر على الأمور، ويتعامل مع الأمر بقلق، ويتخذ إجراءات حاسمة.

على مدار الساعات القليلة التالية، بذلنا قصارى جهدنا لإعداد خطاب. وكان فريق كتابة الخطابات لدينا على أعلى مستوى، ولكن لأن السياسة لم تكن مكتملة بالكامل، فقد واجهنا صعوبة في الحصول على المدخلات التي كنا في حاجة إليها من الخبراء الرئيسيين.لقد كان من الصعب للغاية أن نضمن أننا نجحنا في توصيل الرسالة الصحيحة والنبرة المناسبة. لقد جلست في مكتب ستيفن ميلر في الطابق الثاني من الجناح الغربي مع بنس وسكرتير الموظفين ديريك ليونز، محاولين كتابة الخطاب المثالي. كان الموضوع جديدًا بالنسبة لنا، وكان الوقت ضيقًا للغاية.

في الساعة التاسعة مساءً، بدأ الرئيس خطابه الثاني على الإطلاق إلى الأمة مباشرة من المكتب البيضاوي. "أيها المواطنون الأميركيون: الليلة، أريد أن أتحدث معكم عن استجابة أمتنا غير المسبوقة لتفشي فيروس كورونا الذي بدأ في الصين وينتشر الآن في جميع أنحاء العالم".

في خطاب مدته عشر دقائق، أعلن حظر السفر إلى أوروبا، ووصفه بأنه أحدث جزء في سلسلة من الإجراءات الجريئة التي اتخذتها الإدارة للحفاظ على سلامة الأميركيين. فقد أغلق السفر من الصين، وأعلن حالة طوارئ صحية عامة وطنية، وفعّل الحجر الصحي الإلزامي لأول مرة منذ أكثر من خمسين عامًا. وفي منتصف خطابه، عندما بدأ في وصف الجوانب العملية لحظر أوروبا، أخطأ الرئيس في قراءة خطابه، مضيفًا كلمة لم تكن في النص. وقال إن قيود السفر "لن تنطبق فقط على الكمية الهائلة من التجارة والبضائع". في الواقع، لم ينطبق الحظر على التجارة أو البضائع، لكن إدراج الكلمة لم يفعل سوى عكس معنى السطر. لقد قمت بتدوين ملاحظة ذهنية للخلط، لكن الرئيس تعافى وأنهى خطابه بقوة. لم يكن الخطاب تحفة فنية، لكنه قدم معلومات بالغة الأهمية للأمة حول شدة التهديد، وأسباب حظر السفر الأوروبي، وخطة ترامب للمضي قدمًا.

وبعد الخطاب مباشرة، أصدر البيت الأبيض بيانًا يوضح أن التجارة والشحن مستثنيان من حظر السفر.

كان من الضروري نشر الرسالة بسرعة: تتبادل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بضائع بقيمة 700 مليار دولار سنويًا، ووقف هذا التدفق من شأنه أن يعطلاقتصاداتنا.50

وبقية ذلك المساء، وعلى مدار اليوم التالي، غطت وسائل الإعلام الخطاب كما لو كانت ستغطي فضيحة، بجولة أوليةوبعد سلسلة من الانتقادات، تبع ذلك سلسلة من القصص العملية التي ألقت اللوم على الأخطاء. وقد وجدوا هدفًا مألوفًا. فقد ذكرت صحيفة واشنطن بوست أن "كوشنر ومستشاره السياسي الكبير ستيفن ميلر كتبا الخطاب إلى حد كبير".

في ليلة الخطاب، توقف بنس عند مكتبي وقال: "شكرًا لك على ما فعلته اليوم. هل يمكنك المشاركة ومساعدتي في فريق العمل؟ هذا تحدٍ كبير، وإذا كنا سننجح من أجل الرئيس والبلاد، فأنا بحاجة إلى قوة البيت الأبيض الكاملة".

"البيت والحكومة الفيدرالية بأكملها."

لم تكن المهمة التي دعوتني إليها، وكنت أعلم أنها ستثير انتقادات، ولكن من خلال ثلاث سنوات مكثفة في الحكومة، تعلمت كيفية التنقل عبر البيروقراطية الفيدرالية وتحقيق النتائج. وبعد رؤية فريق العمل وهو يعمل في ذلك المساء، شعرت بالقلق إزاء حالة الاستجابة الفيدرالية. لقد تجمد العديد من أعضاء فريق العمل مثل الغزلان أمام المصابيح الأمامية للسيارات. شعرت بمسؤولية تجاه الرئيس والبلاد للمساعدة حيثما دعت الحاجة. أخبرت نائب الرئيس أنني سأفرغ جدول أعمالي للثلاثين يومًا القادمة وأعمل وفقًا لتوجيهاته: "أنا مستعد تمامًا".

* * *

في صباح اليوم التالي، الثاني عشر من مارس/آذار، في طريقي إلى البيت الأبيض، اتصل بي أخي جوش من مدينة نيويورك. ووصف لي العلامات المقلقة: فقد ألغت المدينة موكب عيد القديس باتريك السنوي، وفرض آلاف الأشخاص حجرا صحيا على أنفسهم، وملايين آخرين يغادرون المدينة. وعندما أخبرته أنني طُلب مني المشاركة في الرد، اقترح علي: "يجب أن تتصلي بآدم".

كان آدم بوهلر الرئيس التنفيذي لمؤسسة التمويل الإنمائي الدولية، وهي مؤسسة استثمار أجنبية جديدة قوية تبلغ قيمتها 60 مليار دولار

وكالة تابعة للحكومة الفيدرالية. كنت أعرفه منذ الصيفـفي عام 2001، عندما كنا نسكن معًا في وحدة سكنية رباعية في سكن الطلاب بجامعة نيويورك. ثم أسس بوهلر أربع شركات ناجحة للرعاية الصحية، بما في ذلك شركة لاند مارك هيلث، أكبر شركة لتقديم الرعاية الصحية المنزلية في البلاد. وظللنا أصدقاء جيدين على مر السنين.

في ربيع عام 2018، طلبت مني سيما فيرما، مديرة مراكز الرعاية الطبية والخدمات الطبية (CMS)، المساعدة في توظيف بوهلرلقد دعوته وزوجته شيرا إلى مطعم البحرية لتناول الغداء. في ذلك الوقت كنت في واحدة من أسوأ لحظات حياتي وأكثرها سمية على المستوى السياسي. فقد أظهرت استطلاعات الرأي الأخيرة أنني حصلت على أدنى نسبة تأييد في عائلة ترامب: 10%. قلت مازحا: "هذا يعني أنه على الرغم من أنني نادرا ما أتحدث علنا، فإن ثلاثة وثلاثين مليون أمريكي يقدرون العمل الذي أقوم به".

لقد ضحك بوهلر وزوجته، وتحدثت معهما بصراحة حول ما ينطوي عليه العمل في الخدمة العامة. فقلت لهما: "من الصعب أن تتعرض للهجوم ـ من قِبَل أشخاص لا يعرفونك ـ لأنك تخليت عن عملك وحياتك المريحة من أجل القيام بما تعتقد أنه صحيح. لا تأت إلى واشنطن من أجل التقدير، ولكن إذا كنت تريد أن يكون لك تأثير على البلاد وحياة الملايين من الناس، فلا يوجد مكان أفضل للعمل فيه".

بعد فترة عمل مثمرة لمدة ثمانية عشر شهرًا في CMS، تم اختيار Boehler لكان بوهلر هو الشخص المثالي لمساعدتنا في الاستجابة لجائحة كوفيد 19 من قبل الحكومة الفيدرالية، وخاصة لأنه كان يتمتع بالمهارات اللازمة للتغلب على التنافسات الشرسة بين فريق الرعاية الصحية في الإدارة. اتصلت به، وبعد فشلي في الاتصال به، أرسلت له رسالة في الساعة 7:47 صباحًا من ذلك اليوم: "تعال إلى البيت الأبيض".

وبعد بضع دقائق، عبرت الشارع إلى مبنى المكتب التنفيذي لأيزنهاور لحضور اجتماع في الساعة 8:00 صباحًا في مكتب مات بوتينجر مع كريس ليديل والدكتورة ديبورا بيركس، التي كانت منسقة فريق عمل فيروس كورونا الذي اختاره نائب الرئيس. كانت بيركس طبيبة مرموقة، وكانت عقيدًا متقاعدًا في الجيش وقادت بنجاح استجابة الحكومة الفيدرالية العالمية لفيروس نقص المناعة البشرية / الإيدز لسنوات. كان حوالي اثني عشر شخصًا منتشرين حول طاولة مؤتمرات ويجلسون على الأرائك والكراسي التي كانت منقطة في المكتب. بعد سبع دقائق من الاجتماع، وصل بوهلر.

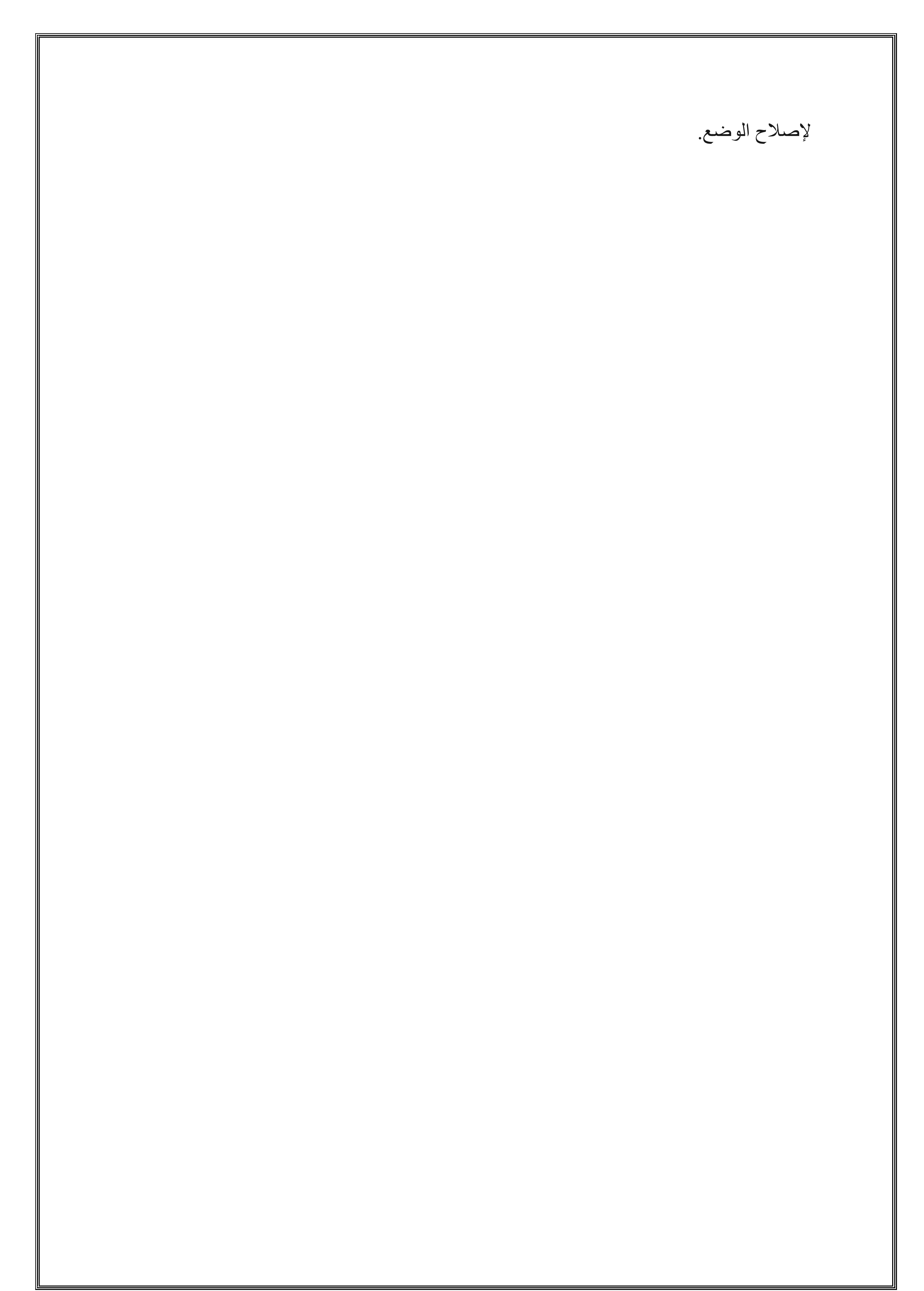
لقد قادتنا بيركس في مناقشة مطولة تناولت كل جانب تقريبًا من جوانب الاستجابة لكوفيد-19. وقد أصبحت متحمسة عندما ناقشت إحباطاتها من البيروقراطية وعجزها عن حث الناس على التحرك بالقدر الذي كانت تشعر به على مدار الأسابيع السابقة. وقد برزت نقطتان: لقد تأخرنا كثيرًا في إجراء الاختبارات، وسوف تصبح الإمدادات من المواد الأساسية مثل أقنعة الوجه والقفازات والعباءات نادرة قريبًا.

بعد الاجتماع، اجتمعنا أنا وبوهلر في مكتبي وبدأنا في رسم الخطوط العريضة لكيفية مساعدتنا في مجال الاختبارات والإمدادات. وللحصول على دعم إضافي، اتصلنا بصديقنا المشترك ورائد الأعمال الناجح في مجال الرعاية الصحية نات تيرنر. كما تواصلنا مع ثلاثة من أفضل موظفي الخدمة العامة في وزارة الصحة والخدمات الإنسانية: براد سميث، رئيس مكتب الابتكار في مراكز الرعاية الصحية والخدمات الطبية؛ وبريت جيروير، رئيس هيئة مفوضي الخدمة الصحية العامة؛ ونائب رئيس موظفي وزير الصحة أزار، بول مانجو.

في ذلك المساء، في غرفة العمليات، اقترب مني رجل كنت قد شاهدته للتو على شاشة التلفزيون. قال الدكتور أنتوني فاوتشي، المسؤول الأول عن الأمراض المعدية في المعاهد الوطنية للصحة: "شكرًا لك على ما فعلته بالأمس. ليس من العدل حقًا أن تهاجمك الصحافة. لقد قدمت مساهمة إيجابية للغاية. إذا كنت ترغب في أن أقول ذلك للصحافة، فسأكون سعيدًا بذلك".

"شكرًا لك على قول ذلك يا دكتور"، قلت. "لقد تقبلت حقيقة مفادها أنه عندما أدخل في موقف يسبب مشكلة، فإنني أميل إلى أن أصبح هدفًا لا يقاوم".

مع جلوس بنس على رأس الطاولة، أطلعت بيركس المجموعة على أحدث بيانات حالات الإصابة بفيروس كورونا من جميع أنحاء البلاد. وأظهرت مخططاتهاكانت هناك تطورات قاتمة. فقد بدأت حالات نيويورك في التضخم، وأعربت عن قلقها من انتشار الفيروس في نيو أورليانز خلال مهرجان ماردي غرا قبل عدة أسابيع. ووعد مدير مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها روبرت ريدفيلد بأن مراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها وإدارة الغذاء والدواء تبحثان جميع الخيارات لزيادة الاختبارات. وأفاد الأدميرال بريت جيروير، وهو مسؤول موهوب في مجال الصحة العامة يتمتع بمؤهلات طبية مثيرة للإعجاب، بأننا أكملنا 30 ألف اختبار فقط حتى الآن، وهو أقل بكثير من العدد المطلوب.51 وعلى النقيض من ذلك، أكمل الكوريون الجنوبيون بالفعل أكثر من 230 ألف اختبار.52 وكشفت المناقشة عن عداوة عميقة بين قيادة وزارة الصحة والخدمات الإنسانية ومراكز السيطرة على الأمراض والوقاية منها حول من يتحمل المسؤولية عن الكارثة. كانت الوكالات تلعب لعبة اللوم. من الواضح أنهم كانوا أكثر تركيزًا على شرح سبب عدم كون الأمر خطأهم بدلاً من رسم خطة ملموسة



لإصلاح الوضع.

المضي قدما. لا يوجد في أي مكان تعبير أكثر صدقا من "الفشل يتيم"
من في السياسة.

وبعد أن أنهينا الاجتماع الذي دام ساعتين، استعرض نائب الرئيس النقاط التي سيتناولها في المؤتمر الصحفي الذي سيعقده فريق العمل في ذلك المساء. ثم دار حول الطاولة ليحصل على الأفكار النهائية، ثم طلب مني أن أعرف وجهة نظري بشأن الرسالة التي كانوا يخططون لنقلها من المنصة.

"أنا الرجل الجديد في فرقة العمل هذه، لذا اعتبر ما أقوله مجرد تقييم مباشر مني في ضوء المنظور المحدود الذي أتمتع به"، قلت. "في الوقت الحالي، نحن"إننا نواجه مشكلة تتعلق بالحقائق، وليس بالرسائل. ولن يرضى الجمهور حتى نتمكن من وصف خطة ملموسة لإصلاح هذه الفوضى التي نتعامل معها فيما يتصل بالاختبارات. وبمجرد أن نتوصل إلى خطة لإصلاح كابوس الاختبارات هذا، فسوف نتمكن من التواصل بشكل أفضل".

في مكتبي، تحديت فريقي بالتفكير بشكل استراتيجي حول كيفية تسريع توزيع الاختبارات وتحسين الوصول العام. لقد فحصنا نظام كوريا الجنوبية للاختبارات أثناء القيادة من أجل أفضل الممارسات المحتملة وفكرنا في كيفية تنفيذ نظام مماثل في أمريكا.

"ما هو الموجود في كل مجتمع في أمريكا؟" سأل بوهلر.

توقفت وفكرت للحظة قبل أن أتساءل: "وول مارت؟"

إن الشراكة مع الصيدليات الكبيرة مثل Walmart وCVS وRite Aid وWalgreens من شأنها أن تلعب دوراً كبيراً في تعزيز قوة القطاع الخاص وغير الربحي في أمريكا. وعلى النقيض من الحكومة الفيدرالية، التي لم تكن مجهزة لإطلاق الاختبارات على نطاق واسع، كانت هذه الصيدليات الكبيرة مشغلين فعالين قدموا بالفعل ملايين لقاحات الإنفلونزا كل عام. وبفضل تعاونهم، يمكننا توزيع اختبارات كوفيد-19 بأسرع ما يمكن وعلى نطاق واسع.

لقد بادرنا إلى التحرك، فاستدعينا رؤساء الشركات التنفيذيين لعرض الفكرة عليهم. ودون تردد، وافقوا على تخصيص الموارد لاستكشاف الإمكانية بشكل أكبر.

في ذلك المساء، انضممت أنا وبوهلر وسميث وجيروير وترنر إلى مؤتمر عبر الهاتف مع رؤساء شركات الصيدليات وفرقهم. كما انضم إلينا رؤساء شركات الاختبار الكبرى لابكورب وكويست دياجنوستيكس وروتش وثيرمو فيشر. كان مفهومنا الأولي يتضمن دخول المرضى إلى الصيدليات لإجراء الاختبارات. وبينما كنا نرسم مخططًا للخطة، تحدث أحد الرؤساء التنفيذيين.

"لا أعتقد أن إحضار المرضى إلى متاجرنا سيكون مفيدًا جدًا لشركاتنا. سيكون من الأفضل كثيرًا أن نتمكن من استخدام مواقف السيارات الخاصة بنا."

كانت هذه نقطة عادلة، لذا قمنا بتعديلها، ووافق الرؤساء التنفيذيون على العمل طوال الليل حتى نتمكن من الانتهاء من التفاصيل عندما نلتقي في اليوم التالي في البيت الأبيض. وعندما أغلقنا الهاتف، نظر أعضاء فريقي إلى بعضهم البعض وقد طغت عليهم موجة من الأمل. لقد دخلنا وسط فوضى، لكن فكرتنا المجنونة البعيدة المنال قد تنجح. وإذا تمكنا من تسخير قوة وخيال القطاع الخاص في أمريكا، فقد تتاح لنا فرصة تحويل مسار الاختبارات.

لقد قمنا بتجهيز خطة الاختبار من خلال القيادة. كانت هناك العديد من المتغيرات: كنا بحاجة إلى معرفة عدد الاختبارات التي تمتلكها الولايات المتحدة، وأين توجد بالضبط، وعدد الاختبارات التي يمكننا الحصول عليها على الفور، والمجتمعات التي تحتاج إليها أكثر من غيرها، وأفضل طريقة لتوزيعها. سمعنا أن شركة Verily، وهي شركة شقيقة لجوجل، كانت تنشئ برنامجًا تجريبيًا في كاليفورنيا للمساعدة في ربط الناس بخدمات الاختبار. اتصلت شركة Turner برئيسها التنفيذي، آندي كونراد، للنظر في إنشاء شيء مماثل على نطاق وطني.

بحلول وقت توقفنا ليلًا، كانت الساعة 4:00 صباحًا

في وقت مبكر من صباح يوم الجمعة 13 مارس، بعد أن حثثنا إدارة الغذاء والدواءفي محاولة لتسريع المراجعة، أعلنت الوكالة أنها منحت الموافقة على اختبار فيروس كورونا الذي طورته شركة روش - وهو تقدم كبير في جهود الاختبار وخطوة ضرورية لنجاح خطتنا. يمكن معالجة الاختبار الجديد أسرع بعشر مرات من الاختبارات الحالية. لقد وعدنا شركة روش بأن إدارة الغذاء والدواء ستوافق على الاختبار في وقت قياسي، طالما كانت بياناته دقيقة. وقد صدقتنا الشركة على كلمتنا، حيث قامت بتهيئة الأنظمة لمعالجة الاختبارات في جميع أنحاء الولايات المتحدة.

وفي حوالي الساعة 11:00 صباحًا، اجتمع الرئيسان التنفيذيان لشركة الصيدلة والاختباراجتمعنا حول طاولة غرفة الاجتماعات في غرفة روزفلت لمواصلة التخطيط من الليلة السابقة. لقد حددنا المعايير الأولية للشراكة بين القطاعين العام والخاص بين شركاتهم والحكومة الفيدرالية لنشر أربعمائة موقع اختبار في المجتمعات في جميع أنحاء أمريكا. كان الجميع متحمسين ومتحمسين للمساعدة. نادرًا ما رأيت مثل هذا المزيج القوي من الإيثار والتعاون من القطاع الخاص. لم يكن هناك سوى كلمة واحدة لوصف ذلك: الوطنية.

وبعد ذلك، توقفت عند المكتب البيضاوي لتحديث الرئيس بشأن
عملنا. "هل يمكننا أن نعلن اليوم؟" سأل.

كان لدى ترامب دائمًا شعور قوي بالمشاعر العامة، وكان يشعر أن الناس كانوا حريصين على رؤية الحكومة تتخذ إجراءات حاسمة في وقت استمرت فيه تأخيرات الاختبار في الهيمنة على العناوين الرئيسية، وكانت الأسواق تتجه نحو يوم سيء آخر.

"لقد كان بإمكاننا ذلك، ولكننا لم نخطط لذلك"، قلت. "ليس كل شيء على ما يرام"مكتملة تمامًا، ولكنها واعدة."

لقد قرر ترامب الإدلاء بإعلان في ذلك المساء. وقد مثل هذا تناقضا في أساليب إدارتنا. لقد فضلت أن أكون منهجيا ولم أرغب أبدا في الإدلاء بإعلان قبل أن أقوم برسم السيناريوهات المحتملة والخطوات التالية والطوارئ عندما تخرج الأمور عن مسارها. لقد استغرق هذا بعض الوقت، وكان من الصعب مقاومة الضغط العام لمشاركة المعلومات. من ناحية أخرى، كان ترامب أكثر استعدادا للإدلاء بإعلان جريء والثقة في فريقه للوفاء به. كنت مترددًا، لكنني استسلمت لغريزته كزعيم لأمتنا لاتخاذ القرار.

عند عودتي إلى المكتب، حيث اجتمع فريقنا، قمت بتحديثهم بشأنلقد دهش الجميع من طلب ترامب. لقد عملنا على هذه الخطة لأقل من أربع وعشرين ساعة. لقد سارع الجميع إلى العمل لإتمام التفاصيل الرئيسية المتبقية والتأكد من أن أصحاب المصلحة لدينا يعرفون ما هو قادم. ولحسن الحظ، ظل الجميع على نفس النهج.

وفي حديقة الورود في الساعة 3:30 بعد الظهر، وبحضور مسؤولين ورؤساء تنفيذيين، تحدث ترامب: "اليوم، نعلن عن شراكة جديدة مع القطاع الخاص لزيادة وتسريع قدرتنا على اختبار فيروس كورونا بشكل كبير".

وبينما استمر المؤتمر الصحفي ووصف الرئيس لخطتنا، بمساعدة بيركس وفوسي والرؤساء التنفيذيين، بدأت الأسواق في الارتفاع.

وأضاف الرئيس قائلاً: "إن شركة جوجل تساعد في تطوير موقع على شبكة الإنترنت. وسوف يتم ذلك بسرعة كبيرة، على عكس المواقع الإلكترونية في الماضي، لتحديد ما إذا كان الاختبار ضرورياً وتسهيل إجراء الاختبار في مكان قريب مناسب... ولدى جوجل 1700 مهندس يعملون على هذا المشروع الآن".

وبحلول إغلاق السوق، بعد عشرين دقيقة من بدء المؤتمر الصحفي، ارتفع مؤشر داو جونز بمقدار ألف وأربعمائة نقطة ـ أي بنسبة 6%، وهو ما يمثل أول أخبار اقتصادية إيجابية منذ أيام. ولم نكن نحاول أن نجعل الناس يشعرون بالتفاؤل.

لقد كان هذا بمثابة تحفيز للسوق، ولكننا رأينا هذه النتيجة بمثابة ردود فعل إيجابية فورية.

وفي ذلك المساء، جاءت أنباء سيئة في حوالي الساعة 5:30 مساءً، حيث أصدرت شركة جوجل وشركتها الشقيقة فيريلي بيانًا قلصا فيه التزامهما بجهود اختبار الخدمة عبر السيارة، وأعلنا أن الموقع في البداية لن يخدم سوى منطقة خليج سان فرانسيسكو.53 لم يكن هذا ما وعد به آندي كونراد. في الواقع، قبل أن يلقي الرئيس خطابه، قرأ بوهلر له على وجه التحديد الأسطر التي تصف مشاركة فيريلي.

كنت في المكتب البيضاوي عندما اتصل بي سوندار بيتشاي. طلبت من بوهلر أن يتبعني إلى مكتب الرئيس، وقمنا بوضع الرئيس التنفيذي لشركة ألفابت، الشركة الأم لجوجل وفيريلي، على مكبر الصوت.

"ماذا حدث؟" سألت.

قال بيتشاي "أحيانًا يتقدم آندي على نفسه"، وألقى باللوم علىسوء فهم بسبب سوء التواصل الداخلي.

"سوندار، هذا الموقع الإلكتروني سيساعد الكثير من الناس، بغض النظر عن سوء الفهم. هل يمكنك تشغيله؟" سألت.

"دعني أنظر إلى ما هو ممكن"، قال. "نحن هنا للمساعدة، و"لا أريد أن أخذل البلاد."

في محاولة لتشويه صورة الرئيس، استغلت وسائل الإعلام هذا الخطأ. فكتبت صحيفة نيويورك تايمز: "ترامب باع موقعًا إلكترونيًا لشركة جوجل لمكافحة فيروس كورونا".

لقد قدمت هذه التجربة درسًا مهمًا في الأيام الأولى من

الأزمة. لقد كان بمثابة تذكير بأنه في هذا الوضع الصعب للغاية، حتىالأخطاء البسيطة التي ارتكبناها سيتم بثها في الوقت الحقيقي.

في يوم السبت، عقدت مؤتمراً هاتفياً مع الرؤساء التنفيذيين للشركات التي تدعم خطتنا لاختبارات القيادة، وواجهت رياحاً معاكسة جديدة وغير متوقعة، ربما بسبب سوء التفاهم مع شركة فيريلي. أعرب العديد من الرؤساء التنفيذيين في المكالمة عن تحفظاتهم بشأن المسؤولية القانونية التي يفرضها نظام اختبار القيادة على شركاتهم. كانوا مترددين، وكنت قلقاً من أنهم قد يتراجعون. كان المد يتحول ضدنا.

ثم تدخل الرئيس التنفيذي لشركة وول مارت، دوج ماكميلون، قائلاً: "يا رفاق، إذا لم نفعل هذا، فمن سيفعله؟ بلادنا تحتاج إلينا الآن.وول مارت مستعدة لتحمل المخاطر.

وبحلول نهاية المطاف، ضاعف الرؤساء التنفيذيون التزامهم بالمساعدة. وقد أحسست بالفخر لكوني أميركياً بينما كنا نندفع بكل قوتنا إلى معركة حياتنا.

{45}

ايقاع المعركة

"مهما حدث بين ليلة الأربعاء وظهر الجمعة في البيت الأبيض، دعونا نلقي المزيد منه"، هذا ما كتبه مجلس تحرير صحيفة وول ستريت جورنال في مقال رأي بتاريخ 13 مارس/آذار، والذي عزز الروح المعنوية بين فريقي.

لكن فجأة، لم يعد لدينا ما يكفي من أعواد القطن في بلدنا.

لقد علمت بالمشكلة يوم الأحد بعد الظهر، عندما اجتمعنافي مكتب في الطابق السابع من مقر وزارة الصحة والخدمات الإنسانية، وصف براد سميث المشكلة التي اكتشفها للتو: "ليس لدينا سوى مليون ونصف المليون قطعة قطن في جميع أنحاء البلاد.

"المخزون الوطني الاستراتيجي."

كنت أعلم أن الحكومة الفيدرالية تحتفظ بمخزون استراتيجي من الإمدادات الطبية الأساسية. ولم يخطر ببالي أن أعواد القطن كانت من بينها، ولكن بالطبع كانت كذلك - وكان كل اختبار لكوفيد يتطلب على الأقل قطعة قطن واحدة. كنا نعاني من نقص في الكثير من الإمدادات الأخرى أيضًا، من القفازات والعباءات إلى الأقنعة وأجهزة التنفس الصناعي. لقد أدى جائحة إنفلونزا H1N1 في عام 2009 إلى استنزاف المخزون بشكل خطير، ولسبب غير قابل للتفسير، لم يكلف أحد نفسه عناء إعادة بنائه.

كان هذا بمثابة ركلة قوية في المعدة. لم يحصل سميث على هذه المعلومات إلا بعد انتزاعها من فريق الدكتور بوب كادليك في مكتب مساعد الوزير للاستعداد والاستجابة. قبل الوباء، كانت كل هذه الإمدادات منخفضة التكلفة ومتاحة بسهولة في السوق. كان بإمكان ASPR بسهولة شراء كميات هائلة لملء المخزون.

ولكن الآن بعد أن أصبحنا في خضم جائحة، أصبح من المستحيل تقريبا العثور على الإمدادات وشرائها. وكان المواطنون والشركات والمستشفيات يشترون كل شيء. فهل يصبح العنصر الأقل تكلفة حقا عنق الزجاجة بالنسبة لنا؟ كيف يمكن لأعظم دولة في العالم أن تتغلب على هذه المشكلة؟ولكن هل كان من الممكن أن نتساءل عما إذا كان لدينا ما يكفي من إمدادات الاختبار لمدينة واحدة، ناهيك عن البلد بأكمله؟ كيف كنا غير مستعدين على كل الجبهات تقريبًا؟ وبقدر ما أردت أن أفهم فشل ASPR، كان علي أن أنتظر هذه الأسئلة. كنا في وضع الفرز، وكنا بحاجة إلى كل ثانية إضافية لوقف النزيف.
كان علينا أن نجد ملايين المسحات الإضافية في وقت قصير.

بينما كنا نتعامل مع نقص أعواد القطن والإمدادات الأخرى،في عام 2011، واجهت إدارة ترامب مشكلة أخرى: الحاجة إلى تطوير إرشادات الصحة العامة. نظرًا لأن الناس في جميع أنحاء البلاد كانوا مرتبكين وقلقين، فقد ناقش بيركس وفوتشي الحاجة إلى مجموعة موحدة من المعايير الفيدرالية لمساعدة الأميركيين على فهم ما يجب عليهم فعله للحفاظ على سلامتهم وإبطاء انتشار الفيروس. وأصروا على أن هذه الإرشادات ستساعد في منع المستشفيات من الإرهاق. وعلى الرغم من كل الحديث على مدار الأسبوع الماضي، لم يتخذ أحد خطوات لإنتاج وثيقة. عندما أشار نات تيرنر إلى المشكلة، طلبت منه التنسيق مع ديريك ليونز لإنتاج مسودة وشجعته على الاتصال بالدكتور سكوت جوتليب، الرئيس السابق لإدارة الغذاء والدواء وخبير الصحة العامة الشهير. كنت أحاول إقناع جوتليب بالعودة إلى الحكومة لفترة قصيرة لمساعدتنا في تنظيم استجابتنا بشكل أفضل ودعم جهودنا لتطوير لقاح.

عندما اتصلنا بجوتليب، كان ممتنًا لأننا نعد الإرشادات. وقال: "يجب أن تذهب إلى أبعد قليلاً مما تشعر بالارتياح تجاهه. عندما تشعر أنك تفعل أكثر مما ينبغي، فهذه علامة على أنك تفعلها بشكل صحيح".

في ذلك المساء، تلقيت مكالمة غير متوقعة من حاكم نيويورك أندرو كومو. كنت أعرف كومو منذ سنوات. لقد اتصل بي بعد اعتقال والدي في عام 2004، وهو الأمر الذي لم تنساه عائلتي أبدًا. قال لوالدي في ذلك الوقت: "لقد مررت بفترات صعود وهبوط أيضًا. ستعود".

في حديثه الهاتفي معي، كان صوته الواثق المعتاد مرتجفًا من شدة القلق. قال: "جاريد، هذا الأمر يزداد سوءًا حقًا، وأخشى أن ننفد قريبًا أسرة العناية المركزة. لدينا ثلاثة آلاف سرير فقط للعناية المركزة".

"في المدينة، وبهذا المعدل، قد نحتاج إلى مائة وخمسين ألفًا آخرين في الأسابيع المقبلة. أناشدكم والرئيس بصفتكم مواطنين من نيويورك. أنا بحاجة إلى مساعدتكم. أنا بحاجة إلى مساعدة الحكومة الفيدرالية لتجاوز هذا الأمر".

وقال إنه كان يتطلع إلى إعادة تأهيل مساكن ومباني الكليات لتوفير مساحة لأسرّة إضافية. وقال: "منذ أن كنت وزيرًا للإسكان والتنمية الحضرية، أعلم أنه إذا كنت تريد البناء بسرعة ولم يكن المال عائقًا، فإن فيلق مهندسي الجيش هو الأفضل. هل يمكنك إرسالهم إلى هنا على الفور لمساعدتي في البدء في تحويل المرافق؟" واستمر الحاكم في التعبير عن مخاوفه بشأن مدى عدم القدرة على السيطرة على انتشار الفيروس، خاصة بين كبار السن في نيويورك. وقال: "بالنسبة لدور رعاية المسنين، قد يكون هذا مثل النار في العشب الجاف".

لقد وعدت بأنني سأفعل كل ما بوسعي لإقراض الحكومة الفيدرالية

وأتمنى أن أكون عند حسن ظن الحكومة، وأن أكون متاحًا له على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع.

وقال كومو "أريدكم أن تكونوا مستعدين. سيكون هناك الكثير من الأشياء التي لا يمكننا حلها، ولكن دعونا نعترف في البداية بأننا سنفعل كل ما في وسعنا. ثم دعونا نظهر للناس أننا نقود، لأنه في الوقت الحالي، يحتاج الناس إلى الشعور بأن قادتهم يعملون معًا ويقودون. الناس مذعورون للغاية في هذه المرحلة، ولا يمكنك تقريبًا اتخاذ قرار متطرف للغاية. التردد هو القرار السيئ الوحيد الذي يمكنك اتخاذه. عليك أن تكون حاسمًا ".

وبعد مناقشة دامت ثلاثين دقيقة، سألته عمن ينبغي لي أن أتصل به في فريقه لتنسيق ردنا. فقال: "فقط تعامل معي بشكل مباشر". وعلى مدى الأيام الستين التالية، عملنا على أساس يومي لضمان التعامل بسرعة مع أي مخاوف تثيرها نيويورك.

الذعر في صوت كومو وتوقعاته المروعة، والتي تفاقمت بسببلقد أصابني الإرهاق الشديد بعد أربعة أيام متتالية من محاولة تحسين وضع الاختبار. لقد كنا متأخرين أميالاً عن المكان الذي يجب أن نكون فيه، وشعرت بالعجز عن تحسين نظرتنا. تومض أسوأ السيناريوهات في ذهني: الممرضات والأطباء بدون معدات وقائية، والمستشفيات المكتظة بدون أسرة للمرضى، ونقص أجهزة التنفس الصناعي مما أجبر الأطباء على اختيار من سيعيش ومن سيموت، والقدرة المحدودة على اكتشاف تفشيات جديدة بسبب نقص إمدادات الاختبار، وعشرات الملايين من الأميركيين عالقين في منازلهم، ويزدادون قلقًا كل ساعة.

نظرت إلى ساعتي. كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة مساءً، فنزلتُ إلى الطابق السفلي، عبر الجناح الغربي الخالي من الناس تقريبًا، لأرى كيف يسير الفريق، فوجدت تيرنر وسميث وجيروير متجمعين حول جهاز الكمبيوتر الخاص بديريك ليونز في مكتب سكرتير الموظفين. كانوا يعملون على صياغة المبادئ التوجيهية الأولية، التي أطلقوا عليها عنوان "15 يومًا لإبطاء انتشار الفيروس". وكانوا أيضًا في حالة من التوتر الشديد، لكنهم كانوا مصممين على إعداد مسودة لتقديمها إلى الرئيس في صباح اليوم التالي.

"لقد قمتم بعمل رائع على مدار الست والتسعين ساعة الماضية، و"ليس لدي أدنى شك في أن ما نقوم به سيساعد في إنقاذ الأرواح"، قلت.

لم أكن أريد أن يشعر الفريق بالخوف الذي شعرت به، لكن صوتي انخفض قليلاً، مما كشف عن افتقاري للثقة في قدرتنا على تجنب الكارثة. لقد كافحت للتحدث. "هناك احتمال أن يكون التحدي الذي نواجهه أكبر مما كنا نتصور. ربما هناك مشاكل أكبر من أن يتم حلها. أكره أن أقول هذا لكم يا رفاق، لكن في الوقت الحالي، أشعر وكأننا على الشاطئ نعمل بشكل محموم في محاولة لبناء كوخ واقٍ مصنوع من الرمال والأوراق، بينما تقترب موجة تسونامي هائلة".

وبينما كان الفريق ينظر إليّ، غير متأكد مما يجب أن يقوله، استعدت رباطة جأشي. "نحن جميعًا مرهقون. بعد الانتهاء من هذه المراجعة، عد إلى المنزل واحصل على بعض الراحة حتى نتمكن من الاستعداد للقتال الذي ينتظرنا".

في رحلة العودة القصيرة، جلست بصمت في الجزء الخلفي من سيارة الخدمة السريةكانت سيارة الدفع الرباعي تعيد تشغيل محادثتي مع كومو في ذهني. وبينما كنت أسير عبر الباب الأمامي، شعرت إيفانكا بمزاجي وسألتني كيف تسير الأمور. ثم رويت الساعات الاثنتي عشرة الأخيرة من حياتي.

"الآن هو الهدوء الذي يسبق العاصفة. لا شيء آخر يهم بعد الآن"، قلت لها. "إن الأمر أكبر من السياسة، وأكبر من كل المشاكل الأخرى التي كان علينا حلها مجتمعة. أكبر من الهجرة، والصفقات التجارية، وإصلاح السجون".

نظرت إلي إيفانكا بقلق وقالت وهي تلف ذراعيها حولي: "هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها قلقك يملأني". أدركت أنه منذ اعتقال والدي لم أواجه تحديًا خارجًا عن سيطرتي إلى الحد الذي جعلني أسمح للخوف والعجز بالتغلب علي.

وبينما كنا نتحدث، اتصل بي نائب الرئيس لمقارنة ملاحظات اليوم. فقلت له: "لقد أحرزنا تقدماً جيداً، ولكنني أخشى أن يكون التقدم ضئيلاً للغاية ومتأخراً للغاية. وسوف يكون الأمر صعباً حقاً. ولست واثقاً من قدرتنا على تحقيق ذلك".

"تلبية الطلب على الإمدادات. قد يكون هذا عرضًا مرعبًا."

ولن أنسى أبدا رد نائب الرئيس المهدئ: "جاريد، كنت حاكما. وعلى المستوى الفيدرالي، سنبذل قصارى جهدنا بالتأكيد"، كما قال بثبات كما هو الحال دائما. "لكننا لن نضطر إلى حل هذه المشكلة بمفردنا. يتعين على الحكام أن يبذلوا قصارى جهدهم لحل هذه المشكلة"."إننا نعتمد على الموارد والفرق وإبداعاتهم. وفي أوقات الأزمات، يبادر الشعب الأمريكي إلى إيجاد الحلول."

لا أدري إن كان يشعر بالثقة التي بدا عليها، أو إن كان يُظهِر قوة القيادة التي فشلت في إظهارها لفريقي في وقت سابق من تلك الليلة، لكن هذا كان بالضبط ما كنت بحاجة إلى سماعه لإخراجي من حالة الإحباط التي انتابني. والأهم من ذلك، كان هذا ما كنت بحاجة إلى تصديقه وأنا أستعد للمعركة المقبلة. لقد رفعني بنس إلى أعلى مستويات المعنويات عندما كنت في أشد الحاجة إلى ذلك، وترددت كلماته في ذهني وأنا أغفو.

* * *

في صباح اليوم التالي، يوم الاثنين 16 مارس/آذار، استيقظت في الخامسة صباحاً كالمعتاد، ولكنني في ذلك اليوم شعرت بإحساس متجدد بالعزيمة. وبينما كنت أركب سيارتي إلى المكتب، فكرت في الرسالة التي وجهتها إلى الفريق في الليلة السابقة. لقد ارتكبت خطأً عندما أظهرت لهم الشقوق في ثقتي بنفسي. وإذا كنا نريد حقاً أن نحقق المعجزات، فيتعين علي أن أظهر لهم أنني أؤمن بأننا قادرون على تحقيق المعجزات.

"هذا سيكون أصعب شيء قمنا به على الإطلاق"، قلت له"لقد وضعنا الله هنا لأي سبب كان. الحكم الوحيد الذي يجب أن نهتم به، عندما ينتهي كل هذا، هو أن نتمكن من النظر إلى أنفسنا في المرآة ونقول إننا فعلنا كل ما في وسعنا لإحداث أكبر فرق. وإذا فشلنا، فسوف نفشل، لكننا سنبذل قصارى جهدنا".

كان تيرنر وفريقه قد أنهوا المسودة الأولى للمبادئ التوجيهية. وقد أخذنا الوثيقة إلى مكتب بنس لإجراء مراجعة نهائية مع بيركس وفوشي وريدفيلد. وقد عرضوا بعض التغييرات البناءة، ولكن بشكل عام لم تكن هناك أي تغييرات إيجابية.لقد كنا إيجابيين للغاية بشأن الوثيقة التي أنتجناها.

وسأل فوسي: "هل تعتقد أن الرئيس سيدعم هذا؟""لا أعلم"، قلت. "لكننا سنحاول".

وفي مكتبي وحدي، اتصلت بالرئيس لاستعراض المبادئ التوجيهية وإعطائه فرصة للرد بصراحة، دون خوف من أن يسرب الأطباء رد فعله إلى الصحافة.

"سيأتي إليك نائب الرئيس بنس والأطباء"

"قلت إن هناك إرشادات قوية للصحة العامة، قد تبدو صارمة، لكن

نعتقد أن هذه الاحتياطات قد تنقذ عشرات الآلاف من الأرواح. نحن نعاني من نقص حاد في الإمدادات، وسوف يستغرق الأمر عدة أسابيع للعثور على المزيد. إن مطالبة الناس باتخاذ هذه الاحتياطات من شأنها أن تبطئ انتشار الفيروس،"تقليص عدد الحالات الجديدة، وكسب الوقت الذي نحتاجه بشدة."

لقد فهم ذلك. وفي ذلك المساء، أخذنا الإرشادات إلى ترامب.

وقد عرض بيركس، وفوتشي، وريدفيلد حججهم.

قال ترامب: "هل هذا كل شيء؟". "اعتقدت أنك ستطلب مني استدعاء الجيش لإجبار الناس على البقاء في منازلهم. لا يمكننا أن نفعل هذا إلى الأبد، لكن الناس سيتحملون هذا لبضعة أسابيع".

وفي مؤتمر صحفي بعد ساعات قليلة، أعلن ترامب عن "15 يومًا لإبطاء انتشار المرض"، وحث جميع الأميركيين على العمل والذهاب إلى المدرسة من المنزل، وتجنب التجمعات التي تضم أكثر من عشرة أشخاص، وتأجيل السفر، وتجنب الأكل أو الشرب في المطاعم والحانات، والامتناع عن زيارة دور رعاية المسنين ومراكز التقاعد. وقد قدر خبراء الصحة في وقت لاحق أن الإرشادات ساعدت في إنقاذ ملايين الأرواح.

وبينما كان الأميركيون يختبئون لمدة خمسة عشر يومًا، كثفنا جهودنا لتنفيذ عمليات على مستوى زمن الحرب. وكان الدكتور بوب كادليك يستعرض الجوانب التشغيلية للاستجابة لفيروس كورونا، من إعادة الركاب على متن السفن السياحية إلى إدارة المخزون. وبدا كادليك مثقلًا بالمسؤولية المترتبة على كل هذا. ووفقًا لتقديرات الجمعية الأميركية لأطباء الطوارئ، سنحتاج إلى 3.5 مليار قناع على الأقل لمواجهة الوباء. وكان لدينا واحد في المائة من الأقنعة التي نحتاجها، وكان من المقرر أن تنتهي صلاحية إمداداتنا الحالية في غضون أسابيع.

قال كادليك: "لا تقلق، لقد طلبت ستمائة مليون قناع"."رائع." زفرت. "متى سيتم تسليمهم؟"

"الشحنة الأولى ستصل في شهر يونيو."

"هل أنت جاد؟" ألقيت قلمي على الحائط. كان واحدًامن الحالات القليلة التي فقدت فيها رباطة جأشي.

"نحن في شهر مارس! قد تنفد الأقنعة لدينا في غضون أسبوع. قد نموت جميعًا بحلول شهر يونيو!"

كان كادليك رجلاً لطيفًا وكان معروفًا بكونه مجتهدًا،ولكن من الواضح أنه كان بحاجة إلى المساعدة.

في 18 مارس، قمنا بنقل استجابة كوفيد من مكتب كادليك في وزارة الصحة والخدمات الإنسانية إلى مركز تنسيق الاستجابة الوطنية التابع لوكالة إدارة الطوارئ الفيدرالية (NRCC)، وهي عملية بين الوكالات مصممة للعمل على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع أثناء حالات الطوارئ الوطنية. مع كل ما لديها من قدرات بحثية وفكرية، تعمل وزارة الصحة والخدمات الإنسانية بشكل أشبه بمؤسسة أكاديمية، في حين أن وكالة إدارة الطوارئ الفيدرالية لديها توجه مختلف تمامًا. فهي مصممة للتحرك

بسرعة واتخاذ القرارات والتعامل مع الأعاصير وحرائق الغابات والفيضانات.

العواصف الثلجية والكوارث الطبيعية الأخرى. ومع مكاتبها المنتشرة في مختلف أنحاء أميركا، تعمل هذه الوكالة كحلقة وصل رئيسية بين الحكومة الفيدرالية والحكام.

على مدى أسابيع، ضغطت بيركس وكبير موظفي الاستجابة للكوارث في مجلس الأمن القومي، برايان كافانو، لتفعيل لجنة التنسيق الوطنية للحزب الجمهوري، لكن أزار قاوم الفكرة. فقد فقد الوزير الكثير من سيطرته عندما تولى بنس قيادة فريق العمل، وكان نقل مركز العمليات من وزارة الصحة والخدمات الإنسانية إلى إدارة الطوارئ الفيدرالية من شأنه أن يخفف قبضته على الاستجابة. كنت أعلم أن أزار لن يعجبه ذلك، لكنني ذهبت إلى نائب الرئيس وأخبرته أننا بحاجة إلى إجراء التغيير على الفور. إن تفعيل لجنة التنسيق الوطنية للحزب الجمهوري من شأنه أن يمنح المحافظين نظامًا يفهمونه لتلقي الطلبات والبت فيها والموافقة عليها وشحنها.

لقد أدركت على الفور أن هذا هو أفضل قرار يمكننا اتخاذه. كان مدير إدارة الطوارئ الفيدرالية بيت جينور عقيدًا سابقًا في سلاح مشاة البحرية يتمتع بعقلية مخطط الحرب. "نحن بحاجة إلى إنشاء"لقد أخبرني جينور عندما التقينا لأول مرة في مقر إدارة الطوارئ الفيدرالية: "إننا نقضي الآن وقتاً طويلاً في الاجتماعات لمناقشة مواضيع رفيعة المستوى. وعندما يكون المسؤولون في هذه الاجتماعات، لا يمكنهم إدارة أقسامهم. نحن بحاجة إلى تحديد الأهداف، وإنشاء سلسلة من القيادة، ثم البدء في تحقيق ذلك". لقد كان الأمر موسيقى في أذني. في اليوم التالي، بناءً على طلبنا، أرسل رؤساء الأركان المشتركة الأدميرال البحري جون بولوفسيك، أحد كبار خبراء اللوجستيات في الجيش، إلى إدارة الطوارئ الفيدرالية لإدارة المشتريات وتوزيع الإمدادات. من خلال العمل معًا، جلب جينور وبولفسيك الهيكل والمصداقية لإدارة المخزون، وأداروا عملية إدارة الطلبات الواردة وشحن المواد إلى الولايات في غضون 15 يومًا.

أربع وعشرون ساعة.

في ذلك الوقت كنت جالساً في مكتب جينور في اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري عندما اتصل بي تشاك شومر، عضو مجلس الشيوخ عن نيويورك وزعيم الأقلية الديمقراطية، ليطلب الإمدادات لولايته. كنت على اتصال دائم بصناع القرار على مستوى الولاية والمحليات في نيويورك. كانوا يتصلون بي بانتظام ـ عادة للتعبير عن امتنانهم للتدفق المستهدف للإمدادات التي كنا نرسلها. ويبدو أن شومر لم يكن على اتصال بهم، واشتكى من أننا لم نرسل الإمدادات. فتناولت مجلداً يحتوي على أحدث البيانات عن الإمدادات التي أرسلناها إلى نيويورك، وسردت قائمة طويلة بالإمدادات التي كانت في طريقها. ثم أخبرت شومر أننا سنعمل معه حتى على إصدار إعلان حتى يتمكن من تحمل الفضل في التسليم.

كان جينور يستمع إلى هذه المحادثة، وعندما أغلقت الهاتف، نظر إلي بنظرة حذرة. وقال بلهجته الغليظة التي يتحدث بها أهل رود آيلاند: "نحن بحاجة إلى أن نكون دقيقين في كل هذا. وبمجرد أن نتجاوز هذه الأزمة، فسوف يتم التحقيق في كل عقد وكل عملية تسليم. وسوف يتم استدعائي أمام الكونجرس، وسوف أضطر إلى الإجابة على الأسئلة".

"أنت تخبرني أن هناك كارثة طبيعية غير مسبوقة،"لقد كنا مستعدين نظريًا ولكننا لم نكن مستعدين فعليًا، وبينما كان الجميع يهربون ويحاولون تجنب اللوم، واجهت الكارثة، واستخدمت كل ذرة من الإبداع وأي شيء آخر يمكنك التفكير فيه لإنقاذ الأرواح، ثم كانت مكافأتك على القيام بكل هذا هو أنك ستُستدعى أمام الكونجرس وتُضايقك باستدعاءات للإجابة على أسئلة حول النسبة الصغيرة من الأشياء التي سارت بشكل خاطئ؟" "بالضبط"، قال جينور بابتسامة ساخرة.

"وأنت تطوعت لهذه الوظيفة؟"

"قال جينور: "نحن مجموعة مريضة في مجتمع الاستجابة للطوارئ. نحن نعشق العقاب، ولكن على الأقل الأجر سيء".

{46}

مشروع الجسر الجوي

قال آدم بوهلر: "إن مكانه عبارة عن صندوق أسود، فهو غير مصمم لمواجهة جائحة عالمية".

كان بوهلر يتصل من مقر إدارة الطوارئ الفيدرالية، حيث كان هو ولقد قام عشرة متطوعون من شركات الأسهم الخاصة الذين جندهم بتأسيس مكتب مؤقت في الطابق السفلي وكانوا يتصلون بشكل عاجل حول العالم للحصول على الإمدادات. ولدهشتنا، كنا نجد معدات أكثر مما توقعنا، لكن نظام المشتريات الخاص بوكالة إدارة الطوارئ الفيدرالية لم يسمح لنا بإجراء عمليات شراء سريعة. على الرغم من أن الوكالة كانت تستجيب غالبًا للكوارث الطبيعية السريعة، إلا أنها كانت تسحب عادةً من المخزونات التي بنتها خلال فترات طويلة بين الأزمات الوطنية. الآن، في وقت الأزمة العالمية، كنا بحاجة إلى أن تذهب وكالة إدارة الطوارئ الفيدرالية لشراء ملايين العناصر بسرعة فائقة. أرسل لي براد سميث قائمة مفصلة بالإمدادات التي عثروا عليها لكنهم لم يتمكنوا من الحصول على موافقة للشراء في المجموع: 160 مليون قناع،
223 مليون قفاز، و1.3 مليون رداء طبي، إلى جانب سلع أساسية أخرى.

"أطلب من فريق قيادة إدارة الطوارئ الفيدرالية أن يقابلني"، هكذا أخبرت بوهلر. "سأكون هناك في غضون ثلاثين دقيقة". اتصلت بمستشار البيت الأبيض بات سيبولونيومدير الميزانية روس فوغت وطلبت منهم الانضمام إلي.

يعمل أكثر من مليوني مدني بشكل مباشر لصالح الحكومة الفيدرالية، ولكن بعد قضاء خمس دقائق في إدارة الطوارئ الفيدرالية مع الأدميرال جينور في ذلك المساء، 18 مارس، كان هناك شخص واحد كنت أرغب بشدة في مقابلته: بوبي ماكين. بصفته كبير مسؤولي المشتريات في إدارة الطوارئ الفيدرالية، كان في وضع فريد لشراء المعدات والإمدادات الطبية التي نحتاجها لمكافحة انتشار الفيروس.

ولكن مثل العديد من البيروقراطيين، لن يكون لديه القدرة على التصرف إلا إذا
لقد أعطيت له توجيهات مسبقة من القيادة.

طلبت من فريق جينور أن يصطحبوا ماكين. وعندما ظهر في غرفتنا، أشرقت عيون فريقي: هذا هو الرجل الذي كانوا يحاولون العثور عليه لعدة أيام.

"بوبي، أنت الآن الشخص الأكثر أهمية في الحكومة الفيدرالية بأكملها"، قلت. "يعمل فريقي على العثور على المعدات التي نحتاجها بشدة من جميع أنحاء العالم، ونحن معرضون لخطر فقدانها إذا لم نتمكن من التعامل مع المرض بسرعة. تعتمد حياة الناس على ذلك".

لقد طلبت منه حل مشكلتنا من خلال إنشاء نموذج يسرد المعايير التي نحتاج إلى توفيرها حتى يتمكن من الموافقة على أمر الشراء بسرعة. أشرت إلى بات سيبولوني وروس فوجت. قلت: "لقد أحضرت محامي البيت الأبيض الأعلى، وأكبر ممول حكومي. إذا كنت بحاجة إلى سلطة إضافية أو أموال، فسوف يحلون ذلك لك. سنبذل كل ما في وسعنا من العناية الواجبة في البداية، لكننا نحتاج إلى أن تكون قادرًا على توقيع الأمر وتحويل الأموال في غضون عشر دقائق".

لقد شعرت أن ماكين كان متحمسًا لهذا الاحتمال. بعد أن عمل فيلقد تعلم كيف يؤدي وظيفته ضمن حدود تفويضات تبدو غير عقلانية، وذلك بعد أن عمل لسنوات عديدة في الحكومة الفيدرالية. وكنا نعرض عليه أن يختصر الطريق أمام البيروقراطية. وكان هذا حلم أي مسؤول في مجال المشتريات.

كتبت رقم هاتفي المحمول على قطعة من الورق وأعطيتها لماكين. قلت له: "الديك ساعتان. اتصل بي إذا كنت بحاجة إلى أي شيء". بعد حوالي خمس وسبعين دقيقة، عندما عدت إلى البيت الأبيض، اتصل بي.

البيت، رن هاتفي. كان ماكين. لقد أنجز المهمة.

لقد أطلق النظام الذي أنشأناه في FEMA العنان لجهود الشراء العالمية التي لم نشهدها منذ الحرب العالمية الثانية. لقد قفز بوهلر وسميث وفريق FEMA إلى العمل، حيث اتصلوا بكل مورد طبي رئيسي في جميع أنحاء العالم في سباق لشراء ملايين الأقنعة والعباءات والقفازات ومسحات الاختبار،لقد كان من الصعب علينا أن نستعين بمصادر أخرى. فبينما كنا نستورد الإمدادات من مختلف أنحاء العالم، اكتشفنا أن المصانع التي تحتوي على أكبر قدر من الإمدادات كانت في الصين. وعلى الرغم من وفرة المنتجات، كانت الحكومة الصينية تمنع الإمدادات من مغادرة البلاد. كنت أعلم أنه بمرور الوقت سوف يتمكن الأميركيون من تصنيع الكثير مما نحتاج إليه، ولكن في هذه اللحظة لم يكن لدينا وقت فراغ.

كان لزاما علينا أن نطلب من الحكومة الصينية السماح لنا بشراء الإمدادات، وهو ما يعني أننا كنا في حاجة إلى معالجة التوتر المتزايد بين حكومتينا. ومع تحول فيروس كورونا من مشكلة محلية في ووهان إلى جائحة عالمية، أصبح خطاب الرئيس تجاه الصين عدائيا بشكل متزايد. لقد كان منزعجا حقا من إطلاق الصين للفيروس، وخاصة لأنها حاولت التستر على مصدر المشكلة وفشلت في تنبيه العالم إلى طبيعة وحجم التهديد.

على سبيل المثال، قامت الصين بتقييد الرحلات الجوية من ووهان إلى شنغهايلقد قررت الصين إغلاق مطاراتها في وجه الرحلات الجوية إلى بكين لكنها لم توقف الرحلات إلى ميلانو ولوس أنجلوس. لقد ذهبت للتحدث مع ترامب على انفراد. قلت له: "نحن نكافح للعثور على الإمدادات في جميع أنحاء العالم. في الوقت الحالي، لدينا ما يكفي لتجاوز الأسبوع المقبل - ربما أسبوعين - ولكن بعد ذلك قد يصبح الأمر قبيحًا للغاية بسرعة كبيرة. الطريقة الوحيدة لحل المشكلة الفورية هي الحصول على الإمدادات من الصين. هل أنت على استعداد للتحدث إلى الرئيس شي لتهدئة الموقف؟"

وقال ترامب "الآن ليس الوقت المناسب للفخر. أنا أكره أننا في

هذا الموقف، ولكن دعونا نحدده.

لقد تواصلت مع السفير الصيني كوي تيانكاي واقترحت عليه أن يتحدث الزعيمان. وكان كوي متحمسًا للفكرة، وقد نجحنا في تحقيقها.

وعندما تحدثا، سارع شي إلى وصف الخطوات التي اتخذتها الصين.للتخفيف من حدة الفيروس. ثم تصادم مع ترامب.

وقال "عندما تطلق عليه اسم 'فيروس الصين'، فهذا إهانة للبلاد بأكملها".

"أنا أفهم حساسيتك وسأمتنع عن تسميتها بهذا الاسم"وقال ترامب "في الوقت الحالي، أحتاج منك أن تفعل شيئًا من أجلي، لقد كان فريقي يعمل على تحديد الإمدادات في جميع أنحاء الصين، أحتاج منك أن تضعنا في المقدمة".

لقد وعد شي بالتعاون. ومنذ تلك النقطة فصاعدًا، كلما اتصلت به،السفير كوي لديه مشكلة، وقام بحلها على الفور.

وبينما كنا نعمل على توفير الإمدادات، أعجبت بروح التفاني والخدمة العامة في القطاع الخاص في أميركا. وكان المسؤولون التنفيذيون على استعداد لوضع الصالح العام قبل أنفسهم وشركاتهم. فعندما بدأ بوهلر وسميث في البحث عن معدات الحماية الشخصية، على سبيل المثال، طلبا من شركات التصنيع التي تتخذ من الولايات المتحدة مقراً لها بيانات الإنتاج، مثل عدد الإمدادات التي كانوا يصنعونها في مصانعهم حول العالم وما إذا كانت هناك حاجة إلى معدات الوقاية الشخصية.

كان جزء من الإمدادات قادمًا إلى أمريكا. كانت هذه البيانات أساسية لمعرفة الإمدادات المتاحة.

شاركت كل شركة تقريبًا المعلومات، وعندما بحثنا في الأمرلقد وجدنا من خلال جداول البيانات الخاصة بهم أن أغلبهم كانوا يرسلون ما بين 70% إلى 80% من إمداداتهم إلى أميركا. أما أولئك الذين يرسلون نسبة أقل فقد وافقوا طواعية على زيادة الحصة المخصصة للولايات المتحدة.

شركة واحدة،ومع ذلك، كانت الشركة مقاومة في البداية: شركة M3، وهي شركة مقرها ولاية مينيسوتا.

شركة مقرها في نيويورك وهي الشركة الرائدة عالميًا في تصنيع الأقنعة.

حاول بوهلر الاتصال بمايك رومان، الرئيس التنفيذي لشركة M3. وبعد بضع ساعات، تلقى مكالمة هاتفية - ليس من رومان، بل من ممثل الشؤون الحكومية. قال الممثل: "نحن نفهم أنك تريد معرفة المزيد عن أقنعتنا، لكننا أرسلنا بالفعل مليونًا إلى المخزون، ونحن نقرأ تقارير إعلامية تفيد بعدم توزيعها. يمكنك التحدث إلى مايك، لكننا بحاجة إليك لإخبارنا بما حدث لتلك الأقنعة".

قال بوهلر لممثل شركة M3 ألا يصدق كل ما يقرأهفي الصحافة ووعد بمتابعة حالة الأقنعة، لكنه أصر على التحدث إلى رومان على الفور.

وعندما اتصل رومان أخيراً ببوهلر، اعترف الرئيس التنفيذي للشركة بأن الولايات المتحدة لم تتلق سوى ربع عشرات الملايين من الأقنعة التي تصنعها شركته في الصين وأماكن أخرى.

"لدينا مصنع في الولايات المتحدة يخدم الولايات المتحدة"قال رومان: "إنها تمثل خمسة وعشرين بالمائة من إنتاجنا العالمي، وهذه هي الأقنعة التي تحصل عليها - حوالي ثلاثين مليونًا شهريًا. لقد أعلنا للتو عن استثمار كبير من شأنه أن يزيد من هذه القدرة في غضون بضعة أشهر.

"إن مصانعنا في المملكة المتحدة والصين وسنغافورة وكوريا الجنوبية تخدم تلك المناطق بحوالي تسعين مليون قناع شهريًا، وستبقى تلك الأقنعة هناك".

وأكد بوهلر قائلا "نحن بحاجة إلى سبعين مليونا من تلك الأقنعة".

"لست متأكدًا من أن هذا ممكن لأن الأقنعة المصنوعة في الصين مصممة لوجوه أصغر ولست متأكدًا من أنها تناسب الأمريكيين."

أخبره بوهلر أننا سنعمل على حل مشكلات الحجم، وأكد لنا مرة أخرى أننا بحاجة إلى الأقنعة خلال أربع وعشرين ساعة.

في اليوم التالي، تواصل عمر فارغاس، منسق الاتصال الحكومي لشركة M3، مع بوهلر ورفض تقديم عدد الأقنعة في الصين. وبعد جدال حاد، اعترف فارغاس بالحقيقة: "لدينا علاقات تجارية في الصين، ولن نقطع هذه العلاقات".

لقد أطلعني بوهلر على تفاصيل المحادثة. وفي تلك اللحظة، دخل نائب الرئيس بنس. لقد كان يعلم أننا نختلف مع شركة M3.

وقال "أخبار رائعة! لقد اتصل بي الرئيس التنفيذي لشركة M3 للتو، وهناك عشرة ملايين قناع آخر في الطريق".

في محاولة واضحة للالتفاف على بوهلر وأنا، اتصل رومان بنس، ووعده بتوفير عشرة ملايين قناع، وشجع نائب الرئيس على الإعلان عن ذلك في إحاطة لفريق العمل بعد الظهر.

لقد كانت خدعة ماكرة، ولكنها أكدت أيضًا أن ضغوطنا كانت ناجحة.

"لقد قلت لبنس: "إنها بداية طيبة، ولكن لا تدعه يشترينا بثمن بخس. فإذا حصلنا على المزيد، فسوف نتمكن من حل أزمتنا القصيرة الأجل من خلال هذه الصفقة وحدها".

وافق بنس وترك لنا مهمة إتمام الصفقة.

ولإجبار شركة M3 على إرسال الأقنعة إلينا، كان علينا أن نستعين بقانون الإنتاج الدفاعي. وعلى مدى عدة أسابيع، واجه ترامب تحديات هائلة.ولكن في واقع الأمر، كان من الصعب للغاية أن نتحمل الضغوط السياسية اللازمة لاستخدام هذه السلطة المفرطة، التي كانت بمثابة مخلفات الحرب الكورية. وحتى الآن، لم نكن في حاجة إلى هذه السلطة لأن أغلب الشركات الأميركية كانت حريصة على مساعدة أميركا في هذه الساعة العصيبة.

في المكتب البيضاوي، شرحنا المشكلة مع شركة M3 للرئيس.

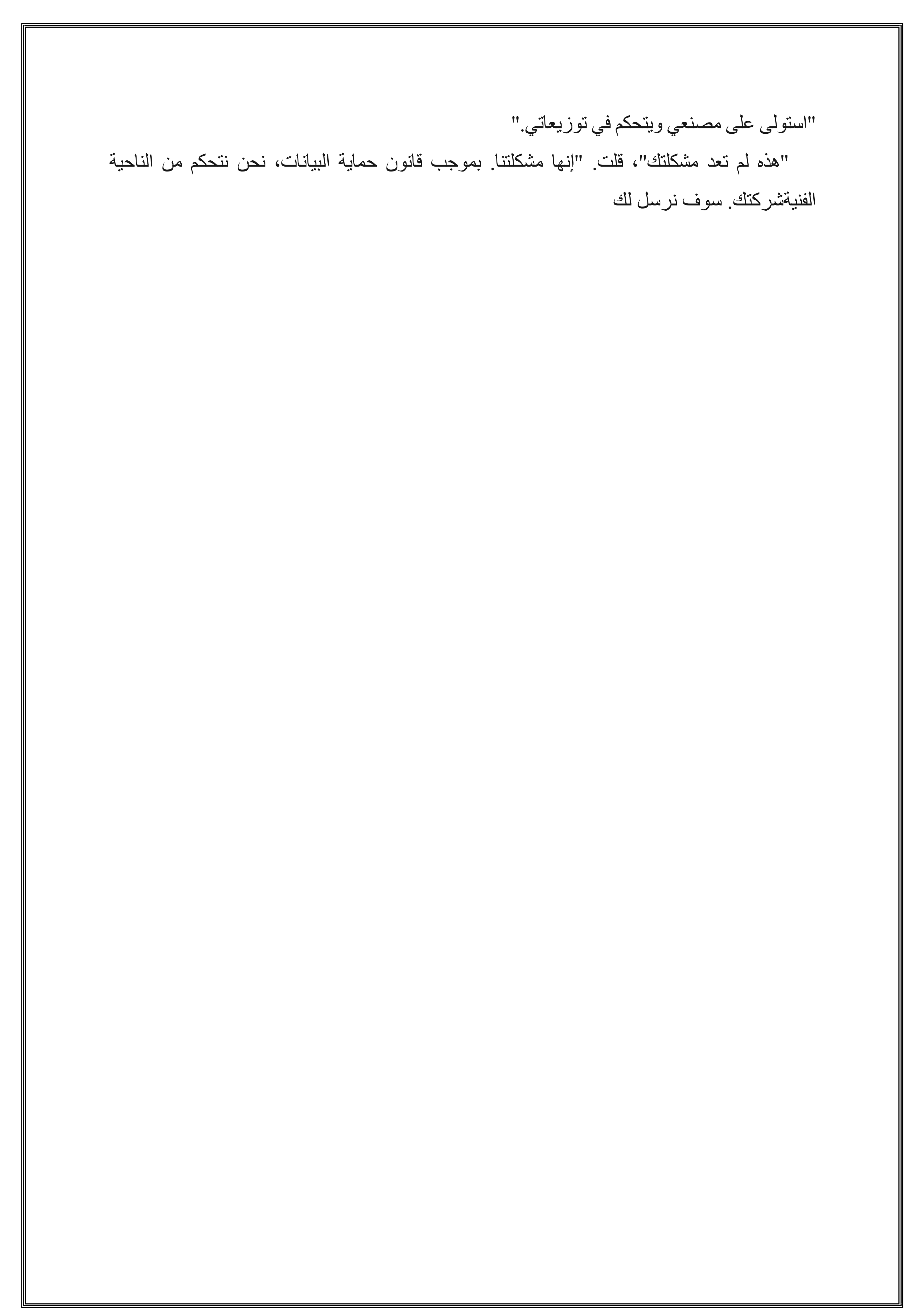
"أحضروا لي وكالة حماية البيانات"، طلب مني. "أنا متلهف لاستخدامها. من المهم التأكد من أن كل شركة أمريكية تبذل قصارى جهدها".

وقَّع ترامب على الأمر وأعلن عنه بتغريدة: "ضربنا شركة M3 بشدة اليوم بعد أن رأينا ما كانت تفعله بأقنعتها. قانون حماية المستهلك على طول الطريق". مفاجأة كبيرة لكثيرين في الحكومة بشأن ما كانوا يفعلونه سيكون له ثمن باهظ!"

لاحقًا، اتصلت برومان وأخبرته أننا سنرسل له

عقد لجميع أقنعة M3 في الصين.

"لا أستطيع أن أبيعها لك"، قال. "الحكومة الصينية



"استولى على مصنعي ويتحكم في توزيعاتي."

"هذه لم تعد مشكلتك"، قلت. "إنها مشكلتنا. بموجب قانون حماية البيانات، نحن نتحكم من الناحية الفنيةشركتك. سوف نرسل لك

عقد، ويتطلب القانون الفيدرالي منك التوقيع عليه. يمكنك إخبار "الصينيون قالوا أنه ليس لديكم خيار آخر."

في غضون ثلاثين دقيقة، وقع رومان العقد وتم تسليم الأقنعة.الآن كان علي أن أعمل مع الصينيين لنقلهم إلى أمريكا.

قلت للسفير كوي: "أحتاج إلى مساعدتك في قضية مهمة"."لدينا عقد مع شركة أمريكية لتوريد ستة وأربعين مليون قناع شهريًا خلال الأشهر الستة المقبلة. نحن بحاجة إليهم الآن. أنا

وأُبلغ أن هناك مشكلة مع الحكومة الصينية التي تحتجزهم.لا أستطيع أن أتخيل أن هذا هو الحال الآن. الناس في أمريكا غاضبون جدًا من الصين. إذا انتشرت أنباء تفيد بأن الحكومة الصينية لا تسمح لنا بشحن الأقنعة التي تعاقدنا عليها من شركة أمريكية، فقد يصبح الأمر قبيحًا للغاية.

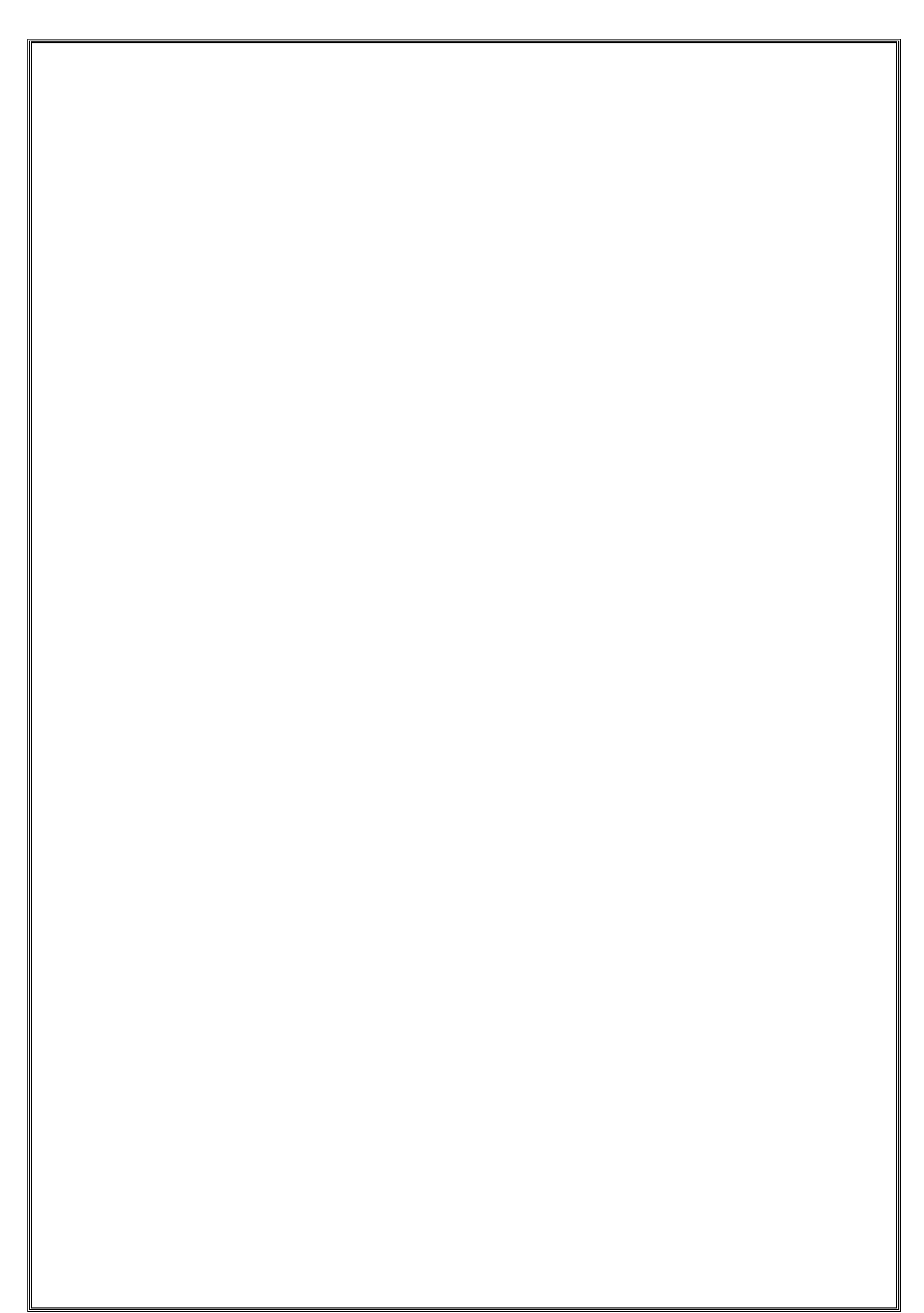
"دعني أنظر في الأمر"، قال السفير. وبعد ساعة عادعلى الخط: "لا توجد مشكلة. كل شيء جاهز. يمكنك أخذ الأقنعة التي تعاقدت عليها".

وبمجرد أن أدرك رومان أننا استخدمنا الدبلوماسية لحل الموقف مع الحكومة الصينية، وأننا لا نتطلع إلى الاستيلاء على بقية إمداداته العالمية، أصبح أكثر قبولاً. وفي النهاية، أصبح هو وشركة M3 شريكين رائعين في جهودنا.

* * *

والآن بعد أن أصبح بوسعنا الحصول على المواد بسرعة من مختلف أنحاء العالم، أصبح لزاماً علينا أن نتوصل إلى كيفية نقلها بسرعة إلى شواطئنا. وفي العادة، كانت الإمدادات من الخارج تُنقل بالقوارب، وكانت تستغرق نحو خمسة وأربعين يوماً لعبور المحيط. ولكن نقل الإمدادات جواً كان ليقلص وقت العبور إلى أربع وعشرين ساعة، إذا تمكنا من إيجاد الطائرات التي تحمل أطناناً من البضائع.

كان الخيار العسكري واضحًا، لكن طائراته كانت بطيئة وتتطلب توقفًا للتزود بالوقود. اعتقدت أن FedEx وUPS قد يكونان خيارين أفضل. كانت لديهما أساطيل من طائرات الشحن المصممة لنقل حمولات ضخمة.



عندما اتصلنا بفريد سميث، رئيس مجلس الإدارة والرئيس التنفيذي لشركة فيديكس، وديفيد أبني، رئيس مجلس الإدارة والرئيس التنفيذي لشركة يو بي إس، وافقا على الفور على مساعدة شركتيهما. ولم نكن بحاجة حتى إلى ذكر اتفاقية حماية البيانات.

قال سميث "اعتبروا طائراتنا بمثابة قواتكم الجوية، وسوف نفعل ذلك"."مهما كان الأمر."

كانت هاتان المكالمتان الهاتفيتان بداية شراكة بين القطاعين العام والخاصقمنا بتسليم أطنان من معدات الوقاية الشخصية للعاملين في مجال الرعاية الصحية في بلادنا على الخطوط الأمامية للجائحة.

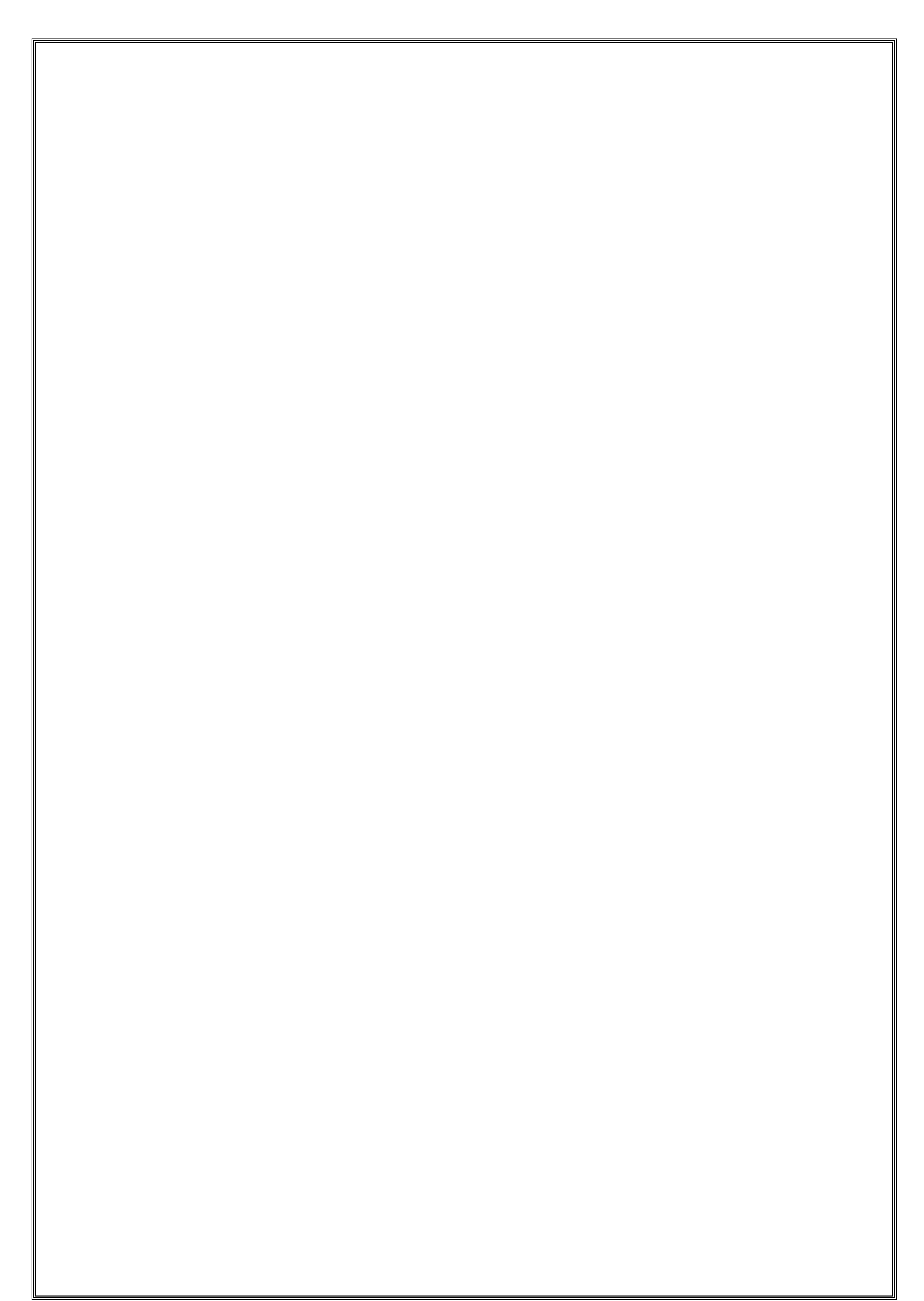
أطلق الأدميرال بولوفتشيك على هذه المبادرة اسم "مشروع الجسر الجوي" وأدار عمليات المشروع الضخم بدقة. وفي الفترة من 29 مارس/آذار إلى 30 يونيو/حزيران، أكمل مشروع الجسر الجوي 249 رحلة جوية وسلّم ما يقرب من مليار قفاز و130 مليون قناع و60 مليون رداء جراحي وإمدادات أخرى منقذة للحياة إلى المستشفيات ودور رعاية المسنين ومرافق الرعاية الصحية، في الوقت الذي كانت فيه أرففها خاوية. وكان الأمر أشبه بالمعجزة.

عندما التقيت بأبني بعد عدة أشهر، أخذني جانبًا وقال، "جاريد، في مسيرتي المهنية بأكملها، لم أر شيئًا مثل مشروعجسر جوي. بأسرع ما يمكن أن نهبط بطائراتنا، قمتم بملئها وإعادة توجيهها.

في الأيام الأولى من الاستجابة لجائحة كوفيد-19، كانت هناك عوامل عديدة لم نتمكن من السيطرة عليها. لم نتمكن من إخماد الوباء أو اختراع لقاح على الفور. كان ذلك سيستغرق بعض الوقت.

ولكن كان بوسعنا أن نبحث في أنحاء العالم عن الإمدادات المنقذة للحياة. وكان هدفي هوإننا نبذل قصارى جهدنا لتزويد العاملين في مجال الرعاية الصحية بالإمدادات التي يحتاجون إليها لإنقاذ كل حياة ممكنة. ولن أنسى أبدًا الطرق التي لا تعد ولا تحصى التي نهض بها الأمريكيون من جميع أنحاء البلاد لخدمة مواطنيهم. فقد عمل عمال المصانع وسائقو الشاحنات لساعات طويلة لإنتاج وتوصيل الإمدادات. وكان الطلاب يجلبون البقالة لجيرانهم المسنين.

لقد اجتمعت المجتمعات لمساعدة الأسر المحتاجة. وخاطر الأطباء والممرضات والعاملون في مجال الرعاية الصحية بحياتهم لإنقاذ الآخرين. لقد حملت روح وقوة وتضحيات الشعب الأمريكي أمتنا عبر واحدة من أعظم المحن في القرن الحادي والعشرين.



{47}

دعم الحياة

في ليلة الثالث والعشرين من مارس/آذار، تحدثت إلى حاكم ولاية نيويورك أندرو كومو ووعدته بأن الحكومة الفيدرالية سترسل إلى ولايته 4400 جهاز تنفس اصطناعي من مخزون وطني يقل عن 11 ألف جهاز. وكنسبة مئوية من المخزون، كان هذا يمثل زيادة كبيرة.
ولكن سكان نيويورك كانوا في حاجة ماسة إلى أجهزة التنفس الصناعي. لذا فوجئت في اليوم التالي عندما هاجمنا.

"لقد اشتكى في مؤتمره الصحفي في صباح الرابع والعشرين من مارس/آذار من أن إدارة الطوارئ الفيدرالية تقول: "نحن نرسل أربعمائة جهاز تنفس اصطناعي". "حقا؟ ماذا سأفعل بأربعمائة جهاز تنفس اصطناعي عندما أحتاج إلى ثلاثين ألف جهاز؟ عليك أن تختار ستة وعشرين ألف شخص سيموتون لأنك أرسلت أربعمائة جهاز تنفس اصطناعي فقط".

لقد أخطأ في ذكر الرقم الذي أرسلناه، وعرفت من مكالمتنا في الليلة السابقة أنه غير متأكد من عدد أجهزة التنفس الصناعي التي يحتاجها حقًا. وعندما طلبت منه أن يشاركني كيف توصل إلى تقديره لعدد ثلاثين ألف جهاز، لم يستطع الإجابة. لم يكن لديه أي بيانات حول عدد أجهزة التنفس الصناعي التي لديه بالفعل، أو عدد الأجهزة المستخدمة، أو عدد الأجهزة التي يتوقع احتياجه إليها في الأسبوع المقبل.

في ذلك الوقت، كان الخبراء الطبيون لا يزالون يعتقدون أن أجهزة التنفس الصناعي هي الجهاز الطبي الأكثر أهمية المتاح لإنقاذ الأرواح. استخدمها الأطباء على المرضى الذين تضررت رئاتهم بسبب الفيروس ولم تتمكن من تزويد أجسادهم بما يكفي من الأكسجين. ومع ارتفاع حالات الإصابة بمرض كوفيد-19، طالب كل حاكم في أمريكا بأكبر حصة ممكنة من المخزون الفيدرالي المتناقص. لم يعرفوا عدد الأجهزة التي سيحتاجون إليها، لكنهم كانوا يخشون نفاد المخزون، لذلك طلبوا أكبر عدد ممكن من الأجهزة التي يعتقدون أنهم يستطيعون الحصول عليها منا.

في خضم سيل الطلبات المتنافسة، كنا بحاجة إلى إنشاء عمليةلتخصيص هذا المورد النادر. قام نات تورنر بتجنيد بليث آدمسون من شركة تورنر السابقة، فلاتيرون هيلث، لمساعدة فريقنا في تقدير عدد أجهزة التنفس الصناعي وأسرة العناية المركزة وغيرها من الإمدادات الطبية الحرجة التي قد تحتاجها أمريكا. كانت آدمسون، وهي عالمة أوبئة واقتصادية حاصلة على درجة الدكتوراه، تتمتع بخلفية ملونة: فقد نشأت على يد الهيبيين ونشأت في منزل على شجرة في ولاية واشنطن. خططت آدمسون في البداية لمساعدتنا لبضعة أسابيع حتى نبني نماذج موثوقة، لكنها قررت تمديد إقامتها. لقد استلهمت من أفراد الخدمة العسكرية في FEMA، الذين ذهبوا بانتظام في مهام طويلة بعيدًا عن عائلاتهم. إذا كان بإمكان أفراد الخدمة الغياب لمدة ستة أشهر في كل مرة للحفاظ على سلامة الأمريكيين، فقد أرادت آدمسون البقاء لفترة أطول لخدمة بلدنا في هذه الأزمة الطبية.

بعد خمس ساعات من تعليقات كومو، توجهت من البيت الأبيضفي 19 أغسطس/آب 1991، ذهبت إلى وكالة إدارة الطوارئ الفيدرالية للحصول على المسودة الأولية لتوقعات آدمسون بشأن أجهزة التنفس الصناعي. وفي غرفة مؤتمرات بلا نوافذ، أطلعت آدمسون بنس، وأزار، وجينور، وبولر، وسميث، وترنر، وأنا على استعداد لتقديم تقرير مفصل. ثم وزعت عليّ مخططاً من صفحة واحدة يتنبأ بنقص أجهزة التنفس الصناعي المتوقع. فنظرت إلى ورقتها في حالة من الصدمة.

"لذا فإنك تقول إن تقديرات كومو صحيحة بالفعل، وسوف"هل سيكون هناك نقص في ثلاثين ألف جهاز تنفس صناعي خلال أسبوع؟" سألت.

"نعم"، قال آدمسون. "هذا ما تتوقعه البيانات الحالية، على افتراض أن انتشار الفيروس يستمر في التسارع بهذا المعدل. السيناريو الأفضل هو أنه بسبب جهود التخفيف الحالية، سوف يتباطأ معدل انتقال العدوى، وسوف ينخفض الطلب على أجهزة التنفس الصناعي، وسيكون لدينا المزيد من الوقت للحصول على أجهزة التنفس الصناعي. ولكن الأمور قد تسوء أيضًا".

وبناءً على المسار الحالي، أظهرت أرقامها أيضًا أننا سنحتاج إلى 130 ألف جهاز تنفس اصطناعي في غضون أسبوعين. وقد ارتجفت من هذا الاحتمال. وحتى تلك اللحظة، كنت أعتقد أن أسوأ ما في أزمة الإمدادات قد انتهى. ولن تكون كل معدات الوقاية الشخصية في العالم ذات أهمية كبيرة إذا نفد مخزوننا من أجهزة التنفس الاصطناعي للمرضى المصابين بأمراض خطيرة.

لم أستطع أن أرغم نفسي على النظر إلى أزار. كنت غاضبة للغاية لأن السكرتيرة
لم أبذل المزيد من الجهد لمنع النقص. ربما كان ذلك غير عادل من جانبي

أن يشعر بهذه الطريقة، ولكن كان من واجب قسمه أن يتوقع ويستعدلم تكن هناك فرصة لشراء أو تصنيع

ما يقرب من 130 ألف جهاز تنفس اصطناعي في غضون أسبوعين.

كنا نحدق في إمكانية إنشاء ملعبين لكرة القدم مليئين بالإصابات التي يمكن الوقاية منهافي إيطاليا، كان الناس يموتون على نقالات في ممرات المستشفيات لأنهم لم يتمكنوا من الحصول على أجهزة التنفس الصناعي. لم يكن بوسعنا أن نسمح بحدوث ذلك في أمريكا، وهي دولة تفتخر بامتلاكها نظام الرعاية الصحية الأكثر تقدمًا وإبداعًا في العالم.

"قلت لنائب الرئيس أثناء انتهاء الاجتماع في إدارة الطوارئ الفيدرالية: ""إن هذا أسوأ بكثير من نقص المسحات، وسوف يموت الناس إذا لم نتوصل إلى حل""."

وعندما استشعر بنس قلقي دعاني للعودة معه إلى البيت الأبيض. كانت الأرصفة والشوارع في عاصمة بلادنا خاوية إلى حد مخيف، وكان ذلك يطابق الكآبة التي شعرت بها.

وقال بنس بينما كانت الأضواء وصافرات الإنذار تدوي خارج سيارة نائب الرئيس الليموزين: "جاريد، كل ما يمكننا فعله هو بذل قصارى جهدنا. سنجد طريقة لتجاوز الأمر".

مرة أخرى، أقدر تفاؤل نائب الرئيس. لم أكن أعرف بعد ما إذا كان من الممكن منع كارثة أجهزة التنفس الصناعي، لكنني كنت عازمًا تمامًا على المحاولة.

* * *

وعلى الرغم من احترامي الشديد لآدامسون، فقد التقيت بها للتو، وأردت أن أعرف رأيها الثاني في توقعاتها. لقد كنت أعلم من مسيرتي المهنية في مجال الأعمال أن النماذج التنبؤية هي نوع من الخيال العلمي. ولا تعتمد توقعاتها إلا على افتراضاتها، التي قد تتباين بشكل كبير. وفي ظل جائحة جديدة تتسم بالتقلب وعدم اليقين، سيكون من المستحيل تقريبًا على أي شخص أن يتوصل إلى افتراضات تؤدي إلى تنبؤات دقيقة.

لقد اتصلت بكيفن هاسيت، الخبير الاقتصادي المخضرم والرئيس السابق لمجلس المستشارين الاقتصاديين. لقد قمت بتجنيده مرة أخرى إلى البيت الأبيض في الأسبوع السابق لتعزيز عملية البيانات لدينا.

في غرفة روزفلت، هاسيت، وخبير الاقتصاد في CEA تايلر جودسبيد،لقد قامت بيركس وآخرون بفحص بيانات آدمسون وافتراضاتها. لقد استجوبوها حول كل شيء، وقدمت إجابات سريعة وملموسة وواثقة. وبحلول نهاية الجلسة، اعتقد هاسيت وبيركس أن منهجية آدمسون كانت ذات مصداقية وأن توقعاتها يمكن أن تكون دقيقة. لقد أعددت نفسي لأهم معركة نخوضها حتى الآن، على أمل أن تساعد إرشادات "15 يومًا لإبطاء انتشار المرض" في تقليل انتشاره.

الدخول إلى المستشفيات وكسب الوقت الكافي لتوزيع أجهزة التنفس الصناعي التي لديناوكان علي أن أجد المزيد.

كانت إدارة الطوارئ الفيدرالية تتلقى مكالمات ذعر متزايدة من حكام الولايات يطلبون أجهزة التنفس الصناعي. فبالإضافة إلى طلب كومو، طلب جون بيل إدواردز من لويزيانا 5000 جهاز، وطلب فيل مورفي من نيوجيرسي 2300 جهاز، كما طلب جريتشن ويتمر من ميشيغان ونيد لامونت من كونيتيكت الآلاف أيضًا. وبالجمع، تجاوزت هذه الطلبات بكثير العدد المتبقي في المخزون الوطني.

كان الجميع في حالة من الذعر. تلقى رئيس موظفي البيت الأبيض مارك ميدوز مكالمة من الرئيس التنفيذي لمستشفى في منطقته الانتخابية السابقة، والذي طلب 150 جهاز تنفس اصطناعي. في ذلك الوقت، لم تكن هناك حالات إصابة بمرض كوفيد-19 مسجلة في دائرة نصف قطرها ثلاثة عشر مقاطعة من المستشفى. سأل ميدوز عن سبب الحاجة إلى أجهزة التنفس الاصطناعي. اعترف الرئيس التنفيذي: "نحن خائفون فقط". كان هذا أحد الأمثلة العديدة على التكديس الناجم عن الذعر، مما أدى إلى تفاقم نقص الإمدادات.

في تلك الليلة، بينما كنت أعمل مع آدمسون وهاسيت لتحليلوبعد جمع البيانات من الولايات، انضم بوهلر وسميث وآفي إلى العقيد بات وورك، وهو ضابط في الجيش يتمتع بكفاءة عالية التقيت به قبل ثلاث سنوات في العراق. واتصلوا بكل مصنعي أجهزة التنفس الصناعي الرئيسيين في الولايات المتحدة، وسألوا كل شركة عن عدد أجهزة التنفس الصناعي الموجودة على الرفوف الآن وعدد ما يمكنهم إنتاجه في الأسابيع والأشهر المقبلة. وبالتعاون مع بوبي ماكان في إدارة الطوارئ الفيدرالية، أرسلوا خطابات نوايا لشراء كل المخزون الأمريكي الصنع.

كما اتصلت بكوومو وأخبرته أننا بحاجة إلى معرفة عدد أجهزة التنفس الصناعي التي تمتلكها نيويورك، وعدد الأجهزة المستخدمة، وعدد الأجهزة التي يتوقعون احتياجهم إليها خلال الأيام السبعة المقبلة.أجهزة التنفس الاصطناعي تعتمد على البيانات، وليس على التخمينات أو الترهيب.

"لن نرسلهم إليك فقط لأنك تهاجمنا فيقلت: "اضغط على الصحافة. عليك أن تنقل لنا المعلومات".

اشتكى كومو من عدم تمكنه من الحصول على بيانات عن مدينة نيويورك من عمدة المدينة بيل دي بلاسيو. كانا بالكاد يتحدثان.لقد وصلت المنافسة الجامدة إلى مستويات سامة خلال الوباء، وكنت قلقًا من أنها قد تكلف أرواحًا. في محاولة لإيجاد طريقة للتغلب على العداء، اتصلت بجيسي تيش، وهي صديقة مقربة من الكلية عملت كمسؤولة معلومات رئيسية في المدينة.

لقد اتصلت بجيسي قبل أسبوع، بعد أن رأيت ممرضة في مدينة نيويورك تخبر شبكة سي إن إن بأن المستشفى الذي تعمل فيه نفدت منه الأقنعة. طلبت من جيسي أن تتعرف على ما يحتاجه المستشفى. وبعد فترة وجيزة، نظمت مكالمة جماعية مع الرؤساء التنفيذيين لكل مستشفى في نيويورك، حتى أتمكن من فهم نقص معدات الوقاية الشخصية لديهم بشكل أفضل، وما يحتاجون إليه من الحكومة الفيدرالية. لقد قمنا بفحص احتياجاتهم واحدًا تلو الآخر ورسمنا خطة لتزويدهم بالإمدادات اللازمة.

والآن، شرحت لجيسي موقف أجهزة التنفس الصناعي وسألتها عما إذا كان بوسعها مساعدتي في الحصول على البيانات من المستشفيات. وبادرت إلى مساعدتي على الفور في التعامل مع العلاقة غير السليمة بين كوومو ودي بلاسيو. وأثبتت جهودها أنها لا تقدر بثمن وساعدت في ضمان وصول إمدادات الحكومة الفيدرالية إلى سكان نيويورك المحتاجين.

وكانت الأيام القليلة التالية أشبه بمحاولة توجيه سفينة في عاصفة عنيفة.في البداية، قاومت إدارة الطوارئ الفيدرالية نهجي القائم على البيانات. فقد اعتادت الوكالة على قبول طلبات المحافظين على ظاهرها والموافقة عليها عند الطلب، ولم تكن معتادة على الضغوط العامة المكثفة. وفي مرحلة ما، أراد كبار المسؤولين في إدارة الطوارئ الفيدرالية إرسال كل أجهزة التنفس الصناعي الموجودة في المخزون إلى نيويورك.

مع العلم أنه بمجرد إرسالهم، لن نتمكن من استعادتهم أبدًا،سألت مدير إدارة الطوارئ الفيدرالية بيت جينور عن المدة التي يستغرقها شحن جهاز تنفس صناعي. فقال إنه يستغرق من أربع وعشرين إلى ست وثلاثين ساعة. واتفقنا على وضع ألف جهاز تنفس صناعي في نيوجيرسي، حيث يمكننا تسليمها إلى منطقة نيويورك الحضرية في غضون أربع ساعات فقط إذا لزم الأمر. وخوفًا من حدوث نقص في جميع أنحاء البلاد، طلبنا من المحافظين الإبلاغ عن العدد الحقيقي لأجهزة التنفس الصناعي المطلوبة بناءً على الحقائق على الأرض، ولم نكن لنتأثر بالضغوط السياسية أو الإعلامية.

في الأسبوع الأول من شهر أبريل/نيسان، اتصلت بي جيسي لتطلعني على مستجدات الأمور: بناءً على بياناتها، كانت مدينة نيويورك على بعد ستة أيام من نفاد أجهزة التنفس الصناعي.

في الأسبوع السابق، قمنا بشحن 4400 جهاز تنفس اصطناعي من المخزون إلى نيويورك. وقيل لي إن كومو قام بتوجيه 2000 منها إلى مستودع تديره الدولة، حيث لم تكن قيد الاستخدام، بدلاً من إرسالها جميعًا إلى مدينة نيويورك، التي كانت مركز تفشي المرض في الولايات المتحدة. لم يأخذ تقدير جيسي في الاعتبار 2000 جهاز في مستودع كومو. لم يتضمن سوى 2400 جهاز تلقتها المدينة - وكانت جميعها تقريبًا قيد الاستخدام بالفعل. كان عليّ مواجهة كومو.

"لقد أرسلنا أجهزة التنفس الاصطناعي من المخزون الفيدرالي لكي تظل بلا استخدام في مخزون نيويورك"، قلت. "أرجوكم أرسلوا الألفي جهاز تنفس اصطناعي إلى مدينة نيويورك قبل أن يموت الناس".

وبينما كنت أحاول كسر الجمود، سارع بوهلر إلى التدخل بمشكلة عاجلة: فقد أذن نائب الرئيس بإرسال دفعة إضافية من أجهزة التنفس الصناعي إلى مدينة نيويورك. فهرعت إلى مكتب بنس وشرحت له أن كومو لديه ألفي جهاز تنفس صناعي غير مستخدم. واستناداً إلى توقعاتنا، كان لا يزال أمامنا اثنان وسبعون ساعة قبل أن يتحول الوضع في مدينة نيويورك إلى مأساوي، وكنت أرغب في استخدام كل ثانية متاحة على مدار الساعة لضمان عدم توزيع أجهزة التنفس الصناعي على مكان لا يحتاج إليها على الإطلاق. فأخبرته أننا وضعنا أجهزة تنفس صناعي إضافية في منشأة فيدرالية في نيوجيرسي، حتى نتمكن من تسليمها إلى مدينة نيويورك في غضون أربع ساعات إذا ظل كومو عنيداً. ولحسن الحظ، رضخ الحاكم في اليوم التالي وأرسل أجهزة تنفس صناعي إلى مدينة نيويورك.

في ذلك الأسبوع نفسه، اتصل جورج حلمي، رئيس أركان حاكم ولاية نيوجيرسي فيل مورفي، طالبًا خمسمائة جهاز تنفس صناعي. وكان حلمي، وهو مستشار إداري سابق موهوب وودود، لديه إجابة دقيقة على جميع أسئلتي حول معدلات الاستخدام في نيوجيرسي. أرسل لي جدول بيانات يحسب أن إمدادات أجهزة التنفس الصناعي في نيوجيرسي ستنفد في غضون ثلاثة أيام. أرسلنا خمسمائة جهاز على الفور. واتفقنا على التحدث كل يوم في الساعة 7:00 صباحًا، ووعدت أنه طالما لدينا الإمدادات ولديه البيانات، سنبقى متقدمين بأربع وعشرين إلى ثمان وأربعين ساعة على احتياجات نيوجيرسي. بعد عدة أشهر، كان حلمي من بين الديمقراطيين القلائل الشجعان الذين دافعوا عن جهودنا ضد الهجمات الحزبية: قال في مجلة نيوزويك: "من الرئيس إلى أعلى مستويات الإدارة، شعرنا دائمًا أننا أولوية للإدارة".

في الوقت نفسه، حذر المسؤولون المحليون في لويزيانا من ارتفاع حالات دخول المستشفيات، وأن نيو أورليانز تعاني من نقص أجهزة التنفس الصناعي ومعدات الوقاية الشخصية. وناشدنا الحاكم جون بيل إدواردز إرسال أربعمائة جهاز تنفس صناعي، لكنه لم يقدم البيانات. اتصل بوهلر بالرؤساء التنفيذيين لأكبر نظامين للمستشفيات في لويزيانا. وقالوا إنهم مستعدون للموجة ولديهم أجهزة تنفس صناعي في الاحتياطي. وأضافوا أنهم بحاجة إلى أردية، والتي أرسلناها في اليوم التالي. قيل لنا لاحقًا أن إدواردز، وهو حاكم كفء ولطيف في الغالب، قد وبخ الرؤساء التنفيذيين لتقويض طلبه.

كان يقوم بوظيفته في النضال من أجل شعب لويزيانا، لكن وظيفتنا كانت أن نرى من خلال إشارات الدخان ونتأكد من أننا نطابق إمدادات أجهزة التنفس الصناعي المحدودة لدينا مع الطلب الحقيقي. لم يكن نهجنا المتمثل في العمل مباشرة مع المستشفيات للحصول على البيانات هو البروتوكول الحكومي النموذجي، ولكن لو التزمنا بالعمليات العادية، فربما كنا لنفشل في تزويد المستشفيات بالإمدادات التي تحتاجها على الفور.

ليس من المستغرب أنه كلما رفضنا طلبًا، أو شحننا عددًا أقل منوبعد أن عجزوا عن تلبية العدد المطلوب، أعرب المحافظون عن شكواهم في وسائل الإعلام، مما أدى إلى ظهور عناوين رئيسية مثل هذا العنوان في صحيفة واشنطن بوست: "المحافظون يناشدون الحصول على المعدات الطبية من المخزون الفيدرالي الذي يعاني من النقص والارتباك".

في الثاني من أبريل/نيسان، أثناء إحاطتنا للرئيس قبل مؤتمره الصحفي اليومي، أثار هذه القضية: "لماذا لا ترسلون أجهزة التنفس الصناعي إلى الولايات؟ سأتعرض للقتل بسبب هذا".

"إنهم لا يحتاجون إليهم بعد"، قلت بقوة غير معتادة، مما سمح لإحباطي بالظهور بعد أسابيع من عدم النوم تقريبًا وموازنة مواقف الحياة والموت. "يريد الحكام وجودهم وقائيًا. إنهم قلقون بشأن ما قد يحدث. بمجرد إرسالهم، لن نتمكن من استعادتهم. لدينا فرصة ضئيلة لتلبية المطالب الحقيقية، ولكن فقط إذا كنا دقيقين قدر الإمكان".

وعندما شعر ترامب بأنني كنت واثقًا من نهجي وأنني كنت أسيطر على الموقف، رد عليه بلكمة: "أنت شخص يحتكر الأشياء، أنت تحتكر أجهزة التنفس الصناعي".

"أعدك بأن أحداً لن يموت لأنني أحجم عن إرسالهم"، قلت. "قد لا يكون لدينا ما يكفي لتجاوز الأسبوعين المقبلين، ولكن عندما تكون هناك حاجة حقيقية، فسوف نرسلهم خلال أربع وعشرين ساعة. أنا على استعداد لتحمل اللوم إذا كنت مخطئًا". "حسنًا، إذن أنت تتحدث في الإحاطة الإعلامية اليوم، وستشرح للصحافة لماذا لا نرسلهم جميعًا"، قال الرئيس.

قال.

وبعد أقل من ثلاثين دقيقة، في مساء الثاني من أبريل/نيسان، وقفت خلف المنصة في غرفة المؤتمرات الصحفية بالبيت الأبيض، وكنت أبدو نحيفاً وشاحباً بسبب عدم تناول الطعام أو النوم لمدة ثلاثة أسابيع.

"لقد كانت فكرة المخزون الفيدرالي هي أنه من المفترض أن يكون مخزوننا. وليس من المفترض أن يكون مخزون الولايات التي تستخدمه بعد ذلك"، هكذا قلت ردًا على سؤال حول استراتيجية إدارة الإمدادات لدينا. لم تكن هذه اللحظة الأكثر بلاغة بالنسبة لي، لكنني اعتقدت أن هذه كانت لحظة رائعة.

نقطة واضحة: أردنا أن تستخدم الدول الإمدادات التي أرسلناها، وليس تخزينها.تم نقلهم إلى المستودعات.

في صباح اليوم التالي، اتصل بي أخي جوش ليطمئن عليّ. عندماسألته عن السبب، فقال إنني أتعرض للتدمير في الصحافة. وسرعان ما رأيت عناوين الصحف: "أول ظهور لجاريد كوشنر في مؤتمر صحفي حول فيروس كورونا يثير احتجاجات وارتباكًا"، كما كتبت صحيفة واشنطن بوست. وكتبت الكاتبة في صحيفة نيويورك تايمز مورين دود: "الله يعيننا، نحن تحت رحمة حشد البدلة النحيفة".

لقد فاجأتني شدة وحجم الغضب اللاذع الذي أثارته وسائل الإعلام. ولكن لم يكن لدي وقت للتفكير في أي شيء سوى الأزمة الحالية. واستمرت الطلبات في التدفق. وفي أدنى نقطة لدينا، لم يكن لدينا سوى 1200 جهاز تنفس اصطناعي في المخزون. وكان الخبر السار الوحيد هو أن إرشاداتنا "15 يومًا لإبطاء انتشار المرض" كانت تحدث فرقًا. فقد تباطأ نمو معدلات استخدام المستشفيات، وبدأت جهودنا لشراء كل جهاز تنفس اصطناعي متاح يمكننا العثور عليه تؤتي ثمارها.

{48}

على شفا الانـهيار الاقتصادي

في السابع والعشرين من مارس/آذار، وقع الرئيس ترامب على أكبر حزمة إنفاق حكومي في التاريخ: حزمة تحفيز اقتصادي بقيمة 2.3 تريليون دولار. وتم إقرار قانون CARES في أقل من أسبوعين. وكنا نطلق الرصاص على سحابة من الدخان.
الدخان على أمل أن يصل عدد كاف منهم إلى أهدافهم لإنقاذ اقتصاد يتجه نحو الانهيار.

ولم يُمرر قانون CARES إلا لأن الكونجرس عمل مع البيت الأبيض بالطريقة التي كنت أتمنى دائمًا أن يحدث بها ذلك. فقد اتفق الجمهوريون والديمقراطيون على ما يجب إنجازه. وفي النهاية صاغوا خطة لتوصيل مدفوعات نقدية بقيمة 1200 دولار مباشرة إلى الأميركيين من ذوي الدخل المتوسط والمنخفض. وكان برنامج حماية الرواتب (PPP) على نفس القدر من الأهمية، والذي من شأنه أن يوفر مئات المليارات من الدولارات في شكل قروض فيدرالية للشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم.

كانت آليات التشريع معقدة. بالنسبة لقروض برنامج حماية الرواتبولكي تنجح هذه البرامج، كان لزاماً على البنوك الأميركية أن تشارك فيها طواعية، وكان لزاماً على المتقدمين أن يطلبوا التمويل من خلال بوابة إلكترونية أنشأتها إدارة الأعمال الصغيرة على عجل. وقد اتصلت إيفانكا ومديرة إدارة الأعمال الصغيرة جوفيتا كارانزا بالرؤساء التنفيذيين لكل بنك كبير فضلاً عن العديد من البنوك المحلية وحثتهم على المشاركة. وكانت آخر مرة أطلقت فيها الحكومة الفيدرالية برنامجاً جديداً قائماً على شبكة الإنترنت بهذا الحجم هي المرة الكارثية التي أطلقت فيها إدارة أوباما موقع healthcare.gov، وكان فريقنا يريد تجنب مصير مماثل. وقد أولت إيفانكا عناية خاصة لضمان إتاحة التمويل للمجتمعات الأقلية.

خلال الأيام الأربعة عشر الأولى من البرنامج، قامت PPP بمعالجة أربعة عشر سنوات من القروض.

وبفضل هذه الجهود الحثيثة، نجحت البلاد في تفادي كساد اقتصادي جديد. فقد أنقذ برنامج حماية الرواتب وحده ما يصل إلى 17.3 مليون وظيفة من خلال القروض المقدمة للشركات الصغيرة. وعلى الرغم من هذا النجاح، أدى إغلاق المطاعم وشركات تقديم الطعام إلى تعطيل سلسلة إمدادات الغذاء في أميركا. فلم يعد لدى العديد من المزارعين مكان لبيع طعامهم الطازج، وفي الوقت نفسه كان الآلاف من العاطلين عن العمل يصطفون في طوابير أمام بنوك الطعام.

ولأنها لم تكن تريد أن يضيع الطعام في حين يعاني الأميركيون من الجوع، فقد تواصلت إيفانكا مع وزير الزراعة سوني بيردو لمعرفة ما إذا كان بإمكانهما العمل معًا للمساعدة في حل المأزق. وفي غضون أيام، أطلقا برنامج صناديق الطعام من المزارعين إلى الأسر، والذي اشترى الطعام من المزارعين ووزعه على الأميركيين المحتاجين. وساعد البرنامج المجموعات الدينية والمجتمعية على توصيل أكثر من 173 مليون صندوق من اللحوم الطازجة ومنتجات الألبان والمنتجات الزراعية إلى الأسر على مدى الاثني عشر شهرًا التالية. وعملت إيفانكا على مدار الساعة لدعم البرنامج وسافرت عبر البلاد للمساعدة في توزيع الصناديق على الأسر. وكان شغفها بمساعدة الآخرين وإيمانها الأساسي بخير الناس واضحًا تمامًا.

* * *

في التاسع من إبريل/نيسان، أول يوم كامل من عيد الفصح اليهودي، كنت أتطلع إلى عشاء عيد الفصح الخاص مع إيفانكا وأفي والأطفال ــ أول وجبة عائلية أتناولها منذ أسابيع. وفي طريق العودة إلى المنزل، تلقيت مكالمة هاتفية من جون هيس، الرئيس التنفيذي لشركة هيس. كان صديقا قديما لي منذ أن كنت أعيش في نيويورك، فضلا عن كونه مفوض دوري كرة القدم الخيالي السابق، وهي هواية اضطررت إلى التخلي عنها عندما أتيت إلى واشنطن.

وقال هيس "لقد نفدت صهاريج تخزين النفط من الصناعة، ولم يعد لدينا مكان لتخزين النفط المستخرج من باطن الأرض. وقد يؤدي هذا إلى تدمير صناعة النفط والغاز الأميركية. ويتعين على الرئيس التدخل".

لقد تلقيت تقارير مماثلة في وقت سابق من الأسبوع من قادة آخرين في القطاع، بما في ذلك فيكي هولوب من شركة أوكسيدنتال بتروليوم وهارولد هام من شركة كونتيننتال ريسورسز.

إذا ظلت أسعار النفط عند 20 دولاراً للبرميل، فإن شركات الطاقة سوف تضطر إلى تسريح ملايين العمال الأميركيين، وسوف تصبح استقلالية بلادنا في مجال الطاقة في خطر.

"يجب عليك الاتصال بالرئيس مباشرة"، قلت لهيس. "إنه يحب الأشياء الرخيصة"الزيت. ولا أستطيع أن أفعل أي شيء في هذا الشأن إلا إذا أرشدني إلى ذلك". بعد نصف ساعة، رن هاتفي مرة أخرى.

وقال ترامب "جاريد، لم أكن أتصور قط أنني سأطلب منك إبرام صفقة لرفع أسعار النفط. الأمر يزداد سوءا. اتصل بالسعوديين والروس واعمل معهم لإبرام صفقة".

اتصلت بوزير الطاقة دان برويليت للحصول على معلومات تفصيلية عن الوضع: كان منغمسًا في المفاوضات بين المملكة العربية السعودية وروسيا.كان برويليت يتحدث عن مفاوضات بين السعودية وإيران منذ أشهر. وأوضح أن البلدين كانا قريبين من التوصل إلى اتفاق قبل شهر واحد. وعندما انسحب الرئيس الروسي فلاديمير بوتن من تلك الصفقة، خفض السعوديون أسعار النفط ردًا على ذلك، مما أدى إلى الأزمة الحالية. وكان برويليت يعمل عن كثب مع المفاوضين من الجانبين للتوسط في التوصل إلى حل وسط. وكانوا قريبين من التوصل إلى اتفاق، لكن العديد من القضايا المهمة ظلت دون حل.

اتصلت بـ محمد بن سلمان، ووصف ولي العهد السعودي إحباطه منلقد اعتقد بوتين أن روسيا تلعب بإمدادات النفط العالمية وتحاول إجبار المملكة العربية السعودية على خفض الإنتاج. ثم اتصلت بكيريل دميتربيف، الممول الروسي القوي والمقرب من بوتن والذي ساعد في خطة السلام في الشرق الأوسط. واتفقنا على أن هذه لحظة مناسبة لروسيا والولايات المتحدة للعمل معًا في مسألة ذات أهمية عالمية.

عندما وصلت إلى المنزل، جلست مع إيفانكا وأفي والأطفال لتناول عشاء عيد الفصح. وبينما كنا نمارس الطقوس المقدسة ونشارك في وجبة عيد الفصح، شعرت وكأن الحياة عادت إلى طبيعتها مرة أخرى. ناهيك عن أسابيع الليالي بلا نوم، واللحظات العائلية الضائعة، والعودة إلى المنزل بعد وقت طويل من ذهاب الأطفال إلى الفراش. كنت أستمتع بكل ثانية. وبينما كنا نغني أغنية عيد الفصح المفضلة لدي، "فيهي شيمدا"، وهي صلاة حول وعد الله بإنقاذ كل جيل من الشعب اليهودي من مضطهديه، كسر صوت هاتفي المألوف صفاء ذهني: كان محمد بن سلمان، وكان علي أن أستقبله.

أومأت إيفانكا برأسها بعلم بالطبع، لكنني لم أستطع إلا أن ألاحظ وجوه الأطفال الخائبة عندما خرجت من الغرفة.

في تلك الليلة كنت أتحدث عبر الهاتف بين محمد بن سلمان وكيريل، واستمرت مكالماتنا طوال اليوم التالي. وبعد ست وثلاثين ساعة،كنا على وشك الانتهاء من اتفاق لخفض الإنتاج بنحو عشرة ملايين برميل يوميا، وهو ما سيكون أكبر خفض في التاريخ.

"أعتقد أننا وصلنا إلى الرقم الصحيح"، قلت لترامب، الذي وافق على التحدث مع الملك السعودي سلمان بن عبد العزيز وبوتن لإتمام الصفقة.

وفي يوم الأحد 12 أبريل/نيسان، تحدث الزعماء الثلاثة.

وبينما هنأهم ترامب على التوصل إلى اتفاق، قاطعهم الملك سلمان: "حسنًا، لم نتوصل إلى اتفاق بعد. نحن بحاجة إلى أن تخفض المكسيك إنتاجها بمقدار أربعمائة ألف برميل يوميًا".

كانت المكسيك جزءًا من اتفاقية نفطية موسعة تسمى أوبك+ والتي ضمت دول أوبك الثلاثة عشر وعشر دول غير أعضاء في أوبك، بما في ذلك روسيا. وأوضح سلمان أنه إذا رفضت المكسيك خفض الإنتاج، فإن أي اتفاق سيفشل لأن دول أوبك+ الأخرى ستستاء من استفادة المكسيك المجانية.

لقد أرسل لي ترامب مذكرة: "اتصل بالمكسيك في أقرب وقت ممكن".

وعندما تحدثت مع ألفونسو رومو، كبير موظفي مكتب الرئيس المكسيكي لوبيز أوبرادور، قال إنهم يحاولون خفض الإنتاج لكنهم لم يتوصلوا إلى قرار بعد.

وأوضح السكرتير بروييليت ما كان يحدث بالفعل، فقال: "إنها منطقة هاسيندا هيدج".

لقد أممت المكسيك صناعة النفط لديها في أوائل القرن العشرين واعتمدت علىإن المكسيك تعتمد على إنتاج النفط كمصدر رئيسي لإيراداتها الحكومية. وللحماية من انخفاضات سوق النفط، قامت المكسيك بتحوط سنوي بقيمة مليار دولار في وول ستريت. فإذا انخفضت الأسعار إلى ما دون المستوى التحوطي الذي كانت المكسيك تتبناه، فإن البلاد تجني مليارات الدولارات، فتعوض الخسائر في عائدات إنتاج النفط الناجمة عن انخفاض أسعار النفط. وكلما انخفض السعر، كلما زادت مكاسب المكسيك من "تحوطها".

وقال بروييليت "إن المكسيكيين يتحوطون حاليا عند سعر خمسة وخمسين دولارا للبرميل. إنهم غير مبالين بانخفاض الأسعار. فلماذا يوافقون على خفض برميل واحد من الإنتاج؟"

وبعد بضع ساعات عاد رومو وقال إن المكسيك ستخفض إنتاجها بمقدار مائة ألف برميل يوميا كتنازل لترامب. لكن هذا لم يكن كافيا. ولكن عندما أطلعت ترامب على المستجدات، كان الرئيس متفائلا بشكل مفاجئ.

"هذا رائع"، قال. "أخبر السعوديين أننا سنعوض الثلاثة"الفرق هو مائة ألف برميل."

"ولكننا لا نتحكم في أسواق النفط لدينا"، قلت له، ولست متأكداً مما يدور في ذهنه. فليس بوسع الولايات المتحدة أن تأمر شركات النفط التابعة لها بوقف عمليات الحفر.

قال ترامب "فقط أخبرهم أننا سنفعل ذلك، علينا أن نحصل على هذه الصفقة".

تم ذلك- لدي فكرة.

ولكن بدلاً من التركيز على العقبات، حدد ترامب فرصة. فقد أدرك أن إنتاج النفط الأميركي كان قد توقف بالفعل. ولم يكن بوسع المنتجين الأميركيين تحقيق ربح ما لم يتجاوز سعر البرميل 40 دولاراً، لذا عندما هبطت الأسعار إلى 38 دولاراً أو أقل، خفضوا الإنتاج بشكل طبيعي. وتجاوز هذا التخفيض 300 ألف برميل يومياً. وأدرك الرئيس أننا نستطيع أن نحسب المبلغ لصالح المكسيك ونتوصل إلى اتفاق. وقد طرحت فكرته على محمد بن سلمان، الذي وافق على النظر فيها. وكانت المفاوضات متواصلة، وكان الجميع منهكين، لكنها تضمنت لحظات من المناوشات والمناوشات. وخلال محادثة مع بوتن، تحول ترامب إلى موضوع مختلف تماما.

"ألا تشعر بالقلق إزاء الحشد الصيني على حدودك الجنوبية؟ هناك حيث يوجد الكثير من ثروات بلدك - ألا تشعر بالقلق من أنهم قد يصبحون في مرحلة ما أكثر عدوانية ويبحثون عن التوسع؟"

ورد بوتن دون تردد: "إذا كنت أنا الشخص الذي ينبغي أن"إن كنت تهتم بحدودي الجنوبية، فلماذا أنت الذي تبني الجدار؟"

وفي نهاية المطاف توصل الزعماء الثلاثة إلى اتفاق، حيث وافقت أوبك على خفض الإنتاج بمقدار 9.7 مليون برميل يوميا. وأنقذ الاتفاق ملايين الوظائف الأميركية في قطاعي النفط والغاز.

وأشاد الكاتب دانييل يرجين الحائز على جائزة بوليتسر في مجال الطاقة بـ

الاتفاق هو "الأكبر والأكثر تعقيدًا" الذي توصل إليه ترامب على الإطلاق.

جريدة الشارعردد مجلس تحرير صحيفة نيويورك تايمز نفس المشاعر، حيث أعطى "الفضل للسيد"."ترامب لاستخدامه النفوذ الأمريكي العالمي للتخفيف من الفوضى" ـ ثناء كبير من مصدر ينتقد باستمرار السياسة الاقتصادية الدولية لترامب.

* * *

في الخامس عشر من إبريل/نيسان، اتصل بي ترامب في المكتب البيضاوي وقال إنه يريد إنهاء إغلاق كوفيد-19 وإعادة فتح الاقتصاد في اليوم التالي. ورغم اعتقاده بأن التوجيهات الفيدرالية لإبطاء انتشار الفيروس كانت غير كافية، إلا أنه قال إنه يريد إنهاء الإغلاق وإعادة فتح الاقتصاد في اليوم التالي.كان ترامب قد قال إنه كان يعتقد أن الإغلاق كان مؤقتًا، وكان يعتقد أن الأطباء يريدون استمراره إلى أجل غير مسمى. وبينما كان يستقبل مكالمات من قادة الأعمال والاقتصاديين وأعضاء الكونجرس، كان من الواضح أن معدل البطالة سيرتفع قريبًا إلى 30٪. أخبرني أنه يريد الإعلان عن ذلك على الفور. توسلت إليه أن يمنحني بضعة أيام أخرى، موضحًا أن المحافظين طلبوا إرشادات واضحة لإعادة الفتح وأن الدكتورة بيركس كانت في صدد صياغة خطة يمكن لفريقي ترامب الطبي والاقتصادي دعمها. حذرته من أنه إذا تحرك إلى الأمام قبل الانتهاء من الخطة، فإن مستشاريه سينأون بأنفسهم عن القرار وسيفقد الأمريكيون الثقة في الاستجابة الفيدرالية. قلت: "إذا تمكنا من التوصل إلى إجماع بشأن خطة، فسيكون الأمر أفضل بكثير". وافق ترامب في النهاية على منحي أربعًا وعشرين ساعة لتحقيق إجماع بشأن إعادة الفتح.

وفي اجتماع مع الرئيس في اليوم التالي، 16 أبريل، أكد فاوتشي بقوةونصح بعدم إعادة الفتح الكامل. وزعم أن استمرار عمليات الإغلاق من شأنه أن ينقذ الأرواح، ويجب أن نستمر في فرضها لأطول فترة ممكنة.

أعلن ترامب "لن أترأس جنازة أعظم دولة في العالم".

"أفهم ذلك"، قال فوسي بخنوع. "أنا فقط أقدم المشورة الطبية. لا أفكر في أشياء مثل الاقتصاد والتأثيرات الثانوية. أنا مجرد طبيب متخصص في الأمراض المعدية. وظيفتك كرئيس هي أخذ كل شيء آخر في الاعتبار".

كان فاوتشي سياسيا ماهرا وذو مهارات تواصل جيدة. لا أحد يرتقي إلى قمة بيروقراطية مثل المعاهد الوطنية للصحة ويصمد في وجه ست إدارات رئاسية على مدى ثلاثة عقود ونصف دون أن يعرف كيف يروج لنفسه ويتفوق عليه ويكسب ود الأقوياء.

في وقت مبكر من الجائحة، كان فاوتشي جالسا في مكتبي عندما رن هاتفه. نظرنا إلى الأسفل ورأينا اسم المتصل: جيم أكوستا، الخصم الرئيسي للرئيس على شبكة سي إن إن الإخبارية المعادية عموما.لم يعترف أي منا بتلك اللحظة المحرجة، لكنها ظلت عالقة في ذهني. فقد استاء أعضاء فريق العمل من مشاركة فاوتشي في هذه الاجتماعات، ثم انتقاده لاستجابة الحكومة الفيدرالية كما لو أنه لم يكن مشاركًا فيها.

في ذلك الأسبوع بالذات، قال لوكالة أسوشيتد برس "إننا لم نصل إلى هناك بعد" فيما يتعلق بالاختبار، وأن "علينا أن نمتلك شيئًا فعالًا يمكننا الاعتماد عليه". وقد أدت هذه التعليقات إلى إحباط الموظفين الذين كانوا يعملون لمدة عشرين ساعة في اليوم بينما كان فاوتشي يتحدث مع أصدقائه في المستشفى.لقد كان تصريحه غريبًا بالنسبة لي أيضًا. فقد جاء في نهاية فترة سبعة أيام أجرينا خلالها مليون اختبار. لقد كنا نتوسع بسرعة، وأخيرًا أصبح لدينا نظام موثوق به. وبدلاً من تسليط الضوء على هذا التقدم لبناء الثقة، ركز على الجانب السلبي. بصفته عضوًا كامل العضوية في فريق العمل، حضر فاوتشي جميع الاجتماعات وكان يعرف ما كنا نفعله. ومع ذلك، فقد نأى بنفسه باستمرار عن البيت الأبيض عند مناقشة الجهود علنًا.

"هل هو معلق رياضي أم عضو في الفريق؟" سأل أحد أعضاء فريق العمل. "إنه يعرف التحديات التي نواجهها وكل ما نقوم به لحلها. إذا كان لديه توصيات، فيجب أن يقدمها لنا!"

في أحد الأيام، وبعد أن أجرى فاوتشي مقابلة أخرى قاتمة، حاول ترامب إقناعه بتغيير نهجه: "أنتوني، عليك أن تكون أكثر إيجابية. نحن بحاجة إلى إعطاء الناس الأمل".

رد فاوتشي: "نصيحتي في مواقف مثل هذه هي أننا يجب أن"إننا نريد أن نجعل الناس يشعرون بالسوء قدر الإمكان. نريد أن نشرح أسوأ سيناريو ممكن. إذا حدث ذلك، فإننا كنا على حق. وإذا لم يحدث، فإننا نكون قد قمنا بعمل أفضل مما توقعه الناس."

وقال ترامب "أنا لست كذلك. أنا أتبع النهج المعاكس. أنا مثل المدرب الذي يؤمن بالفريق حتى لو كان في حالة سيئة لإعطائهم سببًا لمواصلة القتال. لا يمكننا السماح للناس بالاستسلام. الناس يفقدون وظائفهم. إنهم يشربون ويتعاطون المخدرات؛ إنهم مكتئبون، وتزداد حالات الانتحار. هذه ليست أمريكا. سنتجاوز هذا، لكن يتعين علينا أن نبقى إيجابيين؛ يتعين علينا أن نعطي الناس سببًا لإبقاء أعمالهم مفتوحة حتى تتمكن بلادنا من التعافي".

قال فاوتشي "حسنًا، سأكون أكثر إيجابية بعض الشيء"، لكنه لم يصرح بذلك قط.

جيد في هذا الالتزام.

ولم يكن فاوتشي هو الوحيد الذي انتقدنا بسبب الاختبارات. فقد هاجمنا كومو أيضا. وفي إحدى مكالماتنا، واجهته بشأن انتقاداته العلنية: "ماذا تريد منا أن نفعل أكثر من ذلك؟"

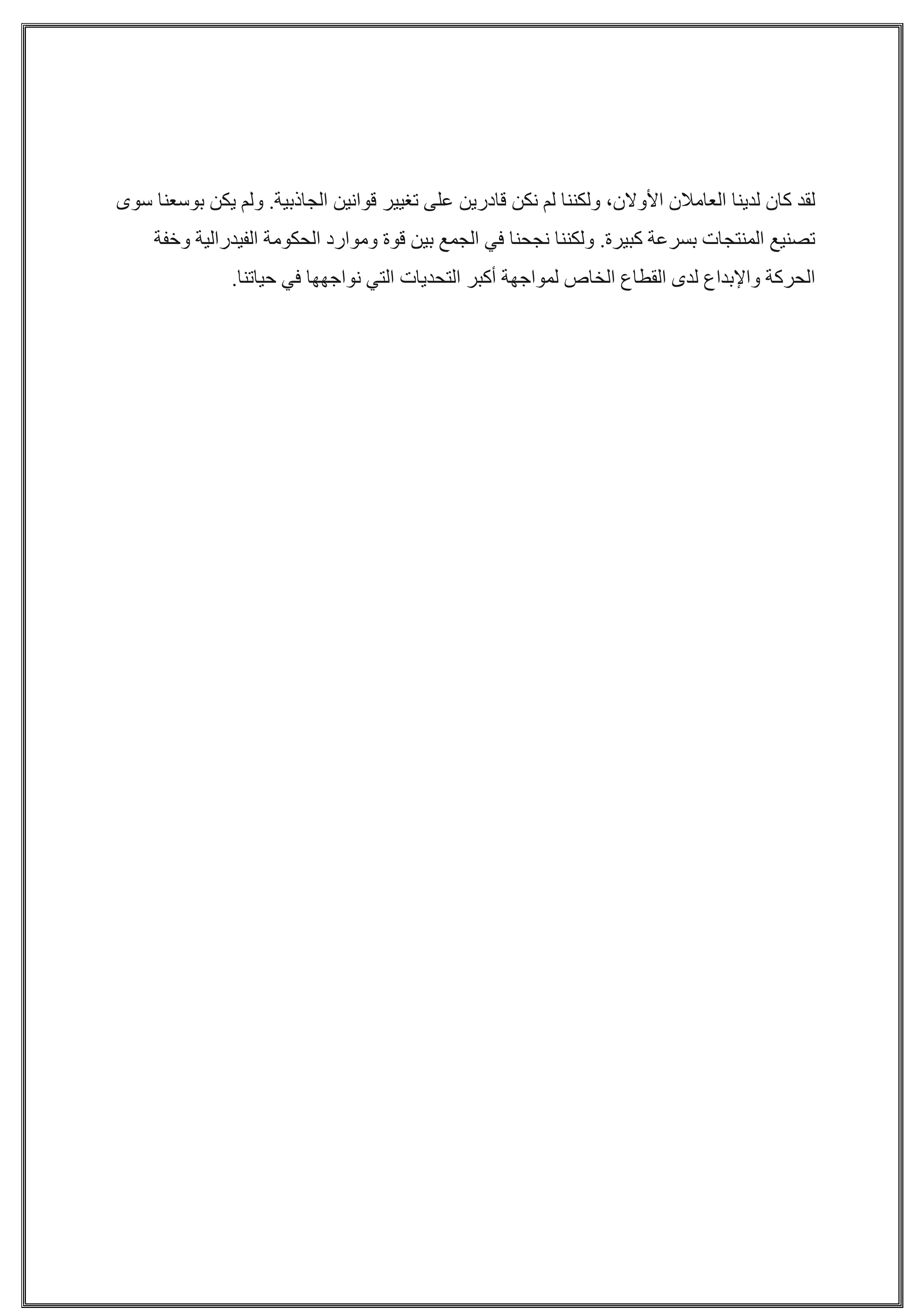
"هذه ليست إجابة علمية"، قال الحاكم. "ما معنى الاختبارات الكافية؟ لا أحد يعرف. بمجرد أن أقول إن الاختبارات كافية، ستتوقف الرواية الإعلامية ضدكم. لماذا لا آتي إلى البيت الأبيض، وسنتوصل إلى اتفاق؟"

وافق ترامب على الاجتماع، وجاء كومو إلى الجناح الغربي.وقال إن نيويورك تجري عشرين ألف اختبار يوميًا، وكان يعتقد أن خمسين ألفًا ستكون كافية.

"تم" قلت.

لقد فوجئ كومو. فبدون علمه بالتقدم الذي أحرزناه في زيادة الإمدادات، اقترح عددًا لم يعتقد أننا قادرون على تلبيته. وبعد ذلك، تحدث إلى الصحافة أمام البيت الأبيض ووصف زيارته بأنها "عملية وفعالة للغاية". ومع تلبيتنا لطلب نيويورك على الاختبارات، توقف عن هجماته على الاختبارات. وعندما فعل ذلك، تلاشت رواية وسائل الإعلام. واستنادًا إلى هذا النهج، أجرى الفريق مناقشات مماثلة مع كل حاكم تقريبًا. ودفع بعض الخبراء إلى إجراء مئات الملايين من الاختبارات يوميًا. وأراد آخرون أن نتتبع تحركات الأميركيين ونجري تتبعًا صارمًا للمخالطين. لكننا لم نكن لنسمح لأميركا بأن تصبح دولة مراقبة.

خلال الجائحة، كان من الأسهل كثيرًا أن يكون لكل تحدٍ إجابة علمية واضحة، لكن هذا لم يكن الحال. وكما اعتدت أن أخبر فريقي، هناك ثلاثة عوامل تدخل في حل المشكلات الكبيرة: التخيل



لقد كان لدينا العاملان الأولان، ولكننا لم نكن قادرين على تغيير قوانين الجاذبية. ولم يكن بوسعنا سوى تصنيع المنتجات بسرعة كبيرة. ولكننا نجحنا في الجمع بين قوة وموارد الحكومة الفيدرالية وخفة الحركة والإبداع لدى القطاع الخاص لمواجهة أكبر التحديات التي نواجهها في حياتنا.

{49}

عملية Warp Speed

في صباح الخامس عشر من إبريل/نيسان، جاء وزير الصحة والخدمات الإنسانية أليكس أزار ونائبه رئيس هيئة موظفيه بول مانجو إلى مكتبي ومعهما اقتراح. وقد سلمني مانجو عرضاً تقديمياً على برنامج باوربوينت.

وعرض عازار خطة لتطوير ونشر لقاح فيروس كورونا في غضون ستة أشهر.

رفعت نظري عن العرض باستغراب. كان أسرع لقاح تم طرحه في السوق على الإطلاق هو لقاح النكاف، وقد استغرق ذلك أربع سنوات. وقال أزار إنه لم يكن لزامًا أن يستغرق الأمر كل هذا الوقت. وإذا تمكنت الحكومة الفيدرالية من العمل مع مطوري اللقاحات لتبسيط الموافقات التنظيمية وتمويل الإنتاج المبكر للقاحات، فيمكننا تقليص الجدول الزمني بشكل كبير.

قبل الانضمام إلى الإدارة، شغل عازار منصب رئيس شركة إيلي ليلي، إحدى شركات الأدوية الرائدة في أمريكا، والتي اشتهرتكان وزير الصحة الأمريكي جون كيري، الذي كان يعمل في مجال تسويق لقاح شلل الأطفال والأنسولين، من بين أكثر المسؤولين التنفيذيين في إدارة الغذاء والدواء. وقد أوضح الوزير، الذي بدا متحمسًا بشكل واضح، أن عملية موافقة إدارة الغذاء والدواء كانت عادةً نقطة اختناق كبيرة في إنتاج اللقاحات. علاوة على ذلك، قد تكون اللقاحات باهظة الثمن في التصنيع والتخزين، لذلك تنتظر شركات الأدوية عادةً موافقة إدارة الغذاء والدواء قبل إنتاج الجرعات على نطاق واسع. ومع ذلك، إذا عرضت الحكومة الفيدرالية تحمل تكاليف الإنتاج، يمكن للشركات أن تبدأ في تصنيع اللقاحات أثناء دخولها التجارب السريرية، وهي عملية إدارة الغذاء والدواء المكونة من ثلاث مراحل للتحقق من سلامة وفعالية اللقاح. إن إجراء هذه العمليات في وقت واحد من شأنه أن يوفر أشهرًا من الجدول الزمني لطرح اللقاح دون المساس بالسلامة. بمجرد موافقة إدارة الغذاء والدواء على لقاح COVID-19، يمكننا البدء في شحنه إلى الأمريكيين في اليوم التالي.

كانت تكلفة الفشل باهظة: إذا لم ينجح اللقاح أو رفضته إدارة الغذاء والدواء لأسباب تتعلق بالسلامة، فإن الحكومة الفيدرالية سوف تجد نفسها عالقة بمستودعات مليئة بالجرعات غير المفيدة وفواتير ضخمة.

كان من الواضح أن عازار كان يلجأ إلي لسببين. أولاً، كان يحتاج إلى جرافة لإبعاد البيروقراطية عن فريق العمل وأي شخص آخر. ثانيًا، والأهم من ذلك، كان يعلم أنه إذا فشل المشروع بتكلفة باهظة، فسوف يبحث الناس عن شخص يلقي عليه اللوم. كنت على استعداد لقبول هذه المخاطرة، لأنني كنت أعلم أن اللقاح الناجح يمكن أن ينقذ ملايين الأرواح، بينما يساعد البلاد على العودة إلى وضعها الطبيعي.

كان بيتر ماركس، وهو طبيب وحاصل على درجة الدكتوراه، وراء خطة اللقاح الطموحة، والذي قاد أبحاث سرطان الدم في جامعة ييل قبل الانضمام إلى إدارة الغذاء والدواء الأمريكية.يدير مركزه لتقييم وأبحاث المواد البيولوجية. وقد رفض قَدَر مجاله فيما يتعلق بالجداول الزمنية الطويلة لتطوير اللقاحات.

في اجتماع مع مسؤولي شركات الأدوية في البيت الأبيض في الثاني من مارس/آذار، كشف ستيفان بانسل، الرئيس التنفيذي لشركة موديرنا، أن شركته طورت بالفعل لقاحًا وأنها تنتظر الموافقة التنظيمية للمضي قدمًا في التجارب السريرية.

وقال ترامب: "لذا، أنت تتحدث عن أنه خلال الأشهر القليلة المقبلة، تعتقد أنه من الممكن الحصول على لقاح".

قاطعه فوتشي قائلا: "لن يكون لديك لقاح. سيكون لديك لقاح للذهاب"في الاختبار."

وفي وقت لاحق من الحدث، اقترح ترامب مرة أخرى أن اللقاح قد يكون جاهزًا في غضون أشهر بدلاً من سنوات. وبينما كانت كاميرات الصحافة تلتقط الصور، أعلن فاوتشي المنهك أن اللقاح سيكون متاحًا للجمهور "في أقرب وقت، في غضون عام إلى عام ونصف، بغض النظر عن مدى السرعة التي تسير بها الأمور".

ومع ذلك، حدد ماركس طرقًا لتسريع إنتاج لقاح جديد. كان يعلم أن كل من شركة فايزر وموديرنا قد أمضيا سنوات في اختبار تقنية لقاح mRNA الجديدة التي يمكن أن تعمل ضد كوفيد-19. علاوة على ذلك، فإن انتشار الفيروس في كل مكان من شأنه أن يساعد. بالنسبة لمعظم اللقاحات، استمرت التجارب لسنوات حيث بحثت شركات الأدوية عن متطوعين للتسجيل. لن تكون هذه مشكلة مع كوفيد-19. توقع ماركس أيضًا أن تقوم إدارة الغذاء والدواء بمراجعة اللقاحات بموجب عملية طوارئ خاصة. حسب أنه بجهد جيد، يمكننا تسليم لقاح قبل نهاية العام. أطلق على مبادرته عملية Warp Speed. بينما وصف أزار ومانجو مفهوم Warp Speed، تومض ذهني بمكالمة تلقيتها قبل شهر من

كين جريفين، أحد أنجح رجال الأعمال في أمريكا، قال: "يجب أن تبدأ في إنتاج اللقاحات بكميات كبيرة بينما لا تزال تجري تجارب السلامة في المرحلة الثالثة. قد تخسر المال في عدد قليل، ولكن إذا نجح أحدها، فسوف يُسجل باعتباره أفضل استثمار تم القيام به على الإطلاق. إذا استثمرت بضعة مليارات الآن، فسوف توفر على الاقتصاد تريليونات من الأضرار".

لقد أحببت الفكرة. كان من الأهمية بمكان توفير لقاح آمن وفعال في أسرع وقت ممكن. من خلال برنامج الاختبار من السيارة ومشروع الجسر الجوي، رأيت فعالية الشراكة التي تتم إدارتها بشكل جيد بين الحكومة والقطاع الخاص. لقد رأيت أيضًا ثمن حروب العصابات وعدم كفاءة الحكومة. كنا بحاجة إلى تنفيذ الأمر بشكل صحيح. لم يكن هناك مجال للخطوات البيروقراطية الخاطئة أو صراعات السلطة أو التأخير غير الضروري.

"دعونا نبقي هذا الأمر خارج نطاق فريق العمل"، قلت. "دعونا نديره خارج وزارة الصحة والخدمات الإنسانية، مع الدعم اللوجستي من وزارة الدفاع. حدد موعدًا لاجتماع في البنتاغون،"سأمثل البيت الأبيض."

وفي وقت لاحق من ذلك اليوم، وصفت عملية Warp Speed للرئيس.

سيكلف إنتاج كل لقاح مرشح بكميات كبيرة 2 مليار دولار، وكنا نتطلع إلى اتباع نهج المحفظة الذي يشمل أربعة إلى ستة مرشحين واعدين، بتكلفة تصل إلى 14 مليار دولار.

وقال ترامب "إن هذا مبلغ كبير من المال للمخاطرة به، واللقاحات فعالة جزئيا فقط. ماذا نفعل بشأن العلاجات؟ أعتقد أن الناس يفضلون أن يعرفوا أنه يمكن علاجهم إذا دخلوا المستشفى".

استمد ترامب سؤاله من تجربته الشخصية. فقد تسبب كوفيد-19 في وفاة العديد من أصدقائه المقربين، بما في ذلك ستانلي تشيرا، وهو زميل له في مجال العقارات.كان أحد المطورين العقاريين في نيويورك يعتقد أن استجابة الحكومة الفيدرالية يجب أن تتضمن علاجات يمكنها إنقاذ حياة المصابين، لكنه أعطى الضوء الأخضر للمضي قدمًا في عملية Warp Speed. أقنعته مناقشتنا بأن الفوائد المحتملة للصحة العامة والسلامة والاقتصاد تفوق المخاطر المالية إلى حد كبير.

"ولكي ننجح في تحقيق ذلك، يتعين علينا أن نتخلص من كل البيروقراطية"، قلت. "إن هذا النهج من شأنه أن يخلق لنا بعض الأعداء. وأنا في احتياج إلى إذنك لكي أسمح لنفسي بالقيام بكل ما يلزم لإنجاز هذا العمل".

قال ترامب "افعل ذلك، أي شيء يعترض طريقك، ارجع إليّ، لكن افعل ما عليك فعله حتى لا يبطئك شيء". التقيت أنا وعازار وبوهلر في البنتاغون مع وزير الدفاع مارك إسبر.

في 12 فبراير/شباط، التقى إسبر مع نائب وزير الدفاع ديفيد نوركويست ورئيس هيئة الأركان المشتركة مارك ميلي لطلب شراكة الجيش في المشروع. واقترح إسبر أن يكون الجنرال جوستاف بيرنا، وهو من ذوي الأربع نجوم، هو الرجل المناسب لقيادة اللوجستيات لعملية Warp Speed. خدم بيرنا لأكثر من أربعين عامًا في الجيش وكان على بعد أسابيع من التقاعد. قبل بروح وطنية مهمة أخيرة. كنا بحاجة إلى تجنيد قائد مشارك لديه خبرة في إنتاج اللقاحات للعمل جنبًا إلى جنب مع بيرنا وإدارة تطوير اللقاح. أجرينا مقابلات مع أربعة مرشحين من ذوي الكفاءات العالية، ولكن في النهاية، برز أحدهم: الدكتور منصف السلاوي. كان العالم المغربي المولد ذكيًا ومتواضعًا ودقيقًا. بصفته رئيسًا للقاحات في شركة جلاكسو سميث كلاين، ساعد في تطوير أربعة عشر لقاحًا في عشر سنوات. بسلاسة وثقة، جاء إلى مقابلته مرتديًا سترة جلدية وقميصًا تحتها. قال: "أنا أفوض المهام". "أتحمل الفضل في جميع الإخفاقات وأعطي الفضل في جميع النجاحات". لقد تردد صدى ذلك معي. كان من شأن ذلك أن يساعده على النجاة من البيروقراطية الحكومية التي ابتليت بالاستياء والتسريبات. وكان لدى السلاوي سمة مهمة أخرى: كان المرشح الوحيد الذي اعتقد أننا نستطيع طرح لقاح في السوق في أقل من عام. لقد كان خيارنا بالإجماع. في 15 مايو، بينما كان أبرز العلماء في أمريكا يعملون بجد لتطوير لقاح، دخل ترامب إلى حديقة الورود مع بيرنا والسلاوي. قال الرئيس: "أريد أن أطلعكم على المرحلة التالية من المبادرة الطبية المهمة. إنها تسمى عملية Warp Speed".

{50}

إضطرابات

كان مقتل جورج فلويد تحت ركبة ضابط شرطة مينيابوليس ظلمًا صدم وأحزن وأثار غضب كل أمريكي محترم. في اليوم التالي لرؤية الرئيس

وقال في مقطع الفيديو للصحافيين: "أشعر بسوء شديد للغاية".

"إنه مشهد صادم للغاية."

في مينيابوليس، امتلأت الشوارع بالمحتجين. وخلال النهار، ظلت الحشود سلمية في الغالب. ولكن مع حلول الليل، بدأ اللصوص في نهب المدينة بعنف.لقد حطموا واجهات المتاجر الزجاجية، وسرقوا الشركات المحلية، وأحرقوا المباني، بما في ذلك مركز للشرطة. لقد كشفتني مقاضاة والدي وسجنه عن العجز الذي تشعر به العديد من العائلات عندما تكون على الجانب الآخر من نظام العدالة الجنائية. وعلاوة على ذلك، من خلال جهودنا لإصلاح العدالة الجنائية، التقيت بعائلات عانت ظلماً على أيدي عدد قليل من الجهات السيئة في إنفاذ القانون. لقد فهمت الألم الذي يشعر به كثير من الناس. للأمريكيين الحق في الاحتجاج السلمي، ولكن لا يوجد عذر للعنف.

في غضون أيام قليلة، أُطلِق النار على العشرات من الناس وأُصيب المئات في جميع أنحاء البلاد. ومع تغطية مشاهد الفوضى والاضطرابات لشاشة التلفزيون، ازداد قلق ترامب. كانت الاحتجاجات السلمية مفهومة، لكن هذه الفوضى القاتلة لم تكن كذلك. كان الرئيس يؤمن بالفيدرالية واحترام اختصاصات السلطات المحلية، لكنه شعر أيضًا أن أعمال الشغب أصبحت مصدر قلق وطني. اتصل بالنائب العام بيل بار وطلب المشورة بشأن ما يمكنه فعله لقمع العنف. قال بار إن ترامب يمكنه تنشيط الحرس الوطني وإرسال الجيش، لكن القيام بذلك دون موافقة صريحة من الحاكم من شأنه أن يشكل سابقة خطيرة. تحدث ترامب إلى حاكم ولاية مينيسوتا تيم والز وعرض إرسال الحرس الوطني، لكن الحاكم الديمقراطي رفض المساعدة، مما سمح للموقف بالتصعيد.

بعد منتصف ليل الخميس 28 مايو، أطلق ترامب العنان لإحباطهمع منشور على تويتر وفيسبوك: "هؤلاء البلطجية يسيئون إلى ذكرى جورج فلويد، ولن أسمح بحدوث ذلك. تحدثت للتو إلى الحاكم تيم والز وأخبرته أن الجيش معه طوال الطريق. أي صعوبة وسنتولى السيطرة ولكن عندما يبدأ النهب، يبدأ إطلاق النار. شكرا لك!"

بحلول الوقت الذي استيقظت فيه مبكرًا في ذلك الصباح، كان موقع تويتر قد أخفى رسالة الرئيس خلف ملصق تحذيري يزعم أنها "تنتهك قواعد تويتر بشأن تمجيد العنف". كانت هذه هي المرة الأولى التي تفرض فيها منصة تواصل اجتماعي رقابة على رئيس الولايات المتحدة. في الواقع، لفتت الرقابة التي فرضها موقع تويتر على ترامب المزيد من الانتباه إلى حقيقة أن ترامب كان ينشر تغريدات على تويتر.

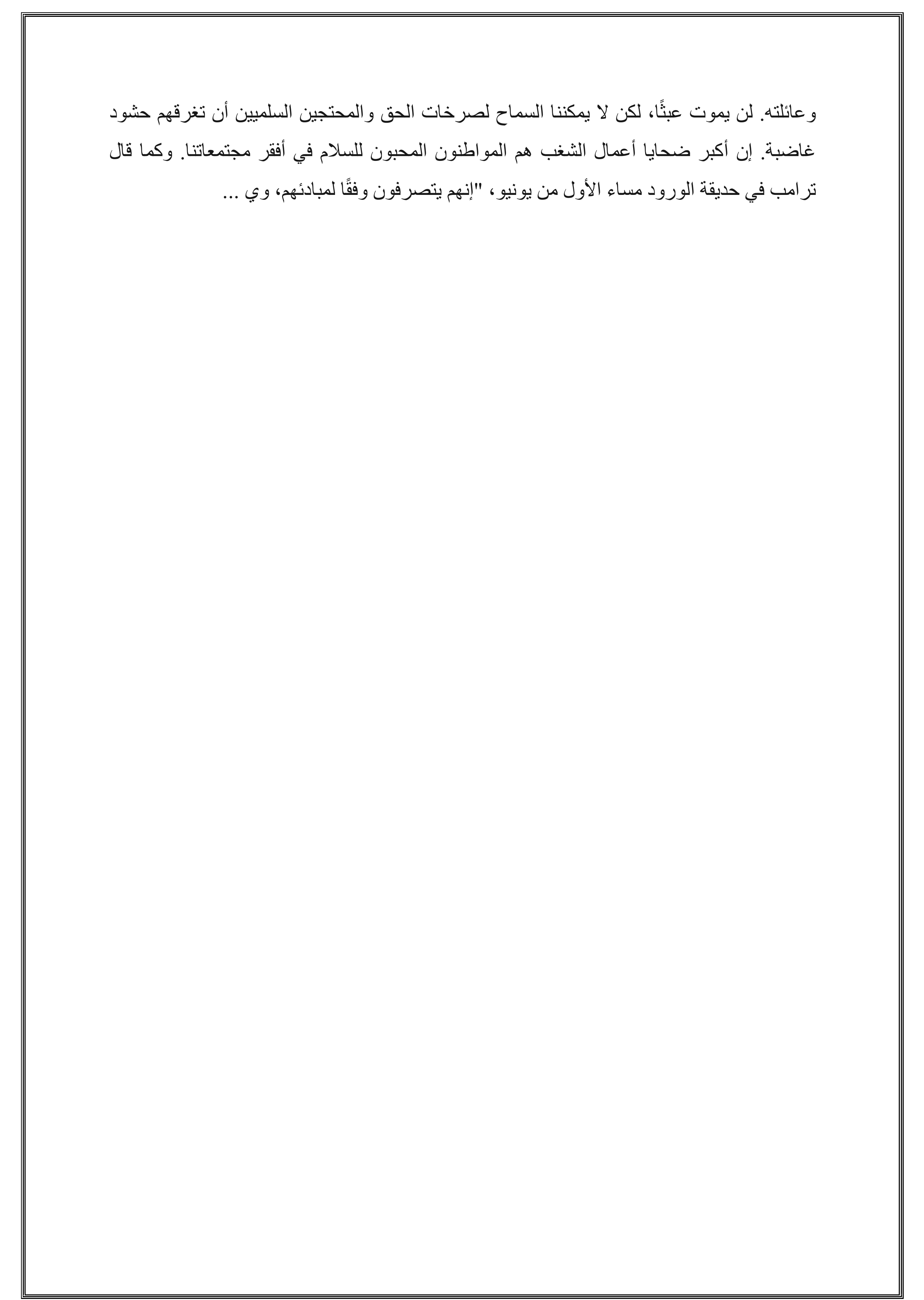
الكلمات التي سعت المنصة إلى قمعها. استولى الديمقراطيون ووسائل الإعلام علىاعتبر البعض أن التغريدة التي تم حظرها هي فرصة لإعادة توجيه غضب ملايين الأميركيين نحو الرئيس، الذي لم يكن حتى تلك النقطة محوراً رئيسياً للمناقشة الوطنية.

منذ عام 2016، حاول الديمقراطيون وصف ترامب بالعنصري، وهو ما علمتهكان هذا تكتيكًا شائعًا يستخدم ضد الجمهوريين. قبل أن يترشح ترامب لمنصبه، كان رمزًا للثقافة الشعبية تبنته صناعة الترفيه وقادة المجتمع الأسود. ولكن في أغسطس 2017، في أعقاب الهجوم المروع في شارلوتسفيل، أخذ الديمقراطيون ووسائل الإعلام كلمات ترامب - "أشخاص طيبون للغاية من كلا الجانبين" - خارج سياقها. كان ترامب يشير إلى المتظاهرين السلميين، الذين أيد بعضهم، وعارض البعض الآخر، هدم النصب التذكاري لروبرت إي لي. مرارًا وتكرارًا، ندد ترامب بقوة بالعنف الشنيع للنازيين الجدد والمتفوقين البيض، لكن وسائل الإعلام استغلت كل فرصة لوصف ترامب بالعنصري. كنت أعرف من علاقتي الشخصية بالرئيس أن التهمة كانت هراء. كان التزام ترامب بحقوق وتقدم الأمريكيين من أصل أفريقي غير مقبول.

كان هذا واضحًا تمامًا من سياسات وأولويات إدارته. بالإضافة إلى إقرار أكبر إصلاح للعدالة الجنائية في التاريخ الحديث - والذي استفاد منه في الغالب الذكور السود الذين حُكم عليهم ظلماً من خلال نظام العدالة - زاد ترامب من تمويل الكليات والجامعات السوداء تاريخيًا (HBCUs) وجعل التمويل دائمًا حتى لا تضطر هذه المدارس إلى الضغط على الكونجرس كل عام. قبل الوباء، وصل معدل البطالة بين السود إلى أدنى مستوى له على الإطلاق، ووصل معدل البطالة بين الشباب السود إلى أدنى مستوى له على الإطلاق، وارتفعت أجور العمال السود بمعدل تاريخي. بحلول أوائل عام 2020، كان ترامب يحصل باستمرار على أكثر من 20 في المائة من استطلاعات الرأي مع المجتمع الأسود، وهي زيادة محتملة بمقدار اثنتي عشرة نقطة عن انتخابات عام 2016. كان القادة الديمقراطيون يائسين لاستعادة هؤلاء الناخبين السود، وكانوا على استعداد للجوء إلى اتهامات متهورة ولا أساس لها من الصحة بالعنصرية.

بحلول الأول من يونيو/حزيران، انتشرت أعمال الشغب خارج مينيابوليس. ففي نيويورك، ألقى المتظاهرون الحجارة على ضباط الشرطة. وفي أتلانتا، قام مئات الأشخاص بتخريب المباني والشركات. وفي إنديانابوليس، قُتل شخصان بالرصاص. وفي واشنطن العاصمة، تجمع المتظاهرون أمام البيت الأبيض وهتفوا بالشتائم ضد الرئيس، وأحرقوا الأعلام الأمريكية، واخترقوا الحواجز، وألقوا الحجارة على ضباط الخدمة السرية، وأشعلوا الألعاب النارية، وأشعلوا حريقًا في كنيسة سانت جونز، وهي كنيسة تاريخية تقع عبر ساحة لافاييت من البيت الأبيض، زارها كل رئيس منذ جيمس ماديسون. وأصيب أكثر من ستين ضابطًا من الخدمة السرية بإصابات متعددة أثناء دفاعهم عن البيت الأبيض. وما بدأ بدعوة إلى العدالة ردًا على وفاة جورج فلويد تحول إلى ذريعة للعنف والسرقة والفوضى.

لقد حان الوقت للرئيس ليخاطب الأمة ويؤكد للأمريكيين أن قائدهم الأعلى ملتزم باستعادة الأمن والسلام في مجتمعاتهم. قال ترامب في حديقة الورود مساء الأول من يونيو: "أيها الأمريكيون، إن واجبي الأول والأسمى كرئيس هو الدفاع عن بلدنا العظيم والشعب الأمريكي". "لقد شعر جميع الأمريكيين بالاشمئزاز والثورة بحق بسبب الموت الوحشي لجورج فلويد. إن إدارتي ملتزمة تمامًا بتحقيق العدالة لجورج وعائلته. لن يموت عبثًا، لكن لا يمكننا السماح لصرخات الحق والمحتجين السلميين أن تغرق في حشد غاضب. إن أكبر ضحايا أعمال الشغب هم المواطنون المحبون للسلام في أفقر مجتمعاتنا. وكما قال ترامب في حديقة الورود مساء الأول من يونيو، "إن واجبي الأول والأسمى كرئيس هو الدفاع عن بلدنا العظيم والشعب الأمريكي". "لقد شعر جميع الأمريكيين بالاشمئزاز والثورة بحق بسبب الموت الوحشي لجورج فلويد. إن إدارتي ملتزمة تمامًا بأن العدالة ستتحقق لجورج



وعائلته. لن يموت عبثًا، لكن لا يمكننا السماح لصرخات الحق والمحتجين السلميين أن تغرقهم حشود غاضبة. إن أكبر ضحايا أعمال الشغب هم المواطنون المحبون للسلام في أفقر مجتمعاتنا. وكما قال ترامب في حديقة الورود مساء الأول من يونيو، "إنهم يتصرفون وفقًا لمبادئهم، وي ...

سيدي الرئيس، سأقاتل من أجل الحفاظ على سلامتهم. سأقاتل من أجل حمايتك. أنا "رئيسكم للقانون والنظام، وحليف لجميع المتظاهرين السلميين."

وحث ترامب حكام الولايات بشدة على نشر الحرس الوطني. وقال إنه إذا رفضوا القيام بذلك واستمر العنف، فسوف يستخدم الجيش لاستعادة النظام.

وقال "إنني أتخذ هذه الإجراءات اليوم بعزم راسخ وبحب حقيقي وعاطفي لبلدنا. إن أعظم أيامنا تنتظرنا بلا أدنى شك".

"الآن سأقدم احتراماتي لمكان خاص جدًا جدًا."

كان ترامب يشير إلى كنيسة القديس يوحنا، مكان العبادة التاريخي الذي أضرمت فيه النيران في الليلة السابقة. وبعد دقائق، عندما سار ترامب عبر ساحة لافاييت الفارغة، والتي أخلتها شرطة المتنزهات الأمريكية، فوجئ بوجود الكنيسة مغلقة بألواح خشبية. كان يخطط للدخول إلى الداخل والصلاة، لذلك ارتجل برفع كتابه المقدس أمام الكنيسة. زعمت الصحافة أن الرئيس أفرغ الساحة خصيصًا لزيارته. لكن لم يكن الأمر كذلك - فقد أخلتها شرطة المتنزهات كجزء من خطة سابقة لإنشاء محيط أكثر أمانًا حول البيت الأبيض. بعد عام، في عهد إدارة بايدن، أصدر المفتش العام لوزارة الداخلية تقريرًا رسميًا جاء فيه ما يلي: "لم تدعم الأدلة التي حصلنا عليها استنتاجًا مفاده أن [شرطة المتنزهات] أخلوا الحديقة للسماح للرئيس بمسح الأضرار والسير إلى كنيسة القديس يوحنا. وبدلاً من ذلك، أظهرت الأدلة التي راجعناها أن [شرطة الحديقة] أخلت الحديقة للسماح للمقاول بتثبيت السياج المضاد للتكلس بأمان ردًا على تدمير الممتلكات وإصابة الضباط في 30 و31 مايو/أيار".

في إظهار لدعم المحتجين، طالب الديمقراطيون في الكونجرس بسحب التمويل عن الشرطة. وكان البيت الأبيض بحاجة إلى الرد ببديل بناء. لعدة أسابيع، كنت أعمل خلف الكواليس مع المدافعة عن إصلاح العدالة الجنائية جيسيكا جاكسون وغيرها من المدافعين عن إصلاح الشرطة للاستماع إلى مخاوفهم، ومعرفة ما إذا كان بوسعنا إيجاد أرضية مشتركة مع سلطات إنفاذ القانون لمنع الظلم الفادح في المستقبل.

في الرابع من يونيو/حزيران، عقدت اجتماعاً في غرفة روزفلت مع المدعي العام بيل بار، وجارون سميث، وجيسيكا جاكسون، وزعماء جميع جمعيات الشرطة الرئيسية. وحول طاولة المؤتمر المليئة بقادة إنفاذ القانون، طرح جاكسون مفهومين:

كانت الإصلاحات التي اقترحها دعاة إصلاح الشرطة مهمة للغاية: إصدار تفويض وطني جديد يلزم ضباط الشرطة بعدم استخدام القوة إلا كملاذ أخير، وإلغاء الحصانة المؤهلة، وهي حماية قانونية لضباط الشرطة تمنعهم من تحمل المسؤولية الشخصية عن الأفعال التي يقومون بها أثناء أداء واجبهم، ما لم تكن تنتهك بوضوح سابقة قضائية أو قانون. لقد أدركت جماعات الشرطة مدى إلحاح الإصلاح، لكنها رفضت على الفور فكرة إلغاء الحصانة المؤهلة لأنها من شأنها أن تعرض الضباط لخطر المقاضاة لمجرد قيامهم بوظائفهم.

"ما هي المشكلة التي نسعى إلى حلها؟" سألت ليز لومباردو، زميلة البيت الأبيض من المكتب القانوني لشرطة نيويورك، والتي اقترح كريس ليديل الانضمام إلى المجموعة. "هناك سؤال نطرحه دائمًا في شرطة نيويورك: هل ستمنع هذه القاعدة الجديدة الضابط من الخروج من السيارة؟ لا يوجد قانون يجبر ضابط الشرطة على الخروج من السيارة عندما يرى جريمة تحدث. إنهم يفعلون ذلك من منطلق حب غير أناني لمجتمعاتهم. يتطلب الأمر شجاعة لا تصدق. إذا خلقنا ارتباكًا بشأن المعايير، مع إلغاء الحماية القانونية لهم، فلن يخرج الضباط من السيارة، وستكون مجتمعاتنا أقل أمانًا".

لقد أوضح لومباردو وجيرون سميث أن عمليات قتل جورج فلويد، وبريونا تايلور، وأحمد أربيري، وفيلاندو كاستيل، وآخرين كانت جميعها تشترك في شيء واحد. كان الضباط الذين قتلوهم من أقسام الشرطة التي تتبنى سياسات استخدام القوة القديمة وغير المعتمدة.55 كانت هذه الوكالات تفشل في إعداد ضباطها لاتخاذ قرارات في جزء من الثانية تتعلق بالقوة المميتة. جادل سكرتير الموظفين ديريك ليونز ونائب المستشار بات فيلبين أنه بدلاً من فرض معيار فيدرالي، كما اقترح بعض دعاة الإصلاح، يمكننا خلق حوافز للإدارات لطلب الاعتماد طواعية، ويمكننا ضمان أن معايير الاعتماد تحظر صراحة استخدام وضعية الخنق - تكتيك الشرطة الذي قتل جورج فلويد. بدا الجميع منفتحين على الفكرة، بما في ذلك ممثلو مجموعات الشرطة. أصبحت مقتنعًا بإمكانية التوصل إلى اتفاق وأننا نستطيع بناء إجماع على إصلاحات ذات مغزى.

لقد ناقشت أنا وجارون سميث أفكارنا مع السيناتور تيم سكوت، وهو جمهوري من ولاية كارولينا الجنوبية، والذي قدم مؤخرًا مشروع قانون إصلاحي خاص به. وقمنا بصياغة أمر تنفيذي لمراجعته من قبل الرئيس. وبحلول الأسبوع الثاني من شهر يونيو، وبعد العمل بشكل وثيق مع سلطات إنفاذ القانون،

لقد كان من بين هؤلاء الذين دافعوا عن إصلاح الشرطة، وكان لدينا وثيقة جاهزة لتوقيع الرئيس، مدعومة من قبل كل من أجهزة إنفاذ القانون وضحايا وحشية الشرطة. وافق سكوت على صياغة مشروع قانون من شأنه أن يوسع نطاق هذه الإصلاحات ويحولها إلى قانون. في السادس عشر من يونيو، دخل الرئيس إلى غرفة الطعام الرسمية في البيت الأبيض، حيث جلس ضباط الشرطة بجوار الأسر التي فقدت أحد أحبائها بسبب سوء سلوك الشرطة. لقد عملت مع جاكسون، وديزيري بيريز من روك نيشن، ومحام يدعى لي ميريت لدعوة الأسر. في اجتماع مغلق للصحافة، طلب الرئيس من كل أسرة أن تحكي قصتها. تحدث الآباء والأمهات من أصل أفريقي عن معاناة أبنائهم وبناتهم على أيدي الشرطة. أعرب الضباط في الغرفة عن حزنهم لما فعله عدد قليل من رجال الشرطة السيئين لإيذاء أحبائهم. وضع أحد رجال الشرطة ذراعه حول أم اختنقت وهي تحكي قصة كيف قُتل ابنها ظلماً على يد ضابط شرطة. لقد تمنيت لو أن الأمة كانت قادرة على أن تشهد الحوار الصادق بين الأسر والضباط، والتعاطف العميق الذي أظهره الضباط تجاه الأسر. لقد كانت لحظة قوية من الشفاء والوحدة لن أنساها أبدًا. خلال الاجتماع، الذي استمر لأكثر من ساعة، استمع الرئيس باهتمام وعامل كل أسرة بتعاطف وتفهم. سجل بار ملاحظات دقيقة ووعد بمتابعة كل أسرة بشأن قضيتها. بعد المائدة المستديرة الخاصة، كرم ترامب الأسر والضباط في حديقة الورود وتعهد "بالنضال من أجل العدالة لجميع شعبنا". أعلن أنه سيوقع على أمر تنفيذي يشجع أقسام الشرطة على تبني "أعلى المعايير المهنية". سيوفر الأمر التمويل لأقسام الشرطة التي حصلت على الاعتماد لسياساتها التدريبية، وألغت وضعية الخنق، وشاركت المعلومات حول سوء سلوك الشرطة، وعالجت الأمراض العقلية والإدمان. قال بات يوز رئيس النظام الأخوي للشرطة: "إنه يحقق توازنًا كبيرًا بين الحاجة الحيوية لسلامة الجمهور والضباط، والحاجة الحيوية بنفس القدر لإصلاح الشرطة الدائم والهادف والقابل للتنفيذ". حتى لوري روبنسون، التي شاركت في رئاسة فريق عمل أوباما المعني بالشرطة، أشادت بإصلاحاتنا. وقالت: "أحد الأشياء التي كنا نأملها هي القيادة الرئاسية، ولهذا السبب قد يكون تدخله في هذه القضايا مفيدًا حقًا". على الرغم من أن ترامب اتخذ إجراءات جريئة لجعل نظام العدالة الأمريكي أكثر عدالة لجميع المواطنين، إلا أن خطابه لم يتردد صداه لدى بعض الأمريكيين. عندما سُئل عن لغة ترامب القاسية،

لقد قدم السيناتور تيم سكوت أفضل تفسير: "لم تكن لغة الحب لدى الرئيس كلمات تشجيعية أبدًا. أحب أن أفكر في لغة حبه كأعمال خدمة. وهذا أحد الأسباب التي تجعلني أركز على المواقف السياسية التي نتخذها والتي تنتج نوع التغيير الذي سيكون ضروريًا لطبقة متوسطة أكثر صحة وقوة في المجتمع الأمريكي الأفريقي". في حين كانت هذه واحدة من أكثر فترات خدمتي تحديًا، حاولت أن أظل مركزًا على إيجاد حل بناء يجمع البلاد معًا. بحلول ديسمبر 2021، تبنت مئات وكالات إنفاذ القانون الإصلاحات التي روج لها الأمر التنفيذي. على النقيض من ذلك، تبنت ثمانية عشر إدارة شرطة فقط الإصلاحات التي اقترحها فريق العمل المعني بالشرطة الذي شكله أوباما ردًا على أعمال الشغب في فيرجسون في عام 2014. كان إجراء ترامب هو الخطوة الأكثر أهمية التي اتخذتها الحكومة الفيدرالية في الذاكرة الحديثة لتحسين عمل الشرطة في أمريكا. حتى في بلد منقسم بشدة، هناك دائمًا فرص لبناء الجسور. تسببت ثلاثة أشهر من الأخبار السلبية المستمرة التي ركزت على جائحة كوفيد 19 والاضطرابات المدنية في انخفاض أرقام استطلاعات الرأي لترامب بشكل حاد. في الوقت نفسه، واجهت حملة إعادة انتخاب الرئيس صعوبة في تكييف جهود جمع التبرعات مع الوباء، الأمر الذي يتطلب استضافة فعاليات افتراضية. ولم تعقد اللجنة الوطنية الجمهورية والحملة أي فعالية لجمع التبرعات الرئاسية من مارس/آذار إلى معظم يونيو/حزيران، ورغم أنهما لا يزالان يمتلكان أكثر من 150 مليون دولار في البنك، إلا أنهما فشلا في تحقيق أهدافنا المالية خلال تلك الفترة.

بحلول شهر يوليو/تموز، أراد ترامب إجراء تغيير في قيادة حملته.

لقد أثبت نائب مدير الحملة بيل ستيبين أنه لاعب ذكي وقادر في الفريق، سواء في حملة عام 2016 أو أثناء فترة إدارته لفريق الشؤون السياسية في البيت الأبيض. في ستيبين، سيكتسب الرئيس مدير حملة ذكيًا ومنخفض المستوى يتمتع بخبرة عقد من الزمان في إدارة حملات رفيعة المستوى. طلب مني ترامب التحدث مع مدير الحملة براد بارسكال، الذي وافق على البقاء وإدارة العمليات الرقمية والتسويقية. سمح الهيكل الجديد للحملة ببناء الزخم، وجمعت ما يقرب من 250 مليون دولار في الربع الثالث وحده. مع انخفاض كبير ومع وجود الكثير من الاتجاهات الكلية التي تعمل ضدنا، كنا بحاجة إلى عودة قوية، ومع ستيبين على رأس القيادة، بدأت الحملة في العمل بطاقة متجددة ووحدة.

{51}

الضغط على الانتحار

في الرابع والعشرين من يونيو/حزيران 2020، تحدثت إلى الحاكم الفعلي لدولة الإمارات العربية المتحدة، ولي العهد محمد بن زايد. وبدا الأمر وكأن خمس سنوات مرت منذ تحدثنا، لكن لم يمض سوى خمسة أشهر فقط. لقد حدث الكثير.

لقد حذرني محمد بن زايد من أن ضم إسرائيل لمناطق من الضفة الغربية من شأنه أن يعكس التقدم الذي أحرزناه في تقريب إسرائيل من جيرانها. ولم يكن هذا تهديدًا بل تحذيرًا، حيث كان محمد بن زايد متفائلًا بشأن تقدمنا. وقال: "أنت تعرف ما يجب عليك فعله. سنظل أصدقاءك على أي حال. أنا أكثر اقتناعًا بأن السلام إذا كان سيحدث، فسيكون من خلالك".

لقد كان تأييدًا رائعًا ومتواضعًا، لكن الأفضل كان حتى الآنقادم.

وأضاف ولي العهد: "نحن مستعدون للقفز. نريد أن تكون لنا علاقة مع إسرائيل. أريد أن أرى هذه العلاقة تبدأ في وقتك ووقتي".

كان قلقي المباشر هو أننا على وشك أن نخيب آماله. فقبل بضعة أسابيع، أرسل لي السفير ديفيد فريدمان عبر البريد الإلكتروني الخريطة التي اقترحتها إسرائيل لتسوية النزاعات الإقليمية في القدس والضفة الغربية. وكانت هذه الخريطة نتاج أربعة أشهر من العمل المضني الذي قامت به لجنة رسم الخرائط التي شكلناها في فبراير/شباط لرسم الخرائط شارعاً بشارع وحياً بحي، والتي تصورها خطة السلام التي اقترحها الرئيس. وكان إقناع إسرائيل بالموافقة على الخريطة خطوة حاسمة في عملية السلام. وعندما التقيت لأول مرة بالرئيس عباس وجهاً لوجه، كان ردي عليه:

في يونيو/حزيران 2017، أكد لي الزعيم الفلسطيني أنه إذا تمكنت من الحصول على خريطة لإسرائيل، "سنكون مرنين وكل شيء آخر سيكون سهلاً".لكن الخريطة كشفت عن مشكلة: كنا نكافح من أجل إقناع بيبي، وهو مفاوض ماهر، بالموافقة على تسوية من شأنها أن تحقق تحسينات ملموسة في حياة الفلسطينيين.

بدأ فريدمان في الاتصال بي بشكل متكرر، طالبًا إشارة الرئيس.لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أتحدث فيها إلى السفير الإسرائيلي في واشنطن. فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أتحدث فيها إلى السفير الإسرائيلي في واشنطن. لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أتحدث فيها إلى السفير الإسرائيلي في واشنطن. لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أتحدث فيه ... فيها إلى السفير الإسرائيلي في واشنطن. لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أتحدث فيها إلى السفير الإسرائيلي في واشنطن. لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أتحدث فيها إلى السفير الإسرائيلي في واشنطن. لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أتحدث فيها إلى السفير الإسرائيلي في واشنطن. لقد كانت هذه هي المرة الأولى التي أتحدث فيها إلى السفير الإسرائيلي في واشنطن

لقد أخبرت فريدمان أنني لن أعرض قضية الضم على الرئيس ما لم يكن لدينا اقتراح عادل يعزز خطتنا للسلام. بعد عدة أيام، في 11 يونيو، اتصل يوسف العتيبة بأفي. قال السفير الإماراتي البراجماتي

الذي حضر إطلاق خطتنا للسلام إنه يخطط لنشر مقال رأي في اليوم التالي بناءً على محادثة مع المحسن اليهودي الشهير حاييم سابان. ظهر المقال، الذي كتبه يوسف باللغة العبرية، في صحيفة يديعوت أحرونوت، وهي صحيفة إسرائيلية بارزة. كتب يوسف: "إن الخطط الإسرائيلية للضم والحديث عن التطبيع تناقض". "إن الضم عمل أحادي الجانب ومتعمد، وهو استيلاء غير قانوني على الأراضي الفلسطينية. إنه يتحدى العرف العربي - بل والدولي - "الإجماع حول حق الفلسطينيين في تقرير المصير."

كانت هذه مسرحية جريئة. كان يوسف يرسل تحذيرًا عامًا إلى إسرائيل: إذا مضى بيبي قدمًا في الضم، فسوف يقتل إمكانية التطبيع مع الإمارات العربية المتحدة ودول عربية أخرى.

كما أدى ذلك إلى تعقيد مفاوضات رسم الخرائط مع الإسرائيليين. كنت آمل أن يؤدي التوصل إلى حل بشأن قضية الضم إلى تحريك عملية السلام إلى ما هو أبعد من نقطة الالتباس المستحيلة ويقربنا من التوصل إلى اتفاق. إن التسوية التي تصورتها من شأنها أن تخلق إطارًا لحل النزاع على الأراضي بين إسرائيل والفلسطينيين، وسوف تساعد في حل النزاع على الأرض.

تجميد التوسع الاستيطاني خارج الحدود المحددة سلفا. ولكنلقد أجبرتني مكالمة محمد بن زايد ومقال يوسف على إعادة التفكير فيما إذا كان التوصل إلى اختراق في التطبيع بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة يجب أن يكون أولوية أعلى وأكثر إلحاحًا من سعينا الدؤوب للتوصل إلى اتفاق سلام إسرائيلي فلسطيني. ما لم يكن الإماراتيون يخدعون، فإن الضم من شأنه أن يعكس التقدم الذي أحرزناه بشكل مطرد نحو التطبيع.

لم أكن أعتقد أنهم يخدعون، لكن كان من الصعب أن أتخيل أن التطبيع سيتحقق بالفعل. فقد اتخذت دولتان عربيتان فقط خطوة تطبيع العلاقات مع إسرائيل: الأردن في عام 1994 ومصر في عام 1978 كجزء من اتفاقيات كامب ديفيد. وكلما تحدثت مع زملائي والمقربين عن إمكانية تطبيع دول عربية أخرى مع إسرائيل، كانوا يعتقدون أن المفهوم مستحيل دون حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني أولاً. لقد افترضوا أن هذا لن يحدث أبدًا، وأن العرب لن يتابعوا الأمر أبدًا. بينما كنت أستعد لاجتماعنا مع الرئيس، توقف فريدمان عند مكتبي لمقارنة الملاحظات. كان الخياران - الضم أو التطبيع - ثقيلين في ذهني أثناء حديثنا. لقد استثمر فريقي أكثر من ثلاث سنوات في خطتنا للسلام، وكنا على وشك الدخول في مرحلة جديدة حاسمة. لكن هل كان الأمر يستحق التنحي جانباً؟

فرصة ضئيلة للتطبيع؟

وبينما كنا نجلس في المكتب البيضاوي، بدأ فريدمان بتقديم آخر المستجدات بشأن جهود رسم الخرائط وسأل الرئيس عما إذا كان مستعدًا لدعم ضم إسرائيل لمناطق في الضفة الغربية. قاطعه ترامب: "لقد فعلت الكثير بالفعل من أجل إسرائيل والكثير من أجل بيبي"، قال. "تريد دول أخرى أشياء أيضًا، لكن يبدو أننا لا نساعد إلا إسرائيل".

لقد جال ترامب حول الغرفة وطلب من كل منا أن يدلي برأيه بشأن الضم. فقلت له إنني أعتقد أننا نستطيع أن نفعل ذلك بطريقة تقلل من ردود الفعل العنيفة من العالم العربي، ولكن يتعين علينا أن نضمن أن يقدم الإسرائيليون تنازلات لتحسين حياة الشعب الفلسطيني بشكل ملموس.

وبحلول نهاية الاجتماع، كان ترامب مترددا. وقال: "دعونا نكون محايدين".قال. "مايك، افعل ما تعتقد أنه الأفضل."

كانت هذه طريقته في إخبار بومبيو وبقية الناس بأننا قادرون على المضي قدمًا، ولكن إذا حدث أي خطأ، فسوف يحملنا المسؤولية.

وعندما غادرنا المكتب البيضاوي، كان فريدمان، المحامي المخضرم الذي يتميز عادة بالثقة، يتصبب عرقا.

"جاريد، لقد كان الأمر قريبًا"، قال. "لا أعرف كيف تفعل هذا كل يوم"لقد قضيت يومًا في مناقشة العديد من المواضيع. لقد كان الأمر صعبًا حقًا! أنت تستحق جائزة على كل ما فعلته."

"قلت له: "لا أحتاج إلى جائزة، أريد فقط إحراز تقدم". قال: "كانت النتيجة 51 مقابل 49 في مجلس الشيوخ". "لا، كانت النتيجة 550 مع إعطاء بومبيو صوته الحاسم".

أطلق النار مرة أخرى.

كان بومبيو أكثر اعتيادًا على هذه المناقشات السياسية أمام ترامب. كان سعيدًا بالنتيجة ومستعدًا للمضي قدمًا، وبمجرد أن زال صدمة فريدمان، لم يكن السفير بحاجة إلى أي إقناع للمضي قدمًا أيضًا. وعلى الرغم من اضطرابي الداخلي بشأن العواقب المترتبة على التطبيع، فقد تم اتخاذ القرار. كنا نمضي قدمًا في الضم، وكان فريق الرئيس مستعدًا للتنفيذ.

في الخامس والعشرين من يونيو/حزيران طار آفي وفريدمان إلى إسرائيل للقاء نتنياهو. كنت قد أرسلت آفي بهدف واحد: الانتهاء من اتفاقية رسم الخرائط التي من شأنها أن تعزز هدفنا الطويل الأجل المتمثل في السلام بين إسرائيل والفلسطينيين. وكان اقتراحنا عادلاً للغاية. حيث لن يضم الإسرائيليون سوى تلك المناطق التي توجد فيها المستوطنات الإسرائيلية حالياً. وفي المقابل، سوف يمنحون الفلسطينيين السيطرة المدنية على بعض الأحياء التي يعيش فيها الفلسطينيون في الضفة الغربية. ورغم أن هذا كان إجراءً صريحاً، إلا أننا كنا نعتقد أنه من شأنه أن يعزز نتيجة حتمية. ولم نكن لنتصور سيناريو سلمياً يتم فيه اقتلاع الإسرائيليين أو الفلسطينيين الذين يعيشون حالياً في هذه المناطق ونقلهم إلى مكان آخر. وكان اقتراحنا يعترف بهذا الواقع. وسوف يسمح لنتنياهو بالإعلان عن فوزه وإعلان السيادة الإسرائيلية على الأراضي المتنازع عليها، ولكنني كنت آمل أن يُظهِر للعرب أيضاً أننا نمتلك خطة لكسر الجمود الذي ساد في الماضي والتوصل في نهاية المطاف إلى حل يتضمن دولة فلسطينية مستقلة. كما كنت آمل أن يتمكن الإسرائيليون من تحقيق هدفهم.

إن الإماراتيين سوف يقدرون التقدم الذي أحرزناه، وسوف يبادرون إلى التغيير.من القلب، والحفاظ على عرض التطبيع الخاص بهم في اللعب.

في الساعة 9:30 مساءً من يوم السبت 27 يونيو، التقى فريدمان وأفي معلقد رفض رئيس الوزراء اقتراحنا بسرعة، لأنه لم يكن على استعداد لتقديم التنازلات التي اقترحناها.

وحذر فريدمان قائلا: "إنك متمسك بخيط رفيع مع ترامب".

كان بيبي يعلم أن فريدمان من الصقور المؤيدين لإسرائيل، لذا فإن كلماته هزتكان هذا مثالاً على أسلوب الإدارة الفعّال الذي يتبناه ترامب. لقد أوضح تردده في المضي قدمًا لفريدمان أنه يجب عليه التفاوض من موقف قوة ولا ينبغي له الموافقة على صفقة تفشل في تعزيز الأهداف العامة لأمريكا في المنطقة. لقد تردد صدى رسالتنا: بيبي لم يحصل على الضم مجانًا. تحتاج إسرائيل إلى تقديم شيء في المقابل.

في تلك اللحظة، اعتذر فريدمان عن مغادرة الغرفة للحصول على وثيقة للجزء التالي من مناقشتهما، تاركًا آفي وحده مع بيبي، الذي كان أكبر منه بأربعة عقود.

"حسنًا، ربما يتعين علينا أن نفعل ما يتعين علينا فعله"، قالت بيبي بصوت مستتر.اقتراح بأن إسرائيل مستعدة للمضي قدمًا في الضم دون دعم الولايات المتحدة.

ولكن آفي تمسك بموقفه قائلا: "قد ينجح هذا مع رئيس أميركي مختلف. ولكن مع الرئيس ترامب، لن تصل إلى أي مكان. سوف يعود بقوة. وربما يغرّد بأنه لا يدعم خطتك للضم".

كان ترامب هو السياسي الأميركي الأكثر شعبية في إسرائيل، لذا كانت تداعيات كلمات آفي واضحة. بالإضافة إلى ذلك، كان نتنياهو يخاطر بإدانة شبه إجماعية في الأمم المتحدة بسبب ضم الأراضي. وإذا مضى قدماً من جانب واحد، فلن يكون هناك ما يضمن أن إدارتنا ستمنع العقوبات الدولية ضد إسرائيل التي قد تلي ذلك.

وبعد ثلاثة أيام من الاجتماعات، فشل فريقنا في التوصل إلى اتفاق يتضمن تنازلات إسرائيلية كافية. ولم يكن بوسعي أن أوصي الرئيس بتأييد الحزمة الحالية بحسن نية. وشعرت وكأننا وصلنا إلى طريق مسدود.

عاد ذهني إلى محادثتي مع محمد بن زايد في الأسبوع السابق.

منذ المكالمة، كان فريقي يعمل على طرح اقتراح الضم و

ولم يتطرق بن زايد إلى عرض التطبيع المحتمل مع الإسرائيليين. "ربما يكون الآن هو الوقت المناسب لطرح مسار التطبيع".

قلت لأفي: "لماذا لا ترى ما إذا كان بيبي سيسعى إلى تحقيق ذلك في مقابل إسقاطالضم؟"

وفي صباح اليوم التالي، في 30 يونيو/حزيران، أخبر آفي رئيس الوزراء عن مكالمتي مع محمد بن زايد وسأله عما إذا كان سيلغي خططه للضم إذاوقد نحصل على التطبيع الكامل مع الإمارات.

"كما قلت لجاريد العام الماضي، لا أعتقد أن هذا حقيقي"، قالت بيبي. "ولكن إذا أخبرتني الآن أنه حقيقي حقًا ويمكنك تقديمه، فهذا أمر جذاب للغاية".

اتصل يوسف بأفي فور وصوله إلى واشنطن في اليوم التالي، الأول من يوليو/تموز. وبينما كانا يناقشان الإعلان الإسرائيلي الوشيك، طرح يوسف فكرة دخول الإمارات في اتفاقية عدم عداء مع إسرائيل مقابل التخلي عن الضم. وأخبر أفي يوسف أنه يقدر العرض، لكنه قال إنه لا يعتقد أن هذا سيكون كافيا. وبعد مزيد من المناقشة، اتفقا على طرح الاقتراح التالي على فريقيهما للنظر فيه: ستطبع الإمارات العربية المتحدة العلاقات بشكل كامل مع إسرائيل إذا تخلى بيبي عن مساعيه للضم. وحتى هذه المكالمة الهاتفية، قال الإماراتيون فقط إنه إذا مضى بيبي قدما في الضم، فسوف يدمر أي فرصة للتطبيع. لكنهم لم يعرضوا على وجه التحديد المضي قدما في التطبيع مقابل تعليق إسرائيل للضم. وفي حين ألمح محمد بن زايد إلى هذا خلال مكالمتنا في يونيو/حزيران، كان هذا أول عرض مباشر بشروط قابلة للتحقيق. وفي منتصف ليل ذلك اليوم نفسه، مر الموعد النهائي الذي فرضه بيبي على نفسه للضم دون وقوع حوادث. وامتنع عن الإدلاء بالإعلان المتفجر. وكان التطبيع لا يزال قائما.

في الساعة الخامسة مساءً يوم 2 يوليو، جاء يوسف إلى مكتبي ووصف دولة الإمارات العربية المتحدةوقال إن العرض الذي تم فحصه الآن مع القيادة الإماراتية، سيسمح لدولة الإمارات بالتطبيع الكامل إذا علقت إسرائيل خطط الضم.

لقد أصبح الأمر خطيرًا. في الخامس من يوليو، قدم يوسف تطبيعًالقد عرضنا على نتنياهو عرضا مكتوبا. وقد شاركنا أجزاء منه مع نتنياهو. وقد أبدى رئيس الوزراء اهتمامه بالعرض، وقال إنه على استعداد للمضي قدما ومتابعة العرض. لقد بدأ يدرك أهمية الفرصة التي أمامه.

ولابد أنه كان يعلم أيضاً أن الضم يشكل خطورة بالغة من دون الدعم الأميركي.

كنا على وشك تحقيق اختراق. في أقل من أربع وعشرين ساعةولكن في وقت لاحق، سارع آفي إلى مكتبي حاملاً رسالة من السفير الإسرائيلي رون ديرمر: "بيبي لن يعقد صفقة مع الإمارات العربية المتحدة فقط". وقال آفي: "لن يتخلى عن الضم إلا إذا تمكنا من إقناع ثلاث دول بالتطبيع".

لم أستطع أن أصدق ذلك.

"أرجو أن تذكره إذا تمكنا من الحصول على هذه الصفقة، فسوف تغير الديناميكية العالمية بأكملها بالنسبة لإسرائيل ومن المرجح أن تؤدي إلى تطبيع دول أخرى"، قلت. "لا ألومه على طلبه، لكن سيكون من المستحيل إبقاء هذا الأمر سراً إذا حاولنا إشراك دول أخرى. وقد يؤدي تسريب غير مناسب إلى إشعال الاحتجاجات في جميع أنحاء المنطقة وإفشال العملية. كما أذكره بأنه لا يمكنه ضم الأراضي بدوننا".

وفي اليوم التالي، تلقينا رداً من ديرمر. وكان نتنياهو قد وافق على تأجيل الضم في الوقت الحالي، لكنه لم يحدد إلى متى.

كانت هذه بداية جيدة، لكننا ما زلنا بحاجة إلى موافقة بومبيو على العديد من البنود الحاسمة. في زيارة إلى وزارة الخارجية، أريته اقتراح التطبيع الذي قدمته الإمارات العربية المتحدة. كان بومبيو داعمًا باستمرار للجهود المبذولة، ولكن جزئيًا لإدارة توقعاتي، حدد بعض العقبات التي ما زلنا نواجهها لإبرام صفقة بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة.

وقال بومبيو "إذا حدث هذا، فسوف يغير قواعد اللعبة. وفي تجربتي، فإن الإماراتيين أشخاص جادون ولا يضيعون الوقت. هذا هدف ذو تأثير كبير ولكن احتمالية تحقيقه منخفضة... ولكن حدثت أشياء أكثر جنونًا".

وعلى مدى الأيام القليلة التالية، عملت أنا وفريقي على مدار الساعة لصياغة تفاصيل صفقة تكون مقبولة على الرئيس والإسرائيليين والإماراتيين. ولم يتحدث الإسرائيليون والإماراتيون مع بعضهم البعض بشكل مباشر في أي وقت من هذه المناقشات. وبدلاً من ذلك، عملت أنا وأفي كمحاورين.

في مرحلة ما، اقترحت على يوسف أنه لتسريع العملية، يجب أن نجمع الجانبين معًا لإجراء محادثات مباشرة. هز السفير الإماراتي رأسه وقال: "أفضل كثيرًا أن أعمل من خلالك ومن خلال آفي".

قبل بضعة أسابيع، اتصل ديرمر بيوسف ليشكو من أن مقاله في الصحيفة الإسرائيلية تناقض بشكل غير مفيد مع تنبؤ بيبي العلني بأن الضم لن يضر بعلاقات إسرائيل مع العرب. وعلى الرغم من هذا الذعر، كان مقال يوسف الجريء هو أفضل شيء ممكن بالنسبة للإسرائيليين. لقد كانت ضربة عبقرية دفعتنا خطوة واحدة إلى تغيير التاريخ في الشرق الأوسط. والآن أصبح الأمر متروكًا لنا لإتمام الصفقة حتى خط النهاية.

{52}

الدعوة التي غيرت العالم

على مدار شهر يوليو/تموز، استمرت محادثاتنا مع إسرائيل والإمارات العربية المتحدة في التقدم، لكننا كنا نعلم أن المفاوضات قد تنهار في أي وقت - وقد حدث ذلك بالفعل عدة مرات.

اجتمع فريقنا في البيت الأبيض مع الإماراتيين يوميًا لتسوية التفاصيل الدقيقة لاتفاق التطبيع. آفي واللواءلقد أشرف ميغيل كوريا على المفاوضات نيابة عن الوفد الأميركي، بدعم من مسؤولي مجلس الأمن القومي روب جرينواي، وسكوت ليث، ومارك فاندروف. وكان فريق مجلس الأمن القومي، الذي حظي بدعم كامل من روبرت أوبراين، قادراً على التحدث بالتفصيل الفني عن جوانب مختلفة من الاتفاق، والتنقل داخل البيروقراطية الفيدرالية لتحقيق النتائج.

بحلول نهاية شهر يوليو/تموز، توصلنا إلى اتفاق مبدئي مع إسرائيل والإمارات العربية المتحدة. وإدراكًا منا بأن العديد من المشاكل لا تزال قائمة، وضعنا خططًا للإعلان عن الاتفاق في الثالث عشر من أغسطس/آب. وفي إطار التحضير، احتجنا إلى صياغة بيان مشترك من الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل والولايات المتحدة يتضمن التفاصيل رفيعة المستوى للاتفاق. ولتجنب المكالمات الهاتفية التي يمكن مراقبتها، اعتمدنا على الزيارات الشخصية. وبدأ آفي يتنقل بين سفارة الإمارات العربية المتحدة والبيت الأبيض والسفارة الإسرائيلية لحل القضايا المفتوحة مع يوسف وديرمر، واستشارني بشأن أي نقاط خلاف. وقام الجنرال كوريا بواجب مزدوج مع اتصالاته الإماراتية لطمأنتهم إلى أن جميع القضايا المفتوحة سوف يتم حلها.

لقد أنتجت عشرة أيام من الدبلوماسية المكوكية على مدار الساعة أكثر منلقد تم التوصل إلى مائة نسخة من الوثيقة. وفي مناسبات عديدة، كادت المفاوضات أن تتوقف. ولأن الطرفين أدركا حجم الاتفاق، فقد تعاملا مع كل كلمة باعتبارها مسألة حياة أو موت.

بحلول السابع من أغسطس/آب، كانت محادثات التطبيع على وشك الانهيار. وقد قدم لي آفي أحدث مسودة يعتقد أنها أفضل حل وسط ممكن. ومع ذلك، ظلت المشاكل قائمة. وكانت إحدى القضايا العالقة هي أن بيبي سيقول فقط إنه وافق على "تأجيل" الضم بدلاً من "تعليقه"، ووجد الإماراتيون أن هذا، فضلاً عن العديد من القضايا الأخرى، غير مقبول.

"في عالم الدبلوماسية، الكلمات مهمة"، قلت. "أخبر الجانبين أننا لسنا في عالم الدبلوماسية. نحن في عالم النتائج". راجعت المسودة، وأدخلت عليها بعض التعديلات، ثم سلمتها إلى آفي.

"هذا من شأنه أن يحل مشاكل الجميع"، قلت. "أخبرهم أن يضعوا أقلامهم جانباً وأن هذه هي النسخة النهائية الآن. المحل مغلق". في اليوم التالي، 8 أغسطس/آب، اتصل يوسف ليقول إن محمد بن زايد وافق على البيان المشترك وأنه مستعد للمضي قدماً في اتفاق سلام كامل. في نفس اليوم، اتصلت سفيرة المملكة المتحدة لدى الولايات المتحدة، كارين بيرس، لتحذر من أنه إذا اعترفت الولايات المتحدة بضم إسرائيل، فإن الحكومة البريطانية ستعترف بفلسطين كدولة ذات سيادة. لقد وجدت بيرس دبلوماسية مدروسة وموهوبة، وكنا في كثير من الأحيان صريحين معها بشأن إجراءاتنا الوشيكة في السياسة الخارجية. ولكن في هذه الحالة، لإبعادها عن مساراتنا، قدمت حجة لصالح الضم وشرحت لماذا سيكون من المنطقي المضي قدماً كما خططنا. وأكدت المكالمة أن حتى أقرب حلفائنا لم يكونوا على علم بأن اتفاقية السلام على وشك أن يتم التوصل إليها.

أعلن.

في 12 أغسطس، قبل يوم واحد من الإعلان المقرر، تم إبرام الصفقةلقد كاد أن يموت مرتين. أولاً، أشارت الإمارات العربية المتحدة إلى مشكلة فنية، والتي قالوا إنها كانت سبباً في إلغاء الصفقة. وبينما كنا نسعى جاهدين لحلها، جاء ديرمر إلى مكتبي ومعه مفاجأة غير سارة.

وقال "لدي بعض الأخبار السيئة: الصفقة ألغيت".

كان أحد المعارضين السياسيين المحليين قد قدم تشريعًا يمنع رئيس الوزراء فعليًا من تشكيل الحكومة، وأراد بيبي

وقال ديرمر "التوقيت غير مناسب. قد يدعو رئيس الوزراء إلى إجراء انتخابات غدًا".

لقد شعرت بأن كلا الجانبين يشعران بالتوتر إزاء كل ما قد يحدث، فحاولت التحلي بالصبر والثقة. فقلت: "هذا ليس خياراً. إن ما نقوم به أكبر من أي انتخابات. وأنا أعلم أن بيبي سيضع مصلحة إسرائيل فوق وضعه السياسي الشخصي. لقد قطعنا شوطاً طويلاً، ونحن قريبون جداً. إن هذه الصفقة ستتم. وسوف نعلن عنها غداً".

وفي ختام مناقشتنا، أعرب ديرمر عن إحباطه: "طوال هذه المفاوضات، لم نتحدث ولو مرة واحدة مع أي شخص من الإمارات العربية المتحدة - لا محمد بن زايد ولا السفير. لم نجري أي محادثات معهم على الإطلاق".

"لقد سألتهم إن كانوا يريدون التنسيق معك بشكل مباشر"، أوضحت، "ولكنهم أصروا على التعامل معك من خلالي أنا وأفي. أعلم أن مكالمتك مع يوسف بشأن مقال الرأي لم تسر على ما يرام. عندما يتم ذلك، سنجمع الجميع معًا، ولا شك لدي أنهم سيأتون ليروا كم ستكون مدافعًا وشريكًا مميزًا".

وبعد أن شعر بأنه لا سبيل لتغيير الخطة، وعد ديرمر بأنه سيتحدث مع رئيس الوزراء ويحثه على المضي قدماً في إعلان التطبيع في اليوم التالي. وأعرب عن حماسه لما هو قادم.

وفي وقت مبكر من ذلك المساء، أطلعت الرئيس على الاتفاق النهائي على افتراض أننا سنمنع الإمارات العربية المتحدة والإسرائيليين من الانسحاب في الساعات الأخيرة.

وقال "ستكون هذه مفاجأة كبيرة، كيف تعتقد أن الناس"سوف يستجيب لذلك؟"

"لقد قلت إن هذه الصفقة ضخمة، وسوف ترسل موجات من الصدمة في مختلف أنحاء العالم. لقد سمحتم لي بالقيام بذلك بطريقة غير تقليدية، ونحن على وشك تحقيق ما حلم به الدبلوماسيون لعقود من الزمن".

بحلول الساعة السابعة مساءً، أي قبل ستة عشر ساعة فقط من الإعلان المقرر، تمكنا من حل القضية العالقة مع الإماراتيين، وكان بيبي مستعدًافي تلك الليلة، تجولت أنا وإيفانكا مع كلبنا في الحي، وتحدثنا عن كل التقلبات والمنعطفات غير المتوقعة التي أدت إلى هذه اللحظة. ذهبت إلى الفراش وأنا أدعو الله أن يكون هناك

لم تعد هناك مشاكل وأتمنى ألا يتسرب شيء. وبينما كنت أغط في النوم، فكرت: غدًا، سوف يتغير العالم.

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، الثالث عشر من أغسطس/آب، اتصلت بأبي من السيارة ـ وهو ما كنت أفعله كل صباح أثناء فترة وجودي في الحكومة. وفي وقت لاحق، قال أحد عملاء جهاز الخدمة السرية إنه تأثر كثيراً بهذه المكالمات الصباحية إلى الحد الذي جعله يتبنى نفس العادة مع والده. فقلت لأبي: "انتظر الأخبار العاجلة الإيجابية في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحاً". كان هناك حد لما يمكنني قوله عن مساعيي في البيت الأبيض.

في مكتبي في الساعة الثامنة صباحاً، استجوبني فريقي بشأن بعض الأسئلة التي قد أطرحها على الصحافيين في مقابلاتي الصحافية المقبلة. ثم شرحنا لعدد من الصحافيين تفاصيل الإعلان الوشيك، تحت حظر النشر، حتى يتمكنوا من الاستعداد لنشر قصص دقيقة بمجرد إصدارنا للبيان المشترك الذي أعلن عن الاتفاق.

وبينما كان الرئيس يستعد لإجراء مكالمة هاتفية مع بيبي ومحمد بن زايد للإعلان عن الاتفاق، دخل الجنرال ميغيل كوريا مكتبي وقال: "ينبغي لنا أن نسميها اتفاقات إبراهيم".

حتى ذلك الحين، كنا منشغلين للغاية في تسوية التفاصيل لدرجة أننا لم نفكر في تسمية الاتفاق، لكن "اتفاقيات إبراهيم" بدت لي مثالية على الفور. فهي تذكر الجميع بالجذور الإبراهيمية الأصلية للأخوة التي وحدت الشعوب العربية والإسرائيلية.

في الساعة 10:15 صباحًا دخلت المكتب البيضاوي مع فريقنا بأكمله، بما في ذلك آفي، وديفيد فريدمان، وبريان هوك، والجنرال كوريا، وروبرت جرينواي، وسكوت ليث، ومارك فاندروف. كنت قد اتصلت بوزير الخزانة منوشين في الليلة السابقة ودعوته للحضور إلى البيت الأبيض. لم أخبره بالسبب، لكنني أكدت له أنه لن يرغب في تفويت الاجتماع. منذ حملة عام 2016، كان منوشين صديقًا وحليفًا قويًا. لقد دعمني في أيامي الأولى عندما كنت محبطًا، وكنا معًا في العديد من اللحظات الأكثر أهمية، من ليلة الانتخابات إلى رحلتنا إلى المنطقة منزوعة السلاح بين كوريا الشمالية والجنوبية. لقد حضر افتتاح السفارة في القدس وساعد في تنفيذ المؤتمر الاقتصادي في البحرين. كنت أعلم أنه سيرغب في الحضور.

وعندما أحس الناس بأن شيئاً كبيراً كان على وشك الحدوث، بدأ عدد متزايد من الناس يتوافدون إلى المكتب البيضاوي.

وأخيرا بدأت المكالمة، وكان ترامب على الخط مع محمد بن زايد وبيبي.

وقال الرئيس "هذا حدث تاريخي للغاية، إنه أمر لا يصدق".

وشكر بن زايد الرئيس على قيادته وأكد على أهمية الاتفاق في تعزيز السلام في المنطقة، ووصفه بأنه حدث تحويلي من شأنه أن يخلق طاقة جديدة للتغيير الإيجابي والنمو الاقتصادي والتفاهم الجديد بين الشعبين العربي والإسرائيلي.

وشكر بيبي بن زايد على شجاعته وترامب على قيادته، وقال إن هذه كانت "نقطة تحول للسلام" وأكبر تقدم منذ أكثر من ربع قرن.

عندما انتهت المكالمة، ساد الصمت بين الجميع في المكتب البيضاوي، وتوقفنا لاستيعاب خطورة ما سمعناه وشاهدناه للتو. وقف منوشين وصفق، ووقف الجميع على أقدامهم واحدًا تلو الآخر وصفقوا. كان الرئيس يشاهد بدهشة واستمتع بالتصفيق. ثم وقف هو أيضًا وانضم إلينا جميعًا في التصفيق. لقد توصلنا للتو إلى اتفاق سلام بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة - وهي صفقة لم يتوقعها أحد، أو حتى يعتقد أنها ممكنة.

وبعد لحظات، أرسل دان سكافينو تغريدة على تويتر.

"دان، إذا كنت موافقًا على ذلك،" سألت، "هل يمكن لأفي الضغط على زر الإرسال؟"

مد دان هاتف آيفون بفخر تجاه آفي، الذي توقف لثانية ثم ضغط على زر "التغريد" الأزرق: "تحدث الرئيس دونالد جيه ترامب، ورئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، والشيخ محمد بن زايد - ولي عهد أبو ظبي ونائب القائد الأعلى لدولة الإمارات العربية المتحدة - اليوم واتفقوا على كامل "تطبيع العلاقات بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة."

لقد كنا على الهواء مباشرة.

وقد تضمن البيان الكامل تفاصيل العناصر الرئيسية للاتفاق الرائد.56

لقد فاجأت هذه الأنباء العالم. ففي مدينة لا توجد فيها أسرار، لم يتساءل أي صحفي عن الاتفاق قبل الإعلان عنه - وهي الحقيقة التي اعتبرناها إنجازاً يستحق الثناء، وإن كان انتصارنا الحقيقي بطبيعة الحال هو الاتفاق نفسه.

افتتحت السكرتيرة الصحفية للبيت الأبيض كايلي ماكناني المؤتمر الصحفي الفرنسي

وبعد بضع ثوان، بدأ الصحفيون المذهولون في التنافس على المراكز الأولى أمام الرئيس.

"قبل لحظات قليلة، أجريت مكالمة خاصة جدًا مع صديقين،رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وولي العهد الإماراتي محمد بن زايد، حيث اتفقا على إبرام اتفاق سلام تاريخي. قال الجميع إن هذا سيكون مستحيلاً... بعد تسعة وأربعين عامًا، ستُطبِّع إسرائيل والإمارات العربية المتحدة علاقاتهما الدبلوماسية بشكل كامل... وسيُعرف ذلك باسم اتفاق إبراهيم".

وأضاف ترامب بروح الدعابة المميزة التي يتسم بها: "أردت أن يكون الأمر كذلك"."أطلقوا على الاتفاق اسم اتفاق دونالد جيه ترامب، ولكنني لم أكن أعتقد أن الصحافة سوف تفهم ذلك".

انفجرت القاعة بأكملها بالضحك. بعد خروج وسائل الإعلام من البيضاويفي المكتب، كان المزاج في الغرفة منتصرا، وواصلنا المصافحة، والعناق، والاستمتاع باللحظة الرائعة.

قال ترامب: "جاريد عبقري، الناس يشكون من المحسوبية،"أنا من حصل على السرقة هنا."

ابتسمت للنكتة وقلت: "ربما في المستقبل، سوف يقوم المزيد من الرؤساء بمضايقة أصهارهم من خلال تكليفهم بمشاكل مستحيلة".

ولكي أبقي الصفقة سرية، لم أعرضها على أي دولة عربية أخرى، ولكنني شعرت بأن دولاً أخرى سوف تتخذ خطوة مماثلة، طالما لم تحدث تداعيات كبيرة في المنطقة. ولكن ما لم أكن أعرفه هو مدى السرعة التي قد تتاح بها هذه الفرصة. ففي ذلك المساء، تلقى آفي مكالمة هاتفية من الشيخ سلمان بن خليفة، وزير المالية في البحرين، الذي طورت معه شراكة وصداقة عظيمة أثناء التخطيط لورشة عمل السلام من أجل الرخاء.

وقال "تهانينا، الفوز الأول مهم، لكن الفوز الثاني سيعززه. نريد أن نحتل المركز الثاني".

في وقت لاحق، عندما اتصلت لأشكر الأشخاص الذين ساعدونا طوال جهودنا لتحقيق السلام، اتصلت بريك جيرسون، وهو مستثمر ومواطن من نيوجيرسي أصبح صديقًا جيدًا خلال العقد الذي عشته في مدينة نيويورك. قلت له: "هناك فرصة جيدة أن هذا الاتفاق لم يكن ليحدث بدون اتصالك الأولي". "لقد ساعدنا في إرساء أساس من الثقة. شكرا لك". في عام 2016، أثناء فترة الانتقال، قدمني جيرسون إلى العديد من أصدقائه المقربين منذ فترة طويلة في

لقد كان تقديم جيرسون سبباً في لقائي الأول مع محمد بن زايد ومستشاره للأمن القومي طحنون بن زايد، وبدء حوار بناء حول كيفية إنهاء الحروب التي لا تنتهي، ومواجهة التطرف، والسعي إلى مستقبل من الرخاء والسلام. ولعلني فوجئت على الفور باحترامهما لإسرائيل واعترافهما بالمصالح المتداخلة بين البلدين، في إشارة إلى ما كان سيأتي.

في نفس الوقت تقريبًا الذي أعلنا فيه عن اتفاق السلام بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة، تلقيت مكالمة من ريك جرينيل، المبعوث الخاص لمفاوضات السلام بين صربيا وكوسوفو. كان جرينيل، الذي شغل سابقًا منصب السفير في ألمانيا ومدير الاستخبارات الوطنية بالإنابة، في خضم التفاوض على اتفاقية اقتصادية غير مسبوقة بين صربيا وكوسوفو - وهما خصمان سابقان لا تربطهما علاقات دبلوماسية. رأى جرينيل فرصة من خلال هذه المفاوضات لبناء الزخم لاتفاقيات إبراهيم. كان يعتقد أن كوسوفو، الدولة ذات الأغلبية المسلمة، قد تكون على استعداد لتطبيع العلاقات مع إسرائيل كجزء من اتفاقها الاقتصادي مع صربيا.

"إذا تمكنت من إنجاز ذلك، فسيكون الأمر رائعًا"، قلت له. لكن
يبدو الأمر وكأنه محاولة طويلة المدى.

وبعد عدة أيام، تابع غرينيل بأخبار مذهلة: كوسوفولقد وافقت إسرائيل على تطبيع العلاقات مع إسرائيل. وعلاوة على ذلك، قررت كل من صربيا وكوسوفو وضع سفارتيهما في القدس. كان هذا تطورًا غير متوقع تمامًا، وهو تلاقي للدبلوماسية الإبداعية لغرينيل والتقدم الذي أحرزناه. كانت اتفاقيات إبراهيم قد بدأت بالفعل في إعادة تشكيل الشرق الأوسط والعالم الإسلامي الأوسع.
بدأت الرمال بالتحول.

في تلك الليلة، جاء يوسف وأفي إلى منزلي لتناول العشاء. كنا متحمسين ومنهكين وفخورين. لقد رفعت الروابط التي بنيناها صداقتنا وثقتنا إلى مستوى نادر. لقد أصبحنا الآن شركاء في تغيير العالم. لقد تبادلنا القصص حول ردود الفعل الإيجابية التي سمعناها من زعماء العالم وتحدثنا عن العمل الذي ينتظرنا لتوقيع الاتفاقية وتنفيذها في أقرب وقت ممكن.

لقد كانت الاستجابة العامة للإنجاز الدبلوماسي إيجابية بشكل ساحق. وقد جسد مقال رأي كتبه الخبير في شؤون الشرق الأوسط وكاتب العمود في صحيفة نيويورك تايمز توماس فريدمان التغطية المفرطة غير المعتادة للحدث. "زلزال جيوسياسي يضرب الشرق الأوسط الآن".

وكتب فريدمان في مقاله: "للمرة الأولى، سأتفق مع الرئيس ترامب في استخدامه لصفة مفضلة لديه: "ضخم". لقد أظهرت الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل والولايات المتحدة يوم الخميس - على الأقل للحظة وجيزة مشرقة - أن الماضي لا يجب أن يدفن المستقبل دائمًا، وأن الكارهين والمفرقين لا يجب أن يفوزوا دائمًا".

وفي صباح اليوم التالي، 14 أغسطس/آب، اتصل الرئيس قائلاً: "لم أتلق أي اتصال من أي شخص".وقال "لقد حظيت بتغطية صحفية أفضل في حياتي. هذه هي التغطية الإعلامية الأكثر إيجابية التي حصلت عليها بشأن أي شيء قمت به منذ أن أصبحت رئيسًا".

لقد أثبت إطلاق خطتنا للسلام، إلى جانب دبلوماسيتنا غير التقليدية، في نهاية المطاف أنه خطوة أساسية للوصول إلى اتفاقيات إبراهيم. فقد عرضت على الفلسطينيين مسارًا لتقرير المصير ومستقبل أكثر ازدهارًا. وأظهرت للجمهور العربي أن الصراع المستمر منذ عقود أصبح يدور حول إثراء عباس والقيادة الفلسطينية أكثر من إيجاد حل دائم للشعب. وكشفت عن مواقف القيادة الفلسطينية غير المنطقية والقديمة، حتى مع إثباتها أن إسرائيل مستعدة لاتخاذ خطوة غير مسبوقة إلى الأمام والموافقة على حل مفصل للدولتين. سمحت هذه الخطوات في نهاية المطاف للناس بقبول وجود صراعين منفصلين في الواقع - الصراع الفلسطيني الإسرائيلي والصراع العربي الإسرائيلي - وأن تكلفة ربطهما كانت باهظة للغاية. وقد خلق هذا الظروف لبداية نهاية الصراع العربي الإسرائيلي.

عندما أتيت إلى واشنطن لأول مرة، كان الجميع تقريباً يقبلون تقييم وزير الخارجية السابق جون كيري للسلام مع إسرائيل: "لن يكون هناك سلام متقدم ومنفصل مع العالم العربي من دون العملية الفلسطينية والسلام الفلسطيني". لقد شككت في هذا الافتراض وبدلاً من ذلك تبنيت نهجاً جديداً، قائماً على اعتقادي بأن البلدان العربية لا تزال قادرة على تحقيق السلام.

سوف ينخرطون في شراكات جديدة تقدم المزيد من الوعود لهمالمواطنين أفضل من الوضع الراهن.

على مدى ثلاث سنوات ونصف، عملنا على تعزيز المصالح الأميركية من خلال توحيد شركائنا في المنطقة ضد التهديدات المشتركة. وأصبحت بلدان الشرق الأوسط الآن تتقاسم المزيد من العبء الدفاعي؛ وبدأت القوات الأميركية تعود إلى الوطن. وكان ترمب ينهي الحروب الخارجية التي لا تنتهي، والآن يعمل على صياغة السلام في الشرق الأوسط. وبدأت العلاقات الاقتصادية تتشكل مما من شأنه أن يمنع الصراعات في المستقبل.

إن هذه التغييرات غير المسبوقة لن تؤدي فقط إلى تحسين حياة الملايين في المنطقة، بل ستحمي أيضًا عددًا لا يحصى من الأميركيين، وخاصة مواطنينا.رجال ونساء شجعان بالزي الرسمي.

{53}

الرحلة الأولى

في مدرج مطار بن جوريون الدولي في إسرائيل، وقفت أمام طائرة إسرائيلية تابعة لشركة العال. وعلى جانب الطائرة ذات اللونين الأزرق والأبيض، كُتِبَت كلمة السلام باللغتين الإنجليزية والعبرية والعربية. وعلى مدار السنوات الثلاث السابقة، كنا نتجنب الظهور الإعلامي.
خلال رحلاتي في الشرق الأوسط، لكن هذه الرحلة في 31 أغسطس كانت مختلفة.لقد نقلت شبكات الأخبار التغطية الحية للحدث عندما تقدمت للأمام لأقول بضع كلمات: "نحن على وشك ركوب رحلة تاريخية: أول رحلة تجارية في التاريخ بين إسرائيل ودولة عربية خليجية. ورغم أن هذه رحلة تاريخية، فإننا نأمل أن تكون بداية لرحلة أكثر تاريخية للشرق الأوسط وما بعده. لقد صليت أمس عند الحائط الغربي أن يشاهد المسلمون والعرب من جميع أنحاء العالم هذه الرحلة، مدركين أننا جميعًا أبناء الله وأن المستقبل لا يجب أن يكون محددًا مسبقًا بالماضي ".

حتى الآن، كان اتفاق السلام بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة محصورا في أقوال الرئيس ترامب ورئيس الوزراء بنيامين نتنياهو وولي العهد محمد بن زايد. وهذه الرحلة سوف تظهر ما يعنيه السلام عمليا.

قبل أسبوع، اقترح آفي أنه بدلاً من اتخاذ إجراء عسكري أمريكي،في رحلة من إسرائيل إلى أبو ظبي، كان بوسعنا أن نحاول ترتيب رحلة تجارية وأن نحضر معنا وفداً من المسؤولين الإسرائيليين. وقد قبلت الفكرة على الفور، واتصلنا بيوسف لمناقشة الأمر. وطالما ظل الإسرائيليون على موقفهم البناء، لم يعتقد يوسف أن الأمر سيشكل مشكلة. وعلى الفور، بدأنا في تنفيذ الخطة.

ما زلنا بحاجة إلى حل مشكلة لوجستية مهمة.كان المسار عبارة عن رحلة مدتها ثلاث ساعات مرت فوق المملكة العربية السعودية. ونظرًا لعدم وجود علاقات دبلوماسية بين المملكة وإسرائيل، فإنها لا تسمح عادةً للطائرات التجارية المتجهة من وإلى إسرائيل بالمرور عبر مجالها الجوي.

سوف نحتاج إلى إعفاء خاص. الطيران حول المملكة العربية السعودية من شأنه أن يضيفأربع ساعات من الرحلة، ولم أستطع أن أفهم لماذا رحلة مدتها ثلاث ساعات يجب أن تمتد إلى سبع ساعات.

طلبت من آفي الاتصال بنائب وزير الدفاع السعودي محمد بن سلمانكان من دواعي سروري أن أتحدث إلى أخي خالد بن سلمان، الذي طورنا معه علاقة عمل وثيقة أثناء فترة عمله سفيراً للولايات المتحدة. ووعد بالمساعدة. استغرق الأمر عدة مكالمات أخرى، ولكن في الليلة التي سبقت رحلتنا، وافقت هيئة الطيران السعودية على الإعفاء. كان هذا التصريح إنجازًا دبلوماسيًا كبيرًا في حد ذاته. سمحت لنا العلاقات التي بنيناها على مدى السنوات الثلاث السابقة بكسر التقاليد القديمة، وتجاوز البيروقراطية، ورسم مسار أكثر بناءً إلى الأمام.

قبل الإقلاع بقليل، سقط الطيار الإسرائيلي تال بيكر، الذي كان يقود الطائرة"لقد أعلن عن ذلك من فوق الطائرة لمدة خمسة وأربعين عامًا. أخرجت هاتفي وسجلت معظم كلماته: """لأول مرة على الإطلاق، ستحلق طائرة مسجلة في إسرائيل فوق المملكة العربية السعودية، وبعد رحلة مباشرة من إسرائيل، ستهبط في الإمارات العربية المتحدة. ستكون مدة الرحلة، مع المسار المختصر فوق المملكة العربية السعودية، حوالي ثلاث ساعات وعشرين دقيقة بدلاً من ما كان سيستغرق أكثر من سبع ساعات حتى الآن. في نهاية هذه الرحلة المباشرة التاريخية، ستهبط عجلات الطائرة التي تحمل علم دولة إسرائيل على ذيلها على مدرج أبو ظبي، عاصمة الإمارات العربية المتحدة. سيكون هذا حدثًا مهمًا آخر في تاريخنا، تمامًا كما كانت شركة العال عندما تم توقيع السلام بين القدس والقاهرة وعمان. نحن جميعًا متحمسون ونتطلع إلى المزيد من الرحلات التاريخية التي ستأخذنا إلى عواصم أخرى في المنطقة، مما يدفعنا جميعًا إلى مستقبل أكثر ازدهارًا. أتمنى لنا جميعًا السلام والسلام والهدوء. أتمنى لك رحلة آمنة. شكرا لك."

لقد صفقنا جميعا لخطابه المرتجل. لقد أرسلت الفيديو إلى إيفانكا، التي تأثرت به كثيرا حتى أنها نشرته على تويتر. لقد سمع الملايين من الناس الرسالة التي وجهها الطيار الإسرائيلي، الذي التقط بشكل جميل مشاعر مواطنيه. وبينما كانت الطائرة تحلق عبر المجال الجوي السعودي، وزع الأميركيون والإسرائيليون تذاكرهم وتبادلوا التوقيعات لإحياء ذكرى هذه التجربة. بالنسبة للعديد منهم، كانت هذه الرحلة بمثابة ذروة مهنة طويلة في الخدمة العامة. لقد شعرنا جميعا بأهمية هذه اللحظة. لقد كنا نصنع التاريخ. لقد فكرت في أجدادي، وتساءلت عما قد يفكرون فيه بشأن حفيدهم.

قيادة الوفد نيابة عن رئيس الولايات المتحدة إلىتحقيق السلام بين إسرائيل ودولة عربية رائدة.

لقد استحوذت صورة الطائرة الإسرائيلية في الإمارات العربية المتحدة على خيال الملايين من الناس وأشعلت الأمل في جميع أنحاء المنطقة. لقد تقبلت الأجيال الأكبر سناً الوضع الراهن غير المنطقي كأمر مسلم به وأصبحوا متشككين في رؤية أي اختراق في حياتهم. الآن بدأ الكثيرون يتساءلون: إذا كان السلام ممكناً مع الإمارات العربية المتحدة، فلماذا لا يكون كذلك مع دول الخليج العربية الأخرى؟ بدأ المراقبون العرب يرون الفوائد الهائلة للتطبيع: يمكنهم السفر إلى إسرائيل للعمل أو الترفيه أو الحج الديني، مما يفتح إمكانيات جديدة للتجارة والتعاون. وهكذا، أصبح ما لا يمكن تصوره الآن في متناول أيديهم.

لقد علمتني الرحلة درسًا مهمًا ومتواضعًا: على الرغم من كل عملنا الدقيق للتوصل إلى اتفاق التطبيع، فقد جذبت الرحلة المزيد من الاهتمام من الاتفاق نفسه. وبينما كنت أهتم دائمًا بتفاصيل السياسة، إلا أنني غالبًا ما كنت أقلل من قوة التواصل الفعال لجهودنا. وكما يقول المثل، فإن الصورة تساوي ألف كلمة، والصورة المذهلة للرحلة جعلت اتفاق السلام حقيقيًا للناس.

عندما سافرت بصفتي مسؤولاً حكومياً، كنت أركز في جدول رحلتي على العمل وتجنبت الأنشطة السياحية مثل زيارة المواقع التاريخية. ولكن في هذه الرحلة، استثنيت هذا الأمر ووافقت على الانضمام إلى حدث ثقافي مع الوفدين الإسرائيلي والإماراتي. ومن المطار، توجهنا إلى متحف اللوفر أبوظبي وقمنا بزيارة معرض الأديان العالمية، حيث عُرضت منذ فترة طويلة نسخة من القرآن والإنجيل والتوراة جنباً إلى جنب. وكان المعرض بمثابة تمثيل مرئي لما كانت عليه اتفاقيات إبراهيم.

وفي ذلك المساء، استدرجني طحنون بن زايد آل نهيان جانباً.كان مستشار الأمن الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة أحد أوائل المسؤولين الأجانب الذين التقيت بهم، وأصبح صديقًا موثوقًا به. كان مفكرًا عميقًا، وشخصًا كنت أطلب مشورته الاستراتيجية غالبًا عندما أفكر في خطواتنا التالية لتعزيز السلام. لذلك شعرت بشرف خاص في ذلك المساء عندما قدم لي هديتين خاصتين: نسخة من تصريح الطيران الرسمي الذي سمح لأول طائرة إسرائيلية بالهبوط في أبو ظبي، ونسخة من قانون إماراتي جديد لإلغاء مقاطعة إسرائيل التي أقرتها الإمارات العربية المتحدة في عام 1972. وأوضح أنهم كانوا بحاجة إلى الحصول على موافقة خاصة من برلمانهم لمنحي نسخة من القانون الفيدرالي.

لقد كان هذا المرسوم صادرًا عني منذ أن كنت أجنبيًا. لقد تأثرت بشدة بهذا العرض،وأنا أعتز بهاتين الهديتين لما تمثلانه: روابط الصداقة والأخوة التي أقمناها بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة. ثم جاء العشاء الافتتاحي بين الوفدين الإسرائيلي والإماراتي. وتماشياً مع الضيافة الإماراتية الشهيرة، كان البوفيه الفاخر يحتوي على قسم كوشير كامل، والذي يلبي أعلى معايير الجودة والإشراف الحاخامي.

أثناء التعريفات والحديث القصير، أذهلني أن كبار المسؤولين الحاضرين من البلدين لم يتحدثوا مع بعضهم البعض من قبل. شعرت وكأنني أقوم بتسهيل موعد غرامي. في مرحلة ما، ذكر مسؤول إماراتي أنه حريص على مواءمة الأنظمة المصرفية حتى تتمكن الاستثمارات من التدفق بين البلدين.

وبدلاً من التركيز على الإجراءات الشكلية والاحتفال، اقترحت أن نبدأ العمل على هذا الأمر على الفور. غادر العديد من المسؤولين الماليين الإسرائيليين والإماراتيين الذين كانوا جزءًا من الوفود العشاء على الفور لبدء التنقل عبر العقبات. بحلول الساعة 4:00 صباحًا في اليوم التالي، لقد توصلوا إلى التفاصيل اللازمة لربط أنظمتهم المصرفية.

كنا حريصين بشكل خاص على تكثيف السياحة حتى يتمكن الإسرائيليون والإماراتيون من زيارة بلدان بعضهم البعض والبدء في تكوين صداقات، الأمر الذي من شأنه أن يبني الدعم الشعبي لاتفاقية السلام. ومع قيام الزوار العرب بالحج إلى المسجد الأقصى في القدس ونشر صور زيارتهم للمكان المقدس بسلام، فإن ذلك من شأنه أن يضرب في قلب التحيز غير الدقيق بأن المسجد الأقصى كان تحت الحصار. بعد وقت قصير من زيارتنا، وافقت إسرائيل والإمارات العربية المتحدة على السماح لمواطنيهما بالسفر بين البلدين بدون تأشيرة - وهو إنجاز دبلوماسي كبير. كما أحضرنا مسؤولين إسرائيليين من أقسام الطيران والصحة والاتصالات حتى يتمكنوا من مقابلة نظرائهم الإماراتيين والبدء في التعاون. تم دمج الفرق الطبية الإسرائيلية والإماراتية على الفور حتى يتمكنوا من التنسيق بشكل أوثق بشأن التقدم العلمي لمكافحة كوفيد-19. لقد فوجئت عندما علمت أنه من المستحيل إجراء مكالمة بين الهواتف المحمولة الإسرائيلية والإماراتية. بعد تحديد هذه المشكلة، وضعنا عملية لتصحيحها. لقد قللت من تقدير مدى ضآلة الارتباط بين البلدين. كانت الرحلة أكثر من مجرد رحلة رمزية. فقد ربطت بين البلدين على المستوى العملي. وللمرة الأولى، تناول المسؤولون الإسرائيليون والإماراتيون العشاء معًا، وتبادلوا بطاقات العمل، وناقشوا فرص العمل معًا. ومع بناء الثقة بين الإسرائيليين والإماراتيين أمام أعيننا، تزايدت أعداد المعارضين للتقدم.

لقد أصبحت الإمارات العربية المتحدة معزولة بشكل متزايد. لقد لجأ عباس إلى جماعة حماس الإرهابية، وعقد اجتماعًا لوضع استراتيجية ضد جهودنا، وأصدر النظام الإيراني تصريحات رنانة ضد الإمارات العربية المتحدة. حتى أن المرشد الأعلى الإيراني، آية الله خامنئي، استهدفني في تغريدة: "إن الأمة الفلسطينية تتعرض لضغوط شديدة ومختلفة. ثم تتصرف الإمارات العربية المتحدة بالاتفاق مع الإسرائيليين وعملاء الولايات المتحدة الصهاينة القذرين - مثل العضو اليهودي في عائلة ترامب - بأقصى درجات القسوة ضد مصالح العالم الإسلامي. #الإمارات_تطعن_المسلمين".

وفي خضم هذه المعارضة المتوقعة من الجهات السيئة في المنطقة، كان لزاماً علينا أن نواصل بناء الزخم من أجل السلام. ومن الإمارات العربية المتحدة، سافرت إلى البحرين على أمل ضم دولة ثانية إلى اتفاقيات إبراهيم.

* * *

في البحرين، قبل أن أعرض قضيتي بشأن تطبيع العلاقات مع إسرائيل، قدمت للملك حمد بن عيسى آل خليفة هدية غير متوقعة: مخطوطة التوراة.

قبل عام واحد فقط، خلال ورشة عمل السلام من أجل الرخاء، اغتنم العديد من الإسرائيليين الفرصة لزيارة الكنيس اليهودي في العاصمة البحرينية المنامة. تأسس الكنيس في عام 1935، ولم يكن يعقد أي صلوات عامة.

ولكن خلال القمة، حضر عدد كاف من اليهود لإقامة صلاة جماعية ـ وهو النصاب القانوني الذي لا يقل عن عشرة رجال، وهو العدد اللازم لإقامة صلاة جماعية. وكانت تجربة مؤثرة للغاية بالنسبة لأولئك الذين حضروا، ولكنهم لاحظوا أن الكنيس يفتقر إلى مخطوطة التوراة، التي كان لابد من كتابتها باليد. وعند سماعي لهذا، قمت شخصياً بتكليف شخص ما بصنع مخطوطة للكنيس وخصصتها تكريماً للملك: "لرؤيته وشجاعته وقيادته في جلب السلام والاحترام والتسامح الديني إلى الشرق الأوسط".

لقد تأثر الملك بهذه القصة، فقال: "نحن جميعًا أبناء إبراهيم"."لقد كنت أعتقد دائمًا أن اليهود والمسيحيين والمسلمين يجب أن يتفهموا ويحترموا بعضهم البعض. أليس هذا هو جوهر هويتنا؟"

وبهذا أعطاني وولي العهد الأمير سلمان بن حمد آل خليفة موافقته على إتمام اتفاق السلام. وقضينا الساعات القليلة التالية معًا في مناقشة أولويات البحرين ومخاوفها وتوصلنا إلى إطار اعتقدنا أنه سيكون مقبولًا لاتفاقية التطبيع.

من البحرين، سافرت إلى الرياض، المملكة العربية السعودية، للقاء محمد بن سلمان.لقد طلب السعوديون منا إجراء اختبارات كوفيد-19 إضافية قبل النزول من الطائرة، لذلك أجرى مساعدي تشارلتون بويد جولة من الاختبارات لمجموعتنا. لقد دربته الوحدة الطبية في البيت الأبيض على هذا السيناريو بالضبط، لذلك كان مستعدًا لإجراء الاختبارات لنا. لقد التزم السعوديون بأشد بروتوكولات الوباء صرامة التي واجهناها في المنطقة، والتي عندما اقترنت ببروتوكولاتهم الملكية جعلت الزيارة رسمية بشكل غير معتاد. ارتديت أنا ومحمد بن سلمان أقنعة وجلسنا على كراسي متباعدة بحوالي خمسة عشر قدمًا. كانت اجتماعاتنا السابقة طويلة وغير رسمية، لكن هذا الاجتماع كان صارمًا ومختصرًا. ومع ذلك، كان منتجًا بشكل غير عادي.

عندما ناقشنا اتفاقية السلام مع الإمارات العربية المتحدة، شعرت من نبرتهأن محمد بن سلمان كان معجبًا بالتقدم الذي أحرزناه.

"ماذا عن المملكة العربية السعودية؟" سألت.

وأشار بن سلمان إلى أن المملكة العربية السعودية تشترك مع إسرائيل في مصالح مشتركة، لكنه أراد الاستمرار في السماح للمنطقة بمعالجة اتفاقية التطبيع مع الإمارات العربية المتحدة ومعرفة ما إذا كان من الممكن إحراز تقدم أولاً مع الفلسطينيين. كما أعرب عن رغبته في حل الخلاف مع قطر. بعد ذلك قررت أن أغتنم الفرصة، على الرغم من أنني كنت أعلم أن ذلك قد يتجاوز حدوده.

"شكرا لكم على السماح لطائرتنا الإسرائيلية بالتحليق فوق الأجواء السعودية""إلى أبو ظبي. وبما أننا كنا نحلق على ارتفاع أربعين ألف قدم، لم يلاحظ أحد ذلك"، قلت مازحا، قبل أن أتقدم بطلب جدي: "هل يمكننا أن نجعل ذلك دائمًا للطرق التجارية من وإلى إسرائيل؟"

وقال محمد بن سلمان "دعني أعمل على ذلك وأحاول إنجازه".

لقد شجعني رده. إن فتح المجال الجوي من شأنه أن يُظهِر دعم المملكة العربية السعودية الضمني للتطبيع. وسيكون لذلك قيمة عملية كبيرة، حيث يجعل الرحلات الجوية بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة أقصر وأكثر بأسعار معقولة للمسافرين. كما أنه من شأنه أن يسهل على الطائرات الإسرائيلية السفر إلى وجهات في آسيا. كنا نضع الأساس لهذا منذ مايو 2017، عندما سمح السعوديون لطائرة الرئاسة الأمريكية بالطيران من الرياض إلى تل أبيب في أول رحلة خارجية للرئيس.

اعتقدت أن السعوديين سوف يأخذون وقتهم قبل اتخاذ القرار. ولكن مما أسعدني أن وزير الخارجية السعودي فيصل بن فرحان آل سعود أعلن في اليوم التالي أن جميع الرحلات الجوية الإسرائيلية المتجهة إلى الولايات المتحدة سوف تتوقف.لقد سُمح للإمارات العربية المتحدة بعبور المجال الجوي السعودي. وكان هذا الإعلان بمثابة انتصار دبلوماسي آخر. لقد فاجأ الجميع، بمن فيهم أنا.

كنت أخطط لزيارة قطر وأميرها تميم بن حمد آل ثاني في اليوم التالي. لذا قبل انتهاء اجتماعي مع محمد بن سلمان، سألته عما إذا كان قد أحرز أي تقدم مع قطر، الدولة الواقعة على الجانب الشرقي من المملكة العربية السعودية والتي كانت محور الحصار الذي تقوده السعودية لأكثر من ثلاث سنوات.

وقال ولي العهد السعودي: "لقد أعددنا مقترحا سنرسله إليهم عبر الكويت".

"سأسافر إلى قطر غدًا صباحًا لرؤية تميم"، قلت. "أستطيع أن أتحدث معه".أحضر العرض معي وسوف أوفّر عليك تكلفة طابع البريد.

"حسنًا، ستحصل عليه قبل صعودك إلى الطائرة."

"إذا أراد التحدث، هل أنت منفتح على إجراء مكالمة معه؟" "مئة بالمئة. أنا أحب تميم حقًا شخصيًا، وأريد أن أتحدث معه".

"لإيجاد طريقة لحل القضايا ودفع بلداننا إلى الأمام."

في اليوم التالي، قبل أن نركب طائرتنا، استقبلنا فيصل علىأعطاني المطار صندوقاً من التمور السعودية كهدية، وأعطاني مظروفاً يحتوي على مقترح سعودي لقطر.

عند وصولنا إلى قطر، توجهنا أنا وآفي وبريان هوك والجنرال كوريا إلى القصر لعقد اجتماع مع تميم وعدد من مستشاريه الموثوق بهم. كانت علاقتنا قد بدأت بشروط صعبة بسبب اقتراح تيلرسون غير الدقيق بأنني مسؤول عن الخلاف الخليجي. تحسنت بشكل مطرد على مر السنين حيث التقينا وانخرطنا في حوارات استراتيجية. عندما شاركته خطة السلام من أجل الازدهار الاقتصادية، توقع تميم: "أنت تقلل من شأن هذا. إذا حصلنا على السلام في هذه المنطقة، فإن الانفجار في النشاط الاقتصادي والسلام سيكون أكبر مما تتخيل".

بينما كنا جالسين في مكتبه الملكي في الثاني من سبتمبر، قمت بتحديث تميم بشأنتحدثت عن تطورات إيجابية بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة، وسألته عما إذا كان سيفكر في الانضمام إلى اتفاقيات إبراهيم.

وأعرب تميم عن انفتاحه على القيام بذلك في الوقت المناسب، مستشهدا بالعديد من المجالات التي تتعاون فيها قطر بشكل بناء مع إسرائيل، بما في ذلك مساعدتها في التوسط في قضاياها مع حماس. لكنه أراد حل الحصار مع المملكة العربية السعودية أولا.

لقد كان هذا الافتتاح المثالي.

"لقد تلقيت عرضًا من محمد بن سلمان"، قلت. "لقد قمت بدراسته مع فريقي، ورغم أنه ليس مثاليًا، إلا أنني أعتقد أنه بداية جيدة".

"إذا تمكنا من حل هذا النزاع، فلن يكون للورقة التي نوقعها أي أهمية"، قال. "ما يهم هو نواياهم. ورغم أننا استثمرنا قدراً كبيراً من الوقت في محاولة التوصل إلى حل وسط، إلا أننا لم نحرز أي تقدم على الإطلاق. أنت تعرف جيراني جيداً. هل تعتقد أنهم مستعدون حقاً لحل هذه المشكلة؟"

"ليس الجميع"، قلت. "لكن محمد بن سلمان مستعد. عليك أن تثق بي عندما أقول إنني أعتقد أنه يريد حقًا حل الصراع".

سلم تميم الوثيقة وبدأ في قراءتها.

بعد أن ناقشنا بعض القضايا العالقة، سألته عما إذا كان منفتحًا على إجراء مكالمة سريعة مع محمد بن سلمان للاستماع مباشرة من السعوديين.كان تميم مترددًا، مذكرًا لي بأن المكالمة الأخيرة بينهما كانت ممتعة، لكنها تحولت إلى مشكلة عندما نشر كل من البلدين ملخصات متضاربة للمكالمة، مما أدى فقط إلى تفاقم التوترات. سأل: "حتى لو أجرينا مكالمة لطيفة، فكيف ستتحسن عمليتنا المكسورة؟" "نحن بحاجة إلى آلية جديدة إذا كنا سنحقق اختراقًا".

اقترحت إنشاء قناة اتصال بين مهارتهوزير الخارجية الشيخ محمد بن عبد الرحمن والسعودية

نائب وزير الدفاع خالد بن سلمان، ويمكنني أن أعمل مع وزير خارجية الكويت الدكتور أحمد للتوسط في المناقشات.

وتساءل تميم: "هل سيوافق السعوديون على ذلك؟"

وبصرف النظر عن كل الشكليات التي تصاحب التواجد في قصر الأمير، فقد استلهمت من كتابي القديم عن الصفقات التجارية: "اسمح لي أن أسأله. هل لديك غرفة مؤتمرات يمكنني استخدامها للاتصال بمحمد بن سلمان؟"

لقد أخذني مساعده إلى غرفة الاجتماعات المجاورة. وسرعان ما كنت على الهاتف مع محمد بن سلمان، لأطلعه على مناقشتي مع تميم. وأكد لي محمد بن سلمان أنه إذا كان تميم صادقًا في رغبته في حل النزاع، فسوف يلتقي به في أكثر من منتصف الطريق.

"هل أنت منفتح على إنشاء قناة بين الأمير خالد والشيخ محمد، والتي سأتوسط فيها شخصيًا، لمحاولة حل القضايا العالقة في الوثائق؟" سألت.

"مئة بالمئة"، قال محمد بن سلمان.

"هل تمانع في الانتظار لدقيقة واحدة؟"، سلمت الهاتف إلى آفي، الذي كان محمد بن سلمان يستمتع دائمًا بالحديث معه، وسرت في الردهة القصيرة إلى مكتب تميم.

«وافق محمد بن سلمان على القناة كوسيلة لحل القضايا العالقة».قلت: "لقد تحدثت معه عبر الهاتف. أعتقد أن هذا سيساعد في بناء الثقة بينكما عندما تستمعان إلى بعضكما البعض. هل ترغبين في التحدث معه؟"

حافظ تميم على وجهه الجامد بينما كان يزن العواقب.

ثم وافق.

عدت إلى غرفة الاجتماعات. "انتظر لحظة. سأتصل بك مع تميم. إنه مستعد للتحدث".

دخلت مكتب تميم ووضعت سماعة الهاتف على مكبر الصوت. حيّا تميم محمد بن سلمان باللغة العربية، وتحدث الزعيمان لمدة عشر دقائق تقريبًا بينما كان الجميع في الغرفة يستمعون. ولأنني لا أجيد اللغة العربية، وقفت متوترًا، محاولًا قراءة تعابير وجه تميم ومستشاريه، حيث لم يكن لدي أي فكرة عما كانوا يقولونه. عندما أغلق تميم الهاتف، توقف للحظة لينظر إلى الهاتف ثم سلمه لي. كان الصمت يعم الغرفة.

كسرت الصمت وسألت: "هل كان هذا قرارًا جيدًا أم سيئًا؟"

انفجر الجميع بالضحك.

"شكرًا لك جاريد"، قال تميم. "كانت مكالمة رائعة. كانت مهمة حقًا. يريد محمد بن سلمان رؤيتي. أنا منفتح على التحدث مرة أخرى إذا تمكنا من إحراز تقدم".

لقد ناقشنا الخطوات التالية، وأبدى لي تميم دعمه الكامل لمحاولة حل النزاع. وشعرت وكأننا على أعتاب اختراق جديد.

كان حل الخلاف أمرا بالغ الأهمية لتعزيز المصالح الأمريكية في المنطقة.إن الحصار المفروض على قطر أجبر الرحلات الجوية من وإلى قطر على عبور المجال الجوي الإيراني، الأمر الذي لم يثري إيران فحسب، بل عرض المسافرين للخطر أيضًا، بما في ذلك الأميركيون، وأعاق الشراكات الاقتصادية في المنطقة. ولعل الأهم من كل هذا هو أن إنهاء الخلاف من شأنه أن يخلق فرصة لمزيد من الدول للانضمام إلى اتفاقيات إبراهيم. وطالما ظلت المملكة العربية السعودية وقطر وبقية دول مجلس التعاون الخليجي منقسمة، فمن غير المرجح أن تقيم علاقات رسمية مع إسرائيل. ولكن إذا كانت هذه الدول موحدة، فسوف تكون حرة في بناء علاقات مع إسرائيل.

في طريق العودة إلى الفندق، سألني بريان هوك سؤالاً: "هل‌هل تخطط للقيام بذلك؟

"لا"، قلت. "لكنني قرأت ردود أفعاله وقررت أن أحاول. أسوأ شيء يمكن أن يحدث هو أن يقول لا".

"لقد عملت في واشنطن لمدة عشرين عامًا"، كما قال هوك. "لقد عملت مع أفضل الدبلوماسيين. لم يكن أي دبلوماسي ليفعل ذلك أبدًا. لقد خرقت كل قواعد الدبلوماسية، ونجحت".

{54}

اتفاقيات إبراهيم

كانت الرحلة الأولى بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة بمثابة بداية لتقدير جديد ومتبادل بين الإسرائيليين والإمارات العربية المتحدة.

الإماراتيون. وبعد فترة وجيزة، أكد بيبي حضوره حدث في البيت الأبيض خططنا له في 15 سبتمبر،

وتعهد محمد بن زايد بإرسال شقيقه وزير الخارجية عبدالله بن زايد ممثلا له.

وبعد أن أتممت هذه التفاصيل الأساسية، ركزنا على الانتهاء من اتفاقية التطبيع مع البحرين. وقد عرضت بحذر اهتمام البحرين على الإسرائيليين والإماراتيين، وكان كلا البلدين حريصين على إشراك الدولة الخليجية الثرية في التوقيع في سبتمبر/أيلول. ومن شأن إضافة دولة عربية ثانية أن تعمل كقوة مضاعفة في تغيير النموذج الإقليمي.

لقد عمل آفي والجنرال كوريا وبقية فريقنا بلا كلل على مدى الأسابيع القليلة التالية لوضع اللمسات الأخيرة على تفاصيل الاتفاق، الذي تضمن تبادل المعلومات الاستخباراتية الإضافية، وتوسيع التجارة، والمساعدة في تطوير النفط والغاز، وتعميق علاقتنا العسكرية القوية بالفعل.

خلال مسيرته المهنية التي استمرت ثلاثين عامًا في الجيش الأمريكي، اكتسب كوريا سمعة طيبة باعتباره عاملًا جديرًا بالثقة وعادلًا في الشرق الأوسط. كان متمركزًا في أبو ظبي في عام 2017 للعمل كملحق دفاعي للسفارة الأمريكية، لكن علاقاته القوية مع الإماراتيين خلقت استياءً سريعًا بين مسؤولي وزارة الخارجية المحترفين، واضطر إلى ترك المنصب. بينما كنا نتفاوض على الصفقات مع الإمارات العربية المتحدة والبحرين، أثبتت خبرة كوريا ومنظوره وثقته في المنطقة أنها لا تقدر بثمن في تعزيز مصالح أمريكا.

في العاشر من سبتمبر، وافقت الحكومة البحرينية على اقتراحنا. وفي اليوم التالي، في الحادي عشر من سبتمبر، بدأ ترامب اتصاله الهاتفي الثاني.

لقد كان هذا هو النداء الذي أطلقناه من أجل تحقيق السلام ـ هذه المرة مع بيبي والملك حمد. ولم يغب عن الفريق أننا نحتفل بهذا الاختراق التاريخي من أجل السلام في الذكرى السنوية لهجمات الحادي عشر من سبتمبر الإرهابية.

لقد وجهت فريقي لصياغة إعلان اتفاقيات إبراهيم، وهي وثيقة شاملة تضم الأطراف الثلاثة والولايات المتحدة.57 لقد تصورت إطارًا لا يتدخل في المواد المحددة والحساسة في اتفاقيات البلدان الفردية. ستسمح مبادئه الأوسع بانضمام المزيد من الموقعين في وقت لاحق، مع استمرارنا في تغيير النموذج في جميع أنحاء الشرق الأوسط.

ورغم أن إعلان اتفاقيات إبراهيم كان الأقصر بين الوثائق الثلاث، إلا أنه كان الأكثر حساسية في الكتابة. وقد عملنا على تجنبلقد قمت بوضع الخطوط العريضة للوثيقة، ثم قمت بمناقشة كل كلمة فيها، وتوصلت إلى وثيقة ذات معنى ودائمة. وقد انتهوا من وضع التفاصيل النهائية قبل ساعات قليلة من التوقيع، ثم أرسلوا النص إلى المترجمين، الذين استخدموا نسختنا الأصلية باللغة الإنجليزية لكتابة الوثائق النهائية باللغتين العربية والعبرية.

في اليوم السابق للحفل، تلقيت مكالمة من ريتشارد مور، الدبلوماسي البريطاني المخضرم، الذي تم تعيينه مؤخرًا رئيسًا لمكتب الاستخبارات MI6. لقد عمل مع فريقي كشريك قيم منذ عام 2017، عندما انضم إلى اجتماعاتنا مع بوريس جونسون، وزير الخارجية في ذلك الوقت. هنأني على اتفاقيات إبراهيم وأعرب عن دهشته لأننا أبقينا الاتفاقين سراً حتى أعلنا عنهما.

وأضاف "إنها عقيدة كوشنر، لا شيء يتسرب".

في تلك الليلة اتصلت بالرئيس لمناقشة خطة التوقيع. بين أحداث الحملة، والاستجابة المستمرة لكوفيد-19، ومسؤوليات أخرى، كان تركيزه منقسمًا بطرق متعددة. أردت التأكد من أنه مستعد، لكن ترامب بدد أي قلق. "هل لديك خطاب رائع لي؟" سأل. "أريده أن يكون رائعًا". أخذت ملاحظات وفيرة بينما كان يشرح لي العديد من النقاط الرئيسية التي أراد معالجتها. كان ترامب مليئًا بالطاقة خلال اجتماعاته الفردية مع القادة الزائرين صباح يوم الثلاثاء 15 سبتمبر. أعجب عبد الله بن زايد، وزير الخارجية الإماراتي، بترامب بتصريحاته البليغة والصادقة حول أهمية اليوم. في اجتماع مع وزير الخارجية البحريني عبد اللطيف بن راشد الزياني، مازح ترامب

أن أفضل ساعة يد امتلكها على الإطلاق كانت هدية تلقاها قبل عقود من الزمن من أمير البحرين.

"كانت هذه الساعة جميلة، وعملت لمدة خمسة وعشرين عامًا"، كما قال. "بعض الساعات القديمة تتوقف عن العمل بعد فترة - مثل جو بايدن". عندما التقى ترامب ببيبي، أخرج هديته المميزة - مفتاح برونزي كبير الحجم "للبيت الأبيض" في صندوق خشبي منحوت عليه ختم الرئاسة. كان ترامب قد صمم المفتاح بنفسه ليقدمه إلى بيبي.

خاص الضيوف.

"هذا هو المفتاح الأول الذي أقدمه لأي شخص"، كما قال. "حتى عندما أكون"إذا لم تعد رئيسًا بعد الآن، فيمكنك التوجه إلى البوابة الأمامية للبيت الأبيض وتقديم خطابك، وسوف يسمحون لك بالدخول".

لقد حاولنا أنا وأفي أن نمنع أنفسنا من الضحك. فقد سمعنا هذه الجملة من قبل، وكان ترامب قد ألقى هذه الجملة بجدية مفرطة. ومع ذلك، فقد أشرق وجه بيبي. لقد كان هو وترامب فخورين بما حققاه.

قبل الساعة الواحدة ظهرًا بقليل، اجتمع الزعماء الأربعة في المكتب البيضاوي وثم مشيت إلى الغرفة الزرقاء. وكان في انتظارهم على الحديقة الجنوبية أكثر من سبعمائة ضيف، بما في ذلك كبار الشخصيات الأجنبية وأعضاء مجلس الوزراء والمشرعين وقادة الأعمال وخبراء السياسة الخارجية. وجلس وزير الخارجية بومبيو وأفي وروبرت أوبراين وديفيد فريدمان وبقية فريقي في الصف الأمامي. والأهم بالنسبة لي، كانت إيفانكا هناك، إلى جانب والدي وشقيقتي دارا ونيكي، اللتين جاءتا لمساعدتي في الاحتفال بهذا الحدث المهم.

"نحن هنا بعد ظهر اليوم لتغيير مسار التاريخ"، أعلن ترامب من الرواق الجنوبي. "بعد عقود من الانقسام والصراع، نحتفل بفجر شرق أوسط جديد. وبفضل الشجاعة العظيمة لقادة هذه البلدان الثلاثة، نتخذ خطوة كبيرة نحو مستقبل يعيش فيه الناس من جميع الأديان والخلفيات معًا في سلام وازدهار. في غضون لحظات قليلة، سيوقع هؤلاء القادة الرؤيويون أول اتفاقيتي سلام بين إسرائيل ودولة عربية منذ أكثر من ربع قرن. في تاريخ إسرائيل بالكامل، لم يكن هناك سوى اتفاقيتين من هذا القبيل. الآن حققنا اتفاقيتين في شهر واحد، وهناك المزيد ليتبع". تحدث بيبي بعد ذلك. على عكس أولئك الذين حضروا حدثه السابق في البيت الأبيض، أظهرت تصريحاته حنكة سياسية حقيقية: "لآلاف السنين، صلى الشعب اليهودي من أجل السلام. لعقود من الزمان، صلت الدولة اليهودية من أجل السلام. ولهذا السبب، اليوم، نحن ممتلئون بهذا الامتنان العميق".

وعندما اختتم بيبي كلمته، سلم الميكروفون لوزير الخارجية الإماراتي عبد الله بن زايد، الذي تحدث باللغة العربية. وقال: "في ديننا نقول: يا رب أنت السلام، ومنك السلام". وأضاف: "إن البحث عن السلام مبدأ فطري، ولكن المبادئ تتحقق فعليًا عندما تتحول إلى عمل. واليوم، نحن مستعدون - نحن نشهد بالفعل تغييرًا في قلب الشرق الأوسط، وهو التغيير الذي سيبعث الأمل في جميع أنحاء العالم".

وأكد وزير الخارجية البحريني الزياني في كلمته على التطلع إلى المستقبل: "إن ما كان مجرد حلم قبل بضع سنوات أصبح الآن قابلاً للتحقيق، ويمكننا أن نرى أمامنا فرصة ذهبية للسلام والأمن والازدهار في منطقتنا".

قال ترامب "جميل"، وهو يشير إلى الزعماء بأن يتبعوه إلى أسفل الدرج إلى منصة على الحديقة الجنوبية، حيث قمنا بترتيب طاولة التوقيع. بدأ الزعماء الأربعة في تنفيذ الوثائق التي توصلنا إليها.في خضم النشاط للتحضير للحدث، لم يضع أحد علامات واضحة على خطوط التوقيع حتى يعرف القادة مكان التوقيع على الوثائق التي لم تكن مكتوبة بلغتهم الأم. بحث القادة عن مساعديهم، دون جدوى. في الفترة التي سبقت الحدث، كان الجميع يتطلعون إلى الظهور في الصور التاريخية، لذلك صممت الحدث لإبعاد جميع الموظفين عن القادة وبعيدًا عن لقطة الكاميرا. يستحق القادة أن يكونوا نقطة محورية للحدث. كانوا هم الذين خلقوا الظروف وتحملوا المخاطر - لصنع السلام. سرعان ما بدأ القادة في مساعدة بعضهم البعض في معرفة مكان التوقيع، وقام المصورون بالتقاط تفاعلاتهم من خلال سلسلة من الصور التي لا تنسى والتي أبرزت شخصياتهم المميزة. عندما اختتم ترامب الحفل، وقفنا جميعًا وهتفنا. في الغداء الاحتفالي الذي أعقب ذلك، جلست أنا وإيفانكا مع الرئيس والقادة الآخرين. كنت منهكًا ولكن سعيدًا للغاية. لقد بدأت أدرك حجم اللحظة وما تمثله بالنسبة للعالم. فبعد رحلة طويلة وشاقة، تمكنا من تحقيق ما لا يمكن تصوره: لقد صنعنا السلام في الشرق الأوسط. وفي غرفة الطعام الرسمية، حاولت أن أستوعب اللحظة. وشاهدت بيبي وهو يتناول وجبة طعام ويتفاعل بشكل جماعي مع وزيري خارجية البحرين والإمارات العربية المتحدة. لقد بدأ هذان الخصمان السابقان في تشكيل ما كنت أصلي أن يكون علاقة عميقة ودائمة.

لقد كنت آمل وآمنت بأن هذا اليوم يمثل بداية تغيير دائم من شأنه أن يحسن حياة الملايين من الناس.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، بينما كان الرئيس يستعد لمغادرة البيت الأبيض لحضور حدث في فيلادلفيا، تحدث إلى السلك الصحفي. كان ذلك أحد "أحاديث المروحيات" الكلاسيكية، مع صوت محرك طائرة مارين وان في الخلفية. أراد أن يتحدث عن ما أنجزناه - وفاجأني بتعليق أجبرني على البدء في التفكير في المستقبل. قال: "لدينا العديد من البلدان الأخرى التي ستنضم إلينا، وستنضم إلينا قريبًا"، "أعتقد أننا سننضم إلى سبع أو ثماني أو تسع دول". كان هذا ترامب الكلاسيكي: حتى في أفضل لحظات إنجازاته، كان يرفع المستوى ويدفع نحو المزيد.

{55}

من والتر ريد إلى ليلة الانتخابات

أيقظني صوت فانكا حوالي الساعة الثانية صباحًا يوم الجمعة 2 أكتوبر.وقالت "أبي وميلانيا مصابان بفيروس كوفيد".

"كنت معه منذ ساعات قليلة، لا يمكن أن يكون ذلك صحيحًا"، قلت وأنا أرتجف

أفاقني النعاس وأنا أمد يدي إلى هاتفي. وعندما أضاءت الشاشة،كان أول إشعار رأيته هو تغريدة الرئيس في الساعة 12:54 صباحًا: "الليلة، أثبتت الفحوص إصابتي أنا وزوجتي بفيروس كورونا المستجد. سنبدأ عملية الحجر الصحي والتعافي على الفور. سنتجاوز هذا الأمر معًا!"

لقد صدمنا الخبر وشعرنا بالقلق. وعلى المستوى الشخصي،كنت أشعر بالقلق على والد زوجي، الذي أصيب بفيروس أثبت أنه قاتل لكثير من الناس فوق سن السبعين. أنا وإيفانكا نحبه ونعجب به، وكنا قلقين للغاية على سلامته. لقد صلينا صلاة سريعة طالبين من الله أن يحفظه آمنًا وصحيًا لسنوات عديدة قادمة. على المستوى المهني، تساءلت عما قد يعنيه تشخيصه لرئاسته ولبلدنا.

في حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحًا، التقيت برئيس موظفي البيت الأبيض مارك ميدوز. كانت عيناه المتعبتان تكشفان عن مدى إرهاقه. فقد ظل مع الرئيس طوال الليل.

وقال "أنا متوتر حقًا"، مضيفًا أن الدكتور شون كونلي أوصى بأن يذهب الرئيس إلى مركز والتر ريد الطبي العسكري الوطني كإجراء احترازي.

ارتدى ميدوز وأنا معدات الوقاية الشخصية الكاملة - العباءات الجراحية والأقنعة والقفازات،ونظارات واقية - وذهبنا إلى المقر. كنا نبدو كممثلين في فيلم عن أزمة مخاطر بيولوجية. عندما وصلنا إلى غرفة نوم الرئيس، كان ترامب جالسًا ويراجع الوثائق. بعد أن سألنا

وعندما سألته عن شعوره، كشفت له عن هدف زيارتنا: "نوصيك بشدة بالذهاب إلى والتر ريد".

وقال ترامب "أشعر بتحسن بالفعل. امنحني بعض الوقت فقط لأتعافى"."أرجو أن نستريح قليلاً، ثم يمكننا أن نتخذ قرارنا في وقت لاحق. لا يعجبني كيف ينظر خصومنا إلى وجود زعيم أميركا في المستشفى".

"أقدم لك المشورة باعتباري أحد أفراد أسرتك وعضوًا كبيرًا في فريقك"، قلت. "حتى لو لم تكن ترغب في الذهاب، فهذا يتعلق بمكتب الرئاسة. لديك التزام بالذهاب إلى المكان الذي يمكنهم فيه تقديم أفضل رعاية لك ومراقبتك بشكل مثالي. حتى لو كانت الرعاية أفضل بنسبة واحد في المائة، فإن الأمر يستحق ذلك".

لم يعتقد ترامب أن ذلك ضروري، لكنه وافق على المغادرة. قبل مغادرة غرفته، قدمت طلبًا آخر: "أعلم أن هذا هو آخر شيء تريد القيام به، لكن الناس متوترون حقًا. إنهم يريدون التأكد من أنك بخير. هل تكون على استعداد لتصوير مقطع فيديو سريع قبل مغادرتنا مباشرة، لإخبار الناس بأنك بخير وشكرهم على التمنيات الطيبة؟ سيكون ذلك مفيدًا للغاية".

ووافق ترامب على ذلك، وسجله في لقطة واحدة قبل أن يتجه إلى المروحية في الحديقة الجنوبية. وقال وهو يرتدي بدلته وربطة عنقه المعتادتين: "أريد أن أشكر الجميع على الدعم الهائل. سأذهب إلى مستشفى والتر ريد. أعتقد أنني بخير، لكننا سنتأكد من أن الأمور تسير على ما يرام. السيدة الأولى بخير. لذا شكرًا جزيلاً. أنا أقدر ذلك. لن أنسى ذلك أبدًا. شكرًا لكم".

في صباح اليوم التالي، يوم السبت، ذهبت مباشرة إلى والتر ريد. عند وصولي، أعطاني طبيب عسكري معدات وقائية ورافقني إلى الجناح الرئاسي، الذي كان يضم وحدة طبية كاملة وغرفة مؤتمرات وغرفة طعام ومطبخًا وعدة غرف جلوس ومساحة إضافية للموظفين. عندما دخلت، كان الرئيس مستيقظًا بالفعل، يرتدي بنطالًا كاكيًا وقميصًا رسميًا بأزرار، ويعمل على طاولة. كان مارك ميدوز ودان سكافينو أيضًا في الغرفة مرتدين معدات وقائية كاملة. كان ترامب يشعر بالقوة وأراد مناقشة حملته.

لم يكن ترامب ليصاب بمرض كوفيد-19 في وقت أسوأ من هذا. فقبل ثلاثة أيام فقط، في التاسع والعشرين من سبتمبر/أيلول، سافر إلى كليفلاند بولاية أوهايو لحضور المناظرة الرئاسية الأولى في دورة الانتخابات العامة لعام 2020. وقد جرت المناظرة في اليوم التالي ليوم الغفران، وهو أقدس يوم في التقويم اليهودي، لذا فبين ذلك اليوم ورأس السنة اليهودية في الأسبوع السابق، فاتتني جلسات التحضير للمناظرة. ومع ذلك، كنت في الغرفة عندما

وتحدث الرئيس مع المؤرخ الأمريكي والمعلق المحافظ فيكتور ديفيس هانسون.

قال هانسون: "ستكون المناظرة ضد رجل مثل جو أكثر صعوبة مما تتصور. فهو مصاب بالخرف، لذا سيقول إنه كان دائمًا مؤيدًا لموقف ما، وستقاطعه، وتشير إلى أن هذا غير صحيح،"وسوف يقول ""ليس هذا ما أتذكره"" وستكون هذه عبارة صحيحة لأن ذاكرته قد اختفت. سيتعين عليك بذل جهد إضافي حتى لا تبدو وكأنك ترتكب إساءة معاملة كبار السن."

كان تحذير هانسون نبويًا. اعتبر ترامب المناظرة حدثًا نادرًا.كان ترامب قد واجه بعض الصعوبات في المناظرة، حيث كان من الواضح أنه كان لديه فرصة لرسم تباين صارخ مع منافسه الديمقراطي. كما شعر بالإحباط لأن وسائل الإعلام رفضت طرح أي أسئلة صعبة على بايدن أو التدقيق في مواقفه السياسية المثيرة للجدل. لقد خرج بقوة ووضع بايدن على الحبال عندما رفض بايدن أن يقول ما إذا كان يدعم إلغاء تمويل الشرطة، ومرة أخرى عندما سأل ترامب لماذا تلقى نجل بايدن هانتر عشرات الملايين من الدولارات من مصادر صينية وروسية. ومع ذلك، في المرتين، قطع المنسق كريس والاس المحادثة قبل أن يتمكن ترامب من توجيه ضربة قاضية. كان الأمر أشبه بمشاهدة حكم متحيز يفصل بشكل غير عادل بين الملاكمين في منتصف الجولة.

عندما تعافى الرئيس في مستشفى والتر ريد، أدركنا جميعًا أنكان على الحملة أن تنتظر حتى يصبح ترامب قويًا جسديًا وخاليًا من الأمراض للعودة إلى المسار. في غضون ذلك، تحدث مباشرة إلى الأميركيين من خلال وسائل التواصل الاجتماعي لإطلاعهم على تعافيه. في أول مقطع فيديو له من المستشفى، قال ترامب: "لقد أتيت إلى هنا، ولم أكن أشعر بتحسن كبير. أشعر بتحسن كبير الآن". كما أوضح سبب مجازفته بمواصلة حضور الفعاليات أثناء الوباء: "هذه هي أميركا. هذه هي الولايات المتحدة. هذه هي أعظم دولة في العالم. هذه هي أقوى دولة في العالم. لا يمكنني أن أكون مقيدًا".

في غرفة في الطابق العلوي آمنة تمامًا، بصفتك قائدًا، عليك مواجهة

"أعجب بروح وتصميم والد زوجي. كنت أعرفكان يشعر بتحسن عندما طلب إحدى وجباته المفضلة: ماكدونالدز بيج ماك، فيليه سمك، بطاطس مقلية، وميلك شيك فانيليا.

وفي الوقت نفسه، كان أفضل العلماء في أميركا على وشك التوصل إلى لقاح. وكانت كل من فايزر وموديرنا تقتربان من استكمال المرحلة الثالثة والأخيرة من التجارب السريرية. وظهر ألبرت بورلا، الرئيس التنفيذي لشركة فايزر، في برنامج توداي شو على قناة فوكس نيوز. وواجهأمةللإعلان عن ذلك

كان من المفترض أن يكون اللقاح جاهزًا بحلول نهاية أكتوبر. كان استثمار الرئيس في عملية Warp Speed يؤتي ثماره، وكنا في طريقنا للحصول على لقاح قبل الموعد الزمني الطموح الذي توقعناه. كان هذا خبرًا ممتازًا لأمريكا والعالم، لكنه كان غير متوقع لدرجة أنه في حين كان ينبغي الترحيب به باعتباره خبرًا جيدًا، فقد دفع كبار الديمقراطيين إلى اتهامنا بالتسرع في العملية. زعم الكثيرون أنهم سيترددون في تناول لقاح معتمد من إدارة الغذاء والدواء تحت إدارة ترامب. ومن بينهم بايدن: "أنا أثق في اللقاحات. أثق في العلماء، لكنني لا أثق في دونالد ترامب، وفي هذه اللحظة، لا يوجد لقاح".
"الشعب الأمريكي لا يستطيع ذلك أيضًا."

ولكن للأسف، نجحت حملة الضغط الديمقراطية. ففي الوقت الذي كانت فيه شركة فايزر تستعد للإعلان عن استكمال تجربتها في المرحلة الثالثة، غيرت إدارة الغذاء والدواء المبادئ التوجيهية للموافقة. ففي السادس من أكتوبر/تشرين الأول، عدل المنظمون في إدارة الغذاء والدواء معايير السلامة التي أصدروها في يونيو/حزيران، مما أجبر الشركات على الانتظار ثمانية عشر يوما إضافية قبل طلب موافقة إدارة الغذاء والدواء على لقاحاتها عند الانتهاء من التجارب السريرية. وكان هذا التعديل في اللحظة الأخيرة يعني أن شركة فايزر لم تتمكن من تقديم طلبها للحصول على الموافقة إلا بعد الانتخابات. وعندما سأل آدم بوهلر وبراد سميث مفوض إدارة الغذاء والدواء ستيفن هان عن القرار، بدا وكأنه يشير إلى أن إدارة الغذاء والدواء أجرت التغيير لتجنب تصور مفاده أن اللقاح تمت الموافقة عليه لأسباب سياسية.

لقد أدى قرار إدارة الغذاء والدواء إلى تأخير الموافقة على اللقاح لمدة أسبوعين على الأقل، في الوقت الذي كانت فيه موجة جديدة من الحالات تضرب البلاد. خلال هذه الفترة، بلغ متوسط الوفيات بفيروس كورونا في الولايات المتحدة الآلاف يوميًا، وفقد العديد من الأميركيين فرصة تلقي لقاح فعال بنسبة تزيد عن 90 في المائة.

بحلول العاشر من أكتوبر، كانت أعراض ترامب قد اختفت تقريبًا. وأكد الأطباء أنه لم يعد معديًا وسمحوا له باستئناف الفعاليات العامة. في نفس الأسبوع، أعلنت لجنة المناظرات الرئاسية أن المناظرة التالية في الجدول الزمني ستكون افتراضية "من أجل حماية صحة وسلامة جميع المشاركين". لم يكن لهذا القرار أي معنى، وشعر ترامب أنه كان بدافع سياسي: سيشاهد عدد أقل من الأميركيين مناظرة افتراضية، مما لعب دورًا في استراتيجية بايدن في إدارة حملة منخفضة المستوى تتجنب الحديث عما يمثله. رفض الرئيس المشاركة، وأصدرت حملته بيانًا اقترحت فيه تأجيل المناظرتين التاليتين.

أسبوعًا حتى يمكن عقد الاجتماعين شخصيًا، كما هو مخطط له. استولى بايدن علىكان ترامب قد أعلن عن نيته الانسحاب من المناظرة الثانية، وقد أشادت به وسائل الإعلام لفعله هذا. وفي نفس اليوم الذي كان من المقرر أصلاً أن تقام فيه المناظرة الثانية، شارك المرشحان بأمان في قاعات المدينة، مما يثبت عدم وجود أي خطر فعلي. اتصل بي المرشح الجمهوري السابق للرئاسة وعضو مجلس الشيوخ عن ولاية كانساس لفترة طويلة بوب دول، وكان حاد الذهن كما كان دائمًا في سن السابعة والتسعين. لقد اعتقد أن القرار كشف عن تحيز ضد ترامب بين الأعضاء الجمهوريين في لجنة المناظرة. سألته عما إذا كان سيصدر بيانًا، والذي غرد به لاحقًا: "من المفترض أن لجنة المناظرات الرئاسية ثنائية الحزب مع عدد متساوٍ من الجمهوريين والديمقراطيين. أعرف جميع الجمهوريين ومعظمهم من أصدقائي. أنا قلق من أن أياً منهم لا يدعم realDonaldTrump@. إن لجنة المناظرة المتحيزة غير عادلة".

وقد جرت المناظرة النهائية في ناشفيل في الثاني والعشرين من أكتوبر/تشرين الأول. ويستطيع ترامب أن يتكيف ببراعة عندما تدعو الحاجة إلى ذلك. فقد كان يعرف ما ينبغي له أن يفعله، وقد نجح في ذلك: فقد أجاب على الأسئلة بموضوعية، ورد بروح الدعابة، وسمح لبايدن بالاسترسال قبل أن يرد بقوة على الادعاءات الكاذبة في الأماكن الصحيحة بالضبط.

في الأسابيع الثلاثة الأخيرة من الحملة، حقق ترامب تقدمًا كبيرًا، حيث عقدكان ترامب يعقد اجتماعات متتالية في ولايات متأرجحة. وكما فعل في عام 2016، ظل على رسالته، واجتذب حشودًا كبيرة، وأعطى كل ما لديه. تحدث في ثلاث وأربع وحتى خمس فعاليات في اليوم. كان مدير الحملة بيل ستيبين، ورئيسة اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري رونا ماكدانيل، والمدير السياسي للجنة الوطنية للحزب الجمهوري كريس كار يديرون عملية حث الناخبين على التصويت، والتي كانت واحدة من أفضل العمليات في تاريخ الحملات الرئاسية، وكان من الواضح أن ناخبي ترامب كانوا متحمسين. أظهرت استطلاعات الرأي الداخلية لدينا أن ترامب يكتسب زخمًا يومًا بعد يوم - بل ويتفوق على بايدن. ومع ذلك، توقع استطلاع الرأي العام فوز بايدن. أظهر المتوسط الوطني غير المرجح لـ RealClearPolitics تقدم بايدن بمقدار 7.8 نقطة، وتوقع eThirtyEightFiv أن يكون لدى بايدن فرصة 89 في المائة للفوز.

لقد علمنا منذ عام 2016 أن استطلاعات الرأي العام كانت لصالح المرشح الديمقراطي بشكل كبير، مما تسبب في تصورات خاطئة حول الحالة الحقيقية للسباق. ومع ذلك، في عام 2020، واجهنا تحديات إضافية. لقد غيرت العديد من الولايات الديمقراطية قواعد التصويت الخاصة بها أثناء الوباء. وقد أدى هذا إلى إدخال متغيرين جديدين جعلا التنبؤات أكثر صعوبة: كمية التصويت المبكر بالبريد ومستوى مشاركة الناخبين.

لقد كان الإقبال على التصويت في يوم الانتخابات غير مسبوق. كنا نعلم أن عدداً غير مسبوق من الناس أدلوا بأصواتهم مبكراً، وأن العديد من هؤلاء الناخبين كانوا من الديمقراطيين. ولكن ما لم نكن نعرفه هو ما إذا كان الأوان قد فات لتغيير مسار الأمور.

* * *

في صباح يوم الانتخابات ـ الثالث من نوفمبر/تشرين الثاني 2020 ـ كنت أعلم أن النتائج ستكون متقاربة. فقد أقنعتني الطاقة والحماس والزخم الذي شعرنا به في التسلسل الختامي للتجمعات الانتخابية ـ سبعة عشر تجمعا في ثماني ولايات على مدى الأيام الأربعة الأخيرة ـ بأن ترامب لديه فرصة لتحقيق نصر آخر غير محتمل. وفي تلك الليلة حاولت أن أكبح جماح حماسي وأنا أسير إلى غرفة الخرائط في البيت الأبيض، التي حولتها الحملة إلى غرفة حرب مؤقتة. وكانت أجهزة التلفزيون ذات الشاشات المسطحة تصطف على الجدران. وكانت شاشات الكمبيوتر تضخ البيانات من الدوائر الانتخابية في الولايات المتأرجحة. وقام بيل ستيبين، ومارك ميدوز، وجوستين كلارك، وجيسون ميلر، وجاري كوبي، وخبير البيانات في الحملة مات أوكزكوفسكي بتحليل أحدث النتائج. انضم إلينا إيفانكا، ودون جونيور، وإريك، ولورا، وتيفاني، وكيمبرلي جيلفويل لمشاهدة النتائج. وفي الطابق العلوي من المقر التنفيذي، تابع مئات من أقرب أصدقاء الرئيس ومستشاريه والمانحين للحملة التغطية الإعلامية وتذوقوا من مجموعة سخية من الطعام.

في الساعة 11:04 مساءً، ظهر مذيع قناة فوكس نيوز بريت باير على الشاشة مع تنبيه بأخبار عاجلة: "يمكن لمكتب اتخاذ القرار في قناة فوكس نيوز الآن أن يتوقع ذلك"سوف يفوز الرئيس دونالد ترامب بولاية فلوريدا، بتسعة وعشرين صوتًا انتخابيًا، وسوف يفوز بها بشكل مقنع". كان أفضل سيناريو لدينا قد تحقق في ولاية صن شاين، بدعم قوي من كبار السن والأسبان، وفسرنا ذلك على الفور على أنه علامة مواتية لبقية البلاد. كانت الأمور تبدو جيدة أيضًا في أوهايو، وهي ولاية أخرى كان علينا الفوز بها. منذ عام 1964، فاز كل مرشح رئاسي فاز في أوهايو في الانتخابات.

ثم، في الساعة 11:21 مساءً، قاطعت قناة فوكس نيوز حلقة نقاشية بتحديث: مع فرز 73% فقط من الأصوات في ولاية أريزونا، أعلنت الشبكة فوز جو بايدن بالولاية. كان الجمهوريون قد فازوا بالولاية في كل الانتخابات.لقد كان هناك الكثير من التنافس في الانتخابات الرئاسية منذ عام 1996. وقد فاز ترامب بنسبة 3.5 في المائة في عام 2016. كنا نعلم أنه سيكون من الصعب الفوز في عام 2020، لكننا كنا نعتقد أن ولاية أريزونا ستظل حمراء.

وقال باير "إنها مكسب كبير لحملة بايدن". "بايدن يختار "أريزونا تغير الرياضيات."

لقد أدى هذا العرض المذهل إلى توقف زخمنا بشكل مفاجئ. لقد غير على الفور المزاج السائد بين قادة حملتنا، الذين كانوا يكافحون لفهم منهجية الشبكة. لقد شعر الكثيرون أنإن الإعلان المبكر عن النتائج من شأنه أن يشجع الأشخاص الذين كانوا يتطلعون إلى اللعب القذر في فرز الأصوات في الولايات المتأرجحة العالقة.

حتى تلك اللحظة، كان أداء ترامب أفضل حتى مما توقعته نماذجنا في العديد من الولايات الرئيسية التي أعلنت النتائج على الفور. وكان إقبال الناخبين أعلى بكثير من المتوقع، مما يدل على أن عمليتنا البرية الواسعة النطاق نجحت. لقد حشدنا قاعدتنا، وهو ما كان دائمًا عاملًا مهمًا في الانتخابات. لكن خسارة أريزونا من شأنها أن تضيق بشكل كبير طريقنا إلى النصر.

لقد اتصلت بروبرت مردوخ وسألته لماذا اتصلت فوكس نيوز بولاية أريزونا قبل فرز مئات الآلاف من الأصوات. فقال روبرت إنه سينظر في الأمر، وبعد دقائق اتصل بي مرة أخرى وقال: "آسف جاريد، ليس بوسعي أن أفعل أي شيء. تقول هيئة بيانات فوكس نيوز إن الأرقام قاطعة - ويقول إنها لن تكون متقاربة".

كانت حملتنا لديها وجهة نظر مختلفة: بناءً على الأصوات المتبقية التي يتعين فرزها، اعتقدنا أن الأصوات المتبقية في أريزونا ستصب في صالح ترامب وأنها ستكون متقاربة للغاية. ومع ذلك، بعد أريزونا، جاءت أخبار سلبية من ولايات متأرجحة أخرى. على عكس عام 2016، عندما كان من الواضح عدد الأصوات المتبقية التي يتعين على كل دائرة انتخابية فرزها والإبلاغ عنها في غضون ساعات من إغلاق صناديق الاقتراع، كان عام 2020 مليئًا بالشذوذ الانتخابي. في الساعة 1:40 صباحًا، وبعد فرز 93٪ من الأصوات، كان ترامب متمسكًا بخيط رفيع في جورجيا بنسبة 50.7٪، بانخفاض عن تقدمه بنسبة 12.7 نقطة مئوية في وقت سابق من الليل.

وفي تمام الساعة 2:20 صباحا، ألقى ترامب كلمة أمام ضيوفه في الغرفة الشرقية بالبيت الأبيض، وقال: "هذا احتيال على الشعب الأمريكي، إنه إحراج لبلدنا. كنا نستعد للفوز في هذه الانتخابات. وبصراحة، لقد فزنا بالفعل في هذه الانتخابات. لذا فإن هدفنا الآن هو ضمان النزاهة لصالح هذه الأمة".

رن هاتفي بعد بضع دقائق. كان المتصل هو كارل روف، الرجل الذي ساعد جورج دبليو بوش في الفوز في الانتخابات الرئاسية في عام 2000.تاريخ الولايات المتحدة.

وقال "إن خطاب الرئيس خاطئ تماما. إنه سيفوز.

إحصائيًا، لا توجد طريقة يمكن للديمقراطيين من خلالها اللحاق بك الآن"."اتصل بالرئيس وأخبره بذلك" قلت.

في صباح اليوم التالي، ذهبت إلى مقر الحملة في أرلينجتون. وشرح لي ستيبين ومستشار الاتصالات جيسون ميلر البيانات. كانا يعتقدان أن ولاية أريزونا كانت متقاربة للغاية، بالنظر إلى عدد الأصوات المتبقية من الناخبين الجمهوريين المحتملين. ستكون جورجيا متقاربة، لكن بدا الأمر وكأننا في وضع يسمح لنا بالاحتفاظ بالولاية. لا يزال ترامب متقدمًا بنحو 600 ألف صوت في ولاية بنسلفانيا، لكننا استمرينا في الحصول على أرقام رسمية مختلفة لعدد الأصوات المتبقية ليتم احتسابها. إذا سارت هذه الولايات الثلاث في صالحنا، فسيتجاوز ترامب 270 صوتًا انتخابيًا يحتاجها للفوز بإعادة انتخابه. ومع ذلك، لا يمكن لأحد أن يتنبأ بدقة بكيفية توزيع الأصوات المتبقية.

ظلت النتائج غير حاسمة لعدة أيام، لكن الأرقام المحبطة بدأت تتسرب. في اليوم التالي للانتخابات، أعلنت وكالة أسوشيتد برس فوز بايدن في ولايتي ميشيغان وويسكونسن. في أريزونا، كان ترامب يتقدم ببطء بينما استمر المسؤولون في فرز الأصوات، لكنه لا يزال متأخرًا. بحلول يوم الجمعة، كانت جورجيا لا تزال قريبة جدًا من الحسم. مع أكثر من ثمانية آلاف صوتوبعد فرز الأصوات المتبقية، تقدم بايدن بنحو أربعة آلاف صوت. وفي صباح السبت، أعلنت وكالة أسوشيتد برس فوز بايدن في ولاية بنسلفانيا، مما منحه أكثر من الأصوات الانتخابية الكافية للفوز بالرئاسة إذا صمدت النتائج في الولايات الأخرى.

في النهاية، بعد فرز ما يقرب من 158.4 مليون صوت، جاءت النتيجة النهائية للانتخابات أقل من 42918 صوتًا في ثلاث ولايات - 20682 صوتًا.في ويسكونسن، 10,457 في أريزونا، و11,779 في جورجيا.59

لقد حصل ترامب على أكثر من أربعة وسبعين مليون صوت - وهو عدد أكبر من الأصوات من أي رئيس آخر في تاريخ أمريكا. لقد فعل ذلك في خضم جائحة كوفيد-19، والتي يمكن القول إنها أعظم أزمة عالمية منذ الحرب العالمية الثانية. وعلى الرغم من هذا التحدي، حقق ترامب تقدمًا لا يصدق مع الناخبين الأمريكيين من أصل أفريقي واللاتينيين. لقد تفوق على توقعات كل استطلاعات الرأي الرئيسية تقريبًا. وكما كتب المستشار السياسي الديمقراطي ديفيد شور في تشريحه لانتخابات عام 2020، "عندما تبين أن استطلاعات الرأي خاطئة - واتضح أن ترامب أقوى بكثير من المتوقع - استنتج الكثير من الناس أن نماذج الإقبال يجب أن تكون خاطئة، لم يتجاوز ترامب التوقعات من خلال إلهام الناخبين من أصل أفريقي واللاتينيين.

كان الإقبال على التصويت من جانب الجمهوريين أعلى من المتوقع. لقد تجاوزهم في الغالب"من خلال الإقناع. لقد غير الكثير من الناخبين آراءهم بين عامي 2016 و2020."

وفي الأيام التي أعقبت الانتخابات، شاركت في العديد من المناقشات حول كيفية التحقيق في العديد من الادعاءات الواردة بشأن تزوير الانتخابات.

كنت لا أزال أحاول تطوير فهم للقضايا عندما قال روديطلب جولياني من الرئيس أن يوكل إليه مهمة التحقيق. لم يكن الرئيس مستعداً لاتخاذ قرار في البداية، لكن جولياني أصر على ذلك. واستشهد بخبرته في وزارة العدل، وقال: "أنا أعرف كيف أدير مثل هذه التحقيقات. وسأثبت الاحتيال إذا كلفتموني بمهمة التحقيق".

بعد يومين من الانتخابات، ثبتت إصابة مارك ميدوز بفيروس كورونا. كنت على اتصال وثيق بميدوز لفترة طويلة من الزمن وبدأت أشعر بالمرض.

عندما بدأت أفقد حاسة التذوق، قررت أنا وإيفانكا الحجر الصحي في نيوجيرسي. وبحلول الوقت الذي عدت فيه إلى البيت الأبيض من الحجر الصحي، كان الرئيس قد عيَّن جولياني وفريقه من المحامين لقيادة الجهود.

أناناقشت الموقف مع إريك هيرشمان، وهو محامي موهوب في المحاكمات ترك خلفه

في عام 2020، انضممت إلى فريق عمل البيت الأبيض في إحدى شركات المحاماة الكبرى. أخبرته أن يراقب التطورات بينما أركز على جهودي في مجال السلام في الشرق الأوسط وعملية Warp Speed. مثل ملايين الأشخاص،

أيها الأميركيون، لقد خاب أملي بنتيجة الانتخابات. ومع ذلك، كنتفخور بكل ما حققناه خلال السنوات الأربع الماضية. والآن، مع الوقت الثمين المتبقي على مدار الساعة، كنت عازمًا على الاستفادة القصوى من كل دقيقة متبقية.

{56}

هبوط الطائرات على حاملة الطائرات

إذا كان الوقت الذي قضيته في واشنطن قد علمني أي شيء، فهو أن الظروف الصعبة يمكن أن تؤدي إلى فرص غير متوقعة. لم أكن لأتخيل أبدًا أن العلاقة المثيرة للجدال بين الرئيس وشركات التكنولوجيا أنا الكبرى ستمهد الطريق لرئاسة أخرى.

اتفاقية السلام، ولكن هذا هو ما حدث بالضبط.

خلال جلسة البطة العرجاء التي أعقبت انتخابات الثالث من نوفمبر،كان الكونجرس يستعد لتمرير مشروع قانون سنوي لتفويض تمويل الجيش. وكان قانون تفويض الدفاع الوطني عبارة عن حزمة ضخمة بقيمة 700 مليار دولار. وكان تمريره عادة أمرًا غير مثير للجدل وغير حزبي. وكان هذا هو الحال خلال السنوات الثلاث الأولى من ولاية ترامب، حيث استجاب الكونجرس بشكل إيجابي لطلبات ترامب بإعادة بناء الجيش وإنشاء قوة فضاء أمريكية جديدة، من بين أولويات أخرى. ومع اقتراب نسخة 2020 من مشروع القانون من مكتبه، قرر ترامب استخدامه كوسيلة ضغط للقتال من أجل التغيير الذي يعتقد أنه سيحمي ديمقراطيتنا.

منذ أن اتخذت تويتر وفيسبوك الخطوة غير المسبوقة لفرض الرقابة على المحافظين، بما في ذلك الرئيس، خلال الصيف، هدد ترامب باتخاذ إجراءات ضد شركات التكنولوجيا لانتهاكها حرية التعبير للأميركيين. كان يعتقد أن منصات التواصل الاجتماعي لعبت دورًا محوريًا في تسهيل الخطاب العام، وأنها أساءت استخدام سلطتها عندما فرضت الرقابة على الأشخاص الذين لم يفعلوا شيئًا.

ولكن هذه الشركات العملاقة لا تتبنى أفكاراً سياسية محافظة أو غير تقليدية. ومع ذلك، فقد صدر قانون في وقت كان الناس فيه لا يزالون يستخدمون أجهزة المودم الهاتفية والأقراص المرنة، الأمر الذي حمى هذه الشركات الضخمة من الدعاوى القضائية. وتساءل ترامب عن السبب وراء هذا.

وأصر على أن القانون، المادة 230 من قانون آداب الاتصالات، معتقدًا أن الرقابة على وسائل التواصل الاجتماعي تشكل "تهديدًا خطيرًا لأمننا القومي وسلامة الانتخابات". وأصر على تضمين بند لإنهاءالقسم 230 من قانون الدفاع الوطني.

وعندما سألت مارك ميدوز عما إذا كان الكونجرس سوف يعدل القانون، قال إنه من غير المرجح: "إن إينهوف لن يتزحزح عن موقفه". وكان جيم إينهوف، رئيس لجنة الخدمات المسلحة بمجلس الشيوخ، يتمتع بسلطة هائلة في تحديد الأحكام التي سوف تصبح جزءاً من القانون.
قانون الدفاع الوطني.

قلت لميدوز: "فقط افعل لي معروفًا صغيرًا. تأكد من أن الرئيس يعرف أن إينهوف هو الذي يعرقل هذا الأمر، وهو السبب وراء عدم التوصل إلى اتفاق سلام مع المغرب".

قبل ستة أشهر، ناقش الرئيس قضية الصحراء الغربية مع إينهوف، الذي توسل إليه ألا يغير السياسة الأميركية. فبالنسبة للمغاربة، كانت مطالبهم القديمة بالصحراء الغربية مسألة تتعلق بالسيادة الإقليمية والأمن القومي. وإذا حصل المغرب على اعتراف الولايات المتحدة بالمنطقة، فسيكون من الأكثر معقولية بالنسبة للدولة العربية أن تتجاوز حدودها وتطبع العلاقات مع إسرائيل. وكان إينهوف حليفاً فعالاً في مجلس الشيوخ وعمل مع إدارتنا على العديد من أولويات الأمن القومي. ومع ذلك، فقد تمسك لفترة طويلة بموقف مفاده أن الولايات المتحدة يجب أن تدعم رغبة جبهة البوليساريو في إجراء استفتاء على تقرير المصير في الصحراء الغربية. وعلى الرغم من تقدير ترامب لما قد يعنيه هذا الاختراق للعلاقات الإسرائيلية العربية، إلا أنه أخبر إينهوف في وقت سابق أنه لن يمضي قدماً في الاعتراف. ولكن الآن بعد أن عرقل السيناتور بند المادة 230، أصبح ترامب أقل قلقاً بشأن معارضة السيناتور. وقد خلق هذا فرصة غير متوقعة لنا لإعادة النظر في القضية مع الرئيس.

لقد طلبت من آفي الاتصال بوزير خارجية المغرب ناصر بوريطة لمعرفة ما إذا كانت بلاده ستظل ملتزمة بشروط اتفاق السلام الذي ناقشناه قبل ستة أشهر. لقد كان بوريطة دبلوماسيًا ماهرًا، وكان يمتلك مخزونًا عميقًا من المعرفة حول القضايا، والتي كان يقرنها بذكائه الواسع وعقله الإبداعي. لقد كان دائمًا يقدم لنا ردود فعل صادقة. أخبر آفي بوريطة أن الأمر كان مستبعدًا، لكننا أردنا أن نعرف ما إذا كان المغاربة مستعدين وراغبين في التحرك بسرعة. بعد الاستفسار من الملك، أكد بوريطة أنهم على استعداد للتحرك بسرعة.

لم يكن لدينا مجال كبير للخطأ. كان خطأ واحد أو تعليق غير مناسبإن أي اتفاق مع إسرائيل من شأنه أن يغرق أي صفقة في اللحظة الأخيرة. وإذا تسربت أنباء عن أننا على وشك التوصل إلى اتفاق، فقد يتجمع أعداء التطبيع ويفشلون مبادرتنا. وللتخفيف من المخاطر - وتجنب التقدم على الرئيس - لم نخبر أي مسؤول إسرائيلي بالصفقة المحتملة. وعلى عكس الاتفاق مع الإمارات العربية المتحدة، لن تحتاج إسرائيل إلى تقديم أي تنازلات. كل ما يتعين على بيبي فعله هو قبول العرض، وهو ما يصب بوضوح في مصلحة إسرائيل الوطنية. مليون يهودي من أصل مغربي، والتطبيع من شأنه أن يسهل على العائلات الإسرائيلية إعادة الاتصال بالأقارب وزيارة المواقع الأثرية.

في أوائل ديسمبر/كانون الأول، استمرت مفاوضات قانون الدفاع الوطني، ولكن دون التوصل إلى حل بشأن قضية المادة 230. وبصفته كبير المفاوضين للرئيس بشأن مشروع القانون، حث ميدوز إينهوف على تضمين طلب ترامب. وفي كل صباح، كان آفي يتسلل بحذر إلى مكتب ميدوز لمعرفة ما إذا كان هناك تحديث. ووصل الأمر إلى حد أنه في كل مرة يلتقي فيها ميدوز وآفي، كان يضحك ويقول: "ليس لدي تحديث بعد، لكنني سأخبرك بمجرد أن أحصل عليه!"

عندما أصدر المفاوضون في مجلس النواب والشيوخ نسختهم النهائية من قانون تفويض الدفاع الوطني في الثالث من ديسمبر/كانون الأول، لم يتضمن القانون بند المادة 230،وبعد فترة وجيزة، قدم ميدوز لترامب إعلانًا رئاسيًا كنا قد صغناه للاعتراف بسيادة المغرب على الصحراء الغربية. وبعد التأكد من أن التفاصيل كانت متوافقة مع مناقشاتنا السابقة، وقع ترامب على الوثيقة، وحددنا موعدًا لإجراء مكالمة هاتفية معه للتحدث مع الملك محمد السادس في العاشر من ديسمبر/كانون الأول، في اليوم التالي.

وفي تلك الليلة، خلال حفل الاستقبال السنوي لعيد الحانوكا في البيت الأبيض، استدعى آفي السفير الإسرائيلي رون ديرمر جانباً وأبلغه بذلك.

"لدينا مفاجأة أخرى"، بدأ. "غدا سيعترف الرئيس بسيادة المغرب على الصحراء الغربية، والمملكة ستعلن استعدادها للتطبيع مع إسرائيل".

أبدى ديرمر دهشته وعلق قائلاً إن التوصل إلى صفقة مثل هذه في فترة البطة العرجاء ربما كان ليكون أكثر إثارة للإعجاب من الاتفاقيات السابقة.

وفي صباح اليوم التالي، وبعد أن تحدث ترامب مع الملك محمد، أعلن قرار المغرب التطبيع الكامل مع إسرائيل في سلسلة من التغريدات:

"اليوم، وقعت على إعلان يعترف بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية. إن اقتراح الحكم الذاتي المغربي الجاد والموثوق والواقعي هو الأساس الوحيد لحل عادل ودائم من أجل السلام الدائم والازدهار!" "اختراق تاريخي آخر اليوم! لقد اتفق صديقانا العظيمان إسرائيل والمملكة المغربية على إقامة علاقات دبلوماسية كاملة - وهو اختراق هائل من أجل السلام في الشرق الأوسط!"

"لقد اعترف المغرب بالولايات المتحدة في عام 1777. ومن المناسب أن نعترف بسيادتها على الصحراء الغربية".

وترددت أصداء هذه الأخبار في مختلف أنحاء الشرق الأوسط. فقد غرد محمد بن زايد، ولي عهد الإمارات العربية المتحدة، قائلا: "إن هذه الخطوة السيادية تساهم في تعزيز مساعينا المشتركة لتحقيق الاستقرار والازدهار والسلام العادل والدائم في المنطقة". وأشاد الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي بالإعلان باعتباره "خطوة مهمة نحو مزيد من الاستقرار والتعاون الإقليمي".

لم أصدق أننا نجحنا في إبرام اتفاقية سلام أخرى. كان إبرام هذه الاتفاقية أشبه بمحاولة هبوط طائرة على حاملة طائرات في خضم عاصفة: كان علينا أن نمر عبر العديد من المتغيرات التي لا يمكن السيطرة عليها، وأن نطير بالسرعة المناسبة، ونأمل أن نصل إلى مدرج المطار في اللحظة المناسبة تمامًا. وبشكل شبه معجزة، تمكنا من الوصول إلى المدرج.

ولكن كانت هناك طائرات أخرى عديدة لا تزال في الجو، وكان لزاماً علينا أن نهبط بها في تتابع سريع قبل انتهاء الوقت المخصص لنا. وفي نوفمبر/تشرين الثاني، بعد أن قررنا بيع طائرة الشبح المقاتلة إف-35 للإمارات العربية المتحدة، ظهرت مشكلة: فقد قدم السيناتور الجمهوري راند بول والسيناتوران الديمقراطيان بوب مينينديز وكريس مورفي مشروع قانون لمنع بيع الأسلحة. وكان لبول تاريخ في الاعتراض على المبيعات العسكرية الأميركية الخارجية، ولكن مينينديز ومورفي كان لديهما سبب مختلف. فقد زعما أننا ارتكبنا خطأً فادحاً بعدم الموافقة غير الرسمية على الصفقة مع لجنة العلاقات الخارجية قبل الإعلان عنها.

في حين أن الرئيس سوف يستخدم حق النقض ضد أي قرار للكونجرس يمنع البيع - ولن يتمتع مجلس الشيوخ بأغلبية الثلثين اللازمةكان من المفترض أن يتغلب ترامب على الفيتو - فالعرض العلني للمعارضة من شأنه أن يحرج الإماراتيين ويثير المخاوف بشأن علاقتهم بزعماء الحزب الديمقراطي قبل تولي بايدن الرئاسة مباشرة. كان هذا تطورًا غير مرغوب فيه، وقد يعرض اتفاقيات إبراهيم للخطر في مهدها. عملت أنا وأفي مع بومبيو، الإمارات العربية المتحدة

في عام 2011، اتصل السفير يوسف العتيبة والسفير الإسرائيلي رون ديرمر بكل عضو في مجلس الشيوخ تقريبًا، وشرحوا أهمية البيع العسكري، والإجابة على أسئلتهم. وقال ديرمر للصحافيين إن إسرائيل "مرتاحة للغاية" بشأن البيع ووصف الإمارات بأنها "حليفة في مواجهة إيران". في النهاية، قرر معظم أعضاء مجلس الشيوخ أن البيع من شأنه أن يميل ميزان القوى الإقليمي ضد إيران دون المساس بأمن إسرائيل. كما فهموا أنه في غياب صفقتنا، من المرجح أن تشتري الإمارات أسلحة من الصين أو روسيا. كان من مصلحتنا بوضوح إبقاء الإماراتيين في فلك أمريكا.

وبعد نقاش مكثف، رفض مجلس الشيوخ التشريع.باستثناء بول، صوت كل الجمهوريين الحاضرين معنا. وبعد التصويت، اتصل بنا يوسف ليعرب عن شكره. وقال: "لقد كنتم على حق. ديرمر موهوب حقًا. إنها تجربة مختلفة تمامًا عندما يكون إلى جانبك".

وفي الوقت نفسه تقريبًا، ظهرت قضية أخرى بارزة. ففي أغسطس/آب، قال وزير في الحكومة السودانية في تغريدة على تويتر إن بلاده يجب أن تطبع العلاقات مع إسرائيل. ولكن للأسف، حذف الوزير تغريدته وطُرد من منصبه.

لقد رأينا الحادث مشجعًا - أو على الأقل يستحق المتابعة. قام وزير الخارجية بومبيو برحلة خاصة إلى السودان، وهي دولة عربية في شمال إفريقيا. وفي اجتماعه مع زعماء الفصائل الحاكمة في السودان، أكد إمكانية انفتاح السودان على الانضمام إلى اتفاقيات إبراهيم. لكن أولاً، أراد السودانيون حل العديد من القضايا. كان طلبهم الأكثر إلحاحًا هو إزالتهم من قائمة الدول الراعية للإرهاب في أمريكا. إن وجود السودان على تلك القائمة يمنعه من تلقي المساعدات من الولايات المتحدة ويضعه في فئة مع الجهات الفاعلة السيئة مثل إيران وكوريا الشمالية وسوريا. لقد اكتسبت السودان مكانها في القائمة لدعمها لحماس وتوفير ملاذ آمن لأسامة بن لادن ورفاقه من إرهابيي القاعدة، الذين عملوا من داخل السودان لتنسيق التفجيرات القاتلة لسفارتي الولايات المتحدة في كينيا وتنزانيا في عام 1998 ويو إس إس كول في عام 2000. ولكن في عام 2019، أطاحت البلاد بدكتاتورها الوحشي عمر البشير، الذي حكم لأكثر من ثلاثة عقود وارتكب فظائع ضد الشعب السوداني. كانت الحكومة الانتقالية تتجه نحو الديمقراطية. وفي مقابل الإزالة من القائمة، وافقت السودان على دفع حكم قضائي بقيمة 335 مليون دولار لضحايا تفجيرات عامي 1998 و2000. كما وافقت على التطبيع مع إسرائيل.

ولم تكن لدينا أية أوهام بشأن الحالة المضطربة في السودان، لكننا رأينا أن مصلحة البلاد تمثل وسيلة للولايات المتحدة لمنحها فرصة لرسم مسار جديد.

في كثير من الأحيان، نسمح في الدبلوماسية بوقوع خطايا الماضي لمنع فرص التغيير. كما أن إقناع السودان بالانضمام إلى اتفاقيات إبراهيم كان يحمل قيمة رمزية.

في عام 1967، وبعد انتصار إسرائيل في حرب الأيام الستة، انعقدت جامعة الدول العربية في العاصمة السودانية وأقرت قرار الخرطوم سيئ السمعة.

وقد أعلنت هذه الوثيقة البغيضة "اللاءات الثلاث": لا سلام

مع اسرائيل،لا اعتراف بإسرائيل، ولا مفاوضات مع إسرائيل.

والآن أصبحت السودان مستعدة أخيرا لاسترداد أموالها.ماضي.

بعد جهد دبلوماسي مكثف، توصلت الولايات المتحدة وإسرائيل والسودان إلى اتفاق بشأنوفي أكتوبر/تشرين الأول، أصدر السودان وإسرائيل بيانًا مشتركًا جاء فيه: "اتفق الزعيمان على تطبيع العلاقات بين السودان وإسرائيل وإنهاء حالة العداء بين بلديهما". وأشار البيان إلى أن البلدين سيبدآن علاقات اقتصادية وسيلتقيان في الأسابيع المقبلة للتفاوض على مجالات التعاون المحتملة.

لكن في شهر ديسمبر/كانون الأول، ظهرت قضية أخرى.

أرادت السودان من الولايات المتحدة أن تمنح بلادها الحصانة السيادية، وإعفاء قيادتها الجديدة من المسؤولية القانونية عن الأفعال التي ارتكبتها في عهد الدكتاتور السابق عمر البشير. ولتحقيق هذه الغاية، كنا في حاجة إلى موافقة تشريعية.

وقد منح الكونجرس السودان الحصانة السيادية في مشروع قانون الإنفاق في نهاية العام، والذي وقعه ترامب في 27 ديسمبر/كانون الأول. وقد أدى هذا إلى تأكيد مشاركة السودان في اتفاقيات إبراهيم واستمرار التحول الإيجابي في الشرق الأوسط.

الدبلوماسية عمل هش، فكل ما يتم القيام به قد يصبح فجأة غير مجدٍ.لقد تم ذلك. ربما بدت القضايا الثلاث التي تناولناها بعد الانتخابات - الاعتراف بالصحراء الغربية، وبيع طائرات إف-35 للإمارات العربية المتحدة، والحصانة السيادية للسودان - وكأنها نقاط خلاف بسيطة نسبيًا. ومع ذلك، فإن السلام ليس قطعة من الرق. إنها عملية تتطلب اهتمامًا مستمرًا وثقة مستمرة، وهي الأكثر هشاشة في البداية. كانت هذه هي اللحظة المناسبة لإثبات أن الولايات المتحدة شريك موثوق به، وأن اتفاقيات إبراهيم كانت التزامًا صارمًا.

{57}

العفو، وفايزر، والسلام

مع اقتراب واجباتي الرسمية من نهايتها، استعدت أنا وإيفانكا للانتقال الشخصي. بعد أربع سنوات من العمل بدوام كامل،كل يوم، كنت متحمسة لإجراء بعض التعديلات على حياتي. وكان على رأس قائمتي أن أكون أكثر حضورًا مع أطفالي الثلاثة.

كنت أرغب أيضًا في العودة إلى مراعاة السبت بشكل كامل في أمسيات الجمعة عند غروب الشمس - وهي ممارسة أسبوعية اعتززتها أنا وإيفانكا قبل دخول الخدمة الحكومية.

في يوم الجمعة الموافق 18 ديسمبر/كانون الأول، كنت آمل أن أعود إلى المنزل في الوقت المناسب لإضاءة شموع السبت مع أطفالي ـ لكن اليوم كان مليئا بالنشاط. وفي الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم، انضممت إلى مؤتمر هاتفي أسبوعي مع مجلس إدارة عملية السرعة الفائقة. وكانت إدارة الغذاء والدواء قد وافقت على استخدام لقاح فايزر المضاد لكوفيد-19 في الأسبوع السابق، والآن وافقت على لقاح موديرنا. وقد قدم برنامجنا لقاحين آمنين وفعالين في غضون عشرة أشهر ـ أسرع بعام كامل مما توقعه العديد من الخبراء. وكان الجهد غير المسبوق في مجال اللقاح على استعداد لإنقاذ مئات الآلاف من الأرواح، بدءا من الآن. وبفضل تخطيطنا الدقيق واستثماراتنا الكبيرة في التصنيع، شحنت الحكومة ملايين الجرعات من اللقاح إلى جميع الولايات الخمسين وكل إقليم في الولايات المتحدة في غضون أربع وعشرين ساعة من موافقة إدارة الغذاء والدواء.

في المكالمة الجماعية في ذلك الصباح، كانت النقطة الأساسية للمناقشةكانت شركة فايزر هي الشركة الوحيدة التي اشترت مائة مليون جرعة من لقاح فايزر في يوليو/تموز، في انتظار موافقة إدارة الغذاء والدواء الطارئة.

1.95 مليار دولار. ورغم أن الشركة قبلت المال، إلا أنها رفضته.لقد عرضنا استخدام سلطات قانون الإنتاج الدفاعي للمساعدة في تسريع الإنتاج. يبدو أن شركة فايزر لم ترغب في الكشف عن عدد الجرعات التي كانت تبيعها إلى دول أخرى، وهو ما كان مطلوبًا بموجب قانون الإنتاج الدفاعي. ومع ذلك، منذ ذلك الحين، واجهت شركة الأدوية العملاقة صعوبات في الحصول على موافقة من الحكومة.

للحصول على المواد الخام التي تحتاجها وتأخرت في إنتاجهاكانت شركة فايزر قد وعدت بتقديم عشرين مليون جرعة أولى بحلول شهر نوفمبر وعشرين مليون جرعة أخرى في ديسمبر. لكن الشركة نفدت في نوفمبر دون تسليم جرعة واحدة، وكانت في طريقها إلى تسليم نصف الجرعات الموعودة فقط بحلول نهاية العام. ونتيجة لذلك، تزايدت التوترات بين فايزر والإدارة.

بعد حصول لقاح فايزر على موافقة إدارة الغذاء والدواء في ديسمبر/كانون الأول، أطلق وزير الصحة والخدمات الإنسانية أليكس عازار مفاوضات مع الرئيس التنفيذي لشركة فايزر ألبرت بورلا لشراء مائة مليون جرعة إضافية في عام 2021. ومع ذلك، وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود. عرضت الاتصال ببورلا لحل القضايا المفتوحة والتأكد من أن الاتفاق يتضمن جدول إنتاج أسرع. كنت أعتقد أنه بدعم من الحكومة الفيدرالية، يمكن لشركة فايزر إنتاج الجرعات بسرعة أكبر مما توقعته الشركة - وعندما حدث ذلك، أردت التأكد من حصول الولايات المتحدة على الجرعات الإضافية قبل الدول الأخرى. بالنسبة للعديد من الأميركيين، قد يعني هذا الفرق بين الحياة والموت.

كان من المفترض أن أنضم إلى الرئيس في حوالي الساعة 2:30 مساءً لحضور اجتماعلقد كان من المقرر عقد الاجتماع في الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر - قبل عشرين دقيقة من غروب الشمس. وكما حدث في العديد من أيام الجمعة، فقد وضعت جانباً مراسمي الدينية لأقوم بواجباتي الحكومية. ولم يكن بوسعي أن أبرر العودة إلى المنزل مبكراً للصلاة عندما أتيحت لي الفرصة للدفاع عن الناس الذين كانوا ليظلوا مسجونين ظلماً لولا ذلك.

العفو هو أحد أكثر الصلاحيات المهيبة الممنوحة للرئيس، وعندما مارسها، أخذ ترامب أشخاصًا كانوا ليقضوا بقية حياتهم في السجن ومنحهم فرصة ثانية للحياة. وكلما تعرض ترامب للاضطهاد من خلال التحقيقات الحزبية، زاد إدانته للظلم الذي يرتكبه المدعون العامون المتحمسون وأراد مساعدة الآخرين الذين عوملوا بشكل غير عادل. لقد أحببت مشاهدة الطريقة التي ينغمس بها في تفاصيل كل حالة كما لو لم يكن لديه أي مسؤوليات أخرى في العالم: لقد درس الحقائق، واستدعى المحامين والدعاة لسماعهم مباشرة، ووزن جميع المتغيرات. عندما دخلت المكتب البيضاوي، كان مستشار البيت الأبيض بات سيبولوني ومحاميه الرئيسي في العفو، ديدري إليوت، جالسين بالفعل. في البيت الأبيض في عهد ترامب، عملوا كخط اتصال رئيسي بوزارة العدل. لقد جمعوا المعلومات حول كل قضية.

وقد قامت اللجنة بدراسة مقترحات العفو المحتملة وعرضها على الرئيس حتى يتمكن من اتخاذ القرارات على أساس كل الحقائق.

وبعد فترة وجيزة من بدء المناقشة، قالت مولي مايكل، المساعدة التنفيذيةفي ذلك اليوم، دخل الرئيس إلى المكتب البيضاوي وسلمني ملاحظة: ألبرت بورلا هو المتصل. نادرًا ما كنت أخرج من اجتماعات المكتب البيضاوي، لكنني استثنيت ذلك وتلقيت المكالمة من هاتفي المحمول بينما كنت أتجول في غرفة مجلس الوزراء. بعد أن تبادلنا المجاملات، أوضح بورلا أنه قبل أن نتمكن حتى من التحدث عن تسريع تسليم اللقاحات، كانت لديه مشكلة مع بند الإنهاء في العقد.

"قلت، """هذا البند هو المعيار في العقود الحكومية، وعادةً ما يكونوأود أن أعدك بأنني سأحافظ شخصيًا على اتفاقنا، ولكن بما أنني لن أكون موظفًا حكوميًا بعد الآن عندما يكون هذا مهمًا، دعني أرى ما يمكنني فعله.

بعد إغلاق الهاتف، كنت أتنقل بين البيضاوي والفي غرفة مجلس الوزراء، كنت أجري مكالمات بشأن اللقاحات وأحاول الضغط من أجل إصدار عفو. كنت أتأرجح بين قضيتين تتعلقان بالحياة أو الموت.

بحلول الوقت الذي غادرت فيه الجناح الغربي، كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة والنصف مساءً. وعندما عدت إلى المنزل، كان ابني الأصغر ثيو نائمًا بالفعل، لكن أرابيلا وجوزيف كانا لا يزالان مستيقظين، يقرآن الكتب مع إيفانكا. كانت قد أشعلت الشموع وأطعمت الأطفال في وقت سابق، وغنينا نحن الأربعة ترنيمتي السبت المعتادتين وقلنا البركة على الخمر والخبز اليهودي. ثم وضعت إيفانكا وأنا الأطفال في الفراش ثم جلسنا لتناول وجبة السبت.

"لا أعتقد أننا سنحظى بفترة التهدئة التي كنا نأملها"، قلت. "لقد مرت خمس سنوات صعبة، ولكن في غضون ثلاثين يومًا، ستكون مسؤولياتنا أقل كثيرًا وسنستعيد حياتنا. أنا مستعد. علينا فقط أن نواصل العمل بجد لمدة ثلاثين يومًا أخرى".

بمجرد أن نطقت بهذه الكلمات، تذكرت تدريباتي على الماراثون في المدرسة الثانوية وكيف كان والدي يدفعني دائمًا إلى اكتساب القوة التي لم أكن أعلم أنني أمتلكها لزيادة السرعة في المرحلة الأخيرة من السباق. كنت أعلم أنني لن أسمح لنفسي بفعل أي شيء أقل من المضي قدمًا حتى النهاية.

في ذلك السبت، ذهبت أنا وإيفانكا للركض في حديقة روك كريك.كان يومًا باردًا من شهر ديسمبر، لكننا استمتعنا بفرصة الركض في واشنطن في إحدى المرات الأخيرة قبل انتهاء خدمتنا. عندما عدت إلى المنزل، تحدثت إلى بورلا، الذي كان مثلي في نزهة لتصفية ذهنه. اتفقنا على حل وسط لحل الخلافات العالقة.

القضايا القانونية، وتعهد بمراجعة خطته التصنيعية ومعرفة كيفية تسريع إنتاج مائة مليون جرعة أخرى.

وفي يوم الاثنين التالي، الحادي والعشرين من ديسمبر/كانون الأول، غادرت إلى إسرائيل برفقة آفي. وكان في استقبالي السفير ديفيد فريدمان، وآدم بوهلر، والجنرال ميغيل كوربين.انضمت إلينا ريا. كانت هذه رحلتنا الأخيرة إلى الدولة اليهودية قبل نهاية ولايتنا. باتباع الدليل الذي استخدمناه للإمارات العربية المتحدة والرحلة اللاحقة إلى البحرين، حددنا أول رحلة تجارية على الإطلاق من إسرائيل إلى المغرب. على الرغم من أن المغرب أعلن أنه سيطبع العلاقات مع إسرائيل في 10 ديسمبر، إلا أن البلدين لا يزالان بحاجة إلى توقيع اتفاقية. لقد تعلمت من تجاربي مع الإمارات العربية المتحدة والبحرين أنه إذا لم نتخذ المبادرة، فقد لا يحدث التوقيع لعدة أشهر، إن حدث على الإطلاق. مع بقاء أقل من ثلاثين يومًا في ولاية ترامب، لم نتمكن من تحمل إطالة العملية، لذلك عملت أنا وأفي على تنظيم وتقديم كلا الطرفين، وحل القضايا النهائية، وجدولة أول رحلة قبل نهاية الشهر.

عند وصولنا إلى إسرائيل، تم اصطحابنا إلى بستان الأمم لحضور حدث أضيف إلى جدول أعمالي في اللحظة الأخيرة كإضافة مفاجئة. يقع البستان في غابة القدس، وهو موطن لعشرات أشجار الزيتون التي زرعها رؤساء الدول كرمز لوعد السلام في الشرق الأوسط. تقليديا، تدعو إسرائيل القادة الزائرين لزراعة شجرة زيتون واحدة. لكن بيبي قرر افتتاح حديقة كوشنر للسلام بثمانية عشر شجرة زيتون لإحياء ذكرى التحول الفريد وغير المسبوق الذي جلبناه إلى المنطقة. عندما وصلنا إلى غابة الصنوبر في تلال يهودا، دخلنا خيمة بيضاء أقامها الإسرائيليون لهذا الحدث، وصعد بيبي على المسرح المؤقت:

"من المناسب أن نختار تكريم جاريد كوشنر بهذه الطريقة، لأنك يا جاريد لعبت دورًا حاسمًا في إنشاء وتنفيذ اتفاقيات إبراهيم في زرع بذور السلام بين إسرائيل وإسرائيل".

"إن وجود حديقة السلام كحضور دائم في بستان الأمم هذا، سوف يضمن أن الأجيال القادمة سوف تعرف ما هي مساهمتكم. وأنا شخصياً أود أن أعرب عن عميق عاطفتي وتقديري لحقيقة أن المراهق الشاب الذي التقيت به منذ سنوات عديدة، في الواقع في منزلك، في غرفتك، قد نشأ ليصبح رجلاً ذا مكانة عالية ساعد في تغيير تاريخ منطقتنا وتاريخ إسرائيل".

وبينما كنت أنا وبيبي نجرف التراب فوق جذور الشتلة الأولى، همست في أذن رئيس الوزراء بنكتة: "الإسرائيليون وحدهم قادرون على تكليف شخص ما بأعمال تنسيق الحدائق مجاناً مع تكريمهم". فضحكت بيبي. لم أكن معتادة على أن أكون مركز الاهتمام، ولكنني تأثرت بكرم بيبي وشعرت بالامتنان للاعتراف العلني بحديقة ستظل شاهداً حياً على السلام الناشئ في المنطقة.

ومن هناك، توجهنا بالسيارة إلى السفارة الأميركية في القدس، حيث حصل السفير فريدمان على إذن خاص بتخصيص الساحة لتكريمي. وقال فريدمان بروح الدعابة: "على عكس العديد من مبادراتي الأخرى، فإن هذه المبادرة صريحة ومسموعة. لقد حصلت على جميع الموافقات، بما في ذلك من محامي وزارة الخارجية ووزير الخارجية بومبيو". وكان هناك لوحة برونزية معلقة في الساحة كتب عليها: "ساحة كوشنر: مخصصة لتكريم جاريد كوشنر ومستوحاة من سعيه الدؤوب لتحقيق السلام". وقال لي إن هذه كانت واحدة من المرات القليلة في تاريخ وزارة الخارجية التي حصل فيها مسؤول حكومي أميركي على مثل هذا التكريم.

وبعد احتفال قصير، عدنا إلى أعمالنا المعتادة في المفاوضات. وكانت إحدى نقاط الخلاف الأخيرة بين إسرائيل والمغرب تتعلق بإنشاء سفارة. فقد أرادت إسرائيل أن يفتح المغرب سفارة، وأراد المغرب أن يبدأ علاقة جديدة من خلال مكاتب اتصال. وكان وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة قد أصيب بالإحباط الشديد بسبب الخلاف لدرجة أنه هدد بإلغاء الصفقة بالكامل. ووعدته بأننا سنوصل الإسرائيليين إلى المكان الصحيح.

في ذلك المساء، جلست مع بيبي في مكتبه. بدأت بشكره مرة أخرى على الحفل الجميل الذي أقيم في وقت سابق من ذلك اليوم في بستان الأمم. وعلى الرغم من أنه كرمني، إلا أنني أردت أن يعلم مدى امتناني لشراكته في اتفاقيات إبراهيم. لقد أمضى بيبي سنوات في وضع الأساس مع العالم العربي لتهيئة الظروف للسلام. وعندما اقترحت إدارة أوباما الاتفاق مع إيران، سافر إلى واشنطن لمعارضة مشروع القانون بقوة في الكونجرس. كان بيبي يعلم أن هذه الغزوة الدبلوماسية محكوم عليها بالفشل منذ البداية: كان أوباما سيوقع على الاتفاق مهما حدث. لكن الضغط العام الذي مارسه، والذي بلغ ذروته في خطاب متلفز على المستوى الوطني أمام الكونجرس، أثار غضب إدارة أوباما وألحق الضرر بعلاقة إسرائيل بالولايات المتحدة، حليفها الأكثر أهمية. ومع ذلك، كانت دعوته لحظة فاصلة في علاقة إسرائيل بالدول العربية في الخليج. فقد كشفت عن أن إسرائيل كانت في الواقع دولة ديمقراطية، لكنها لم تكن قادرة على تحمل المسؤولية عن أي شيء.

لقد كان نتنياهو وترامب على علاقة قوية، وقد أظهرا أن إسرائيل يمكن أن تكون أكثر قيمة كصديق من كونها عدو. ومثل ترامب، كان نتنياهو لا يعرف الخوف. وقد يكون هذا مثيرا للاستقطاب في بعض الأحيان، لكنه جعله أيضا محفزا قويا.من أجل التغيير.

لم يكن لدينا وقت طويل للتفكير. ما زلنا بحاجة إلى الانتهاء من الشروطبشأن اتفاق السلام الوشيك مع المغرب. وأعرب بيبي عن خيبة أمله إزاء مكاتب الاتصال.

"هذا ليس جيدًا بما فيه الكفاية"، قالت بيبي. "أعتقد أنه يجب عليك بذل المزيد من الجهد"للحصول على صفقة أقوى."

"أرجو أن تثقوا في حكمي في هذا الأمر"، هكذا حثثت آفي. "إن الملك شخص متعمد وفطري للغاية. لقد عملنا على حل قضية السفارة، وهذا كل ما سنحصل عليه في هذه المرحلة. والخطوة الذكية هي إظهار الثقة لهم وأخذ أقل الآن. وأعدكم أنه إذا منحتموهم الثقة، فإنهم في النهاية سيعطونكم أكثر مما كنتم تتوقعون". وكان السفير فريدمان يمارس الضغوط ضد الصفقة، ونقل تحفظاته القوية إلى آفي.

وبحلول نهاية اجتماعنا، وقبل أقل من اثنتي عشرة ساعة من الرحلة الأولى التاريخية إلى المغرب، استجاب بيبي لنصيحتي ووقع على الشروط النهائية للإعلان.

وفي صباح اليوم التالي، استقبلنا في المطار الوفد الإسرائيلي، بقيادة مائير بن شبات، مستشار الأمن القومي الإسرائيلي، الذي ولد والداه في المغرب. وعند هبوطنا في الرباط، تم اصطحابنا على الفور إلى ضريح محمد الخامس، حيث وقعنا في سجل الزوار ووضعنا إكليلا من الزهور على قبري الملكين المغربيين الراحلين محمد الخامس والحسن الثاني، اللذين دافعا عن الشعب اليهودي ضد الاضطهاد.

وفي ذلك المساء ذهبنا إلى القصر، حيث تم اصطحابنا إلىكان مكتب الملك عبارة عن غرفة كبيرة مغطاة بالألواح الخشبية تفوح منها رائحة البخور ومزينة بأقمشة دمشقية مذهلة. كان هناك صفان أنيقان من الكراسي متقابلان - جانب للمسؤولين المغاربة والآخر لي، وآفي، وبوهلير، ومائير بن شبات. جلس الملك محمد السادس على رأس الغرفة، مقسمًا الصفوف، أمام جدارية ضخمة تصور شجرة عائلته، التي يعود تاريخها إلى النبي محمد. كان الملك معروفًا بذوقه الذي لا تشوبه شائبة، وكان يرتدي بدلة سوداء مصممة جيدًا. جلس بجوار الملك مباشرة ابنه، مولاي حسن، ولي العهد في سن المدرسة الثانوية الذي أذهلني في عشاءنا.

في عام 2019، استقبلني الملك بحرارة قدر استطاعته مع الالتزاملبروتوكولات COVID-19 الصارمة.

وبينما كانت الكاميرات تلتقط هذه اللحظة ليشاهدها العالم، وقعنا على الإعلان المشترك بين إسرائيل والمغرب والولايات المتحدة.62 وقد أعادت الوثيقة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين إسرائيل والمغرب. كما منحت الإذن برحلات جوية مباشرة بين البلدين، وفتحت مكاتب اتصال في الرباط وتل أبيب، وعززت التعاون الاقتصادي في التجارة والاستثمار والتكنولوجيا والتأشيرات والسياحة والمياه والأمن الغذائي وغير ذلك.

لقد توقفت لبضع ثوان قبل أن أوقع بصفتي ممثلاً للولايات المتحدة. لقد وقعت على الكثير من الوثائق في حياتي المهنية. كان الإجراء هو نفسه ـ الضغط على القلم على الورق لإتمام صفقة ـ لكن الفارق في الأهمية لم يكن أكثر دراماتيكية. كانت هذه الصفقة لتؤدي إلى اتصالات وأنشطة من شأنها أن تجعل العالم أكثر سلاماً وازدهاراً. في الصفقات التجارية، تتغير الأطراف المالكة؛ وفي صفقات السلام، يغير الناس عقولهم.

وبعد ذلك، قدمت للملك هدية: الخريطة الرسمية الجديدة للمغرب التي نشرتها وزارة الخارجية الأميركية، والتي تضمنت الصحراء الغربية ضمن أراضي البلاد. وكان الملك مسروراً بهذا الاعتراف، فضلاً عن العلاقات التي أقامتها بلاده حديثاً مع إسرائيل.

وفي ذلك المساء، بينما كان الناس يحتفلون في الشوارع لإحياء ذكرى هذه اللحظة،وبموجب الاتفاق، قام المغاربة بإعداد وجبة كوشير لنا في قصر الضيوف الواسع.

خلال العشاء، شعرت بنبض هاتفي المألوف. كان المتصل هو ألبرت بورلا من شركة فايزر. وبعد مداولات طويلة، قرر المضي قدماً في العقد، وكان على استعداد لقبول مساعدة الحكومة الفيدرالية في الحصول على الإمدادات لتسريع الإنتاج. كانت هذه شراكة مربحة للطرفين، لكن كان لدينا شرط واحد: يجب أن تصل اللقاحات المصنعة في أمريكا إلى الأمريكيين أولاً.

"سنوفر لك الإمدادات التي تحتاجها"، قلت. "أريد فقط أن أكون"واضح أننا نحتاج إلى أول مائة مليون جرعة من اللقاح في الربع الثاني. ولن نسمح لهذه الجرعات بمغادرة البلاد".

"لماذا تلعب دور الإله؟" رد بورلا. "لماذا يحق لك تحديد ما إذا كان شخص أمريكي يحصل على جرعة من اللقاح أم شخص من اليابان أو إسرائيل؟"

"لأنني أمثل أمريكا"، قلت. "هذه هي الدولة التي أعمل بها.

وظيفتي هي الحصول على أكبر عدد ممكن من الجرعات للشعب الأمريكي، و

أنت شركة أمريكية. إذا قمت بزيادة إنتاجك إلى الحد الأقصى،"إننا نتوقع أن نصل إلى مستويات أعلى من ذلك، ولكن ذلك يرجع جزئياً إلى المساعدة التي تقدمها لنا الحكومة الأميركية. وما نطلبه في المقابل هو أن نضع إنقاذ الأرواح الأميركية على رأس أولوياتنا".

في اليوم التالي، أعلنت شركة فايزر أنها ستزود الولايات المتحدة بمئة مليون جرعة إضافية بحلول يوليو/تموز، لتأمين ما مجموعه مائتي مليون لقاح فايزر للأمريكيين بحلول النصف الأول من عام 2021. وكانت هذه خطوة حاسمة أخرى لضمان حصول كل أمريكي يريد الحصول على اللقاح.قد يتمكن اللقاح من إلحاق الضرر بالجسم. وهذه المرة، أوفت شركة فايزر بوعدها.

عدت إلى واشنطن بعد ظهر الثالث والعشرين من ديسمبر/كانون الأول. وبينما كنت في طريقي إلى البيت الأبيض، تلقيت مكالمة غير متوقعة من الرئيس.

"جاريد، لقد وقعت للتو على عفو كامل عن والدك"، قال. "قبل بضعة أيام، اتصلت بوالدك وسألته عما إذا كان يريد العفو، فقال لا.أنا أعرف قضيته جيداً، وأعتقد أنه تعرض للخداع. وبسبب تجربته المؤسفة، قمنا بسن إصلاحات كبرى في مجال العدالة الجنائية ساعدت عشرات الآلاف من الناس. وآمل ألا يغضب مني، ولكن

"أنا فخور جدًا بقدرتي على القيام بذلك. والدك رجل عظيم."

لقد شعرت بالصدمة الشديدة ولم أكن أعرف ماذا أقول. سألته إن كان قد اتصل بوالدي ليخبره، لكنه قال إنه لا يزال يعمل على مجموعة من القضايا وسيحاكمه لاحقًا. أخبرني أنه لا بأس من الاتصال به في هذه الأثناء.

بمجرد أن أغلقنا الهاتف، اتصلت بإيفانكا. وتحدثنا سويًا مع والدي ووالدتي وتبادلنا الأخبار. وسمعت صوت والدي يتقطع. وقال: "عندما سألني دونالد عن هذا، أخبرته حقًا أنني لا أحتاج إلى ذلك. أنا في سلام مع ما حدث وأعدت بناء حياتي بطريقة تجعلني أضع كل الأولويات الصحيحة وأشعر بالراحة مع من أنا. لم أكن أريد أن أسبب أي جدل لدونالد. لكن الحقيقة هي أن سماع هذا الخبر يجعلني أدرك مدى رغبتي حقًا في ذلك ولكنني كنت فخورًا جدًا لدرجة أنني لم أطلب ذلك. هذا يجعلني أنهي فترة صعبة للغاية من حياتي".

لقد غمرتني السعادة والارتياح لعائلتنا، وخاصة لأنني كنت أعلم أن آلاف العائلات قد مرت بنفس التجربة.الفرحة والارتياح بسبب الإصلاحات التي قمنا بها على مستوى البلاد.

قبل خمسة عشر عامًا، عندما كنت أزور والدي كل أسبوع في السجن،لم أتخيل قط أنني سأخوض هذه المحادثة. ولم أتخيل قط أن رئيس الولايات المتحدة سيمنح والدي العفو. وفي تلك اللحظة، شعرت أن يد الله وحدها هي القادرة على كتابة هذا السيناريو الحقيقي، وأن خططه أعظم من خططنا دائمًا.

{58}

مصالحة

كان يستعد لمغادرة البيت الأبيض إلى قاعدة أندروز المشتركة والرحلة إلى المملكة العربية السعودية في صباح يوم 3 يناير 2021، عندمالقد تلقيت اتصالاً من وزير خارجية قطر الشيخ محمد، وكان يتصل
أنا
نيابة عن رئيسه - حاكم قطر.
قطر الأمير تميم بن حمد.
وقال "لقد انتهت الصفقة، شكرًا لكم على العمل بلا كلل لحل المشكلة".
"هذا النزاع، ولكن في هذه المرحلة لم يعد هناك ما يمكن فعله."

كان من المفترض أن أنضم إلى تميم ومحمد بن سلمان في توقيع اتفاقية لإنهاء الحصار الذي فرضته السعودية والبحرين ومصر والإمارات العربية المتحدة على قطر لمدة ثلاث سنوات. ومنذ ذلك الحين، قمت بتسهيل المكالمة بين تميم ومحمد بن سلمان في ذلك الوقت.في سبتمبر/أيلول، ساعدت أنا وفريقي الجانبين على حل خلافاتهما. وفي ديسمبر/كانون الأول، سافرت إلى المنطقة لاستكمال الاتفاق. وبعد جلستين تفاوضيتين دامتا سبع ساعات، اعتقدت أننا حللنا جميع القضايا المفتوحة، وكان محمد بن سلمان وتميم يخططان للقاء في قمة مجلس التعاون الخليجي في الخامس من يناير/كانون الثاني. وقد دعوني إلى الحضور إلى المملكة العربية السعودية لحضور الحدث ومشاهدة الاتفاق، وهو ما كان شرفًا وفرصة لدفع المفاوضات عبر خط النهاية.

وعلى مدى الأشهر الثلاثة الماضية، نجح الشيخ محمد ببراعةكان تميم يتفاوض على كل قضية حساسة يواجهها، لذا كان بإمكاني أن أشعر بخيبة أمله الملموسة من خلال الهاتف. حتى مكالمته، كنت أعتقد أننا على الطريق الصحيح لتوقيع الاتفاق، لكنه أوضح أن السعوديين لم يوافقوا بعد على رفع القيود المفروضة على المجال الجوي قبل القمة. منذ مناقشتنا الأولى، أوضح تميم أنه على استعداد للسفر إلى المملكة العربية السعودية لتوقيع الاتفاق، ولكن فقط إذا فتحت البلاد المجال الجوي مسبقًا. وقال: "إذا لم يتمكن مواطنو بلدي من الطيران، فبصفتي زعيمهم، لا يمكنني الطيران".

خلال المفاوضات، نقلت موقف تميم إلى السعوديين، الذين أكدوا لي أنهم سيرفعون القيود في الوقت المناسب.والآن، قبل يومين فقط من القمة، لم يتم رفع القيود المفروضة على الرحلات الجوية بعد.
عندما سمعت الخبر، تجاوزت فريق التفاوض السعودي و
اتصلت مباشرة بمحمد بن سلمان، وقلت له: "لدينا مشكلة كبيرة".

ولدهشتي، كشف رد فعل محمد بن سلمان أن هذه كانت المرة الأولى التي يسمع فيها عن طلب تميم. وقال: "لا يمكننا أن نفعل ذلك. هذه إعادة مقايضة"، مستخدمًا مصطلحًا تجاريًا لإعادة التفاوض على السعر بعد أن توصل الطرفان إلى اتفاق أولي. "هذا يدل على أنهم غير صادقين في رغبتهم في حل النزاع".

رددت بقوة: "لم أكذب عليك قط في أربع سنوات."أعدك أن تميم وضع هذا شرطًا منذ أول لقاء لي بهذا الموضوع. لقد علم فريقك بهذا الطلب. إذا كنت تريد أن تغضب من هذا، فاغضب من فريقك، واغضب مني، لكن لا تعتقد أن تميم يلعب ألعابًا هنا."

وأكد لي محمد بن سلمان أنه يفهم المخاطر وسيتحدث مع فريقه ليرى ما إذا كان بوسعهم حل القضية.

في تلك الأثناء، كانت طائرتنا العسكرية تنتظر على مدرج المطار في قاعدة أندروز المشتركة. فبمجرد أن يبدأ الطيارون في استخدام الساعة، تنص اللوائح الفيدرالية على أن لديهم أربع عشرة ساعة قبل أن يُطلب منهم أخذ قسط من الراحة. ولأن الرحلة المباشرة إلى المملكة العربية السعودية تستغرق أكثر من اثنتي عشرة ساعة، فقد ظللنا نطلب من الطيارين تأخير موعد انطلاقنا حتى لا نضطر إلى التوقف في منتصف الرحلة لقضاء الليل، ثم نصل متأخرين إلى القمة.

وبينما كنت أتجول في منزلي، فكرت في إلغاء الرحلة وترك السعوديين والقطريين يتوصلون إلى حل لهذه المشكلة بأنفسهم، ولكنني كنت أعلم أن الرئيس يريد حل الخلاف. فالاتفاق من شأنه أن يعزز المصالح الأميركية من خلال تعزيز موقف أميركا في المنطقة، وتوحيد اثنين من شركائنا المهمين، والقضاء على نقطة خلاف ثابتة تعوق التوصل إلى اتفاقيات سلام محتملة. وإذا فشلنا في التوصل إلى هذا الاتفاق، فسوف يكون لدى إيران فرصة لاستغلال الخلاف بشكل أكبر.

لقد قمت بنقل موعد رحلتي إلى أحدث نافذة ممكنة - 8:00 صباح اليوم التالي. قبل الذهاب إلى الفراش، أخبرت الشيخ محمد أن محمد بن سلمان مستعد لفتح المجال الجوي السعودي، وقال إنه سينقل الرسالة إلى تميم. أعاد هذا الصفقة إلى اللعب، ولكن بينما كنت أنتظر الكلمة من قطر، تساءلت عما إذا كان الوقت قد فات. استيقظت في الساعة 1:00

أنا أتحقق من وجود تحديث، لكن كل شيء كان هادئًا. شعرت وكأن الصفقة كانت تفلت مني.

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، توجهنا إلى قاعدة أندروز المشتركة، ولكننا لم نسمع أي شيء من القطريين. كان الوقت يمضي بسرعة. إذا لم نتخذ أي إجراء، فسنكون في حاجة إلى اتخاذ إجراءات عاجلة.إذا غادرنا قبل الساعة التاسعة صباحًا، فلن نتمكن من الوصول إلى القمة في الوقت المحدد.

اتصلت بالشيخ محمد وطلبت منه أن ينقل رسالة إلى تميم: "سأستقل الطائرة الآن متوجهاً إلى القمة. وأقترح بشدة أن يأتي الأمير ويستغل الفرصة النادرة لحل هذه القضية. أخبره أنه على الرغم من أنني أعلم أن الثقة ضئيلة الآن، فسوف أكون هناك شخصيًا لضمان معاملته بأقصى درجات الاحترام. إذا لم تأت الآن، أعتقد أن الجليد سوف يزداد سمكًا، وليس رقيقًا. إن كلا الجانبين متشككان بحق في بعضهما البعض، وسوف يفسر السعوديون إلغاء اللحظة الأخيرة على أنه علامة على سوء النية. من غير المرجح أن تجد مسؤولاً حكوميًا أمريكيًا آخر يعمل على جسر الهوة بين البلدين، وقد تظل في الحصار لمدة عشرين عامًا قادمة ". وافق الشيخ محمد ووعدني بأنه سيفعل ما بوسعه.

لقد أقلعنا إلى المملكة العربية السعودية دون أن نعرف ماذا سيفعل القطريون. وبعد ثلاث ساعات في الجو، تلقيت رسالة من محمد بن سلمان: اتصل تميم ليقول إنه يقدر مرونة السعوديين، وقد قرر الحضور. وعادت الصفقة. وفي حماسة وارتياح، أخبرت فريقي أننا نقترب من اتفاق سلام حاسم آخر - هذا الاتفاق بين الجيران العرب الذين كانوا عالقين في صراع دام سنوات.

عندما هبطت طائرتنا في العلا، وهي مدينة قديمة تقع في شمال غرب المملكة العربية السعودية، لم يكن بوسعي أن أرى سوى مشهد لا نهاية له من التكوينات الرملية والصخور. وبعد رحلة قصيرة بالسيارة على الأرض، وصلنا إلى مجمع حديث البناء ـ مجموعة من الوحدات النمطية المغطاة بأسقف الخيام، والتي تمنح الزوار تجربة التخييم في الصحراء. وبينما كنت أتحدث مع أحد سكان العلا، قال:بينما كان أفراد العائلة المالكة مجتمعين هناك، تلقيت اتصالاً من الشيخ محمد.

"نحن نقوم بتحويل طائرتنا"، قال.

كاد أن يصرخ: ماذا تعني بأنك لن تأتي؟

وكان هناك نزاع في اللحظة الأخيرة حول تنفيذ الاتفاق.

كنت أقف مع الدكتور أحمد ناصر المحمد الصباح، وزير خارجية الكويت، الذي كان شريكي في التفاوض على هذه الصفقة. ومع الشيخ محمد على الخط، توجهنا إلى محمد بن سلمان،

أخرجه من المناقشة، ووصف المشكلة. أخذ محمد بن سلمان هاتفي ورحل.

وبعد عدة دقائق عاد ولي العهد السعودي وقال: "المشكلة حُلت". لقد أعطى محمد بن سلمان وعده بأنه سيفي بوعوده، وقرر القطريون المضي قدماً في شرفه.

وبعد دقائق، وبينما كانت الكاميرات تدور، نزل تميم على الدرج.كان محمد بن سلمان في استقباله على متن طائرته. وتجاهلا بروتوكولات الوباء، عانق الزعيمان. وتم بث العناق بين الخصمين السابقين على شاشات التلفزيون في جميع أنحاء العالم. ومثل أول رحلة بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة، كانت صورة قوية تعكس التغيير الناشئ في الشرق الأوسط. لقد أشارت إلى الناس في جميع أنحاء المنطقة أنه يمكنهم المضي قدمًا من التوترات الماضية والسعي إلى مستقبل أفضل.

بحلول صباح اليوم التالي، تصدرت نهاية الحصار المفروض على قطر عناوين الصحف العالمية. فجاء عنوان صحيفة وول ستريت جورنال: "السعوديون وقطر يسويان الخلاف ويساعدان الجهود الأميركية بشأن إيران". وأعلنت وكالة رويترز: "السعودية وحلفاؤها يستعيدون العلاقات الكاملة مع قطر، كما يقول وزير الخارجية". وذكرت هيئة الإذاعة البريطانية: "أزمة قطر: السعودية وحلفاؤها يستعيدون العلاقات الدبلوماسية مع الإمارات".

في صباح يوم 6 يناير/كانون الثاني 2021، غادرنا الشرق الأوسط للمرة الأخيرة خلال خدمتنا الحكومية. لقد اعتدت على استخدام رحلات العودة الطويلة لإطلاع فريقي على آخر المستجدات، والتفكير في اجتماعاتنا مع الزعماء الأجانب، والتخطيط لخطواتنا التالية. ومع إبرام هذه الصفقة النهائية، لم تعد هناك خطوات أخرى. لقد انتهينا.

"في تاريخ الدبلوماسية الأميركية، لم يحقق أحد إنجازات أكبر من هذه"قال بريان هوك في خطاب مرتجل: ""إنني أعتقد أن هذا الفريق قادر على تحقيق صفقات سلام أفضل من هذا الفريق""." ""إذا نظرنا إلى الوراء عندما تولينا السلطة لأول مرة، فسوف نجد أننا واجهنا موقفاً سيئاً للغاية. ومن الواضح أن المنطقة كانت مهيأة لأفكار وأساليب جديدة. ولا يمكن أن يأتي هذا إلا من شخص مثلك من خارج صناعة مراكز الأبحاث، التي كانت تستخدم نفس نقاط الحديث من سبعينيات القرن العشرين. لم تكن لديك الخبرة الكافية التي تسمح لك بالتعامل مع مثل هذه الأمور""."

لقد شكرت هوك على كلماته الطيبة وعلى الدور الحاسم الذي لعبه. لقد كان عضوًا أساسيًا في الفريق الذي آمن بكل إخلاص بسياسات ترامب وكان له دور فعال في تحقيق بعض أعظم نجاحات الرئيس. لقد واصلنا جميعًا مشاركة القصص حول لحظاتنا المفضلة، والأخطاء الثقافية، والأحداث التي وقعت في ذلك الوقت.

أشخاص لا يمكن نسيانهم التقينا بهم. وبينما كنا نضحك ونتبادل القصص،لقد شعرت وكأن ثقلاً من الرصاص قد رفع عن ظهري. في العديد من رحلاتنا، قضينا رحلة العودة إلى الوطن في استيعاب المعرفة التي اكتسبناها والتخطيط لخطواتنا التالية في السعي لتحقيق ما بدا وكأنه اختراق بعيد المنال. كانت هذه الرحلة مختلفة. لقد غادرنا مناصبنا بعد أن توسطنا في ست اتفاقيات سلام: الاتفاقيات بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة، والبحرين، والمغرب، والسودان، وكوسوفو، بالإضافة إلى المصالحة بين المملكة العربية السعودية وقطر.

لقد كانت رحلة الطائرة تلك بمثابة نقطة تحول كبيرة في حياتي خلال السنوات الأربع التي قضيتها في الحكومة. لقد تأملت في التحديات العديدة التي واجهناها. لقد شعرت في ذلك الوقت أن العديد منها يشكل تهديداً وجودياً، ولكن الآن يبدو الأمر وكأنه مجرد هوامش هامشية. لقد تضخمت نبرة الحنين إلى الماضي في صدري. ولكن أكثر من أي شيء آخر، كنت راضياً. فقد اقتربت مساعينا من أجل السلام من نهايتها. لقد لعبت اللعبة حتى صافرة النهاية وحاولت دائماً أن أفعل ما هو صحيح بدلاً من ما هو سهل. والآن أصبحت مستعداً لتسليم المسؤولية الهائلة، والعودة إلى حياة أكثر هدوءاً، وقضاء المزيد من الوقت مع عائلتي، وخوض بعض المغامرات الخاصة بي. وربما أتمكن من اصطحاب أطفالي في جولة سياحية قبل أن نغادر المدينة، كما فكرت.

انقطع تفكيري اللحظي بسبب مكالمة هاتفية من إريك هيرشمان.

"أين أنت؟" سأل.

"أنا في الجو عائداً من المملكة العربية السعودية"، أجبت. "ما الذي يحدث؟"

وقال "لقد اقتحم مثيرو الشغب مبنى الكابيتول، وسأعطيكم
قم بالتحديث عند هبوطك."

هبطنا في منتصف بعد الظهر على أرض قاعدة أندروز المشتركة المألوفة للغاية. وبينما كنت أصعد إلى سيارتي الرياضية متعددة الاستخدامات، حذرني أفراد الخدمة السرية من وجود حشود كبيرة في ناشيونال مول وحول مبنى الكابيتول وأوصوني بالعودة مباشرة إلى المنزل إلى كالوراما. أثناء القيادة، اتصلت بإيفانكا للاطمئنان عليها. وبينما كنت أتحدث إليها، شعرت بنبرة متوترة في صوتها لا يستطيع إلا الزوج أن يفهمها حقًا. شجعتني على العودة إلى المنزل لرؤية الأطفال وأخبرتني أنها ستقابلني بعد قليل.

عندما وصلت إلى المنزل، منهكًا من رحلتنا التي استغرقت ثلاث عشرة ساعة، ذهبتذهبت إلى غرفتنا وفتحت الدش. ولكن قبل أن أتمكن من الدخول، تلقيت مكالمة من كيفن مكارثي، زعيم الجمهوريين في مجلس النواب، سألني عما إذا كان بإمكاني المساعدة في هذا الموقف. بدا وكأنه

كنت متوترة، لذا أخذت المكالمة على محمل الجد وأخبرته أنني سأرى ما يمكنني فعله. أغلقت الدش، وارتديت بدلة نظيفة، وذهبت إلى البيت الأبيض. بحلول الوقت الذي وصلت فيه، كان الرئيس قد أصدر بالفعل بيانًا مصورًا يتناول أعمال الشغب.

في تلك الليلة، وبعد أن علمت المزيد عما حدث في مبنى الكابيتول في وقت سابق من ذلك اليوم، بدأت أنا وإيفانكا العمل مع الفريق على خطاب مقترح للرئيس ليلقيه في اليوم التالي. وفي فترة ما بعد الظهر من يوم 7 يناير/كانون الثاني، ألقى ترامب تصريحات تعبر عن مشاعرنا ومشاعر ملايين من أنصاره: "لقد دنس المتظاهرون الذين تسللوا إلى مبنى الكابيتول مقر الديمقراطية الأمريكية. ولأولئك الذين شاركوا في أعمال العنف والتدمير، أنتم لا تمثلون بلدنا".

كما تعهد "بانتقال سلس ومنظم وخالٍ من العيوب للسلطة". وفي ختام كلمته، قال: "هذه اللحظة تدعو إلى الشفاء والمصالحة. يتعين علينا إحياء الروابط المقدسة للحب والولاء".

"إنها تربطنا معًا كعائلة وطنية واحدة". وقفت أنا وإيفانكا بالقرب منا

بينما كان يقرأ البيان الذي كتبناه مع عدد قليل من الآخرين.

كان اقتحام مبنى الكابيتول بالعنف خطأً وغير قانوني. ولم يمثل مئات الآلاف من المتظاهرين السلميين، أو عشرات الملايين من ناخبي ترامب، الذين كانوا مواطنين صالحين ومحترمين وملتزمين بالقانون. ومن الواضح لي أن أحدًا في البيت الأبيض لم يتوقع العنف في ذلك اليوم.

أنا واثق من أنه لو توقع زملائي أو الرئيس العنف، لكانوا قد منعوه من الحدوث. بعد أكثر من ستمائة مظاهرة سلمية لترامب، أعطى هؤلاء المشاغبون منتقدي ترامب الذخيرة التي أرادوها لأكثر من خمس سنوات. سمح لهم ذلك بالقول إن أنصار ترامب كانوا بلطجية مجانين وعنيفين. كان الادعاء كاذبًا مثل الرواية القائلة بأن مثيري الشغب العنيفين من أنتيفا الذين دنسوا المدن الأمريكية في ذلك الصيف كانوا يمثلون ملايين المتظاهرين السلميين الذين ساروا من أجل المساواة بموجب القانون. في أعقاب السادس من يناير، هبطت الروح المعنوية في البيت الأبيض إلى أدنى مستوياتها على الإطلاق.

استقال بعض الموظفين. جاء آخرون إلى مكتبي مستعدين لتقديم استقالاتهم. شجعتهم على البقاء.

"لقد أقسمت على خدمة الوطن"، قلت. "هذه لحظة يتوجب علينا فيها أن نفعل ما هو صحيح، وليس ما هو شائع. إذا كانت البلاد في وضع أفضل بوجودك هنا، فابق. وإذا لم يكن الأمر مهمًا، فافعل ما تريد".

خلال الأيام المتبقية من ولايتنا، واصلت أنا وإيفانكا العملبشأن العفو الرئاسي، ولكنني خصصت الجزء الأكبر من اهتمامي لاستكمال عملية انتقال الرئاسة.

في ديسمبر/كانون الأول، بدأت اجتماعات دورية مع فريق بايدن الانتقالي لإطلاعهم على جميع المعلومات والمعرفة التشغيلية اللازمة. وركزت بشكل خاص على عملية Warp Speed والاستجابة لكوفيد-19. وعملت بشكل وثيق مع وزير الصحة والخدمات الإنسانية أزار وموظفيه في وزارة الصحة والخدمات الإنسانية لإعداد جناح من المكاتب ليستخدمه فريق بايدن أثناء فترة الانتقال. وفي اليوم الذي كان من المقرر أن يصل فيه ممثلو بايدن، فوجئ فريق أزار بعدم حضور أحد - على ما يبدو خوفًا من الإصابة بكوفيد-19. وقد أدى هذا إلى إحباط موظفي وزارة الصحة والخدمات الإنسانية، الذين خاطروا بصحتهم الشخصية لعدة أشهر للعمل على مدار الساعة أثناء الوباء.

لقد دعوت جيف زينتس، الذي كان من المقرر أن يقود فريق عمل بايدن لمكافحة كوفيد، للحضور إلى الجناح الغربي مع فريقه. كنا نتواصل بانتظام. لقد استعرض براد سميث وآدم بوهلر والدكتورة ديبورا بيركس وبول مانجو وأنا الجهود المستمرة التي تبذلها إدارتنا لمواجهة الوباء. على مدار الأشهر العشرة السابقة، قمنا بتوزيع عشرات الملايين من الأقنعة ومعدات الوقاية الشخصية الأخرى وأعدنا بناء المخزون الوطني الاستراتيجي. في يناير 2020، انخفض المخزون إلى 13 مليون قناع N95 و 5 ملايين رداء و 16 مليون قفاز.63 أكملت الولايات المتحدة 250 مليون اختبار كوفيد، وقد خلقنا القدرة على إكمال 1.3 مليار اختبار في النصف الأول من عام 2021. وبحلول يناير 2021، كان لديها 237 مليون قناع N95 و 52 مليون رداء و 159 مليون قفاز. ومن خلال عملية Warp Speed، قدمنا ما يقرب من 1.5 مليار دولار من الإمدادات الطبية.

لقد قمنا بتوزيع 40 مليون جرعة لقاح على المجتمعات في جميع أنحاء أمريكا، ومن المتوقع تسليم 100 مليون جرعة إضافية بحلول نهاية مارس. وبحلول يونيو 2021، سيكون كل أمريكي يريد لقاحًا قادرًا على الحصول عليه. لقد كنا نزيد الموارد في العلاجات، وفي 12 يناير أعلنا عن شراء 2.63 مليار دولار أمريكي مقابل 1.25 مليون جرعة من علاج الأجسام المضادة أحادية النسيلة من شركة ريجينيرون، والذي ثبت أنه يقلل من الوفيات. في نهاية الاجتماع، شكرت زينتس على استعداده للخدمة في الحكومة، مضيفًا أننا جميعًا متاحون له على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع، سواء في ذلك الوقت أو بعد تولي بايدن منصبه. كنت أعلم أنه كان أمامه مهمة صعبة، وتمنيت له التوفيق.

التقيت أيضًا بجايك سوليفان، مستشار الأمن القومي الجديد لبايدن.

مستشار، لإطلاعه على اتفاقيات السلام لدينا ومراجعة البلدان التي نزورها.

ويعتقد أنهما قريبان من التطبيع مع إسرائيل، مؤكدا أن بايدنكانت أولويات الإدارة الأمريكية هي ثلاثة أمور: كوفيد-19، وتغير المناخ، والصين. وحثثته على إلقاء نظرة جديدة على الشرق الأوسط، حيث تغير الكثير في السنوات الأربع منذ أن كان في الحكومة. لقد قمت بتفصيل مناقشاتي الجارية وتوقعت بثقة أنه بعد ستة أشهر من التنفيذ المركّز، يمكن للولايات المتحدة أن تبني على الزخم وتحقق ما بين أربع وست اتفاقيات سلام إضافية. لم أهتم بمن يحصل على الفضل. كان الأمر يتعلق بالحفاظ على سلامة الأمريكيين وتحسين حياة الملايين.

مع دخولنا أسبوعنا الأخير، كانت طلبات العفو تتراكم وتنتظر القرار النهائي للرئيس. وجاءت بعض أفضل توصيات العفو من إيفانكا، التي تطوعت للمساعدة في تحديد الأفراد المستحقين والعمل مع مكتب مستشار البيت الأبيض لفحصهم. عندما التقينا بالرئيس، أعجب بالمرشحين الذين قدمتهم إيفانكا. كانت تدافع عن أشخاص ليس لديهم عادة بطل في واشنطن. لم يكونوا من المشاهير أو الأفراد ذوي العلاقات الجيدة. كانوا رجال ونساء جاءوا من ظروف صعبة، وارتكبوا أخطاء ندموا عليها، وأصلحوا حياتهم أثناء وجودهم في السجن. جلبت منظمات غير ربحية محلية مثل #cut50 ودعاة مثل أليس جونسون قضاياهم إلى البيت الأبيض.

"أحضروا لي المزيد من هذه الأشياء"، قال. "أريد حقائب إيفانكا".

في إحدى الأمسيات، قبل أيام قليلة من انتهاء ولايته، اتصل بي الرئيس وسألني: "ماذا تعتقد أنني يجب أن أفعل مع بانون؟". "لقد كان يضغط بقوة من أجل العفو عنه". كان بانون قد أوقع نفسه في مشاكل قانونية ووجهت إليه اتهامات بالاحتيال.

"لم أراجع قضيته، لكنني لا أعارض حصوله على العفو""بناءً على ماضينا،" قلت. "أنت تعرفني. أنا شخص رقيق. أميل إلى الرحمة."

"بجد؟" رد ترامب. "هل أنت حقا مع هذا؟ بعد كل ما فعله بك؟"

"أنا لا أنسى، ولكنني أسامح"، قلت. "إذا كنت تعتقد أن هذه فكرة جيدة،"أنا موافق على ذلك. لقد كان ستيف مدمرًا بشكل لا يصدق في عامك الأول في المنصب، لكنه كان موجودًا من أجلك في الحملة الأولى عندما كان عدد قليل من الناس موجودين."

لقد تسبب بانون بمفرده في مشاكل لي أكثر من أي شخص آخر أثناء وجودي في واشنطن. ربما كان هو الذي سرب وكذب بشأني أكثر من أي شخص آخر مجتمعًا. لقد لعب دورًا قذرًا وجرني إلى

لقد كان هذا هو الوحل الذي أحاط بالتحقيق في قضية روسيا. ولكن الآن بعد أن وقع في ورطة، شعرت أن مساعدته هي الشيء الصحيح الذي ينبغي لي أن أفعله.

لم أنسَ الدرس الذي تعلمته من موقف والدي. لا شيء يتحقق من خلال التمسك بالحقد. من الأفضل أن نسامح ونترك الله يحكم في الباقي.

{59}

الساعة الرملية

كان هناك هدوء غير مألوف في الجناح الغربي بينما كانت الساعة تتحركنحو منتصف الليل في آخر يوم كامل لنا في المكتب. كانت الأضواء مطفأة، والمكاتب نظيفة، والممرات خاوية بشكل مخيف.
ت
طاقم عمل

لقد قالوا وداعا وذهبوا إلى منازلهم، باستثناء عدد قليل منا الذين بقوا: إيفانكا وأنا، مارك ميدوز، دان سكافينو، مستشار البيت الأبيض بات سيبولوني، وعدد قليل من أعضاء طاقمنا، والرئيس.

لقد عمل سيبولوني وفريقه القانوني على مدار الساعة لإتمامكانت الوثائق القانونية للعفو القليلة المتبقية التي وافق عليها الرئيس. وقبل منتصف الليل بقليل، منح ترامب العفو لـ 143 فردًا إضافيًا. بدأت إيفانكا في الاتصال بالعائلات التي حصل أحباؤها للتو على العفو. كان الوقت متأخرًا، لكنها كانت تعلم أن العائلات لن ترغب في النوم طوال ليلة أخرى في انتظار معرفة ما إذا كان أحباؤهم سيعودون إلى المنزل.

وبينما كانت إيفانكا تجري المكالمات الهاتفية، عدت إلى مكتبي وكتبت مذكرة إلى مايك دونيلون، الذي سينتقل إلى مكتبي كمستشار أول لبايدن.لقد تمنيت له التوفيق وأخبرته أن أشياء مذهلة يمكن أن تحدث من ذلك المكتب الصغير المتواضع، وأنني أشجعه على إنجاز الكثير من أجل بلدنا. ورغم أننا عملنا مع رؤساء من أحزاب مختلفة، إلا أننا في النهاية كنا جميعًا في نفس الفريق. وإلى جانب الملاحظة، تركت بعض العناصر في الدرج العلوي والتي قد تكون مفيدة لأي عمل يتم إجراؤه من ذلك المكتب: تايلينول إكسترا سترينجث، وبيوريل، وزجاجة من الويسكي ماكالان.
ثم مشيت بضعة أقدام أسفل القاعة إلى المكتب البيضاوي. كنت

لقد فوجئت بعض الشيء عندما رأيت الرئيس لا يزال جالسًا على مكتبه. كان ينهيرسالته إلى الرئيس المنتخب جو بايدن. سلمها لي. قرأتها وتأثرت بها حقًا. كانت رسالة جميلة، لطيفة ومن القلب ـ تحية رئاسية للبلد الذي أحبه.

وبينما كنت أختتم هذا الفصل من حياتي، أردت أن أتذكر هذا اليوم. ففي ذلك الصباح، كان أول ما قمت به هو زيارة مطعم البحرية، حيث شكرت أفراد الخدمة المتفانين هناك. فقد أبقوني واقفاً طيلة السنوات الأربع الماضية. وكانوا يعدون لي كل يوم نفس الغداء: سلطة مقطعة خاصة مغطاة بشرائح الأفوكادو والدجاج الكوشر المشوي. وتماشياً مع جذوري في نيوجيرسي، حيث كنا نرتاد المطاعم ونتناول البيض ثلاث مرات في اليوم، استثنى موظفو مطعم البحرية أيضاً قاعدة "عدم تناول الإفطار بعد الساعة التاسعة صباحاً"، وكانوا يقلون عجة بالجبن الأمريكي لتناول العشاء كلما طلبت ذلك.

في وقت لاحق من ذلك اليوم، وصلت إيفانكا مع الأطفال. أرابيلا، جوزيف، واندفع ثيو إلى المكتب البيضاوي لتحية جدهم. احتضنهم بشدة، وكالعادة فتح درج مكتبه وأخرج صناديق حلوى إم آند إمز الرئاسية. سلم الأطفال بطاقات شخصية لأفراد الخدمة السرية. كانت بطاقة أرابيلا تلخص امتناننا على أفضل وجه: "شكرًا لكم على حمايتي... لقد كنتم لطفاء معي. على سبيل المثال: تذهبون للصيد مع جوزيف، وتذهبون في جولات بعربة الجولف مع ثيو، وتستمعون إلى نكاتي الرهيبة. شكرًا لكم!!! أنتم أفضل أصدقائي". وبجانب صورة لعلم أمريكي رسمته بأقلام التحديد، أضافت: "نعم، هناك 50 نجمة".

وبينما كنت أشاهد أطفالنا يتجولون في الجناح الغربي للبيت الأبيض، وهم يوزعون البسكويت المصنوع منزليًا على عملاء الخدمة السرية وموظفي الحراسة، لم أصدق مدى نموهم خلال السنوات الأربع الماضية. لم يكن ثيو قد أتم عامه الأول عندما أتينا إلى واشنطن. لقد زحف لأول مرة في عطلة نهاية الأسبوع بعد التنصيب، في غرفة الطعام الرسمية بالبيت الأبيض، لا أقل. والآن، في الرابعة من عمره، كان يتبختر في ربطة عنقه المرخية، غير مدرك أن أي شخص قد فاز أو خسر الانتخابات. كانت أرابيلا قد نمت حوالي قدم واحدة وكانت في التاسعة من عمرها تقريبًا، مع سحر ووقاحة والدتها. أما جوزيف، الذي كان في الثالثة من عمره فقط عندما انتقلنا وكان يواجه صعوبة بالغة في التكيف مع جداول عملنا الأكثر تطلبًا، فقد اكتشف حبه لصيد الأسماك.

لقد وعدته أنه عندما نصل إلى فلوريدا، حيث قررت أنا وإيفانكا الاستقرار، سأحل محل عملاء الخدمة السرية كشريك له في الصيد.

كنت قد خططت لحزم كل شيء بطريقة منظمة، ولكن بحلول اليوم الأخير كنت قد بدأت بالكاد، لذلك طلبت من تشارلتون وكاسيدي مساعدتي في ترتيب أغراضي في بضعة صناديق. قلت مازحًا لأفي وكاسيدي وتشارلتون عندما افترقنا في ذلك المساء: "لقد أتينا في عاصفة، وغادرنا في عاصفة".

وبينما كنت أستعد للعودة إلى المنزل، مررت بمكتب ميدوز للمرة الأخيرة. فوجدته جالساً في مكانه المألوف على الأريكة وقد وضع هاتفه المحمول على أذنيه، وأوراقه منثورة على طاولة القهوة أمامه. وكان الموقد مشتعلاً، فابتسم لي وأومأ برأسه وهو ينهي مكالماته. وشكرته على توليه هذا الدور وعلى كل الأشياء الرائعة التي أنجزها والمشاكل التي ساعد في تجنبها، والتي ربما لن يعرفها التاريخ أو يقدرها أبداً.

قبل أن أبدأ نزول الدرج الضيق المزعج للجناح الغربي، توقفت وقلت وداعا بصمت لمكتبي الذي أمضيت فيه معظم ساعات يقظتي على مدى السنوات الأربع الماضية. كانت الجدران فارغة، خالية من الصور والتصريحات الرئاسية والتقديرات التي جمعتها. بدت الغرفة الضيقة صغيرة ومظلمة وبلا حياة - تمامًا كما كانت تقريبًا عندما دخلتها في عام 2017. لن يعرف سوى قِلة من الناس كل المحادثات الساخنة والقرارات المؤلمة ولحظات النصر الحلوة التي حدثت داخل هذه الجدران. التقطت آخر عنصرين متبقيين حتى النهاية: الميزوزة على مدخل منزلي وساعة رملية أهداني إياها كريس ليدل. بينما كنت أستعد لمغادرة البيت الأبيض للمرة الأخيرة، فكرت فيما قاله ليدل: "كل يوم هنا عبارة عن رمل في ساعة رملية، وعلينا أن نجعله مهمًا".

لقد عرفت أنني عشت وفقًا لهذه الكلمات. لم أنسَ أبدًا أن مكتبي لم يكن
حقًامكتبي.

كنت مجرد ساكن حالي. ومنذ اليوم الذي وصلنا فيه، لم أتوقف عن العمل قط. وكانت مسؤوليتي أن أبذل كل ذرة من طاقتي لمساعدة الرئيس في تعزيز رؤيته للشعب الأميركي. وحتى عندما كنت في المنزل، كنت أفكر في الوظيفة. ولم يكن بوسعي أن أتنبأ بموعد تلقي مكالمة هاتفية عاجلة برسالة غير متوقعة.

طلب.

لم أستطع التخلص من الشعور بأنني إذا عقدت اجتماعًا آخر، فقد أجد حلًا لمشكلة مستحيلة أو أساعد في تحسين حياة شخص آخر. كان واجبي في خدمة رئيس الولايات المتحدة يأتي في المقام الأول، حتى قبل الأسرة. لقد كنت أنا وإيفانكا حالة فريدة: كنا من كبار موظفي البيت الأبيض وكنا أيضًا أفرادًا من الأسرة، مما أضاف مستوى آخر من التوتر والتدقيق. لم تكن هناك لحظة من الهدوء الحقيقي في البيت الأبيض، ولم تكن هناك لحظة من المتعة الخالصة. كان هناك دائمًا عمل، ودائمًا أزمة، ودائمًا سرعة عالية.

الآن، مع اقتراب فترة ولايتنا من نهايتها، كنت في سلام. لقد أعطيتلقد كنت فخوراً بكل ما أنجزناه. وفي حين استسلم كثيرون قائلين "واشنطن معطلة"، أصبحت أرى الأمر بشكل مختلف. لقد تعلمت أن النظام معقد، ولكنه يمكن أن ينجح إذا فكر الناس بإبداع وبذلوا الجهد الذي يتطلبه العمل. وما أنجزناه في أربع مشاكل تبدو غير قابلة للحل ــ التجارة، وإصلاح العدالة الجنائية، وعملية "السرعة القصوى"، والسلام في الشرق الأوسط ــ كان دليلاً على هذا المفهوم.

بعد عقود من الصفقات التجارية العتيقة التي أرسلت الوظائف الأمريكية إلى الخارج، استبدلنا اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية باتفاقية الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، وهي أكبر اتفاقية تجارية في التاريخ. كما اتخذنا الخطوات المهمة الأولى لمواجهة ممارسات الصين التجارية غير العادلة وحماية المزارعين والعمال الأمريكيين. وفي مواجهة معارضة من الديمقراطيين والجمهوريين على حد سواء، وجدنا أرضية مشتركة، وحظينا بدعم الرئيس، وشرعنا في تنفيذ أهم إصلاح للعدالة الجنائية منذ جيل. وفي خضم جائحة مدمرة، قدمنا لقاح كوفيد-19 في وقت قياسي. ومن خلال الدبلوماسية غير التقليدية والعزيمة التي لا هوادة فيها، تغلبنا على تاريخ من الجمود في الشرق الأوسط وصنعنا اتفاقيات إبراهيم.

لم يكن بوسع أحد أن ينتزع هذه الإنجازات. لقد كانت حقيقية. والأهم من ذلك أن هذه السياسات الجريئة غيرت حياة الناس إلى الأفضل. لقد فكرت في عدد لا يحصى من السجناء السابقين الذين عادوا الآن إلى أسرهم.ولقد كنا مصممين على الاستفادة القصوى من الفرصة الثانية التي سنحت لنا في الحياة. ولقد فكرت في عمال التصنيع والمزارعين الذين استقبلونا بامتنان عندما زرنا مجتمعاتهم وشكرنا الرئيس على إعادة وظائفهم واستعادة كرامتهم.

لقد فكرت في الأجداد وغيرهم من المواطنين الضعفاء الذين سيتمكنون الآن من لم شملهم بأمان مع عائلاتهم مرة أخرى. وفكرت في ملايين الأشخاص في الشرق الأوسط الذين سيتمكنون الآن من السفر بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة والبحرين والمغرب وفي النهاية السودان. لم تربط الصفقات الناس بجيرانهم الجغرافيين فحسب، بل فتحت أيضًا فرصًا اقتصادية جديدة وأنشأت روابط ثقافية تتجاوز الدين والعرق. لقد أظهرنا أن الصراعات التي أعاقت أجيال الماضي لم تعد مضطرة إلى تقييد أجيال المستقبل. كان العمل في الحكومة أمرًا شاقًا. لقد وضع ضغوطًا هائلة علي وعلى عائلتي. لكنني لم أندم على دقيقة واحدة من أيامي الـ 1461 على مدار الساعة الحكومية. البيت الأبيض هو المكان الأكثر ترويعًا وإثارة وإرهاقًا ومعنى للعمل في العالم. من الصعب فهم المسؤولية، وكذلك الأمر بالنسبة لإمكانية التأثير.

أطفأت الأضواء في مكتبي ومشيت على الدرج الضيق المؤدي إلى الممر في الطابق الأرضي. وعندما مررت بردهة الجناح الغربي،ودعت أخيرًا عميل الخدمة السرية الرسمي الموجود عند مكتب الاستقبال قبل الخروج من الأبواب المزدوجة المؤدية إلى شارع ويست إكزيكتيف. صعدت إلى سيارتي الرياضية متعددة الاستخدامات ولم أنظر إلى الوراء.

كان منزلنا المستأجر في كالوراما خاليا، باستثناء أكوام قليلة من الصناديق. وعلى مدار الأسابيع السابقة، بعنا أو تبرعنا أو شحننا معظم متعلقاتنا. كانت إيفانكا لا تزال تشق طريقها من خلال قائمة مكالماتها إلى العائلات التي نال أحباؤها للتو العفو. انضممت إليها، وأنهينا المكالمة معًا. وبحلول الوقت الذي أجرينا فيه المكالمة الأخيرة، كانت الساعة الثالثة بعد الظهر.

لقد كنت مرهقًا ولكنني ممتن وفخور بما ساعدنا في تحقيقه، أطفأنا الأضواء وأعطينا بعضنا البعض قبلة قبل النوم.

لقد جعلت هذه السنوات الأربع إيفانكا أقرب إلى بعضنا البعض. وكان انخراطها العميق في العفو مثالاً واضحاً على فترة عملها في واشنطن. كانت أسعد ما تكون خلف الكواليس، حيث استخدمت نفوذها لمساعدة الآخرين بطرق لن يعرفها معظم الناس. وفي حين تكهن الكثيرون بدوافعها، لم تكن لديها أي تطلعات سياسية. لقد تسامحت مع السياسة لدفع التأثير. كانت تريد استخدام وضعها الفريد لرد الجميل لبلد تحبه. وفي واشنطن، جعلها هذا شاذة.

لم يكن لزامًا على إيفانكا العمل في الحكومة، لكنها اختارت إغلاق مكتبها.

لقد عملت إيفانكا على تعزيز الإصلاحات الرامية إلى رفع مكانة الأسر في مختلف أنحاء البلاد، وخاصة تلك التي تم نسيانها. كما قادت الجهود الرامية إلى مضاعفة الإعفاء الضريبي للأطفال، مما سمح للأسر الأمريكية المجتهدة بالاحتفاظ بمزيد من أموال الضرائب لتوفير احتياجات أطفالها. كما أنشأت مبادرة تدريب القوى العاملة التي ساعدت عددًا لا يحصى من الأمريكيين على صقل حرفتهم، والتقدم في حياتهم المهنية، والعمل في الوظائف التي يحبونها. كما ساعدت في تمرير تشريع تاريخي لوقف الجريمة الشنيعة المتمثلة في الاتجار بالبشر. وعندما كان الأمريكيون في أضعف حالاتهم أثناء الوباء، أطلقت برنامج صندوق الغذاء من المزارعين إلى الأسر، والذي أطعم عشرات الملايين من الناس. وخلال فترة وجودنا في واشنطن، تمكنت من إيجاد طريقة لمنح أطفالنا الحب والاهتمام الذي يحتاجون إليه. لقد كانت ابنة مخلصة ومحبة لوالدها، ومصدرًا دائمًا للقوة. لم يكن من الممكن أن أتمكن من البقاء على قيد الحياة لمدة أربع سنوات في واشنطن بدون إيفانكا، أفضل صديقة وشريكة لي. لقد دعمتني تشجيعاتها المستمرة ورفقتها ودعمها وبصيرتها طوال رحلتنا.

في الصباح الباكر من يوم 20 يناير، قمنا بتعبئة الصناديق الأخيرة، وصعدنا إلى سيارة رياضية متعددة الأغراض مع أطفالنا، وغادرنا منزلنا للمرة الأخيرة.

عندما وصلنا إلى قاعدة أندروز المشتركة، وجدت أنا وإيفانكا إيريك ولارا ترامب، ودون جونيور وكيمبرلي جيلفويل، وتيفاني ترامب وخطيبها مايكل بولس. استرجعنا لبضع لحظات تجاربنا كعائلة خلال السنوات الأربع الماضية. لقد اتُهمت أنا ودون جونيور بالخيانة بشكل سخيف. ولا بد أن إريك حطم رقمًا قياسيًا عالميًا في استدعاءات الكونجرس. خاضت لارا وكيمبرلي حملات انتخابية في جميع أنحاء البلاد. نجحت تيفاني في اجتياز كلية الحقوق في عصر من الغضب، وفعلت ذلك بأناقة. لقد خضنا جميعًا هذه الرحلة غير المتوقعة معًا. لم ننجو فحسب، بل أصبحنا أقرب إلى بعضنا البعض.

وبينما كنا واقفين على مدرج المطار في الصباح البارد المنعش، سمعنا ضجيج ريش مروحية مارين وان المألوف. ثم هبطت المروحية الخضراء، ونزل الرئيس وميلانيا من الطائرة وسط تصفيق الحاضرين، في حين كان مئات من الموظفين يهتفون لهما. وفي غضون ساعات قليلة لن يكون ترامب القائد الأعلى للقوات المسلحة. بل سيصبح مواطنا أميركيا مدنيا خدم كرئيس خامس وأربعين للولايات المتحدة.

لقد بنى ترامب أحد أقوى الاقتصادات التي شهدتها بلادنا على الإطلاق، وطبق سياسات تفيد جميع الأميركيين. قبل الوباء، بلغ معدل البطالة أدنى مستوياته في خمسين عامًا، وبلغت الأجور أعلى مستوياتها على الإطلاق، وزاد دخل الطبقة المتوسطة بمعدل 1.5 مليار دولار.

6000 دولار. لقد خلقت سياسات ترامب الاقتصادية سبعة ملايين وظيفة جديدة وجعلت أمريكا المنتج الأول للنفط والغاز الطبيعي. ومن خلال سياسته الخارجية القائمة على السلام من خلال القوة، منع ترامب الحروب الجديدة،لقد استعادت أميركا قوتها العسكرية، وأصبح أعداؤنا يخشوننا، وأصبح شركاؤنا يحترموننا، وأصبح حلفاؤنا قادرين على الاعتماد علينا مرة أخرى. وبدأت القوات الأميركية تعود إلى الوطن، وبدأ السلام يزدهر في الشرق الأوسط.

عندما ضرب كوفيد-19، حشد الرئيس كل أمريكا للاستجابة. حصلت الولايات المتحدة على الأقنعة ومعدات الوقاية الشخصية وأجهزة التنفس الصناعي ولوازم الاختبار وغيرها من المواد المنقذة للحياة، ووفرتها وزادت من إنتاجها. انتعش الاقتصاد بشكل أسرع مما توقعه الخبراء، حيث نما الناتج المحلي الإجمالي بمعدل 33٪ في الربع الثالث من عام 2020. ولأن ترامب خاض مجازفة محسوبة واستثمر مليارات الدولارات في عملية Warp Speed، سلمت أمريكا علاجات منقذة للحياة ولقاحًا آمنًا وفعالًا في أقل من عام، أسرع بكثير مما كان يعتقد أي شخص أنه ممكن. نجحت عملية Warp Speed فقط لأن ترامب آمن ببراعة القطاع الخاص الأمريكي وقدرة الجيش الأمريكي على إنقاذ مئات الآلاف من الأرواح.

لا شك أن دونالد ترامب حقق إنجازات تفوق ما حققه أي رئيس آخر في حياتي. لقد كنت فخوراً بخدمتي في البيت الأبيض، وكنت ممتناً لأنه أعطاني الفرصة لمساعدته في الوفاء بوعوده للشعب الأميركي.

وقال في آخر تصريحاته العامة كرئيس: "إنه لشرف عظيم لي أن أكون رئيسكم. سأقاتل من أجلكم دائمًا. سأراقبكم وأستمع إليكم. وسأخبركم أن مستقبل هذا البلد لم يكن أفضل من أي وقت مضى. لذا، وداعًا، نحن نحبكم، وسنعود إليكم في شكل ما".

وعندما غادر ترامب على متن الطائرة الرئاسية، بدأ نغمة مألوفة تعزف.

"لقد سافرت على كل الطرق السريعة"

"وأكثر من هذا، أكثر من ذلك بكثير لقد فعلت ذلك، لقد فعلت ذلك بطريقتي..."

كانت أغنية "My Way" لفرانك سيناترا واحدة من الأغاني المفضلة لترامب.
اللحظة التي تستطيع فيها أغنية أمريكية عظيمة فقط أن تفعل ذلك.

قبل أربع سنوات بالضبط، وصلت أنا وإيفانكا إلى نفس المدرج مع الرئيس المنتخب ترامب. تركنا حياتنا في نيويورك وانتقلنا بأطفالنا الثلاثة الصغار إلى واشنطن في رحلة العمر. تعرفنا على أمريكيين من جميع مناحي الحياة كانوا يبذلون تضحيات هائلة لإعالة أسرهم ومنح أطفالهم الأفضل. سافرنا حول العالم وقابلنا أقوى القادة في العالم. مررنا بوقت مثير للجدل، تفاقم بسبب الاقتتال الداخلي في الجناح الغربي، والتحقيقات الشرسة، والهجمات الإعلامية، والانقسامات الحزبية، والصراعات الجيوسياسية، والخوف غير المتوقع من السرطان.

لقد تحملنا الصعود والهبوط معًا وتعلمنا الكثير عنالسياسة، والطبيعة البشرية، وأنفسنا.

لقد تعلمت أن النجاح في واشنطن يتطلب مني أن أتمتع بعمود فقري من فولاذ. وتعلمت أن أبتعد عن المعارك التافهة وصراعات القوة، وأن أكسب عدداً أقل من الأعداء والمزيد من الأصدقاء، وأن أتحدث أقل وأفعل المزيد. وبقدر ما كان من الصعب أن أسمع الناس ينشرون الأكاذيب عني وعن أسرتي، فقد حاولت تجاهل الضوضاء والتركيز على تحسين حياة الآخرين. وكانت التكلفة الشخصية ثمناً زهيداً مقابل الفرصة لتغيير العالم. وبدلاً من الاعتماد على الحكمة التقليدية، نظرت إلى القضايا من منظور جديد، ووضعت نفسي في مكان الآخرين، ووجدت أرضية مشتركة. وعلى الرغم من النكسات والانتقادات التي لا حصر لها والتي هددت بعرقلة جهودنا، فقد حققت اختراقات أفادت بلدنا والعالم. وعلى الرغم من كل ذلك، بقيت وفياً لقناعتي الأساسية: الحياة أقصر من أن تظل عالقة في الماضي. الأمر متروك لنا لتحقيق أقصى استفادة من الحياة التي وهبنا الله إياها، ومساعدة الآخرين، وخلق المستقبل الذي نريده لأطفالنا وأحفادنا.

لقد ضغطت على يد إيفانكا بينما اختفت الطائرة الرئاسية في الهواءالسماء الزرقاء. وبقدر ما بدأت الرحلة بسرعة، فقد انتهت فجأة. لقد انتهى وقتنا. لقد قمنا بواجبنا.

وبينما كان هدير محرك الطائرة 747 يتلاشى في المسافة، فكرت فيكلمات كانت ترشدني منذ أن كنت شابًا يعاني من عقوبة السجن التي حُكم بها على والدي ويتساءل عما قد يخبئه الله له:
لا ينظر خلف، ينظرإلى الأمام.

الشكر والتقدير

لم يكن من الممكن إكمال هذا المشروع بدون التشجيع
ودعم العديد من الأشخاص الذين أشعر بالسعادة لوجودهم في حياتي.

أنا
منذ اليوم الأول بدأت في كتابة بعض القصص - ولم يكن لدي أي فكرة عما إذا كنت سأشاركها خارج الحدود أم لا

في غرفة المعيشة الخاصة بنا، انضمت إليّ إيفانكا في هذه الرحلة. لقد كانت صبورة للغايةاستمعت إليّ وأنا أروي حكايات تعرفها بالفعل وأضافت تفاصيل من ذاكرتها. قرأت وأعادت قراءة المسودات، وقدمت تعديلات واقتراحات حريصة لا يمكن إلا للزوجة أن تقدمها. إيفانكا - أنت مصدر قوتي الدائم وأفضل صديقة وشريكة حياة يمكنني أن أطلبها. أحبك وأشكرك. وإلى أطفالنا الثلاثة الرائعين - أرابيلا وجوزيف وثيودور - شكرًا لكم على إبقاءني على الأرض وتذكيري بما يستحق القتال من أجله. لقد كان نشأتك مع والديك يعملان في البيت الأبيض مساهمتك الفريدة في البلاد، وآمل أن تقرأ هذا الكتاب يومًا ما وتفهم بشكل أفضل سبب عدم حضور والدك كما كان يود أن يكون. إيفانكا وأرابيلا وجوزيف وثيودور: أنتم حياتي.

لقد أعطاني الرئيس دونالد جيه ترامب الفرصة لاتخاذ أفضل قرارين في حياتي: طلب يد إيفانكا للزواج وقبول فرصة الخدمة في البيت الأبيض. دونالد - أشكرك على شجاعتك في هز واشنطن والقتال من أجل الرجال والنساء المنسيين في هذا البلد. لقد حققت رئاستك نتائج تاريخية، وأنا ممتن إلى الأبد لكل ما تعلمته من قيادتك.

لقد شكلني والداي تشارلز وسيريل كوشنر إلى الشخص الذي أنا عليه الآن. لقد أعداني لفترة عملي في الحكومة بطرق لم نكن لنعرفها في ذلك الوقت. لقد علماني أن أقدر العمل الجاد، وأن أحترم كلمتي، وأن أتجاهل المنتقدين، وأن أعتز بعائلتي، وأن أتمسك بإيماني، وأن أتذكر دائمًا أن الحياة هدية وأن الأمر متروك لكل منا للاستفادة منها على أكمل وجه. أنا ممتن لحبهما الثابت واهتمامهما المستمر.

التشجيع طوال هذه الرحلة. أمي وأبي - حبكما لأطفالكماإن التضحية ببعضنا البعض من أجل عائلتنا تلهمني كل يوم.

إلى إخوتي وزوجاتهم، دارا وديفيد، ونيكي وتوفي، وجوش وكارلي - لقد مررنا بالعديد من الصعود والهبوط معًا، وكل تحدٍ جعلنا أقرب. شكرًا لكل واحد منكم على دعمكم وحكمتكم طوال هذه العملية. أنا محظوظة للغاية لأن أعتبركم عائلتي.

كان إريك ولارا ودون جونيور وكيمبرلي من العناصر الأساسية في حملة ترامب.لقد صمدوا في وجه الضغوط الشديدة أثناء فترة رئاسته، وأنا ممتن لصداقتهم. واصل بارون وتيفاني دراستهما بإخلاص وقوة في مواجهة الانتقادات، وحبهما ودعمهما رفع معنوياتنا جميعًا. وتيفاني ومايكل - نحن متحمسون جدًا لكما وأنتما تبدآن هذا الفصل الجديد معًا. لكل منكما - أحترم بشدة كيف أنكما دائمًا موجودان لبعضكما البعض. إلى ميلانيا - أنا ممتن لأنك رحبت بي في عائلة ترامب بأذرع مفتوحة منذ البداية.

لقد كان روبرت تومسون صديقًا لي منذ ما يقرب من عقدين من الزمان. لقد كان دائمًا يقدم لي المنظور والحكمة والذكاء كلما طلبت مشورته، وأنا ممتن لاقتراحاته الرائعة وأفكاره الصريحة طوال هذه العملية.

لقد وضع جوناثان بيرنهام كل ثقل دار نشر هاربر كولينز وراء هذا المشروع. لقد راهن على هذا الكتاب عندما كان مجرد فكرة. لقد قدم نصائح رائعة طوال العملية وقاد مخطوطة معقدة ومترامية الأطراف إلى سرد متماسك ومتماسك.

رأى إريك نيلسون إمكانات هذا المشروع بالنسبة لدار نشر Broadside Books. فقد كانت خبرته التحريرية واقتراحاته الذكية وروح الدعابة لديه وقلمه الأحمر القاسي ومهاراته في التعامل مع الآخرين أمرًا بالغ الأهمية.ساعد الصبر الزائد كاتبًا مبتدئًا على تحويل الفكرة إلى حقيقة.

بريتاني بالدوين هي واحدة من أكثر الأشخاص إيجابية الذين عملت معهم على الإطلاق وكانت أيضًا واحدة من أفضل كاتبي الخطابات الرئاسية في البيت الأبيض.

بعد أيام من انتهاء خدمتنا الحكومية، اتصلت بها وقبلت مهمة أخرى غير متوقعة. عندما بدأنا هذا المشروع، لم يكن لدي أي فكرة عن أين سيتجه أو الشكل الذي سيتخذه، ومن خلال أذنها المستمعة، وبصيرتها الثاقبة، ورؤيتها الجريئة - والعديد من الليالي المتأخرة خلف لوحة المفاتيح - نجحنا في إحياء قصة المغامرة الحقيقية هذه. لقد بذلت قصارى جهدها في هذا المشروع الضخم وساعدتني في وضع الكلمات للتجارب التي حددت حياتي.

شغل نيك باترفيلد منصب نائب مساعد الرئيس ونائبهمنسق السياسات في البيت الأبيض. قبل هذا التعيين، كان عضواً لا يقدر بثمن في مكتب سكرتير الموظفين، حيث ساعد في ضمان أن كل خطاب وإعلان وأمر تنفيذي ووثيقة تصل إلى الرئيس كانت مثالية. بعد انتهاء وقتنا في البيت الأبيض، طلبت من نيك أن يأتي إلى فلوريدا لمدة شهر لمساعدتي في تنظيم مشروع كتاب محتمل. سرعان ما اكتشفت أنه بالإضافة إلى فهمه الاستثنائي للقضايا السياسية المعقدة، فهو كاتب ممتاز ومحرر رائع. لقد ساعدنا تفانيه ودوافعه وسعيه الدؤوب لتحقيق الكمال في إنشاء هذا السرد الأساسي للتاريخ.

كان آفي بيركويتز أول شخص قمت بتعيينه في البيت الأبيض، وكان له دور فعال في تحقيق صفقات سلام رائدة في الشرق الأوسط.لقد شهدنا الصعود والهبوط اليومي لهذه الرحلة الفريدة من نوعها، وكثيراً ما كان ذلك على مسافة لا تزيد عن بضعة أقدام. وأنا ممتن لنصائحه الحكيمة وصداقته وتفانيه في مبادراتنا. لقد أضاف العديد من التفاصيل من ذاكرته الخاصة، وقدم تعديلات دقيقة وملاحظات ثاقبة طوال عملية صياغة الكتاب.

كان كين كيرسون أحد الأصدقاء الجمهوريين القلائل الذين التقيت بهم عندما قرر حمي الترشح لمنصبه. وقد ساعدني منظوره على فهم ما كان يحدث في البلاد بشكل أفضل، كما ساعدني أيضًا في جلب عملاء ذوي خبرة وأفكار إبداعية إلى حملة ناشئة. لقد عمقت فترة عملي في السياسة صداقتنا التي استمرت عقدين من الزمان. ومنذ بداية هذا المسعى، جعلت ملاحظات كين الصادقة للغاية واقتراحاته الإبداعية هذا الكتاب أفضل.

لعبت كاسيدي لونا دورًا محوريًا على مدار السنوات الخمس الماضية في المساعدةلقد ساعدتني في إدارة مسؤولياتي. وعندما سألني الناس كيف أنجزنا الكثير مع وجود عدد قليل من الأشخاص، كنت أقول إنها كانت جيشي المكون من شخص واحد. لقد جلست لساعات في مقابلات لهذا المشروع وأضافت ذكرياتها الخاصة. لقد قدمت اقتراحات ماهرة، وساعدت

التحقق من التفاصيل المهمة، والإشراف على عملية اختيار الصور، والحفاظ على تنظيم فريقنا في كل خطوة على الطريق.

كان تشارلتون بويد عضوًا ثابتًا في فريق البيت الأبيض ويواصل العمل معي حتى اليوم. لقد ساعده تدوينه الدقيق لساعات من المقابلات في تأليف هذا الكتاب.

لقد قام جون جيه ميلر بتحرير المخطوطة بسرعة ومهارة واحترافية فائقة. لقد قدم وجهة نظر خارجية لا تقدر بثمن، وقام بتقليص الثغرات في المخطوطة، وساعدنا في ضمان بدء كل فصل بحيوية.

لقد بحثت جينيفر مونتازولي وتحققت من آلاف الحقائق التي تتشابك في كل صفحة تقريبًا من هذا الكتاب. وقد ساعد عملها الدؤوب وبحثها الدقيق في جعل هذا الكتاب سردًا مفصلاً للغاية للتاريخ. في المرحلة الأخيرة من المشروع، ساعد روبرت جابرييل في الإشراف على عملية التحقق من الحقائق، وأنا ممتن لمساعدته السريعة والشاملة. قدم لي وكلائي ديفيد فيجليانو وتوم فلانري نصائح سليمة ومنظورًا جديدًا من البداية إلى النهاية. أجرى توم تعديلات ممتازة على حافظ على قراءة هذا الكتاب مشوقة وسريعة الوتيرة.

أود أن أشكر الفريق بأكمله في هاربر كولينز الذي جعل هذا الكتاب ممكنًا، وكذلك الأصدقاء العديدين الذين قرأوا المخطوطة بلطف وقدموا اقتراحات لا تقدر بثمن. أود بشكل خاص أن أشكر هوب هيكس، ودان سكافينو، وبريان هوك، وبوب لايتهايزر، وبوبي مارلين ستاتماور، ولوريتا، وروبن على ملاحظاتهم الثاقبة. أود أيضًا أن أشكر العديد من الزملاء والنظراء - بما في ذلك لويس فيديجاراي كاسو، ويوسف العتيبة، ودينا باول، وجيسون جرينبلات، وديفيد فريدمان، ودان برويليت، وآدم بولر، وبراد سميث، وبول مانجو، وكيمبرلي بريير، ومات بوتينجر، وريك جرينيل، وبروك رولينز، وجيرون سميث - الذين جلسوا لإجراء المقابلات وساعدونا في التحقق من الحقائق على نطاق واسع. والشكر أيضًا لإريك هيرشمان، وأبي لويل، وتشاد ميزيل، وبن ويزنر على نصائحهم.

إن التجربة والإنجازات الموصوفة في هذه الصفحات لم تكن لتتحقق لولا الجهود الدؤوبة التي بذلها العشرات من الأشخاص الذين يعملون بهدوء خلف الكواليس. لقد تقدم العديد من الأصدقاء والمعارف

لقد بذلنا قصارى جهدنا لمساعدة بلادنا عندما دعت الحاجة إلى ذلك، وقد تم تقدير هذه الأعمال التي تتسم بالإيثار غير الأناني، وكان لها تأثير كبير. هناك الكثير من الرجال والنساء المخلصين في البيت الأبيض، وجهاز الخدمة السرية، وفي مختلف أنحاء الحكومة الفيدرالية الذين خدموا - وفي بعض الحالات، ما زالوا يخدمون - بلادنا بأعلى معايير

ملحوظات

ملاحظة: توثق الاقتباسات الواردة أدناه مصادر مثل الكتب والتقارير الحكومية والإحصاءات. وبشكل عام، لا تتضمن الاقتباسات اقتباسات من مقالات إخبارية، واقتباسات من خطب عامة، وغيرها من المعلومات المتاحة بسهولة من خلال النسخ العامة والتقارير الصحفية المتاحة على نطاق واسع على الإنترنت. وكما ذكر في المقدمة، فإن العديد من الاقتباسات الواردة في الكتاب مأخوذة من سجلات منشورة، مثل النسخ، ولكن بعضها الآخر يأتي من محادثات خاصة. وفي هذه الحالات، اعتمدت على ذاكرتي ومقابلات مطولة مع الزملاء والنظراء.